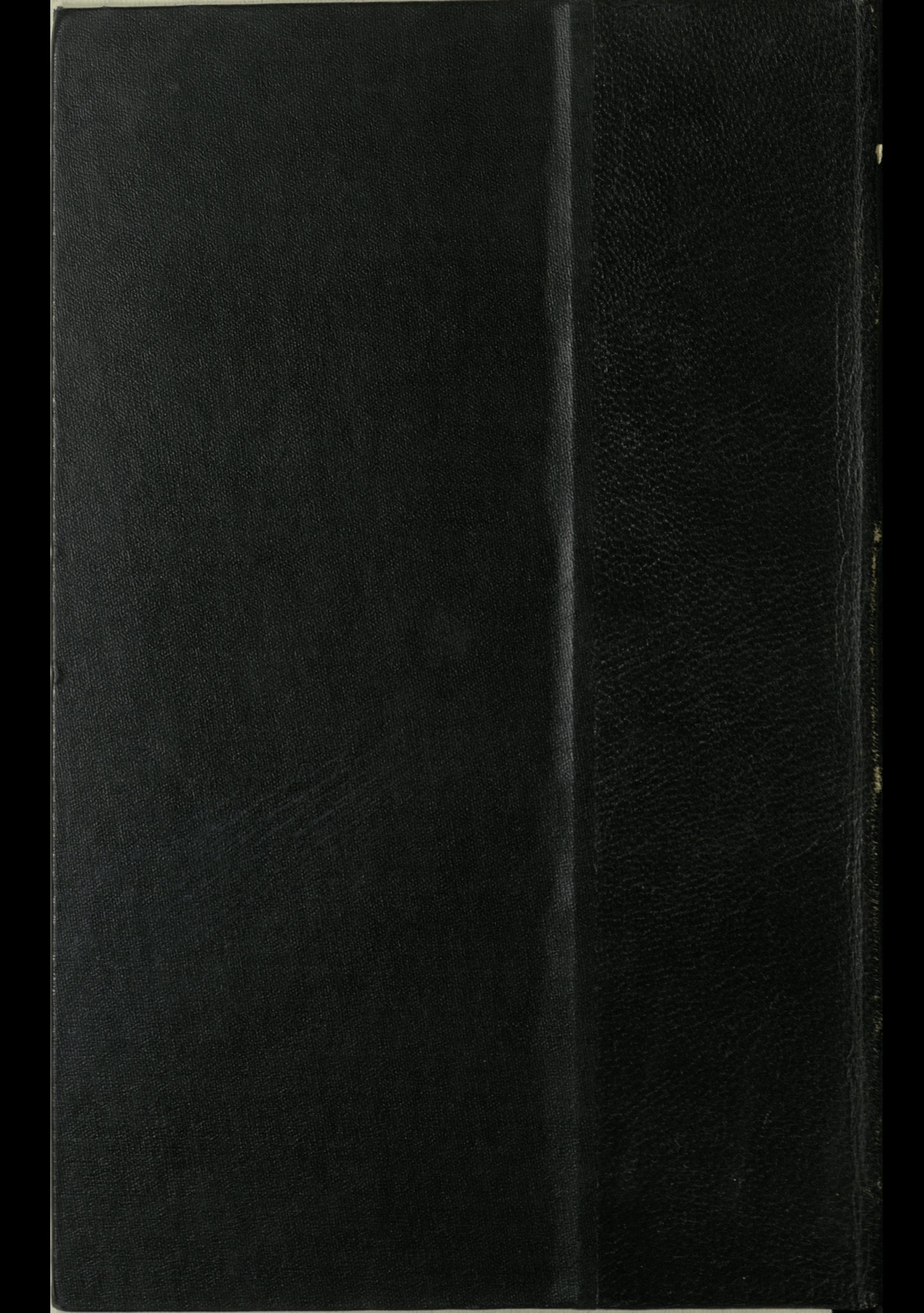
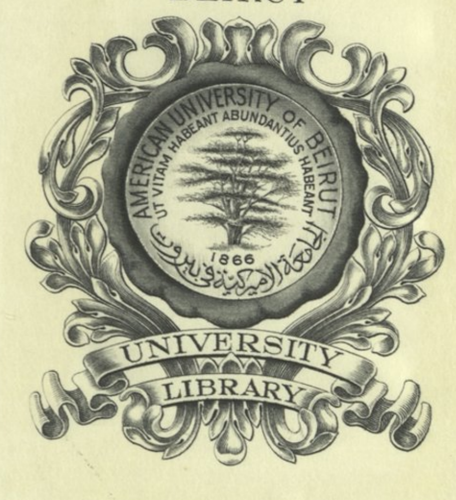
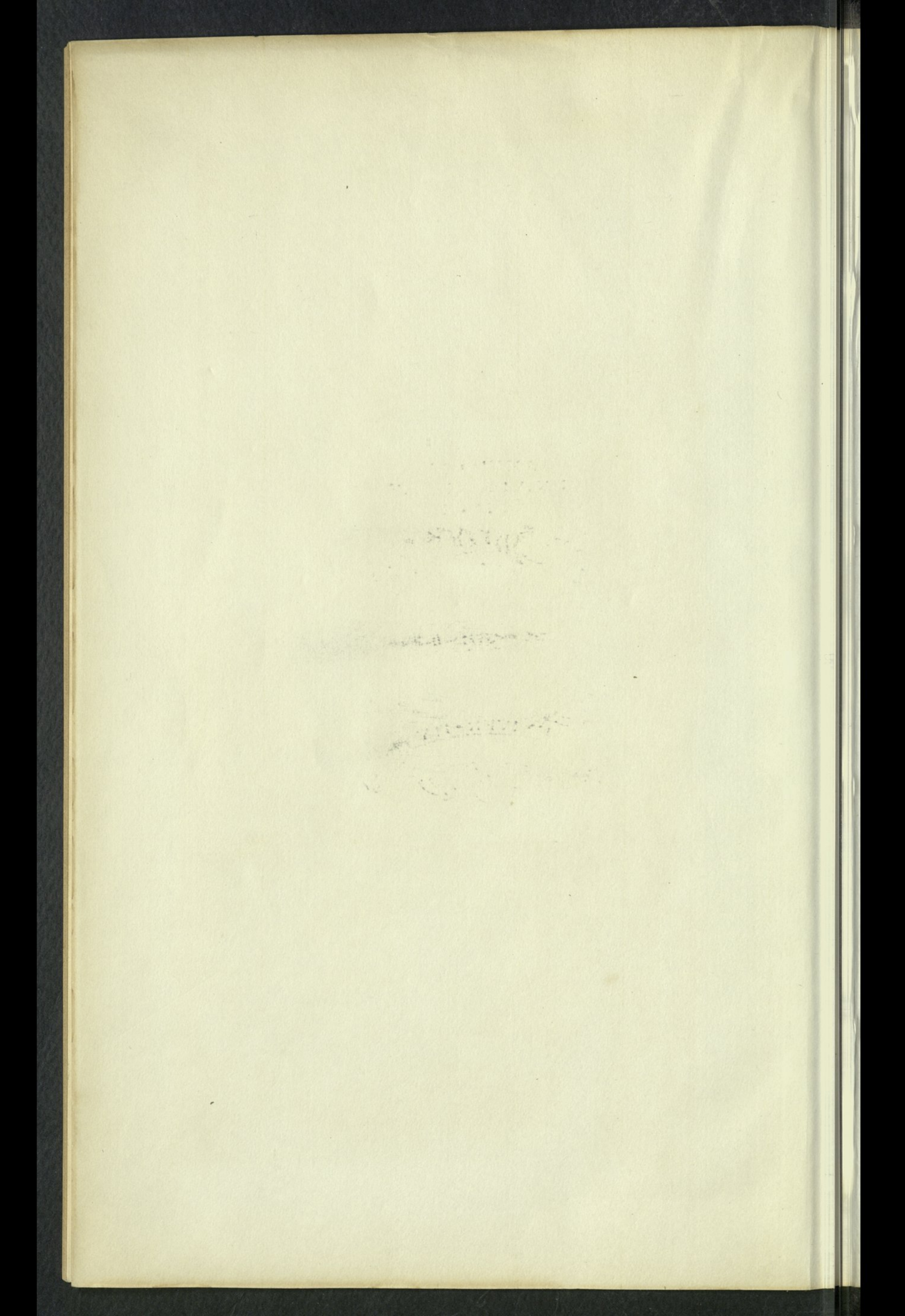
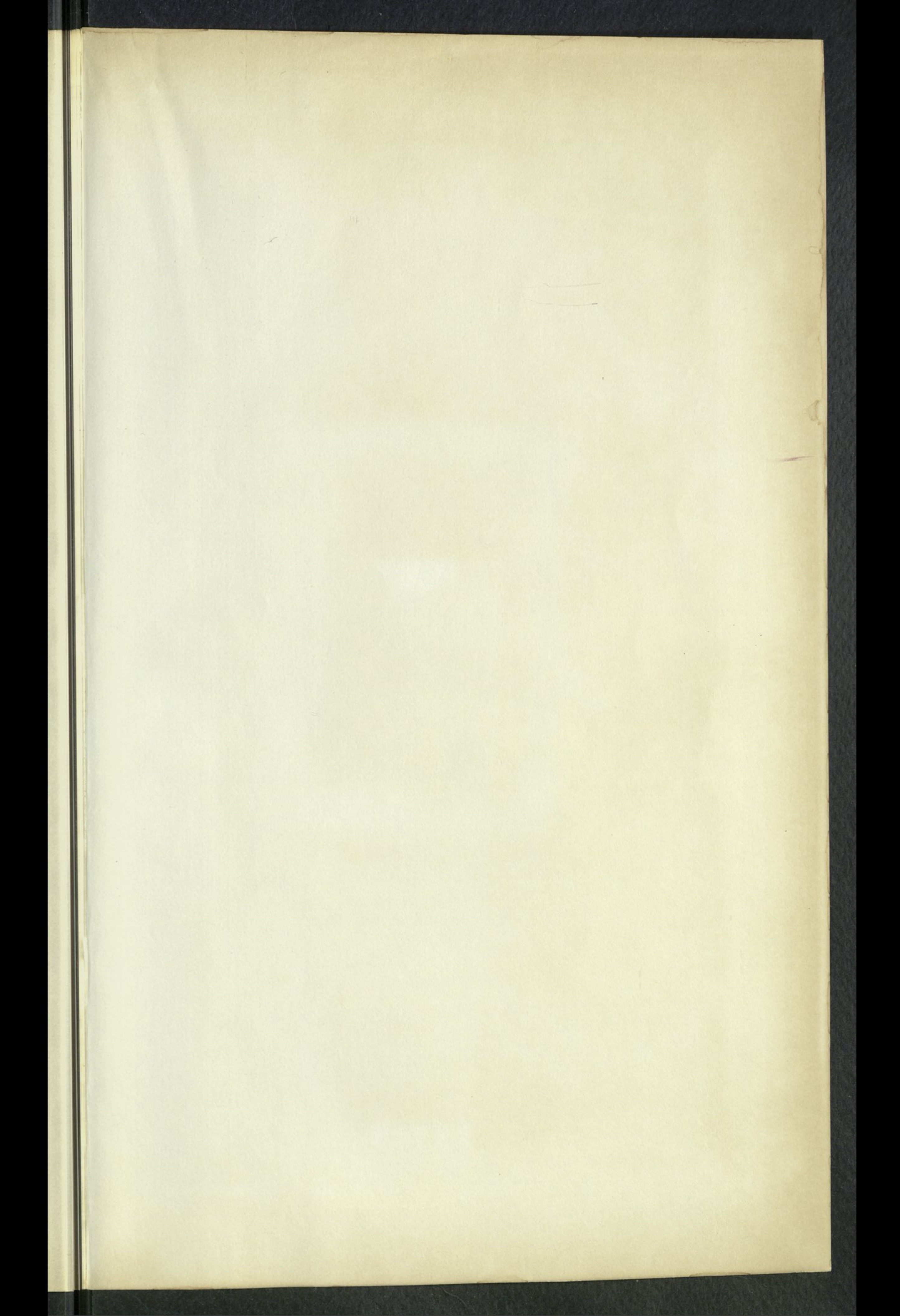
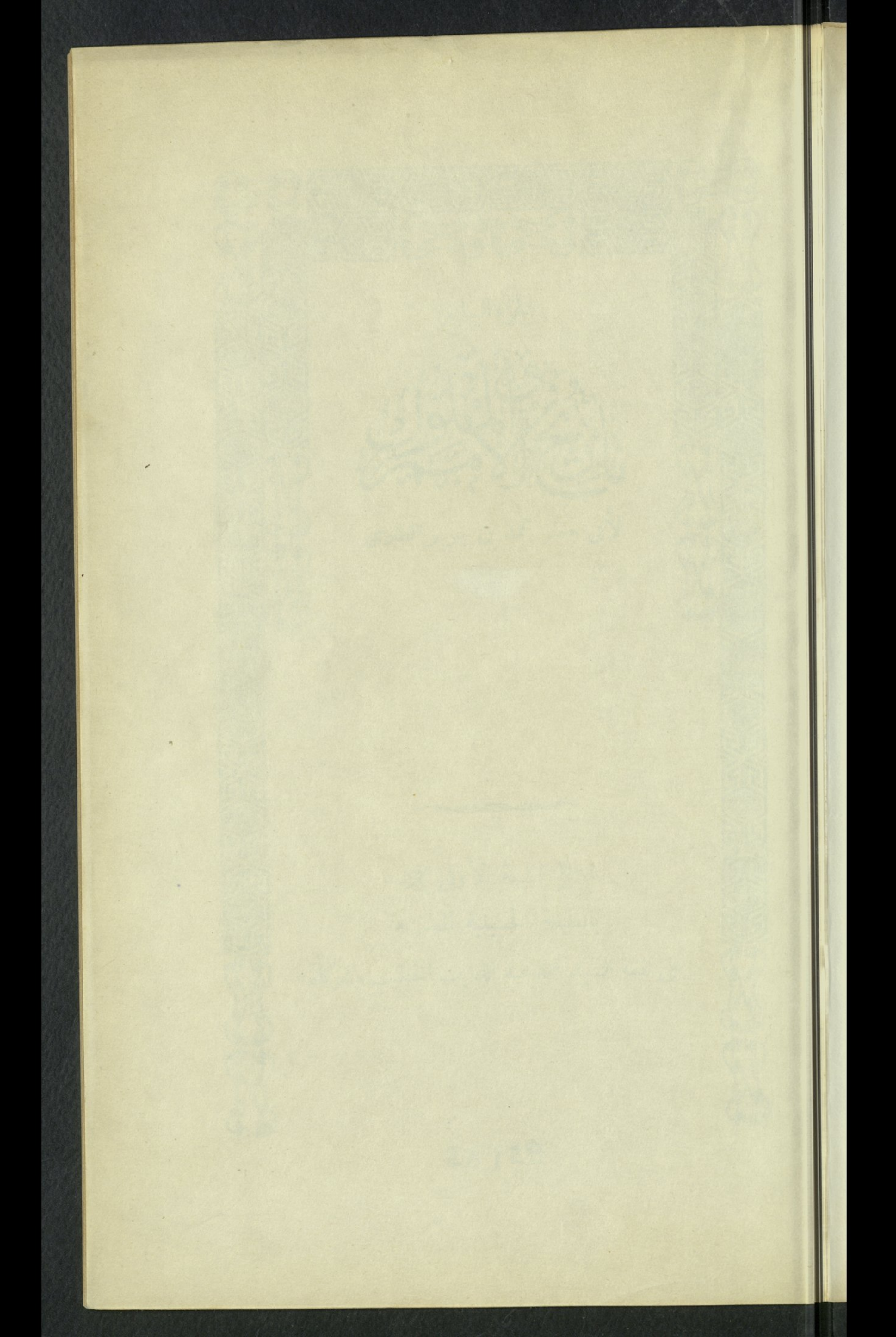
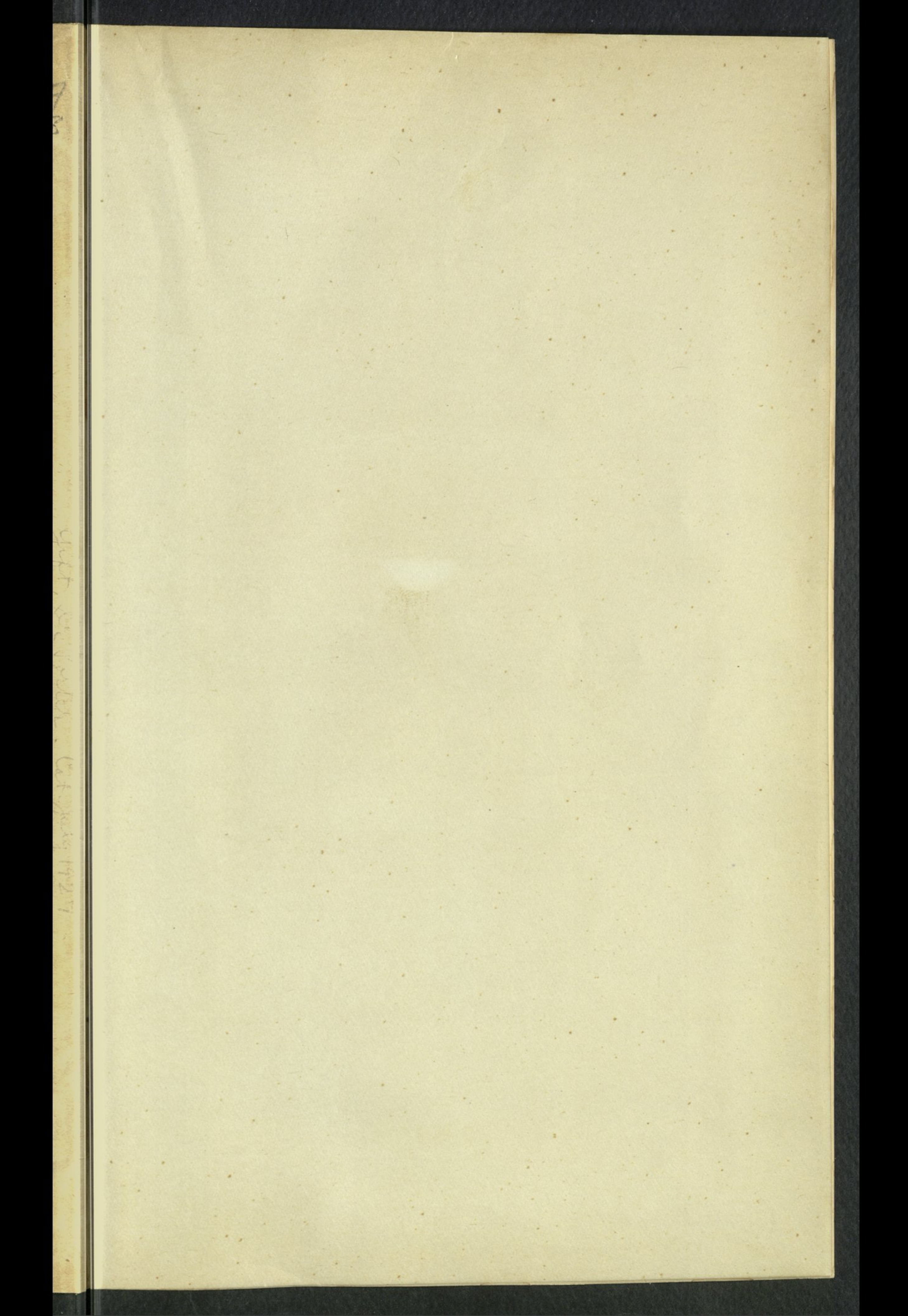


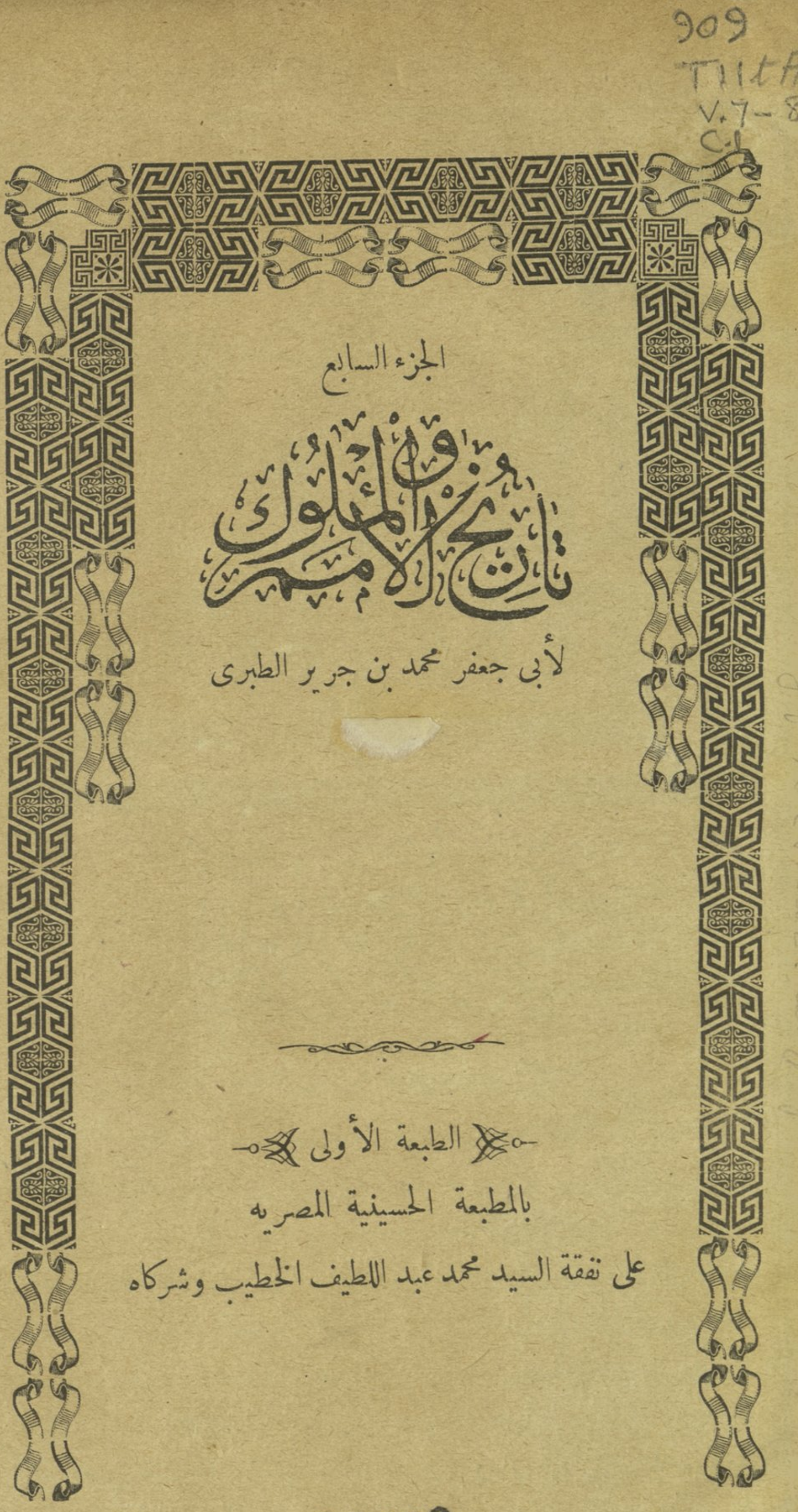

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY











الجزء السابع

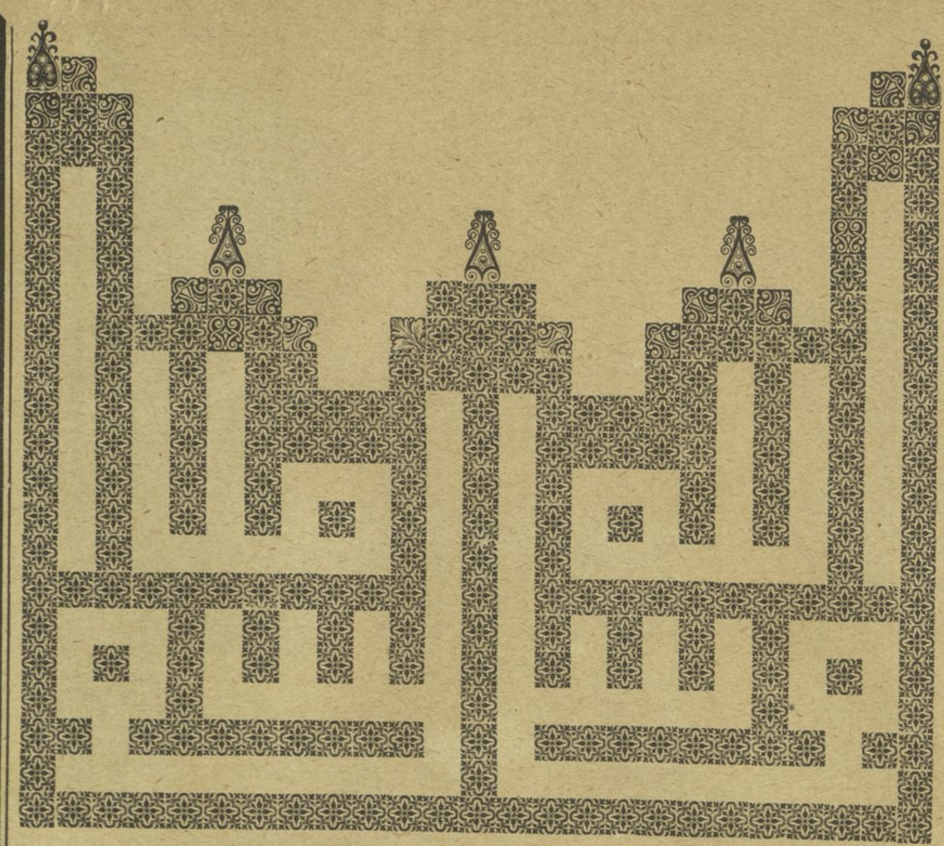
# تاريخ الأمم والملوك

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى

الطبعة الأولى

بالمطبعة الحسينية المصريه

على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه



بسم الله الرحمن الرحيم

## ثم دخلت سنة اثنتين وستين

### ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الاحداث

فمن ذلك مقدم وفد أهل المدينة على يزيد بن معاوية

### ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه

وكان السبب في ذلك فيما ذكر لوط بن يحيى عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن عبد الله
ابن عروة ان يزيد بن معاوية لما سرّح الوليد بن عتبة على الحجاز أميرا وعزل عمرو بن سعيد
قدم الوليد المدينة فأخذ غلمانا كثيرا لعمرو وموالي له فحبسهم فكلمه فيهم عمرو فأبى أن
يخليهم وقال له لا تجزع يا عمرو فقال أخوه أبان بن سعيد بن العاص أعمرو يجزع والله لو قبضتم
على الجمر وقبض عليه ما تركه حتى تتركوه وخرج عمرو سائرا حتى نزل من المدينة على
ليلتين وكتب الى غلمانه ومواليه وهم نحو من ثلثمائة رجل انى باعث الى كل رجل منكم جملا

وحقيبة

وحقيبة وأداته وتناخ لكم الابل في السوق فاذا أتاكم رسولي فاكسروا باب السجن ثم ليقم كل رجل منكم الى جمله فليركبه ثم أقبلوا علي حتى تأتوني فجاء رسوله حتى اشترى الابل ثم جهزها بما ينبغي لها ثم أناخها في السوق ثم أتاهم حتى أعلمهم ذلك فكسروا باب السجن ثم خرجوا الى الابل فاستووا عليها ثم أقبلوا حتى انتهوا الى عمرو بن سعيد فوجدوه حين قدم على يزيد بن معاوية فلما دخل عليه رحب به وأدنى مجلسه ثم انه عاتبه في تقصيره في أشياء كان يأمره بها في ابن الزبير فلا ينفذ منها الا ما أراد فقال يا أمير المؤمنين الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وان جل أهل مكة واهل المدينة قد كانوا مالوا اليه وهووه وأعطوه الرضا ودعا بعضهم بعضا سرا وعلانية ولم يكن معي جند أقوى بهم عليه لو ناهضته وقد كان يحذرني ويتحرزمني وكنت أرفق به وأداريه لاستمكر منه فأثب عليه مع أني قد ضيقت عليه ومنعته من أشياء كثيرة لو تركته واياها ما كانت له الا معونة وجعلت على مكة وطرقها وشعابها رجالا لا يدعون أحدا يدخلها حتى يكتبوا الي باسمه واسم أبيه ومن أي بلاد الله هو وما جاء به وما يريد فان كان من أصحابه أو ممن أرى انه يريده رددته صاغرا وان كان ممن لا أتهم خليت سبيله وقد بعثت الوليد وسيأتيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضل مبالغتي في أمرك ومناصحتي لك ان شاء الله والله يصنع لك ويكبت عدوك يا أمير المؤمنين فقال له يزيد أنت أصدق ممن رقى هذه الاشياء عنك وحملني بها عليك وأنت ممن أثق به وأرجو معونته وادخره لرأب الصدع وكفاية المهم وكشف نوازل الامور العظام فقال له عمرو وما أرى يا أمير المؤمنين ان أحدا أولى بالقيام بتشديد سلطانك وتوهين عدوك والشدة على من نابذك مني وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده الا متحذرا ممتنعا وثار نجدة بن عامر الحنفي باليمامة حين قتل الحسين وثار ابن الزبير فكان الوليد يفيض من المعرف وتفيض معه عامة الناس وابن الزبير واقف وأصحابه ونجدة واقف في أصحابه ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه لا يفيض واحد منهم بافاضة صاحبه وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيكثر حتى ظن الناس انه سيبايعه ثم ان ابن الزبير عمل بالمكر في أمر الوليد بن عتبة فكتب الى يزيد بن معاوية انك بعثت الينا رجلا أخرق لا يتجه لامر رشد ولا يرعوي لعظة الحكيم ولو بعثت الينا رجلا سهل الخلق لين الكتف رجوت أن يسهل من الامور ما استوعر منها وان يجتمع ما تفرق فانظر في ذلك فان فيه صلاح خواصنا وعوامنا ان شاء الله والسلام فبعث يزيد بن معاوية الى الوليد فعزله وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان فيما ذكر أبو مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حميد بن حمزة مولى لبني أمية قال فقدم فتى غر حدث غمر لم يجرب الأمور ولم يحنكه السن ولم تضرسه التجارب وكان لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله وبعث الى يزيد وفدا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل

الانصارى وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى والمنذر بن الزبير ورجالاً كثيراً من أشراف أهل المدينة فقدموا على يزيد بن معاوية فأكرمهم وأحسن اليهم وأعظم جوائزهم ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف درهم فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعتبه وقالوا انا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان وإنا نشهدكم انا قد خلعناه فتابعهم الناس (قال لوط) بن يحيى فحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ان الناس أتوا عبد الله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم قال لوط وحدثنى أيضا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ورجع المنذر من عند يزيد بن معاوية فقدم على عبيد الله بن زياد البصرة فأكرمه وأحسن ضيافته وكان لزياد صديقا اذ سقط اليه كتاب من يزيد بن معاوية حيث بلغه أمر أصحابه بالمدينة أن أوثق منذر ابن الزبير واحبسه عندك حتى يأتيك فيه أمرى فكره ذلك عبيد الله بن زياد لانه ضيفه فدعاه فأخبره بالكتاب وأقرأه إياه وقال له انك كنت لزياد وداً وقد أصبحت لى ضيفاً وقد أتيت اليك معروفاً فأنا أحب ان أسدى ذلك كله باحسان فاذا اجتمع الناس عندى فقم فقل ائذن لى فلأنصرف الى بلادى فاذا قلت لا بل أقم عندى فان لك الكرامة والمواساة والأثرة فقل لى ضيعة وشغل لا أجد من الانصراف بداً فأذن لى فانى آذن لك عند ذلك فالحق بأهلك فلما اجتمع الناس عند عبيد الله قام اليه فاستأذنه فقال لا بل أقم عندى فانى مكرمك ومواسيك ومؤثرك فقال له ان لى ضيعة وشغلاً ولا أجد من الانصراف بداً فأذن لى فأذن له فانطلق حتى لحق بالحجاز فأتى أهل المدينة فكان فيمن يحرض الناس على يزيد وكان من قوله يومئذ ان يزيد والله لقد أجازنى بمائة ألف درهم وانه لا يمنعنى ما صنع الى أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه والله انه ليشرب الخمر وانه ليسكر حتى يدع الصلاة وعابه بمثل ما عابه به أصحابه الذين كانوا معه وأشد فكان سعيد بن عمرو يحدث بالكوفة أن يزيد بن معاوية بلغه قوله فيه فقال اللهم انى آثرته وأكرمته ففعل ما قد رأيت فاذكره بالكذب والقطيعة (قال أبو مخنف) فحدثنى سعيد بن زيد أبو المثلم ان يزيد بن معاوية بعث النعمان بن بشير الانصارى فقال له ائت الناس وقومك فافثأهم عما يريدون فانهم ان لم ينهضوا فى هذا الامر لم يجترئ الناس على خلافى وبها من عشيرتى من لا أحب ان ينهض فى هذه الفتنة فيهلك فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومه ودعا الناس اليه عامة وأمرهم بالطاعة ولزوم الجماعة وخوفهم الفتنة وقال لهم انه لا طاقة لكم بأهل الشأم فقال عبد الله بن مطيع العدوى ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا وفساد ما أصلح الله من

أمرنا فقال النعمان أم والله لكأني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو اليها وقامت الرجال على الرُكب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربت على بغلتك تضرب جنبيها الى مكة وقد خلفت هؤلاء المساكين يعني الانصار يُقتلون في سِككهم ومساجدهم وعلى أبواب دُورهم فعصاه الناس فانصرف وكان والله كما قال وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عتبة وكانت العمال في هذه السنة على العراق وخراسان العُمّال الذين ذكرتُ في سنة ٦١ وفي هذه السنة وُلد فيما ذُكر محمد بن عبد الله بن العباس

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين ﴾

﴿ ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها ﴾

فمن ذلك ما كان من اخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة وإظهارهم خلع يزيد بن معاوية وحصارهم مَن كان بها من بني أميّة ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حبيب بن كرّة ان أهل المدينة لما بايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية وثبوا على عثمان ابن محمد بن أبي سفيان ومَن بالمدينة من بني أميّة ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش فكانوا نحواً من ألف رجل فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم فحاصرهم الناس فيها حصاراً ضعيفاً قال فدعت بنو أميّة حبيب بن كرة وكان الذي بعث اليه منهم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان وكان مروان هو يدبر أمرهم فأما عثمان ابن محمد بن أبي سفيان فإنما كان غلاماً حدثاً لم يكن له رأي قال عبد الملك بن نوفل فحدّثني حبيب بن كرّة قال كنت مع مروان فكتب معي هو وجماعة من بني أمية كتاباً الى يزيد بن معاوية فأخذ الكتاب عبد الملك بن مروان حتى خرج معي الى ثنية الوداع فدفع اليّ الكتاب وقال قد أجّلتك اثنتي عشرة ليلة ذاهباً واثنتي عشرة ليلة مُقبلاً فوافني لاربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجدني ان شاء الله في هذه الساعة جالساً أنتظرك وكان الكتاب ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أما بعد فإنا قد حُصرنا في دار مروان بن الحكم ومُنعنا العذبَ ورُمينا بالجبوب فيا غوثاه يا غوثاه قال فأخذتُ الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كرسيّ واضع قدميه في ماء في طست من وجع كان يجده فيهما ويقال كان به النقرس فقرأه ثم قال فيما بلغنا متمثّلا

لقد بدّلوا الحلمَ الذي من سجيّتي * فبدلتُ قومي غلظةً بليانِ

ثم قال أما يكون بنو أميّة ومواليهم ألف رجل بالمدينة قال قلت بلى والله وأكثر قال فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار قال فقلتُ يا أمير المؤمنين أجمعَ الناس كلهم عليهم فلم يكن لهم بجمع الناس طاقة قال فبعث الى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأخبره الخبر

وأمره أن يسير اليهم في الناس فقال له قد كنت ضبطت لك البلاد وأحكمت لك الامور فأمّا الآن اذ صارت انما هي دِماء قريش تُهراق بالصعيد فلا أحبّ ان أكون أنا أتولى ذلك يتولاها منهم مَن هو أبعد منهم مني قال فبعثني بذلك الكتاب الى مسلم بن عقبة المرّيّ وهو شيخ كبير ضعيف مريض فدفعتُ اليه الكتاب فقرأه وسألني عن الخبر فأخبرته فقال لى مثل مقالة يزيد أما يكون بنو أميّة ومواليهم وأنصارهم بالمدينة ألف رجل قال قلت بلى يكونون قال فما استطاعوا ان يقاتلوا ساعةً من نهار ليس هؤلاء بأهلٍ ان يُنصروا حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوّهم وعزّ سلطانهم ثم جاء حتى دخل على يزيد فقال يا أمير المؤمنين لا تنصرْ هؤلاء فإنهم الأذلاّء أما استطاعوا أن يقاتلوا يوما واحداً أو شطره أو ساعةً منه دَعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوّهم وعزّ سلطانهم ويستبين لك مَن يقاتل منهم على طاعتك ويصبر عليها أو يستسلم قال ويحك انه لا خير في العيش بعدهم فاخرج فأنبئني نبأك وسر بالناس فخرج مناديه فنادى ان سيروا الى الحجاز على أخذ أعطياتكم كملاً ومعونة مائة دينار توضَع في يد الرجل من ساعته فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل ❁ حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن مغيرة قال كتب يزيد الى ابن مرجانة أن اغز ابن الزبير فقال لا أجمعهما للفاسق أبدا أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغزو البيت قال وكانت مرجانة امرأة صدق فقالت لعبيد الله حين قتل الحسين عليه السلام ويلك ماذا صنعتَ وماذا ركبتَ ﴿رجع الحديث الى حديث حبيب بن كُرّة﴾ قال فأقبلت حتى أوافي عبد الملك بن مروان في ذلك المكان في تلك الساعة أو بُعيدها شيأ قال فوجدته جالساً متقنعاً تحت شجرة فأخبرته بالذي كان فسُرّ به فانطلقنا حتى دخلنا دار مروان على جماعة بني أميّة فنبأتهم بالذي قدمت به فحمدوا الله عز وجل قال عبد الملك بن نوفل حدثني حبيب انه بلغه في عشرة قال فلم أبرح حتى رأيت يزيد ابن معاوية خرج الى الخيل يتصفحها وينظر اليها قال فسمعته وهو يقول وهو متقلد سيفاً متنكّب قوساً عربيّةً

أبلغ أبا بكرٍ إذا الليلُ سرَى * وهبَطَ القومُ على وادى القرى
عشرون ألفٍ بين كهلٍ وفتى * أجُمعَ سَكرانٍ من القومِ ترى
أم جَمعَ يقظانٍ نفى عنه الكرَى * يا عجباً من مُلحدٍ يا عجبا
مُخادعٍ في الدين يَقفُو بالعُرى

قال عبد الملك بن نوفل وفصل ذلك الجيش من عند يزيد وعليهم مُسلم بن عُقبة وقال له ان حدث بك حدَثٌ فاستخلف على الجيش حُصين بن نُمير السكونيّ وقال له ادعُ القوم ثلاثا فإن هم أجابوك والا فقاتلهم فإذا أظهرت عليهم فأبحها ثلاثا فما فيها من مال أو رقةٍ

أو سلاح أو طعام فهو للجند فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس وانظر عليّ بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيراً وأدن مجلسه فإنه لم يدخل فى شئ مما دخلوا فيه وقد أتانى كتابه وعليّ لا يعلم بشئ مما أوصى به يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة وقد كان عليّ بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشأم أوى اليه ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان ابن عفان وهى أم أبان بن مروان وقد حدثت عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة كلم مروان بن الحكم ابن عمر ان يغيب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل وكلم عليّ بن الحسين وقال يا أبا الحسن ان لى رحماً وحرمى تكون مع حرمك فقال افعل فبعث بحرمه الى عليّ بن الحسين فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع وكان مروان شاكراً لعليّ بن الحسين مع صداقة كانت بينهما قديمة ﴿رجع الحديث الى حديث أبى مخنف﴾ عن عبد الملك بن نوفل قال وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى اذا بلغ أهل المدينة اقباله وثبوا على من معهم من بنى أمية فحصروهم في دار مروان وقالوا والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة ولا تدلوا الناس على عورة ولا تظاهروا علينا عدوّاً فنكف عنكم ونخرجكم عنا فأعطوهم عهد الله وميثاقه لا نبغيكم غائلة ولا ندل لكم على عورة فأخرجوهم من المدينة فخرجت بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادى القرى وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان الى الطائف فتمرّ بعليّ بن حسين وهو بمال له الى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيأ من أمرهم فقال لها احملى ابنى عبد الله معك الى الطائف فحملته الى الطائف حتى نقضت أمور أهل المدينة * ولما قدمت بنو أمية على مسلم بن عقبة بوادى القرى دعا بعمرو بن عثمان بن عفان أول الناس فقال له أخبرنى خبر ما وراءك وأشر عليّ قال لا أستطيع ان أخبرك أخذ علينا العهود والمواثيق ألا ندل على عورة ولا نظاهر عدوّاً فانتهره ثم قال والله لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك وايم الله لا أقيلها قرشياً بعدك فخرج بما لقى من عنده الى أصحابه فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك ادخل قبلى لعله يجتزئ بك عنى فدخل عليه عبد الملك فقال هات ما عندك أخبرنى خبر الناس وكيف ترى فقال له نعم أرى ان تسير بمن معك فتنكب هذا الطريق الى المدينة حتى اذا انتهيت الى أدنى نخل بها نزلت فاستظل الناس فى ظله وأكلوا من صقره حتى اذا كان الليل اذكيت الحرس الليل كله عقباً بين أهل العسكر حتى اذا أصبحت صليت بالناس الغداة ثم مضيت بهم وتركت المدينة ذات اليسار ثم أدرت بالمدينة حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم وطلعت الشمس طلعت بين اكتاف أصحابك فلا تؤذيهم وتقع فى وجوههم فيؤذيهم حرّها ويصيبهم أذاها ويرون

ما دمتم مشرقين ائتلاف بيضكم وحرابكم واسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم مالا ترونه أنتم لشىء من سلاحهم ماداموا مغربين ثم قاتلهم واستعن بالله عليهم فإن الله ناصرك اذ خالفوا الامام وخرجوا من الجماعة فقال له مسلم لله أبوك أى امرىء ولد اذ ولدك لقد رأى بك خلفا ثم ان مروان دخل عليه فقال له ايه قال أليس قد دخل عليك عبد الملك قال بلى وأى رجل عبد الملك قلما كلمت من رجال قريش رجلا به شبيها فقال له مروان اذا لقيت عبد الملك فقد لقيتنى قال أجل ثم ارتحل من مكانه ذلك وارتحل الناس معه حتى نزل المنزل الذى أمره به عبد الملك فصنع فيه ما أمره به ثم مضى فى الحرة حتى نزلها فأتاهم من قبل المشرق ثم دعاهم مسلم بن عقبة فقال يا أهل المدينة ان أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم انكم الأصل وإنى أكره هراقة دمائكم وانى أؤجلكم ثلاثا فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت الى هذا الملحد الذى بمكة وإن أبيتم كنا قد أعذرنا اليكم وذلك فى ذى الحجة من سنة ٦٤ هكذا وجدته فى كتابى وهو خطأ لأن يزيد هلك فى شهر ربيع الأول سنة ٦٤ وكانت وقعة الحرة فى ذى الحجة من سنة ٦٣ يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه ولما مضت الايام الثلاثة قال يا أهل المدينة قد مضت الايام الثلاثة فما تصنعون أتسالمون أم تحاربون فقالوا بل نحارب فقال لهم لا تفعلوا بل ادخلوا فى الطاعة ونجعل حدنا وشوكتنا على هذا الملحد الذى قد جمع اليه المراق والفساق من كل أوب فقالوا لهم يا أعداء الله والله لو أردتم ان تجوزوا اليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام وتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمته لا والله لا نفعل وقد كان أهل المدينة اتخذوا خندقا فى جانب المدينة ونزله جمع منهم عظيم وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عم عبد الرحمن بن عوف الزهرى وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر فى جانب المدينة وكان معقل بن سنان الأشجعى على ربع آخر فى جانب المدينة وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارى فى أعظم تلك الأرباع وأكثره عددا (قال هشام) وأما عوانة بن الحكم الكلبى فذكر ان عبد الله بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار ومعقل ابن سنان على المهاجرين (قال هشام) عن أبى مخنف قال عبد الملك بن نوفل وصمد مسلم ابن عقبة بجميع من معه فأقبل من قبل الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل فحمل ابن الغسيل على الخيل فى الرجال الذين معه حتى كشف الخيل حتى انتهوا الى مسلم بن عقبة فنهض فى وجوههم بالرجال وصاح بهم فانصرفوا فقاتلوا قتالا شديدا ثم إن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء الى عبد الله ابن حنظلة الغسيل فقاتل فى نحو من عشرين فارسا قتالا شديدا حسنا ثم قال لعبد الله مر

من

من معك فارسا فليأتني فليقف معي فاذا حملت فليحملوا فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلما فإما ان أقتله وإما ان أقتل دونه فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الأشهل من الأنصار ناد في الخيل فلتقف مع الفضل بن العباس فنادى فيهم الضحاك فجمعهم الى الفضل فلما اجتمعت الخيل اليه حمل على أهل الشأم فانكشفوا فقال لأصحابه ألا ترونهم كشفا لياما احملوا أخرى جعلت فداكم فوالله لئن عاينت أميرهم لأقتلنه أولا أقتلن دونه إن صبر ساعة معقب سرورا انه ليس بعد الصبر الا النصر ثم حمل وحمل أصحابه معه فانفرجت خيل أهل الشأم عن مسلم بن عقبة في نحو من خمسمائة راجل جثاة على الركب مشرعي الاسنة نحو القوم ومضى كما هو نحو رايته حتى يضرب رأس صاحب الراية وان عليه لمغفرا فقط المغفر وفلق هامته فخر ميتا فقال خذها مني وأنا ابن عبد المطلب فظن انه قتل مسلما فقال قتلت طاغية القوم ورب الكعبة فقال مسلم اخطأت أستك الحفرة وإنما كان ذلك غلاما له يقال له رومي وكان شجاعا فأخذ مسلم رايته ونادى يا أهل الشأم أهذا القتال قتال قوم يريدون ان يدفعوا به عن دينهم وان يعزوا به نصر امامهم قبح الله قتالكم منذ اليوم ما أوجعه لقلبي وأغيظه لنفسي أم والله ما جزاؤكم عليه إلا ان تحرموا العطاء وان تجمروا في أقاصي الثغور شدوا مع هذه الراية ترح الله وجوهكم ان لم تعتبوا فمشى برايته وشدت تلك الرجال امام الراية فصرع الفضل بن عباس فقتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة الا نحو من عشر أذرع وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف وقتل معه ابراهيم بن نعيم العدوي في رجال من أهل المدينة كثير (قال هشام) عن عوانة وقد بلغنا في حديث آخر ان مسلم بن عقبة كان مريضا يوم القتال وانه أمر بسرير وكرسي فوضع بين الصفين ثم قال يا أهل الشأم قاتلوا عن أميركم أو دعوا ثم زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمدون لربع من تلك الأرباع إلا هزموه ولا يقاتلون الا قليلا حتى تولوا ثم انه أقبل الى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشد القتال واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع الى عبد الله بن حنظلة فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل الفضل بن العباس بن ربيعة في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلم بن عقبة ومسلم على سريره مريض فقال احملوني فضعوني في الصف فوضعوه بعدما حملوه امام فسطاطه في الصف وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى الى السرير وكان الفضل أحمر فلما رفع السيف ليضرب به صاح بأصحابه ان العبد الأحمر قاتلي فأين أنتم يا بني الحرائر اشجروه بالرماح فوثبوا اليه فطعنوه حتى سقط (قال هشام) قال أبو مخنف ثم ان خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله بن حنظلة الغسيل ورجاله بعده كما حدثني عبد الله بن منقذ حتى دنوا منه وركب مسلم بن عقبة فرساله فأخذ يسير في أهل الشأم ويحرضهم ويقول يا أهل الشأم انكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها ولا أكثرها عددا ولا أوسعها بلدا ولم يخصصكم

الله بالذى خصكم به من النصر على عدوكم وحسن المنزلة عند أئمتكم إلا بطاعتكم واستقامتكم وان هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيروا فغيَّر الله بهم فتموا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتمم الله لكم أحسن ماينيلكم من النصر والفلج ثم جاء حتى انتهى الى مكانه الذى كان فيه وأمر الخيل ان تقدم على ابن الغسيل وأصحابه فأخذت الخيل اذا أقدمت على الرجال ثاروا في وجوهها بالرماح والسيوف نفرت وابذعرّت وأحجمت فنادى فيهم مسلم بن عقبة يا أهل الشأم ما جعلهم الله أولى بالأرض منكم يا حصين بن نمير انزل في جندك فنزل في أهل حمص فمشى اليهم فلما رآهم قد أقبلوا يمشوا تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام في أصحابه فقال يا هؤلاء ان عدوكم قد أصابوا وجه القتال الذى كان ينبغي ان تقاتلوهم به وانى قد ظننت ألا تلبثوا إلا ساعةً حتى يفصل الله بينكم وبينهم إما لكم وإما عليكم أما انكم أهل البصيرة ودار الهجرة والله ما أظن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ان لكل امرىءٍ منكم ميتةً هو ميت بها والله ما من ميتة بأفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله اليكم فاغتنموها فوالله ما كل ما أردتموها وجدتموها ثم مشى برايته غير بعيد ثم وقف وجاء ابن نمير برايته حتى أدناها وأمر مسلم بن عقبة عبد الله بن عضاه الأشعرى فمشى في خمسمائة مرام حتى دنوا من ابن الغسيل وأصحابه فأخذوا ينضحونهم بالنبل فقال ابن الغسيل علامَ تستهدفون لهم من أراد التعجل الى الجنة فليلزم هذه الراية فقام اليه كل مستميت فقال اغدوا الى ربكم فوالله انى لأرجوان تكونوا عن ساعة قريرى عين فنهض القوم بعضهم الى بعض فاقتتلوا أشد قتال رؤى في ذلك الزمان ساعةً من نهار وأخذ يقدّم بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه وابن الغسيل يضرب بسيفه ويقول

بُعدًا لمن رامَ الفسادَ وطغى * وجانَبَ الحقَّ وآياتِ الهُدى

لا يُبعِدِ الرحمنُ إلا مَن عَصى

فقتل وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس استقدم فقاتل حتى قتل وقال ما أحب ان الديلم قتلونى مكان هؤلاء القوم ثم قاتل حتى قتل وقتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى فمرّ عليه مروان بن الحكم وكأنه برطيلٌ من فضةٍ فقال رحمك الله فربَّ سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة الى جنبها (قال هشام) فحدثنى عوانة قال فبلغنا ان مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسىّ ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يوم الحرة وهو يقول

أحيا أباه هاشمَ بنَ حرمله * يومَ الهباتين ويومَ اليعمله

كلُّ الملوكِ عندَه مُغربَله * ورمحُه للوالداتِ مثكله

لايلبثُ القتيلُ حتى يجدلهْ * يقتُلُ ذا الذنبِ ومنْ لاذنبَ لهْ

(قال هشام) عن أبي مخنف وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يومئذ يقاتل فلما انهزم الناسُ مالَ عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمةُ فذهب فيمن ذهب من الناس وأباح مسلم المدينة ثلاثا يقتلون الناس ويأخذون الأموال فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة فخرج أبو سعيد الخدرى حتى دخل في كهفٍ في الجبل فبصر به رجل من أهل الشام فجاء حتى اقتحم عليه الغار (قال أبو مخنف) فحدثني الحسن بن عطية العوفيُّ عن أبي سعيد الخدرى قال دخل الى الشاميّ يمشي بسيفه قال فانتضيتُ سيفي فمشيت اليه لأرعبَهُ لعله ينصرف عني فأبى إلا الإقدامَ عليَّ فلما رأيت ان قد جدّ شمتُ سيفي ثم قلتُ له لئن بسطتَ الىّ يدكَ لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين فقال لى من أنت لله أبوك فقلت أنا أبو سعيد الخدرىّ قال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فانصرف عني (قال هشام) حدثني عوانة قال دعا الناسَ مسلم بن عقبة بقُبَا الى البيعة وطلب الامان لرجلين من قريش ليزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزّى ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوى ولمعقل بن سنان الأشجعيّ فأتى بهم بعد الوقعة بيومٍ فقال بايعوا فقال القرشيان نبايعك على كتاب الله وسنَّة نبيه فقال لا والله لا أقيلكم هذا أبداً فقدمهما فضرب أعناقهما فقال له مروان سبحان الله أتقتل رجلين من قريش أتيا ليؤمنا فضربت أعناقهما فنخس بالقضيبِ في خاصرته ثم قال وأنت والله لو قلت بمقالتهما ما رأيتَ السماء إلا برقةً (قال هشام) قال أبو مخنف وجاء معقل بن سنان فجلس مع القوم فدعا بشراب ليسقى فقال له مسلم أى الشراب أحب اليك قال العسل قال اسقوه فشرب حتى ارتوى فقال له أقضيت ريّكَ من شرابك قال نعم قال لا والله لا تشرب بعده شرابا أبداً إلا الحميم في نار جهنم أتذكر مقالتك لأمير المؤمنين سرتُ شهراً ورجعتُ شهراً وأصبحتُ صِفراً اللهمّ غيِّرْ تعني يزيد فقدمه فضرب عنقه (قال هشام) وأما عوانة بن الحكم فذكر ان مسلم بن عقبة بعث عمرو بن مُحرِز الأشجعيّ فأتاه بمعقل بن سنان فقال له مسلم مرحبا بأبي محمد أراك عطشانَ قال أجل قال شُوبوا له عسلا بالثلج الذى حملتموه معنا وكان له صديقاً قبل ذلك فشابوه له فلما شرب معقل قال له سقاك الله من شراب الجنة فقال له مسلم أَمَ والله لا تشربُ بعدها شرابا أبداً حتى تشرب من شراب الحميم قال أنشدك الله والرحمَ فقال له مسلم أنت الذى لقيتني بطبريّة ليلة خرجتَ من عند يزيد فقلت سرنا شهراً ورجعنا من عند يزيد صفراً نرجع الى المدينة فنخلع هذا الفاسق ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين فيم غطفان وأشجع من الخلع والخلافة انى آليت بيمين لا ألقاك في حرب أقدر فيه على ضرب عنقك إلا فعلتُ ثم أمر به فقتل (قال هشام) قال عوانة وأتى بيزيد بن وهب

ابن زمعة فقال بايع قال أبايعك على سنة عمر قال اقتلوه قال أنا أبايع قال لا والله لا أقيلك عثرتك فكلمه مروان بن الحكم لصهر كان بينهما فأمر بمروان فوجئت عنقه ثم قال بايعوا على انكم خول ليزيد بن معاوية ثم أمر به فقتل (قال هشام) قال عوانة عن أبى مخنف قال قال عبد الملك بن نوفل بن مساحق ثم ان مروان أتى بعلىّ بن الحسين وقد كان على بن الحسين حين أخرجت بنو أمية منع ثقل مروان وامرأته وآواها ثم خرجت الى الطائف فهى أم أبان ابنة عثمان بن عفان فبعث ابنه عبد الله معها فشكر ذلك له مروان وأقبل علىّ ابن الحسين يمشى بين مروان وعبد الملك يلتمس بهما عند مسلم الأمان فجاء حتى جلس عنده بينهما فدعا مروان بشراب ليتحرّم بذلك من مسلم فأتى له بشراب فشرب منه مروان شيأ يسيرا ثم ناوله عليا فلما وقع فى يده قال له مسلم لا تشرب من شرابنا فأرعدت كفه ولم يأمنه على نفسه وأمسك القدح بكفه لا يشربه ولا يضعه فقال انك انما جئت تمشى بين هؤلاء لتأمن عندى والله لو كان هذا الأمر اليهما لقتلتك ولكن أمير المؤمنين أوصانى بك وأخبرنى انك كاتبته فذلك نافعك عندى فإن شئت فاشرب شرابك الذى فى يدك وان شئت دعونا بغيره فقال هذه التى فى كفى أريد قال اشربها فشربها ثم قال الى ههنا فأجلسه معه (قال هشام) قال وقال عوانة بن الحكم لما أتى بعلىّ بن الحسين الى مسلم قال من هذا قالوا هذا علىّ ابن الحسين قال مرحبا وأهلا ثم أجلسه معه على السرير والطنفسة ثم قال ان أمير المؤمنين أوصانى بك قبلا وهو يقول ان هؤلاء الخبثاء شغلونى عنك وعن وصلتك ثم قال لعلىّ لعلّ أهلك فزعوا قال اى والله فأمر بدابته فأسرجت ثم حمله فرده عليها (قال هشام) وذكر عوانة أن عمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بنى أمية وأنه أتى به يومئذ الى مسلم بن عقبة فقال يا أهل الشأم تعرفون هذا قالوا لا قال هذا الخبيث ابن الطيب هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين هى يا عمرو اذا ظهر أهل المدينة قلت أنا رجل منكم وان ظهر أهل الشأم قلت أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان فأمر به فنتفت لحيته ثم قال يا أهل الشأم ان أم هذا كانت تدخل الجعل فى فيها ثم تقول يا أمير المؤمنين حاجيتك ما فى فمى وفى فمها ما ساءها وناءها فخلى سبيله وكانت أمه من دوس ﴿قال أبو جعفر الطبرى﴾ فحدثنى أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد ابن عمر قالا كانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ٦٣ وقال بعضهم لثلاث ليال بقين منه ﴿وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير﴾

حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى عبد الله ابن جعفر عن ابن عوف قال حج ابن الزبير بالناس سنة ٦٣ وكان يسمى يومئذ العائذ ويرون الامر شورى قال فلما كانت ليلة هلال المحرم ونحن فى منزلنا اذ قدم علينا سعيد

مولى المسوَر بن مخرمة فخبّرنا بما أوقع مسلم بأهل المدينة وما نيل منهم فجاءهم أمر عظيم فرأيت القوم شهروا وجدّوا وأعدّوا وعرفوا انه نازل بهم وقد ذكر من أمر وقعة الحرّة ومقتل ابن الغسيل أمرٌ غيرُ الذى رُوى عن أبى مخنف عن الذين رَوَى ذلك عنهم وذلك ما حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا أبى قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا جويرية ابن أسماء قال سمعت أشياخ أهل المدينة يحدثون ان معاوية لما حضرته الوفاة دعا يزيد فقال له ان لك من أهل المدينة يوما فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفتُ نصيحته فلما هلك معاوية وفد اليه وفدٌ من أهل المدينة وكان ممن وفد عليه عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر وكان شريفا فاضلاً سيدًا عابدًا معه ثمانية بنين له فأعطاه مائة ألف درهم وأعطى بنيه لكل واحد منهم عشرة آلاف سوى كُسوتهم وحُملانهم فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا ما وراءك قال جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد الا بنىّ هؤلاء لجاهدته بهم قالوا قد بلغنا انه أجداك وأعطاك وأكرمك قال قد فعل وما قبلت منه الا لأتقوّى به وحضّض الناس فبايعوه فبلغ ذلك يزيد فبعث مسلم بن عقبة اليهم وقد بعث أهل المدينة الى كل ماء بينهم وبين الشأم فصبّوا فيه زقّا من قَطِران وعُوِّر فارسل الله السماء عليهم فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة فخرج اليهم أهل المدينة بجموع كثيرة وهيئةٍ لم يُرَ مثلها فلما رآهم أهل الشأم هابوهم وكرهوا قتالهم ومسلم شديد الوجع فبينما الناس فى قتالهم اذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة وأقحم عليهم بنو حارثة أهل الشأم وهم على الجدّ فانهزم الناس فكان من أصيب فى الخندق أكثر ممن قُتل من الناس فدخلوا المدينة وهُزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستند الى أحد بنيه يغطّ نوما فنبّهه ابنه فلما فتح عينيه فرأى ما صنع الناس أمر أكبر بنيه فتقدم حتى قُتل فدخل مسلم بن عقبة المدينة فدعا الناس للبيعة على انهم خَوَل ليزيد بن معاوية يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء

## ﴿ثم دخلت سنة أربع وستين﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ فمن ذلك مسيرُ أهل الشأم الى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ومن كان على مثل رأيه فى الامتناع على يزيد بن معاوية ولما فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جنده أموالهم ثلاثا شخص بمن معه من الجند متوجها الى مكة كالذى ذكر هشام بن محمد عن أبى مخنف قال حدثنى عبد الملك بن نوفل ان مسلما خرج بالناس الى مكة يريد ابن الزبير وخلف على المدينة رَوْح بن زِنباع الجُذامى * وأما الواقدى فانه قال خلف عليها عمرو ابن محرز الاشجعى قال ويقال خلف عليها روح بن زنباع الجذامى

﴿ذكر موت مسلم بن عقبة ورمى الكعبة واحراقها﴾

﴿رجع الحديث الى أبى مخنف﴾ قال حتى اذا انتهى الى المُشَلَّل ويقال الى قفا المشلل نزل به الموت وذلك فى آخر المحرّم من سنة ٦٤ فدعا حصين بن نمير السكونى فقال له يا ابن بردعة الحمار أَمَ والله لو كان هذا الامر الىّ ما وليّتك هذا الجند ولكن أمير المؤمنين ولاك بعدى وليس لأمر أمير المؤمنين مَرَدٌّ خذ عنى أربعا أسرِعْ السير وعجّل الوِقاع وعمّ الاخبار ولا تمكّن قُرَشيًّا من أذنك ثم انه مات فدفن بقفا المشلل (قال هشام) بن محمد الكلبى وذكر عَوَانة ان مسلم بن عقبة شخص يريد ابن الزبير حتى اذا بلغ ثنيّة هَرْشَا نزل به الموت فبعث الى رؤس الاجناد فقال ان أمير المؤمنين عهد الىَّ إن حدث بى حَدَثُ الموت ان أستخلف عليكم حصين بن نمير السكونى والله لو كان الأمر الىّ ما فعلت ولكن أكره معصية أمر أمير المؤمنين عند الموت ثم دعا به فقال انظر يا بردعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به عمّ الاخبار ولا تُرْعِ سمعَكَ قريشا أبدا ولا تردّنّ أهل الشأم عن عدوهم ولا تقيمنّ الا ثلاثا حتى تناجز ابن الزبير الفاسق ثم قال اللهم انى لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أحبَّ الىّ من قتلى أهل المدينة ولا أرجى عندى فى الآخرة ثم قال لبنى مُرَّة زرّاعتى التى بحَوْران صدقة على مرّة وما أغلقتْ عليه فلانة بابها فهو لها يعنى أمّ ولده ثم مات ولما مات خرج حصين بن نمير بالناس فقدم على ابن الزبير مكة وقد بايعه أهلها وأهل الحجاز (قال هشام) قال عوانة قال مسلم قبل الوصية انّ ابنى يزعم ان أم ولدى هذه سقتنى السمّ وهو كاذب هذا داءٌ يصيبنا فى بطوننا أهل البيت قال وقدم عليه يعنى ابن الزبير كلُّ أهل المدينة وقد قدم عليه نجدة بن عامر الحنفى فى أناس من الخوارج يمنعون البيت فقال لاخيه المنذر ما لهذا الامر ولدفع هؤلاء القوم غيرى وغيرك وأخوه المنذر ممن شهد الحرّة ثم لحق به فجرّد اليهم أخاه في الناس فقاتلهم ساعة قتالا شديدا ثم ان رجلا من أهل الشأم دعا المنذر الى المبارزة قال والشأمىُّ على بغلة له فخرج اليه المنذر فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربةً خرّ صاحبه لها ميّتا فجثا عبد الله بن الزبير على ركبتيه وهو يقول يا رب أبْرِهما من أصلها ولا تَشُدَّها وهو يدعو على الذى بارز أخاه ثم ان أهل الشأم شدوا عليهم شدةً منكرةً وانكشف أصحابه انكشافةً وعثرت بغلته فقال تَعْساً ثم نزل وصاح بأصحابه الىّ فأقبل اليه المِسْوَر بن مخرمة ابن نوفل بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهرة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فقاتلوا حتى قتلوا جميعا وصابرَهم ابن الزبير يجالدهم حتى الليل ثم انصرفوا عنه وهذا فى الحصار الاول ثم انهم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرّم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الاول يوم السبت سنة ٦٤ قذفوا البيت بالمجانيق وحرّقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون

خطَّارةٌ مثلُ الفَنيق المُزْبِدِ * نرمى بها أعوادَ هذا المسجِدِ

قال

(قال هشام) قال أبو عوانة جعل عمرو بن حوط السدوسي يقول

كيف ترى صنيع أمّ فروه * تأخذهم بين الصفا والمروه

يعني بأم فروة المنجنيق ﴿وقال الواقدي﴾ سار الحصين بن نمير حين دفن مسلم بن عقبة بالمشلل لسبع بقين من المحرم وقدم مكة لاربع بقين من المحرم فحاصر ابن الزبير أربعا وستين يوما حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر ﴿وفي هذه السنة﴾ حرقت الكعبة

﴿ذكر السبب في احراقها﴾

قال محمد بن عمر احترقت الكعبة يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوما وجاء نعيه لهلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء * قال محمد بن عمر حدثنا رباح بن مسلم عن أبيه قال كانوا يوقدون حول الكعبة فأقبلت شررة هبّت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة واحترق خشب البيت يوم السبت لثلاث ليال خلون من ربيع الاول * قال محمد بن عمر وحدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة قد خلصت اليها النار ورأيتها مجردة من الحرير ورأيت الركن قد اسودّ وانصدع في ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فأشاروا الى رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير فالوا هذا احترقت بسببه أخذ قبسا في رأس رمح له فطيّرت الريح به فضرب أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والاسود ﴿وفيها﴾ هلك يزيد بن معاوية وكانت وفاته بقرية من قرى حمص يقال لها حُوّارين من أرض الشام لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة ٦٤ وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن هشام بن الوليد المخزومي ان الزهري كتب لجده اسنان الخلفاء فكان فيما كتب من ذلك ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر في قول بعضهم ويقال ثمانية أشهر

وحدثني أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر انه قال توفي يزيد بن معاوية يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثماني ليال وصلى على يزيد ابنه معاوية بن يزيد (وأما هشام) بن محمد الكلبي فانه قال في سن يزيد خلاف الذي ذكره الزهري والذي قال هشام في ذلك فيما حُدّثنا عنه استخلف أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وهو ابن اثنين وثلاثين سنة وأشهر في هلال رجب سنة ٦٠ وولي سنتين وثمانية أشهر وتوفي لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة ٦٣ وهو ابن خمس وثلاثين وأمه مَيْسُون بنت بَحْدَل بن أنيف بن ولجة بن قُنافة ابن عدي بن زهير بن حارثة الكلبي

﴿ذكر عدد ولده﴾

فنهم معاوية بن يزيد بن معاوية يكنى أباليلى وهو الذى يقول فيه الشاعر

انى أرى فتنة قد حان أوّلها * والمُلكُ بعد أبى ليلى لمن غلبا

وخالد بن يزيد وكان يكنى أباهاشم وكان يقال انه أصاب عمل الكيمياء وأبو سفيان وأمهما أم هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس تزوجها بعد يزيد مروان وهى التى يقول لها الشاعر إنعمى أمّ خالدِ * رُبّ ساعٍ لقاعدِ

وعبد الله بن يزيد قيل انه من أرمى العرب فى زمانه وأمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وهو الاسوار وله يقول الشاعر

زعم الناس أنّ خير قريش * كلهم حين تذكر الاسوار

وعبد الله الاصغر وعمر وأبو بكر وعتبة وحرب وعبد الرحمن والربيع ومحمد لامهات أولاد شتّى

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين﴾

﴿خلافة معاوية بن يزيد﴾

﴿وفى هذه السنة﴾ بويع لمعاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بالشأم بالخلافة ولعبد الله ابن الزبير بالحجاز* ولما هلك يزيد بن معاوية مكث الحصين بن نمير وأهل الشأم يقاتلون ابن الزبير وأصحابه بمكة فيما ذكر هشام عن عوانة أربعين يوما قد حصر وهم حصارا شديدا وضيّقوا عليهم ثم بلغ موته ابن الزبير وأصحابه ولم يبلغ الحصين بن نمير وأصحابه ❁ فحدثنا اسحاق بن أبى اسرائيل قال حدثنا عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعانىّ أبو محمد قال حدثنا زياد بن جيل قال بينا حصين بن نمير يقاتل ابن الزبير اذ جاء موت يزيد فصاح بهم ابن الزبير فقال انّ طاغيتكم قد هلك فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فليفعل فمن كره فليلحق بشأمه فغدوا عليه يقاتلونه قال فقال ابن الزبير للحصين بن نمير ادن منى أحدّثك فدنا منه فحدثه فجعل فرس أحدهما يجفل والجفل الروث فجاء حمام الحرم يلتقط من الجفل فكف الحصين فرسه عنهن فقال له ابن الزبير مالك قال أخاف أن يقتل فرسى حمام الحرم فقال له ابن الزبير أتحرّج من هذا وتريد أن تقتل المسلمين فقال له لا أقاتلك فأذن لنا نطف بالبيت وننصرف عنك ففعل فانصرفوا* وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام عنه قال لما بلغ ابن الزبير موت يزيد وأهل الشأم لا يعلمون بذلك قد حصروه حصارا شديدا وضيّقوا عليه أخذ يناديهم هو وأهل مكة علام تقاتلون قد هلك طاغيتكم وأخذوا لا يصدّقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المُنقع النخعى من أهل الكوفة فى رؤس أهل العراق فمر بالحصين ابن نمير وكان له صديقا وكان بينهما صهرٌ وكان يراه عند معاوية فكان يعرف فضله واسلامه وشرفه فسأل عن الخبر فأخبره بهلاك يزيد فبعث الحصين بن نمير الى عبد الله بن الزبير فقال

موعد

موعدُ ما بيننا وبينكَ الليلةَ الابطحُ فالتقيا فقال له الحصين ان يكُ هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الامر هلمَّ فلنبايعكَ ثم اخرج معى الى الشأم فان هذا الجند الذين معى هم وجوه أهل الشأم وفرسانهم فوالله لا يختلف عليكَ اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التى كانت بيننا وبينك والتى كانت بيننا وبين أهل الحرَّة فكان سعيد بن عمرو يقول ما منعه أن يبايعهم ويخرج الى الشأم الا تطيّرٌ لانّ مكة التى منعه الله بها وكان ذلك من جند مروان وان عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشأم ما اختلف عليه منهم اثنان فزعم بعضُ قريش انه قال أنا أهدِرُ تلك الدما، أمَ والله لا أرضى أن أقتل بكل رجل منهم عشرة وأخذ الحصين يكلمه سرا وهو يجهر جهرا وأخذ يقول لا والله لا أفعل فقال له الحصين بن نمير قبح الله من يعدّك بعد هذه داهياً قط أو أديبا قد كنتُ أظن انّ لك رأيا ألا أرانى أُكلمك سرا وتكلمنى جهرا وأدعوك الى الخلافة وتعدُنى القتلَ والهلكةَ ثم قام فخرج وصاح في الناس فأقبل فيهم نحو المدينة وندم ابن الزبير على الذى صنع فأرسل اليه اما ان أسير الى الشأم فلستُ فاعلا وأكره الخروج من مكة ولكن بايعوا الى هنالك فانى مؤمنكم وعادلٌ فيكم فقال له الحصين أرأيت ان لم تقدم بنفسك ووجدتُ هنالك أناسا كثيرا من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ما أنا صانعٌ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة فاستقبله علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ومعه قتٌّ وشعيرٌ وهو على راحلة له فسلم على الحصين فلم يكد يلتفت اليه ومع الحصين بن نمير فرسٌ له عتيقٌ وقد فنى قتُّهُ وشعيرُهُ فهو غَرِضٌ وهو يسبّ غلامه ويقول من أين نجد ههنا لدابتنا علفا فقال له علىّ بن الحسين هذا علفٌ عندنا فاعلف منه دابتك فأقبل على علىّ عند ذلك بوجهه فأمر له بما كان عنده من علف واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشأم فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل الا أُخذ بلجام دابته ثم نُكس عنها فكانوا يجتمعون فى معسكرهم فلا يفترقون وقالت لهم بنو أمية لا تبرحوا حتى تحملونا معكم الى الشأم ففعلوا ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشأم وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية بن يزيد فلم يلبث الا ثلاثة أشهر حتى مات * وقال عوانة استخلف يزيد بن معاوية ابنه معاوية بن يزيد فلم يمكث الا أربعين يوما حتى مات ﴿ **وحدثنى** عمر عن علىّ بن محمد قال لما استخلف معاوية بن يزيد وجمع عُمَّال أبيه وبويع له بدمشق هلك بها بعد أربعين يوما من ولايته ويُكنى أبا عبد الرحمن وهو أبو ليلى وأمه أم هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة وتوفى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوما ﴿ وفى هذه السنة ﴾ بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناس على امام يرتضونه لانفسهم ثم أرسل عبيد الله رسولا الى الكوفة يدعوهم الى مثل الذى فعل من ذلك أهل البصرة فأبوا عليه وحصبوا الوالىَ الذى كان عليهم ثم خالفه أهل البصرة أيضا فهاجت بالبصرة فتنةٌ ولحق

عبيدالله بن زياد بالشأم

﴿ذكر الخبر عما كان من أمر عبيدالله بن زياد وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد﴾

وحدثني عمر بن شبة قال حدثني موسى بن اسماعيل قال حدثنا حمّاد بن سلمة عن علىّ بن زيد عن الحسن قال كتب الضحاك بن قيس الى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية سلامٌ عليك أما بعد فان يزيد بن معاوية قد مات وأنتم اخواننا فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لانفسنا حدثني عمر قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن حماد قال حدثنا محمد بن أبي عُيَيْنة قال حدثني شهرك قال شهدتُ عبيدالله بن زياد حين مات يزيد ابن معاوية قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل البصرة انسبوني فوالله لتجدُنّي أهاجر وَالدي ومولدي فيكم وداري ولقد وليتكُم وما أحصى دَيوان مقاتلتكم الا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصى اليومَ ديوانُ مقاتلتكم ثمانين ألفا وما أحصىَ ديوان عُمّالكم الا تسعين ألفا ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفا وما تركتُ لكم ذا ظنّةٍ أخافه عليكم الا وهو في سجنكم هذا وان أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي وقد اختلف أهل الشأم وأنتم اليوم أكثر الناس عددا وأعرضُهُ فناء وأغناه عن الناس وأوسعُهُ بلادا فاختاروا لانفسكم رجلا ترتضونه لدينكم وجماعتكم فأنا أولُ راضٍ مَن رضيتموه وتابع فان اجتمع أهل الشأم على رجل ترتضونه دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى تُعطوا حاجتكم فما بكم الى أحد من أهل البلدان حاجةٌ وما يستغني الناس عنكم فقامت خُطباءُ أهل البصرة فقالوا قد سمعنا مقالتكَ أيها الامير وانّا والله ما نعلم أحدا أقوى عليها منكَ فهلمّ فلنبايعكَ فقال لا حاجة لي في ذلك فاختاروا لانفسكم فأبوا عليه وأبى عليهم حتى كرروا ذلك عليه ثلاث مرات فلما أبوا بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا بعد البيعة وهم يقولون لا يظن ابن مرجانة أنّا نستقاد له في الجماعة والفُرقة كذب والله ثم وثبوا عليه حدثني عمر قال زهير قال حدثنا وهب قال وحدثنا الاسود بن شيبان عن خالد بن سُمَير ان شقيق بن ثور ومالك بن مِسْمَع وحصين بن المنذر أتوا عبيدالله ليلا وهو في دار الإمارة فبلغ ذلك رجلا من الحيّ من بني سَدُوس قال فانطلقتُ فلزمتُ دار الامارة فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل ثم خرجوا ومعهم بغلٌ مُوقرٌ مالا قال فأتيت حصينا فقلت مُرْ لي من هذا المال بشيء فقال عليك ببني عمك فأتيت شقيقا فقلت مر لي من هذا المال بشيء قال وعلى المال مولى له يقال له أيوب فقال يا أيوب أعطه مائة درهم قلت أما مائة درهم والله لا أقبلها فسكت عني ساعةً وسار هُنَيْهةً فأقبلت عليه فقلت مر لي من هذا المال بشيء فقال يا أيوب أعطه مائتي درهم قلت لا أقبل والله مائتين ثم أمر لي بثلثمائة ثم أربعمائة فلما انتهينا الى الطُفاوة قلت مر لي بشيء قال أرأيت ان لم أفعل ما أنت صانع قلت انطلقُ والله حتى اذا توسّطتُ دور الحيّ

وضعتُ إصبعي في أذني ثم صرخت بأعلى صوتي يا معشر بكر بن وائل هذا شقيق بن ثور وحصين بن المنذر ومالك بن المسمع قد انطلقوا الى ابن زياد فاحتلفوا في دمائكم قال ماله فعل الله به وفعل ويلك أعطه خمسمائة درهم قال فأخذتها ثم صبّحت غاديا على مالك قال وهب فلم أحفظ ما أمر له به مالك قال ثم رأيت حصينا فدخلت عليه فقال ما صنع ابن عمك فأخبرته وقلت أعطني من هذا المال فقال انا قد أخذنا هذا المال ونجونا به فلن نخشى من الناس شيأ فلم يعطني شيأ ﴿قال أبو جعفر﴾ وحدثني أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى ان يونس بن حبيب الجرمي حدثه قال لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي عليه السلام وبني أبيه بعث برؤسهم الى يزيد بن معاوية فسُرّ بقتلهم أولا وحسُنَتْ بذلك منزلةُ عبيد الله عنده ثم لم يلبث الا قليلا حتى ندم على قتل الحسين فكان يقول وما كان عليّ لو احتملتُ الاذى وأنزلته معي في داري وحكّمته فيما يريد وان كان عليّ في ذلك وكفٌ ووهنٌ في سلطاني حفظا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعايةً لحقه وقرابته لعن الله ابن مرجانة فانه أخرجه واضطرّه وقد كان سأله أن يخلي سبيله ويرجع فلم يفعل أو يضع يده في يدي أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل فأبى ذلك وردّه عليه وقتله فبغّضني بقتله الى المسلمين وزرع لي في قلوبهم العداوة فبغضني البرُّ والفاجرُ بما استعظم الناس من قتلي حسينا مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه ثم ان عبيد الله بعث مولى له يقال له أيوب بن حُمران الى الشأم ليأتيه بخبر يزيد فركب عبيد الله ذات يوم حتى اذا كان في رَحبة القصابين اذا هو بأيوب بن حمران قد قدم فلحقه فأسرّ اليه موت يزيد بن معاوية فرجع عبيد الله من مسيره ذلك فأتى منزله وأمر عبد الله بن حصن أحد بني ثعلبة بن يربوع فنادى الصلاة جامعة (قال أبو عبيدة) وأما عمير بن معن الكاتب فحدثني قال الذي بعثه عبيد الله حمران مولاه فعاد عبيد الله عبد الله بن نافع أخا زياد لأمه ثم خرج عبيد الله ماشيا من خوخة كانت في دار نافع الى المسجد فلما كان في صحنه اذا هو بمولاه حمران أدنى ظلمة عند المساء وكان حمران رسول عبيد الله بن زياد الى معاوية حياته والى يزيد فلما رآه ولم يكن له أن يقدم قال مَهْيَم قال خيرٌ قال وما وراءك قال ادنو منك قال نعم وأسرّ اليه موت يزيد واختلاف أمر الناس بالشأم وكان يزيد مات يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ فأقبل عبيد الله من فوره فأمر مناديا فنادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فنعى يزيد وعرض بثلبه لقصد يزيد اياه قبل موته حتى يخافه عبيد الله فقال الاحنف لعبيد الله انه قد كانت ليزيد في أعناقنا بيعةٌ وكان يقال أعرِضْ عن ذي فنن فأعرض عنه ثم قام عبيد الله يذكر اختلاف أهل الشأم وقال اني قد وليتُكم ثم ذكر نحو حديث عمر بن شبة عن زهير بن حرب الى فبايعوه عن رِضًى منهم ومشورة ثم قال فلما خرجوا من عنده جعلوا

يمسحون أكفهم بباب الدار وحيطانه ويقولون ظن ابن مرجانة انا نوليه أمرنا فى الفرقة قال فاقام عبيد الله أميرا غير كثير حتى جعل سلطانه يضعف ويأمر بالامر فلا يُقضى ويرى الرأى فيُرد عليه ويأمر بحبس المخطئ فيُحال بين أعوانه وبينه (قال أبو عبيدة) فسمعت غيلان بن محمد يحدث عن عثمان البتّى قال حدثنى عبد الرحمن بن حَوْشب قال تبعت جنازة فلما كان في سوق الابل اذا رجل على فرس شهباء متقنع بسلاح وفي يده لواء وهو يقول أيها الناس هلموا الىّ أدعكم الى مالم يدعكم اليه أحد أدعوكم الى العائذ بالحرم يعنى عبد الله بن الزبير * قال فتجمع اليه نُوَيْسٌ فجعلوا يصفقون على يديه ومضينا حتى صلينا على الجنازة فلما رجعنا اذا هو قد انضم اليه أكثر من الاولين ثم أخذ بين دار قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السلمى ودار الحارثيين قبل بنى تميم فى الطريق الذى يأخذ عليهم فقال ألا من أرادنى فأنا سلمة بن ذؤيب وهو سَلَمة بن ذؤيب بن عبد الله ابن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة قال فلقينى عبد الرحمن بن بكر عند الرحبة فأخبرته بخبر سلمة بعد رجوعى فأتى عبد الرحمن عبيد الله فحدثه بالحديث عنى فبعث الىّ فأتيته فقال ما هذا الذى خبّر به عنك أبو بحر قال فاقتصصت عليه القصة حتى أتيت على آخرها فأمر فنودى على المكان الصلاة جامعة فتجمع الناس فانشأ عبيد الله يقص أول أمره وأمرهم وما قد كان دعاهم الى من يرتضونه فيبايعه معهم وانكم أبيتم غيرى وانه بلغنى انكم مسحتم أكفكم بالحيطان وباب الدار وقلتم ما قلتم وانى آمر بالامر فلا يُنفذ ويُرد على رأيى وتحول القبائل بين أعوانى وطلبتى ثم هذا سلمة بن ذؤيب يدعو الى الخلاف عليكم ارادة أن يفرق جماعتكم ويضرب بعضكم جباه بعض بالسيف فقال الاحنف صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عُبادة بن النزّال بن مُرّة بن عبيد ابن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم والناس جميعا نحن نأتيك بسلمة فأتوا سلمة فاذا جمعه قد كثف واذا الفتق قد اتسع على الراتق وامتنع عليهم فلما رأوا ذلك قعدوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه (قال أبو عبيدة) فحدثنى غير واحد عن سَبْرة ابن الجارود الهذلى عن أبيه الجارود قال وقال عبيد الله فى خطبته يا أهل البصرة والله لقد لبسنا الخز واليمنة واللين من الثياب حتى لقد أجمنا ذلك وأجمته جلودنا فما بنا الى أن نُعقبها الحديد يا أهل البصرة والله لو اجتمعتم على ذنب عير لتكسروه ما كسرتموه (قال الجارود) فوالله ما رُمى بجُماح حتى هرب فتوارى عند مسعود فلما قُتل مسعود لحق بالشأم (قال يونس) وكان في بيت مال عبيد الله يوم خطب الناس قبل خروج سلمة ثمانية آلاف ألف أو أقل وقال علىّ بن محمد تسعة عشر ألف ألف فقال للناس ان هذا فيئكم فخذوا أعطياتكم وأرزاق ذراريكم منه وأمر الكتبة بتحصيل الناس وتخريج

الاسماء واستعجل الكتّاب في ذلك حتى وكّل بهم من يحبسهم بالليل في الديوان وأسرجوا
بالشمع * قال فلما صنعوا ما صنعوا وقعدوا عنه وكان من خلاف سلمة عليه ما كان كف عن
ذلك ونقلها حين هرب فهي الى اليوم تردّد في آل زياد فيكون فيهم العُرس أو المأتم فلا
يُرى في قريش مثلهم ولا في قريش أحسن منهم في الغضارة والكسوة فدعا عبيد الله رؤساء
خاصّة السلطان فأرادهم أن يقاتلوا معه فقالوا ان أمرَنا قوّادُنا قاتلنا معك فقال اخوةُ
عبيد الله لعبيد الله والله ما من خليفة فتقاتل عنه فان هُزِمت فئتَ اليه وان استمددته
أمدّك وقد علمت ان الحرب دُولٌ فلا ندرى لعلها تدول عليك وقد اتخذنا بين أظهر
هؤلاء القوم أموالا فان ظفروا اهلكونا واهلكوها فلم تبق لك باقيةٌ وقال له أخوه عبد الله
لأبيه وأمه مرجانة والله لئن قاتلتَ القوم لأعتمِدنَّ على ظُبة السيف حتى يخرج من
صُلبي فلما رأى ذلك عبيد الله أرسل الى حارث بن قيس بن صُهبان بن عون بن علاج
ابن مازن بن أسود بن جَهْضَم بن جَذيمة بن مالك بن فهم فقال له يا حارِ ان أبي كان أوصاني
ان احتجتُ الى الهرب يوماً أن أختاركم وإن نفسي تأبى غيركم فقال الحارث قد أبلوك
في أبيك ما قد علمت وبلوه فلم يجدوا عنده ولا عندك مُكافاةً وما لك مَردٌّ اذا اخترتنا وما
أدرى كيف ابائي لك ان أخرجتك نهاراً اني أخاف ألاّ أصل بك الى قومي حتى تُقتَل
وأُقتَل ولكني أقيم معك حتى اذا وارى دَمْسُ دَمْساً وهدأت القدَم رَدفتَ خلفي لئلاّ
تُعرف ثم أخذتك على اخوالي بني ناجيةَ قال عبيد الله نعم ما رأيتَ فأقام حتى اذا قلتَ أخوك
أم الذئب حمله خلفه وقد نقل تلك الأموال فأحرزها ثم انطلق به يمرّ به على الناس وكانوا
يتحارسون مخافة الحارورية فيسأل عبيد الله أين نحن فيخبره فلمّا كانوا في بني سُليم قال عبيد
الله أين نحن قال في بني سليم قال سلمنا ان شاء الله فلمّا أتى بني ناجية قال أين نحن قال في بني
ناجية قال نجونا ان شاء الله فقال بنو ناجية مَن أنت قال الحارث بن قيس قالوا ابن أخيكم
وعرف رجلٌ منهم عبيد الله فقال ابن مرجانة فأرسل سهماً فوقع في عمامته ومضى به
الحارث حتى ينزله دار نفسه في الجهاضم ثم مضى الى مسعود بن عمرو بن عديّ بن محارب
ابن صُنيم بن مُليح بن شَرْطان بن مَعن بن مالك بن فهم فقالت الأزد ومحمد بن أبي عيينة
فلما رآه مسعود قال يا حار قد كان يُتعوّذ من سوء طوارق الليل فنعوذ بالله من شرّ ما طرقتنا
به قال الحارث لم أطرقك إلا بخير وقد علمتَ ان قومك قد أنجوا زياداً فوفوا له فصارت لهم
مكرُمةً في العرب يفخرون بها عليهم وقد بايعتم عبيد الله بيعة الرِضا رضًى من مَشورة
وبيعةً أخرى قد كانت في أعناقكم قبل هذه البيعة يعني بيعة الجماعة فقال له مسعود يا حار
أترى لنا ان نعادي أهلَ مِصرنا في عبيد الله وقد أبلينا في أبيه ما أبلينا ثم لم نُكافَ عليه ولم
نُشكَر ما كنتُ أحسب ان هذا من رأيك قال الحارث انه لا يُعاديك أحدٌ على الوفاء ببيعتك

حتى تبلغه مأمنه (قال أبو جعفر) وأما عمر فحدثني قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا
وهب بن جرير قال حدثنا أبي عن الزبير بن الخريت عن أبي لبيد الجهضمي عن الحارث
ابن قيس قال عرض نفسه يعني عبيد الله بن زياد عليّ فقال أم والله اني لأعرف سوء رأي
كان في قومك قال فوقفت له فأردفته على بغلتي وذلك ليلا فأخذت على بني سليم فقال
من هؤلاء قلت بنو سليم قال سلمنا ان شاء الله ثم مررنا ببني ناجية وهم جلوس ومعهم
السلاح وكان الناس يتحارسون اذ ذاك في مجالسهم فقالوا من هذا قلت الحارث بن قيس
قالوا امض راشدا فلما مضينا قال رجل منهم هذا والله ابن مرجانة خلفه فرماه بسهم فوضعه
في كور عمامته فقال يا أبا محمد من هؤلاء قال الذين كنت تزعم انهم من قريش هؤلاء بنو
ناجية قال نجونا ان شاء الله ثم قال يا حارث انك قد أحسنت وأجملت فهل أنت صانع ما أشير
به عليك قد علمت منزلة مسعود بن عمرو في قومه وشرفه وسنه وطاعة قومه له فهل لك
ان تذهب بي اليه فأكون في داره فهي وسط الأزد فإنك ان لم تفعل صدع عليك أمر
قومك قلت نعم فانطلقت به فما شعر مسعود بشيء حتى دخلنا عليه وهو جالس ليلتئذ
يوقد بقضيب على لبنة وهو يعالج خفيه قد خلع أحدهما وبقي الآخر فلما نظر في وجوهنا
عرفنا وقال انه كان يتعوذ من طوارق السوء فقلت له أفتخرجه بعد ما دخل عليك بيتك
قال فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود وامرأة عبد الغافر يومئذ خيرة بنت خفاف
ابن عمرو قال ثم ركب مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه فطافوا في
الأزد ومجالسهم فقالوا ان ابن زياد قد فقد وإنا لا نأمن ان تلطخوا به فاصبحوا في السلاح
وفقد الناس ابن زياد فقالوا أين توجه فقالوا ما هو إلا في الأزد قال وهب فحدثنا أبو بكر
ابن الفضل عن قبيصة بن مروان انهم جعلوا يقولون أين ترونه توجه فقالت عجوز من بني
عقيل أين ترونه توجه اندحس والله في أجمة أبيه وكانت وفاة يزيد حين جاءت ابن زياد
وفي بيوت مال البصرة ستة عشر ألف ألف ففرق ابن زياد طائفة منها في بني أبيه وحمل
الباقي معه وقد كان دعا البخارية الى القتال معه ودعا بني زياد الى ذلك فأبوا عليه ❁ حدثني
عمر قال حدثني زهير بن حرب قال حدثنا الأسود بن شيبان عن عبد الله بن جرير المازني
قال بعث الي شقيق بن ثور فقال لي انه قد بلغني ان ابن منجوف هذا وابن مسمع يدلجان
بالليل الى دار مسعود ليردّا ابن زياد الى الدار ليصلوا بين هذين الغارين فيهريقوا دماءكم
ويعزوا أنفسهم ولقد هممت ان أبعث الى ابن منجوف فأشده وثاقا وأخرجه عني فاذهب
الى مسعود فاقرأ عليه السلام مني وقل له ان ابن منجوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا
فاخرج هذين الرجلين عنك قال وكان معه عبيد الله وعبد الله ابنا زياد قال فدخلت
على مسعود وابنا زياد عنده أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فقلت السلام عليك أبا

قيسٍ قال وعليك السلام قلتُ بعثني اليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام و يقول لك انه بلغني فردّ السلام بعينه الى فاخرجهما عنك قال مسعود والله قلتُ ذاك فقال عبيد الله كيف أباثور ونسي كُنيته انما كان يُكنى أباالفضل فقال أخوه عبد الله انا والله لانخرج عنكم قد أجرتمونا وعقدتم لنا ذمتكم فلانخرج حتى نُقتل بين أظهركم فيكون عاراً عليكم الى يوم القيامة قال وهب حدثنا الزبير بن الخرّيت عن أبى لبيد ان أهل البصرة اجتمعوا فقلدوا أمرهم النعمان بن صُهبان الراسبيّ و رجلاً من مضر ليختارا لهم رجلاً فيُولوه عليهم وقالوا من رضيتما لنا فقد رضيناه وقال غير أبى لبيد الرجل المضريّ قيسُ ابن الهيثم السُلميّ قال أبو لبيد ورأى المضرى فى بنى أمية ورأىُ النعمان في بنى هاشم فقال النعمان ما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر من فلان لرجلٍ من بنى أمية قال وذلك رأيك قال نعم قال قد قلّدتُك أمرى و رضيتَ مَن رضيتَ ثم خرجا الى الناس فقال المضرىّ قد رضيتُ مَن رضى النعمان فمن سمى لكم فأنا به راض فقالوا للنعمان ما تقول فقال ما أرى أحداً غير عبد الله بن الحارث وهو ببّة فقال المضرىّ ما هذا الذى سميت لى قال بلى لعمرى انه لهو فرضى الناس بعبد الله و بايعوه قال أصحابنا دعت مُضر الى العباس بن الأسود بن عوف الزهرىّ ابن أخى عبد الرحمن بن عوف ودعت اليمنُ الى عبد الله بن الحارث بن نوفل فتراضى الناس ان حكّموا قيس بن الهيثم والنعمان بن صهبان الراسبى لينظرا في أمر الرجلين فاتفق رأيُهما على ان يوليا المضرىّ الهاشمىّ الى أن يجتمع أمرُ الناس على امامٍ فقيل في ذلك

نزعنا وولّينا وبكرُ بنُ وائل * تجرُّ خصاها تبتغي مَن تُحالفُ

فلمّا أمّر وابية على البصرة ولى شرطته هميان بن عدىّ السدُوسىّ ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما أبو عبيدة فإنه فيما حدّثنى محمد بن علىّ عن أبى سعدان عنه قصّ من خبر مسعود وعبيد الله ابن زياد وأخيه غير القصة التى قصها وهب بن جرير عمن روى عنهم خبرهم قال حدثنى مسلمة بن محارب بن سلم بن زياد وغيره من آل زياد عمن أدرك ذلك منهم ومن مواليهم والقوم أعلم بحديثهم ان الحارث بن قيس لم يكلم مسعوداً ولكنه آمن عبيد الله فحمل معه مائة ألف درهم ثم أتى بها الى أمّ بسطام امرأة مسعود وهى بنت عمه ومعه عبيد الله وعبد الله ابنا زياد فاستأذن عليها فأذنت له فقال لها الحارث قد أتيتُك بأمرٍ تسودين به نساءكِ وتتمّين به شرف قومك وتعجلين غنًى ودنيا لك خاصةً هذه مائة ألف درهم فاقبضيها فهى لك وضمّى عبيد الله قالت انى أخاف ألا يرضى مسعود بذلك ولا يقبله فقال الحارث ألبسيه ثوباً من أثوابك وأدخليه بيتك وخلى بيننا وبين مسعود فقبضت المال وفعلت فلما جاء مسعود أخبرته فأخذ برأسها فخرج عبيد الله والحارث من حجلتها عليه فقال عبيد الله قد

أجارتني ابنة عمك عليك وهذا ثوبك عليّ وطعامك في بطني وقد التف عليّ بيتك وشهد له على ذلك الحارث وتلطفا له حتى رضى قال أبو عبيدة وأعطى عبيد الله الحارث نحوا من خمسين ألفا فلم يزل عبيد الله في بيت مسعود حتى قتل مسعود قال أبو عبيدة فحدثني يزيد ابن سمير الجرمي عن سوار بن عبد الله بن سعيد الجرمي قال فلما هرب عبيد الله غبر أهل البصرة بغير أمير فاختلفوا فيمن يؤمرون عليهم ثم تراضوا برجلين يختاران لهم خيرة فيرضون بها اذا اجتمعا عليها فتراضوا بقيس بن الهيثم السلمي وبنعمان بن سفيان الراسي راسب بن جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أن يختارا من يرضيان لهم فذكرا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وأمه هند بنت ابى سفيان ابن حرب بن أمية وكان يلقب ببة وهو جد سليمان بن عبد الله بن الحارث وذكرا عبد الله بن الأسود الزهري فلما أطبقا عليهما اتعدا المربد وواعدا الناس ان يجتمع آراؤهم على أحد هذين قال فحضر الناس وحضرت معهم قارعة المربد أى أعلاه فجاء قيس بن الهيثم ثم جاء النعمان بعد فتجاول قيس والنعمان فأرى النعمان قيسا ان هواه في ابن الأسود ثم قال انا لا نستطيع أن نتكلم معا وأراده أن يجعل الكلام اليه ففعل قيس وقد اعتقد أحدهما على الآخر فأخذ النعمان على الناس عهدا ليرضون بما يختار قال ثم أتى النعمان عبد الله بن الأسود فأخذ بيده وجعل يشترط عليه شرائط حتى ظن الناس انه مبايعه ثم تركه وأخذ بيد عبد الله بن الحارث فاشترط عليه مثل ذلك ثم حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وحق أهل بيته وقرابته ثم قال يا أيها الناس ما تنقمون من رجل من بني عم نبيكم صلى الله عليه وسلم وأمه هند بنت أبي سفيان فإن كان فيهم فهو ابن أختكم ثم صفق على يده وقال ألا اني قد رضيت لكم به فنادوا قد رضينا فأقبلوا بعبد الله بن الحارث الى دار الإمارة حتى نزلها وذلك في أول جمادى الآخرة سنة ٦٤ واستعمل على شرطته هميان بن عدي السدوسي ونادى في الناس ان احضروا البيعة فحضروا فبايعوه فقال الفرزدق حين بايعه

وبايعت أقواما وفيت بعهدهم * وببة قد بايعته غير نادم

قال أبو عبيدة فحدثني زهير بن هنيدة عن عمرو بن عيسى قال كان منزل مالك بن مسمع الجحدري في الباطنة عند باب عبد الله الإصبهاني في خط بني جحدر الذى عند مسجد الجامع فكان مالك يحضر المسجد فبيناهو قاعد فيه وذلك بعد يسير من أمر ببة وافى الحلقة رجل من ولد عبد الله بن عامر بن كريز القرشي يريد ببة ومعه رسالة من عبد الله بن خازم وبيعته بهراة فتنازعوا فأغلظ القرشي لمالك فلطم رجل من بكر بن وائل القرشي فتهايج من ثم من مضر وربيعة وكثرتهم ربيعة الذين في الحلقة فنادى رجل يا لتميم فسمعت

الدعوة عصبةٌ من ضبّة بن أدّ كانوا عند القاضى فأخذوا رماح حرس من المسجد وترستهم ثم شدّوا على الرَّبعيّين فهزموهم وبلغ ذلك شقيق بن ثور السدوسىّ وهو يومئذ رئيس بكر ابن وائل فأقبل الى المسجد فقال لا تجدُنّ مضريّاً إلا قتلتموه فبلغ ذلك مالك بن مسمع فأقبل متفضلاً يُسكن الناس فكفّ بعضُهم عن بعض فمكث الناس شهرا أو أقلّ وكان رجل من بنى يشكر يجالس رجلاً من بنى ضبة في المسجد فتذاكرا لطمة البكرىّ القرشىّ ففخر اليشكرىّ قال ثم قال ذهبت طِلْقاً فأحفظ الضبّىَّ بذلك فوجأ عنقه فوقذه الناس فى الجمعة فحمل الى أهله ميّتاً أعنى اليشكرىَّ فثارت بكر الى رأسهم أشيم بن شقيق فقالوا سِر بنا فقال بل أبعث اليهم رسولاً فإن سيّبوا لنا حقنا والا سرنا اليهم فأبت ذلك بكر فأتوا مالك بن مسمع وقد كان قبل ذلك مماكاً عليهم قبل أشيم فغلب أشيم على الرئاسة حين شخص أشيم الى يزيد بن معاوية فكتب له الى عبيد الله بن زياد ان ردّوا الرئاسة الى أشيم فأبت اللهازم وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عنزة وشيع اللات وحلفاؤها عجل حتى توافوا هم وآل ذُهل بن شيبان وحلفاؤها يشكر وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضُبيعة بن ربيعة بن نزار أربع قبائل وأربع قبائل وكان هذا الحلف في أهل الوبر فى الجاهلية فكانت حنيفة بقيت من قبائل بكر لم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف لأنهم أهل مدر فدخلوا فى الاسلام مع أخيهم عجل فصار والِهزَمة ثم تراضوا بحكم عمران بن عصام العَنَزىّ أحد بنى هُمَيم وردّها الى أشيم فلما كانت هذه الفتنة استخفت بكر مالك بن مسمع فخف وجمع وأعدّ فطلب الى الازد أن يجدّدوا الحلف الذى كان بينهم قبل ذلك في الجماعة على يزيد بن معاوية فقال حارثة بن بدر فى ذلك

نزعنا وأمّرنا وبكر بن وائل * تجر خصاها تبتغى من تحالف

وما بات بكرىٌّ من الدهر ليلةً * فيُصبحُ إلا وهو للذُل عارفُ

قال فبلغ عبيد الله الخبر وهو فى رحل مسعود من تباعد ما بين بكر وتميم فقال لمسعود الق مالكا فجدّد الحلف الأوّل فلقيه فترادّا ذلك وتأبّى عليهما نفر من هؤلاء وأولئك فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود فأعطاه جزيلا من المال حتى أنفق فى ذلك أكثر من مائتى ألف درهم على ان بايعوهما وقال عبيد الله لأخيه استوثق من القوم لأهل اليمن فجدّدوا الحلف وكتبوا بينهم كتابا سوى الكتابين اللذين كانا كُتبا بينهما في الجماعة فوضعوا كتاباً عند مسعود بن عمرو قال أبو عبيدة فحدّثنى بعض ولد مسعود ان أوّل تسمية من فيه الصلت بن حُرَيث بن جابر الحنفىّ ووضعوا كتابا عند الصلت بن حريث أوّل تسميته ابن رجاء العَوْذىّ من عوذ بن سود وقد كان بينهم قبل هذا حلفٌ قال أبو عبيدة وزعم محمد ابن حفص ويونس بن حبيب وهبيرة بن جُدَير وزهير بن هنيد ان مضر كانت تكثر ربيعة

بالبصرة وكانت جماعة الأزد آخر من نزل بالبصرة كانوا حيث مُصّرت البصرة فحوّل عمر بن الخطاب رحمه الله من تنوخ من المسلمين الى البصرة وأقامت جماعة الأزد لم يتحوّلوا ثم لحقوا بالبصرة بعد ذلك في آخر خلافة معاوية وأول خلافة يزيد بن معاوية فلمّا قدموا قالت بنو تميم للأحنف بادر الى هؤلاء قبل ان تسبقنا اليهم ربيعة وقال الأحنف ان أتوكم فاقبلوهم والا لا تأتوهم فانكم ان أتيتموهم صرتم لهم أتباعا فأتاهم مالك بن مسمع ورئيس الأزد يومئذ مسعود بن عمرو المعنّى فقال مالك جدّدوا حلفنا وحلف كندة في الجاهلية وحلف بني ذهل بن ثعلبة في طيّ بن أدد من ثعل فقال الأحنف اما اذ أتوهم فلن يزالوا لهم اتباعا اذ ناَبا قال أبو عبيدة فحدّثني هبيرة بن جدير عن اسحاق بن سويد قال فلما ان جرت بكر الى نصر الأزد على مضر وجدّدوا الحلف الاول وأرادوا أن يسيروا قالت الأزد لا نسير معكم الا أن يكون الرئيس منا فرأسوا مسعودا عليهم قال أبو عبيدة فحدّثني مسلمة بن محارب قال قال مسعود لعبيد الله سر معنا حتى نعيدك في الدار فقال ما أقدر على ذلك امض أنت وأمر براحله فشدوا عليها أدواتها وسوادها وتزمل في أهبة السفر وألقوا له كرسيا على باب مسعود فقعد عليه وسار مسعود وبعث عبيد الله غلمانا له على الخيل مع مسعود وقال لهم اني لا أدري ما يحدث فأقول اذا كان كذا فليأتني بعضكم بالخبر ولكن لا يحدث خير ولا شرّ إلا أتاني بعضكم به فجعل مسعود لا يأتي على سكة ولا يجاوز قبيلة إلا أتى بعض أولئك الغلمان بخبر ذلك وقدم مسعود ربيعة وعليهم مالك بن مسمع فأخذوا جميعا سكة المربد فجاء مسعود حتى دخل المسجد فصعد المنبر وعبد الله بن الحارث في دار الامارة فقيل له إن مسعودا وأهل اليمن وربيعة قد ساروا وسيهيج بين الناس شرٌّ فلو أصلحت بينهم أو ركبت في بني تميم عليهم وقال أبعدهم الله لا والله لا أفسدت نفسي في اصلاحهم وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول

لأنْكِحَنَّ بَبَّهْ * جارِيَةً في قُبَّهْ * تَمْشُطُ رأسَ لُعْبَهْ

فهذا قول الأزد وربيعة فأما مضر فيقولون ان أمه هند بنت أبي سفيان كانت ترقصه وتقول هذا فلما لم يحل أحد بين مسعود وبين صعود المنبر خرج مالك بن مسمع في كتيبته حتى علا الجبّان من سكة المربد ثم جعل يمر بعداد دور بني تميم حتى دخل سكة بني العدوية من قبل الجبان فجعل يحرّق دورهم للشحناء التي في صدورهم لقتل الضبّي اليشكريّ ولاستعراض ابن خازم ربيعة بهراة قال فبينا هو في ذلك اذ أتوه فقالوا اقتلوا مسعودا وقالوا سارت بنو تميم الى مسعود فأقبل حتى اذا كان عند مسجد بني قيس في سكة المربد وبلغه قتل مسعود وقف قال أبو عبيدة فحدثني زهير بن هنيدة قال حدثنا الضحاك أو الوضاح بن خيثمة أحد بني عبد الله بن دارم قال حدثني مالك بن دينار قال ذهبت في الشباب الذين ذهبوا

الى

الى الاحنف ينظرون قال فأتيته وأتته بنو تميم فقالوا ان مسعوداقد دخل الدار وأنت سيدنا فقال لستُ بسيدكم انما سيدكم الشيطان وأماهبيرة بن جدير فحدثني عن اسحاق بن سويد العدوى قال أوتيت منزل الاحنف فى النظارة فأتوا الاحنف فقالوا يا بابحران ربيعة والازد قد دخلوا الرحبة فقال لستم بأحق بالمسجد منهم ثم أتوه فقالوا قد دخلوا الدار فقال لستم بأحق بالدار منهم فتسرع سلمة بن ذؤيب الرياحىّ فقال الىَّ يامعشر الفتيان فانما هذا اجبش لا خير لكم عنده فبدرت ذؤبان بنى تميم فانتدب معه خمسمائة وهم مع ماه أفريذون فقال لهم سلمة أين تريدون قالوا ايا لم أردنا قال فتقدموا قال أبو عبيدة فحدثنى زهير بن هنيدة عن أبى نعامة عن ناشب بن الحسحاس وحميد بن هلال قالا أتينا منزل الاحنف بحضرة المسجد قالا فكنا فيمن ينظر فأتته امرأة بمِجمَر فقالت مالك وللرئاسة تجمّرْ فانما أنت امرأة فقال است المرأة أحقُّ بالمجمر فأتوه فقالوا ان علية بنت ناجية الرياحىّ وهى أخت مَطَرٍ وقال آخرون عزّة بنت الحرّ الرياحية قد سلبت خلاخيلها من ساقيها وكان منزلها شارعا فى رحبة بنى تميم على الميضاة وقالوا وقتلوا الصباغ الذى على طريقك وقتلوا المقعد الذى كان على باب المسجد وقالوا ان مالك بن مسمع قد دخل سكة بنى العدوية من قبل الجبان فحرّق دوراً فقال الأحنف أقيموا البينة على هذا ففى دون هذا ما يحلّ قتالهم فشهدوا عنده على ذلك فقال الاحنف أجاء عبّاد وهو عباد بن حصين بن يزيد بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حلزةَّ بن بيان بن سعد بن الحارث الحبطة بن عمرو بن تميم قالوا لا ثم مكث غير طويل فقال أجاء عباد قالوا لا قال فهل ههنا عبس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحكم بن ظالم ابن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد فقالوا نعم فدعاه فانتزع معجرا في رأسه ثم جثا على ركبتيه فعقده فى رُمح ثم دفعه اليه فقال سر قالا فلما ولى قال اللهم لا تخزها اليوم فانك لم تخزها فيما مضى وصاح الناس هاجت زبراء وزبراء أمة للاحنف وانما كنوا بها عنه قالا فلما سار عبس جاء عباد في ستين فارسا فسأل ما صنع الناس فقالوا ساروا قال ومن عليهم قالوا عبس بن طلق الصّريمى فقال عباد أنا أسير تحت لواء عبس فرجع والفرسان الى أهله فحدثنى زهير قال حدثنا أبو ريحانة العرَينىّ قال كنتُ يومَ قتل مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعدى أعدو حتى بلغنا شريعة القديم قال اسحاق بن سويد فاقبلوا فلما بلغوا أفواه السكك وقفوا فقال لهم ماه أفريذون بالفارسية مالكم يامعشر الفتيان قالوا اتلقونا بأسنة الرماح فقال لهم بالفارسية صكوهم بالفنجقان أى بخمس نُشابات في رمية بالفارسية والأساورة أربعمائة فصكوهم بألفى نشابة في دفعة فأجلوا عن أبواب السكك وقاموا على باب المسجد ودلفت التميمية اليهم فلما بلغوا الأبواب وقفوا فسألهم ماه أفريذون مالكم قالوا اسندوا الينا أطراف رماحهم قال أرموهم أيضا فرموهم بالفى نشابة فأجلوهم عن الابواب

فدخلوا المسجد فأقبلوا ومسعود يخطب على المنبر ويحضض فجعل غطفان بن أنيف بن يزيد بن فهدة أحد بنى كعب بن عمرو بن تميم وكان يزيد بن فهدة فارسا فى الجاهلية يقاتل ويحض قومه ويرتجز

يال تميم انها مذكورهْ * إن فات مسعود بها مشهورهْ
فاستمسكوا بجانب المقصورهْ

أى لايهرب فيفوت قال اسحاق بن يزيد فأتوا مسعودا وهو على المنبر يحض فاستنزلوه فقتلوه وذلك فى أول شوال سنة ٦٤ فلم يكن القوم شيأ فانهزموا وبادر أشيم بن شقيق القوم باب المقصورة هاربا فطعنه أحدهم فنجا بها ففى ذلك يقول الفرزدق

لو أنَّ أشيم لم يسبق أسنَّتنا * وأخطأ الباب إذ نيرانُنا تقِدُ
إذا لصاحب مسعودا وصاحبه * وقد تهافتت الأعفاج والكبِدُ

قال أبو عبيدة فحدثنى سلام بن أبى خيرة وسمعته أيضا من أبى الخنساء كسيب العنبرىّ يحدث فى حلقة يونس قالا سمعنا الحسن بن أبى الحسن يقول فى مجلسه فى مسجد الأمير فأقبل مسعود من ههنا وأشار بيده الى منازل الازد فى أمثال الطير معلما بقباء ديباج أصفر مغيّرٍ بسواد يأمر الناس بالسنة وينهى عن الفتنة ألا إنّ من السنّة ان تأخذ فوق يديك وهم يقولون القمر القمر فوالله مالبثوا الا ساعةً حتى صار قرهم قُبَرًا فأتوه فاستنزلوه عن المنبر وهو عليه قد علم الله فقتلوه (قال سلام فى حديثه) قال الحسن وجاء الناس من ههنا وأشار بيده الى دور بنى تميم قال أبو عبيدة فحدثنى سلمة بن محارب قال فأتوا عبيد الله فقالوا قد صعد مسعود المنبر ولم يُرَم دون الدار بكتاب فبيناهم فى ذلك يتهيأ للمجئ الى الدار اذ جاؤا فقالوا قد قتل مسعود فاغترز فى ركابه فلحق بالشام وذلك فى شوال سنة ٦٤ قال أبو عبيدة فحدثنى روّاد الكعبىُّ قال فأتى مالك بن مسمع اناسٌ من مضر فحصروه فى داره وحرّقوا ففى ذلك يقول غطفان بن أنيف الكعبىّ فى أرجوزة

وأصبح ابنُ مِسمعٍ محصورا * يبغى قُصورًا دونه ودُورا
حتّى شبَبْنا حوله السّعيرا

ولما هرب عبيد الله بن زياد اتبعوه فأعجز الطلبة فانتهبوا ما وجدوا له ففى ذلك يقول وافد بن خليفة بن أسماء أحد بنى صخر بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد

يارُبَّ جبّارٍ شديدٍ كَلَبُهْ * قد صار فينا تاجُه وسَلَبُهْ
منهم عُبيدُ الله حين نَسلبُهْ * جيادَهُ وبَزَّهُ ونَنهبُهْ
يومَ التقى مِقنَبُنا ومِقنبُهْ * لولم يُنجّ ابنَ زيادٍ هربُهْ

وقال جرهم بن عبد الله بن قيس أحد بنى العدوية فى قتل مسعود فى كلمةٍ طويلة

ومَسعُودَ بنَ عَمرٍو إذ أتانا * صبحنا حَدَّ مَطرُورٍ سَنينا
رَجا التَّأْمِيرَ مسعودٌ فأضحى * صَرِيعًا قد أزَرناهُ المنُونا

﴿قال أبو جعفر﴾ محمد بن جرير وأما عمر فانه حدثني في أمر خروج عبيد الله الى الشأم قال حدثنا زهير قال حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال حدثنا الزبير بن الخريت قال بعث مسعود مع ابن زياد مائة من الأزد عليهم قرة بن عمرو بن قيس حتى قدموا به الشأم ﴿وحدثني﴾ عمر قال حدثنا أبو عاصم النبيل عن عمرو بن الزبير وخلاد بن يزيد الباهلي والوليد بن هشام عن عمه عن أبيه عن عمرو بن هبيرة عن يساف بن شريح اليشكري قال وحدثنيه على بن محمد قال قد اختلفوا فزاد بعضهم على بعض ان ابن زياد خرج من البصرة فقال ذات ليلة انه قد ثقل على ركوب الابل فوطئوا الى على ذى حافر قال فألقيت له قطيفة على حمار فركبه وان رجليه لتكادان تخدّان في الارض قال اليشكري فإنه ليسير أمامى اذ سكت سكتة فأطالها فقلت في نفسى هذا عبيد الله أمير العراق أمس نائم الساعة على حمار لو قد سقط منه أعنته ثم قلت والله لئن كان نائما لأنغصن عليه نومه فدنوت منه فقلت أنائم أنت قال لا قلت فما أسكتك قال كنت أحدث نفسى قلت أفلا أحدثك ما كنت تحدث به نفسك قال هات فوالله ما أراك تكيس ولا تصيب قال قلت كنت تقول ليتني لم أقتل الحسين قال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن قتلت من قتلت قال وماذا قلت كنت تقول ليتني لم أكن بنيت البيضاء قال وماذا قلت تقول ليتني لم أكن استعملت الدهاقين قال وماذا قلت وتقول ليتني كنت أسخى مما كنت قال فقال والله ما نطقت بصواب ولا سكت عن خطإ أما الحسين فانه سار الىّ يريد قتلى فاخترت قتله على ان يقتلنى وأما البيضاء فانى اشتريتها من عبد الله بن عثمان الثقفى وأرسل يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها فإن بقيت فلأهلى وان هلكت لم آس عليها مما لم أعنف فيه وأما استعمال الدهاقين فان عبد الرحمن بن أبى بكرة وزاذان فرّوخ وقعا فىّ عند معاوية حتى ذكرا قشور الأرز فبلغا بخراج العراق مائة ألف ألف فخيرنى معاوية بين الضمان والعزل فكرهت العزل فكنت اذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج فتقدمت اليه أو أغرمت صدور قومه أو أغرمت عشيرته أضررت بهم وان تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية وأوفى بالامانة وأهون فى المطالبة منكم مع انى قد جعلتكم أمناء عليهم لئلا يظلموا أحدا وأما قولك فى السخاء فوالله ما كان لى مال فأجود به عليكم ولو شئت لأخذت بعض مالكم فخصصت به بعضكم دون بعض فيقولون ما أسخاه ولكنى عممتكم وكان عندى أنفع لكم وأما قولك ليتنى لم أكن قتلت من قتلت فما عملت بعد كلمة الإخلاص عملا هو أقرب الى الله عندى من قتلى من قتلت من الخوارج ولكنى سأخبرك بما حدثت به نفسى قلت ليتنى كنت قاتلت أهل

البصرة فانهم بايعونى طائعين غير مكرهين وايم الله لقد حرصت على ذلك ولكن بنى زياد أتونى فقالوا انك اذ قاتلتهم فظهر واعليك لم يبقوا منا أحداً وإن تركتهم يغيب الرجل منا عند اخواله وأصهاره فرفقت لهم فلم أقاتل وكنت أقول ليتنى كنت أخرجت أهل السجن فضربت أعناقهم فاما اذ فاتت هاتان فليتنى كنت أقدم الشأم ولم يبرموا أمرا قال بعضهم فقدم الشأم ولم يبرموا أمرا فكانما كانوا معه صبياناً وقال بعضهم قدم الشأم وقد أبرموا فنقض ما أبرموا الى رأيه ﴿وفي هذه السنة﴾ طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث وعزلوه عنهم واجتمعوا على عامر بن مسعود

﴿ذكر الخبر عن عزلهم عمرو بن حريث وتأميرهم عامراً﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ ذكر الهيثم بن عدى قال حدثنا ابن عياش قال كان أول من جمع له المصران الكوفة والبصرة زياد وابنه فقتلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفا وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف فلما هلك يزيد قام خطيبا فقال ان الذى كنا نقاتل عن طاعته قد مات فان أمرتمونى جبيت فيئكم وقاتلت عدوكم وبعث بذلك الى أهل الكوفة مقاتل بن مسمع وسعيد بن قرحا أحد بنى مازن وخليفته على الكوفة عمرو بن حريث فقاما بذلك فقام يزيد ابن الحارث بن رويم الشيبانى فقال الحمد لله الذى أراحنا من ابن سمية لا ولا كرامة فأمر به عمرو فلبب ومضى به الى السجن فحالت بكر بينهم وبينه فانطلق يزيد الى أهله خائفا فأرسل اليه محمد بن الأشعث انك على رأيك وتتابعت عليه الرسل بذلك وصعد عمرو المنبر فحصبوه فدخل داره واجتمع الناس فى المسجد فقالوا نؤمر رجلا الى أن يجتمع الناس على خليفة فاجمعوا على عمرو بن سعيد فجاءت نساء همدان يبكين حسينا ورجالهم متقلدو السيوف فأطافوا المنبر فقال محمد بن الاشعث جاء أمر غير ما كنا فيه وكانت كندة تقوم بأمر عمرو ابن سعيد لانهم أخواله فاجتمعوا على عامر بن مسعود وكتبوا بذلك الى ابن الزبير فأقره وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه لما بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد بعث وافدين من قبله الى الكوفة عمرو بن مسمع وسعد بن القرحا التميمى ليعلم أهل الكوفة ما صنع أهل البصرة ويسألانهم البيعة لعبيد الله بن زياد حتى يصطلح الناس فجمع الناس عمرو بن حريث فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذين الرجلين قد أتياكم من قبل أميركم يدعوانكم الى أمر يجمع الله به كلمتكم ويصلح به ذات بينكم فاسمعوا منهما واقبلوا عنهما فانهما برشد ما أتياكم فقام عمرو بن مسمع فحمد الله وأثنى عليه وذكر أهل البصرة واجتماع رأيهم على تأمير عبيد الله بن زياد حتى يرى الناس رأيهم فيمن يولون عليهم وقد جئناكم لنجمع أمرنا وأمركم فيكون أميرنا وأميركم واحداً فانما الكوفة من البصرة والبصرة من الكوفة وقام ابن القرحا فتكلم نحواً من كلام صاحبه قال فقام يزيد

ابن الحارث بن يزيد الشيبانى وهو ابن رويم فحصبهما أوّل الناس ثم حصبهما الناس بعد
ثم قال أنحن نبايع لابن مرجانة لاولا كرامة فشرّفت تلك الفعلة يزيد فى المصر ورفعته
ورجع الوفد الى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا أهل الكوفة يخلعونه وأنتم تولونه وتبايعونه
فوثب به الناس وقال ما كان فى ابن زياد وصمة الا استجارته بالأزد قال فلما نابذه الناس
استجار بمسعود بن عمرو الأزدى فأجاره ومنعه فمكث تسعين يوما بعد موت يزيد ثم خرج
الى الشأم وبعث الأزد وبكر بن وائل رجالا منهم معه حتى أوردوه الشأم فاستخلف حين توجه
الى الشأم مسعود بن عمرو على البصرة فقالت بنو تميم وقيس لا نرضى ولا نجيز ولا نولى إلا
رجلا ترضاه جماعتنا فقال مسعود فقد استخلفنى فلا أدع ذلك أبدا فخرج فى قومه حتى
انتهى الى القصر فدخله واجتمعت تميم الى الأحنف بن قيس فقالوا له ان الأزد قد دخلوا
المسجد قال ودخل المسجد فمه انما هو لكم ولهم وأنتم تدخلونه قالوا فانه قد دخل القصر
فصعد المنبر وكانت خوارج قد خرجوا فنزلوا بنهر الأساورة حين خرج عبيد الله بن زياد
الى الشأم فزعم الناس ان الأحنف بعث اليهم ان هذا الرجل الذى قد دخل القصر لنا ولكم
عدوّ فما يمنعكم من ان تبدؤا به فجاءت عصابة منهم حتى دخلوا المسجد ومسعود بن عمرو
على المنبر يبايع من أتاه فيرميه علج يقال له مسلم من أهل فارس دخل البصرة فأسلم ثم دخل
فى الخوارج فاصاب قلبه فقتله وخرج وجال الناس بعضهم فى بعض فقالوا قتل مسعود
ابن عمرو وقتلته الخوارج فخرجت الأزد الى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرّحوا وطردوهم
عن البصرة ودفنوا مسعودا فجاءهم الناس فقالوا لهم تعلمون ان بنى تميم يزعمون انهم قتلوا
مسعود بن عمرو فبعثت الأزد تسأل عن ذلك فاذا أناس منهم يقولونه فاجتمعت الأزد عند
ذلك فرأسوا عليهم زياد بن عمرو العتكى ثم ازدلفوا الى بنى تميم وخرجت مع بنى تميم قيس
وخرج مع الأزد مالك بن مسمع وبكر بن وائل فاقبلوا نحو بنى تميم وأقبلت تميم الى الأحنف
يقولون قد جاء القوم اخرج وهو متمكث اذ جاءته امرأة من قومه بمجمر فقالت يا أحنف
اجلس على هذا أى انما أنت امرأة فقال استك أحقّ بها فما سمع منه بعد كلمة كانت
ارفث منها وكان يعرف بالحلم ثم انه دعا برايته فقال اللهمّ انصرها ولا تذللها وإنّ نصرتها
ألا يظفر بها ولا يظهر عليها اللهمّ أحقن دماءنا وأصلح ذات بيننا ثم سار وسار ابن أخيه
اياس بن معاوية بين يديه فالتقى القوم فاقتتلوا أشدّ القتال فقتل من الفريقين قتلى كثيرة
فقالت لهم بنو تميم الله الله يامعشر الأزد فى دمائنا ودمائكم بيننا وبينكم القرآن ومن شئتم
من أهل الاسلام فإن كانت لكم علينا بينة أنا قتلنا صاحبكم فاختاروا أفضل رجل فينا
فاقتلوه بصاحبكم وان لم تكن لكم بينة فإنا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ولا نعلم لصاحبكم
قاتلا وان لم تريدوا ذلك فنحن ندى صاحبكم بمائة ألف درهم فاصطلحوا فاتاهم الأحنف بن

قيس فى وجوه مضر الى زياد بن عمر والعتكى فقال يا معشر الأزد أنتم جيرتنا فى الدار واخوتنا عند القتال وقد أتيناكم فى رحالكم لإطفاء حشيشتكم وسل سخيمتكم ولكم الحكم مرسلاً فقولوا على أحلامنا وأموالنا فانه لا يتعاظمنا ذهاب شئ من أموالنا كان فيه صلاح بيننا فقالوا أتدون صاحبنا عشر ديات قال هى لكم فانصرف الناس واصطلحوا فقال الهيثم بن الاسود

أعلى بمسعود الناعى فقلت له * نعم اليمانى تجرّ أعلى الناعى
أوفى ثمانين ما يستطيعه أحد * فتى دعاه لرأس العدة الداعى
أدّى ابن حرب وقد سدّت مذاهبه * فأوسع السرب منه أى ايساع
حتى توارت به أرض وعامرها * وكان ذا ناصرٍ فيها وأشياع

وقال عبد الله بن الحر

مازلت أرجو الأزد حتى رأيتها * تقصر عن بنيانها المتطاول
أيقتل مسعود ولم يثأروا به * وصارت سيوف الأزد مثل المناجل
وما خير عقل أورث الأزد ذلة * تسب به أحياؤهم فى المحافل
على أنهم شمط كأن لحاهم * ثعالب فى أعناقها كالجلاجل

واجتمع أهل البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميرا يصلى بهم حتى يجتمع الناس على امام فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهرا ثم جعلوا ببّة وهو عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب فصلى بهم شهرين ثم قدم عليهم عمر بن عبد الله بن معمر من قبل ابن الزبير فمكث شهرا ثم قدم الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومى بعزله فوليها الحارث وهو القباع ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما عمر بن شبّة فانه حدّثنى فى أمر عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كريز وأمر ببة ومسعود وقتله وأمر عمر بن عبد الله غير ما قال هشام عن عوانة والذى حدّثنى عمر بن شبّة فى ذلك انه قال حدّثنى علىّ بن محمد عن أبى مقرّن عبيد الله الدّهنىّ قال لما بايع الناس ببة ولى ببة شرطته هميان بن عدىّ وقدم على ببة بعض أهل المدينة وأمر هميان بن عدىّ بإنزاله قريبا منه فأتى هميان دارا للفيل مولى زياد التى فى بنى سليم وهم يتفريغها لينزلها اياه وقد كان هرب وأقفل أبوابه فمنعت بنو سليم هميان حتى قاتلوه واستصرخوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كريز فأرسل بخاريته ومواليه فى السلاح حتى طردوا هميان ومنعوه الدار وغدا عبد الملك من الغد الى دار الامارة ليسلم على ببة فلقيه على الباب رجل من بنى قيس بن ثعلبة فقال أنت المعين علينا بالأمس فرفع يده فلطمه فضرب قوم من البخارية يد القيسى فأطارها ويقال بل سلم القيسى وغضب ابن عامر فرجع وغضبت له مضر فاجتمعت وأتت بكر بن وائل أشيم بن شقيق بن ثور فاستصرخوه

فاقبل

فأقبل ومعه مالك بن مسمع حتى صعد المنبر فقال أىّ مضرىّ وجدتموه فاسلبوه وزعم بنو مسمع ان مالكا جاء يومئذ متفضلاً في غير سلاح ليردّ أشيم عن رأيه ثم انصرفت بكر وقد تحاجزوا هم والمضرية واغتنمت الأزد ذلك فحالفوا بكرا وأقبلوا مع مسعود الى المسجد الجامع وفزعت تميم الى الأحنف فعقد عمامته على قناة ودفعها الى سلمة بن ذؤيب الرياحىّ فأقبل بين يديه الأساورة حتى دخل المسجد ومسعود يخطب فاستنزلوه فقتلوه وزعمت الأزد أن الأزارقة قتلوه فكانت الفتنة وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام حتى رضيت الأزد من مسعود بعشر ديات ولزم عبد الله بن الحارث بيته وكان يتديّن وقال ما كنت لأصلح الناس بفساد نفسى قال عمر قال أبو الحسن فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير فكتب الى أنس بن مالك يأمره بالصلاة بالناس فصلى بهم أربعين يوما ﴿ حدثنى ﴾ عمر قال حدثنا علىّ بن محمد قال كتب ابن الزبير الى عمر بن عبيد الله ابن مَعْمَر التيمىّ بعهده على البصرة ووجه به اليه فوافقه وهو متوجه يريد العُمْرة فكتب الى عبيد الله يأمره أن يصلى بالناس فصلى بهم حتى قدم عمر ﴿ حدثنى ﴾ عمر قال حدثنى زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنى أبى قال سمعت محمد بن الزبير قال كان الناس اصطلحوا على عبد الله بن الحارث الهاشمىّ فولى أمرهم أربعة أشهر وخرج نافع بن الأزرق الى الأهواز فقال الناس لعبد الله ان الناس قد أكل بعضهم بعضا تؤخذ المرأة من الطريق فلا يمنعها أحد حتى تُفضح قال فتريدون ماذا قالوا تضع سيفك وتشدّ على الناس قال ما كنت لأصلحهم بفساد نفسى يا غلام ناولنى نعلىّ فانتعل ثم لحق بأهله وأمّر الناس عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمىّ قال أبى عن الصَّعْب بن زيدان الجارف وقع وعبد الله على البصرة فمات أمه في الجارف فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة اعلاج فحملوها الى حُفرتها وهو الأمير يومئذ ﴿ حدثنى ﴾ عمر قال حدّثنى علىّ بن محمد قال كان ببّة قد تناول في عمله على البصرة أربعين ألفا من بيت المال فاستودعها رجلاً فلما قدم عمر بن عبيد الله أميرا أخذ عبد الله بن الحارث فحبسه وعذب مولى له في ذلك المال حتى أغرمه اياه ﴿ حدثنى ﴾ عمر قال حدّثنى علىّ بن محمد عن القافلانىّ عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير قال قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل رأيتك زمان استُعملت علينا اصبْتَ من المال واتّقيت الدم فقال ان تبعة المال أهون من تبعة الدم

﴿ وفي هذه السنة ﴾ ولى أهل الكوفة عامر بن مسعود أمرهم فذكر هشام بن محمد الكلبىّ عن عوانة بن الحكم انهم لما ردّوا وافدَىْ أهل البصرة اجتمع أشراف أهل الكوفة فاصطلحوا على ان يصلى بهم عامر بن مسعود وهو عامر بن مسعود بن خلف القرشىّ وهو دُحْرُوجَةُ الجُعَل الذى يقول فيه عبد الله بن همام السَّلولىّ

أشدُدْ يدَيكَ بزَيدٍ إن ظَفِرتَ به * واشْفِ الأرامِلَ من دُحروجة الجُعَلِ

وكان قصيراً حتى يرى الناس رأيهم فمكث ثلاثة أشهر من مهلك يزيد بن معاوية ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الأنصارى ثم الخطمى على الصلاة وابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله على الخراج فاجتمع لابن الزبير أهلُ الكوفة وأهل البصرة ومَن بالقبلة من العرب وأهلُ الشأم وأهل الجزيرة إلا أهلَ الأردن ﴿وفى هذه السنة﴾ بويع لمروان بن الحكم بالخلافة بالشأم

﴿ ذكر السبب فى البيعة له ﴾

حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال لما بويع عبد الله ابن الزبير ولى المدينة عبيدة بن الزبير وعبد الرحمن بن جَحْدَم الفهرى مصرَ وأخرج بنى أمية ومروان بن الحكم الى الشأم وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين فلما قدم حصين ابن نمير ومَن معه الى الشأم أخبر مروان بما خلف عليه ابن الزبير وأنه دعاه الى البيعة فأبى فقال له ولبنى أمية نحن نراكم فى اختلاط شديد فأقيموا أمركم قبل أن يدخل عليكم شأمكم فتكون فتنة عمياء صمّاء فكان من رأى مروان ان يرحل فينطلق الى ابن الزبير فيبايعه فقدم عبيد الله بن زياد واجتمعت عنده بنو أمية وكان قد بلغ عبيد الله ما يريد مروان فقال له استحييت لك مما تريد أنت كبير قريش وسيّدها تصنع ما تصنعه فقال ما فات شئ بعدُ فقام معه بنو أمية ومواليهم وتجمّع اليه أهل اليمن فسار وهو يقول ما فات شئ بعد فقدم دمشق ومن معه والضحاك بن قيس الفهرى قد بايعه أهل دمشق على أن يصلى بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع أمر أمة محمد (وأما عوانة) فإنه قال فيما ذكر هشام عنه أن يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده وكان معاوية بن يزيد بن معاوية فيما بلغنى أمر بعد ولايته فنودى بالشأم الصلاة جامعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنى قد نظرت فى أمركم فضعفت عنه فابتغيت لكم رجلا مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فزع اليه أبو بكر فلم أجده فابتغيت لكم ستة فى الشورى مثل ستة عمر فلم أجدها فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم ثم دخل منزله ولم يخرج الى الناس وتغيّب حتى مات فقال بعض الناس دُسّ اليه فسُقى سمًّا وقال بعضهم طُعن ﴿رجع الحديث الى حديث عوانة﴾ ثم قدم عبيد الله بن زياد دمشق وعليها الضحاك بن قيس الفهرى فثار زفر بن عبد الله الكلابى بقنسّرين يبايع لعبد الله بن الزبير وبايع النعمان بن بشير الأنصارى بحمص لابن الزبير وكان حسّان بن مالك بن بَحْدَل الكلبى بفلسطين عاملاً لمعاوية بن أبى سفيان ثم ليزيد بن معاوية بعده وكان يهوى هوى بنى أمية وكان سيّدَ أهل فلسطين فدعا حسان بن مالك بن بحدل الكلبى رَوْح بن زِنباع الجُذامى فقال انى مستخلفك على فلسطين وأدخل

هذا الحيّ من لخم وجُذام ولست بدون رجل اذ كنت عينهم قاتلت بمن معك من قومك
وخرج حسان بن مالك الى الأردنّ واستخلف روح بن زنباع على فلسطين فثار ناتل بن
قيس بروح بن زنباع فأخرجه فاستولى على فلسطين وبايع لابن الزبير وقد كان عبد الله
ابن الزبير كتب الى عامله بالمدينة ان ينفي بني أمية من المدينة فنفوا بعيالاتهم ونسائهم الى
الشأم فقدمت بنو أمية دمشق وفيهام مروان بن الحكم فكان الناس فريقين حسان بن
مالك بالأردنّ يهوى هوى بني أمية ويدعو اليهم والضحاك بن قيس الفهري بدمشق يهوى
هوى عبد الله بن الزبير ويدعو اليه قال فقام حسّان بن مالك بالأردنّ فقال يا أهل الأردن
ماشهادتكم على ابن الزبير وعلى قتلى أهل الحرّة قالوا نشهد ان ابن الزبير منافق وان قتلى
أهل الحرّة في النار قال فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد ان يزيد
على الحق وان قتلانا في الجنة قال وأنا أشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حيّ حقا يومئذ
انه اليومَ وشيعته على حق وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل انه اليومَ على باطل
وشيعته قالوا له قد صدقت نحن نبايعك على ان نُقاتل من خالفك من الناس وأطاع ابنَ
الزبير على ان تجتنبنا هذين الغلامين فإنا نكره ذلك يعنون ابنَيْ يزيد بن معاوية عبد الله
وخالدا فانهما حديثةٌ اسنانهما ونحن نكره ان يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبيّ وقد كان
الضحاك بن قيس بدمشق يهوى هوى ابن الزبير وكان يمنعه من اظهار ذلك ان بني أمية
كانوا بحضرته وكان يعمل في ذلك سرًّا فبلغ ذلك حسّان بن مالك بن بحدل فكتب الى الضحاك
كتابًا يعظم فيه حق بني أمية ويذكر الطاعة والجماعة وحُسن بلاء بني أمية عنده وصنيعهم
اليه ويدعوه الى طاعتهم ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ويذكر انه منافق قد خلع
خليفتين وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ودعا رجلاً من كلب يُدعى ناغضة فسرّح
بالكتاب معه الى الضحاك بن قيس وكتب حسّان بن مالك نسخة ذلك الكتاب ودفعه الى
ناغضة وقال ان قرأ الضحاك كتابي على الناس والا فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس
وكتب حسّان الى بني أميّة يأمرهم ان يحضروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضحاك
فدفعه اليه ودفع كتاب بني أميّة اليهم فلما كان يومَ الجمعة صعد الضحاك المنبر فقام اليه ناغضة
فقال أصلح الله الأمير ادعُ بكتاب حسّان فاقرأه على الناس فقال له الضحاك اجلس
فجلس ثم قام اليه الثانيةَ فقال له اجلس ثم قام اليه الثالثة فقال له اجلس فلما رآه ناغضة لا يفعل
اخرج الكتاب الذي معه فقرأه على الناس فقام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فصدق حسّانا
وكذّب ابن الزبير وشتمه وقام يزيد بن أبي النمس الغسّانيّ فصدّق مقالة حسان وكتابه وشتم
ابن الزبير وقام سفيان بن الأبرد الكلبيّ فصدّق مقالة حسان وكتابه وشتم ابن الزبير وقام
عمرو بن يزيد الحكميّ فشتم حسانا وأثنى على ابن الزبير واضطرب الناس تبعًا لهم ثم أمر

الضحاك بالوليد بن عتبة و يزيد بن أبي النمس وسفيان بن الأبرد الذين كانوا صدّقوا مقالة حسان وشتموا ابن الزبير فحبسوا وجال الناس بعضهم فى بعض ووثبت كلب على عمرو بن يزيد الحكمىّ فضربوه وحرّقوه بالنار وخرّقوا ثيابه وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرقاتين من المنبر وهو يومئذ غلام والضحاك بن قيس على المنبر فتكلم خالد بن يزيد بكلام أوجز فيه لم يُسمع مثله وسكن الناس ونزل الضحاك فصلى بالناس الجمعة ثم دخل فجاءت كلب فأخرجوا سفيان بن الأبرد وجاءت غسّان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس فقال الوليد بن عتبة لو كنتُ من كلب أو غسان أخرجتُ قال فجاء ابنا يزيد بن معاوية خالد وعبد الله معهما اخوالهما من كلب فأخرجوه من السجن فكان ذلك اليوم يسمّيه أهل الشام يومَ جَيْرون الأول وأقام الناس بدمشق وخرج الضحاك الى مسجد دمشق فجلس فيه فذكر يزيد بن معاوية فوقع فيه فقام اليه شابٌ من كلب بعصا معه فضربه بها والناس جلوسٌ فى الحلق متقلدى السيوف فقام بعضهم الى بعض في المسجد فاقتتلوا قيس تدعو الى ابن الزبير ونصرة الضحاك وكلب تدعو الى بنى أميّة ثم الى خالد بن يزيد و يتعصّبون ليزيد ودخل الضحاك دار الإمارة وأصبح الناس فلم يخرج الى صلاة الفجر وكان من الأجناد ناسٌ يهوون هوى بنى أمية وناس يهوون هوى ابن الزبير فبعث الضحاك الى بنى أمية فدخلوا عليه من الغد فاعتذر اليهم وذكر حسن بلائهم عنده واليه وعنده وأنه ليس يريد شيأ يكرهونه قال فتكتبون الى حسان ونكتب فيسير من الأردنّ حتى ينزل الجابية ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بها فنبايع لرجل منكم فرضيَت بذلك بنو أمية وكتبوا الى حسان وكتب اليه الضحاك وخرج الناس وخرجت بنو أمية واستقبلت الرايات وتوجهوا يريدون الجابية فجاء ثور بن معن بن يزيد بن الأخنس السُلمىّ الى الضحاك فقال دعوتنا الى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك وأنت تسير الى هذا الأعرابىّ من كلب تستخلف ابن أخيه خالد ابن يزيد فقال له الضحاك فما الرأى قال الرأىُ ان نُظهر ما كنا نُسرّ وندعو الى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها فمال الضحاك بمن معه من الناس فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمَرْج راهط واختُلف في الوقعة التى كانت بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم فقال محمد بن عمر الواقدى بويع مروان بن الحكم فى المحرّم سنة ٦٥ وكان مروان بالشأم لا يُحدّث نفسه بهذا الأمر حتى أطمعه فيه عبيد الله ابن زياد حين قدم عليه من العراق فقال له أنت كبير قريش ورئيسها يلى عليك الضحاك بن قيس فذلك حين كان ما كان فخرج الى الضحاك فى جيشٍ فقتلهم مروان والضحاك يومئذ في طاعة ابن الزبير وقُتلت قيس بمرج راهط مقتلة لم يُقتل مثلها فى موطنٍ قط قال محمد ابن عمر حدّثنى ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة قال قتل الضحاك يوم مرج راهط على انه يدعو الى عبد الله بن الزبير وكُتب به الى عبد الله لنا وذكر من طاعته عنه وحسن رأيه

وقال

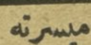
وقال غير واحد كانت الوقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان في سنة ٦٤ وقد حدثت عن ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدثني موسى بن يعقوب عن بني الحويرث قال قال أهل الأردن وغيرهم لمروان أنت شيخ كبير وابن يزيد غلام وابن الزبير كهل وانما يقرع الحديد بعضه ببعض فلا تباره بهذا الغلام وارم بنحرك في نحره ونحن نبايعك ابسط يدك فبسطها فبايعوه بالجابية يوم الاربعاء لثلاث خلون من ذي القعدة سنة ٦٤ قال محمد بن عمر وحدثني مصعب بن ثابت عن عامر بن عبد الله ان الضحاك لما بلغه ان مروان قد بايعه من بايعه على الخلافة بايع من معه لابن الزبير ثم سار كل واحد منهما الى صاحبه فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل الضحاك وأصحابه قال محمد بن عمر وحدثني ابن أبي الزناد عن أبيه قال لما ولي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك كان فتى شابا فقال ان الضحاك بن قيس قد كان دعا قيسا وغيرها الى البيعة لنفسه فبايعهم يومئذ على الخلافة فقال له زفر بن عقيل الفهري هذا الذي كنا نعرف ونسمع وإن بني الزبير يقولون انما كان بايع لعبد الله بن الزبير وخرج في طاعته حتى قتل الباطل والله يقولون كان أول ذاك ان قريشا دعته اليها فأبى عليها حتى دخل فيها كارها

﴿ ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم وتمام الخبر عن الكائن من جليل الاخبار والاحداث في سنة ٦٤ ﴾

﴿ قال أبو جعفر ﴾ حدثنا نوح بن حبيب قال حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم الكلبي قال مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسان ابن مالك فعطفهم ثم أقبل يسير حتى نزل بمرج راهط وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بني أمية وبايعه على ذلك جل أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم قال وسارت بنو أمية ومن تبعهم حتى وافوا حسان بالجابية فصلى بهم حسان أربعين يوما والناس يتشاورون وكتب الضحاك الى النعمان بن بشير وهو على حمص والى زفر بن الحارث وهو على قنسرين والى ناتل بن قيس وهو على فلسطين يستمدهم وكانوا على طاعة ابن الزبير فأمده النعمان بشرحبيل بن ذي الكلاع وأمده زفر بأهل قنسرين وأمده ناتل بأهل فلسطين فاجتمعت الاجناد الى الضحاك بالمرج وكان الناس بالجابية لهم اهواء مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني فكان يهوى هوى بني يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فيهم وأما الحصين بن نمير السكوني فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير هلم فلنبايع لهذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه وهو ابن أختنا فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه فانه يحملنا على رقاب العرب غدا يعني خالد بن يزيد فقال الحصين لا لعمر الله لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبي فقال مالك هذا ولم ترد تهامة ولما يبلغ الحزام

الطُّبَيْنِ فقالوا مهـلاً يا أبا سليمان فقال له مالك والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدُنَّكَ على سوطك وشراك نعلك وظلّ شجرةٍ تستظل بها ان مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة وعمّ عشيرة فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ولكن عليكم بابن أختكم خالد فقال حصين انى رأيت في المنام قنديلاً معلقاً من السماء وان من يمدّ عنقه الى الخلافة تناوله فلم ينله وتناوله مروان فناله والله لنستخلفنه فقال له مالك ويحك يا حصين أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلم انهم أهل بيت من قيس فلما اجتمع رأيهم للبيعة لمروان ابن الحكم قام روح بن زنباع الجذامىّ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انكم تذكرون عبد الله بن عمر بن الخطاب وصُحبته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمه في الإسلام وهو كما تذكرون ولكن ابن عمر رجل ضعيفٌ وليس بصاحب أمة محمد الضعيفُ وأما ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدّعون اليه من أمره فهو والله كما يذكرون بأنه لابن الزبير حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أسماء ابنة أبى بكر الصدّيق ذات النطاقين وهو بعد كما تذكرون في قدمه وفضله ولكن ابن الزبير منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية ابن يزيد وسفك الدماء وشق عصا المسلمين وليس صاحب أمر أمة محمد صلى الله عليه المنافقُ وأما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الاسلام صَدْعٌ قط الا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذى قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار والذى قاتل علىّ بن أبى طالب يوم الجمل وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبّوا الصغير يعنى بالكبير مروان بن الحكم وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية قال فأجمع رأى الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد على ان امارة دمشق لعمرو بن سعيد بن العاص وامارة حمص لخالد بن يزيد بن معاوية قال فدعا حسّان بن مالك ابن بحدل خالد بن يزيد فقال أَبُنَىّ أختى ان الناس قد أبوك لحداثة سنّك وانى والله ما أريد هذا الامر الا لك ولاهل بيتك وما أبايع مروان الا نظراً لكم فقال له خالد بن يزيد بل عُجِزت عنا قال لا والله ما عجزت عنك ولكن الرأى لك ما رأيتُ ثم دعا حسان بمروان فقال يا مروان ان الناس والله ما كلهم يرضى بك فقال له مروان ان يرد الله أن يعطنيها لا يمنعنى اياها أحدٌ من خلقه وان يرد أن يمنعنيها لا يُعطنيها أحدٌ من خلقه قال فقال له حسان صدقتَ وصعد حسان المنبر يوم الاثنين فقال يأيها الناس انّا نستخلف يوم الخميس ان شاء الله فلما كان يوم الخميس بايع لمروان وبايع الناس له وسار مروان الى الجابية في الناس حتى نزل مرج راهط على الضحاك في أهل الاردنّ من كلب وأتته السكاسك والسكون وغسان وربع حسان بن مالك بن بحدل الى الاردن قال وعلى ميمنته أعنى مروان عمرو بن سعيد بن العاص وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العقيلىّ وعلى





ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمه وكان يزيد بن أبى النمس الغسانى لم يشهد الجابية وكان مختبئاً بدمشق فلما نزل مروان مرج راهط ثار يزيد بن أبى نمس بأهل دمشق فى عبيدها فغلب عليها وأخرج عامل الضحاك منها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمده بالأموال والرجال والسلاح فكان أول فتح فُتح على بنى أمية قال وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلة ثم هزم أهل المرج وقتلوا وقتل الضحاك وقُتل يومئذ من أشراف الناس من أهل الشأم ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلاً كلهم كان يأخذ القطيفة والذى كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين فى العطاء وقتل أهل الشأم يومئذ مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط من القبائل كلها وقتل مع الضحاك يومئذ رجل من كلب من بنى عُليم يقال له مالك بن يزيد ابن مالك بن كعب وقتل يومئذ صاحب لواء قضاعة حيث دخلت قضاعة الشأم وهو جد مُدلج بن المقدام بن زمل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجرشى وقتل ثور بن معن بن يزيد السلمى وهو الذى كان رد الضحاك عن رأيه قال وجاء برأس الضحاك رجل من كلب وذكروا ان مروان حين أتى برأسه ساءه ذلك وقال الآن حين كبرت سنى ودق عظمى وصرت فى مثل ظِمْء الحمار أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض قال وذكروا انه مر يومئذ برجل قتيل فقال

وَمَا ضَرَّهُمْ غيرَ حَيْنِ النُّفو * سِ أىُّ أَمِيرَىْ قُرَيْشٍ غَلَبْ

وقال مروان حين بويع له ودعا الى نفسه

لما رأيتُ الأمرَ أمراً نَهبا * يَسَّرْتُ غَسَّانَ لهم وكلبا

والسَّكسَكيِّينَ رجالاً غلبا * وَطَيِّئاً تأباهُ إلا ضَرْبا

والقَيْنَ تَمْشى فى الحديد نُكَّبا * ومن تنوخ مُشْمَخِرًّا صعبا

لا يأخذونَ الملكَ إلا غصبا * وإن دَنَتْ قيسٌ فقلْ لا قربا

(قال هشام بن محمد) حدثنى أبو مخنف لوط بن يحيى قال حدثنى رجل من بنى عبدود من أهل الشأم قال حدثنى مَن شهد مقتلَ الضحاك بن قيس قال مر بنا رجل من كلب يقال له زُحنة بن عبد الله كأنما يرمى بالرجال الجِدَاء ما يطعن رجلاً إلا صرعه ولا يضرب رجلاً الا قتله فجعلت أنظر اليه أتعجب من فعله ومن قتله الرجال اذ حمل عليه رجل فصرعه زحنة وتركه فأتيته فنظرت الى المقتول فاذا هو الضحاك بن قيس فأخذت رأسه فأتيت به الى مروان فقال أنت قتلته فقلت لا ولكن قتله زحنة بن عبد الله الكلبى فأعجبه صدقى اياه وتركى ادعاءه فأمر لى بمعروف وأحسن الى زحنة (قال أبو مخنف) وحدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن حبيب بن كرة قال والله ان راية مروان يومئذ لمعى وانه ليدفع بنعل سيفه فى ظهرى وقال اذن برايتك لا أبالك ان هؤلاء لو قد وجدوا لهم حد السيوف انفرجوا

انفراجَ الرأس وانفراج الغنم عن راعيها قال وكان مروان فى ستة آلاف وكان على خيله عبيد الله بن زياد وكان على الرجال مالك بن هبيرة قال عبد الملك بن نوفل وذكروا ان بشر بن مروان كانت معه يومئذ راية يقاتل بها وهو يقول

إنّ على الرئيسِ حقًّا حقًّا * أن يخضبَ الصَّعْدَةَ أو تَنْدقَّا

قال وصُرِع يومئذ عبد العزيز بن مروان قال ومرّ مروان يومئذ برجل من محارِب وهو فى نفرٍ يَسيرٍ تحت راية يقاتل عن مروان فقال مروان يرحمك الله لوانك انضممت بأصحابك فإنى أراكَ فى قِلة فقال ان معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مَددًا أضعاف مَن تأمرنا ننضم اليه قال فسُرَّ بذلك مروان وضحك وضمّ أناسًا اليه ممن كان حوله قال وخرج الناس منهزمين من المرج الى أجنادهم فانتهى أهل حمص الى حمص والنعمان بن بشير عليها فلما بلغ النعمان الخبر خرج هاربا ليلا ومعه امرأته نائلة بنت عُمارة الكلبية ومعه ثِقله وولده فتحير ليلتَه كلها وأصبح أهل حمص فطلبوه وكان الذى طلبه رجلٌ من الكلاعيين يقال له عمرو بن الخلىّ فقتله وأقبل برأس النعمان بن بشير وبنائلة امرأته وولدها فألقى الرأس فى حجر أمّ أبان ابنة النعمان التى كانت تحت الحجاج بن يوسف بعد قال فقالت نائلة القُوا الرأس الىّ فأنا أحق به منها فألقى الرأس فى حجرها ثم أقبلوا بهم وبالرأس حتى انتهوا بهم الى حمص فجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها قال وخرج زُفَر بن الحارث من قِنَّسْرين هاربًا فلحق بقرْقيسِيَا فلما انتهى اليها وعليها عياضٌ الجرشىّ وهو ابن أسلم بن كعب بن مالك بن لغز بن أسود بن كعب بن حدس بن أسلم وكان يزيد بن معاوية ولاه قرقيسيا فحال عياضٌ بين زُفر وبين دخول قرقيسيا فقال له زفر أوثق لك بالطلاق والعتاق اذا أنا دخلت حمامها ان أخرج منها فلما انتهى اليها ودخلها لم يدخل حمامها وأقام بها وأخرج عياضا منها وتحصن زفر بها وثاب اليه قيسٌ قال وخرج ناتل بن قيس الجُذامىّ صاحب فلسطين هاربا فلحق بابن الزبير بمكة وأطبق أهل الشأم على مروان واستوثقوا له واستعمل عليها عماله (قال أبو مخنف) حدثنى رجل من بنى عبد وُدّ من أهل الشأم يعنى الشرقىّ قال وخرج مروان حتى أتى مصر بعد ما اجتمع له أمر الشأم فقدم مصر وعليها عبد الرحمن بن جَحْدَم القرشىّ يدعو الى ابن الزبير فخرج اليه فيمن معه من بنى فهر وبعث مروان عمرو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصر وقام على منبرها يخطب الناس وقيل لهم قد دخل عمرو مصر فرجعوا وأمر الناس مروان وبايعوه ثم أقبل راجعا نحو دمشق حتى اذا دنا منها بلغه ان ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزبير نحو فلسطين فسرح اليه مروان عمرو بن سعيد بن العاص فى جيش واستقبله قبل ان يدخل الشأم فقاتله فهزم أصحاب مصعب وكان معه رجلٌ من بنى عذرة يقال



له

له محمد بن حريث بن سليم وهو خال بنى الأشدق فقال والله ما رأيت مثل مصعب بن الزبير رجلا قط أشدّ قتالاً فارساً وراجلاً ولقد رأيته فى الطريق يترجل فيطّرد بأصحابه ويشدّ على رجليه حتى رأيتهما قد دميتا قال وانصرف مروان حتى استقرّت به دمشق ورجع اليه عمرو بن سعيد قال ويقال انه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق فنزل الشأم أصاب بنى أمية بتدمر قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ومن الحجاز كله فنزلوا بتدمر وأصابوا الضحاك بن قيس أميرًا على الشأم لعبد الله بن الزبير فقدم ابن زياد حين قدم ومروان يريد ان يركب الى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة فيأخذ منه الأمان لبنى أمية فقال له ابن زياد أنشدك الله ان تفعل ليس هذا برأى ان تنطلق وأنت شيخ قريش الى أبى خبيب بالخلافة ولكن ادع أهل تدمر فبايعهم ثم سر بهم وبمن معك من بنى أمية الى الضحاك بن قيس حتى تخرجه من الشأم فقال عمرو بن سعيد بن العاص صدق والله عبيد الله بن زياد ثم أنت سيد قريش وفرعها وأنت أحق الناس بالقيام بهذا الأمر انما ينظر الناس الى هذا الغلام يعنى خالد بن يزيد بن معاوية فتزوج أمه فيكون فى حجرك قال ففعل مروان ذلك فتزوج أم خالد بن يزيد وهى فاختة ابنة أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ثم جمع بنى أمية فبايعوه بالامارة عليهم وبايعه أهل تدمر ثم سار فى جمع عظيم الى الضحاك بن قيس وهو يومئذ بدمشق فلما بلغ الضحاك ما صنع بنو أمية ومسيرهم اليه خرج بمن تبعه من أهل دمشق وغيرهم فيهم زفر بن الحارث فالتقوا بمرج راهط فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الضحاك بن قيس الفهرى وعامة أصحابه وانهزم بقيتهم فتفرقوا وأخذ زفر بن الحارث وجها من تلك الوجوه هو وشابان من بنى سليم فجاءت خيل مروان تطلبهم فلما خاف السلميان ان تلحقهم خيل مروان قالا لزفر ياهذا انج بنفسك فأما نحن فمقتولان فمضى زفر وتركهما حتى أتى قرقيسيا فاجتمعت اليه قيس فرأسوه عليهم فذلك حيث يقول زفر بن الحارث

أرينى سلاحى لا أبالك إننى * أرى الحرب لاتزدادُ إلا تماديا
أتانى عن مروان بالغيب أنه * مقيدٌ دمى أو قاطعٌ من لسانيا
ففى العيس منجاةٌ وفى الأرض مهربٌ * إذا نحن رفّعنا لهنّ المثانيا
فلا تحسبونى إن تغيّبتُ غافلاً * ولا تفرحوا إن جئتكم بلقائيا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا
أتذهب كلبٌ لم تنلها رماحنا * وتُترك قتلى راهطٍ هى ماهيا
لعمرى لقد أبقت وقيعةُ راهطٍ * لحسّان صدعاً بيّناً متنائيا
أبعد ابن عمرٍو وابن معنٍ تتابعاً * ومقتل همّامٍ أمنّى الأمانيا

فلم تر منى نبوة قبل هذه * فرارى وتركى صاحبىّ ورائيا
عشية أعدوا بالقران فلا أرى * من الناس إلا من على ولا ليا
أيذهب يوم واحد إن أسأته * بصالح أيامى وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا * وتثأر من نسوان كلب نسائيا
ألا ليت شعرى هل تصيبن غارتى * تنوخا وحيّ طيء من شفائيا

فأجابه جوّاس بن قعطل

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط * على زفر داء من الدّاء باقيا
مقيما ثوى بين الضلوع محله * وبين الحشا أعيا الطبيب المداويا
تبكّى على قتلى سليم وعامر * وذبيان معذورا وتبكى البواكيا
دعا بسلاح ثم أحجم إذ رأى * سيوف جناب والطوال المذاكيا
عليها كأسد الغاب فتيان نجدة * اذا شرعوا نحو الطعان العواليا

فأجابه عمرو بن المخلاة الكلبى من تيم اللات بن رفيدة فقال

بكى زفر القيسى من هلك قومه * بعبرة عين ما يجف سجومها
يبكى على قتلى أصيبت براهط * تجاوبه هام القفار وبومها
أبحنا حمى للحى قيس براهط * وولت شلالا واستبيح حريمها
يبكيهم حرّان تجرى دموعه * يرجى نزارا أن تؤوب حلومها
فت كمدا أو عش ذليلا مهضما * بحسرة نفس لا تنام همومها
إذا خطرت حولى قضاعة بالقنا * تخبط فعل المصعبات قرومها
خبطت بهم من كادنى من قبيلة * فمن ذا إذا عز الخطوب يرومها

وقال زفر بن الحارث أيضا

أفى الله أما بحدل وابن بحدل * فيحيى وأما ابن الزبير فيقتل
كذبتم وبيت الله لا تقتلونه * ولما يكن يوم أغر محجل
ولما يكن للمشرفية فوقكم * شعاع كقرن الشمس حين ترجل

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم فقال

أتذهب كلب قد حمتها رماحها * وتترك قتلى راهط ما أجنت
لحا الله قيسا قيس عيلان انها * أضاعت ثغور المسلمين وولت
فباه بقيس فى الرخاء ولا تكن * أخاها اذا ما المشرفية سلت

﴿قال أبو جعفر﴾ ولما بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم وعصا مالك بن هبيرة فيما أشار به عليه من بيعة خالد بن يزيد بن معاوية واستقر لمروان بن الحكم الملك وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن ينزل البلقاء من كان بالشأم من كندة وأن يجعلها لهم مأكلة فأعطاه ذلك وان بنى الحكم لما استوثق الامر لمروان وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية شروطا قال مروان ذات يوم وهو جالس في مجلسه ومالك بن هبيرة جالس عنده ان قوما يدعون شروطا منهم عطارة مكحلة يعني مالك بن هبيرة وكان رجلا يتطيب ويكتحل فقال مالك بن هبيرة هذا ولما تردى تهامة ولما يبلغ الحزام الطبيين فقال مروان مهلا يا أبا سليمان انما داعبناك فقال مالك هو ذاك وقال عويج الطائى يمتدح كلبا وحميد بن بحدل

لقد علم الاقوام وقع ابن بحدل * وأخرى عليهم ان بقى سيعيدها
يقودون أولاد الوجيه ولاحق * من الريف شهرا ما يني من يقودها
فهذا لهذا ثم انى لنافض * على الناس أقوالا كثيرا جدودها
فلولا أمير المؤمنين لاصبحت * قضاعة أربابا وقيس عبيدها

﴿وفي هذه السنة﴾ بايع جند خراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة ﴿وفيها﴾ كانت فتنة عبد الله بن خازم بخراسان

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا على بن محمد قال أخبرنا مسلمة بن محارب قال بعث سلم بن زياد بما أصاب من هدايا سمرقند وخوارزم الى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم وأقام سلم واليا على خراسان حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد فبلغ سلما موته وأتاه مقتل يزيد بن زياد في سجستان وأسر أبى عبيدة بن زياد وكتم الخبر سلم فقال ابن عرادة

يا أيها الملك المغلق بابه * حدثت أمور شأنهن عظيم
قتلى بجنزة والذين بكابل * ويزيد أعلن شأنه المكتوم
أبنى أمية ان آخر ملككم * جسد بحوارين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده * كوب وزق راعف مرثوم
ومرنة تبكى على نشوانه * بالصنج تقعد تارة وتقوم

(قال مسلمة) فلما ظهر شعر ابن عرادة أظهر سلم موت يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ودعا الناس الى البيعة على الرضا حتى يستقيم أمر الناس على خليفة فبايعوه ثم مكثوا بذلك شهرين ثم نكثوا به * قال على بن محمد وحدثنا شيخ من أهل خراسان قال لم يحب أهل خراسان أميرا قط حبهم سلم بن زياد فسمى في تلك السنين التى كان بها سلم أكثر من عشرين

ألف مولود بسلم من حبهم سلماً قال وأخبرنا حفص الازدى عن عمه قال لما اختلف الناس بخراسان ونكثوا بيعة سلم خرج سلم عن خراسان وخلف عليها المهلب بن أبى صفرة فلما كان بسرخس لقيه سليمان بن مرثد أحد بنى قيس بن ثعلبة فقال له من خلفت على خراسان قال المهلب فقال ضاقت عليك نزار حتى وليت رجلا من أهل اليمن فولاه مروالروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى أوس بن ثعلبة بن زفر وهو صاحب قصر أوس بالبصرة هراة ومضى فلما سار بنيسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال من وليت خراسان فأخبره فقال أما وجدت فى مضر رجلا تستعمله حتى فرقت خراسان بين بكر بن وائل ومزون عمان وقال له اكتب لى عهدا على خراسان قال أوالى خراسان أنا قال اكتب لى عهدا وخلاك ذم قال فكتب له عهدا على خراسان قال فأعنى الآن بمائة ألف درهم فأمر له بها وأقبل الى مرو وبلغ الخبر المهلب بن أبى صفرة فأقبل واستخلف رجلا من بنى جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم قال وأخبرنا المفضل بن محمد الضبى عن أبيه قال لما صار عبد الله ابن خازم الى مرو بعهد سلم بن زياد منعه الجشمى فكانت بينهما مناوشة فأصابت الجشمى رمية بحجر فى جبهته وتحاجز وا وخلى الجشمى بين مرو الروذ وبينه فدخلها ابن خازم ومات الجشمى بعد ذلك بيومين * قال على بن محمد المدائنى حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجانى عن أبيه قال لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وثب أهل خراسان بعمالهم فأخرجوهم وغلب كل قوم على ناحية ووقعت الفتنة وغلب ابن خازم على خراسان ووقعت الحرب ﴿قال أبو جعفر﴾ وأخبرنا أبو الذيال زهير بن هنيد عن أبى نعامة قال أقبل عبد الله بن خازم فغلب على مرو ثم سار الى سليمان بن مرثد فلقيه بمرو الروذ فقاتله أياما فقتل سليمان بن مرثد ثم سار عبد الله بن خازم الى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فى سبعمائة وبلغ عمرا اقبال عبد الله اليه وقتله أخاه سليمان فأقبل اليه فالتقوا على نهر قبل أن يتوافى الى ابن خازم أصحابه فأمر عبد الله من كان معه فنزلوا فنزل وسأل عن زهير بن ذؤيب العدوى فقالوا لم يجئ حتى أقبل وهو على حاله فلما أقبل قيل له هذا زهير قد جاء فقال له عبد الله تقدم فالتقوا فاقتتلوا طويلا فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة ورجع عبد الله بن خازم الى مرو * قال وكان الذى ولى قتل عمرو بن مرثد زهير بن حيان العدوى فيما يرون فقال الشاعر

أتذهب أيام الحروب ولم تبئ * زهير بن حيان بعمرو بن مرثد

قال وحدثنا أبو السرى الخراسانى وكان من أهل هراة قال قتل عبد الله بن خازم سليمان وعمرا ابنى مرثد المرثديين من بنى قيس بن ثعلبة ثم رجع الى مرو وهرب من كان بمرو الروذ من بكر بن وائل الى هراة وانضم اليها من كان بكور خراسان من بكر بن وائل فكان لهم بها جمع

كثير عليهم أوس بن ثعلبة قال فقالوا له نبايعك على أن تسير الى ابن خازم وتخرج مضر من
خراسان كلها فقال لهم هذا بغى وأهل البغى مخذولون أقيموا مكانكم هذا فان تركم ابن خازم
وما أراه يفعل فارضوا بهذه الناحية وخلوه وما هو فيه فقال بنو صهيب وهم موالى بنى جحدر
لا والله لا نرضى أن نكون نحن ومضر فى بلد وقد قتلوا ابنى مرثد فان أجبتنا الى هذا
والا أمرنا علينا غيرك قال انما أنا رجل منكم فاصنعوا ما بدا لكم فبايعوه وسار اليهم ابن خازم
واستخلف ابنه موسى وأقبل حتى نزل على واد بين عسكره وبين هراة قال فقال البكريون
لأوس اخرج فخندق خندقا دون المدينة فقاتلهم فيه وتكون المدينة من ورائنا فقال لهم
أوس الزموا المدينة فانها حصينة وخلوا ابن خازم ومنزله الذى هو فيه فانه ان طال مقامه ضجر
فأعطاكم ما ترضون به فان اضطررتم الى القتال قاتلتم فأبوا وخرجوا من المدينة فخندقوا
خندقا دونها فقاتلهم ابن خازم نحوا من سنة * قال وزعم الاحنف بن الاشهب الضبى وأخبرنا
أبو الذيال زهير بن الهنيد سار ابن خازم الى هراة وفيها جمع كثير لبكر بن وائل قد خندقوا
عليهم وتعاقدوا على اخراج مضر ان ظفروا بخراسان فنزل بهم ابن خازم فقال له هلال الضبى
أحد بنى ذهل ثم أحد بنى أوس انما تقاتل اخوتك من بنى أبيك والله ان نلت منهم ما تريد
ما فى العيش بعدهم من خير وقد قتلت بمرو الروذ منهم من قتلت فلو أعطيتهم شيأ يرضون به
وأصلحت هذا الامر قال والله لو خرجت لهم عن خراسان ما رضوا به ولو استطاعوا أن
يخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم قال لا والله لا أرمى معك بسهم ولا رجل يطيعنى من
خندف حتى تعذر اليهم قال فانت رسولى اليهم فأرضهم فأتى هلال الى أوس بن ثعلبة فناشده
الله والقرابة وقال أذكرك الله فى نزار أن تسفك دماءها وتضرب بعضها ببعض قال لقيت
بنى صهيب قال لا والله قال فالقهم فخرج فلقى أرقم بن مطرف الحنفى وضمضم بن يزيد
أو عبد الله بن ضمضم بن يزيد وعاصم بن الصلت بن الحريث الحنفيين وجماعة من بكر
ابن وائل وكلمهم بمثل ما كلم به أوسا فقالوا هل لقيت بنى صهيب فقال لقد عظم الله أمر بنى
صهيب عندكم لا ألم لقهم قالوا القهم فأتى بنى صهيب فكلمهم فقالوا لولا انك رسول لقتلناك
قال أفما يرضيكم شئ قالوا واحدة من اثنتين إما أن تخرجوا عن خراسان ولا يدعو فيها لمضر
داع وإما أن تقيموا وتنزلوا لنا عن كل كراع وسلاح وذهب وفضة قال أفما شئ غيرهاتين
قالوا لا قال حسبنا الله ونعم الوكيل فرجع الى ابن خازم فقال ما عندك قال وجدت اخوتنا قطعا
للرحم قال قد أخبرتك ان ربيعة لم تزل غضابا على ربها منذ بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم
من مضر ﴿قال أبو جعفر﴾ وأخبرنا سليمان بن مجالد الضبى قال أغارت الترك على قصر
اسفاد وابن خازم بهراة فحصروا أهله وفيه ناس من الازد هم أكثر من فيه فهزمتهم فبعثوا الى
من حولهم من الازد فجاؤا لينصروهم فهزمتهم الترك فارسلوا الى ابن خازم فوجه اليهم

زهير بن حيان في بني تميم وقال له اياك ومُشاولة الترك اذا رأيتموهم فاحملوا عليهم فأقبل فوافاهم في يوم باردٍ قال فلما التقوا شدوا عليهم فلم يثبتوا لهم وانهزمت الترك واتبعوهم حتى مضى عامّةُ الليل حتى انتهوا الى قصر في المفازة فأقامت الجماعة ومضى زهير في فوارس يتبعهم وكان عالماً بالطريق ثم رجع في نصف من الليل وقد يَبِسَتْ يدُهُ على رُمحه من البرد فدعا غلاما له كعبا فخرج اليه فأدخله وجعل يُسخن له الشحم فيضعه على يده ودهنوه وأوقدوا له نارا حتى لان ودفئ ثم رجع الى هراة فقال في ذلك كعب بن معدان الاشقرىّ

أتاك أتاك الغوثُ في برْق عارضٍ * دُروعٌ وبيضٌ حَشْوُهُنَّ تميمُ

أبَوْا أن يَضُمّوا حَشْوَ ما تجمعُ القُرَى * فضمَّهُمُ يومَ اللقاء صميمُ

وَرزْقهمُ من رائحاتٍ تزينُها * ضروعٌ عَرِيضاتُ الخواصرِ كُومُ

وقال ثابت قُطْنَة

فدَتْ نفسى فوارسَ من تميمٍ * على ما كان من ضَنْكِ المُقامِ

بقصرِ الباهليّ وقد أرانى * أحامى حين قلّ به المُحامى

بسيفى بعد كسر الرمح فيهم * أذودُهُمُ بذى شُطَبٍ حُسامِ

أكُرُّ عليهم اليحْموم كرًّا * ككَرّ الشرْبِ آنيةَ المُدامِ

فلولا اللهُ ليس له شريكٌ * وضرْبى قونَسَ المَلِكِ الهُمامِ

اذًا فاظَتْ نساءُ بَنى دِثارٍ * أمامَ التُرْكِ باديةَ الخِدامِ

(قال أبو جعفر) وحدثنى أبو الحسن الخراسانى عن أبى حماد السلمى قال أقام ابن خازم بهراة يقاتل أوس بن ثعلبة أكثر من سنة فقال يوما لاصحابه قد طال مقامنا على هؤلاء فنادُوهم يامعشر ربيعة انكم قد اعتصمتم بخندقكم أفرضيتم من خراسان بهذا الخندق فاحفظهم ذلك فتنادى الناس للقتال فقال لهم أوس بن ثعلبة الزموا خندقكم وقاتلوهم كما كنتم تقاتلونهم ولا تخرجوا اليهم بجماعتكم قال فعصوه وخرجوا اليهم فالتقى الناس فقال ابن خازم لاصحابه اجعلوه يومكم فيكون المُلكُ لمن غلب فان قُتلتُ فأميركم شمّاس بن دِثار العُطارِدىّ فان قُتل فأميركم بكير بن وِشاح الثقفىّ * قال علىّ وحدثنا أبو الذيّال زهير بن هنيدة عن أبى نعامة العدَوى عن عبيد بن نقيد عن اياس بن زهير بن حيان لما كان اليوم الذى هرب فيه أوس بن ثعلبة وظفر ابن خازم ببكر بن وائل قال ابن خازم لاصحابه حين التقوا انى قَلِعٌ فشدونى على السرج واعلموا ان علىّ من السلاح ما لا أقتل قدرَ جَزْرِ جَزورَين فان قيل لكم انى قد قُتلت فلا تصدّقونى قال وكانت راية بنى عدى مع أبى وأنا على فرس مُحزِم وقد قال لنا ابن خازم اذا لقيتم الخيل فاطعنوها في مناخرها فانه لن يطعن فرسٌ في مَنخرته الا أدبر أو رمى بصاحبه فلما سمع فرسى قعقعة السلاح وثب بى واديا كان بينى وبينهم قال فتلقانى رجل من بكر بن وائل

فطعنت

فطعنت فرسه فى نحرته فصرعه وحمل أبى بنى عدى وأتبعته بنو تميم من كل وجه فاقتتلوا ساعة فانهزمت بكر بن وائل حتى انتهوا الى خندقهم وأخذوا يمينا وشمالا وسقط ناس فى الخندق فقتلوا قتلا ذريعا وهرب أوس بن ثعلبة وبه جراحات وحلف ابن خازم لا يؤتى بأسير الا قتله حتى يغيب الشمس فكان آخر من أتى به رجل من بنى حنيفة يقال له محمية فقالوا لابى خازم قد غابت الشمس قال وفوا به القتلى فقتل قال فأخبرنى شيخ من بنى سعد بن زيد مناة ان أوس بن ثعلبة هرب وبه جراحات الى سجستان فلما صار بها أوقربها مات وفى مقتل ابن مرثد وأمر أوس بن ثعلبة يقول المغيرة بن حبناء أحد بنى ربيعة بن حنظلة

وفى الحرب كنتم فى خراسان كلها * قتيلا ومسجونا بها ومسيرا
ويوم احتواكم فى الحفير ابن خازم * فلم تجدوا الا الخنادق مقبرا
ويوم تركتم فى الغبار ابن مرثد * وأوسا تركتم حيث سار وعسكرا

قال وأخبرنى أبو الذيال زهير بن هنيد عن جده أبى أمه قال قتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانية آلاف * قال وحدثنا التميمى رجل من أهل خراسان عن مولى لابن خازم قال قاتل ابن خازم أوس بن ثعلبة و بكر بن وائل فظفر بهراة وهرب أوس وغلبه ابن خازم على هراة واستعمل عليها ابنه محمدا وضم اليه شماس بن دثار العطاردى وجعل بكير بن وشاح على شرطته وقال لهما ربياه فانه ابن أختكما فكانت أمه من بنى سعد يقال لها صفية وقال له لا تخالفهما ورجع ابن خازم الى مرو ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة واتعدوا الاجتماع بالنخيلة فى سنة ٦٥ للمسير الى أهل الشأم للطلب بدم الحسين بن على وتكاتبوا فى ذلك

﴿ذكر الخبر عن مبدأ أمرهم فى ذلك﴾

(قال هشام) بن محمد حدثنا أبو مخنف قال حدثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر الازدى قال لما قتل الحسين بن على ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة فدخل الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم ورأت انها قد أخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين الى النصرة وتركهم اجابته ومقتله الى جانبهم لم ينصروه ورأوا انه لا يغسل عارهم والاثم عنهم فى مقتله الا بقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا بالكوفة الى خمسة نفر من رؤس الشيعة الى سليمان بن صرد الخزاعى وكانت له صحبة مع النبى صلى الله عليه وسلم والى المسيب بن نجبة الفزارى وكان من أصحاب على وخيارهم والى عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى والى عبد الله بن وال التيمى والى رفاعة بن شداد البجلى ثم ان هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا فى منزل سليمان بن صرد وكانوا من خيار أصحاب على ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم قال فلما اجتمعوا الى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجبة القوم بالكلام فتكلم فحمد الله

وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فانا قد ابتلينا بطول العمر والتعرّض لانواع الفتن فنرغب الى ربنا ألّا يجعلنا ممن يقول له غدا أو لم نُعمّرْكم ما يتذكّرُ فيه مَنْ تذكّر وجاءكم النذيرُ فان أمير المؤمنين قال العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وليس فينا رجلٌ الا وقد بلغه وقد كنا مُغرمين بتزكية أنفسنا وتقريظ شيعتنا حتى بلا الله أخيارنا فوجدنا كاذبين فى موطنين من مواطن ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم وقد بلغتنا قبل ذلك كُتُبه وقدمت علينا رُسُله وأعذر الينا يسألنا نصره عودًا وبدءًا وعلانيةً وسرًّا فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتل الى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا ولا قوّيناه بأموالنا ولا طلبنا له النُصرة الى عشائرنا فما عُذرنا الى ربنا وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وسلم وقد قتل فينا ولده وحبيبه وذرّيته ونسله لا والله لا عُذرَ دون أن تقتلوا قاتله والمُوالين عليه أو تُقتلوا فى طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن أيها القوم ولّوا عليكم رجلا منكم فانه لابد لكم من أمير تفزعون اليه وراية تحفّون بها أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم قال فبدر القوم رفاعة بن شداد بعد المسيب الكلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الله قد هداك لأصوب القول ودعوت الى أرشد الامور بدأت بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ودعوت الى جهاد الفاسقين والى التوبة من الذنب العظيم فمسموعٌ منك مستجابٌ لك مقبول قولك قلت ولّوا أمركم رجلا منكم تفزعون اليه وتحفّون برايته وذلك رأىٌ قد رأينا مثل الذى رأيتَ فان تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيًّا وفينا متنصّحًا وفى جماعتنا محبّبا وان رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا الامر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد المحمود فى بأسه ودينه والموثوق بحزمه أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم قال ثم تكلم عبد الله بن وال وعبد الله ابن سعد فحمدا ربهما وأثنيا عليه وتكلما بنحو من كلام رفاعة بن شداد فذكرا المسيب بن نجبة بفضله وذكرا سليمان بن صرد بسابقته ورضاهما بتوليته فقال المسيب بن نجبة أصبتم ووفقتم وأنا أرى مثل الذى رأيتم فولّوا أمركم سليمان بن صرد (قال أبو مخنف) فحدّثت سليمانَ بن أبى راشد بهذا الحديث فقال حدّثنى حميد بن مسلم قال والله انى لشاهد بهذا اليوم يوم ولّوا سليمان بن صُرَد وانّا يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجوههم فى داره قال فتكلم سليمان بن صرد فشدّد وما زال يردّد ذلك القول فى كل جمعة حتى حفظتُه بدأ فقال أثنى على الله خيرًا وأحمد آلاءه وبلاءه وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسوله امّا بعد فإنى والله لخائف ألا يكون اخرنا الى هذا الدهر الذى نكدت فيه المعيشة وعظُمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير انا كنا

نمدّ أعناقنا الى قدوم آل نبينا ونمنيهم النصر ونحثهم على القدوم فلما قدموا ونينا وعجزنا وأدهنا وتربّصنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولد ينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعة من لحمه ودمه اذجعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطاه اتخذه الفاسقون غرضا للنبل ودريّة للرماح حتى أقصدوه وعدوا عليه فسلبوه ألا انهضوا فقد سخط ربكم ولا ترجعوا الى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضيا دون ان تناجزوا من قتله أوتبيروا ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قط الا ذلّ كونوا كالأولى من بني اسرائيل اذ قال لهم نبيهم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فما فعل القوم جثوا على الركب والله ومدّوا الأعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا انه لا ينجيهم من عظيم الذنب الا الصبر على القتل فكيف بكم لو قد دعيتم الى مثل ما دعي القوم اليه اشحذوا السيوف وركبوا الأسنة وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل حتى تدعوا حين تدعوا وتستنفروا قال فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال أما أنا فوالله لو أعلم ان قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضي عني ربي لقتلتها ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونهينا عنه فأشهد الله ومن حضر من المسلمين ان كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوّي صدقة على المسلمين أقوّيهم به على قتال القاسطين وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكناني فقال وأنا أشهدكم على مثل ذلك فقال سليمان بن صرد حسبكم من أراد من هذا شيأ فليأت بماله عبد الله بن وال التيمي تيم بكر بن وائل فاذا اجتمع عنده كل ما تريدون اخراجه من أموالكم جهّزنا به ذوي الخلة والمسكنة من أشياعكم (قال أبو مخنف) لوط بن يحيى عن سليمان بن أبي راشد قال فحدّثنا حميد بن مسلم الأزدي ان سليمان بن صرد قال لخالد بن سعد بن نفيل حين قال له والله لو علمت ان قتلي نفسي يخرجني من ذنبي ويرضي عني ربي لقتلتها ولكن هذا أمر به قوم غيرنا كانوا من قبلنا ونهينا عنه قال أخوكم هذا غدا فريس أوّل الأسنة قال فلما تصدّق بماله على المسلمين قال له ابشر بجزيل ثواب الله الذين لأنفسهم يمهدون (قال أبو مخنف) حدثني الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نفيل قال أخذت كتابا كان سليمان بن صرد كتب به الى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن فقرأته زمان ولي سليمان قال فلما قرأته أعجبني فتعلمته فما نسيته كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن صرد الى سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين سلام عليكم أما بعد فان الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفا وأقبل منها ما كان منكرا وأصبحت قد تشنأت الى ذوي الألباب وأزمع بالترحال منها عباد الله الأخيار وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بجزيل مثوبة عند الله لا يفنى ان أولياء الله من اخوانكم وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت

نبيهم الذى دُعى فأجاب ودعا فلم يُجب وأراد الرجعة فحُبس وسأل الأمان فمُنع وترك
الناسَ فلم يتركوه وعدوا عليه فقتلوه ثم سلبوه وجرّدوه ظلماً وعُدواناً وغِرّةً بالله وجهلا
وبعين الله مايعملون وإلى الله مايرجعون وَسَيَعلَمُ الذين ظلموا أىَّ مُنقلَبٍ ينقلبون
فلما نظروا اخوانُكم وتدبّروا عواقبَ مااستقبلوا رأوا ان قد خطئوا بخذلان الزكىّ
الطيّب واسلامه وتركِ مواساته والنصرِ له خطأً كبيراً ليس لهم منه مخرجٌ ولا توبة دون
قتل قاتِليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك أرواحُهم فقد جَدّوا اخوانكم فجِدّوا وأعِدّوا
واستعدّوا وقد ضربنا لاخواننا أجلاً يوافوننا اليه وموطناً يلقوننا فيه فأمّا الأجل فغرّة شهر
ربيع الآخر سنة ٦٥ وأما الموطن الذى يلقوننا فيه فالنُّخيلة أنتم الذين لم تزالوا لنا شيعة
واخواناً وإلا وقد رأينا ان ندعوكم الى هذا الأمر الذى أراد الله به اخوانكم فيما يزعمون
ويُظهرون لنا انهم يتوبون وانكم جُدَراء بتطلاب الفضل والتماس الأجر والتوبة
الى ربكم من الذنب ولو كان فى ذلك حزّ الرقاب وقتلُ الأولاد واستيفاء الأموال وهلاك
العشائر ماضرّ أهلَ عذراء الذين قُتلوا ألا يكونوا اليوم أحياء وهم عند ربهم يُرزقون
شهداء قد لقوا الله صابرين محتسبين فأثابهم ثواب الصابرين يعنى حُجراً وأصحابه وماضرّ
اخوانكم المُقتلين صبراً والمُصلَّبين ظلماً والممثول بهم المعتدى عليهم ألا يكونوا أحياء
مبتلين بخطاياكم قد خير لهم فلقوا ربهم ووافاهم الله ان شاء الله أجرهم فاصبروا رحمكم
الله على البأساء والضرّاء وحين البأس وتوبوا الى الله عن قريب فوالله انكم لأحرياء ان
لا يكون أحدٌ من اخوانكم صبر على شىء من البلاء ارادة ثوابه إلا صبرتم التماسَ الأجر
فيه على مثله ولا يطلب رضاءَ الله طالبٌ بشىء من الاشياء ولو انه القتلُ الا طلبتم رضاء الله به
ان التقوى أفضل الزاد فى الدنيا وماسوى ذلك يبور ويفنى فلتعزف عنها أنفسكم ولتكن
رغبتكم فى دارِ عافيتكم وجهادِ عدوّ الله وعدوّكم وعدوّ أهل بيت نبيكم حتى تقدموا
على الله تائبين راغبين أحيانا الله وإيّاكم حياةً طيّبةً وأجارنا وإيّاكم من النار وجعل
منايانا قتلاً فى سبيله على يدى أبغضِ خلقه اليه وأشدّهم عداوة له انه القدير على مايشاء
والصانع لأوليائه فى الأشياء والسلام عليكم قال وكتب ابن صُرَد الكتاب وبعث به الى سعد
ابن حذيفة بن اليمان مع عبد الله بن مالك الطائىّ فبعث به سعد حين قرأ كتابه الى مَن
كان بالمدائن من الشيعة وكان بها أقوامٌ من أهل الكوفة قد أعجبتهم فأوطنوها وهم يقدمون
الكوفة فى كل حينِ عطاءٍ ورزقٍ فيأخذون حقوقهم وينصرفون الى أوطانهم فقرأ عليهم
سعد كتاب سليمان بن صرد ثم انه حمد الله وأثنى عليه ثم قال أمّا بعد فانكم قد كنتم مجتمعين
مُزمِعين على نصر الحسين وقتال عدوّه فلم يفجأكم أوّلُ من قتله والله مثيبكم على حُسن
النية وما أجمعتم عليه من النصر أحسنَ المثوبة وقد بعث اليكم اخوانكم يستنجدونكم

ويستمدونكم ويدعونكم الى الحق والى ماترجون لكم به عند الله أفضل الأجر والحظ فماذا ترون وماذا تقولون فقال القوم بأجمعهم نجيبهم ونقاتل معهم ورأينا في ذلك مثل رأيهم فقام عبدالله بن الحنظل الطائى ثم الحزمرى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنا قد أجبنا اخواننا الى مادعونا اليه وقد رأينا مثل الذى قد رأوا فسرحنى اليهم في الخيل فقال له رويداً لا تعجل استعدوا للعدو وأعدوا له الحرب ثم نسير وتسيرون وكتب سعد بن حذيفة ابن اليمان الى سليمان بن صرد مع عبدالله بن مالك الطائى بسم الله الرحمن الرحيم الى سليمان ابن صرد من سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين سلام عليكم أما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا الذى دعوتنا اليه من الأمر الذى عليه رأى الملأ من اخوانك فقد هديت لحظك ويسرت لرشدك ونحن جادون مجدون معدون مسرجون ملجمون ننتظر الأمر ونستمع الداعى فاذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نعرج ان شاء الله والسلام فلما قرأ كتابه سليمان ابن صرد قرأه على أصحابه فسروا بذلك قال وكتب الى المثنى بن محربة العبدى نسخة الكتاب الذى كان كتب به الى سعد بن حذيفة بن اليمان وبعث به مع ظبيان بن عمارة التميمى من بنى سعد فكتب اليه المثنى أما بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته اخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك فنحن موافوك ان شاء الله للأجل الذى ضربت وفي الموطن الذى ذكرت والسلام عليك وكتب فى أسفل كتابه

تبصر كانى قد أتيتك معلماً * على أتلع الهادى أجش هزيم
طويل القرى نهد الشواء مقلص * ملح على فأس اللجام أزوم
بكل فتى لايملأ الروع نحره * محس لعض الحرب غير سؤوم
أخى ثقة ينوى الإله بسعيه * ضروب بنصل السيف غير أثيم

(قال أبو مخنف) لوط بن يحيى عن الحارث بن حصيرة عن عبدالله بن سعد بن نفيل قال كان أول ما ابتدعوا به من أمرهم سنة ٦١ وهى السنة التى قتل فيها الحسين رضى الله عنه فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس فى السر من الشيعة وغيرها الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر فلم يزالوا كذلك وفى ذلك حتى مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ وكان بين قتل الحسين وهلاك يزيد بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام وهلك يزيد وأمير العراق عبيدالله بن زياد وهو بالبصرة وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومى فجاء الى سليمان أصحابه من الشيعة فقالوا قد مات هذا الطاغية والامر الآن ضعيف فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس الى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقهم

فقالوا فى ذلك فأكثروا فقال لهم سليمان بن صُرَد رُوَيداً لا تعجلوا انى قد نظرت فيما تذكرون فرأيت ان قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه ومتى علموا ما تريدون وعلموا انهم المطلوبون كانوا أشد عليكم ونظرت فيمن تبعنى منكم فعلمت انهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم ولم يشفوا أنفسهم ولم ينكوا فى عدوّهم وكانوا لهم جزراً ولكن بثوا دُعاتكم فى المصر فادعوا الى أمركم هذا شيعتكم وغيرَ شيعتكم فانى أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع الى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه ففعلوا وخرجت طائفة منهم دعاةً يدعون الناس فاستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد ابن معاوية أضعافُ من كان استجاب لهم قبل ذلك (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثنا الحصين بن يزيد عن رجل من مزينة قال ما رأيت من هذه الأمة أحداً كان أبلغ من عبيد الله بن عبد الله المرّى في منطقٍ ولا عظةٍ وكان من دعاة أهل المصر زمان سليمان بن صرد وكان اذا اجتمعت اليه جماعة من الناس فوعظهم بدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول أما بعد فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته وخصّه بالفضل كله وأعزكم باتباعه وأكرمكم بالايمان به فحقن به دماءكم المسفوكة وآمن به سُبلكم المخوفة وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يُبيّنُ اللهُ لكم آياته لعلكم تهتدون فهل خلق ربكم في الاولين والآخرين أعظم حقاً على هذه الأمة من نبيها وهل ذرية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظمُ حقا على هذه الامة من ذرّية رسولها لا والله ما كان ولا يكون لله أنتم ألم تروا ويبلغكم ما اجترم الى ابن بنت نبيكم أما رأيتم الى انتهاك القوم حرمتَه واستضعافهم وحدته وترميلهم اياه بالدم وتجرارهموه على الأرض لم يرقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذوه للنبل غرضاً وغادروه للضباع جزراً فلله عيناً من رأى مثله ولله حسين بن علىّ ماذا غادروا به ذا صدقٍ وصبرٍ وذا امانة ونجدة وحزمٍ ابن أول المسلمين اسلاماً وابن بنت رسول ربّ العالمين قلّت حُماته وكثرت عُداته حوله فقتله عدوّه وخذله وليّه فويلٌ للقاتل وملامةٌ للخاذل ان الله لم يجعل لقاتله حجةً ولا لخاذله معذرةً إلا أن يناصح لله فى التوبة فيجاهد القاتلين وينابذ القاسطين فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويُقيل العثرة انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيّه والطلب بدماء أهل بيته والى جهاد المحلين والمارقين فإن قتلنا فما عند الله خيرٌ للأبرار وان ظهرنا رددنا هذا الأمر الى أهل بيت نبينا قال وكان يعيد هذا الكلام علينا فى كل يوم حتى حفظه عامّتنا قال ووثب الناس على عمرو ابن حريث عند هلاك يزيد بن معاوية فاخرجوه من القصر واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحىّ وهو دُحْرُوجة الجُعَل الذى قال له ابن همام

السَلُولِىّ

أشْدُدْ يدَيْكَ بزيدٍ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ * واشفِ الأرامِلَ من دُحْرُوجَةِ الجُعَلِ

وكان كأنه إبهامُ قَصَرًا وزيد مولاه وخازنُهُ فكان يصلى بالناس وبايع لابن الزبير ولم يزل أصحاب سليمان بن صرد يدعون شيعتهم وغيرهم من أهل مصرهم حتى كثر تبعهم وكان الناس الى اتباعهم بعد هلاك يزيد بن معاوية أسرعَ منهم قبل ذلك فلما مضت ستة أشهر من هلاك يزيد بن معاوية قدم المختار بن أبى عبيد الكوفة فقدم في النصف من شهر رمضان يوم الجمعة قال وقدم عبد الله بن يزيد الانصارى ثم الخطمى من قِبَلِ عبد الله ابن الزبير أميرًا على الكوفة على حربها وثغرها وقدم معه من قبل ابن الزبير ابراهيم بن محمد ابن طلحة بن عبيد الله الأعرج أميرًا على خراج الكوفة وكان قدوم عبد الله بن يزيد الأنصارى ثم الخطمى يومَ الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة ٦٤ قال وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بثمانية أيام ودخل المختار الكوفة وقد اجتمعت رؤس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صرد فليس يعدلونه به فكان المختار اذا دعاهم الى نفسه والى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة قد انقادوا له واجتمعوا عليه فأخذ يقول للشيعة انى قد جئتكم من قِبَل المهدى محمد بن على ابن الحنفية مؤتمنًا مأمونا منتجبًا ووزيرًا فوالله مازال بالشيعة حتى انشعبت اليه طائفة تعظّمه وتجيبه وتنتظر أمره وعُظْمُ الشيعة مع سليمان بن صرد فسليمان أثقل خلق الله على المختار وكان المختار يقول لأصحابه أتدرون مايريد هذا يعنى سليمان بن صرد انما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ليس له بصرٌ بالحروب ولا له علمٌ بها قال وأتى يزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيْم الشيبانى عبدَ الله بن يزيد الأنصارىّ فقال ان الناس يتحدثون ان هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن صرد ومنهم طائفة أخرى مع المختار وهى أقل الطائفتين عددًا والمختار فيما يذكرون الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر الى مايصير اليه أمر سليمان بن صرد وقد اجتمع له أمره وهو خارجٌ من أيامه هذه فان رأيت أن تجمع الشُرط والمقاتلة ووجوه الناس ثم تنهض اليهم وننهض معك فإذا دفعتَ الى منزله دعوته فان أجابك حسبه وان قاتلك قاتلته وقد جمعت له وعبّأت وهو مغترّ فانى أخاف عليك ان هو بدأك وأقررته حتى يخرج عليك ان تشتدّ شوكته وأن يتفاقم أمره فقال عبد الله بن يزيد الله بيننا وبينهم ان هم قاتلونا قاتلناهم وان تركونا لم نطلبهم حدّثنى مايريدون الناس قال يذكر الناس انهم يطلبون بدم الحسين ابن على قال فأنا قتلت الحسين لعن الله قاتلَ الحسين قال وكان سليمان بن صرد وأصحابه يريدون أن يثبوا بالكوفة فخرج عبد الله بن يزيد حتى صعد المنبر ثم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فقد بلغنى ان طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا

فسألت عن الذى دعاهم الى ذلك ماهو فقيل لى زعموا انهم يطلبون بدم الحسين ابن علىّ فرحم الله هؤلاء القوم قد والله دُلِلتُ على أماكنهم وأُمِرتُ بأخذهم وقيل أبدأهم قبل ان يبدؤك فأبيت ذلك فقلت ان قاتلونى قاتلتهم وان تركونى لم أطلبهم وعلام يقاتلونى فوالله ماأنا قتلت حسينا ولا أنا ممن قاتله ولقد أصبت بمقتله رحمة الله عليه فإن هؤلاء القوم آمنون فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا الى من قاتل الحسين فقد أقبل اليهم وأنا لهم على قاتله ظَهيرٌ هذا ابن زياد قاتل الحسين وقاتل خياركم وأماثلكم قد توجه اليكم عهدُ العاهد به على مسيرة ليلة من جسر مَنبج فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من ان تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضا ويسفكَ بعضكم دماء بعض فيلقاكم ذلك العدوّ غدا وقد رققتم وتلك والله أمنية عدوّكم وانه قد أقبل اليكم أعدى خلق الله لكم مَن ولى عليكم هو وأبوه سبع سنين لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين هو الذى قتلكم ومن قِبَله أوتيتم والذى قتل من تثأرون بدمه قد جاءكم فاستقبلوه بحدّكم وشوكتكم واجعلوها به ولا تجعلوها بأنفسكم انى لم آلكم نصحاً جمع الله لنا كلمتنا وأصلح لنا أئمتنا قال فقال ابراهيم بن محمد ابن طلحة أيها الناس لا يغرّنكم من السيف والغشم مقالة هذا المداهن الموادع والله لئن خرج علينا خارجٌ لنقتلنه ولئن استيقنا ان قوما يريدون الخروج علينا لنأخذنّ الوالد بولده والمولود بوالده ولنأخذنّ الحميم بالحميم والعريف بما فى عرافته حتى يدينوا للحق ويذلوا للطاعة فوثب اليه المُسَيب بن نجبَة فقطع عليه منطقه ثم قال يا ابن الناكثين أنت تهددنا بسيفك وغشمك أنت والله أذلّ من ذلك انا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك والله انى لأرجو ان لا يخرجك الله من بين ظهرانَىْ أهل هذا المصر حتى يثلثوا بك جدّك وأباك وأما أنت أيها الامير فقد قلت قولا سديدا وانى والله لأظنّ من يريد هذا الأمر مستنصحا لك وقابلا قولك فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة أى والله ليُقتلنّ وقد أدهن ثم أعلن فقام اليه عبد الله بن والٍ التيمىّ فقال ما اعتراضك يا أخا بنى تيم بن مرّة فيما بيننا وبين أميرنا فوالله ما أنت علينا بأمير ولا لك علينا سلطانٌ انما أنت أمير الجزية فأقبل على خراجك فلعمر الله لئن كنت مفسداً ما أفسد أمر هذه الأمّة الا والدك وجدّك الناكثان فكانت بهما اليدان وكانت عليهما دائرة السوء قال ثم أقبل مسيّب بن نجبَة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا أما رأيك أيها الأمير فوالله انّا لنرجو أن تكون به عند العامّة محمودا وان تكون عند الذى عَنيْتَ واعتريت مقبولاً فغضب أناسٌ من عمال ابراهيم بن محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه فتشاتموا دونه فشتمهم الناس وخصموهم * فلما سمع ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل وانطلق ابراهيم بن محمد وهو يقول قد داهن عبد الله بن يزيد أهل الكوفة والله لأكتبنّ بذلك الى عبد الله بن الزبير فأتى شَبَث بن ربعيّ التميمىّ

عبد الله بن يزيد فأخبره بذلك فركب به وبيزيد بن الحارث بن رُوَيم حتى دخل على ابراهيم بن محمد بن طلحة فحلف له بالله ما أردت بالقول الذى سمعتَ الا العافية وصلاحَ ذات البين انما أتانى يزيد بن الحارث بكذا وكذا فرأيتُ ان أقوم فيهم بما سمعتَ ارادةَ أن لا تختلف الكلمة ولا تتفرق الالفة وألا تقع بأس هؤلاء القوم بينهم فعذره وقبل منه قال ثم ان أصحاب سليمان بن صرد خرجوا ينشرون السلاح ظاهرين ويتجهّزون يجاهرون بجهازهم وما يصلحهم ﴿وفى هذه السنة﴾ فارق عبد الله بن الزبير الخوارج الذين كانوا قدموا عليه مكة فقاتلوا معه حصين بن نمير السكونىّ فصاروا الى البصرة ثم افترقت كلمتُهم فصاروا احزابًا

﴿ ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذى من أجله فارقوه والذى من أجله افترقت كلمتُهم ﴾

حدثت عن هشام بن محمد الكلبىّ عن أبى مخنف لوط بن يحيى قال حدثنى أبو المخارق الراسىّ قال لما ركب ابن زياد من الخوارج بعد قتل أبى بلال ما ركب وقد كان قبل ذلك لا يكفّ عنهم ولا يستبقيهم غير انه بعد قتل أبى بلال تجرّد لاستئصالهم وهلاكهم واجتمعت الخوارج حين ثار ابن الزبير بمكة وسار اليه أهل الشأم فتذاكروا ما أتى اليهم فقال لهم نافع ابن الأزرق ان الله قد أنزل عليكم الكتاب وفرض عليكم فيه الجهاد واحتج عليكم بالبيان وقد جرّد فيكم السيوف أهل الظلم وأولو العدى والغشم وهذا من قد ثار بمكة فاخرجوا بنا نأت البيت ونلق هذا الرجل فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدوّ وان يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ونظرنا بعد ذلك في أمورنا فخرجوا حتى قدموا على عبد الله بن الزبير فسُرّ بمقدمهم ونبأهم انه على رأيهم وأعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف أهل الشأم عن مكة ثم ان القوم لقى بعضهم بعضا فقالوا ان هذا الذى صنعتم أمس بغير رأىٍ ولا صوابٍ من الامر تقاتلون مع رجلٍ لا تدرون لعله ليس على رأيكم انما كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ينادى يا لثارات عثمان فأتوه وسلوه عن عثمان فإن برئ منه كان وليَّكم وان أبى كان عدوَّكم فمشوا نحوه فقالوا له أيها الإنسان انا قد قاتلنا معك ولم نُفتشك عن رأيك حتى نعلم أمنّا أنت أم من عدونا خبّرنا ما مقالتك فى عثمان فنظر فاذا من حوله من أصحابه قليلٌ فقال لهم انكم أتيتمونى فصادفتمونى حين أردت القيام ولكن روحوا الىّ العشيّة حتى أعلمكم من ذلك الذى تريدون فانصرفوا وبعث الى أصحابه فقال البسوا السلاح واحضرونى بأجمعكم العشية ففعلوا وجاءت الخوارج وقد أقام أصحابه حوله سماطين عليهم السلاحُ وقامت جماعة منهم عظيمة على رأسه بايديهم الاعمدة فقال ابن الازرق لاصحابه خشى الرجل غائلتكم وقد أزمع بخلافكم واستعدّ لكم

ماترون فدنا منه ابن الازرق فقال له يا ابن الزبير اتق الله ربك وابغض الخائن المستأثر وعاد أول من سنّ الضلالة وأحدث الاحداث وخالف حكم الكتاب فانك ان تفعل ذلك ترض ربك وتنج من العذاب الأليم نفسك وان تركت ذلك فأنت من الذين استمتعوا بخلاقهم واذهبوا فى الحياة الدنيا طيباتهم يا عبيدة بن هلال صف لهذا الانسان ومن معه أمرنا الذى نحن عليه والذى ندعو الناس اليه فتقدم عبيدة بن هلال (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثنى أبو علقمة الخثعمى عن أبى قبيصة بن عبد الرحمن القحافى من خثعم قال أنا والله شاهد عبيدة بن هلال اذ تقدم فتكلم فما سمعت ناطقا قط ينطق كان أبلغ ولا أصوب قولا منه وكان يرى رأى الخوارج قال وان كان ليجمع القول الكثير في المعنى الخطير في اللفظ اليسير قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الى عبادة الله واخلاص الدين فدعا الى ذلك فأجابه المسلمون فعمل فيهم بكتاب الله وأمره حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه واستخلف الناس أبا بكر واستخلف أبو بكر عمر فكلاهما عملا بالكتاب وسنة رسول الله فالحمد لله رب العالمين ثم ان الناس استخلفوا عثمان ابن عفان فحمى الاحماء فآثر القربى واستعمل الفتى ورفع الدرّة ووضع السوط ومزق الكتاب وحقر المسلم وضرب منكرى الجور وآوى طريد الرسول صلى الله عليه وضرب السابقين بالفضل وسيّرهم وحرمهم ثم أخذ فىء الله الذى أفاءه عليهم فقسمه بين فساق قريش ومجّان العرب فسارت اليه طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم على طاعته لا يبالون فى الله لومة لائم فقتلوه فنحن لهم أولياء ومن ابن عفان وأوليائه برآء فما تقول أنت يا ابن الزبير قال فحمد الله ابن الزبير وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد فهمت الذى ذكرتم وذكرت به النبى صلى الله عليه وسلم فهو كما قلت صلى الله عليه وفوق ما وصفته وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وفقت وأصبت وقد فهمت الذى ذكرت به عثمان بن عفان رحمة الله عليه وانى لا أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره منى كنت معه حيث نقم القوم عليه واستعتبوه فلم يدع شيأ استعتبه القوم فيه الا أعتبهم منه ثم انهم رجعوا اليه بكتاب له يزعمون انه كتبه فيهم يأمر فيه بقتلهم فقال لهم ما كتبته فان شئتم فهاتوا بينتكم فان لم تكن حلفت لكم فوالله ما جاؤه ببينة ولا استحلفوه ولوثبوا عليه فقتلوه وقد سمعت ما عبته به فليس كذلك بل هو لكل خير أهل وأنا أشهدكم ومن حضرانى ولى لابن عفان فى الدنيا والآخرة وولىّ أوليائه وعدوّ أعدائه قالوا فبرئ الله منك يا عدوّ الله قال فبرئ الله منكم يا أعداء الله وتفرّق القوم فأقبل نافع بن الازرق الحنظلى وعبد الله بن صفّار السعدى من بنى صريم بن مقاعس وعبد الله بن أباض أيضا من بنى صريم وحنظلة بن بيهس وبنو الماحوز عبد الله وعبيد الله والزبير من بنى سليط بن يربوع حتى أتوا البصرة وانطلق أبو طالوت من

بنى

بنى زمَّان بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو فُدَيك من
بنى قيس بن ثعلبة وعطية بن الاسود اليشكرى الى اليمامة فوثبوا باليمامة مع أبى طالوت ثم
أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفى فأما البصريون منهم فانهم قدموا البصرة وهم
مُجمِعون على رأى أبى بلال (قال هشام) قال أبو مخنف لوط بن يحيى فحدثنى أبو المثنى عن رجل
من اخوانه من أهل البصرة انهم اجتمعوا فقالت العامة منهم لو خرج منا خارجون فى سبيل
الله فقد كانت منا فترة منذ خرج أصحابنا فيقوم علماؤنا فى الارض فيكونون مصابيح الناس
يدعونهم الى الدين ويخرج أهل الورع والاجتهاد فيلحقون بالرب فيكونون شُهداء
مرزوقين عند الله أحياء فانتدب لها نافع بن الازرق فاعتقد على ثلثمائة رجل فخرج وذلك
عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد وكسر الخوارج أبواب السجون وخروجهم منها واشتغل
الناس بقتال الازد وربيعة وبنى تميم وقيس فى دم مسعود بن عمرو فاغتنمت الخوارج اشتغال
الناس بعضهم ببعض فتهيؤا واجتمعوا فلما خرج نافع بن الازرق تبعوه واصطلح أهل
البصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلى بهم وخرج ابن
زياد الى الشأم واصطلحت الازد وبنو تميم فتجرد الناس للخوارج فأتبعوهم وأخافوهم حتى
خرج من بقى منهم بالبصرة فلحق بابن الازرق الا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك
منهم عبد الله بن صفار وعبد الله بن أباض ورجالٌ معهما على رأيهما ونظر نافع بن الازرق
ورأى ان ولاية من تخلف عنه لا تنبغى وأن من تخلف عنه لا نجاة له فقال لاصحابه ان الله قد
أكرمكم بمخرجكم بصَّركم ما عمى عنه غيركم ألستم تعلمون انكم انما خرجتم تطلبون
شريعته وأمره فأمره لكم قائدٌ والكتاب لكم امامٌ وانما تتبعون سُنَنه وأثره فقالوا بلى
فقال أليس حكمكم فى وليكم حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى وليه وحكمكم فى عدوكم حكم
النبى صلى الله عليه وسلم فى عدوه وعدوكم اليوم عدو الله وعدو النبى صلى الله عليه وسلم كان
عدو النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ هو عدو الله وعدوكم اليوم فقالوا نعم قال فقد أنزل الله
تبارك وتعالى بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ الى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وقال لَا تَنْكِحُوا
الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ فقد حرّم الله ولايتهم والمقام بين أظهرهم واجازة شهادتهم وأكل
ذبائحهم وقبول علم الدين عنهم ومناكحتهم ومواريثهم وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا وحق
علينا أن نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم ولا نكتم ما أنزل الله والله عز وجل يقول
انّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ
أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ فاستجاب له الى هذا الرأى جميعُ أصحابه فكتب من
عبد الله نافع بن الازرق الى عبد الله بن صفار وعبد الله بن اباض ومَن قبلهما من الناس
سلامٌ على أهل طاعة الله من عباد الله فان من الامر كيت وكيت فقصّ هذه القصة ووصف

هذه الصفة ثم بعث بالكتاب اليهما فأتياه به فقرأه عبد الله بن صفار فأخذه فوضعه خلفه فلم يقرأه على الناس خشية أن يتفرقوا ويختلفوا فقال له عبد الله بن اباض مالك لله أبوك أيّ شيء أصبت ان قد أصيب اخواننا أو أسر بعضهم فدفع الكتاب اليه فقرأه فقال قاتله الله أيّ رأي رأى صدق نافع بن الازرق لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به وكانت سيرته كسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المشركين ولكنه قد كذب وكذّبنا فيما يقول ان القوم كفارٌ بالنعم والاحكام وهم براء من الشرك ولا يحل لنا الا دماؤهم وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام فقال له ابن صفار برئ الله منك فقد قصرت وبرئ الله من ابن الازرق فقد غلا برئ الله منكما جميعا وقال الآخر فبرئ الله منك ومنه وتفرق القوم واشتدت شوكة ابن الازرق وكثرت جموعه وأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف في أهل البصرة ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي النصف من شهر رمضان من هذه السنة كان مقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة

﴿ذكر الخبر عن سبب مقدمه اليها﴾

(قال هشام بن محمد الكلبي) قال أبو مخنف قال النضر بن صالح كانت الشيعة تشتم المختار وتعتبه لما كان منه في أمر الحسن بن علي يوم طعن في مظلم ساباط فحمل الى أبيض المدائن حتى اذا كان زمن الحسين وبعث الحسين مسلم بن عقيل الى الكوفة نزل دار المختار وهي اليوم دار سلم ابن المسيب فبايعه المختار بن أبي عبيد فيمن بايعه من أهل الكوفة وناصحه ودعا اليه من أطاعه حتى خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار في قرية له بخطرنية تدعى لقفا فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر انه قد ظهر بالكوفة فلم يكن خروجه يوم خرج على ميعاد من أصحابه انما خرج حين قيل له ان هانئ بن عروة المرادي قد ضرب وحبس فأقبل المختار في موال له حتى انتهى الى باب الفيل بعد المغرب وقد عقد عبيد الله بن زياد لعمرو بن حريث راية على جميع الناس وأمره أن يقعد لهم في المسجد فلما كان المختار فوقف على باب الفيل مرّ به هانئ بن أبي حية الوادعي فقال للمختار ما وقوفك ههنا لا أنت مع الناس ولا أنت في رحلك قال أصبح رأيي مرتجّا لعظم خطيئتكم فقال له أظنك والله قاتلا نفسك ثم دخل على عمرو بن حريث فأخبره بما قال للمختار وما ردّ عليه المختار (قال أبو مخنف) فأخبرني النضر بن صالح عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي قال كنت جالسا عند عمرو بن حريث حين بلغه هانئ بن أبي حية عن المختار هذه المقالة فقال لي قم الى ابن عمك فأخبره ان صاحبه لا يدرى أين هو فلا يجعلنّ على نفسه سبيلا فقمت لآتيه ووثب اليه زائدة بن قدامة بن مسعود فقال له يأتيك على انه آمنٌ فقال له عمرو بن حريث امامي فهو آمنٌ وان رُقي الى الامير عبيد الله بن زياد شيء

من

من أمره أقت له بحضره الشهادة وشفعت له أحسن الشفاعة فقال له زائدة بن قدامة
لا يكونن مع هذا ان شاء الله الا خير * قال عبد الرحمن فخرجت وخرج معي زائدة الى المختار
فأخبرناه بمقالة ابن أبي حية و بمقالة عمرو بن حريث وناشدناه بالله أن لا يجعل على نفسه سبيلا
فنزل الى ابن حريث فسلم عليه وجلس تحت رايته حتى أصبح وتذاكر الناس أمر المختار
وفعله فمشى عمارة بن عقبة بن أبي معيط بذلك الى عبيد الله بن زياد فذكر له فلما ارتفع
النهار فتح باب عبيد الله بن زياد وأذن للناس فدخل المختار فيمن دخل فدعاه عبيد الله فقال
له أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل فقال له لم أفعل ولكني أقبلت ونزلت تحت راية
عمرو بن حريث وبت معه وأصبحت فقال له عمرو صدق أصلحك الله قال فرفع القضيب
فاعترض به وجه المختار فخبط به عينه فشترها وقال أولى لك أم والله لولا شهادة عمرو لك
لضربت عنقك انطلقوا به الى السجن فانطلقوا به الى السجن فحبس فيه فلم يزل في السجن
حتى قتل الحسين ثم ان المختار بعث الى زائدة بن قدامة فسأله أن يسير الى عبد الله بن عمر
بالمدينة فيسأله أن يكتب له الى يزيد بن معاوية فيكتب الى عبيد الله بن زياد بتخلية سبيله
فركب زائدة الى عبد الله بن عمر فقدم عليه فبلغه رسالة المختار وعلمت صفية أخت المختار
بمحبس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر فبكت وجزعت فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر
كتب مع زائدة الى يزيد بن معاوية أما بعد فان عبيد الله بن زياد حبس المختار وهو صهري
وأنا أحب أن يعافى ويصلح من حاله فان رأيت رحمنا الله واياك أن تكتب الى ابن زياد فتأمره
بتخليته فعلت والسلام عليك فمضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيد بالشام
فلما قرأه ضحك ثم قال يشفع أبو عبد الرحمن وأهل ذلك هو فكتب له الى ابن زياد أما بعد
فخل سبيل المختار بن أبي عبيد حين تنظر في كتابي والسلام عليك فأقبل به زائدة حتى دفعه
فدعا ابن زياد بالمختار فأخرجه ثم قال له قد أجلتك ثلاثا فان أدركتك بالكوفة بعدها فقد
برئت منك الذمة فخرج الى رحله وقال ابن زياد والله لقد اجترأ علي زائدة حين يرحل الى
أمير المؤمنين حتى يأتيني بالكتاب في تخلية رجل قد كان من شأني ان أطيل حبسه علي به
فمر به عمرو بن نافع أبو عثمان كاتب لابن زياد وهو يطلب وقال له النجاء بنفسك واذكرها
يداً الى عندك * قال فخرج زائدة فتوارى يومه ذلك ثم انه خرج في أناس من قومه حتى أتى
القعقاع بن شور الذهلي ومسلم بن عمر والباهلي فأخذا له من ابن زياد الأمان (قال هشام)
قال أبو مخنف ولما كان اليوم الثالث خرج المختار الى الحجاز قال فحدثني الصقعب بن زهير
عن ابن العرق مولى لثقيف قال أقبلت من الحجاز حتى اذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة
استقبلت المختار بن أبي عبيد خارجا يريد الحجاز حين خلى سبيله ابن زياد فلما استقبلته
رحبت به وعطفت اليه * فلما رأيت شتر عينه استرجعت له وقلت له بعد ما توجعت له

مابال عينك صرف الله عنك السوء فقال خبط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطة صارت الى ما ترى فقلت له ماله شلت أنامله فقال المختار قتلني الله ان لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إربا إربا قال فعجبت لمقالته فقلت له ما علمك بذلك رحمك الله فقال لي ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه قال ثم طفق يسألني عن عبد الله بن الزبير فقلت له لجأ الى البيت فقال انما أنا عائذ برب هذه البنية والناس يتحدثون انه يبايع سرا ولا أراه إلا لو قد اشتدت شوكته واستكثف من الرجال الا سيظهر الخلاف قال أجل لا شك في ذلك أما إنه رجل العرب اليوم أما إنه ان يخطط في أثرى ويسمع قولي أكفه أمر الناس والا يفعل فوالله ما أنا بدون أحد من العرب يا ابن العرق ان الفتنة قد أرعدت وأبرقت وكأن قد انبعثت فوطئت في خطامها فاذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقيل ان المختار في عصائبه من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيد المسلمين وابن سيدها الحسين بن علي فوربك لاقتلن بقتله عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكرياء عليه السلام قال فقلت له سبحان الله وهذه أعجوبة مع الأحدوثة الأولى فقال هو ما أقول لك فاحفظه عني حتى ترى مصداقه ثم حرك راحلته فمضى ومضيت معه ساعة أدعو الله له بالسلامة وحسن الصحابة قال ثم انه وقف فاقسم علي لما انصرفت فأخذت بيده فودعته وسلمت عليه وانصرفت عنه فقلت في نفسي هذا الذي يذكر لي هذا الانسان يعني المختار مما يزعم انه كائن أشيء حدث به نفسه فوالله ما أطلع الله على الغيب أحدا وانما هو شيء يتمناه فيرى انه كائن فهو يوجب رأيه فهذا والله الرأي الشعاع فوالله ما كل ما يرى الإنسان انه كائن يكون قال فوالله ما مت حتى رأيت كل ما قاله قال فوالله لئن كان ذلك من علم ألقي اليه لقد أثبت له ولئن كان ذلك رأيا رآه وشيأ تمناه لقد كان (قال أبو مخنف) فحدثني الصقعب ابن زهير عن ابن العرق قال فحدثت بهذا الحديث الحجاج بن يوسف فضحك ثم قال لي انه كان يقول أيضا

وَدَافِعَةٍ ذَيْلَها * وَدَاعِيَةٍ وَيْلَها * بِدِجْلَةَ أَوْ حَوْلَها

فقلت له أترى هذا شيأ كان يخترعه وتخرصا يتخرصه أم هو من علم كان أوتيه فقال والله ما أدري ما هذا الذي تسألني عنه ولكن لله دره أي رجل دينا ومسعر حرب ومقارع أعداء كان (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف الأنصاري من بني الخزرج عن عباس بن سهل بن سعد قال قدم المختار علينا مكة فجاء الى عبد الله بن الزبير وأنا جالس عنده فسلم عليه فرد عليه ابن الزبير ورحب به وأوسع له ثم قال حدثني عن حال الناس بالكوفة يا أبا اسحاق قال هم لسلطانهم في العلانية أولياء وفي السر أعداء فقال له ابن الزبير هذه صفة عبيد السوء اذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم فاذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم قال فجلس معنا

ساعة ثم انه قال الى ابن الزبير كأنه يساره فقال له ما تنتظر ابسط يدك أبايعك وأعطنا ما يرضينا وثب على الحجاز فإن أهل الحجاز كلهم معك وقام المختار فخرج فلم ير حولا ثم انى بينا أنا جالس مع ابن الزبير اذ قال لى ابن الزبير متى عهدك بالمختار بن أبى عبيد فقلت له مالى به عهد منذ رأيته عندك عاما أول فقال أين تراه ذهب لو كان بمكة لقد رؤى بها بعد فقلت له انى انصرفت الى المدينة بعد اذ رأيته عندك بشهر أو شهرين فلبثت بالمدينة أشهرا ثم انى قدمت عليك فسمعت نفرا من أهل الطائف جاؤا معتمرين يزعمون انه قدم عليهم الطائف وهو يزعم انه صاحب الغضب ومبير الجبارين قال قاتله الله لقد انبعث كذابا متكهنا ان الله ان يهلك الجبارين يكن المختار أحدهم فوالله ما كان الاريث فراغنا من منطقنا حتى عن لنا فى جانب المسجد فقال ابن الزبير اذكر غائبا تره أين تظنه يهوى فقلت أظنه يريد البيت فأتى البيت فاستقبل الحجر ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم صلى ركعتين عند الحجر ثم جلس فما لبث ان مر به رجال من معارفه من أهل الطائف وغيرهم من أهل الحجاز فجلسوا اليه واستبطأ ابن الزبير قيامه اليه فقال ماترى شأنه لا يأتينا قلت لا أدرى وسأعلم لك علمه وقال ماشئت وكان ذلك أعجبه قال فقمت فمررت به كأنى أريد الخروج من المسجد ثم التفت اليه فأقبلت نحوه ثم سلمت عليه ثم جلست اليه وأخذت بيده فقلت له أين كنت وأين بلغت بعدى أبالطائف كنت فقال لى كنت بالطائف وغير الطائف وعمس على أمره فملت اليه فناجيته فقلت له مثلك يغيب عن مثل ما قد اجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب من قريش والأنصار وثقيف لم يبق أهل بيت ولا قبيلة الا وقد جاء زعيمهم وعميدهم فبايع هذا الرجل فعجبا لك ولرأيك ألا تكون أتيته فبايعته وأخذت بحظك من هذا الأمر وقال لى ومارأيتنى أتيته العام الماضى فأشرت عليه بالرأى فطوى أمره دونى وانى لما رأيته استغنى عنى أحببت ان أريه انى مستغن عنه انه والله لهو أحوج الى منى اليه فقلت له انك كلمته بالذى كلمته وهو ظاهر فى المسجد وهذا الكلام لا ينبغى أن يكون الا والستور دونه مرخاة والابواب دونه مغلقة القه الليلة ان شئت وأنا معك فقال لى فانى فاعل اذا صلينا العتمة أتيناه واتعدنا الحجر قال فنهضت من عنده فخرجت ثم رجعت الى ابن الزبير فأخبرته بما كان من قولى وقوله فسر بذلك * فلما صلينا العتمة التقينا بالحجر ثم خرجنا حتى أتينا منزل ابن الزبير فاستأذنا عليه فأذن لنا فقلت أخليكما فقالا جميعا لا سر دونك فجلست فإذا ابن الزبير قد أخذ بيده فصافحه ورحب به فسأله عن حاله وأهل بيته وسكتا جميعا غير طويل فقال له المختار وأنا أسمع بعد ان تبدأ فى أول منطقه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه لا خير فى الاكثار من المنطق ولا فى التقصير عن الحاجة انى قد جئتك لابايعك على ان لا تقضى الأمور دونى وعلى ان أكون فى أول من تأذن له وإذا ظهرت

استعنت بى على أفضل عملك فقال له ابن الزبير أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال وشر غلمانى أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مالى فى هذا الامر من الحظ ماليس لأقصى الخلق منك لا والله لا أبايعك أبدا الا على هذه الخصال قال عباس بن سهل فالتقمت أذن ابن الزبير فقلت له اشتر منه دينه حتى ترى من رأيك فقال له ابن الزبير فإن لك ما سألته فبسط يده فبايعه ومكث معه حتى شاهد الحصار الاول حين قدم الحصين بن نمير السكونى مكة فقاتل فى ذلك اليوم فكان من أحسن الناس يومئذ بلاء وأعظمهم غناء * فلما قتل المنذر بن الزبير والمسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى نادى المختار يا أهل الاسلام الى الى أنا ابن أبى عبيد بن مسعود وأنا ابن الكرار لا الفرار أنا ابن المقدمين غير المحجمين الى يا أهل الحفاظ وحماة الأوتار فحمى الناس يومئذ وأبلى وقاتل قتالا حسنا ثم أقام مع ابن الزبير فى ذلك الحصار حتى كان يوم أحرق البيت فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ فقاتل المختار يومئذ فى عصابة معه نحو من ثلثمائة أحسن قتال قاتله أحد من الناس ان كان ليقاتل حتى يتبلد ثم يجلس ويحيط به أصحابه فاذا استراح نهض فقاتل فما كان يتوجه نحو طائفة من أهل الشأم الا ضاربهم حتى يكشفهم (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو يوسف محمد ابن ثابت عن عباس بن سهل بن سعد قال تولى قتال أهل الشأم يوم تحريق الكعبة عبد الله ابن مطيع وأنا والمختار قال فما كان فينا يومئذ رجل أحسن بلاء من المختار قال وقاتل قبل أن يطلع أهل الشأم على موت يزيد بن معاوية بيوم قتالا شديدا وذلك يوم الأحد لخمس عشرة ليلة مضت من ربيع الآخر سنة ٦٤ وكان أهل الشأم قد رجوا أن يظفروا بنا وأخذوا علينا سكك مكة قال وخرج ابن الزبير فبايعه رجال كثير على الموت قال فخرجت فى عصابة معى أقاتل فى جانب والمختار فى عصابة أخرى يقاتل فى جميعة من أهل اليمامة فى جانب وهم خوارج وانما قاتلوا ليدفعوا عن البيت فهم فى جانب وعبد الله بن المطيع فى جانب قال فشد أهل الشأم على فحازونى فى أصحابى حتى اجتمعت أنا والمختار وأصحابه فى مكان واحد فلم أكن أصنع شيأ الا صنع مثله ولا يصنع شيأ الا تكلفت أن أصنع مثله فما رأيت أشد منه قط قال فإنا لنقاتل اذ شدت علينا رجال وخيل من خيل أهل الشأم فاضطرونى واياه فى نحو من سبعين رجلا من أهل الصبر الى جانب دار من دور أهل مكة فقاتلهم المختار يومئذ وأخذ يقول رجل لرجل ولا وألت نفس امرئ يفر قال فخرج المختار وخرجت معه فقلت ليخرج منكم الى رجل فخرج الى رجل واليه رجل آخر فمشيت الى صاحبى فأقتله ومشى المختار الى صاحبه فقتله ثم صحنا بأصحابنا وشددنا عليهم فوالله لضربناهم حتى أخرجناهم من السكك كلها ثم رجعنا الى صاحبينا اللذين

قتلنا

قتلنا قال فاذا الذى قتلت رجلٌ أحمر شديد الحمرة كأنه رومىٌّ واذا الذى قتل المختار رجلٌ أسود شديد السواد فقال لى المختار تعلمْ والله انى لأظنّ قتيلينا هذينِ عبدين ولو أن هذين قتلانا لفُجع بنا عشائرنا ومَن يرجونا وماهذان وكلبان من الكلاب عندى إلا سواء ولا أخرج بعد يومى هذا الرجل أبدًا إلا رجلٍ أعرفه فقلت له وأنا والله لا أخرج إلا الرجلٍ أعرفه وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيد بن معاوية وانقضى الحصار ورجع أهل الشأم الى الشأم واصطلح أهل الكوفة على عامر بن مسعود بعد ماهلك يزيد يصلى بهم حتى يجتمع الناس على امام يرضونه فلم يلبث عامر الاشهرًا حتى بعث ببيعته وبيعة أهل الكوفة الى ابن الزبير وأقام المختار مع ابن الزبير خمسة أشهر بعد مهلك يزيد وأياما (قال أبو مخنف) فحدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال والله انى لمع عبد الله بن الزبير ومعه عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف ونحن نطوف بالبيت اذ نظر ابن الزبير فاذا هو بالمختار فقال لابن صفوان انظر اليه فوالله لهو أحذر من ذئب قد أطافت به السباع قال فمضى ومضينا معه فلما قضينا طوافنا وصلينا الركعتين بعد الطواف لحقنا المختار فقال لابن صفوان ما الذى ذكرنى به ابن الزبير قال قال فكتمه وقال لم يذكرك الا بخير قال بلى وربّ هذه البنية ان كنتُ لمن شأنكما أما والله ليخطِنّ في أثرى أولا قدنها عليه سعرًا فأقام معه خمسة أشهر فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من الكوفة الا سأله عن حال الناس وهيئتهم (قال أبو مخنف) فحدثنى عطية بن الحارث أبو روق الهمدانى ان هانئ بن أبى حية الوادعىّ قدم مكة يريد عُمرة رمضان فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيئتهم فأخبره عنهم بصلاحٍ واتّساقٍ على طاعة ابن الزبير الا ان طائفةً من الناس اليهم عدد أهل مصر لو كان لهم رجلٌ يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض الى يوم ما فقال له المختار أنا أبو اسحاق أنا والله لهم أنا أجمعهم على مرّ الحق وأنفى بهم ركبان الباطل وأقتل بهم كل جبارٍ عنيدٍ فقال له هانئ بن أبى حية ويحك يا ابن أبى عبيد ان استطعت ألا توضع فى الضلال ليكن صاحبهم غيرك فان صاحب الفتنة أقرب شىءٍ أجلا وأسوأ الناس عملا فقال له المختار انى لا أدعو الى الفتنة انما أدعو الى الهدى والجماعة ثم وثب فخرج وركب رواحله فأقبل نحو الكوفة حتى اذا كان بالقرعاء لقيه سلمة بن مرثد أخو بنت مرثد القابضىّ من همدان وكان من أشجع العرب وكان ناسكا فلما التقيا تصافحا وتساءلا فخبّره المختار خبر الحجاز ثم قال لسلمة بن مرثد حدثنى عن الناس بالكوفة قال هم كغنم ضلّ راعيها فقال المختار بن أبى عبيد أنا الذى أحسن رعايتها وأبلغ نهايتها فقال له سلمة اتق الله واعلم انك ميّتٌ ومبعوثٌ ومحاسبٌ ومجزىٌّ بعملك ان خيرا فخيرٌ وان شرا فشرٌّ ثم افترقا وأقبل المختار حتى انتهى الى بحر الحيرة

يوم الجمعة فنزل فاغتسل فيه وادّهن دُهنا يسيرا ولبس ثيابه واعتمّ وتقلد سيفه ثم ركب راحلته فمرّ بمسجد السَّكون وجبّانة كندة لا يمر بمجلس الا سلم على أهله وقال ابشروا بالنصر والفلج أتاكم ما تحبون وأقبل حتى مر بمسجد بنى ذُهل وبنى حُجر فلم يجد ثمّ أحدا ووجد الناس قد راحوا الى الجمعة فأقبل حتى مر ببنى بدّاء فوجد عبيدة بن عمرو البدّىّ من كندة فسلم عليه ثم قال ابشر بالنصر واليُسر والفلج انك أبا عمرو على رأيٍ حسنٍ لن يدع الله لك معه مأثما الا غفره ولا ذنبا الا ستره قال وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم حبا لعلىّ رضى الله عنه وكان لا يصبر عن الشراب فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة بشّرك الله بخير انك قد بشرتنا فهل أنت مفسّرٌ لنا قال نعم فالقنى فى الرحل الليلة ثم مضى (قال أبو مخنف) فحدثنى فضيل بن خُدَيج عن عبيدة بن عمرو قال قال لى المختار هذه المقالة ثم قال لى القنى فى الرحل وبلغ أهل مسجدكم هذا أعنى انهم قومٌ أخذ الله ميثاقهم على طاعته يقتلون المُحلين ويطلبون بدماء أولاد النبيين ويهديهم للنُور المبين ثم مضى فقال لى كيف الطريق الى بنى هند فقلت له انظرنى أدلك فدعوت بفرسى وقد أسرج لى فركبته قال ومضيت معه الى بنى هند فقال دلنى على منزل اسماعيل بن كثير قال فمضيت به الى منزله فاستخرجته فحيّاه ورحّب به وصافحه وبشّره وقال له القنى أنت وأخوك الليلة وأبو عمرو فانى قد أتيتكم بكل ما تحبون قال ثم مضى ومضينا معه حتى مر بمسجد جُهَينة الباطنة ثم مضى الى باب الفيل فأناخ راحلته ثم دخل المسجد واستشرف له الناس وقالوا هذا المختار قد قدم فقام المختار الى جنب سارية من سوارى المسجد فصلى عندها حتى أقيمت الصلاة فصلى مع الناس ثم ركد الى سارية أخرى فصلى ما بين الجمعة والعصر فلما صلى العصر مع الناس انصرف (قال أبو مخنف) فحدثنى المجالد بن سعيد عن عامر الشعبى ان المختار مرّ على حلقة همدان وعليه ثياب السفر فقال ابشروا فانى قد قدمت عليكم بما يسركم ومضى حتى نزل داره وهى الدار التى تُدعى دار سلْم بن المسيب وكانت الشيعة تختلف اليها واليه فيها (قال أبو مخنف) فحدثنى فضيل بن حديج عن عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير من بنى هند قالا أتيناه من الليل كما وعدنا فلما دخلنا عليه وجلسنا ساءلنا عن أمر الناس وعن حال الشيعة فقلنا له ان الشيعة قد اجتمعت لسليمان ابن صرد الخزاعى وانه لن يلبث الا يسيرا حتى يخرج قال فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان المهدى ابن الوصى محمد بن علىّ بعثنى اليكم أمينا ووزيرا ومنتخبا وأميرا وأمرنى بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء (قال أبو مخنف) قال فضيل بن حديج فحدثنى عبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير انهما كانا أول خلق الله اجابةً وضربا على يده وبايعاه قال وأقبل المختار يبعث الى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمان بن صرد فيقول لهم انى قد جئتكم من قِبل ولىّ الامر ومعدنِ الفضل ووصىّ

الوصيّ والامام المهدي بأمر فيه الشفاء وكشف الغطاء وقتل الاعداء وتمام النّعماء ان سليمان ابن صرد يرحمنا الله واياه انما هو عشمة من العشم وحفش بالٍ ليس بذي تجربةٍ للامور ولا له علمٌ بالحروب انما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم انى انما أعمل على مثالٍ قد مُثل لى وأمر قد بُيّن لى فيه عزّ وليكم وقتل عدوكم وشفاء صدوركم فاسمعوا منى قولى وأطيعوا أمرى ثم ابشروا وتباشروا وانى لكم بكل ما تأملون خيرُ زعيم قال فوالله ما زال بهذا القول ونحوه حتى استمال طائفةً من الشيعة وكانوا يختلفون اليه ويعظمونه وينظرون أمره وعُظمُ الشيعة يومئذ ورؤساؤهم مع سليمان بن صرد وهو شيخ الشيعة وأسنّهم فليس يعدلون به أحدا الا أن المختار قد استمال منهم طائفة ليسوا بالكثير فسليمان بن صرد أثقل خلق الله على المختار وقد اجتمع لابن صرد يومئذ أمره وهو يريد الخروج والمختار لا يريد أن يتحرك ولا أن يهيّج أمراً رجاء أن ينظر الى ما يصير اليه أمر سليمان رجاء أن يستجمع له أمر الشيعة فيكون أقوى له على دركِ ما يطلب فلما خرج سليمان بن صرد ومضى نحو الجزيرة قال عمر بن سعد ابن أبي وقّاص وشَبَث بن ربعيّ ويزيد بن الحارث بن رُوَيم لعبد الله بن يزيد الخطميّ وابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ان المختار أشد عليكم من سليمان بن صرد انّ سليمان انما خرج يقاتل عدوّكم ويذللهم لكم وقد خرج عن بلادكم وان المختار انما يريد أن يثب عليكم فى مصركم فسيروا اليه فأوثقوه في الحديد وخلدوه في السجن حتى يستقيم أمرُ الناس فخرجوا اليه فى الناس فما شعر بشيء حتى أحاطوا به وبداره فاستخرجوه فلما رأى جماعتهم قال ما بالكم فوالله بعدَ ما ظفرتْ أكفكم قال فقال ابراهيم بن محمد بن طلحة ابن عبيد الله لعبد الله بن يزيد شُدّه كتافا ومشّه حافيا فقال له عبد الله بن يزيد سبحان الله ما كنت لأمشّيه ولا لأحفيه ولا كنت لافعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوةً ولا حرباً وانما أخذناه على الظن فقال له ابراهيم بن محمد ليس بعُشّك فادرُجي ما أنت وما بلغنا عنك يا ابن أبي عبيد فقال له ما الذي بلغك عنى الا باطلٌ وأعوذ بالله من غشّ كغشّ أبيك وجدّك قال قال فضيل فوالله انى لأنظر اليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له غير انى لا أدرى أسمعه منه ابراهيم أم لم يسمعه فسكت حين تكلم به قال وأتى المختار ببغلة دهماء يركبها فقال ابراهيم لعبد الله بن يزيد ألا تشد عليه القيود فقال كفى له بالسجن قيدا (قال أبو مخنف) وأما يحيى بن أبي عيسى فحدثنى انه قال دخلت اليه مع حميد بن مسلم الازدى نزوره ونتعاهده فرأيته مقيّدًا قال فسمعته يقول أما ورب البحار والنخيل والاشجار والمهامه والقفار والملائكة الابرار والمصطفين الاخيار لأقتلنّ كلّ جبار بكل لدنٍ خطّار ومهنّد بتار فى جموع من الانصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار حتى اذا أقمتُ عمود الدين ورأبتُ شعب صدع المسلمين وشفيتُ غليل صدور المؤمنين وأدركتُ بثأر

النبيين لم يكبر على زوال الدنيا ولم أحفل بالموت اذا أتى قال فكان اذا أتيناه وهو في السجن ردد علينا هذا القول حتى خرج منه قال وكان يتشجع لاصحابه بعدما خرج ابن صرد ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبة وكانت قد مال حيطانها مما رميت به من حجارة المجانيق فذكر محمد بن عمر الواقدى ان ابراهيم بن موسى حدثه عن عكرمة بن خالد قال هدم ابن الزبير البيت حتى سواه بالارض وحفر أساسه وأدخل الحجر فيه وكان الناس يطوفون من وراء الاساس ويصلون الى موضعه وجعل الركن الاسود عنده في تابوت في سرقة من حرير وجعل ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثياب أو طيب عند الحجبة في خزانة البيت حتى أعادها لما أعاد بناءه * قال محمد بن عمرو حدثني معقل ابن عبد الله عن عطاء قال رأيت ابن الزبير هدم البيت كله حتى وضعه بالارض ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على مدينة فيها أخوه عبيدة بن الزبير وعلى الكوفة عبد الله بن يزيد الخطمى وعلى قضائها سعد بن نمران وأبى شريح أن يقضى فيها وقال فيما ذكر عنه انا لا أقضى في الفتنة وعلى البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم

## ﴿ثم دخلت سنة خمس وستين﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة﴾

فمن ذلك ما كان من أمر التوابين وشخوصهم للطلب بدم الحسين بن على الى عبيد الله بن زياد (قال هشام) قال أبو مخنف حدثنى أبو يوسف عن عبد الله بن عوف الاحمرى قال بعث سليمان بن صرد الى وجوه أصحابه حين أراد الشخوص وذلك في سنة ٦٥ فأتوه فلما استهل الهلال هلال شهر ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه وقد كان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنخيلة فخرج حتى أتى عسكره فدار في الناس ووجوه أصحابه فلم يعجبه عدة الناس فبعث حكيم بن منقذ الكندى في خيل وبعث الوليد بن غضين الكنانى في خيل وقال اذهبا حتى تدخلا الكوفة فناديا يا لثارات الحسين وابلغا المسجد الاعظم فناديا بذلك فخرجا وكانا أول خلق الله دعوا يا لثأرات الحسين قال فأقبل حكيم بن منقذ الكندى في خيل والوليد بن غضين في خيل حتى مرا ببنى كثير وان رجلا من بنى كثير من الازد يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سهلة بنت سبرة بن عمرو من بنى كثير وكانت من أجمل الناس وأحبهم اليه سمع الصوت يا لثأرات الحسين وما هو ممن كان يأتيهم ولا استجاب لهم فوثب الى ثيابه فلبسها ودعا بسلاحه وأمر باسراج فرسه فقالت له امرأته ويحك أجننت قال لا والله ولكنى سمعت داعى الله فأنا مجيبه أنا طالب بدم هذا الرجل حتى أموت أو يقضى الله من أمرى ما هو أحب اليه فقالت له الى من تدع بنيك هذا قال الى الله وحده لا شريك له

اللهم انى أستودعك أهلى وولدى اللهم احفظنى فيهم وكان ابنه ذلك يُدعى عزرة فبقى حتى قتل بعد مع مصعب بن الزبير وخرج حتى لحق بهم فقعدت امرأته تبكيه واجتمع اليها نساؤها ومضى مع القوم وطافت تلك الليلة الخيل بالكوفة حتى جاؤا المسجد بعد العتمة وفيه ناس كثير يصلون فنادوا يالثارات الحسين وفيهم أبو عزة القابضى وكرب بن نمران يصلى فقال يالثارات الحسين أين جماعة القوم قيل بالنخيلة فخرج حتى أتى أهله فأخذ سلاحه ودعا بفرسه ليركبه فجاءته ابنته الرواع وكانت تحت ثبيت بن مرثد القابضى فقالت ياأبت مالى أراك قد تقلدت سيفك ولبست سلاحك فقال لها يابنيّة ان أباك يفرّ من ذنبه الى ربه فأخذت تنتحب وتبكى وجاءه اصهاره وبنو عمه فودّعهم ثم خرج فلحق بالقوم قال فلم يصبح سليمان بن صرد حتى أتاه نحو ممن كان فى عسكره حين دخله قال ثم دعا بديوانه لينظر فيه الى عدّة من بايعه حين أصبح فوجدهم ستة عشر ألفا فقال سبحان الله ماوافانا الا أربعة آلاف من ستة عشر ألفا (قال أبو مخنف) عن عطية بن الحارث عن حميد بن مسلم قال قلت لسليمان ابن صرد ان المختار والله يثبّط الناس عنك انى كنت عنده أوّل ثلاث فسمعت نفرا من أصحابه يقولون قد كملنا ألفى رجل فقال وهب ان ذلك كان فأقام عنا عشرة آلاف أما هؤلاء بمؤمنين أما يخافون الله أما يذكرون الله وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليجاهدنّ ولينصرنّ فأقام بالنخيلة ثلاثا يبعث ثقاته من أصحابه الى من تخلف عنه يذكرهم الله وما أعطوه من أنفسهم فخرج اليه نحو من ألف رجل فقام المسيب بن نجبة الى سليمان ابن صرد فقال رحمك الله انه لا ينفعك الكاره ولا يقاتل معك الا من أخرجته النية فلا تنتظرنّ أحدا واكمش فى أمرك قال فانك والله لنعمّا رأيت فقام سليمان بن صرد فى الناس متوكئا على قوس له عربية فقال أيها الناس من كان انما أخرجته ارادة وجه الله وثواب الآخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حيا وميتا ومن كان انما يريد الدنيا وحرثها فوالله ما نأتى فيأ نستفيئه ولا غنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله رب العالمين وما معنا من ذهب ولا فضة ولا خزّ ولا حرير وما هو الا سيوفنا فى عواتقنا ورماحنا فى أكفنا وزاد قدر البلغة الى لقاء عدوّنا فمن كان غير هذا ينوى فلا يصحبنا فقام صخير بن حذيفة بن هلال ابن مالك المزنى فقال أتاك الله رشدك ولقاك حجتك والله الذى لا اله غيره مالنا خير فى صحبة من الدنيا همته ونيته أيها الناس انما أخرجتنا التوبة من ذنبنا والطلب بدم ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم ليس معنا دينار ولا درهم انما نقدم على حدّ السيوف وأطراف الرماح فتنادى الناس من كل جانب انا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا (قال أبو مخنف) عن اسماعيل بن يزيد الازدى عن السرى بن كعب الازدى قال أتينا صاحبنا عبد الله بن سعد بن نفيل نودّعه قال فقام فقمنا معه فدخل على سليمان ودخلنا معه وقد

أجمع سليمان بالمسير فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نفيل أن يسير الى عبيد الله بن زياد فقال هو
ورؤس أصحابه الرأى ما أشار به عبد الله بن سعد بن نفيل أن نسير الى عبيد الله بن زياد
قاتل صاحبنا ومن قِبَله أُتينا فقال له عبد الله بن سعد وعنده رؤس أصحابه جلوسٌ حوله
انى قد رأيت رأيا ان يكن صوابا فالله وفّق وان يكن ليس بصوابٍ فمن قبلى فانى ما آلوكم
ونفسى نصحًا خطأ كان أم صوابا انما خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلةُ الحسين كلهم بالكوفة
منهم عمر بن سعد بن أبى وقاص ورؤس الارباع وأشراف القبائل فأنى نذهب ههنا وندع
الاقتال والاوتاز فقال سليمان بن صرد فماذا ترون فقالوا والله لقد جاء برأىٍ وانّ ماذكر
لكما ذكر والله ما نلقى من قتلةِ الحسين ان نحن مضينا نحو الشأم غير ابن زياد وما طلبَتُنا
الا ههنا بالمصر فقال سليمان بن صرد لكن أنا ما أرى ذلك لكم ان الذى قتل صاحبكم وعبّى
الجنود اليه وقال لا أمانَ له عندى دون أن يستسلم فأمضِى فيه حُكمى هذا الفاسق ابن
الفاسق ابن مرجانة عبيد الله بن زياد فسيروا الى عدوكم على اسم الله فان يُظهركم الله عليه
رجونا أن يكون مَن بعده أهونَ شوكةً منه ورجونا أن يدين لكم مَن وراءَكم من أهل
مصركم فى عافيةٍ فتنظرون الى كل من شرك فى دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشموا وان
تستشهدوا فانما قاتلتم المحلين وما عندَ الله خيرٌ للأبْرار والصديقين انى لأحبّ أن تجعلوا
حدَّكم وشوكتكم بأول المحلين القاسطين والله لو قاتلتم غدا أهل مصركم ما عدم رجلٌ أن
يرى رجلا قد قتل أخاه وأباه وحميمه أو رجلا لم يكن يريد قتله فاستخيروا الله وسيروا فتهيأ الناس
للشخوص قال وبلغ عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة خروجُ ابن صرد وأصحابه
فنظرا فى أمرهما فرأيا أن يأتياهم فيعرضا عليهم الاقامة وأن تكون أيديهم واحدةً فان أبوا
الا الشخوص سألوهم النظرةَ حتى يعبوا معهم جيشا فيقاتلوا عدوهم بكنفٍ وحدٍّ فبعث عبد
الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة سويدَ بن عبد الرحمن الى سليمان بن صرد فقال
له ان عبد الله وابراهيم يقولان انا نريد أن نجيئك الآن لامرٍ عسى الله أن يجعل لنا
ولك فيه صلاحا فقال قل لهما فليأتيانا وقال سليمان لرفاعة بن شداد البجلى قم أنت فأحسن
تعبية الناس فان هذين الرجلين قد بعثا بكيتَ وكيتَ فدعا رؤس أصحابه فجلسوا حوله
فلم يمكثوا الا ساعة حتى جاء عبد الله بن يزيد فى أشراف أهل الكوفة والشُرَط وكثيرٍ من
المقاتلة وابراهيم بن محمد بن طلحة في جماعةٍ من أصحابه فقال عبد الله بن يزيد لكل
رجل معروفٍ قد عُلِمَ انه قد شرك في دم الحسين لا تصحبنّى اليهم مخافة أن ينظروا اليه فيعدوا
عليه وكان عمر بن سعد تلك الايام التى كان سليمان مُعسكرا فيها بالنخيلة لا يبيت الا في قصر
الامارة مع عبد الله بن يزيد مخافةَ أن يأتيه القومُ فى داره ويذمروا عليه في بيته وهو غافلٌ
لا يعلم فيقتل وقال عبد الله بن يزيد يا عمرو بن حريث ان أنا أبطأتُ عنك فصلّ بالناس

الظهر فلما انتهى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد الى سليمان بن صرد دخلا عليه فحمد الله عبد الله بن يزيد وأثنى عليه ثم قال ان المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشه وأنتم اخواننا وأهل بلدنا وأحب أهل مصرٍ خلقهُ الله الينا فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تستبدوا علينا برأيكم ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا أقيموا معنا حتى نتيسر ونتهيأ فاذا علمنا ان عدونا قد شارف بلدنا خرجنا اليهم بجماعتنا فقاتلناهم وتكلم ابراهيم بن محمد بنحوٍ من هذا الكلام قال فحمد الله سليمان بن صرد وأثنى عليه ثم قال لهما انى قد علمت انكما قد محضتما فى النصيحة واجتهدتما في المشورة فنحن بالله وله وقد خرجنا لأمرٍ ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد والتسديد لأصوبه ولا ترانا الا شاخصين ان شاء الله ذلك فقال عبد الله بن يزيد فأقيموا حتى نعبّى معكم جيشا كثيفا فتلقوا عدوّكم بكثفٍ وجمعٍ وحدٍّ فقال له سليمان تنصرفون ونرى فيما بيننا وسيأتيكم ان شاء الله رأيٌ (قال أبو مخنف) عن عبد الجبار يعنى ابن عباس الهمدانى عن عَوْن بن أبي جُحيفة السُّوائى قال ثم ان عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة عرضا على سليمان أن يقيم معهما حتى يلقوا جموع أهل الشأم على أن يخصّاه وأصحابه بخراج جُوخَى خاصةً لهم دون الناس فقال لهما سليمان انا ليس للدنيا خرجنا وانما فعلا ذلك لما قد كان بلغهما من اقبال عبيد الله بن زياد نحوَ العراق وانصرف ابراهيم بن محمد وعبد الله بن يزيد الى الكوفة وأجمع القوم على الشخوص واستقبال ابن زياد ونظروا فاذا شيعتهم من أهل البصرة لم يوافوهم لميعادهم ولا أهل المدائن فأقبل ناسٌ من أصحابه يلومونهم فقال سليمان لا تلوموهم فانى لا أراهم الا سيُسرعون اليكم لو قد انتهى اليهم خبرُكم وحينُ مسيرِكم ولا أراهم خلفهم ولا أقعدَهم الا قلةُ النفقة وسوءُ العُدّة فأقيموا ليتيسّروا ويتجهزوا ويلحقوا بكم وبهم قوةٌ وما أسرع القومَ في آثاركم قال ثم ان سليمان بن صرد قام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله قد علم ماتنوُون وما خرجتم تطلبون وان للدنيا تجارا وللآخرة تجارا فأما تاجر الآخرة فساعٍ اليها متنصّب بتطلابها لا يشترى بها ثمنا لا يُرى الا قائما وقاعدا وراكعا وساجدا لا يطلب ذهبا ولا فضةً ولا دنيا ولا لذةً وأما تاجر الدنيا فمُكبٌّ عليها راتع فيها لا يبتغى بها بدلا فعليكم يرحمكم الله في وجهكم هذا بطول الصلاة فى جوف الليل وبذكر الله كثيرا على كل حالٍ وتقرّبوا الى الله جل ذكره بكل خيرٍ قدرتم عليه حتى تلقوا هذا العدوّ والمُحلّ القاسط فتجاهدوه فإنكم لن تتوسلوا الى ربكم بشىء هو أعظم عنده ثوابا من الجهاد والصلاة فان الجهاد سنام العمل جعلنا الله وإياكم من العباد الصالحين المجاهدين الصابرين على اللأواء وانا مدلجون الليلةَ من منزلنا هذا ان شاء الله فادّلجوا فادلج عشيةَ الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٥ للهجرة قال فلما خرج

سليمان وأصحابه من النخيلة دعا سليمان بن صرد حكيم بن منقذ فنادى في الناس ألا لا يبيتن رجل منكم دون دير الأعور فبات الناس بدير الأعور وتخلف عنه ناس كثير ثم سار حتى نزل الأقساس أقساس مالك على شاطئ الفرات فعرض الناس فسقط منهم نحو من ألف رجل فقال ابن صرد ما أحب أن من تخلف عنكم معكم ولو خرجوا معكم ما زادوكم إلا خبالا ان الله عز وجل كره انبعاثهم فثبطهم وخصكم بفضل ذلك فاحمدوا ربكم ثم خرج من منزله ذلك دلجة فصبحوا قبر الحسين فأقاموا به ليلة ويوما يصلون عليه ويستغفرون له قال فلما انتهى الناس الى قبر الحسين صاحوا صيحة واحدة وبكوا فما رئي يوم كان أكثر باكيا منه (قال أبو مخنف) وقد حدث عبد الرحمن بن جندب عن عبد الرحمن بن غزية قال لما انتهينا الى قبر الحسين عليه السلام بكى الناس بأجمعهم وسمعت جل الناس يتمنون انهم كانوا أصيبوا معه فقال سليمان اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد المهدى بن المهدى الصديق بن الصديق اللهم انا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتلهم وأولياء محبيهم ثم انصرف ونزل ونزل أصحابه (قال أبو مخنف) حدثنا الاعمش قال حدثنا سلمة بن كهيل عن أبي صادق قال لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه الى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة يارب انا قد خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين وإنا نشهدك يارب أنا على مثل ما قتلوا عليه فان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال فأقاموا عنده يوما وليلة يصلون عليه ويبكون ويتضرعون فما انفك الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أصحابه حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره وزاهم ذلك حنقا ثم ركبوا فأمر سليمان الناس بالمسير فجعل الرجل لا يمضى حتى يأتي قبر الحسين فيقوم عليه فيترحم عليه ويستغفر له قال فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود قال ووقف سليمان عند قبره فكلما دعا له قوم وترحموا عليه قال لهم المسيب بن نجبة وسليمان بن صرد الحقوا باخوانكم رحمكم الله فما زال كذلك حتى بقي نحو من ثلاثين من أصحابه فأحاط سليمان بالقبر هو وأصحابه فقال سليمان الحمد لله الذى لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين اللهم اذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده وقال عبد الله بن وال أم والله انى لأظن حسينا وأباه وأخاه أفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسيلة عند الله يوم القيامة أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم انهم قتلوا اثنين وأشفوا بالثالث على القتل قال يقول المسيب بن نجبة فأنا من قتلتهم ومن كان على رأيهم برىء اياهم أعادى وأقاتل قال فأحسن الرؤس كلهم المنطق وكان المثنى بن مخربة صاحب أحد الرؤس والأشراف فساءني حيث لم أسمعه تكلم مع القوم بنحو ما تكلموا به قال فوالله ما لبث ان تكلم بكلمات ما كن بدون كلام أحد من القوم فقال ان الله جعل

هؤلاء

هؤلاء الذين ذكرتم بمكانهم من نبيهم صلى الله عليه وسلم أفضل ممن هو دون نبيهم وقد قتلهم قوم نحن لهم أعداء ومنهم براء وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال ارادة استئصال من قتلهم فوالله لو أن القتال فيهم بمغرب الشمس أو بمنقطع التراب يحق علينا طلبه حتى نناله فان ذلك هو الغنم وهي الشهادة التي ثوابها الجنة فقلنا له صدقت وأصبت ووفقت قال ثم إن سليمان بن صرد سار من موضع قبر الحسين وسرنا معه فأخذنا على الحصاصة ثم على الأنبار ثم على الصدود ثم على القيارة (قال أبو مخنف) عن الحارث بن حصيرة وغيره ان سليمان بعث على مقدمته كريب بن يزيد الحميري (قال أبو مخنف) حدثني الحصين بن يزيد عن السري بن كعب قال خرجنا مع رجال الحي نشيعهم فلما انتهينا الى قبر الحسين وانصرف سليمان بن صرد وأصحابه عن القبر ولزموا الطريق استقدمهم عبد الله بن عوف ابن الأحمر على فرس له مهلوب كميت مربوع يتأكل تأكلا وهو يرتجز ويقول

خرجن يلمعن بنا أرسالا * عوابسا يحملننا أبطالا

نريد أن نلقى به الأقتالا * القاسطين الغدر الضلالا

وقد رفضنا الأهل والأموالا * والخفرات البيض والحجالا

نرضي به ذا النعم المفضالا

(قال أبو مخنف) عن سعد بن مجاهد الطائي عن المحل بن خليفة الطائي ان عبد الله بن يزيد كتب الى سليمان بن صرد أحسبه قال بعثني به فلحقته بالقيارة واستقدم أصحابه حتى ظن ان قد سبقهم قال فوقف وأشار الى الناس فوقفوا عليه ثم أقرأهم كتابه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن يزيد الى سليمان بن صرد ومن معه من المسلمين سلام عليكم أما بعد فإن كتابي هذا اليكم كتاب ناصح ذي ارعاء وكم من ناصح مستغش وكم من غاش مستنصح محب انه بلغني انكم تريدون المسير بالعدد اليسير الى الجمع الكثير وإنه من يرد ان ينقل الجبال عن مراتبها تكل معاوله وينزع وهو مذموم العقل والفعل ياقومنا لا تطمعوا عدوكم في أهل بلادكم فإنكم خيار كلكم ومتى ما يصبكم عدوكم يعلموا انكم أعلام مصركم فيطمعهم ذلك فيمن وراءكم ياقومنا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا ياقوم ان أيدينا وأيديكم اليوم واحدة وان عدونا وعدوكم واحد ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدونا ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا ياقومنا لا تستغشوا نصحي ولا تخالفوا أمري وأقبلوا حين يقرأ عليكم كتابي أقبل الله بكم الى طاعته وأدبر بكم عن معصيته والسلام قال فلما قرئ الكتاب على ابن صرد وأصحابه قال للناس ماترون قالوا ماذا ترى قد أبينا هذا عليكم وعليهم ونحن في مصرنا وأهلنا فالآن حين خرجنا ووطنا أنفسنا على الجهاد ودنونا من أرض عدونا ماهذا برأي ثم ناده

ان أخبرنا برأيك قال رأيي والله انكم لم تكونوا قط أقرب من احدى الحسنيين منكم يومكم هذا الشهادة والفتح ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم الله عليه من الحق وأردتم به من الفضل انا وهؤلاء مختلفون ان هؤلاء لو ظهروا دعونا الى الجهاد مع ابن الزبير ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالاً وانا ان نحن ظهرنا رددنا هذا الأمر الى أهله وإن أصبنا فعلى نياتنا تائبين من ذنوبنا ان لنا شكلاً وإن لابن الزبير شكلاً انا وإياهم كما قال أخو بني كنانة

أرى لك شكلاً غير شكلي فأقصري * عن اللوم اذ بدلت واختلف الشكل

قال فانصرف الناس معه حتى نزل هيت فكتب سليمان بسم الله الرحمن الرحيم للأمير عبد الله بن يزيد من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين سلام عليك أما بعد فقد قرأنا كتابك وفهمنا ما نويت فنعم والله الوالي ونعم الأمير ونعم أخو العشيرة أنت والله من نأمنه بالغيب ونستنصحه في المشورة ونحمده على كل حال انا سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المؤمنينَ أنفُسَهُمْ وأموالَهمْ بأنَّ لَهُمُ الجنةَ الى قوله وبشرِ المؤمنينَ ان القوم قد استبشروا ببيعتهم التي بايعوا انهم قد تابوا من عظيم جرمهم وقد توجهوا الى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير والسلام عليك فلما أتاه هذا الكتاب قال استمات القوم أول خبر يأتيكم عنهم قتلهم وايم الله ليُقتلن كراما مسلمين ولا والذي هو ربهم لا يقتلهم عدوهم حتى تشتد شوكتهم وتكثر القتلى فيما بينهم (قال أبو مخنف) فحدثني يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر وعبد الرحمن بن جندب عن عبد الرحمن بن غزية قال خرجنا من هيت حتى انتهينا الى قرقيسيا فلما دنونا منها وقف سليمان بن صرد فعبانا تعبية حسنة حتى مررنا بجانب قرقيسيا فنزلنا قريبا منها وبها زفر بن الحارث الكلابي قد تحصن بها من القوم ولم يخرج اليهم فبعث سليمان المسيب بن نجبة فقال ائت ابن عمك هذا فقل له فليخرج الينا سوقا فإنا لسنا اياه نريد انما صمدنا لهؤلاء المحلين فخرج المسيب بن نجبة حتى انتهى الى باب قرقيسيا فقال افتحوا ممن تحصنون فقالوا من أنت قال انا المسيب بن نجبة فأتى الهذيل بن زفر أباه فقال هذا رجل حسن الهيئة يستأذن عليك وسألناه من هو فقال المسيب بن نجبة قال وأنا اذ ذاك لا علم لي بالناس ولا أعلم أي الناس هو فقال لي أبي أما تدري أي بني من هذا هذا فارس مضر الحمراء كلها وإذا عد من أشرافها عشرة كان أحدهم وهو بعد رجل ناسك له دين ائذن له فأذنت له فأجلسه أبي الى جانبه وسائله وألطفه في المسألة فقال المسيب بن نجبة ممن تحصن انا والله ما اياكم نريد وما اعترينا الى شيء الا أن تعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحلين فأخرج لنا سوقا فإنا لا نقيم بساحتكم الا يوما أو بعض يوم فقال له زفر بن الحارث انا لم

نغلق

نغلق أبواب هذه المدينة الا لنعلم ايانا اعتريتم أم غيرنا انا والله ما بنا عجز عن الناس مالم تدهمنا حيلة وما نحب انا بلينا بقتالكم وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة حسنة جميلة ثم دعا ابنه فأمره أن يضع لهم سوقا وأمر للمسيب بألف درهم وفرس فقال له المسيب اما المال فلا حاجة لي فيه والله ماله خرجنا ولا اياه طلبنا واما الفرس فاني أقبله لعلي أحتاج اليه إن ظلع فرسي أو غمز تحتي فخرج به حتى أتى أصحابه وأخرجت لهم السوق فتسوقوا وبعث زفر ابن الحارث الى المسيب بن نجبة بعد اخراج الأسواق والأعلاف والطعام الكثير بعشرين جزورا وبعث الى سليمان بن صرد مثل ذلك وقد كان زفر أمر ابنه ان يسأل عن وجوه أهل العسكر فسمى له عبد الله بن سعد بن نفيل وعبد الله بن وال ورفاعة بن شداد وسمى له أمراء الأرباع فبعث الى هؤلاء الرؤس الثلاثة بعشر جزائر عشر جزائر وعلف كثير وطعام وأخرج للعسكر عيرا عظيمة وشعيرا كثيرا فقال غلمان زفر هذه عير فاجتزروا منها ما أحببتم وهذا شعير فاحتملوا منه ما أردتم وهذا دقيق فتزودوا منه ما أطقتم فظل القوم يومهم ذلك مخصبين لم يحتاجوا الى شرى شيء من هذه الأسواق التي وضعت وقد كفوا اللحم والدقيق والشعير إلا أن يشترى الرجل ثوبا أو سوطا ثم ارتحلوا من الغد وبعث اليهم زفر اني خارج اليكم فشيعكم فأتاهم وقد خرجوا على تعبية حسنة فسايرهم فقال زفر لسليمان انه قد بعث خمسة أمراء قد فصلوا من الرقة فيهم الحصين بن نمير السكوني وشرحبيل بن ذي الكلاع وأدهم بن محرز الباهلي وأبو مالك بن أدهم وربيعة بن المخارق الغنوي وجبلة ابن عبد الله الخثعمي وقد جاؤكم في مثل الشوك والشجر أتاكم عدد كثير وحد حديد وايم الله لقل ما رأيت رجالا هم أحسن هيئة ولا عدة ولا أخلق لكل خير من رجال أراهم معك ولكنه قد بلغني انه قد أقبلت اليكم عدة لا تحصى فقال ابن صرد على الله توكلنا وعليه فليتوكل المتوكلون * ثم قال له زفر فهل لكم في أمر أعرضه عليكم لعل الله أن يجعل لنا ولكم فيه خيرا ان شئتم فتحنا لكم مدينتنا فدخلتموها فكان أمرنا واحدا وأيدينا واحدة وان شئتم نزلتم على باب مدينتنا وخرجنا فعسكرنا الى جانبكم فاذا جاءنا هذا العدو قاتلناهم جميعا فقال سليمان لزفر قد أرادنا أهل مصرنا على مثل ما أردتنا عليه وذكروا مثل الذي ذكرت وكتبوا الينا به بعد ما فصلنا فلم يوافقنا ذلك فلسنا فاعلين فقال زفر فانظروا ما أشير به عليكم فاقبلوه وخذوا به فاني للقوم عدو وأحب أن يجعل الله عليهم الدائرة وأنا لكم واد أحب أن يحوطكم الله بالعافية ان القوم قد فصلوا من الرقة فبادروهم الى عين الوردة فاجعلوا المدينة في ظهوركم ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم وما بين مدينتنا ومدينتكم فأنتم له آمنون والله لو أن خيولي كرجالي لأمددتكم اطووا المنازل الساعة الى عين الوردة فان القوم يسيرون سير العساكر وأنتم على خيول والله لقل ما رأيت

جماعة خيل قط أكرم منها تأهبوا لها من يومكم هذا فإني أرجو أن تسبقوهم اليها وان بدرتموهم الى عين الوردة فلا تقاتلوهم في فضاء ترامونهم وتطاعنونهم فانهم أكثر منكم فلا آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم ترامونهم وتطاعنونهم فإنه ليس لكم مثل عددهم فإن استهدفتم لهم لم يلبثوكم أن يصرعوكم ولا تصفوا لهم حين تلقونهم فاني لا أرى معكم رجالة ولا أراكم كلكم الا فرسانا والقوم لاقوكم بالرجال والفرسان فالفرسان يحمى رجالها والرجال يحمى فرسانها وأنتم ليس لكم رجال يحمى فرسانكم فالقوهم في الكتائب والمقانب ثم بثوها ما بين ميمنتهم وميسرتهم واجعلوا مع كل كتيبة كتيبة الى جانبها فان حمل على احدى الكتيبتين ترجلت الأخرى فنفست عنها الخيل والرجال ومتى ماشاءت كتيبة ارتفعت ومتى ماشاءت كتيبة انحطت ولو كنتم في صف واحد فزحفت اليكم الرجال فدفعتم عن الصف انتقض وكانت الهزيمة ثم وقف فودعهم وسأل الله أن يصحبهم وينصرهم فأثنى الناس عليه ودعوا له فقال له سليمان بن صرد نعم المنزول به أنت أكرمت النزول وأحسنت الضيافة ونصحت في المشورة ثم إن القوم جدوا في المسير فجعلوا يجعلون كل مرحلتين مرحلة قال فمررنا بالمدن حتى بلغنا ساعا ثم ان سليمان بن صرد عبى الكتائب كما أمره زفر ثم أقبل حتى انتهى الى عين الوردة فنزل في غربيها وسبق القوم اليها فعسكروا وأقام بها خمسا لا يبرح واستراحوا واطمأنوا وأراحوا خيلهم (قال هشام) قال أبو مخنف عن عطية بن الحارث عن عبد الله بن غزية قال أقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة قال عبد الله بن غزية فقام فينا سليمان فحمد الله فأطال وأثنى عليه فأطنب ثم ذكر السماء والأرض والجبال والبحار وما فيهن من الآيات وذكر آلاء الله ونعمه وذكر الدنيا فزهد فيها وذكر الآخرة فرغب فيها فذكر من هذا ما لم أحصه ولم أقدر على حفظه ثم قال أما بعد فقد أتاكم الله بعدوكم الذي دأبتم في المسير اليه آناء الليل والنهار تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح ولقاء الله معذرين فقد جاؤكم بل جئتموهم أنتم في دارهم وحيزهم فإذا لقيتموهم فاصدقوهم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا يولينهم امرؤ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة لا تقتلوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا أسيرا من أهل دعوتكم الا أن يقاتلكم بعد ان تأسروه أو يكون من قتلة اخواننا بالطف رحمة الله عليهم فإن هذه كانت سيرة أمير المؤمنين على بن أبي طالب في أهل هذه الدعوة ثم قال سليمان إن أنا قتلت فأمير الناس المسيب بن نجبة فإن أصيب المسيب فأمير الناس عبد الله بن سعد بن نفيل فإن قتل عبد الله بن سعد فأمير الناس عبد الله بن وال فان قتل عبد الله بن وال فأمير الناس رفاعة بن شداد رحم الله امرءا صدق ما عاهد الله عليه ثم بعث المسيب بن نجبة في أربعمائة فارس ثم قال سر حتى تلقى أول عسكر من عساكرهم

فشن فيهم الغارة فإذا رأيت ما تحبه والا انصرفت الى في أصحابك وإياك أن تنزل أو تدع أحدا من أصحابك أن ينزل أو يستقبل آخر ذلك حتى لا تجد منه بدا (قال أبو مخنف) فحدثني أبي عن حُمَيْد بن مسلم انه قال أشهد أني في خيل المسيب بن نجبة تلك اذ أقبلنا نسير آخر يومنا كله وليلتنا حتى اذا كان في آخر السحر نزلنا فعلقنا على دوابنا مخاليها ثم هومنا تهويمة بمقدار تكون مقدار قضمها ثم ركبناها حتى اذا انبلج لنا الصبح نزلنا فصلينا ثم ركب فركبنا فبعث أبا الجويرية العبدي بن الاحمر في مائة من أصحابه وعبد الله بن عوف بن الأحمر في مائة وعشرين وحنش بن ربيعة أبا المعتمر الكناني في مثلها وبقي هو في مائة ثم قال انظروا أول من تلقون فأتوني به فكان أول من لقينا اعرابي يطرد أحمرة وهو يقول

يا مالِ لا تعجلْ الى صحبي * واسرحْ فإنك آمنُ السربِ

قال يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر يا حُمَيْد بن مُسلم أبشر بشرى ورب الكعبة فقال له ابن عوف بن الأحمر ممن أنت يا اعرابي قال أنا من بني تغلب قال غلبتم ورب الكعبة ان شاء الله فانتهى الينا المسيب بن نجبة فأخبرناه بالذي سمعنا من الأعرابي وأتيناه به فقال المسيب ابن نجبة أما لقد سُررت بقولك أبشر وبقولك يا حميد بن مسلم واني لأرجو ان تبشروا وإنما يسركم وانما سركم أن تحمدوا أمركم وأن تسلموا من عدوكم وان هذا الفال هو الفال الحسن وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الفال ثم قال المسيب بن نجبة للأعرابي كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منا قال أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر ابن ذي الكلاع وكان بينه وبين الحصين اختلاف ادعى الحصين انه على جماعة الناس وقال ابن ذي الكلاع ما كنت لتولى علي وقد تكاتبا الى عبيد الله بن زياد فهما ينتظران أمره فهذا عسكر ابن ذي الكلاع منكم على رأس ميل قال فتركنا الرجل فخرجنا نحوهم مسرعين فوالله ما شعروا حتى أشرفنا عليهم وهم غارون فحملنا في جانب عسكرهم فوالله ما قاتلوا كثير قتال حتى انهزموا فأصبنا منهم رجالا وجرحنا فيهم فأكثرنا الجراح وأصبنا لهم دواب وخرجوا عن عسكرهم وخلوه لنا فأخذنا منه ما خف علينا فصاح المسيب فينا الرجعة انكم قد نُصرتم وغنمتم وسلمتم فانصرفوا فانصرفنا حتى أتينا سليمان قال فأتى الخبر عبيد الله بن زياد فسرح الينا الحصين بن نمير مسرعا حتى نزل في اثني عشر ألفا فخرجنا اليهم يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى فجعل سليمان بن صرد عبد الله بن سعد بن نفيل على ميمنته وعلى ميسرته المسيب بن نجبة ووقف هو في القلب وجاء حصين بن نمير وقد عبأ لنا جنده فجعل على ميمنته جبلة بن عبد الله وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي ثم زحفوا الينا فلما دنوا دعونا الى الجماعة على عبد الملك بن مروان وإلى الدخول في طاعته ودعوناهم

الى أن يدفعوا الينا عُبيد الله بن زياد فنقتله ببعض من قتل من اخواننا وان يخلعوا عبد الملك بن مروان وإلى أن يُخرَج مَن ببلادنا من آل ابن الزبير ثم نردّ هذا الأمر الى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قبلهم بالنعمة والكرامة فأبى القوم وأبينا قال حميد بن مسلم فحملت ميمنتنا على ميسرتهم وهزمتهم وحملت ميسرتنا على ميمنتهم وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فهزمناهم حتى اضطررناهم الى عسكرهم فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم ثم انصرفنا عنهم وقد أحجزناهم في عسكرهم فلما كان الغد صبّحهم ابن ذي الكلاع في ثمانية آلاف أمدهم بهم عبيد الله بن زياد وبعث اليه يشتمه ويقع فيه ويقول انما عملت عمل الأغمار تضيع عسكرك ومسالحك سر الى الحصين بن نمير حتى توافيه وهو على الناس فجاءه فغدوا علينا وغاديناهم فقاتلناهم قتالا لم ير الشيب والمرد مثله قط يومنا كله لا يحجز بيننا وبين القتال إلا الصلاة حتى أمسينا فتحاجزنا وقد والله أكثروا فينا الجراح وأفشيناها فيهم قال وكان فينا قصاص ثلاثة رفاعة بن شدّاد البجلي وصُحَير بن حذيفة بن هلال بن مالك المرّي وأبو الجويرية العبدي فكان رفاعة يقص ويحضّض الناس في الميمنة لا يبرحها وجرح أبو الجويرية اليوم الثاني في أوّل النهار فلزم الرحال وكان صحير ليلته كلها يدور فينا ويقول ابشروا عباد الله بكرامة الله ورضوانه فحق والله لمن ليس بينه وبين لقاء الأحبة ودخول الجنة والراحة من ابرام الدنيا واذاها إلا فراق هذه النفس الأمارة بالسوء أن يكون بفراقها سخيًا وبلقاء ربه مسرورًا فمكثنا كذلك حتى أصبحنا وأصبح ابن نمير وأدهم بن محرز الباهليّ في نحو من عشرة آلاف فخرجوا الينا فاقتتلنا اليوم الثالث يوم الجمعة قتالاً شديدا الى ارتفاع الضحى ثم ان أهل الشأم كثرونا وتعطّفوا علينا من كل جانب ورأى سليمان بن صرد مالقي أصحابه فنزل فنادى عباد الله من أراد البكور الى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده فالي ثم كسر جفن سيفه ونزل معه ناس كثير فكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه وانزوت خيلهم حتى اختلطت مع الرجال فقاتلوهم حتى نزلت الرجال تشتدّ مصلتة بالسيوف وقد كسروا الجفون فحمل الفرسان على الخيل ولا يثبتون فقاتلوهم وقتلوا من أهل الشأم مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح فلما رأى الحصين بن نمير صبر القوم وبأسهم بعث الرجال ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال فقُتل سليمان بن صرد رحمه الله رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ثم وثب ثم وقع قال فلما قتل سليمان بن صرد أخذ الراية المسيب بن نجبة وقال لسليمان بن صرد رحمك الله يا أخي فقد صدقت ووفيت بما عليك وبقي ما علينا ثم أخذ الراية فشدّ بها فقاتل ساعة ثم رجع ثم شدّ بها فقاتل ثم رجع ففعل ذلك مرارًا يشدّ ثم يرجع ثم قتل رحمه الله (قال أبو مخنف) وحدّثنا فروة بن لقيط عن مولى للسيب بن نجبة الفزاريّ قال لقيته

بالمدائن وهو مع شبيب بن يزيد الخارجىّ فجرى الحديث حتى ذكرنا أهلَ عين الوردة * قال هشام عن أبى مخنف قال حدثنا هذا الشيخ عن المسيب بن نجبة قال والله ما رأيت أشجعَ منه انسانا قطّ ولا من العصابة التى كان فيهم ولقد رأيتُه يومَ عين الوردة يقاتل قتالا شديدًا ما ظننت ان رجلاً واحدًا يقدر ان يبلَى مثل ما أبلى ولا ينكأ فى عدوّه مثل ما نكأ لقد قتل رجالاً قال وسمعته يقول قبل أن يقتَل وهو يقاتلهم

قد علمتْ ميَّالةُ الذوائبِ * واضحةُ اللبَّاتِ والترائبِ
أنى غداةَ الروع والتغالبِ * أشجعُ من ذى لِبَدٍ مُواثِبِ
قطّاعُ أقرانٍ مَخُوفُ الجانِبِ

قال أبو مخنف حدثنى أبى وخالى عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزيّة قال أبو مخنف وحدّثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف قال لما قتل المسيب بن نجبة أخذ الراية عبدُ الله بن سعد بن نُفَيل ثم قال رحمه الله اخوَىَّ مِنهمْ مَنْ قضَى نحبَهُ ومنهم مَن يَنتَظِر وما بَدَّلوا تبديلاً وأقبل بمن كان معه من الأزد فحفوا برايته فوالله انا لكذلك اذ جاءنا فرسان ثلاثة عبد الله ابن الخضل الطائىّ وكثير بن عمرو المُزنى وسعر بن أبى سعر الحنفىّ كانوا خرجوا مع سعد ابن حذيفة بن اليمان فى سبعين ومائة من أهل المدائن فسرحهم يومَ خرج فى آثارنا على خيولٍ مُقلمة مُقدّحة فقال لهم اطووا المنازل حتى تلحقوا باخواننا فتبشروهم بخروجنا اليهم لتشتدّ بذلك ظهورُهم وتخبروهم بمجيء أهل البصرة أيضا كان المثنى بن مُخرّبة العبدىّ أقبل فى ثلاثمائة من أهل البصرة فجاء حتى نزل مدينة بَهُرسير بعد خروج سعد ابن حذيفة من المدائن لخمس ليال وكان خروجه من البصرة قبل ذلك قد بلغ سعد بن حذيفة قبل أن يخرج من المدائن فلما انتهوا الينا قالوا ابشروا فقد جاءكم اخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة فقال عبد الله بن سعد بن نفيل ذلك لو جاؤنا ونحن أحياء قال فنظروا الينا فلما رأوا مصارع اخوانهم وما بنا من الجراح بكى القوم وقالوا وقد بُلغ منكم ما نرى انا لله وإنا اليه راجعون قال فنظروا والله الى ما ساءأعينهم فقال لهم عبد الله بن نفيل انا لهذا خرجنا ثم اقتتلنا فما اضطربنا الا ساعةً حتى قتل المزنىّ وطُعن الحنفى فوقع بين القتلى ثم ارتُثّ بعد ذلك فنجا وطعن الطائىّ فجُزم أنفه فقاتل قتالا شديدا وكان فارسا شاعرًا فأخذ يقول

قد علمَتْ ذاتُ القوامِ الرودِ * أنْ لَستُ بالوانى ولا الرّعديدِ
يوما ولا بالفَرِقِ الحَيُودِ

قال فحمل علينا ربيعة بن المخارق حملة منكرة فاقتتلنا قتالا شديدا ثم انه اختلف هو

وعبد الله بن سعد بن نفيل ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيأ واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا الى الأرض ثم قاما فاضطربا ويحمل ابن أخى ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد فطعنه في ثُغْرة نحره فقتله ويحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر على ربيعة بن المخارق فطعنه فصرعه فلم يصب مَقتلا فقام فكر عليه الثانية فطعنه أصحاب ربيعة فصرعوه ثم ان أصحابه استنقذوه وقال خالد بن سعد بن نفيل أرونى قاتل أخى فأريناه ابن أخى ربيعة بن المخارق فحمل عليه فقنَّعه بالسيف واعتنقه الآخر فخر الى الارض فحمل أصحابه وحملنا وكانوا أكثر منا فاستنقذوا صاحبهم وقتلوا صاحبنا وبقيت الراية ليس عندها أحدٌ قال فنادينا عبد الله ابن والٍ بعد قتلهم فرساننا فاذا هو قد استلحم في عصابةٍ معه الى جانبنا فحمل عليه رفاعة بن شداد فكشفهم عنه ثم أقبل الى رايته وقد أمسكها عبد الله بن خازم الكندى فقال لابن والٍ امسك عنى رايتك قال امسكها عنى رحمك الله فانى بى مثل حالك فقال له امسك عنى رايتك فانى أريد أن أجاهد قال فان هذا الذى أنت فيه جهاد وأجر قال فصحنا يا أبا عزَّة أطع أميرك يرحمك الله قال فأمسكها قليلا ثم ان ابن وال أخذها منه (قال أبو مخنف) قال أبو الصلت التيمىّ الاعور حدثنى شيخ للحى كان معه يومئذ قال قال لنا ابن وال من أراد الحياة التى ليس بعدها موتٌ والراحةَ التى ليس بعدها نَصَبٌ والسرورَ الذى ليس بعده حزنٌ فليتقرب الى ربه بجهاد هؤلاء المحلين والرواحُ الى الجنة رحمكم الله وذلك عند العصر فشد عليهم وشددنا معه فأصبنا والله منهم رجالا وكشفناهم طويلا ثم انهم بعد ذلك تعطفوا علينا من كل جانب فحازونا حتى بلغوا بنا المكان الذى كنا فيه وكنا بمكان لا يقدرون أن يأتونا فيه الا من وجه واحدٍ وولى قتالنا عند المساء أدهم بن مُحرز الباهلىّ فشدّ علينا في خيله ورجاله فقتل عبد الله بن والٍ التيمىّ (قال أبو مخنف) عن فروة بن لقيط قال سمعت أدهم بن مُحرز الباهلىّ فى امارة الحجاج بن يوسف وهو يحدّث ناسا من أهل الشأم قال دفعت الى أحد أمراء العراق رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول لا تحسبَنَّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون فرحين الآيات الثلاث قال فغاظنى فقلت في نفسى هؤلاء يعدوننا بمنزلة أهل الشرك يرون أن مَن قتلناه منهم كان شهيدا فحملت عليه فأضرب يده اليسرى فأطننتها وتنحّيت قريبا فقلت له أما انى أراك وددتَ انك في أهلك فقال بئسما رأيت أمَ والله ما أحب انها يدك الآن الا ان يكون لى فيها من الاجر مثل ما في يدى قال فقلت له لم قال لكيما يجعل الله عليك وزرها ويعظم لى أجرها قال فغاظنى فجمعت خيلى ورجالى ثم حملنا عليه وعلى أصحابه فدفعت اليه فطعنته فقتلته وانه لمقبل الى ما يزول فزعموا بعد انه كان من فقهاء أهل العراق الذين كانوا يكثرون الصوم والصلاة ويفتون الناس (قال أبو مخنف) وحدثنى الثقة عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزية قال لما هلك عبد الله بن والٍ نظرنا فاذا عبد الله بن خازم

قتيلا

قتيلا الى جنبه ونحن نرى أنه رفاعة بن شداد البجلي فقال رجل من بني كنانة يقال له الوليد
ابن غضين امسك رايتك قال لا أريدها فقلت له انا لله مالك فقال ارجعوا بنا لعل الله يجمعنا
ليوم شر لهم فوثب عبد الله بن عوف بن الاحمر اليه فقال أهلكتنا والله لئن انصرفت ليركبن
أكتافنا فلا نبلغ فرسخا حتى نهلك من عند آخرنا فان نجا منا ناج أخذه الأعراب وأهل
القرى فتقربوا اليهم به فيقتل صبرا أنشدك الله أن تفعل هذه الشمس قد طفلت للغيب
وهذا الليل قد غشينا فنقاتلهم على خيلنا هذه فانا الآن ممتنعون فإذا غسق الليل
ركبنا خيولنا أول الليل فرمينا بها فكان ذلك الشأن حتى نصبح ونسير ونحن على
مهل فيحمل الرجل منا جريحه وينتظر صاحبه وتسير العشرة والعشرون معا ويعرف الناس
الوجه الذي يأخذون فيتبع فيه بعضهم بعضا ولو كان الذي ذكرت لم تقف أم على ولدها ولم
يعرف رجل وجهه ولا أين يسقط ولا أين يذهب ولم نصبح الا ونحن بين مقتول ومأسور
فقال له رفاعة بن شداد فانك نعم ما رأيت قال ثم أقبل رفاعة على الكناني فقال له أتمسكها
أم آخذها منك فقال له الكناني انى لا أريد ما تريد انى أريد لقاء ربى واللحاق بإخوانى
والخروج من الدنيا الى الآخرة وأنت تريد ورق الدنيا وتهوى البقاء وتكره فراق الدنيا
أم والله انى لأحب لك أن ترشد ثم دفع اليه الراية وذهب ليستقدم فقال له ابن أحمر قاتل معنا
ساعة رحمك الله ولا تلق بيدك الى التهلكة فما زال به يناشده حتى احتبس عليه وأخذ أهل
الشام يتنادون ان الله قد أهلكهم فاقدموا عليهم فافرغوا منهم قبل الليل فأخذوا يقدمون
عليهم فيقدمون على شوكة شديدة ويقاتلون فرسانا شجعانا ليس فيهم سقط رجل وليسوا
لهم بمضجرين فيتمكنوا منهم فقاتلوهم حتى العشاء قتالا شديدا وقتل الكناني قبل المساء
وخرج عبد الله بن عزيز الكندي ومعه ابنه محمد غلام صغير فقال يا أهل الشأم هل فيكم
أحد من كندة فخرج اليهم منهم رجال فقالوا نعم نحن هؤلاء فقال لهم دونكم أخيكم فابعثوا به
الى قومكم بالكوفة فأنا عبد الله بن عزيز الكندي فقالوا له أنت ابن عمنا فانك آمن فقال لهم
والله لا أرغب عن مصارع اخوانى الذين كانوا للبلاد نورا وللارض أوتادا وبمثلهم كان الله
يذكر قال فأخذ ابنه يبكى في أثر أبيه فقال يا بنى لو أن شيأ كان آثر عندى من طاعة ربى اذا
لكنت أنت وناشده قومه الشاميون لما رأوا من جزع ابنه وبكاءه في أثره وأروا الشاميون له
ولابنه رقة شديدة حتى جزعوا وبكوا ثم اعتزل الجانب الذي خرج اليه منه قومه فشد على
صفهم عند المساء فقاتل حتى قتل (قال أبو مخنف) حدثنى فضيل بن خديج قال حدثنى مسلم بن
زحر الخولانى ان كريب بن زيد الحميرى مشى اليهم عند المساء ومعه راية بلقاء في جماعة قلما
تنقص من مائة رجل ان نقصت وقد كانوا تحدثوا بما يريد رفاعة أن يصنع اذا أمسى فقال لهم
الحميرى وجمع اليه رجالا من حمير وهمدان فقال عباد الله روحوا الى ربكم والله ما في شئ من

الدنيا خلف من رضاء الله والتوبة اليه انه قد بلغني ان طائفة منكم يريدون أن يرجعوا الى ماخرجوا منه الى دنياهم وان هم ركنوا الى دنياهم رجعوا الى خطاياهم فأما أنا فوالله لا أولّى هذا العدو ظهري حتى أرد موارد اخواني فأجابوه وقالوا رأينا مثل رأيك ومضى برايته حتى دنا من القوم فقال ابن ذي الكلاع والله اني لأرى هذه الراية حميرية أو همدانية فدنا منهم فسألهم فأخبروه فقال لهم انكم آمنون فقال له صاحبهم انا قد كنا آمنين في الدنيا وانما خرجنا نطلب أمان الآخرة فقاتلوا القوم حتى قُتلوا ومشى صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني في ثلاثين من مُزَينة فقال لهم لاتهابوا الموت في الله فانه لاقيكم ولا ترجعوا الى الدنيا التي خرجتم منها الى الله فانها لا تبقى لكم ولا تزهدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فان ما عند الله خيرٌ لكم ثم مضوا فقاتلوا حتى قتلوا فلما أمسى الناس ورجع أهل الشأم الى معسكرهم نظر رفاعة الى كل رجل قد عُقِر به والى كل جريح لا يعين على نفسه فدفعه الى قومه ثم سار بالناس ليلته كلها حتى أصبح بالتنينير فعبر الخابُور وقطع المعابر ثم مضى لايمرّ بمعبر الا قطعه وأصبح الحصين ابن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا فلم يبعث في آثارهم أحداً وسار بالناس فأسرع وخلف رفاعة وراءهم أبا الجُوَيْرِيَة العبدي في سبعين فارساً يسترون الناس فاذا مرّوا برجل قد سقط حمله أو بمتاع قد سقط قبضه حتى يعرفه فان طُلب أو ابتُغي بعث اليه فأعلمه فلم يزالوا كذلك حتى مروا بقرقيسيا من جانب البرّ فبعث اليهم زُفر من الطعام والعلف مثل ما كان بعث اليهم في المرة الاولى وأرسل اليهم الاطبّاء وقال أقيموا عندنا ما أحببتم فان لكم الكرامة والمواساة فاقاموا ثلاثاً ثم زوّد كل امرئ منهم ما أحب من الطعام والعلف قال وجاء سعد بن حذيفة ابن اليمان حتى انتهى الى هيت فاستقبله الأعراب فأخبروه بما لقي الناس فانصرف فتلقّى المثنّى بن مخرّبة العبدي بصندَوْداء فأخبره فأقاموا حتى جاءهم الخبران رفاعة قد أظلكم فخرجوا حين دنا من القرية فاستقبلوه فسلم الناس بعضهم على بعض وبكى بعضهم الى بعض وتناعوا اخوانهم فاقاموا بها يوماً وليلة فانصرف أهل المدائن الى المدائن وأهل البصرة الى البصرة وأقبل أهل الكوفة الى الكوفة فاذا المختار محبوسٌ (قال هشام) قال أبو مخنف عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أدهم بن محرز الباهلي انه أتى عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح قال فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله قد أهلك من رؤس أهل العراق مُلقِح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألاَ وان السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريف ألاَ وقد قتل الله من رؤسهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله بن سعد أخا الازد وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل فلم يبق بعد هؤلاء أحدٌ عنده دفاعٌ ولا امتناعٌ (قال هشام) عن أبي مخنف وحدثت ان المختار مكث نحواً من خمس عشرة ليلة ثم قال لاصحابه عدّوا لغازيكم هذا أكثر من عشر ودون الشهر ثم يجيئكم نبأ هِترٌ من طعنٍ نَترٍ وضربٍ هَبرٍ

وقتل

وقتل جمّ وأمر رجم فن لها أنا لها لا تكذبن أنا لها (قال أبو مخنف) حدثنا الحصين بن يزيد عن ابان بن الوليد قال كتب المختار وهو في السجن الى رفاعة بن شداد حين قدم من عين الوردة أما بعد فرحبا بالعصب الذين عظم الله لهم الاجر حين انصرفوا ورضى انصرافهم حين قفلوا أما ورب البنية التى بنا ما خطا خاط منكم خطوة ولا رتا رتوة الا كان ثواب الله له أعظم من ملك الدنيا ان سليمان قد قضى ما عليه وتوفاه الله فجعل روحه مع أرواح الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن بصاحبكم الذى به تنصرون انى أنا الأمير المأمور والا مين المأمون وأمير الجيش وقاتل الجبارين والمنتقم من أعداء الدين والمقيد من الاوتار فأعدّوا واستعدّوا وأبشروا واستبشروا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه والى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين والسلام (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو زهير العبسى ان الناس تحدثوا بهذا من أمر المختار فبلغ ذلك عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد فخرجا فى الناس حتى أتيا المختار فأخذاه (قال أبو مخنف) فحدثنى سليمان بن أبى راشد عن حميد بن مسلم قال لما تهيأنا للانصراف قال عبد الله بن غزيّة ووقف على القتلى فقال يرحمكم الله فقد صدقتم وصبرتم وكذبنا وفررنا قال فلما سرنا وأصبحنا اذا عبد الله بن غزيّة فى نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع الى العدو والاستقتال فجاء رفاعة وعبد الله بن عوف بن الاحمر وجماعة الناس فقالوا لهم ننشدكم الله أن تزيدونا فلولا ونقصا فانا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من ذوى النيات فلم يزالوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردّوهم غير رجل من مزينة يقال له عبيدة بن سفيان رحل مع الناس حتى اذا غُفل عنه انصرف حتى لقى أهل الشأم فشد بسيفه يضاربهم حتى قتل (قال أبو مخنف) فحدثنى الحصين بن يزيد الازدى عن حميد بن مسلم الازدى قال كان ذلك المزنى صديقا لى فلما ذهب لينصرف ناشدته الله فقال أما انك لم تكن لتسألنى شيأ من الدنيا الا رأيت لك من الحق علىَّ ايتاءكه وهذا الذى تسألنى أريد الله به قال ففارقنى حتى لقى القوم فقتل قال فوالله ما كان شىء بأحبّ الىّ من أن ألقى انسانا يحدثنى عنه كيف صنع حين لقى القوم قال فلقيت عبد الملك بن جزء بن الحدرجان الازدى بمكة فجرى حديث بيننا جرى ذكر ذلك اليوم فقال أعجب ما رأيت يوم عين الوردة بعد هلاك القوم أن رجلا أقبل حتى شدّ علىّ بسيفه فخرجنا نحوه قال فانتهى اليه وقد عقر به وهو يقول

انى من الله الى الله أفر * رضوانك اللهم أبدى وأسر

قال فقلنا له ممن أنت قال من بنى آدم قال فقلنا ممن قال لا أحب أن أعرفكم ولا أن تعرفونى يا مخربى البيت الحرام قال فنزل اليه سليمان بن عمرو بن محصن الازدى من بنى الخيار قال وهو يومئذ من أشد الناس قال فكلاهما أثخن صاحبه قال وشد الناس عليه من كل جانب فقتلوه قال فوالله ما رأيت واحدا قط هو أشد منه قال فلما ذكر لى وكنت أحب أن

أعلم علمه دمعت عيناى فقال أبينك وبينه قرابة فقلت له لا ذلك رجل من مضر كان لى ودًّا وأخا فقال لى لا أرقأ الله دمعك أتبكى على رجل من مضر قتل على ضلالة قال قلت لا والله ما قتل على ضلالة ولكنه قتل على بينة من ربه وهدًى فقال لى أدخلك الله مدخله قلت آمين وأدخلك الله مدخل حصين بن نمير ثم لا أرقأ الله لك عليه دمعا ثم قمت وقام وكان مما قيل من الشعر فى ذلك قول أعشى همدان وهى احدى المكتمات كن يكتمن فى ذلك الزمان

ألمَّ خيالٌ منك يا أمَّ غالبٍ * فحُيِّيتِ عنا من حبيبٍ مُجانبِ
ومازلت لى شجوًا وما زلتُ مُقصدًا * لهمٍّ عرانى من فراقكِ ناصبِ
فما أنسَ لا أنسَ انفتالكِ فى الضحى * الينا مع البيض الوسام الخراعبِ
تراءتْ لنا هيفاء مهضومة الحشا * لطيفة طىِّ الكشح ريَّا الحقائبِ
مُبتَّلةً غرَّاء رُودٌ شبابُها * كشمس الضحى تنكلُّ بين السحائبِ
فلما تغشَّاها السحابُ وحولهُ * بدَا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ
فتلكَ الهوى وهْىَ الجوَى لىَ والمنَى * فأحْبِبْ بها من خُلَّةٍ لم تُصاقبِ
ولا يُبْعِدِ اللهُ الشبابَ وذكرهُ * وحُبَّ تصافى المعصراتِ الكواعبِ
ويزدادُ ما أحببتُهُ من عتابنا * لعابًا وسُقيًا للخدينِ المُقاربِ
فانى وان لم أنسهنَّ لذاكرٌ * رزيئةَ مخباتٍ كريم المناصبِ
توسَّلَ بالتقوى الى الله صادقا * وتقوى الاله خيرُ تكساب كاسبِ
وخلَّى عن الدنيا فلم يلتبس بها * وتابَ الى اللهِ الرَّفيعِ المراتبِ
تخلى عن الدنيا وقال اطَّرحتُها * فلستُ اليها ما حييتُ بآيبِ
وما أنا فيما يُكبرُ الناسُ فقدهُ * ويسعى له الساعُون فيها براغبِ
فوجَّههُ نحوَ الثَّويَّةِ سائرًا * الى ابن زيادٍ فى الجموع الكتائبِ
بقوم همُ أهلُ التقيَّةِ والنُّهى * مَصَاليتُ أنجادٌ سُراةٌ مناجبِ
مضوا تاركى رأى ابن طلحة حَسْبَهُ * ولم يستجيبوا للامير المُخاطبِ
فساروا وهم من بين مُلتمسِ التقى * وآخرَ مما جرَّ بالامس تائبِ
فلاقوا بعين الوردة الجيْشَ فاصلاً * اليهم فحسُّوهم ببيضٍ قواضبِ
يمانيةٍ تذْرِ الأكفَّ وتارةً * بخيلٍ عتاقٍ مُقرباتٍ سلاهبِ
فجاءهم جمعٌ من الشام بعده * جُموعٌ كموج البحر من كلِّ جانبِ
فما برحوا حتى أبيدتْ سُراتهم * فلم ينجُ منهم ثمَّ غيرُ عصائبِ

وغودر

وغُودِرَ أهلُ الصبْرِ صَرْعى فأصبحوا * تُعاوِرُهم ريحُ الصَّبا والجنائبِ
وأضحى الخزاعيُّ الرئيسُ مُجدَّلا * كأن لم يقاتل مرَّةً ويُحاربِ
ورأسُ بني شَمْخٍ وفارسُ قومِهِ * شنُوأةَ والتيميُّ هادي الكتائبِ
وعمرو بنُ بِشْرٍ والوليدُ وخالدٌ * وزيدُ بنُ بكرٍ والحُلَيسُ بن غالبِ
وضاربُ من هَمْدانَ كلُّ مُشيَّعٍ * اذا شدَّ لم يَنْكُلْ كريمُ المكاسبِ
ومن كل قومٍ قد أصيبَ زعيمُهُمْ * وذو حسَبٍ في ذروةِ المجدِ ثاقبِ
أبَوْا غيرَ ضربٍ تَفلقُ الهامَ وقعُهُ * وطَعْنٍ بأطرافِ الاسنَّةِ صائبِ
وانَّ سعيدًا يومَ يَدمُرُ عامرًا * لأشجعُ من ليثٍ بدُرْنا مُواثِبِ
فياخيرَ جيشٍ للعراقِ وأهلِهِ * سُقيتم رَوايا كلِّ أسحمَ ساكِبِ
فلا يَبْعَدَنْ فُرسانُنا وحُماتُنا * اذا البيضُ أبدتْ عن خِدامِ الكواعبِ
فان يُقتَلوا فالقتلُ أكرمُ ميتةٍ * وكلُّ فتًى يومًا لإحدى الشواعبِ
وما قُتِلوا حتى أثاروا عِصابةً * مُحلِّين ثورًا كالليوثِ الضواربِ

وقتل سليمان بن صرد ومن قتل معه بعين الوردة من التوابين في شهر ربيع الآخر ﴿وفي هذه السنة﴾ أمر مروان بن الحكم أهل الشأم بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما وليَّي العهد

﴿ذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لهما﴾

(قال هشام) عن عوانة قال لما هزم عمرو بن سعيد بن العاص الاشدق مصعب بن الزبير حين وجّهه أخوه عبد الله الى فلسطين وانصرف راجعا الى مروان ومروان يومئذ بدمشق قد غلب على الشأم كلها ومصر وبلغ مروان ان عمرًا يقول ان هذا الامر لي من بعد مروان ويدّعي انه قد كان وعده وعدا فدعا مروان حسان بن مالك بن بحدل فأخبره انه يريد أن يبايع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده وأخبره بما بلغه عن عمرو بن سعيد فقال أنا أكفيك عمرا فلما اجتمع الناس عند مروان عشيًّا قام ابن بحدل فقال انه قد بلغنا ان رجالا يتمنّون أماني قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده فقام الناس فبايعوا من عند آخرهم ﴿وفي هذه السنة﴾ مات مروان بن الحكم بدمشق مستهلّ شهر رمضان

﴿ذكر الخبر عن سبب هلاكه﴾

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني موسى بن يعقوب عن أبي الحويرث قال لما حضرت معاوية بن يزيد أبا ليلى الوفاة أبى أن يستخلف أحدا وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الامر بعد معاوية بن يزيد لاخيه خالد بن

يزيد بن معاوية وكان صغيرا وهو خال أبيه يزيد بن معاوية فبايع لمروان وهو يريد أن يجعل
الامر بعده لخالد بن يزيد فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشأم قيل لمروان تزوّج أم خالد
وأمه أم خالد ابنة أبي هشام بن عتبة حتى تصغّر شأنه فلا يطلب الخلافة فتزوجها فدخل خالد
يوما على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشى بين الصفين فقال انه والله ما علمتُ لأحمق
تعال يا ابن الرطبة الاست يقصّر به ليُسقطه من أعين أهل الشأم فرجع الى أمه فاخبرها فقالت
له أمه لا يعرفنّ ذلك منك واسكت فانى أكفيكه فدخل عليها مروان فقال لها هل قال لكِ
خالد فىّ شيأ فقالت وخالد يقول فيك شيأ خالد أشد لك إعظاما من أن يقول فيك شيأ فصدقها
ثم مكثت أياما ثم ان مروان نام عندها فغطّته بالوسادة حتى قتلته ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان
هلاك مروان فى شهر رمضان بدمشق وهو ابن ثلاث وستين سنة فى قول الواقدى وأما
هشام بن محمد الكلبى فانه قال كان يوم هلك ابن احدى وستين سنة وقيل توفى وهو ابن احدى
وسبعين سنة وقيل ابن احدى وثمانين سنة وكان يكنى أبا عبد الملك وهو مروان بن الحكم بن
أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكنانى وعاش
بعد أن بويع له بالخلافة تسعة أشهر وقيل عاش بعد أن بويع له بالخلافة عشرة أشهر الا ثلاث
ليال وكان قبل هلاكه قد بعث بعثين أحدهما الى المدينة عليهم حُبيش بن دُلجة القينىّ
والآخر منهما الى العراق عليهم عبيد الله بن زياد فأما عبيد الله بن زياد فسار حتى نزل
الجزيرة فاتاه الخبر بها بموت مروان وخرج اليه التوابون من أهل الكوفة طالبين بدم
الحسين فكان من أمرهم ما قد مضى ذكره وسنذكر ان شاء الله باقى خبره الى أن قُتل ﴿وفى
هذه السنة﴾ قتل حُبيش بن دُلجة وأما حبيش بن دَلجة فانه سار حتى انتهى فيما ذكر عن
هشام عن عوانة بن الحكم الى المدينة وعليهم جابر بن الاسود بن عوف ابن أخى عبد الرحمن
ابن عوف من قبَل عبد الله بن الزبير فهرب جابر من حبيش ثم ان الحارث بن أبى ربيعة
وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة وجّه جيشا من البصرة وكان عبد الله بن الزبير قد ولاه
البصرة عليهم الُحنيف بن السِّجف التميمى لحرب حبيش بن دلجة فلما سمع حبيش بن دلجة
بهم سار اليهم من المدينة وسرّح عبد الله بن الزبير عبّاش بن سهل بن سعد الانصارى على
المدينة وأمره أن يسير فى طلب حبيش بن دلجة حتى يوافى الجند من أهل البصرة الذين جاؤا
ينصرون ابن الزبير عليهم الحنيف وأقبل عبّاش فى آثارهم مسرعا حتى لحقهم بالرَّبَذة وقد قال
أصحاب ابن دلجة له دعهم لا تعجلْ الى قتالهم فقال لا أنزل حتى آكلَ من مقنَدّهم يعنى
السويق الذى فيه القند فجاءه سهم غُربٍ فقتله وقتل معه المنذر بن قيس الجذامى وأبو
عقاب مولى أبى سفيان وكان معه يومئذ يوسف بن الحكم والحجاج بن يوسف وما نجوا يومئذ
الا على جَمل واحدٍ وتحرّز منهم نحو من خمسمائة في عمود المدينة فقال لهم عباش انزلوا على

حكمى فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم ورجع فل حبيش الى الشأم ﴿ حدثنى ﴾ أحمد ابن زهير عن على بن محمد انه قال الذى قتل حبيش بن دلجة يوم الربذة يزيد بن سياه الاسوارى رماه بنشابة فقتله فلما دخلوا المدينة وقف يزيد بن سياه على برذون أشهب وعليه ثياب بياض فما لبث ان اسودت ثيابه ورايته مما مسح الناس به ومما صبوا عليه من الطيب ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة وقع بالبصرة الطاعون الذى يقال له الطاعون الجارف فهلك به خلق كثير من أهل البصرة ﴿ حدثنى ﴾ عمر بن شبة قال حدثنى زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنى أبى عن المصعب بن زيد ان الجارف وقع وعبيد الله بن عبيد الله بن معمر على البصرة فماتت أمه فى الجارف فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أربعة علوج فحملوها الى حفرتها وهو الامير يومئذ ﴿وفى هذه السنة﴾ اشتدت شوكة الخوارج بالبصرة وقتل فيها نافع بن الازرق

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

﴿ حدثنى ﴾ عمر بن شبة قال حدثنا زهير بن حرب قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا أبى عن محمد بن الزبير ان عبيد الله بن عبيد الله بن معمر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله الى نافع ابن الازرق فى جيش فلقيهم بدولاب فقتل عثمان وهزم جيشه * قال عمر قال زهير قال وهب وحدثنا محمد بن أبى عيينة عن سبرة بن نخف ان ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان الى ابن الازرق فهزم جنده وقتل قال وهب فحدثنا أبى ان أهل البصرة بعثوا جيشا عليهم حارثة بن بدر فلقيهم فقال لاصحابه

كَرْنِبُوا وَدَوْلِبُوا * وحيثُ شئتم فاذهَبُوا

حدثنا عمر قال حدثنا زهير قال حدثنا وهب قال حدثنا أبى ومحمد بن أبى عيينة قالا حدثنا معاوية بن قرة قال خرجنا مع ابن عُبيس فلقيناهم فقتل ابن الازرق وابنان أو ثلاثة لماحوز وقتل ابن عبيس ﴿قال أبو جعفر﴾ وأما هشام بن محمد فانه ذكر عن أبى مخنف عن أبى المخارق الراسبى من قصة ابن الازرق وبنى الماحوز قصة هى غير ما ذكره عمر عن زهير بن حرب عن وهب بن جرير والذى ذكر من خبرهم ان نافع بن الازرق اشتدت شوكته باشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذى كان بين الازد وربيعة وتميم بسبب مسعود بن عمرو وكثرت جموعه فأقبل نحو البصرة حتى دنا من الجسر فبعث اليه عبد الله بن الحارث مُسْلِمَ بن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فى أهل البصرة فخرج اليه فأخذ يحوزه عن البصرة ويرفعه عن أرضها حتى بلغ مكانا من أرض الاهواز يقال له دُولاب فتهيأ الناس بعضهم لبعض وتزاحفوا فجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجاج بن باب الحميرى وعلى ميسرته حارثة بن بدر التميمى ثم الغدانى وجعل ابن الازرق على ميمنته عَبيدة

ابن هلال اليشكرى وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمى ثم التقوا فاضطربوا فاقتتل الناس قتالا لم يُر قتال قط أشد منه فقتل مسلم بن عبيس أمير أهل البصرة وقتل نافع بن الازرق رأس الخوارج وأمر أهل البصرة عليهم الحجاج بن باب الحميرى وأمّرت الأزارقة عليهم عبد الله بن الماحوز ثم عادوا فاقتتلوا أشد قتال فقتل الحجاج بن باب الحميرى أمير أهل البصرة وقتل عبد الله بن الماحوز أمير الأزارقة ثم ان أهل البصرة أمّروا عليهم ربيعة الأجذم التميمى وأمّرت الخوارج عليهم عبيد الله بن الماحوز ثم عادوا فاقتتلوا حتى أمسوا وقد كره بعضهم بعضا وملّوا القتال فانهم لمتواقفون متحاجزون حتى جاءت الخوارج سريّة لهم جامّة لم تكن شهدت القتال فحملت على الناس من قِبَل عبد القيس فانهزم الناس وقاتل أمير البصرة ربيعةُ الأجذام فقتل وأخذ راية أهل البصرة حارثةُ بن بدر فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه فقاتل من وراء الناس فى حماتهم وأهل الصبر منهم ثم أقبل بالناس حتى نزل بهم منزلا بالاهواز ففى ذلك يقول الشاعر من الخوارج

يا كبدًا من غير جُوعٍ ولا ظَمَا * ويا كبدى من حُبّ أمّ حكيمِ
ولو شهِدَتنى يومَ دولابَ أبصرتْ * طِعانَ امرئٍ في الحرب غير لئيمِ
غداةَ طفَتْ في الماء بكرُ بن وائلٍ * وعُجْنا صُدُورَ الخيل نحو تميمِ
وكان لعبد القيس أوّلُ حدّنا * وذلّتْ شُيُوخُ الأزدِ وهْىَ تعُومُ

وبلغ ذلك أهل البصرة فهالهم وأفزعهم وبعث ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى على تلك الحزّة فقدم وعزل عبد الله بن الحارث فأقبلت الخوارج نحو البصرة وقدم المهلب بن أبى صفرة على تلك من حال الناس من قِبل عبد الله بن الزبير معه عهده على خراسان فقال الاحنف للحارث بن أبى ربيعة وللناس عامةً لا والله ما لهذا الامر الا المهلبُ فخرج أشراف الناس فكلموه أن يتولى قتال الخوارج فقال لا أفعل هذا عهد أمير المؤمنين معى على خراسان فلم أكن لأدع عهده وأمره فدعاه ابن أبى ربيعة فكلمه في ذلك فقال له مثل ذلك فاتفق رأى ابن أبى ربيعة ورأى أهل البصرة على ان كتبوا على لسان ابن الزبير بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن الزبير الى المهلب بن أبى صُفرة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فان الحارث بن عبد الله كتب الىّ ان الأزارقة المارقة أصابوا جند المسلمين كان عددهم كثيرا وأشرافهم كثيرا وذكر انهم قد أقبلوا نحو البصرة وقد كنتُ وجّهتك الى خراسان وكتبت لك عليها عهدا وقد رأيت حيث ذكر أمر هذه الخوارج أن تكون أنت تلى قتالهم فقد رجوت أن يكون ميمونا طائرُك مباركا على أهل مصرك والأجر فى ذلك أفضل من المسير الى خراسان فسر اليهم راشدا فقاتل عدو الله وعدوك ودافع عن حقك وحقوق أهل مصرك فانه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولا غيرُ

خراسان ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فأتى بذلك الكتاب فلما قرأه قال فانى والله لا أسير اليهم الا أن تجعلوا لى ما غلبتُ عليه وتعطونى من بيت المال ما أقوّى به من معى وأنتخب من فرسان الناس ووجوههم وذوى الشرف من أحببت فقال جميع أهل البصرة ذلك لك قال فاكتبوا الى على الاخماس بذلك كتابا ففعلوا الا ما كان من مالك بن مِسْمع وطائفة من بكر بن وائل فاضطغنها عليهم المهلب وقال الاحنف وعبيد الله بن زياد بن ظَبيان وأشراف أهل البصرة للمهلب وما عليك أن لا يكتب لك مالك بن مسمع ولا من تابعه من أصحابه اذا أعطاك الذى أردت من ذلك جميع أهل البصرة ويستطيع مالك خلاف جماعة الناس أوله ذلك انكمش أيها الرجل واعزم على أمرك وسِرْ الى عدوك ففعل ذلك المهلب وأمَّر على الاخماس فأمَّر عبيد الله بن زياد بن ظبيان على خمس بكر بن وائل وأمَّر الحريش ابن هلال السعدى على خمس بنى تميم وجاءت الخوارج حتى انتهت الى الجسر الاصغر عليهم عبيد الله بن الماحوز فخرج اليهم فى أشراف الناس وفرسانهم ووجوههم فحازهم عن الجسر ودفعهم عنه فكان أول شىء دفعهم عنه أهل البصرة ولم يكن بقى لهم الا أن يدخلوا فارتفعوا الى الجسر الاكبر ثم انه عبّى لهم فسار اليهم في الخيل والرجال فلما ان رأوا أن قد أظل عليهم وانتهى اليهم ارتفعوا فوق ذلك مرحلةً أخرى فلم يزل يحوزهم ويرفعهم مرحلة بعد مرحلة ومنزلة بعد منزلة حتى انتهوا الى منزل من منازل الاهواز يقال له سَلّى وسِلَّبرى فأقاموا به ولما بلغ حارثة بن بدر الغدانى ان المهلب قد أمّر على قتال الأزارقة قال لمن معه من الناس

كرنبوا ودولبوا * وحيث شئتم فاذهبوا * قد أمِّرَ المهلبُ

فأقبل من كان معه نحو البصرة فصرفهم الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الى المهلب ولما نزل المهلب بالقوم خندق عليه ووضع المسالح وأذكى العيون وأقام الأحراس ولم يزل الجندُ على مصافهم والناس على راياتهم وأخماسهم وأبواب الخنادق عليها رجال موكلون بها فكانت الخوارج اذا أرادوا بيات المهلب وجدوا أمرا محكما فرجعوا فلم يقاتلهم انسان قط كان أشد عليهم ولا أغيظ لقلوبهم منه (قال أبو مخنف) فحدثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الاحمر ان رجلا كان في تلك الخوارج حدثه ان الخوارج بعثت عَبيدة بن هلال والزبير بن الماحوز في خيلين عظيمين ليلا الى عسكر المهلب فجاء الزبير من جانبه الايمن وجاء عَبيدة من جانبه الايسر ثم كبّروا وصاحوا بالناس فوجدوهم على تعبيتهم ومصافهم حذرين معدِين فلم يصيبوا للقوم غرّةً ولم يظفروا منهم بشىء فلما ذهبوا ليرجعوا ناداهم عبيد الله بن زياد ابن ظبيان فقال

وجدتمونا وُقُراً أنجادا * لا كُشُفاً خُوراً ولا أوغادا

هيهات انّا اذا صيح بنا أتينا يا أهل النار الا ابكروا اليها غداً فانها مأواكم ومثواكم قالوا يا فاسق

وهل تذكّر النار الا لك ولأشباهك انها أعدت للكافرين وأنت منهم قال أتسمعون كلّ مملوك لى حرّ ان دخلتم أنتم الجنة ان بقى فيما بين سفوان الى أقصى حجر من أرض خراسان مجوسىّ ينكح أمه وابنته وأخته الاّ دخلها قال له عبيدة اسكت يا فاسق فانما أنت عبد للجبار العنيد ووزير للظالم الكفور قال يا فاسق وأنت عدو المؤمن التقى ووزير الشيطان الرجيم فقال الناس لابن ظبيان وفقك الله يا ابن ظبيان فقد والله أجبت الفاسق بجوابه وصدقته فلما أصبح الناس أخرجهم المهلب على تعبيتهم وأخماسهم ومواقفهم الازد وتميم ميمنة الناس وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة الناس وأهل العالية في القلب وسط الناس وخرجت الخوارج على ميمنتهم عبيدة بن هلال اليشكرى وعلى ميسرتهم الزبير بن الماحوز وجاؤا وهم أحسن عدّة وأكرم خيولا وأكثر سلاحا من أهل البصرة وذلك لانهم مخروا الارض وجرّدوها وأكلوا ما بين كرمان الى الاهواز فجاؤا عليهم مغافر تضرب الى صدورهم وعليهم دروع يسحبونها وسوق من زرد يشدونها بكلاليب الحديد الى مناطقهم فالتقى الناس فاقتتلوا كأشد القتال فصبر بعضهم لبعض عامة النهار ثم ان الخوارج شدت على الناس بأجمعها شدة منكرة فأجفل الناس وانصاعوا منهزمين لا تلوى أمّ على ولد حتى بلغ البصرة هزيمة الناس وخافوا السباء وأسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان يفاع في جانب عن سنن المنهزمين ثم انه نادى الناس الىّ الىّ عباد الله فثاب اليه جماعة من قومه وثابت اليه سريّة عمان فاجتمع اليه منهم نحو من ثلاثة آلاف فلما نظر الى من قد اجتمع رضى جماعتهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله ربما يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فيهزمون وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ولعمرى ما بكم الآن من قلة انى لجماعتكم لراض وانكم لأنتم أهل الصبر وفرسان أهل المصر وما أحبّ ان أحدا ممن انهزم معكم فانهم لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا عزمت على كل امرئ منكم لما أخذ عشرة أحجار معه ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيلهم في طلب اخوانكم فوالله انى لأرجو أن لا ترجع اليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم وتقتلوا أميرهم ففعلوا ثم أقبل بهم راجعا فلا والله ما شعرت الخوارج الا بالمهلب يضاربهم بالمسلمين في جانب عسكرهم ثم استقبلوا عبيد الله بن الماحوز وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح كاملا فأخذ الرجل من أصحاب المهلب يستقبل الرجل منهم فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يثخنه ثم يطعنه بعد ذلك برمحه أو يضربه بسيفه فلم يقاتلهم الا ساعة حتى قتل عبيد الله بن الماحوز وضرب الله وجوه أصحابه وأخذ المهلب عسكر القوم وما فيه وقتل الأزارقة قتلا ذريعا وأقبل من كان فى طلب أهل البصرة منهم راجعا وقد وضع لهم المهلب خيلا ورجالا فى الطريق تختطفهم وتقتلهم فانكفؤا راجعين مفلولين مقتولين محروبين مغلوبين فارتفعوا الى كرمان وجانب أصفهان وأقام

المهلب بالاهواز ففى ذلك اليوم يقول الصَّلتانُ العبدى

بسِلّى وسِلَّبرَى مَصارعُ فتيةٍ * كرام وقتلى لم تُوَسَّدْ خدودُها

وانصرفت الخوارج حين انصرفت وان أصحاب النيران الخمس والست ليجتمعون على النار الواحدة من الفلول وقلة العدد حتى جاءتهم مادّةٌ لهم من قبل البحرين فخرجوا نحو كرمان واصبهان فأقام المهلب بالاهواز فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مصعب البصرة وعزل الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة عنها ولما ظهر المهلب على الأزارقة كتب بسم الله الرحمن الرحيم للامير الحارث بن عبد الله من المهلب بن أبى صفرة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فالحمد لله الذى نصر أمير المؤمنين وهزم الفاسقين وأنزل بهم نقمته وقتلهم كل قتلة وشرّدهم كل مشرَّد أخبر الامير أصلحه الله انّا لقينا الأزارقة بأرض من أرض الاهواز يقال لها سلى وسلّبرى فزحفنا اليهم ثم ناهضناهم فاقتتلنا كأشد القتال مليّا من النهار ثم ان كتائب الأزارقة اجتمع بعضها الى بعض ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم وكانت فى المسلمين جولة قد كنت أشفقت أن تكون هى الاصرى منهم فلما رأيت ذلك عمدت الى مكان يفاع فعلوته ثم دعوت الى عشيرتى خاصة والمسلمين عامة فثاب الىّ أقوام شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله من أهل الدين والصبر والصدق والوفاء فقصدت بهم الى عسكر القوم وفيه جماعتهم وحدّهم وأميرهم قد أطاف به أولو فضلهم فيهم وذوو النيات منهم فاقتتلنا ساعة رمينا بالنبل وطعنّا بالرماح ثم خلص الفريقان الى السيوف فكان الجلاد بها ساعة من النهار مبالطةً ومبالدةً ثم ان الله عز وجل أنزل نصره على المؤمنين وضرب وجوه الكافرين ونزل طاغيتهم فى رجال كثير من حماتهم وذوى نيّاتهم فقتلهم الله فى المعركة ثم اتبعتُ الخيلَ شرادهم فقتلوا فى الطريق والاخاذ والقرىّ والحمد لله رب العالمين والسلام عليك ورحمة الله فلما أتى هذا الكتابُ الحارثَ بن عبد الله بن أبى ربيعة بعث به الى ابن الزبير فقرئ على الناس بمكة وكتب الحارث بن أبى ربيعة الى المهلب أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه نصر الله اياك وظفر المسلمين فهنيئاً لك يا أخا الازد بشرف الدنيا وعزّها وثواب الآخرة وفضلها والسلام عليك ورحمة الله فلما قرأ المهلب كتابه ضحك ثم قال أما تظنونه يعرفنى الا بأخى الأزد ما أهل مكة الا اعرابٌ (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو المُخارق الراسى ان أبا علقمة اليحمَدى قاتل يوم سلّى وسلّبرى قتالا لم يقاتله أحدٌ من الناس وأنه أخذ ينادى فى شباب الأزد وفتيان اليحمَد أعيرونا جماجمكم ساعة من نهار فأخذ فتيان منهم يكرّون فيقاتلون ثم يرجعون اليه يضحكون ويقولون يا أبا علقمة القدور تُستعار فلما ظهر المهلب ورأى من بلائه ما رأى وفّاه مائة ألف * وقد قيل ان أهل البصرة قد كانوا سألوا الاحنف قبل المهلب أن يقاتل الأزارقة وأشار عليهم بالمهلب وقال هو أقوى على حربهم منى

وان المهلب اذ أجابهم الى قتالهم شرط على أهل البصرة ان ماغلب عليه من الارض فهو له ولمن خفّ معه من قومه وغيرهم ثلاث سنين وانه ليس لمن تخلف عنه منه شئ فأجابوه الى ذلك وكتب بذلك عليهم كتابا وأوفدوا بذلك وفدا الى ابن الزبير وان ابن الزبير أمضى تلك الشروط كلها للمهلب وأجازها له وان المهلب لما أجيب الى ماسأل وجّه ابنه حبيبا في ستمائة فارس الى عمر والقنا وهو معسكر خلف الجسر الاصغر في ستمائة فارس فأمر المهلب بعقد الجسر الاصغر فقطع حبيب الجسر الى عمرو ومن معه فقاتلهم حتى نفاهم عما بين الجسر وانهزموا حتى صاروا من ناحية الفرات وتجهز المهلب فمن خف من قومه معه وهم اثنا عشر ألف رجل ومن سائر الناس سبعون رجلا وسار المهلب حتى نزل الجسر الاكبر وعمرو القنا بازائه في ستمائة فبعث المغيرة بن المهلب في الخيل والرّجالة فهزمتهم الرجالة بالنبل واتبعتهم الخيل وأمر المهلب بالجسر فعُقد فعبر هو وأصحابه فلحق عمر والقنا حينئذ بابن الماحوز وأصحابه وهو بالمَفتَح فأخبروهم الخبر فساروا فعسكروا دون الاهواز بثمانية فراسخ وأقام المهلب بقية سنته فجبى كُوَر دِجْلة ورَزَق أصحابه وأتاه المدد من أهل البصرة لما بلغهم ذلك فأثبتهم في الديوان وأعطاهم حتى صاروا ثلاثين ألفا ﴿قال أبو جعفر﴾ فعلى قول هؤلاء كانت الوقعة التي كانت فيها هزيمة الأزارقة وارتحالهم عن نواحي البصرة والاهواز الى ناحية اصبهان وكرمان في سنة ٦٦ وقيل انهم ارتحلوا حين ارتحلوا عن الاهواز وهم ثلاثة آلاف وانه قتل منهم في الوقعة التي كانت بينهم وبين المهلب بسلى وسلبرى سبعة آلاف ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وجّه مروان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمدا الى الجزيرة وذلك قبل مسيره الى مصر ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة وولاها عبد الله بن مطيع ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير وولاها أخاه مصعب بن الزبير وكان سبب عزله أخاه عبيدة عنها انه فيما ذكر الواقدي خطب الناس فقال لهم قد رأيتم ماصُنع بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم فسُمى مقوّم الناقة وبلغ ذلك ابن الزبير فقال ان هذا لهو التكلف ﴿وفي هذه السنة﴾ بنى عبد الله بن الزبير البيت الحرام فأدخل الحِجر فيه أخبرنا اسحاق بن أبي اسرائيل قال حدثني عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعاني أبو محمد قال حدثني زياد بن جيل انه كان بمكة يوم غَلب ابن الزبير فسمعه يقول ان أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر رددت الكعبة على أساس ابراهيم فأزيد في الكعبة من الحِجر فأمر به ابن الزبير فحُفر فوجدوا قلاعا أمثال الابل فحركوا منها صخرة فبرقت بارقة فقال أقرّوها على أساسها فبناها ابن الزبير وجعل لها بابين يُدخل من أحدهما ويُخرج من الآخر ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة عبد الله ابن الزبير وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير وعلى الكوفة في آخر السنة عبد الله بن

مطيع

مطيع وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وهو الذي يقال له القُباع وعلى قضائها هشام بن هبيرة وعلى خراسان عبد الله بن خازم ﴿ وفي هذه السنة ﴾ خالف من كان بخراسان من بني تميم عبد الله بن خازم حتى وقعت بينهم حروب

﴿ ذكر الخبر عن سبب ذلك ﴾

وكان السبب في ذلك فيما ذُكر ان مَنْ كان بخراسان من بني تميم أعانوا عبد الله بن خازم على من كان بها من ربيعة وعلى حرب أوْس بن ثعلبة حتى قتل من قتل منهم وظفر به وصفا له خراسان فلما صفا له ولم ينازعه به أحد جفاهم وكان قد ضمّ هَرَاة الى ابنه محمد واستعمله عليها وجعل بكير بن وِشَاح على شرطته وضم اليه شمّاس بن دِثار العُطاردي وكانت أم ابنه محمد امرأةً من تميم تدعى صفيّة فلما جفا ابن خازم بني تميم أتوا ابنه محمدا بهراة فكتب ابن خازم الى بكير وشماس يأمرهما بمنع بني تميم من دخول هراة فأما شماس بن دثار فأبى ذلك وخرج من هراة فصار مع بني تميم وأما بكير فمنعهم من الدخول * فذكر عليّ بن محمد ان زهير بن الهُنَيْد حدثه عن أشياخ من قومه ان بكير بن وِشَاح لما منع بني تميم من دخول هراة أقاموا ببلاد هراة وخرج اليهم شماس بن دثار فأرسل بكير الى شماس انى أعطيك ثلاثين ألفا وأعطى كل رجل من بني تميم ألفا على أن ينصرفوا فأبوا فدخلوا المدينة وقتلوا محمد بن عبد الله بن خازم قال عليّ فأخبرنا الحسن بن رُشيد عن محمد بن عزيز الكندى قال خرج محمد بن عبد الله بن خازم يتصيّد بهراة وقد منع بني تميم من دخولها فرصدوه فأخذوه فشدوه وثاقا وشربوا ليلتهم وجعل كلما أراد رجل منهم البول بال عليه فقال لهم شماس بن دثار أما اذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط قال وقد كان أخذ قُبيل ذلك رجلين من بني تميم فضربهما بالسياط حتى ماتا قال فقتلوه قال فزعم لنا عمن شهد قتله من شيوخهم ان جَيْهان بن مَشْجَعة الضبي نهاهم عن قتله وألقى نفسه عليه فشكر له ابن خازم ذلك فلم يقتله فيمن قتل يوم فَرْتَنَا قال فزعم عامر بن أبي عمر انه سمع أشياخهم من بني تميم يزعمون ان الذي ولي قتل محمد بن عبد الله بن خازم رجلان من بني مالك بن سعد يقال لأحدهما عجلة وللآخر كُسيب فقال ابن خازم بئس ما اكتسب كسيبٌ لقومه ولقد عجّل عجلةُ لقومه شرّا قال عليّ وحدثنا أبو الذيال زهير بن هنيد العدوى قال لما قتل بنو تميم محمد بن عبد الله بن خازم انصرفوا الى مَرْو فطلبهم بُكير بن وِشَاح فأدرك رجلا من بني عطارد يقال له شُمَيْخ فقتله وأقبل شماس وأصحابه الى مَرْو فقالوا لبني سعد قد أدركنا لكم بثأركم قتلنا محمد بن عبد الله ابن خازم بالجشمي الذي أصيب بمرو فأجمعوا على قتال ابن خازم وولوا عليهم الحريش بن هلال القُرَيْعي قال فأخبرني أبو الفوارس عن طفيل بن مرداس قال أجمع أكثر بني تميم على قتال عبد الله بن خازم قال وكان مع الحريش فرسان لم يدرك مثلهم انما الرجل منهم كتيبة

منهم شماس بن دثار وبحير بن ورقاء الصريمى وشعبة بن ظهير النهشلى وورد بن الفلق العنبرى والحجاج بن ناشب العدوى وكان من أرمى الناس وعاصم بن حبيب العدوى فقاتل الحريش بن هلال عبد الله بن خازم سنتين قال فلما طالت الحرب والشر بينهم ضجروا قال فخرج الحريش فنادى ابن خازم فخرج اليه فقال قد طالت الحرب بيننا فعلام تقتل قومى وقومك ابرز لى فأينا قتل صاحبه صارت الارض له فقال ابن خازم وأبيك لقد أنصفتنى فبرز له فتصاولا تصاول الفحلين لا يقدر أحد منهما على ما يريد وتغفل ابن خازم غفلة وضربه الحريش على رأسه فرمى بفروة رأسه على وجهه وانقطع ركابا الحريش وانتزع السيف قال فلزم ابن خازم عنق فرسه راجعا الى أصحابه وبه ضربة قد أخذت من رأسه ثم غاداهم القتال فمكثوا بذلك بعد الضربة أياما ثم مل الفريقان فتفرقوا ثلاث فرق فضى بحير بن ورقاء الى أبرشهر في جماعة وتوجه شماس بن دثار العطاردى ناحية أخرى وقيل أتى سجستان وأخذ عثمان بن بشر بن المحتفز الى فرتنا فنزل قصرا بها ومضى الحريش الى ناحية مرو الروذ فاتبعه ابن خازم فلحقه بقرية من قراها يقال لها قرية الملحمة أو قصر الملحمة والحريش بن هلال فى اثنى عشر رجلا وقد تفرق عنه أصحابه فهم في خربة وقد نصب رماحا كانت معه وترسة قال وانتهى اليه ابن خازم فخرج اليه في أصحابه ومع ابن خازم مولى له شديد البأس فحمل على الحريش فضربه فلم يصنع شيأ فقال رجل من بنى ضبة للحريش أما ترى ما يصنع العبد فقال له الحريش عليه سلاح كثير وسيفى لا يعمل فى سلاحه ولكن انظر لى خشبة ثقيلة فقطع له عودا ثقيلا من عناب ويقال أصابه في القصر فأعطاه اياه فحمل به على مولى ابن خازم فضربه فسقط وقيذا ثم أقبل على ابن خازم فقال ما تريد الى وقد خليتك والبلاد قال انك تعود اليها قال فانى لا أعود فصالحه على أن يخرج له من خراسان ولا يعود الى قتاله فوصله ابن خازم بأربعين ألفا قال وفتح له الحريش باب القصر فدخل ابن خازم فوصله وضمن له قضاء دينه وتحدثا طويلا قال وطارت قطنة كانت على رأس ابن خازم ملصقة على الضربة التى كان الحريش ضربه فقام الحريش فتناولها فوضعها على رأسه فقال له ابن خازم مسك اليوم يا أبا قدامة ألين من مسك أمس قال معذرة الى الله واليك أما والله لولا ان ركابى انقطعا لخالط السيف أضراسك فضحك ابن خازم وانصرف عنه وتفرق جمع بنى تميم فقال بعض شعراء بنى تميم

لو كُنتُمُ مِثلَ الحَرِيشِ صَبَرتُمُ * وكنتمْ بقصرِ الملحِ خيرَ فوارسِ
اذًا لَسَقَيتُمْ بالعَوالى ابنَ خازمٍ * سِجالَ دَمٍ يُورِثنَ طُولَ وَساوِسِ

قال وكان الأشعث بن ذؤيب أخو زهير بن ذؤيب العَدَوى قُتل في تلك الحرب فقال له أخوه زهير وبه رمق مَن قتلك قال لا أدرى طعننى رجل على برذون أصفر قال فكان زهير

لا يرى أحدا على برذون أصفر الا حمل عليه فنهم من يقتله ومنهم من يهرب فتحامى أهل العسكر البراذين الصفر فكانت مخلاة في العسكر لا يركبها أحد وقال الحريش في قتاله ابن خازم

أزالَ عظمَ يميني عن مُركَّبه * حملُ الرُّدَيني في الإدلاج والسَّحَر
حَولَين ما اغتمضت عيني بمنزلة * إلا وكفّي وسادٌ لي على حجر
بزّ الحديدُ وسربالي اذا هجعتْ * عني العيونُ مجالُ القارح الذَّكَر

## ﴿ ثم دخلت سنة ست وستين ﴾

### ﴿ ذكر الخبر عن الكائن كان فيها من الأمور الجليلة ﴾

فما كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالبا بدم الحسين بن علي بن أبي طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مُطيع العدوي

### ﴿ ذكر الخبر عما كان من أمرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة الى ما دعا اليه الشيعة بالكوفة ﴾

﴿ ذكر هشام بن محمد ﴾ عن أبي مخنف ان فُضيل بن خديج حدّثه عن عُبيدة بن عمرو واسماعيل بن كثير من بني هند ان أصحاب سليمان بن صرد لما قدموا كتب اليهم المختارُ امّا بعد فإن الله أعظم لكم الأجر وحطّ عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهاد المحلين انكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة الا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم بها حسنة الى ما لا يحصيه الا الله من التضعيف فابشروا فانى لو قد خرجت اليكم قد جرّدت فيما بين المشرق والمغرب في عدوّكم السيف باذن الله فجعلتهم باذن الله رُكاما وقتلتهم فذّا وتؤاما فرحّب الله بمن قارب منكم واهتدى ولا يبعد الله الا من عصى وأبى والسلام يا أهل الهدى فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة فأتى بالكتاب رفاعة بن شدّاد والمثنّى بن مُخرّبة العبديّ وسعد ابن حذيفة بن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شُميط الأحمسيّ وعبد الله بن شدّاد البجليّ وعبد الله بن كامل فقرأ عليهم الكتاب فبعثوا اليه ابنَ كامل فقالوا قل له قد قرأنا الكتاب ونحن حيث يسرّك فإن شئت ان نأتيك حتى نخرجك فعلنا فأتاه فدخل عليه السجن فأخبره بما أرسل اليه به فسُرّ باجتماع الشيعة له وقال لهم لا تريدوا هذا فإني أخرج في أيامي هذه قال وكان المختار قد بعث غلاما يدعى زربيّا الى عبد الله بن عمر بن الخطاب وكتب اليه أما بعد فاني قد حُبست مظلوما وظنّ بي الولاةُ ظنونا كاذبة فاكتب فيّ يرحمك الله الى هذين الظالمين كتابا لطيفا عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويمنك والسلام عليك فكتب اليهما عبد الله بن عمر أمّا بعد فقد علمتما الذي بيني وبين المختار

ابن أبي عبيد من الصهر والذي بيني وبينكما من الودّ فأقسمت عليكما بحق ما بيني وبينكما لما خليتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا والسلام عليكما ورحمة الله فلما أتى عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد بن طلحة كتاب عبد الله بن عمر دعوا للمختار بكفلاء يضمنونه بنفسه فأتاه أناس من أصحابه كثير فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيم لعبد الله بن يزيد ما تصنع بضمان هؤلاء كلهم ضمّنه عشرة منهم أشرافا معروفين ودع سائرهم ففعل ذلك فلما ضمنوه دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلفاه بالله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان فإن هو فعل فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة ومماليكه كلهم ذكرهم وأنثاهم احرار فحلف لهما بذلك ثم خرج فجاء داره فنزلها (قال أبو مخنف) فحدّثني يحيى ابن أبي عيسى عن حميد بن مسلم قال سمعت المختار بعد ذلك يقول قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون اني أفي لهم بأيمانهم هذه أما حلفي لهم بالله فانه ينبغي لي اذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها ان ادع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير وا كفر يميني وخروجي عليهم خير من كفي عنهم وا كفر يميني وأما هدي ألف بدنة فهو أهون عليّ من بصقة وما ثمن ألف بدنة فيهولني وأما عتق مماليكي فوالله لوددت انه قد استتب لي أمري ثم لم أملك مملوكا أبدا قال ولما نزل المختار داره عند خروجه من السجن اختلف اليه الشيعة واجتمعت عليه واتفق رأيها على الرضى به وكان الذي يبايع له الناس وهو في السجن خمسة نفر السائب بن مالك الأشعريّ ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط ورفاعة بن شدّاد الفتيانيّ وعبد الله بن شداد الجشميّ قال فلم تزل أصحابه يكثرون وأمره يقوى ويشتدّ حتى عزل ابن الزبير عبد الله ابن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما الى الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثني الصقعب بن زهير عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال دعا ابن الزبير عبد الله بن مطيع أخا بني عدي بن كعب والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة قال فبلغ ذلك بحير بن ريسان الحميريّ فلقيهما فقال لهما يا هذان إن القمر الليلة بالناطح فلا تسيرا فأما ابن أبي ربيعة فأطاعه فأقام يسيرا ثم شخص الى عمله فسلم وأما عبد الله ابن مطيع فقال له وهل نطلب الا النطح قال فلقي والله نطحا وبطحا قال يقول عمر والبلاء موكل بالقول قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بلغ عبد الملك بن مروان ان ابن الزبير بعث عمالا على البلاد فقال من بعث على البصرة فقيل بعث عليها الحارث بن عبد الله ابن أبي ربيعة قال لا حرّ بوادي عوف بعث عوفا وجلس ثم قال من بعث على الكوفة قالوا عبد الله بن مطيع قال حازم وكثيرا ما يسقط وشجاع وما يكره أن يفرّ قال من بعث على

المدينة قالوابعث أخاه مصعب بن الزبير قال ذاك الليث النهد وهو رجل أهل بيته (قال هشام) قال أبو مخنف وقدم عبد الله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة ٦٥ يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان فقال لعبد الله بن يزيد إن أحببت أن تقيم معي أحسنت صحبتك وأكرمت مثواك وان لحقت بأمير المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة وعلى من قبله من المسلمين وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة الحق بأمير المؤمنين فخرج ابراهيم حتى قدم المدينة وكسر على ابن الزبير الخراج وقال انما كانت فتنة فكف عنه ابن الزبير قال وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلاة والخراج وبعث على شرطته اياس بن مضارب العجلي وأمره أن يحسن السيرة والشدة على المريب (قال أبو مخنف) فحدثني حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد الأزدي وكان قد أدرك ذاك الزمان وشهد قتل مصعب بن الزبير قال إني لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم الا برضى منكم ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته وبسيرة عثمان بن عفان التي سار بها في المسلمين فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم والا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني فوالله لا وقعن بالسقيم العاصي ولأقيمن درأ الاصعر المرتاب فقام اليه السائب بن مالك الأشعري فقال أما أمر ابن الزبير اياك أن لا تحمل فضل فيئنا عنا الا برضانا فإنا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فضل فيئنا عنا وان لا يقسم الا فينا وان لا يسار فينا الا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا فإنها انما كانت اثرة وهوى ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيئنا وان كانت أهون السيرتين علينا ضرا وقد كان لا يألو الناس خيرا فقال يزيد بن أنس صدق السائب بن مالك وبر رأينا مثل رأيه وقولنا مثل قوله فقال ابن مطيع نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهويتموها ثم نزل فقال يزيد بن أنس الأسدي ذهبت بفضلها يا سائب لا يعدمك المسلمون أما والله لقد قمت واني لأريد أن أقوم فأقول له نحوا من مقالتك وما أحب ان الله ولى الرد عليه رجلا من أهل المصر ليس من شيعتنا وجاء إياس بن مضارب الى ابن مطيع فقال له ان السائب بن مالك من رؤس أصحاب المختار ولست آمن المختار فابعث اليه فليأتك فاذا جاءك فاحبسه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس فإن عيوني قد أتتني فخبرتني ان أمره قد استجمع له وكأنه قد وثب بالمصر قال فبعث اليه ابن مطيع زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البرسمي من همدان فدخلا عليه فقالا أجب الأمير فدعا بثيابه وأمر باسراج دابته وتخشخش للذهاب معهما فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ففهمها المختار فجلس ثم ألقى ثيابه عنه ثم قال ألقوا على القطيفة ما أراني الا قد وعكت انى لأجد قفقفة شديدة ثم تمثل قول عبد العزى بن صهل الأزدى

اذا ما معشر تركوا نداهم * ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا

إرجعا الى ابن مطيع فأعلماه حالى التى أنا عليها فقال له زائدة بن قدامة اما أنا ففاعل وأنت يا أخا همدان فاعذرنى عنده فانه خير لك (قال أبو مخنف) فحدثنى اسماعيل بن نعيم الهمدانى عن حسين بن عبد الله قال قلت فى نفسى والله ان أنا لم أبلغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بآمن من ان يظهر غدا فيهلكنى قال فقلت له نعم أنا أصنع عند ابن مطيع عذرك وأبلغه كل ما تحب فخرجنا من عنده فاذا أصحابه على بابه وفي داره منهم جماعة كثيرة قال فأقبلنا نحو ابن مطيع فقلت لزائدة بن قدامة اما انى قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية وعلمت ما أردت بها وقد علمت انها هى ثبطته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه وأسرج دابته وعلمت حين تمثل البيت الذى تمثل انما أراد يخبرك انه قد فهم عنك ما أردت أن تفهمه وأنه لن يأتيه قال فجاحدنى أن يكون أراد شيأ من ذلك فقلت له لا تحلف فوالله ما كنت لا بلغ عنك ولا عنه شيأ تكرهانه ولقد علمت انك مشفق عليه تجد له ما يجد المرء لابن عمه فأقبلنا الى ابن مطيع فأخبرناه بعلته وشكواه فصدقنا ولهى عنه قال وبعث المختار الى أصحابه فأخذ يجمعهم فى الدور حوله وأراد أن يثب بالكوفة فى المحرم فجاء رجل من أصحابه من شبام وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح فلقى سعيد بن منقذ الثورى وسعر بن أبى سعر الحنفى والأسود بن جراد الكندى وقدامة بن مالك الجشمى فاجتمعوا فى منزل سعر الحنفى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندرى أرسله الينا ابن الحنفية أم لا فانهضوا بنا الى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به وبما دعانا اليه فان رخص لنا في اتباعه اتبعناه وان نهانا عنه اجتنبناه فوالله ما ينبغي أن يكون شئ من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا فقالوا له أرشدك الله فقد أصبت ووفقت اخرج بنا اذا شئت فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيامهم فخرجوا فلحقوا بابن الحنفية وكان امامهم عبد الرحمن بن شريح فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فخبروه عن حالهم وما هم عليه (قال أبو مخنف) فحدثنى خليفة بن ورقاء عن الأسود بن جراد الكندى قال قلنا لابن الحنفية إن لنا اليك حاجة قال فسر هى أم علانية قال قلنا لا بل سر قال فرويدا اذا قال فمكث قليلا ثم تنحى جانبا فدعانا فقمنا اليه فبدأ عبد الرحمن ابن شريح فتكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة وشرفكم بالنبوة وعظم حقكم على هذه الأمة فلا يجهل حقكم الا مغبون الرأى مخسوس

النصيب قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه عظمت مصيبة ما قد خصكم بها فقد عمّ بها المسلمون وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا انه قد جاءنا من تلقائكم وقد دعانا الى كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء فبايعناه على ذلك ثم انا رأينا ان نأتيك فنذكر لك ما دعانا اليه وندبنا له فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه وان نهيتنا عنه اجتنبناه ثم تكلمنا واحدا واحدا بنحو مما تكلم به صاحبنا وهو يسمع حتى اذا فرغنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه ثم قال أما بعد فأما ما ذكرتم مما خصّصنا الله به من فضل فإن الله يُؤْتيه مَن يشاء والله ذُو الفَضْلِ العَظِيم فلله الحمد وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين فإن ذلك كان في الذكر الحكيم وهي ملحمة كُتبت عليه وكرامة اهداها الله له رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين وكانَ أمرُ الله مَفْعُولاً وكان أمر الله قَدَراً مقْدُوراً وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم الى الطلب بدمائنا فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم قال فخرجنا من عنده ونحن نقول قد أذن لنا قد قال لوددت ان الله انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه ولو كره لقال لا تفعلوا قال فجئنا وأناس من الشيعة ينتظرون لقدومنا ممن كنا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ممن كان على رأينا من اخواننا وقد كان بلغ المختار مخرجنا فشق ذلك عليه وخشي ان نأتيه بأمر يخذل الشيعة عنه فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا فلم يتهيأ ذلك له فكان المختار يقول ان نفيرا منكم ارتابوا وتحيّروا وخابوا فان هم أصابوا أقبلوا وأنابوا وان هم كبوا وهابوا واعترضوا وانجابوا فقد ثبروا وخابوا فلم يكن الا شهرا او زيادة شيء حتى أقبل القوم على رواحلهم حتى دخلوا على المختار قبل دخولهم الى رحالهم فقال لهم ما وراءكم فقد فتنتم وارتبتم فقالوا له قد أمرنا بنصرتك فقال الله أكبر أنا أبو اسحاق أجمعوا الى الشيعة فجمع له منهم من كان منه قريبا فقال يا معشر الشيعة إن نفرا منكم أحبّوا ان يعلموا مصداق ما جئتُ به فرحلوا الى امام الهدى والنجيب المرتضى ابن خير من طشي ومشى حاشا النبيّ المجتبى فسألوه عما قدمت به عليكم فنبأهم اني وزيره وظهيره ورسوله وخليله وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم اليه من قتال المحلين والطلب بدماء أهل بيت نبيّكم المصطفين فقام عبد الرحمن بن شريح فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا معشر الشيعة فإنا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع اخواننا عامة فقدمنا على المهدي ابن علي فسألناه عن حربنا هذه وعن ما دعانا اليه المختار منها فأمرنا بمظاهرته وموازرته واجابته الى ما دعانا اليه فأقبلنا طيّبة أنفسنا منشرحة صدورنا قد أذهب الله منها الشكّ والغلّ والريب واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدوّنا فليبلغ ذلك شاهدُكم غائبكم واستعدّوا وتأهبوا ثم جلس وقمنا رجلا فرجلا

فتكلمنا بنحو من كلامه فاستجمعت له الشيعة وحدبت عليه (قال أبو مخنف) فحدثني نمير ابن وعلة والمشرقي عن عامر الشعبي قال كنت أنا وأبي أول من أجاب المختار قال فلما تهيأ أمره ودنا خروجه قال له أحمر بن شميط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله ابن شداد ان أشراف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع فإن جامعنا على أمرنا ابراهيم بن الاشتر رجونا باذن الله القوة على عدونا وأن لا يضرنا خلاف من خالفنا فانه فتى بئيس وابن رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عز وعدد قال لهم المختار فالقوه فادعوه وأعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين وأهل بيته قال الشعبي فخرجوا اليه وأنا فيهم وأبي فتكلم يزيد بن أنس فقال له انا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك وندعوك اليه فإن قبلته كان خيرا لك وإن تركته فقد أدينا اليك فيه النصيحة ونحن نحب أن يكون عندك مستورا فقال لهم ابراهيم بن الأشتر وإن مثلي لا تخاف غائلته ولا سعايته ولا التقرب الى سلطانه باغتياب الناس انما أولئك الصغار الأخطار الدقاق همما فقال له انما ندعوك الى أمر قد أجمع عليه رأي الملإ من الشيعة الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه والطلب بدماء أهل البيت وقتال المحلين والدفع عن الضعفاء قال ثم تكلم أحمر بن شميط فقال له اني لك ناصح ولحظك محب وان أباك قد هلك وهو سيد وفيك منه ان رعيت حق الله خلف قد دعوناك الى أمر ان أجبتنا اليه عادت لك منزلة أبيك في الناس وأحييت من ذلك أمرا قد مات انما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها انه قد بني لك أولك مفخرا وأقبل القوم كلهم عليه يدعونه الى أمرهم ويرغبونه فيه فقال لهم ابراهيم ابن الاشتر فإني قد أجبتكم الى ما دعوتموني اليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على ان تولوني الأمر فقالوا أنت لذلك أهل ولكن ليس الى ذلك سبيل هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي وهو الرسول والمأمور بالقتال وقد أمرنا بطاعته فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبهم فانصرفنا من عنده الى المختار فأخبرناه بما رد علينا قال فغبر ثلاثا ثم إن المختار دعا بضعة عشر رجلا من وجوه أصحابه قال الشعبي أنا وأبي فيهم قال فسار بنا ومضى أمامنا يقد بنا بيوت الكوفة قدا لا ندري أين يريد حتى وقف على باب ابراهيم بن الأشتر فاستأذنا عليه فأذن لنا وألقيت لنا وسائد فجلسنا عليها وجلس المختار معه على فراشه فقال المختار الحمد لله وأشهد أن لا إله الا الله وصلى الله على محمد والسلام عليه أما بعد فإن هذا كتاب اليك من المهدي محمد ابن أمير المؤمنين الوصي وهو خير أهل الأرض اليوم وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم بعد أنبياء الله ورسله وهو يسألك أن تنصرنا وتوازرنا فان فعلت اغتبطت وان لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني الله المهدي محمدا وأولياءه عنك قال الشعبي وكان المختار قد دفع الكتاب الي حين خرج من منزله فلما قضى كلامه قال لي

ادفع الكتاب اليه فدفعته اليه فدعا بالمصباح وفض خاتمه وقرأه فإذا هو بسم الله الرحمن الرحيم من محمد المهدى الى ابراهيم بن مالك الأشتر سلام عليك فإنى أحمد اليك الله الذى لا إله الا هو أما بعد فإنى قد بعثت اليكم بوزيرى وأمينى ونجيبى الذى ارتضيته لنفسى وقد أمرته بقتال عدوّى والطلب بدماء أهل بيتى فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فإنك ان نصرتنى وأجبت دعوتى وساعدت وزيرى كانت لك عندى بذلك فضيلة ولك بذلك أعنّة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشأم على الوفاء بذلك على عهد الله فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة وان أبيت هلكت هلاكا لا تستقيله أبدا والسلام عليك فلما قضى ابراهيم قراءة الكتاب قال قد كتب الىّ ابن الحنفية وقد كتبت اليه قبل اليوم فما كان يكتب الىّ الا باسمه واسم أبيه قال له المختار ان ذلك زمان وهذا زمان قال ابراهيم فمن يعلم ان هذا كتاب ابن الحنفية الىّ فقال له يزيد بن أنس وأحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم قال الشعبى الا أنا وأبى فقالوا نشهد ان هذا كتاب محمد بن على اليك فتأخر ابراهيم عند ذلك عن صدر الفراش فأجلس المختار عليه فقال ابسط يدك أبايعك فبسط المختار يده فبايعه ابراهيم ودعا لنا بفاكهة فأصبنا منها ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا وخرج معنا ابن الأشتر فركب مع المختار حتى دخل رحله فلما رجع ابراهيم منصرفا أخذ بيدى فقال انصرف بنا يا شعبى قال فانصرفت معه ومضى بى حتى دخل بى رحله فقال يا شعبى انى قد حفظت انك لم تشهد أنت ولا أبوك أفترى هؤلاء شهدوا على حق قال قلت له قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا أرى مثل هؤلاء يقولون الا حقا قال فقلت له هذه المقالة وأنا والله لهم على شهادتهم متهم غير أنى يعجبنى الخروج وأنا أرى رأى القوم وأحب تمام ذلك الأمر فلم أطلعه على ما فى نفسى من ذلك فقال لى ابن الاشتر اكتب لى أسماءهم فانى ليس كلهم أعرف ودعا بصحيفة ودواة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعرى ويزيد بن أنس الأسدى وأحمر بن شميط الأحمسى ومالك بن عمرو النهدى حتى أتى على أسماء القوم ثم كتب شهدوا ان محمد بن على كتب الى ابراهيم بن الأشتر يأمره بموازرة المختار ومظاهرته على قتال المحلين والطلب بدماء أهل البيت وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شراحيل بن عبد وهو أبو عامر الشعبى الفقيه وعبد الرحمن بن عبد الله النخعى وعامر بن شراحيل الشعبى فقلت له ما تصنع بهذا رحمك الله فقال دعه يكون قال ودعا ابراهيم عشيرته وأخوانه ومن أطاعه وأقبل يختلف الى المختار (قال هشام بن محمد) قال أبو مخنف حدثنى يحيى بن أبى عيسى الأزدى قال كان حميد بن مسلم الأسدى صديقا

لابراهيم بن الأشتر وكان يختلف اليه ويذهب به معه وكان ابراهيم يروح فى كل عشية عند
المساء فيأتى المختار فيمكث عنده حتى تصوب النجوم ثم ينصرف فمكثوا بذلك يدبرون
أمورهم حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة
٦٦ ووطّن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم * فلما كان عند غروب الشمس قام ابراهيم
ابن الأشتر فأذن ثم انه استقدم فصلى بنا المغرب ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلتُ أخوك
أو الذئبُ وهو يريد المختار فأقبلنا علينا السلاحُ وقد أتى اياسُ بن مضارب عبد الله بن
مطيع فقال ان المختار خارج عليك احدى الليلتين قال فخرج اياس فى الشرط فبعث
ابنه راشدا الى الكناسة وأقبل يسير حول السوق فى الشرط ثم ان اياس بن مضارب دخل
على ابن مطيع فقال له انى قد بعثت ابنى الى الكناسة فلو بعثت فى كل جبّانة بالكوفة
عظيمةٍ رجلا من أصحابك فى جماعة من أهل الطاعة هاب المريبُ الخروج عليك قال
فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الى جبانة السّبيع وقال اكفنى قومك
لا أوتينّ من قبلك وأحكم أمر الجبانة التى وجّهتك اليها لا يحدثنّ بها حدث فأولئك العجز
والوهن وبعث كعب بن أبى كعب الخثعمىّ الى جبانة بشر وبعث زَحْر بن قيس الى جبانة
كندة وبعث شمر بن ذى الجوشن الى جبانة سالم وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سُليم الى
جبانة الصائديين وبعث يزيد بن الحارث ابن رُوَيم أبا حَوْشب الى جبانة مراد وأوصى كل
رجل ان يكفيه قومه وان لا يؤتى من قبله وان يحكم الوجه الذى وجهه فيه وبعث شَبَث بن
رِبْعِىّ الى السَّبَخة وقال اذا سمعت صوت القوم فوجّهْ نحوهم فكان هؤلاء قد خرجوا يوم
الاثنين فنزلوا هذه الجبابين وخرج ابراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد اتيان
المختار وقد بلغه ان الجبابين قد حُشيت رجالا وان الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر
(قال أبو مخنف) فحدّثنى يحيى بن أبى عيسى عن حميد بن مسلم قال خرجت مع ابراهيم من
منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حُريث ونحن مع ابن الأشتر
كتيبةٌ نحوٌ من مائة علينا الدروع قد كفرنا عليها بالأقبية ونحن متقلدو السيوف ليس
معنا سلاح الا السيوف فى عواتقنا والدروع قد سترناها بأقبيتنا فلما مررنا بدار سعيد بن
قيس نجزناها الى دار أسامة قلنا مُرَّ بنا على دار خالد بن عُرْفُطة ثم امض بنا الى بجيلة فلنمرّ
فى دورهم حتى نخرج الى دار المختار وكان ابراهيم فتى حدثا شجاعا فكان لا يكره أن يلقاهم
فقال والله لأمرّنّ على دار عمرو بن حريث الى جانب القصر وسط السوق ولأرعبنّ به
عدوّنا ولأرينّهم هوانهم علينا قال فأخذ نا على باب الفيل على دار هبّار ثم أخذ ذات اليمين
على دار عمرو بن حريث حتى اذا جاوزها ألفينا اياس بن مضارب فى الشرط مظهرين
السلاح فقال لنا من أنتم ما أنتم فقال له ابراهيم أنا ابراهيم بن الأشتر فقال له ابن مضارب

ماهذا الجمع معك وماتريد والله ان أمرك لمريب وقد بلغني انك تمر كل عشية ههنا وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه فقال ابراهيم لا أبا لغيرك خل سبيلنا فقال كلا والله لا أفعل ومع اياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن كان يكون مع أمراء الشرطة فهم يكرمونه و يؤثرونه وكان لابن الأشتر صديقا فقال له ابن الأشتر يا أبا قطن ادن مني ومع أبي قطن رمح له طويل فدنا منه أبو قطن ومعه الرمح وهو يرى ان ابن الأشتر يطلب اليه ان يشفع له الى ابن مضارب ليخلي سبيله فقال ابراهيم وتناول الرمح من يده ان رمحك هذا الطويل فحمل به ابراهيم على ابن مضارب فطعنه في ثغرة نحره فصرعه وقال لرجل من قومه انزل فاحتز رأسه فنزل اليه فاحتز رأسه وتفرق أصحابه ورجعوا الى ابن مطيع فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن اياس مكان أبيه على الشرطة و بعث مكان راشد بن اياس الى الكناسة تلك الليلة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد وأقبل ابراهيم بن الاشتر الى المختار ليلة الأربعاء فدخل عليه فقال له ابراهيم انا اتعدنا للخروج للقابلة ليلة الخميس وقد حدث أمر لا بد من الخروج الليلة قال المختار وما هو قال عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه فقتلته وهذا رأسه مع أصحابي على الباب فقال المختار فبشرك الله بخير فهذا طير صالح وهذا أول الفتح ان شاء الله فقال المختار قم يا سعيد بن منقذ فاشعل في الهرادي النيران ثم ارفعها للمسلمين وقم أنت يا عبد الله بن شداد فناد يا منصور أمت وقم أنت يا سفيان بن ليل وأنت يا قدامة بن مالك فناد يا لثارات الحسين ثم قال المختار عليّ بدرعي وسلاحي فأتي به فأخذ يلبس سلاحه و يقول

قد علمت بيضاء حسناء الطلل * واضحة الخدين عجزاء الكفل

أني غداة الروع مقدام بطل

ثم إن ابراهيم قال للمختار إن هؤلاء الرؤس الذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون اخواننا ان يأتونا و يضيقون عليهم فلو أني خرجت بمن معي من أصحابي حتى آتي قومي فيأتيني كل من قد بايعني من قومي ثم سرت بهم في نواحي الكوفة ودعوت بشعارنا فخرج الى من أراد الخروج الينا ومن قدر على اتيانك من الناس فمن أتاك حبسته عندك الى من معك ولم تفرقهم فإن عوجلت فأتيت كان معك من تمتنع به وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت اليك في الخيل والرجال قال له إما لا فاعجل وإياك ان تسير الى أميرهم تقاتله ولا تقاتل أحدا وأنت تستطيع ان لا تقاتل واحفظ ما أوصيتك به الا ان يبدأك أحد بقتال فخرج ابراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة التي اقبل فيها حتى أتى قومه واجتمع اليه جل من كان بايعه وأجابه ثم انه سار بهم في سكك الكوفة طويلا من الليل وهو في ذلك يتجنب السكك التي فيها الأمراء فجاء الى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع في الجبابين وأفواه الطرق

العظام حتى انتهى الى مسجد السكون وعجلت اليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير فشد عليهم ابراهيم بن الأشتر وأصحابه فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة فقال ابراهيم من صاحب الخيل في جبانة كندة فشد ابراهيم وأصحابه عليهم وهو يقول اللهم انك تعلم انا غضبنا لأهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا عليهم وتمم لنا دعوتنا حتى انتهى اليهم هو وأصحابه فخالطوهم وكشفوهم فقيل له زحر بن قيس فقال انصرفوا بنا عنهم فركب بعضهم بعضا كلما لقيهم زقاق دخل منهم طائفة فانصرفوا يسيرون ثم خرج ابراهيم يسير حتى انتهى الى جبانة أثير فوقف فيها طويلا ونادى أصحابه بشعارهم فبلغ سويد بن عبد الرحمن المنقري مكانهم في جبانة أثير فرجا ان يصيبهم فيحظى بذلك عند ابن مطيع فلم يشعر ابن الأشتر الا وهم معه في الجبانة فلما رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه يا شرطة الله انزلوا فانكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا ثم شد عليهم ابراهيم فضربهم حتى أخرجهم من الصحراء وولوا منهزمين يركب بعضهم بعضا وهم يتلاومون فقال قائل منهم ان هذا الأمر يراد ما يلقون لنا جماعة الا هزموهم فلم يزل يهزمهم حتى أدخلهم الكناسة وقال أصحاب ابراهيم لابراهيم أتبعهم واغتنم ما قد دخلهم من الرعب فقد علم الله الى من ندعو وما نطلب والى من يدعون وما يطلبون قال لا ولكن سيروا بنا الى صاحبنا حتى يؤمن الله بنا وحشته ونكون من أمره على علم ويعلم هو أيضا ما كان من عنائنا فيزداد هو وأصحابه قوة وبصيرة الى قواهم وبصيرتهم مع أني لا آمن ان يكون قد أتي فأقبل ابراهيم في أصحابه حتى مر بمسجد الأشعث فوقف به ساعة ثم مضى حتى أتى دار المختار فوجد الأصوات عالية والقوم يقتتلون وقد جاء شبث بن ربعي من قبل السبخة فعبى له المختار يزيد بن أنس وجاء حجار بن أبجر العجلي فجعل المختار في وجهه أحمر بن شميط فالناس يقتتلون وجاء ابراهيم من قبل القصر فبلغ حجارا وأصحابه ان ابراهيم قد جاءهم من ورائهم فتفرقوا قبل ان يأتيهم ابراهيم وذهبوا في الأزقة والسكك وجاء قيس بن طهفة في قريب من مائة رجل من بني نهد من أصحاب المختار فحمل على شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلى لهم الطريق حتى اجتمعوا جميعا ثم ان شبث بن ربعي ترك لهم السكة وأقبل حتى لقي ابن مطيع فقال ابعث الى امراء الجبابين فرهم فليأتوك فاجمع اليك جميع الناس ثم انهد الى هؤلاء القوم فقاتلهم وابعث اليهم من تثق به فليكفك قتالهم فإن أمر القوم قد قوى وقد خرج المختار وظهر واجتمع له أمره فلما بلغ ذلك المختار من مشورة شبث بن ربعي على ابن مطيع خرج المختار في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر دير هند مما يلي بستان زائدة في السبخة قال وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم يخافون ان يظهروا في الميدان لقرب كعب بن أبي كعب الخثعمي منهم وكان كعب في جبانة بشر فلما بلغه

ان

ان شاكر يخرج جاء يسير حتى نزل بالميدان وأخذ عليهم بأفواه سككهم وطرقهم قال فلما أتاهم أبو عثمان النهدي في عصابة من أصحابه نادى يالثارات الحسين يامنصور امت ياأيها الحي المهتدون ألا ان أمير آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند وبعثني اليكم داعيا ومبشرا فاخرجوا اليه رحمكم الله قال فخرجوا من الدور يتداعون يالثارات الحسين ثم ضاربوا كعب بن أبي كعب حتى خلى لهم الطريق فأقبلوا الى المختار حتى نزلوا معه في عسكره وخرج عبد الله بن قراد الخثعمي في جماعة من خثعم نحو المائتين حتى لحق بالمختار فنزلوا معه في عسكره وقد كان عرض له كعب بن أبي كعب فصافه فلما عرفهم ورأى انهم قومه خلى عنهم ولم يقاتلهم وخرجت شبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا الى جبانة مراد فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بعث اليهم إن كنتم تريدون اللحاق بالمختار فلا تمروا على جبانة السبيع فلحقوا بالمختار فتوافى الى المختار ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفا كانوا بايعوه فاستجمعوا له قبل انفجار الفجر فأصبح قد فرغ من تعبيته (قال أبو مخنف) فحدثني الوالبي قال خرجت أنا وحميد بن مسلم والنعمان بن أبي الجعد الى المختار ليلة خرج فأتيناه في داره وخرجنا معه الى معسكره قال فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تعبيته فلما أصبح استقدم فصلى بنا الغداة بغلس ثم قرأ والنازعات وعبس وتولى قال فما سمعنا اماما أم قوما أفصح لهجة منه (قال أبو مخنف) حدثني حصيرة بن عبد الله ان ابن مطيع بعث الى أهل الجبابين فأمرهم ان ينضموا الى المسجد وقال لراشد بن اياس بن مضارب ناد في الناس فليأتوا المسجد فنادى المنادي ألا برئت الذمة من رجل لم يحضر المسجد الليلة فتوافى الناس في المسجد فلما اجتمعوا بعث ابن مطيع شبث بن ربعي في نحو من ثلاثة آلاف الى المختار وبعث راشد بن اياس في أربعة آلاف من الشرط (قال أبو مخنف) فحدثني أبو الصلب التيمي عن أبي سعيد الصيقل قال لما صلى المختار الغداة ثم انصرف سمعنا أصواتا مرتفعة فيما بين بني سليم وسكة البريد فقال المختار من يعلم لنا علم هؤلاء ما هم فقلت له أنا أصلحك الله فقال المختار اما لا فألق سلاحك وانطلق حتى تدخل فيهم كأنك نظار ثم تأتيني بخبرهم قال ففعلت فلما دنوت منهم اذا مؤذنهم يقيم فجئت حتى دنوت منهم فاذا شبث بن ربعي معه خيل عظيمة وعلى خيله شيبان بن حريث الضبي وهو في الرجالة معه منهم كثرة فلما أقام مؤذنهم تقدم فصلى بأصحابه فقرأ اذا زلزلت الأرض زلزالها فقلت في نفسي أما والله اني لأرجو أن يزلزل الله بكم وقرأ والعاديات ضبحا فقال له اناس من أصحابه لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيأ فقال شبث ترون الديلم قد نزلت بساحتكم وأنتم تقولون لو قرأت سورة البقرة وآل عمران قال وكانوا ثلاثة آلاف قال فأقبلت سريعا حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر شبث وأصحابه وأتاه معي ساعة أتيته سعر بن أبي سعر الحنفي يركض من قبل مراد وكان ممن بايع المختار فلم يقدر

على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس فلما أصبح أقبل على فرسه فر بجبانة مراد وفيها راشد بن اياس فقالوا كما أنت ومن أنت فراكضهم حتى جاء المختار فأخبره خبر راشد وأخبرته أنا خبر شبث قال فسرح ابراهيم بن الأشتر قبل راشد بن اياس في تسعمائة ويقال ستمائة فارس وستمائة راجل وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة في ثلثمائة فارس وستمائة راجل وقال لهما امضيا حتى تلقيا عدوكما فاذا لقيتماهم فانزلا في الرجال وعجلا الفراغ وابدآهم بالاقدام ولا تستهدفا لهم فانهم أكثر منكم ولا ترجعا الى حتى تظهرا أو تقتلا فتوجه ابراهيم الى راشد وقدم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شبث في تسعمائة أمامه وتوجه نعيم بن هبيرة قبل شبث (قال أبو مخنف) قال أبو سعيد الصيقل كنت أنا فيمن توجه مع نعيم بن هبيرة الى شبث ومعي سعر بن أبي سعر الحنفي فلما انتهينا اليه قاتلناه قتالا شديدا فجعل نعيم بن هبيرة سعر بن أبي سعر الحنفي على الخيل ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت فضربناهم حتى أدخلناهم البيوت ثم ان شبث بن ربعي ناداهم يا حماة السوء بئس فرسان الحقائق أنتم أمن عبيدكم تهربون قال فثابت اليه منهم جماعة فشدوا علينا وقد تفرقنا فهزمونا وصبر نعيم بن هبيرة فقتل ونزل معه سعر فأسر وأسرت أنا وخليد مولى حسان ابن بحدج فقال شبث لخليد وكان وسيما جسيما من أنت فقال خليد مولى حسان بن بحدج الذهلي فقال له شبث يا ابن المتكاء تركت بيع الصحناة بالكناسة وكان جزاء من أعتقك ان تعدو عليه بسيفك تضرب رقابه اضربوا عنقه فقتل ورأى سعرا الحنفي فعرفه فقال أخو بني حنيفة فقال له نعم فقال ويحك ما أردت الى اتباع هذه السبائية قبح الله رأيك دعوا ذا فقلت في نفسي قتل المولى وترك العربي ان علم والله اني مولى قتلني فلما عرضت عليه قال من أنت فقلت من بني تيم الله قال أعربي أنت أو مولى فقلت لا بل عربي أنا من آل زياد بن خصفة فقال بخ بخ ذكرت الشريف المعروف الحق بأهلك قال فأقبلت حتى انتهيت الى الحمراء وكانت لي في قتال القوم بصيرة فجئت حتى انتهيت الى المختار وقلت في نفسي والله لآتين أصحابي فلأواسينهم بنفسي فقبح الله العيش بعدهم قال فأتيتهم وقد سبقني اليهم سعر الحنفي وأقبلت اليه خيل شبث وجاءه قتل نعيم بن هبيرة فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير قال فدنوت من المختار فأخبرته بالذي كان من أمري فقال لي اسكت فليس هذا بمكان الحديث وجاء شبث حتى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث ابن رؤيم في ألفين من قبل سكة لحام جرير فوقفوا في أفواه تلك السكك وولى المختار يزيد ابن أنس خيله وخرج هو في الرجالة (قال أبو مخنف) فحدثني الحارث بن كعب الوالبي والبة الأزد قال حملت علينا خيل شبث بن ربعي حملتين فما يزول منا رجل من مكانه فقال يزيد بن أنس لنا يا معشر الشيعة قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم وتسمل أعينكم

وترفعون على جذوع النخل فى حب أهل بيت نبيكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوكم فما ظنكم بهؤلاء القوم ان ظهروا عليكم اليوم اذاً والله لايدعون منكم عيناً تطرف وليقتلنكم صبرا وليترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه والله لاينجيكم منه الا الصدق والصبر والطعن الصائب في أعينهم والضرب الدراك على هامهم فتيسروا للشدة وتهيأوا للحملة فإذا حركت رايتي مرتين فاحملوا قال الحارث فتهيأنا وتيسرنا وجثونا على الركب وانتظرنا أمره (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج الكندى ان ابراهيم بن الأشتر كان حين توجه الى راشد بن اياس مضى حتى لقيه في مراد فإذا معه أربعة آلاف فقال ابراهيم لأصحابه لايهولنكم كثرة هؤلاء فوالله لربَّ رجل خير من عشرة ولربَّ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ قَدْ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ثم قال ياخزيمة بن نصر سر اليهم فى الخيل ونزل هو يمشي في الرجال ورايته مع مزاحم بن طفيل فأخذ ابراهيم يقول له ازدلف برايتك امض بها قدماً قدماً واقتتل الناس فاشتد قتالهم وبصر خزيمة بن نصر العبسى براشد بن اياس فحمل عليه فطعنه فقتله ثم نادى قتلت راشداً ورب الكعبة وانهزم أصحاب راشد واقبل ابراهيم بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار وبعث النعمان بن أبى الجعد يبشر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد فلما ان جاءهم البشير بذاك كبروا واشتدت أنفسهم ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسى فى جيش كثيف نحو من ألفين فاعترض ابراهيم بن الاشتر فويق الحمراء ليرده عن من فى السبخة من أصحاب ابن مطيع فقدم ابراهيم خزيمة بن نصر الى حسان بن فائد في الخيل ومشى ابراهيم نحوه في الرجال فقال والله ما طاعنا برمح ولا اضطربنا بسيف حتى انهزموا وتخلف حسان ابن فائد في اخريات الناس يحميهم وحمل عليه خزيمة بن نصر فلما رآه عرفه فقال له ياحسان ابن فائد أما والله لولا القرابة لعرفت انى سألتمس قتلك بجهدى ولكن النجاء فعثر بحسان فرسه فوقع فقال تعسا لك أبا عبد الله وابتدره الناس فأحاطوا به فضاربهم ساعة بسيفه فناداه خزيمة بن نصر قال انك آمن يا أبا عبد الله لا تقتل نفسك وجاء حتى وقف عليه ونهنه الناس عنه ومر به ابراهيم فقال له خزيمة هذا ابن عمى وقد آمنته فقال له ابراهيم أحسنت فأمر خزيمة بطلب فرسه حتى أتى به فحمله عليه وقال الحق بأهلك قال وأقبل ابراهيم نحو المختار وشبث محيط بالمختار ويزيد بن أنس فلما رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سكك الكوفة التى تلى السبخة وإبراهيم مقبل نحو شبث أقبل نحوه ليصده عن شبث وأصحابه فبعث ابراهيم طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر فقال أغن عنا يزيد بن الحارث وصمد هو في بقية أصحابه نحو شبث بن ربعى (قال أبو مخنف) فحدثني الحارث بن كعب ان ابراهيم لما أقبل نحونا رأينا شبثا وأصحابه ينكصون وراءهم رويدا رويدا فلما دنا ابراهيم من شبث وأصحابه حمل

عليهم وأمر نا يزيد بن أنس بالحملة عليهم فحملنا عليهم فانكشفوا حتى انتهوا الى أبيات الكوفة
وحمل خزيمة بن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه وازدحموا على أفواه السكك وقد
كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت وأقبل المختار فى جماعة
الناس الى يزيد بن الحارث فلما انتهى أصحاب المختار الى أفواه السكك رمته تلك الرامية
بالنبل فصدوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ورجع الناس من السبخة منهزمين الى
ابن مطيع وجاءه قتل راشد بن اياس فأسقط في يده (قال أبو مخنف) فحدثني يحي بن هانئ
قال قال عمرو بن الحجاج الزبيدى لابن مطيع أيها الرجل لا يسقط فى خلدك ولا تلق بيدك
أخرج الى الناس فاندبهم الى عدوك فاغزهم فإن الناس كثير عددهم وكلهم معك الا هذه
الطاغية التى خرجت على الناس والله مخزيها ومهلكها وأنا أول منتدب فاندب معى طائفة
ومع غيرى طائفة قال فخرج ابن مطيع فقام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها
الناس إن من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها خبيث دينها ضالة مضلة
اخرجوا اليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتلوهم عن مصركم وامنعوا منهم فيئكم والا والله
ليشاركنكم في فيئكم من لا حق له فيه والله لقد بلغنى ان فيهم خمسمائة رجل من محرريكم
عليهم أمير منهم وانما ذهاب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون ثم نزل قال ومنعهم
يزيد بن الحارث ان يدخلوا الكوفة قال ومضى المختار من السبخة حتى ظهر على الجبانة ثم
ارتفع الى البيوت بيوت مزينة وأحمس وبارق فنزل عند مسجدهم وبيوتهم وبيوتهم شاذة
منفردة من بيوت أهل الكوفة فاستقبلوه بالماء فسقى أصحابه وأبى المختار ان يشرب قال
فظن أصحابه انه صائم وقال أحمر بن هديج من همدان لابن كامل أترى الأمير صائما فقال له
نعم هو صائم فقال له فلو انه كان في هذا اليوم مفطرا كان أقوى له فقال له انه معصوم وهو أعلم
بما يصنع فقال له صدقت أستغفر الله وقال المختار نعم مكان المقاتل هذا فقال له ابراهيم بن
الأشتر قد هزمهم الله وفلهم وأدخل الرعب قلوبهم وتنزل ههنا سربنا فوالله ما دون القصر
أحد يمنع ولا يمتنع كبير امتناع فقال المختار ليقم ههنا كل شيخ ضعيف وذى علة وضعوا ما
كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتى تسيروا الى عدونا ففعلوا فاستخلف المختار عليهم
أبا عثمان النهدى وقدم ابراهيم بن الاشتر أمامه وعبى أصحابه على الحال التى كانوا عليها فى السبخة
قال وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفى رجل فخرج عليهم من سكة الثوريين
فبعث المختار الى ابراهيم أن اطوه ولا تقم عليه فطواه ابراهيم ودعا المختار يزيد بن أنس
فأمره ان يصمد لعمرو بن الحجاج فمضى نحوه وذهب المختار فى أثر ابراهيم فمضوا جميعا حتى اذا
انتهى المختار الى موضع مصلى خالد بن عبد الله وقف وأمر ابراهيم ان يمضى على وجهه حتى
يدخل الكوفة من قبل الكناسة فمضى فخرج اليه من سكة ابن محرز وأقبل شمر بن ذى

الجوشن

الجوشن فى ألفين فسرح المختار اليه سعيد بن منقذ الهمدانى فواقعه وبعث الى ابراهيم ان اطوه وامض على وجهك فمضى حتى انتهى الى سكة شبث واذا نوفل بن مساحق بن عبد الله ابن مخرمة في نحو من ألفين أوقال خمسة آلاف وهو الصحيح وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى فى الناس أن الحقوا بابن مساحق قال واستخلف شبث بن ربعى على القصر وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة (قال أبو مخنف) حدثنى حصيرة بن عبد الله قال انى لأنظر الى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه حتى اذا دنا منهم قال لهم انزلوا فنزلوا فقال قرّبوا خيولكم بعضها الى بعض ثم امشوا اليهم مصلتين بالسيوف ولا يهولنكم ان يقال جاءكم شبث بن ربعىّ وآل عتيبة بن النهاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث قال فسمى بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ثم قال ان هؤلاء لو قد وجدوا لهم حر السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب قال حصيرة فإنى لأنظر اليه والى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائه فرفعه فأدخله فى منطقة له حمراء من حواشى البرود وقد شد بها على القباء وقد كفر بالقباء على الدرع ثم قال لأصحابه شدوا عليهم فدًى لكم عمى وخالى قال فوالله مالبثهم ان هزمهم فركب بعضهم بعضا على فم السكة وازدحموا وانتهى ابن الأشتر الى ابن مساحق فأخذ بلجام دابته ورفع السيف عليه فقال له ابن مساحق ياابن الأشتر أنشدك الله أتطلبنى بثأر هل بينى وبينك من إحنة فخلى ابن الأشتر سبيله وقال له اذكرها فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر وأقبلوا يسيرون حتى دخلوا الكناسة فى آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ثلاثا (قال أبو مخنف) وحدثنى النضر بن صالح ان ابن مطيع مكث ثلاثا يرزق أصحابه فى القصر حيث حصر الدقيق ومعه أشراف الناس الا ما كان من عمرو بن حريث فإنه أتى داره ولم يُلزم نفسه الحصار ثم خرج حتى نزل البر وجاء المختار حتى نزل جانب السوق وولى حصار القصر ابراهيم بن الاشتر ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط فكان ابن الأشتر مما يلى المسجد وباب القصر ويزيدُ بن أنس مما يلى بنى حذيفة وسكة دار الروميين وأحمر بن شميط مما يلى دار عمارة ودار أبى موسى فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلمه الأشراف فقام اليه شبث فقال له أصلح الله الأمير أنظر لنفسك ولمن معك فوالله ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم قال ابن مطيع هاتوا أشيروا علىّ برأيكم قال شبث الرأى ان تأخذ لنفسك من هذا الرجل أمانا ولنا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك قال ابن مطيع والله إنى لأكره ان آخذ منه أمانا والأمور مستقيمة لأمير المؤمنين بالحجاز كله وبأرض البصرة قال فتخرج لا يشعر بك أحد حتى تنزل منزلا بالكوفة عند من تستنصحه وتثق به ولا يعلم بمكانك حتى تخرج فتلحق بصاحبك فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن مخنف وعبد الرحمن بن

سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة ماترون في هذا الرأى الذى أشار به على شبث
فقالوا ما نرى الرأى الا ما أشار به عليك قال فرويدا حتى أمسى (قال أبو مخنف)
فحدثنى أبو المغلّس الليثى ان عبد الله بن عبد الله الليثى أشرف على أصحاب المختار من
القصر من العشى يشتمهم وينتحى له مالك بن عمرو أبو نمر النهدى بسهم فيمر بحلقه
فقطع جلدة من حلقه فمال فوقع قال ثم انه قام وبرأ بعد وقال النهدى حين أصابه
خذها من مالك من فاعل كذا (قال أبو مخنف) وحدثنى النضر بن صالح عن
حسان بن فائد بن بكير قال لما أمسينا في القصر فى اليوم الثالث دعانا ابن مطيع فذكر الله
بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال أما بعد فقد علمت الذين صنعوا هذا
منكم من هم وقد علمت انما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم وأخساؤكم ما عدا الرجل
أو الرجلين وان أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين وأنا مبلغ
ذلك صاحبى ومُعلمه طاعتكم وجهادكم عدوّه حتى كان الله الغالب على أمره وقد كان من
رأيكم وما أشرتم به علىّ ما قد علمتم وقد رأيت ان أخرج الساعة فقال له شبث جزاك الله
من أمير خيرا فقد والله عففت عن أموالنا وأكرمت أشرافنا ونصحت لصاحبك وقضيت
الذى عليك والله ما كنا لنفارقك أبدا الا ونحن منك فى إذن فقال جزاكم الله خيرا أخذ
امرؤ حيث أحب ثم خرج من نحو درب الروميين حتى أتى دار أبى موسى وخلى القصر
وفتح أصحابه الباب فقالوا يا ابن الأشتر آمنون نحن قال أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار
(قال أبو مخنف) فحدثنى موسى بن عامر العدوى من عدىّ جهينة وهو أبو الاشعر ان المختار
جاء حتى دخل القصر فبات به وأصبح أشرافُ الناس فى المسجد وعلى باب القصر وخرج
المختار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله الذى وعد وليَّه النصر وعدوَّه الخسر
وجعله فيه الى آخر الدهر وعدا مفعولا وقضاء مقضيا وقد خاب من افترى أيها الناس انه
رُفعت لنا راية ومُدّت لنا غاية فقيل لنا فى الراية أن ارفعوها ولا تضعوها وفى الغاية أن اجروا
اليها ولا تعدُوها فسمعنا دعوة الداعى ومقالة الواعى فكم من ناع وناعيه لقتلى فى الواعيه
وبُعدا لمن طغى وأدبر وعصى وكذب وتولى ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى فلا
والذى جعل السماء سقفا مكفوفا والأرض فجاجا سُبلا ما بايعتم بعد بيعة علىّ بن أبى طالب
وآل علىّ أهدى منها ثم نزل فدخل ودخلنا عليه وأشراف الناس فبسط يده وابتدره الناس
فبايعوه وجعل يقول تبايعونى على كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد
المحلين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا
نستقيلكم فإذا قال الرجل نعم بايعه قال فكأنى والله أنظر الى المنذر بن حسّان بن ضرار
الضبّى اذ أتاه حتى سلم عليه بالإمرة ثم بايعه وانصرف عنه فلما خرج من القصر استقبل

سعيد بن منقذ الثورى فى عصابة من الشيعة واقفا عند المصطبة فلما رأوه ومعه ابنه حيان
ابن المنذر قال رجل من سفهائهم هذا والله من رؤس الجبارين فشدوا عليه وعلى ابنه
فقتلوهما فصاح بهم سعيد بن منقذ لا تعجلوا لا تعجلوا حتى ننظر ما رأى أميركم فيه قال
وبلغ المختار ذلك فكرهه حتى رُؤىَ ذلك فى وجهه وأقبل المختار يمنّى الناس ويستجرّ
مودّتهم ومودّة الأشراف ويُحسن السيرة جُهده قال وجاءه ابن كامل فقال للمختار
أعلمت ان ابن مطيع في دار أبي موسى فلم يُجبه بشيء فأعادها عليه ثلاث مرات فلم يجبه ثم
أعادها فلم يجبه فظنّ ابن كامل ان ذلك لا يوافقه وكان ابن مطيع قبلُ للمختار صديقا فلما
أمسى بعث الى ابن مطيع بمائة ألف درهم فقال له تجهّز بهذه واخرج فانى قد شعرت
بمكانك وقد ظننت انه لم يمنعك من الخروج الا انه ليس في يديك ما يقويك على الخروج
وأصاب المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين
حصر ابن مطيع في القصر وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل كلّ رجل خمسمائة درهم
خمسمائة درهم وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر فأقاموا معه تلك الليلة
وتلك الثلاثة الأيام حتى دخل القصر مائتين مائتين واستقبل الناس بخير ومنّاهم العدل
وحسن السيرة وأدنى الاشراف فكانوا جلساءه وحُدّاثه واستعمل على شرطته عبد الله بن
كامل الشاكرىّ وعلى حرسه كيسان أبا عَمرة مولى عُرَينة فقام ذات يوم على رأسه فرأى
الأشراف يحدّثونه ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم فقال لأبى عَمرة بعضُ أصحابه من
الموالى أما ترى أبا اسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر الينا فدعاه المختار فقال له ما يقول
لك أولئك الذين رأيتهم يكلمونك فقال له وأسرّ اليه شق عليهم أصلحك الله صرفك وجهك
عنهم الى العرب فقال له قُل لهم لا يشقنّ ذلك عليكم فأنتم منّى وأنا منكم ثم سكت طويلا ثم
قرأ إِنَّا من المجرمين مُنتقمون قال فحدثنى أبو الأشعر موسى بن عامر قال ما هو الا
ان سمعها الموالى منه فقال بعضهم لبعض ابشروا كأنكم والله به قد قتلهم (قال أبو مخنف)
حدثنى حَصيرة بن عبد الله الأزدىّ وفُضيل بن خديج الكندىّ والنضر بن صالح
العبسىّ قالوا أوّل رجل عقد له المختار راية عبد الله بن الحارث أخو الأشتر عقد له على
أرمينية وبعث محمد بن عُمير بن عُطارد على آذربيجان وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن
قيس على الموصل وبعث اسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخى وبعث قُدامة بن أبى
عيسى بن ربيعة النصرىّ وهو حليف لثقيف على بهقُباذ الأعلى وبعث محمد بن كعب بن
قرَظة على بهقباذ الأوسط وبعث حبيب بن منقذ الثورىّ على بهقباذ الأسفل وبعث سعد
ابن حُذيفة بن اليمان على حُلوان وكان مع سعد بن حذيفة ألفا فارس بحُلوان قال ورزقه
ألف درهم فى كل شهر وأمره بقتال الأكراد وباقامة الطرق وكتب الى عماله على الجبال

يأمرهم أن يحملوا أموال كورهم الى سعد بن حذيفة بحلوان وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله الا بأمر ابن الزبير وكان قبل ذلك فى امارة عبد الله بن يزيد وابراهيم بن محمد منقطعا بإمارة الموصل لا يكاتب أحدا دون ابن الزبير * فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبل المختار أميرا تنحى له عن الموصل وأقبل حتى نزل تكريت وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس والى ما يصير أمرهم ثم شخص الى المختار فبايع له ودخل فيما دخل فيه أهل بلده (قال أبو مخنف) وحدثنى صلة بن زهير النهدىّ عن مسلم بن عبد الله الضبابىّ قال لما ظهر المختار واستمكن ونفى ابن مطيع وبعث عماله أقبل يجلس للناس غدوةً وعشيةً فيقضى بين الخصمين ثم قال والله ان لى فيما أزاول وأحاول لشغلا عن القضاء بين الناس قال فأجلس للناس شريحا وقضى بين الناس ثم انه خافهم فتمارض وكانوا يقولون انه عثمانىّ وانه ممن شهد على حُجر ابن عدىّ وانه لم يبلغ عن هانئ بن عروة ما أرسله به وقد كان علىّ بن أبى طالب عزله عن القضاء فلما ان سمع بذلك ورآهم يذمّونه ويسندون اليه مثل هذا القول تمارض وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم ان عبد الله مرض فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائىّ قاضيا قال مسلم بن عبد الله وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان فقنعه بالسوط فلما ظهر المختار كان معتزلا حتى استأمن له عبد الله ابن شدّاد فجاء الى المختار ذات يوم فقال

ألا انتسأت بالودّ عنك وأدبرت * مُعالنةً بالهجر أمُّ سريع
وحمّلها واشٍ سعى غير مؤتلٍ * فأبت بهمٍّ فى الفؤاد جميع
فخفّض عليك الشأن لا يُردك الهوى * فليس انتقال خلة ببديع
وفى ليلة المختار ما يُذهل الفتى * ويُلهيه عن رؤد الشباب شموع
دعا يالثارات الحسين فأقبلت * كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك * يقود جموعا عُبِّيت بجموع
ومن أسد وافى يزيدُ لنصره * بكلّ فتى حامى الذمار منيع
وجاء نُعيم خير شيبان كلها * بأمر لدى الهيجا أحدَّ جميع
وما ابن شميط إذ يحرّض قومه * هناك بمخذول ولا بمضيع
ولا قيس نهد لا ولا ابن هوازن * وكلٌّ أخو إخباتة وخشوع
وسار أبو النعمان لله سعيه * الى ابن إياس مصحرا لوقوع

بخيل

بخيل عليها يوم هيجا دروعها * وأخرى حسوراً غير ذات دروع
فكر الخيول كرة ثقفتهم * وشد بأولاها على ابن مطيع
فولى بضرب يشدخ الهام وقعه * وطعن غداة السكتين وجيع
فحوصر فى دار الإمارة بائيا * بذل وارغام له وخضوع
فمن وزير ابن الوصى عليهم * وكان لهم في الناس خير شفيع
وآب الهدى حقا الى مستقره * بخير اياب آبه ورجوع
الى الهاشمى المهتدى المهتدى به * فنحن له من سامع ومطيع

قال فلما أنشدها المختار قال المختار لأصحابه قد أثنى عليكم كما تسمعون وقد أحسن الثناء عليكم فأحسنوا له الجزاء ثم قام المختار فدخل وقال لأصحابه لا تبرحوا حتى أخرج اليكم قال وقال عبد الله بن شداد الجشمى يا ابن همام ان لك عندى فرسا ومطرفا وقال قيس بن طهفة النهدى وكانت عنده الرباب بنت الأشعث فان لك عندى فرسا ومطرفا واستحيا أن يعطيه صاحبه شيأ لا يعطى مثله فقال ليزيد بن أنس فما تعطيه فقال يزيد ان كان ثواب الله أراد بقوله فما عند الله خير له وان كان انما اعترى بهذا القول أموالنا فوالله ما في أموالنا ما يسعه قد كانت بقيت من عطائى بقية فقويت بها اخوانى فقال أحمر بن شميط مبادرا لهم قبل أن يكلموه يا ابن همام ان كنت أردت بهذا القول وجه الله فاطلب ثوابك من الله وإن كنت انما اعتريت به رضى الناس وطلب أموالهم فاكدم الجندل فوالله ما من قال قولا لغير الله وفى غير ذات الله بأهل ان ينحل ولا يوصل فقال له عضضت بأير أبيك فرفع يزيد ابن أنس السوط وقال لابن شميط تقول هذا القول يا فاسق وقال لابن شميط اضربه بالسيف فرفع ابن شميط عليه السيف ووثب ووثب أصحابهما يتفلتون على ابن همام وأخذ بيده ابراهيم بن الاشتر فألقاه وراءه وقال أناله جار لم تأتون اليه ما أرى فوالله انه لواصل الولاية راض بما نحن عليه حسن الثناء فان أنتم لم تكافؤه بحسن ثنائه فلا تشتموا عرضه ولا تسفكوا دمه ووثبت مذحج فحالت دونه وقالوا أجاره ابن الاشتر لا والله لا يوصل اليه قال وسمع لغطهم المختار فخرج اليهم وأومأ بيده اليهم أن اجلسوا فجلسوا فقال لهم اذا قيل لكم خير فاقبلوه وان قدرتم على مكافأة فافعلوا وان لم تقدروا على مكافأة فتنصلوا واتقوا لسان الشاعر فان شره حاضر وقوله فاجر وسعيه بائر وهو بكم غدا غادر فقالوا أفلا نقتله قال لا انا قد آمناه وأجرناه وقد أجاره أخوكم ابراهيم بن الأشتر فجلس مع الناس قال ثم ان ابراهيم قام فانصرف الى منزله فأعطاه ألفا وفرسا ومطرفا فرجع بها وقال لا والله لا جاورت هؤلاء أبدا وأقبلت هوازن وغضبت واجتمعت فى المسجد غضبا لابن همام فبعث اليهم المختار فسألهم

أن يصفحوا عمّا اجتمعوا له ففعلوا وقال ابن همّام لابن الاشتر يمدحه

أطفأ عنّى نار كليب ألبّا * علىّ الكلاب ذو الفعال ابن مالك
فتى حين يلقى الخيل يفرق بينها * بطعن دراك أو بضرب مواشك
وقد غضبت لى من هوازن عصبة * طوال الذرى فيها عراض المبارك
اذا ابن شميط أو يزيد تعرّضا * لها وقعا في مستحار المهالك
وثبتم علينا يا موالى طيّئ * مع ابن شميط شرّ ماش ورائك
وأعظم ديّار على الله فرية * وما مفتر طاغ كآخر ناسك
فيا عجبا من أحمس ابنة أحمس * توثّب حولى بالقنا والنيازك
كأنكم فى العز قيس وخثعم * وهل أنتم إلّا لئام عوارك

وأقبل عبد الله بن شدّاد من الغد فجلس في المسجد يقول علينا توثب بنو أسد وأحمس والله لا نرضى بهذا أبدا فبلغ ذلك المختار فبعث اليه فدعاه ودعا بيزيد بن أنس وبابن شميط فحمد الله وأثنى عليه وقال يا ابن شدّاد ان الذى فعلت نزغة من نزغات الشيطان فتب الى الله قال قد تبت وقال ان هذين أخواك فأقبل اليهما واقبل منهما وهب لى هذا الامر قال فهولك وكان ابن همام قد قال قصيدة أخرى فى أمر المختار فقال

أضحت سليمى بعد طول عتاب * وتجرّم ونفاد غرب شباب
قد أزمعت بصريمتى وتجنّى * وتهوّك من ذاك في إعتاب
لما رأيت القصر أغلق بابه * وتوكلت همدان بالأسباب
ورأيت أصحاب الدّقيق كأنهم * حول البيوت ثعالب الأسراب
ورأيت أبواب الأزقّة حولنا * دربت بكلّ هراوة وذباب
أيقنت أنّ خيول شيعة راشد * لم يبق منها فيش أير ذباب

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة وثب المختار بمن كان بالكوفة من قتلة الحسين والمشايعين على قتله فقتل من قدر عليه منهم وهرب من الكوفة بعضهم فلم يقدر عليه

## ﴿ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية من قتل منهم ومن هرب فلم يقدر عليه منهم﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكره هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم ان مروان بن الحكم لما استوثقت له الشأم بالطاعة بعث جيشين أحدهما الى الحجاز عليه حبيش بن دلجة القينىّ وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه قبل والآخر منهما الى العراق عليهم عبيد الله بن زياد وقد

ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوّابين من الشيعة بعين الوَرْدة وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد اذ وجهه الى العراق ما غلب عليه وأمره أن ينهب الكوفة اذا هو ظفر بأهلها ثلاثا قال عوانة فمرّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيس عَيْلان على طاعة ابن الزبير وقد كان مروان أصاب قيسا يوم مَرْج راهط وهم مع الضحاك بن قيس مخالفين على مروان وعلى ابنه عبد الملك من بعده فلم يزل عبيد الله مشتغلا بهم عن العراق نحوًا من سنة ثم انه أقبل الى الموصل فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عامل المختار على الموصل الى المختار أما بعد فإنى أخبرك أيها الأمير ان عبيد الله بن زياد قد دخل أرض الموصل وقد وجه قِبَلى خيله ورجاله وانى انحزت الى تكريت حتى يأتينى رأيك وأمرك والسلام عليك فكتب اليه المختار أما بعد فقد بلغنى كتابك وفهمت كلّ ما ذكرت فيه فقد أصبت بانحيازك الى تكريت فلا تبرحنّ مكانك الذى أنت به حتى يأتيك أمرى ان شاء الله والسلام عليك (قال هشام) عن أبى مخنف حدّثنى موسى بن عامر ان كتاب عبد الرحمن بن سعيد لما ورد على المختار بعث الى يزيد بن أنس فدعاه فقال له يا يزيد بن أنس ان العالم ليس كالجاهل وان الحق ليس كالباطل وانى أخبرك خبر من لم يكذب ولم يكذَّبْ ولم يخالف ولم يرتبوا نا المؤمنون الميامين الغالبون المسالم وانك صاحب الخيل التى تجرّ جعابها وتضفر أذنابها حتى توردها منابتَ الزيتون غائرةً عيونها لاحقةً بطونها اخرج الى الموصل حتى تنزل أدانيها فإنى ممدّك بالرجال بعد الرجال فقال له يزيد بن أنس سرّحْ معى ثلاثة آلاف فارس أنتخبُهم وخلِّنى والفرج الذى توجهنا اليه فان احتجتُ الى الرجال فسأكتب اليك قال له المختار فاخرج فانتخب على اسم الله من أحببت فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس فجعل على ربع المدينة النعمان بن عوف بن أبى جابر الأزدىّ وعلى ربع تميم وهمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمدانىّ وعلى مذحج وأسد ورقاء بن عازب الأسدىّ وعلى ربع ربيعة وكندة سعر بن أبى سعر الحنفىّ ثم انه فصل من الكوفة فخرج وخرج معه المختار والناس يشيّعونه فلمّا بلغ دير أبى موسى ودّعه المختار وانصرف ثم قال له اذا لقيت عدوّك فلا تناظرهم واذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخّرْها وليكن خبرك فى كلّ يوم عندى وإن احتجت الى مدد فاكتبْ الىّ مع انى ممدّك ولو لم تستمدْ فانه أشدّ لعضدك وأعزّ لجندك وأرْعب لعدوّك فقال له يزيد بن أنس لا تمدّنى الا بدعائك فكفى به مددا وقال له الناس صحبك الله وأدّاك وأيدك وودّعوه فقال لهم يزيد سلوا الله لى الشهادة وايم الله لئن لقيتُهم ففاتنى النصرُ لا تفتُنى الشهادةُ ان شاء الله فكتب المختار الى عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس أما بعد فخل بين يزيد وبين البلاد ان شاء الله والسلام عليك فخرج يزيد بن أنس بالناس حتى بات بسُورا ثم غدا بهم سائرا حتى بات بهم بالمدائن فشكا الناس اليه ما دخلهم

من شدّة السير عليهم فأقام بها يوماً وليلة ثم انه اعترض بهم أرض جُوخَى حتى خرج بهم فى الراذانات حتى قطع بهم الى أرض الموصل فنزل ببنات تلى وبلغ مكانه ومنزله الذى نزل به عبيدَ الله بن زياد فسأل عن عدّتهم فأخبرته عيونه انه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس فقال عبيد الله فأنا أبعث الى كل ألف ألفين ودعا ربيعة بن المخارق الغنوىّ وعبد الله ابن حملة الخثعمىّ فبعثهما فى ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف وبعث ربيعة بن المخارق أوّلا ثم مكث يوماً ثم بعث خلفه عبد الله بن حملة ثم كتب اليهما أيكما سبق فهو أمير على صاحبه وإن انتهيتما جميعاً فأكبرُكما سناً أميرٌ على صاحبه والجماعة قال فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو ببنات تلى فخرج اليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنًى (قال أبو مخنف) فحدّثنى أبو الصلت عن أبى سعيد الصيقل قال خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشى معه الرجال يمسكونه عن يمينه وعن شماله بفخذيه وعضديه وجنبيه فجعل يقف على الأرباع رُبعٍ ربعٍ ويقول يا شرطة الله اصبروا تؤجروا وصابروا عدوَّكم تظفروا وَقاتلوا أوْلياءَ الشيطانِ إنَّ كَيْدَ الشيطانِ كانَ ضَعيفاً ان هلكتُ فأميرُكم ورقاء بن عازب الاسدىّ فان هلك فأميركم عبد الله بن ضَمرة العذرىّ فان هلك فأميركم سِعْر بن أبى سعر الحنفىّ قال وأنا والله فيمن يمشى معه ويمسك بعضده ويده وانى لأعرف فى وجهه ان الموت قد نزل به قال فجعل يزيد بن أنس عبد الله بن ضمرة العذرىّ على ميمنته وسعر بن أبى سعر على ميسرته وجعل ورقاء بن عازب الأسدىّ على الخيل ونزل هو فوُضع بين الرجال على السرير ثم قال لهم ابرزوا لهم بالعراء وقدمونى فى الرجال ثم ان شئتم فقاتلوا عن أميركم وان شئتم ففرّوا عنه قال فأخرجناه فى ذى الحجة يوم عرفة سنة ٦٦ فأخذنا نمسك احياناً بظهره فيقول اصنعوا كذا اصنعوا كذا وافعلوا كذا فيأمر بأمره ثم لا يكون بأسرع من ان يغلبه الوجع فيوضع هُنَيْهةً ويقتتل الناس وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس قال فحملت ميسرتهم على ميمنتنا فاشتدّ قتالهم وتحمل ميسرتنا على ميمنتهم فتهزمها ويحمل ورقاء بن عازب الاسدى فى الخيل فهزمهم فلم يرتفع الضحى حتى هزمناهم وحوينا عسكرهم (قال أبو مخنف) وحدثنى موسى بن عامر العدوىّ قال انتهينا الى ربيعة بن المخارق صاحبهم وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادى يا أولياء الحق ويا أهل السمع والطاعة الىَّ أنا ابن المخارق قال موسى فأما أنا فكنتُ غلاما حدثاً فَهِبْته ووقفت ويحمل عليه عبد الله بن ورقاء الأسدىّ وعبد الله بن ضمرة العذرىّ فقتلاه (قال أبو مخنف) وحدثنى عمرو بن مالك أبو كبشة القينىّ قال كنت غلاما حين راهقتُ مع أحد عمومتى فى ذلك العسكر فلما نزلنا بعسكر الكوفيين عبّانا ربيعة بن المخارق فأحسن التعبية وجعل على ميمنته ابن أخيه وعلى ميسرته عبد ربه السلمىّ وخرج هو فى

الخيل .

الخيل والرجال وقال يا أهل الشأم انكم انما تقاتلون العبيد الاباق وقوما قد تركوا الاسلام وخرجوا منه ليست لهم تقيّة ولا ينطقون بالعربية قال فوالله ان كنت لأحسب ان ذلك كذلك حتى قاتلناهم قال فوالله ماهو الا أن اقتتل الناس اذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول

بَرِئتُ مِنْ دِينِ المُحَكِّمينا * وذَاكَ فينا شَرُّ دينٍ دِينا

ثم إن قتالنا وقتالهم اشتدّ ساعة من النهار ثم انهم هزمونا حين ارتفع الضحى فقتلوا اصحابنا وحووا عسكرنا فخرجنا منهزمين حتى تلقانا عبدُ الله بن حملة على مسيرة ساعة من تلك القرية التي يقال لها بنات تلى فردّنا فأقبلنا معه حتى نزل بيزيد بن أنس فبتنا متحارسين حتى أصبحنا فصلينا الغداة ثم خرجنا على تعبية حسنة فجعل على ميمنته الزبير بن حريمة من خثعم وعلى ميسرته ابن أقيصر القحافي من خثعم وتقدّم في الخيل والرجال وذلك يوم الاضحى فاقتتلنا قتالا شديدًا ثم انهم هزمونا هزيمة قبيحة وقتلونا قتلا ذريعا وحووا عسكرنا وأقبلنا حتى انتهينا الى عبيد الله بن زياد فحدثناه بما لقينا (قال أبو مخنف) وحدثني موسى بن عامر قال أقبل الينا عبد الله بن حملة الخثعمي فاستقبل فلّ ربيعة بن المخارق الغنوي فردهم ثم جاء حتى نزل ببنات تلى فلما أصبح غادوا وغادينا فتطارت الخيلان من أوّل النهار ثم انصرفوا وانصرفنا حتى اذا صلينا الظهر خرجنا فاقتتلنا ثم هزمناهم قال ونزل عبد الله بن حملة فأخذ ينادي أصحابه الكرّة بعد الفرّة يا أهل السمع والطاعة فحمل عليه عبدُ الله بن قُراد الخثعمي فقتله وحوينا عسكرهم ومافيه وأتى يزيد ابن أنس بثلثمائة أسير وهو في السوق فأخذ يومئ بيده ان اضربوا أعناقهم فقُتلوا من عند آخرهم وقال يزيد بن أنس ان هلكتُ فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي فأمسى حتى مات فصلى عليه ورقاء بن عازب ودفنه فلما رأى ذلك أصحابه أسقط في أيديهم وكسر موتُه قلوب أصحابه وأخذوا في دفنه فقال لهم ورقاء ياقوم ماذا ترون انه قد بلغني ان عبيد الله بن زياد قد أقبل الينا في ثمانين ألفا من أهل الشأم فأخذوا يتسللون ويرجعون ثم ان ورقاء دعا رؤس الأرباع وفرسان أصحابه فقال لهم ياهؤلاء ماذا ترون فيما أخبرتكم انما أنا رجل منكم ولست بأفضلكم رأيا فأشيروا علي فان ابن زياد قد جاءكم في جند أهل الشأم الأعظم وبجلّتهم وفرسانهم وأشرافهم ولا أرى لنا ولكم بهم طاقة على هذه الحال وقد هلك يزيد بن أنس أميرنا وتفرّقت عنا طائفة منا فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا قبل ان نلقاهم وقبل ان نبلغهم فيعلموا انا انما رددناعنهم هلاك صاحبنا فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم ولأنّا انما نعتلّ لانصرافنا بموت صاحبنا وانا ان لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فإن هُزمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا اياهم من قبل اليوم قالوا فإنك نعمّا رأيت انصرف رحمك الله فانصرف فبلغ مُنصَرَفُهم ذلك المختارَ وأهل الكوفة

فأرجف النـاس ولم يعلموا كيف كان الأمر ان يزيد بن أنس هلك وان الناس هزموا فبعث الى المختار عامله على المدائن عيناله من انباط السواد فأخبره الخبر فدعا المختار ابراهيم بن الأشتر فعقد له على سبعة آلاف رجل ثم قال له سر حتى اذا أنت لقيت جيش ابن أنس فارددهم معك ثم سر حتى تلقى عدوك فتناجزهم فخرج ابراهيم فوضع عسكره بحمام أعين (قال أبو مخنف) فحدثني أبو زهير النضر بن صالح قال لما مات يزيد بن أنس التقى أشراف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا قتل يزيد بن أنس ولم يصدقوا انه مات وأخذوا يقولون والله لقد تأمر علينا هذا الرجل بغير رضى منا ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم وأطعمهم فيئنا ولقد عصتنا عبيدنا فحرب بذلك أيتامنا وأراملنا فاتعدوا منزل شبث بن ربعي وقالوا نجتمع في منزل شيخنا وكان شبث جاهليا اسلاميا فاجتمعوا فأتوا منزله فصلى بأصحابه ثم تذاكروا هذا النحو من الحديث قال ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم شيء هو أعظم من ان جعل للموالي من الفيء نصيبا فقال لهم شبث دعوني حتى ألقاه فذهب فلقيه فلم يدع شيأ مما أنكره أصحابه الا وقد ذاكره اياه فأخذ لا يذكر خصلة الا قال له المختار أرضيهم في هذه الخصلة وآتي كل شيء أحبوا قال فذكر المماليك قال فأنا أرد عليهم عبيدهم فذكر له الموالي فقال عمدت الى موالينا وهم فيء أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعا فأعتقنا رقابهم نأمل الأجر في ذلك والثواب والشكر فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا فقال لهم المختار ان أنا تركت لكم مواليكم وجعلت فيأكم فيكم أتقاتلون معي بني أمية وابن الزبير وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه وما أطمئن اليه من الايمان فقال شبث ما أدري حتى أخرج الى أصحابي فأذاكرهم ذلك فخرج فلم يرجع الى المختار قال وأجمع رأي أشراف أهل الكوفة على قتال المختار (قال أبو مخنف) فحدثني قدامة بن حوشب قال جاء شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن ابن سعيد بن قيس حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي فتكلم شبث فحمد الله وأثنى عليه ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار وسأله أن يجيبهم الى ذلك وقال فيما يعتب به المختار انه تأمر علينا بغير رضى منا وزعم ان ابن الحنفية بعثه الينا وقد علمنا ان ابن الحنفية لم يفعل وأطعم موالينا فيئنا وأخذ عبيدنا فحرب بهم يتامانا وأراملنا وأظهر هو وسبائيته البراءة من اسلافنا الصالحين قال فرحب بهم كعب بن أبي كعب وأجابهم الى ما دعوه اليه (قال أبو مخنف) حدثني أبي يحيى بن سعيد ان أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف فدعوه الى ان يجيبهم الى قتال المختار فقال لهم يا هؤلاء انكم ان أبيتم الا ان تخرجوا لم أخذلكم وان أنتم أطعتموني لم تخرجوا فقالوا لم قال لأني أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم أليس معه فلان

وفلان

وفلان ثم معه عبيدكم ومواليكم وكلمةُ هؤلاء واحدةٌ وعبيدكم ومواليكم أشدّ حنقا عليكم من عدوّكم فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة العجم وان انتظرتموه قليلا كُفيتموه بقدوم أهل الشام أو بمجيء أهل البصرة فتكونوا قد كفيتموه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم قالوا ننشدك الله أن تخالفنا وان تُفسد علينا رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا قال فأنا رجل منكم فإذا شئتم فاخرجوا فسار بعضهم الى بعض وقالوا انتظروا حتى يذهب عنه ابراهيم بن الأشتر قال فأمهلوا حتى اذا بلغ ابن الأشتر ساباط وثبوا بالمختار قال فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمدانيّ في همدان في جبانة السَّبيع وخرج زحر بن قيس الجعفيّ واسحاق بن محمد بن الأشعث في جبانة كندة (قال هشام) فحدّثني سليمان بن محمد الحضرمي قال خرج اليهما جبير الحضرمي فقال لهما اخرجا عن جبّانتنا فانّا نكره أن نُعْرَى بشرّ فقال له اسحاق بن محمد وجبّانتكم هي قال نعم فانصرفوا عنه وخرج كعب بن أبي كعب الخثعمي في جبانة بِشْر وسار بشير بن جرير بن عبد الله اليهم في بَجِيلة وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جبانة مخنف وسار اسحاق بن محمد وزحر بن قيس الى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بجبانة السبيع وسارت بجيلةُ وخثعمٌ الى عبد الرحمن بن مخنف وهو بالأزد وبلغ الذين في جبانة السبيع ان المختار قد عبّى لهم خيلا ليسير اليهم فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضا الى الأزد وبجيلة وخثعم يسألونهم بالله والرحم لما عجّلوا اليهم فساروا اليهم واجتمعوا جميعا في جبّانة السبيع ولما ان بلغ ذلك المختار سرّه اجتماعهم في مكان واحد وخرج شمر بن ذي الجوشن حتى نزل بجبانة بني سلول في قيس ونزل شبث بن ربعيّ وحسان بن فائد العبسي وربيعة بن ثروان الضبيّ في مضر بالكناسة ونزل حجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم في ربيعة فيما بين التمّارين والسبخة ونزل عمرو بن الحجاج الزبيدي في جبانة مُراد بمن تبعه من مذحج فبعث اليهم أهل اليمن ان ائتنا فأبى أن يأتيهم وقال لهم جدوا فكأني قد أتيتكم قال وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن تَوْبة بالركض الى ابراهيم بن الاشتر وهو بساباط أن لا تضع كتابي من يدك حتى تُقبل بجميع من معك اليّ قال وبعث اليهم المختار في ذلك اليوم اخبروني ما تريدون فاني صانع كلّ ما أحببتم قالوا فانّا نريد أن تعتزلنا فانك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يبعثك فأرسل اليهم المختار أن ابعثوا اليه من قِبَلكم وفدا وأبعث اليه من قِبَلي وفدا ثم انظروا في ذلك حتى تتبيّنوه وهو يريد أن يريثهم بهذه المقالة ليقدم عليه ابراهيم بن الاشتر وقد أمر أصحابه فكفوا أيديهم وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك فليس شيء يصل الى المختار ولا الى أصحابه من الماء الا القليل الوتح يجيئهم اذا غفلوا عنه قال وخرج عبد الله بن سَبيع في الميدان فقاتله شاكر قتالا شديدا فجاءه عُقبة بن طارق الجُشمي فقاتل معه ساعة حتى ردّ عاديتهم عنه ثم أقبلا على حاميتهما يسيران حتى نزل عقبة بن طارق مع قيس في

جبانة بنى سلول وجاء عبد الله بن سبيع حتى نزل مع أهل اليمن فى جبانة السبيع (قال أبو مخنف) حدثنى يونس بن أبى اسحاق ان شمر بن ذى الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم ان اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم والا فلا والله لا أقاتل فى مثل هذا المكان فى سكك ضيّقة ونقاتل من غير وجه فانصرف الى جماعة قومه في جبانة بنى سلول قال ولما خرج رسول المختار الى ابن الاشتر بلغه من يومه عشيةً فنادى في الناس أن ارجعوا الى الكوفة فسار بقية عشيته تلك ثم نزل حين أمسى فتعشّى أصحابه وأراحوا الدوابّ شيأ كلا شىء ثم نادى فى الناس فسار ليلته كلها ثم صلى الغداة بسُورا ثم سار من يومه فصلى العصر على باب الجسر من الغد ثم انه جاء حتى بات ليلته فى المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد حتى اذا كان صبيحة اليوم الثالث من مخرجهم على المختار خرج المختار الى المنبر فصعده (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو جناب الكلبى ان شبث بن ربعى بعث اليه ابنه عبد المؤمن فقال له انما نحن عشيرتك وكف يمينك لا والله لا نقاتلك فثق بذلك منا وكان رأيه قتاله ولكنه كاده ولما ان اجتمع أهل اليمن بجبانة السبيع حضرت الصلاة فكره كلُّ رأس من رؤس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف هذا أول الاختلاف قدّموا الرضى فيكم فان فى عشيرتكم سيّد قرّاء أهل المصر فليصل بكم رفاعةُ بن شداد الفتيانى من بجيلة ففعلوا فلم يزل يصلى بهم حتى كانت الوقعة (قال أبو مخنف) وحدثنى وازع بن السرى ان أنس بن عمرو الأزدى انطلق فدخل فى أهل اليمن وسمعهم وهم يقولون ان سار المختار الى اخواننا من مضر سرنا اليهم وان سار الينا ساروا الينا فسمعها منهم رجل وأقبل جوادا حتى صعد الى المختار على المنبر فأخبره بمقالتهم فقال اماهم فخلقاء لو سرتُ الى مضر أن يسيروا اليهم وأما أهل اليمن فأشهد لئن سرتُ اليهم لا تسير اليهم مضرُ فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه ثم ان المختار نزل فعبّى أصحابه فى السوق والسوق اذ ذاك ليس فيها هذا البناء فقال لابراهيم بن الاشتر الى أى الفريقين أحب اليك أن تسير فقال الى أى الفريقين أحببت فنظر المختار وكان ذا رأى فكره أن يسير الى قومه فلا يبالغ في قتالهم فقال سرْ الى مضر بالكناسة وعليهم شبث بن ربعى ومحمد بن عمير بن عطارد وأنا أسير الى أهل اليمن * قال ولم يزل المختار يُعرف بشدة النفس وقلة البُقيا على أهل اليمن وغيرهم اذا ظفر فسار ابراهيم بن الاشتر الى الكناسة وسار المختار الى جبانة السبيع فوقف المختار عند دار عمر بن سعد بن أبى وقاص وسرّح بين يديه أحمرَ بن شُميط البجلىّ ثم الاحمسى وسرّح عبد الله بن كامل الشاكرىّ وقال لابن شميط الزم هذه السكة حتى تخرج الى أهل جبانة السبيع من بين دور قومك وقال لعبد الله بن كامل الزم هذه السكة حتى تخرج على جبانة السبيع من دار آل الاخنَس بن شريق ودعاهما فأسرّ اليهما ان شباما قد بعثت تخبرنى انهم قد أتوا القوم من

ورائهم

ورائهم فضيا فسلكا الطريقين اللذين أمرهما بهما وبلغ أهل اليمن مسير هذين الرجلين اليهم
فاقتسموا تينك السكتين فأما السكة التي في دبر مسجد أحمس فانه وقف فيها عبد الرحمن بن
سعيد بن قيس الهمداني واسحاق بن الاشعث وزحر بن قيس وأما السكة التي تلي الفرات
فانه وقف فيها عبد الرحمن بن مخنف وبشير بن جرير بن عبد الله وكعب بن أبي كعب ثم ان
القوم اقتتلوا كاشد قتال اقتتله قوم ثم ان أصحاب أحمر بن شميط انكشفوا وأصحاب عبد الله
ابن كامل أيضا فلم يرع المختار الا وقد جاءه الفل قد أقبل فقال ماوراءكم قالوا هزمنا قال فما
فعل أحمر بن شميط قالوا تركناه قد نزل عند مسجد القصاص يعنون مسجد أبي داود في
وادعة وكان يعتاده رجال أهل ذلك الزمان يقصون فيه وقد نزل معه أناس من أصحابه وقال
أصحاب عبد الله ماندري مافعل ابن كامل فصاح بهم أن انصرفوا ثم أقبل بهم حتى انتهى الى
دار أبي عبد الله الجدلي وبعث عبد الله بن قراد الخثعمي وكان على أربعمائة رجل من أصحابه
فقال سر في أصحابك الى ابن كامل فان يك هلك فأنت مكانه فقاتل القوم بأصحابك وأصحابه
وان تجده حيا صالحا فسر في مائة من أصحابك كلهم فارس وادفع اليه بقية أصحابك ومرهم بالجد
معه والمناصحة له فانهم انما يناصحونني ومن ناصحني فليبشر ثم امض في المائة حتى تأتي أهل
جبانة السبيع مما يلي حمام قطن بن عبد الله فضى فوجد ابن كامل واقفا عند حمام عمرو بن
حريث معه أناس من أصحابه قد صبروا وهو يقاتل القوم فدفع اليه ثلثمائة من أصحابه ثم مضى
حتى نزل الى جبانة السبيع ثم أخذ في تلك السكك حتى انتهى الى مسجد عبد القيس فوقف
عنده وقال لاصحابه ماترون قالوا أمرنا لامرك تبع وكل من كان معه من حاشد من قومه
وهم مائة فقال لهم والله اني لأحب أن يظهر المختار ووالله اني لكاره أن يهلك أشراف
عشيرتي اليوم ووالله لأن أموت أحب الي من أن يحل بهم الهلاك على يدي ولكن قفوا
قليلا فاني قد سمعت شباما يزعمون انهم سيأتونهم من ورائهم فلعل شباما تكون هي تفعل ذلك
ونعافى نحن منه قال له أصحابه فرأيك فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس وبعث المختار مالك
ابن عمرو النهدي في مائتي رجل وكان من أشد الناس بأسا وبعث عبد الله بن شريك النهدي
في مائتي فارس الى أحمر بن شميط وثبت مكانه فانتهوا اليه وقد علاه القوم وكثروه فاقتتلوا عند
ذلك كاشد القتال ومضى ابن الاشتر حتى لقي شبث بن ربعي وأناسا معه من مضر كثيرا وفيهم
حسان بن فائد العبسي فقال لهم ابراهيم ويحكم انصرفوا فوالله ما أحب أن يصاب أحد من
مضر على يدي فلا تهلكوا أنفسكم فأبوا فقاتلوه فهزمهم واحتمل حسان بن فائد الى أهله
فمات حين أدخل اليهم وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق إفاقة فقال أما والله ما كنت
أحب أن أعيش من جراحتي هذه وما كنت أحب أن تكون منيتي الا بطعنة رمح أو
بضربة بالسيف فلم يتكلم بعدها كلمة حتى مات وجاءت البشرى الى المختار من قبل ابراهيم

بهزيمة مضر فبعث المختار البشرى من قبله الى أحمر بن شميط والى ابن كامل فالناس على
أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أغنت ما يليها قال فاجتمعت شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص
وقد أجمعوا واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض أما والله لو جعلتم
جدكم هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب فسيروا الى مضر أو الى ربيعة فقاتلوهم
وشيخهم أبو القلوص ساكت لا يتكلم فقالوا يا أبا القلوص ما رأيك فقال قال الله جل ثناؤه
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة قوموا فقاموا فمشى بهم قيس رمحين
أو ثلاثة ثم قال لهم اجلسوا فجلسوا ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيأ ثم قعد بهم ثم قال لهم
قوموا ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيأ ثم قعد بهم فقالوا له يا أبا القلوص والله انك عندنا
لأشجع العرب فما يحملك على الذى تصنع قال ان المجرب ليس كمن لم يجرب انى أردت أن
ترجع اليكم أفئدتكم وأن توطنوا على القتال أنفسكم وكرهت أن أقحمكم على القتال وأنتم
على حال دهش قالوا أنت أبصر بما صنعت فلما خرجوا الى جبانة السبيع استقبلهم على فم
السكة الاعسر الشاكرى فحمل عليه الجندعى وأبو الزبير بن كريب فصرعاه ودخلا الجبانة
ودخل الناس الجبانة فى آثارهم وهم ينادون يا لثارات الحسين فأجابهم أصحاب ابن شميط
يا لثارات الحسين فسمعها يزيد بن عمير بن ذى مران من همدان فقال يا لثارات عثمان فقال
لهم رفاعة بن شداد مالنا ولعثمان لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له أناس من قومه
جئت بنا وأطعناك حتى اذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت انصرفوا ودعوهم فعطف
عليهم وهو يقول

أنا ابن شداد على دين على * لست لعثمان بن أروى بولى
لأصلين اليوم فيمن يصطلى * بحر نار الحرب غير مؤتلى

فقاتل حتى قتل وقتل يزيد بن عمير بن ذى مران وقتل النعمان بن صهبان الجرمى ثم
الراسبى وكان ناسكا ورفاعة بن شداد بن عوسجة الفتيانى عند حمام المهبذان الذى بالسبخة
وكان ناسكا وقتل الفرات بن زحر بن قيس الجعفى وارتث زحر بن قيس وقتل عبد الرحمن
ابن سعيد بن قيس وقتل عمر بن مخنف وقاتل عبد الرحمن بن مخنف حتى ارتث وحملته الرجال
على أيديها وما يشعر وقاتل حوله رجال من الأزد فقال حميد بن مسلم

لأضربن عن أبى حكيم * مفارق الأعبد والصميم

وقال سراقة بن مرداس البارقى

يا نفس إلا تصبرى تليمى * لا تتولى عن أبى حكيم

واستخرج من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتى بهم المختار مكتفين فأخذ رجل من بنى
نهد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له عبد الله بن شريك لا يخلو بعربى الا خلى

سبيله فرفع ذلك الى المختار درهم مولى لبنى نهد فقال له المختار اعرضوهم علىّ وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى به فأخذوا لا يمرّ عليه برجل قد شهد قتل الحسين الا قيل له هذا ممن شهد قتله فيقدّمه فيضرب عنقه حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلا وأخذ أصحابه كلما رأوا رجلا قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضرّبهم خلوا به فقتلوه حتى قُتل ناس كثير منهم ومايشعر بهم المختار فأخبر بذلك المختار بعدُ فدعى بمن بقى من الأسارى فأعتقهم وأخذ عليهم المواثيق أن لا يجامعوا عليه عدوًّا ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة الا سُراقة بن مرداس البارقى فانه أمر به أن يساق معه الى المسجد قال ونادى منادى المختار انه من أغلق بابه فهو آمن الا رجلا شرك فى دم آل محمد صلى الله عليه وسلم (قال أبو مخنف) حدثنى المجالد بن سعيد عن عامر الشعبى ان يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجار بن أبجر بعثا رسلا لهما فقالا لهم كونوا من أهل اليمن قريبا فإن رأيتموهم قد ظهروا فأيكم سبق الينا فليقل صرفان وان كانوا هزموا فليقل جمزان فلما هزم أهل اليمن أتتهم رسلهم فقال لهم أول من انتهى اليهم جمزان فقام الرجلان فقالا لقومهما انصرفوا الى بيوتكم فانصرفوا وخرج عمرو بن الحجاج الزبيدى وكان ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته ثم ذهب عليها فأخذ طريق شراف وواقصة فلم ير حتى الساعة ولا يُدرَى أرض بخسته أم سماء حصبته وأما فرات بن زحر بن قيس فانه لما قتل بعثت عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية وكانت امرأة الحسين بن علىّ الى المختار تسأله ان يأذن لها ان توارى جسده ففعل فدفنته وبعث المختار غلاما له يدعى زرْبيا فى طلب شمر ابن ذى الجوشن (قال أبو مخنف) فحدثنى يونس بن أبى اسحاق عن مسلم بن عبد الله الضبابى قال تبعنا زرْبىّ غلام المختار فلحقنا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضمَّر فأقبل يتمطر به فرسه فلما دنا منا قال لنا شمر اركضوا وتباعدوا عنى لعل العبد يطمع فى قال فركضنا فأمعنا وطمع العبد فى شمر وأخذ شمر مايستطرد له حتى اذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمر فدق ظهره وأتى المختار فأخبر بذلك فقال بؤسا لزربىّ أما لو يستشيرنى ما أمرته ان يخرج لأبى السابغة (قال أبو مخنف) حدثنى أبو محمد الهمدانى عن مسلم بن عبد الله الضبابىّ قال لما خرج شمر بن ذى الجوشن وأنا معه حين هزمنا المختار وقتل أهل اليمن بجبانة السبيع ووجه غلامه زربيا فى طلب شمر وكان من قتل شمر اياه ما كان مضى شمر حتى ينزل ساتيدَما ثم مضى حتى ينزل الى جانب قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر الى جانب تلّ ثم ارسل الى تلك القرية فأخذ منها علجا فضربه ثم قال النجاء بكتابى هذا الى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه للأمير المصعب بن الزبير من شمر بن ذى الجوشن قال فمضى العلج حتى يدخل قرية فيها بيوت وفيها أبو عمرة وقد كان المختار بعثه فى تلك الأيام الى

تلك القرية ليكون مسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة فلقى ذلك العلج علجا من تلك القرية فأقبل يشكو اليه مالقى من شمر فانه لقائم معه يكلمه اذ مر به رجل من أصحاب أبي عمرة فرأى الكتاب مع العلج وعنوانه لمصعب من شمر فسألوا العلج عن مكانه الذى هو به فأخبرهم فإذا ليس بينهم وبينه الا ثلاثة فراسخ قال فأقبلوا يسيرون اليه (قال أبو مخنف) فحدثنى مسلم ابن عبد الله قال وأنا والله مع شمر تلك الليلة فقلنا له لو انك ارتحلت بنا من هذا المكان فإنا نتخوف به فقال أوكل هذا فرقا من الكذاب والله لا أتحول منه ثلاثة أيام ملأ الله قلوبكم رعبا قال وكان بذلك المكان الذى كنا فيه دبى كثير فوالله إنى لبين اليقظان والنائم اذ سمعت وقع حوافر الخيل فقلت في نفسى هذا صوت الدبى ثم انى سمعته أشد من ذلك فانتبهت ومسحت عينى وقلت لا والله ماهذا بالدبى قال وذهبت لأقوم فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التل فكبروا ثم أحاطوا بأبياتنا وخرجنا نشتد على أرجلنا وتركنا خيلنا قال فأمر على شمر وانه لمتزر ببرد محقق وكان أبرص فكأنى أنظر الى بياض كشحيه من فوق البرد فانه ليطاعنهم بالرمح قد أعجلوه ان يلبس سلاحه وثيابه فمضينا وتركناه قال فما هو الا ان امعنت ساعة اذ سمعت الله أكبر قتل الله الخبيث (قال أبو مخنف) حدثنى المشرقى عن عبد الرحمن بن عبيد أبى الكنود قال أنا والله صاحب الكتاب الذى رأيته مع العلج وأتيت به أبا عمرة وأنا قتلت شمرا قال قلت هل سمعته يقول شيأ ليلتئذ قال نعم خرج علينا فطاعننا برمحه ساعة ثم ألقى رمحه ثم دخل بيته فاخذ سيفه ثم خرج علينا وهو يقول

نَبَّهْتُمُ لَيْثَ عَرِينٍ بَاسِلاَ * جَهْماً مُحَيَّاه يَدُقُّ الكَاهِلاَ
لَمْ يُرَ يَوْماً عَنْ عَدُوٍّ نَاكِلاَ * الا كذا مُقَاتِلاً أو قاتِلاَ
يُبْرِحُهُمْ ضَرْباً ويُرْوِى العَامِلاَ

(قال أبو مخنف) عن يونس بن أبى اسحاق ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل الى القصر أخذ سراقة بن مرداس يناديه بأعلى صوته

أَمْنُنْ عَلَىَّ اليَوْمَ يَا خَيْرَ مَعَدْ * وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشِحْرٍ والجَنَدْ
وَخَيْرَ مَنْ حَيَّ وَلَبَّى وَسَجَدْ

فبعث به المختار الى السجن فحبسه ليلة ثم أرسل اليه من الغد فأخرجه فدعا سراقة فأقبل الى المختار وهو يقول

ألا أبلغْ أبا اسْحاقَ أنّا * نَزَوْنا نَزْوَةً كانت علينا
خَرَجْنا لا نرَى الضعفاءَ شيأً * وكان خروجنا بطَرًا وحَيْنًا
نراهُمْ فى مصافِّهِمِ قليلاً * وهم مثلُ الدَّبَى حينَ التَقَيْنا

برزنا اذ رأيناهم فلما * رأينا القوم قد برزوا الينا
لقينا منهم ضربا طلحفا * وطعنا صائبا حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم * بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر * ويوم الشعب اذ لاقى حنينا
فأسجح اذ ملكت فلو ملكنا * لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فاني * سأشكر ان جعلت النقد دينا

فلما انتهى الى المختار قال له أصلحك الله أيها الأمير سراقة بن مرداس يحلف بالله الذى لا اله الا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والارض فقال له المختار فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به المختار فقال انى قد علمت انك لم تر الملائكة وانما أردت ما قد عرفت ان لا أقتلك فاذهب عنى حيث أحببت لا تفسد على أصحابى (قال أبو مخنف) فحدثنى الحجاج بن على البارقى عن سراقة بن مرداس قال ما كنت في أيمان حلفت بها قط أشد اجتهادا ولا مبالغة في الكذب منى في أيمانى هذه التى حلفت لهم بها انى قد رأيت الملائكة معهم تقاتل فخلوا سبيله فهرب فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة وخرج أشراف أهل الكوفة والوجوه فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وخرج سراقة بن مرداس من الكوفة وهو يقول

ألا أبلغ أبا اسحاق أنى * رأيت البلق دهما مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * على قتالكم حتى الممات
أرى عينى ما لم تبصراه * كلانا عالم بالترهات
اذا قالوا أقول لهم كذبتم * وان خرجوا لبست لهم أداتى

**حدثنى** أبو السائب سلم بن جنادة قال حدثنا محمد بن براد من ولد أبى موسى الأشعرى عن شيخ قال لما أسر سراقة البارقى قال وأنتم أسرتمونى ما أسرنى الا قوم على دواب بلق عليهم ثياب بيض قال فقال المختار أولئك الملائكة فأطلقه فقال

ألا أبلغ أبا اسحاق أنى * رأيت البلق دهما مصمتات
أرى عينى ما لم ترأياه * كلانا عالم بالترهات

(قال أبو مخنف) حدثنى عمير بن زياد ان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى قال يوم جبانة السبيع ويحكم من هؤلاء الذين أتونا من ورائنا قيل له شبام فقال يا عجبا يقاتلنى بقومى من لا قوم له (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو روق ان شرحبيل بن ذى بقلان من الناعطيين قتل يومئذ وكان من بيوتات همدان فقال يومئذ قبل ان يقتل يالها قتلة ما أضل مقتولها

قتال مع غير امام وقتال على غير نية وتعجيل فراق الأحبة ولو قتلناهم اذاً لم نسلم منهم إنَّا لله وإنا إليه راجعون أما والله ماخرجت الامؤاسيا القومي بنفسي مخافة ان يضطهدوا وايم الله مانجوت من ذلك ولا أنجوا ولا أغنيت عنهم ولا أغنوا قال ويرميه رجل من الفائشيين من همدان يقال له أحمر بن هديج بسهم فيقتله قال واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفر ثلاثة سعر بن أبي سعر الحنفي وأبو الزبير الشبامي ورجل آخر فقال سعر طعنته طعنة وقال أبو الزبير لكن ضربته أنا عشر ضربات أو أكثر وقال لي ابنه يا أبا الزبير أتقتل عبد الرحمن بن سعيد سيد قومك فقلت لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بالله واليَومِ الآخرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أو أَبناءَهُم أو إخوانَهُمْ أو عَشِيرَتَهُمْ فقال المختار كلكم محسن وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من قومه (قال أبو مخنف) حدثني النضر بن صالح ان القتل اذ ذاك كان استحر في أهل اليمن وان مضر أصيب منهم بالكناسة بضعة عشر رجلا ثم مضوا حتى مروا بربيعة فرجع حجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشداد بن المنذر أخو حصين وعكرمة بن ربعي فانصرف جميع هؤلاء الى رحالهم وعطف عليهم عكرمة فقاتلهم قتالا شديدا ثم انصرف عنهم وقد خرج فجاء حتى دخل منزله فقيل له قد مرت خيل في ناحية الحي فخرج فأراد ان يثب من حائط داره الى دار اخرى الى جانبه فلم يستطع حتى حمله غلام له وكانت وقعة جبانة السبيع يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذي الحجة سنة ٦٦ قال وخرج اشراف الناس فلحقوا بالبصرة وتجرد المختار لقتلة الحسين فقال مامن ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين بئس ناصر آل محمد انا اذاً في الدنيا انا اذاً الكذاب كما سموني فإني بالله أستعين عليهم الحمد لله الذي جعلني سيفا ضربهم به ورمحا طعنهم به وطالب وترهم والقائم بحقهم انه كان حقا على الله ان يقتل من قتلهم وان يذل من جهل حقهم فسموهم لي ثم اتبعوهم حتى تفنوهم (قال أبو مخنف) فحدثني موسى بن عامر ان المختار قال لهم اطلبوا الى قتلة الحسين فإنه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتى أطهر الأرض منهم وأنقي المصر منهم (قال أبو مخنف) وحدثني مالك بن أعين الجهني ان عبد الله بن دباس وهو الذي قتل محمد بن عمار بن ياسر الذي قال الشاعر

قَتِيلُ ابنِ دَبَّاسٍ أصابَ قَذَالَهُ

هو الذي دل المختار على نفر ممن قتل الحسين منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهني من حرقة ومالك بن النسير البدّي وحمل بن مالك المحاربي فبعث اليهم المختار أبا نمر مالك بن عمرو النهدي وكان من رؤساء أصحاب المختار فأتاهم وهم بالقادسية فأخذهم فأقبل بهم حتى أدخلهم عليه عشاء فقال لهم المختار يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله أين الحسين ابن علي أدّوا الى الحسين قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة فقالوا رحمك الله بعثنا ونحن

كارهون فامنن علينا واستبقنا قال المختار فهلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه ثم قال المختار للبدى أنت صاحب برنسه فقال له عبد الله بن كامل نعم هو هو فقال المختار اقطعوا يدى هذا ورجليه ودعوه فليضطرب حتى يموت ففعل ذلك به وترك فلم يزل ينزف الدم حتى مات وأمر بالآخرين فقدما فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهنى وقتل سعر بن أبى سعر حمل بن مالك المحاربى (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو الصلت التيمى قال حدثنى أبو سعيد الصيقل ان المختار دل على رجال من قتلة الحسين دله عليهم سعر الحنفى قال فبعث المختار عبد الله بن كامل فخرجنا معه حتى مر ببنى ضبيعة فأخذ منهم رجلا يقال له زياد ابن مالك قال ثم مضى الى عنزة فأخذ منهم رجلا يقال له عمران بن خالد قال ثم بعثنى فى رجال معه يقال لهم الدبابة الى دار فى الحمراء فيها عبد الرحمن بن أبى خشكارة البجلى وعبد الله بن قيس الخولانى فجئنا بهم حتى أدخلناهم عليه فقال لهم يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم لقد جاءكم الورس بيوم نحس وكانوا قد أصابوا من الورس الذى كان مع الحسين أخرجوهم الى السوق فضربوا رقابهم ففعل ذلك بهم فهؤلاء أربعة نفر (قال أبو مخنف) وحدثنى سليمان بن أبى راشد عن حميد بن مسلم قال جاءنا السائب بن مالك الأشعرى في خيل المختار فخرجت نحو عبد القيس وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخب فى أثرى وشغلوا بالاحتباس عليهما عنى فنجوت وأخذوهما ثم مضوا بهما حتى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عم أعشى همدان من بنى عبد فأخذوه فانتهوا بهم الى المختار فأمر بهم فقتلوا في السوق فهؤلاء ثلاثة فقال حميد بن مسلم فى ذلك حيث نجا منهم

ألم ترنى على دهش * نجوت ولم أكد أنجو
رجاء الله أنقذنى * ولم أك غيره أرجو

(قال أبو مخنف) حدثنى موسى بن عامر العدوى من جهينة وقد عرف ذلك الحديث شهم ابن عبد الرحمن الجهنى قال بعث المختار عبد الله بن كامل الى عثمان بن خالد بن أسير الدهمانى من جهينة والى أبى أسماء بشر بن سوط القابضى وكانا ممن شهد قتل الحسين وكانا اشتركا فى دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب وفى سلبه فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بنى دهمان ثم قال علىّ مثل خطايا بنى دهمان منذ يوم خلقوا الى يوم يبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد بن أسير إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم فقلنا له أمهلنا نطلبه فخرجوا مع الخيل فى طلبه فوجدوهما جالسين في الجبانة وكانا يريدان ان يخرجا الى الجزيرة فأتى بهما عبد الله بن كامل فقال الحمد لله الذى كفى المؤمنين القتال لو لم يجدوا هذا مع هذا عنانا الى منزله في طلبه فالحمد لله الذى حينك حتى أمكن منك فخرج بهما حتى اذا كان في موضع بئر الجعد ضرب أعناقهما ثم رجع فأخبر المختار خبرهما فأمره ان يرجع اليهما

فحرقهما بالنار وقال لا يدفنان حتى يحرقا فهذان رجلان فقال أعشى همدان يرثى عثمان الجهنى

ياعين بكّى فتى الفتيان عثمانا * لا يبعدنّ الفتى من آل دهمانا
واذكر فتى ماجداً حلواً شمائله * ما مثله فارس في آل همدانا

قال موسى بن عامر وبعث معاذ بن هانىء بن عدى الكندى ابن أخى حجر وبعث أبا عمرة صاحب حرسه فساروا حتى أحاطوا بدار خولىّ بن يزيد الأصبحى وهو صاحب رأس الحسين الذى جاء به فاختبى في مخرجه فأمر معاذ أبا عمرة ان يطلبه في الدار فخرجت امرأته اليهم فقالوا لها أين زوجك فقالت لا أدرى أين هو وأشارت بيدها الى المخرج فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرّة فأخرجوه وكان المختار يسير بالكوفة ثم انه أقبل فى أثر أصحابه وقد بعث أبو عمرة اليه رسولا فاستقبل المختار الرسول عند دار أبى بلال ومعه ابن كامل فاخبره الخبر فأقبل المختار نحوهم فاستقبل به فردّده حتى قتله الى جانب أهله ثم دعا بنار فحرّقه ثم لم يبرح حتى عاد رمادا ثم انصرف عنه وكانت امرأته من حضرموت يقال لها العيوف بنت مالك بن نهار بن عقرب وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين (قال أبو مخنف) وحدثنى موسى بن عامر أبو الاشعر ان المختار قال ذات يوم وهو يحدث جلساءه لأقتلنّ غدا رجلا عظيم القدمين غائر العينين مشرف الحاجبين يسرّ مقتله المؤمنين والملائكة المقربين قال وكان الهيثم بن الاسود النخعى عند المختار حين سمع هذه المقالة فوقع فى نفسه ان الذى يريد عمر بن سعد بن أبى وقاص فلما رجع الى منزله دعا ابنه العريان فقال الق ابن سعد الليلة فخبّره بكذا وكذا وقل له خذ حذرك فانه لا يريد غيرك قال فأتاه فاستخلاه ثم حدثه الحديث فقال له عمر بن سعد جزى الله أباك والإخاء خيرا كيف يريد هذا بى بعد الذى أعطانى من العهود والمواثيق وكان المختار أول ما ظهر أحسن شىء سيرةً وتألفا للناس وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقرابته بعلىّ فكلم عمر بن سعد عبد الله بن جعدة وقال له انى لا آمن هذا الرجل يعنى المختار فخذ لى منه أمانا ففعل قال فأنا رأيت أمانه وقرأته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمان من المختار بن أبى عبيد لعمر بن سعد بن أبى وقاص انك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك لا تؤاخذ بحدث كان منك قديما ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرك فمن لقى عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ومن غيرهم من الناس فلا يعرض له الا بخير شهد السائب بن مالك وأحمر بن شميط وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليفينّ لعمر بن سعد بما أعطاه من الامان الا أن يحدث حدثا وأشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيدا قال فكان أبو جعفر محمد بن علىّ

يقول أما أمان المختار لعمر بن سعد الا أن يحدث حدثاً فانه كان يريد به اذا دخل الخلاء فأحدث قال فلما جاءه العُريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمّامه ثم قال فى نفسه أنزل دارى فرجع فعبر الرَّوْحاء ثم أتى داره غدوةً وقد أتى حمّامه فأخبر مولى له بما كان من أمانه وبما أريد به فقال له مولاه وأى حدث أعظم مما صنعت انك تركت رحلك وأهلك وأقبلت الى ههنا ارجع الى رحلك لا تجعلنّ للرجل عليك سبيلا فرجع الى منزله وأتى المختار بانطلاقه فقال كلا انّ في عنقه سلسلةً تردّه لو جهد أن ينطلق ما استطاع قال وأصبح المختار فبعث اليه أبا عمرة وأمره أن يأتيه به فجاءه حتى دخل عليه فقال أجب الامير فقام عمر فعثر فى جبّة له ويضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وجاء برأسه فى أسفل قبائه حتى وضعه بين يدى المختار فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده أتعرف هذا الرأس فاسترجع وقال نعم ولا خير فى العيش بعده قال له المختار صدقت فانك لا تعيش بعده فأمر به فقتل واذا رأسه مع رأس أبيه ثم ان المختار قال هذا بحسين وهذا بعلىّ ابن حسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملةً من أنامله فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تبكى أباها

لو كان غيرُ أخى قسىّ غرَّهُ * أو غيرُ ذى يَمَنٍ وغيرُ الاعجَمِ
سَخّى بنفسى ذاك شيأً فاعلَموا * عنه وما البَطْرِيقُ مثلُ الألأمِ
أعطى ابن سعدٍ فى الصَّحيفة وابنَهُ * عهداً يلينُ له جَناحُ الارقمِ

فلما قتل المختار عمر بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد بن نمران الناعطى وظَبْيان بن عمارة التميمى حتى قدما بهما على محمد بن الحنفية وكتب الى ابن الحنفية فى ذلك بكتاب (قال أبو مخنف) وحدثنى موسى بن عامر قال انما كان هيج المختار على قتل عمر بن سعد ان يزيد بن شراحيل الانصارى أتى محمد بن الحنفية فسلم عليه فجرى الحديث الى أن تذاكروا المختار وخروجه وما يدعو اليه من الطلب بدماء أهل البيت فقال محمد بن الحنفية على أهون رسله يزعم انه لنا شيعة وقتلة الحسين جلساؤه على الكراسى يحدثونه قال فوعاها الآخر منه فلما قدم الكوفة أتاه فسلم عليه فسأله المختار هل لقيت المهدىّ فقال له نعم فقال ما قال لك وماذا كرك قال فخبّره الخبر قال فما لبّث المختار عمر بن سعد وابنه ان قتلهما ثم بعث برؤسهما الى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سمّينا وكتب معهما الى ابن الحنفية بسم الله الرحمن الرحيم للمهدى محمد بن علىّ من المختار بن أبى عبيد سلام عليك يا أيها المهدى فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فان الله بعثنى نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد فالحمد لله الذى قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم وقد بعثت اليك برأس عمر بن سعد وابنه وقد قتلنا من شرك فى دم الحسين وأهل بيته رحمة الله

عليهم كل من قدرنا عليه ولن يعجز الله من بقي ولست بمُنْجم عنهم حتى لا يبلغني ان على أديم الارض منهم ارميا فاكتب الىّ أيها المهدى برأيك اتبعه وأكون عليه والسلام عليك أيها المهدى ورحمة الله وبركاته ثم ان المختار بعث عبد الله بن كامل الى حكيم بن طفيل الطائى السِنْبسى وقد كان أصاب سلب العباس بن علىّ ورمى حسينا بسهم فكان يقول تعلق سهمى بسرباله وماضره فأتاه عبد الله بن كامل فأخذه ثم أقبل به وذهب أهله فاستغاثوا بعدىّ بن حاتم فلحقهم في الطريق فكلم عبد الله بن كامل فيه فقال مالىّ من أمره شىء انما ذلك الى الامير المختار قال فانى آتيه قال فأته راشدا فمضى عدى نحو المختار وكان للمختار قد شفعه فى نفر من قومه أصابهم يوم جبّانة السبيع لم يكونوا نطقوا بشىء من أمر الحسين ولا أهل بيته فقالت الشيعة لابن كامل انّا نخاف أن يشفع الامير عدىّ بن حاتم فى هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله قال شأنكم به فلما انتهوا به الى دار العنزيّين وهو مكتوف نصبوه غرضا ثم قالوا له سلبت ابن علىّ ثيابه والله لنسلبنّ ثيابك وأنت حىّ تنظر فنزعوا ثيابه ثم قالوا له رميت حسينا واتخذته غرضا النبلك وقلت تعلق سهمى بسرباله ولم يضره وايم الله لنرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاك قال فرموه رشقا واحدا فوقعت به منهم نبال كثيرة فخر ميتا ( قال أبو مخنف ) فحدثنى أبو الجارود عمن رآه قتيلا كانه قنفذ لما فيه من كثرة النبل ودخل عدى بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه فأخبره عدىّ عما جاءله فقال له المختار أتستحلّ يا أبا طريف أن تطلب في قتلة الحسين قال انه مكذوب عليه أصلحك الله قال اذاً ندعه لك قال فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار ما فعل الرجل قال قتلته الشيعةُ قال وما أعجلك الى قتله قبل أن تأتينى به وهو لا يسرّه انه لم يقتله وهذا عدىّ قد جاء فيه وهو أهل أن يُشفَّع ويؤتى ما سرّه قال غلبتنى والله الشيعة قال له عدىّ كذبت يا عدوّ الله ولكن ظننت ان من هو خير منك سيشفعنى فيه فبادرتنى فقتلته ولم يكن خطر يدفعك عما صنعت قال فاسحنفر اليه ابن كامل بالشتيمة فوضع المختار أصبعه على فيه يأمر ابن كامل بالسكوت والكف عن عدىّ فقام عدىّ راضيا عن المختار ساخطا على ابن كامل يشكوه عند من لقى من قومه وبعث المختار الى قاتل علىّ بن الحسين عبد الله بن كامل وهو رجل من عبد القيس يقال له مُرَّة بن مُنْقذ بن النعمان العبدى وكان شجاعا فأتاه ابن كامل فأحاط بداره فخرج اليهم وبيده الرمح وهو على فرس جواد فطعن عبيد الله بن ناجية الشبامىّ فصرعه ولم يضره قال ويضربه ابن كامل بالسيف فيتقيه بيده اليسرى فأسرع فيها السيف وتمطرت به الفرس فأفلت ولحق بمصعب وشُلت يده بعد ذلك قال وبعث المختار أيضا عبد الله الشاكرى الى رجل من جنب يقال له زيدُ بن رُقَاد كان يقول لقد رميت فتى منهم بسهم وانه لواضع كفه على

جبهته يتقي النبل فأثبت كفه في جبهته فما استطاع أن يزيل كفه عن جبهته (قال أبو مخنف) فحدثني أبو عبد الاعلى الزبيدي ان ذلك الفتى عبد الله بن مسلم بن عقيل وانه قال حيث أثبت كفه في جبهته اللهم انهم استقلونا واستذلونا اللهم فاقتلهم كما قتلونا وأذلهم كما استذلونا ثم انه رمى الغلام بسهم آخر فقتله فكان يقول جئته ميتا فنزعت سهمي الذي قتلته به من جوفه فلم أزل أنضنض السهم من جبهته حتى نزعته وبقي النصل في جبهته مثبتا ما قدرت على نزعه قال فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها واقتحم الرجال عليه فخرج مصلتا بسيفه وكان شجاعا فقال ابن كامل لا تضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن ارموه بالنبل وارجموه بالحجارة ففعلوا ذلك به فسقط فقال ابن كامل ان كان به رمق فأخرجوه فأخرجوه وبه رمق فدعا بنار فحرقه بها وهو حي لم تخرج روحه وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعى قتل الحسين فوجده قد هرب الى البصرة فهدم داره وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنوى فوجده قد هرب ولحق بالجزيرة فهدم داره وكان ذلك الغنوى قد قتل منهم غلاما وقتل رجل آخر من بني أسد يقال له حرملة بن كاهل رجلا من آل الحسين ففيهما يقول ابن أبي عقب الليثي

وعندَ غنيٍّ قطرةٌ من دمائنا * وفي أسدٍ أخرى تُعدُّ وتُذكرُ

وطلب رجلا من خثعم يقال له عبد الله بن عروة الخثعمي كان يقول رميت فيهم باثني عشر سهما ضيَعَةً ففاته ولحق بمصعب فهدم داره وطلب رجلا من صُداء يقال له عمرو بن صبيح وكان يقول لقد طعنت بعضهم وجرحت فيهم وما قتلت منهم أحدا فأتى ليلا وهو على سطحه وهو لا يشعر بعدما هدأت العيون وسيفه تحت رأسه فأخذوه أخذا وأخذوا سيفه فقال قبحك الله سيفا ما أقربك وأبعدك فجيء به الى المختار فحبسه معه في القصر فلما ان أصبح أذن لاصحابه وقيل ليدخل من شاء أن يدخل ودخل الناس وجيء به مقيدا فقال أما والله يا معشر الكفرة الفجرة ان لو بيدي سيفي لعلمتم أني بنصل السيف غير رَعِش ولا رعديد ما يسرني اذ كانت منيتي قتلا انه قتلني من الخلق أحد غيركم لقد علمت انكم شرار خلق الله غير اني وددت ان بيدي سيفا أضرب به فيكم ساعة ثم رفع يده فلطم عين ابن كامل وهو الى جنبه فضحك ابن كامل ثم أخذ بيده وأمسكها ثم قال انه يزعم أنه قد جرح في آل محمد وطعن فمُرنا بأمرك فيه فقال المختار عليَّ بالرماح فأتى بها فقال اطعنوه حتى يموت فطعن بالرماح حتى مات (قال أبو مخنف) حدثني هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام ان أصحاب المختار مرّوا بدار بني أبي زُرعة بن مسعود فرموهم من فوقها فأقبلوا حتى دخلوا الدار فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبي زرعة الثقفي وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زرعة الثقفي وأفلتهم عبد الملك بن أبي زرعة بضربة في رأسه فجاء يشتد حتى دخل على المختار فأمر امرأته أم ثابت ابنة سَمُرة بن جندب فداوت شجته ثم دعاه فقال لا ذنب لي انكم رميتم القوم

فاغضبتموهم وكان محمد بن الاشعث بن قيس فى قرية الاشعث الى جنب القادسية فبعث المختار اليه حوشبا سادن الكرسى فى مائة فقال انطلق اليه فانك تجده لاهيا متصيّدًا أوقائمًا متلبّدًا أوخائفا متلدّدا أوكامنا متغمّدًا فان قدرت عليه فأتنى برأسه فخرج حتى أتى قصره فأحاط به وخرج منه محمد بن الاشعث فلحق بمصعب وأقاموا على القصر وهم يرون انه فيه ثم انهم دخلوا فعلموا انه قد فاتهم فانصرفوا الى المختار فبعث الى داره فهدمها وبنى بلبنها وطينها دار حُجر بن عدى الكندى وكان زياد بن سُميّة قد هدمها ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة دعى المثنى بن مخرّبة العبدى الى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ❁ فحدثنى أحمد بن زهير عن علىّ بن محمد عن عبد الله بن عطية الليثى وعامر بن الاسود ان المثنى بن مخرّبة العبدىّ كان ممن شهد عين الوردة مع سليمان بن صرد ثم رجع مع مَن رجع ممن بقى من التوابين الى الكوفة والمختار محبوس فأقام حتى خرج المختار من السجن فبايعه المثنى سرًّا وقال له المختار الحق ببلدك بالبصرة فادع الناس وأسرّ أمرك فقدم البصرة فدعا فأجابه رجال من قومه وغيرهم فلمّا أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة ومنع عمر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام من الكوفة خرج المثنى بن مخربة فاتخذ مسجدا واجتمع اليه قومه ودعا الى المختار ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها وجمعوا الطعام فى المدينة ونحروا الجزر فوجه اليهم القُباع عبّاد بن حصين وهو على شرطته وقيس بن الهيثم فى الشرط والمقاتلة فأخذوا فى سكة الموالى حتى خرجوا الى السبخة فوقفوا ولزم الناس دورهم فلم يخرج أحد فجعل عبّاد ينظر هل يرى أحدا يسأله فلم ير أحدا فقال أما ههنا رجل من بنى تميم فقال خليفة الأعور مولى بنى عدى عدىّ الرباب هذه دار ورّاد مولى بنى عبد شمس قال دُقّ الباب فدقه فخرج اليه وراد فشتمه عباد وقال ويحك أنا واقف ههنا لم تخرج الىّ قال لم أدر ما يوافقك قال شدّ عليك سلاحك واركب ففعل ووقفوا وأقبل أصحاب المثنى فواقفوهم فقال عباد لورّاد قف مكانك مع قيس فوقف قيس بن الهيثم وورّاد ورجع عباد فأخذ فى طريق الذباحين والناس وقوف فى السبخة حتى أتى الكلاء ولمدينة الرزق أربعة أبواب باب مما يلى البصرة وباب الى الخلالين وباب الى المسجد وباب الى مهبّ الشمال فأتى الباب الذى يلى النهر مما يلى أصحاب السَّقط وهو باب صغير فوقف ودعا بسلم فوضعه مع حائط المدينة فصعد ثلاثون رجلا وقال لهم الزموا السطح فإذا سمعتم التكبير فكبروا على السطوح ورجع عباد الى قيس بن الهيثم وقال لوراد حرّش القوم فطاردَهم ورّاد ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلا من أصحاب المثنى وقتل رجل من أصحاب عباد وسمع الذين على السطوح فى دار الرزق الضجة والتكبير فكبروا فهرب من كان فى المدينة وسمع المثنى وأصحابه التكبير من ورائهم فانهزموا وأمر عباد وقيس بن الهيثم الناس بالكف عن اتباعهم وأخذوا

مدينة الرزق وما كان فيها وأتى المثنى وأصحابه عبد القيس ورجع عباد وقيس ومن معهم الى القباع فوجههما الى عبد القيس فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر وأتاهم عباد من طريق المربد فالتقوا فأقبل زياد بن عمرو العتكى الى القباع وهو فى المسجد جالس على المنبر فدخل زياد المسجد على فرسه فقال أيها الرجل لتردّن خيلك عن اخواننا أو لنقاتلنها فأرسل القباع الأحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومى ليصلحا أمر الناس فأتيا عبد القيس فقال الأحنف لبكر والأزد وللعامة ألستم على بيعة ابن الزبير قالوا بلى ولكنا لا نسلم اخواننا قال فروهم فليخرجوا الى أىّ بلاد أحبوا ولا يفسدوا هذا المصر على أهله وهم آمنون فليخرجوا حيث شاؤا فمشى مالك بن مسمع وزياد بن عمرو ووجوه أصحابهم الى المثنى فقالوا له ولأصحابه انا والله ما نحن على رأيكم ولكنا كرهنا أن تضاموا فالحقوا بصاحبكم فان من أجابكم الى رأيكم قليل وأنتم آمنون فقبل المثنى قولهما وما أشارا به وانصرف ورجع الأحنف وقال ما غبنت رأيى الا يومى هذا انى أتيت هؤلاء القوم وخلفت بكرا والأزد ورائى ورجع عباد وقيس الى القباع وشخص المثنى الى المختار بالكوفة فى نفر يسير من أصحابه وأصيب فى تلك الحرب سويد بن رئاب الشنّى وعقبة بن عشيرة الشنى قتله رجل من بنى تميم وقتل التميمىّ فولغ أخوه عقبة بن عشيرة فى دم التميمىّ وقال ثارى وأخبر المثنى المختار حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع وزياد بن عمرو ومسيرهما اليه وذبّهما عنه حتى شخص عن البصرة فطمع المختار فيهما فكتب اليهما أما بعد فاسمعا وأطيعا أوتكما من الدنيا ما شئتما وأضمن لكما الجنة فقال مالك لزياد يا أبا المغيرة قد أكثر لنا أبو اسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة فقال زياد مازحا لمالك يا أبا غسان أما أنا فلا أقاتل نسيئة من أعطانا الدراهم قاتلنا معه وكتب المختار الى الأحنف بن قيس من المختار الى الأحنف ومن قبله فسلم أنتم أما بعد فويل امّ ربيعة من مضر فإن الأحنف مورد قومه سقر حيث لا يستطيع لهم الصدر وانى لا أملك ما خطّ فى القدر وقد بلغنى انكم تسموننى كذابا وقد كذّب الأنبياء من قبلى ولست بخير من كثير منهم وكتب الى الأحنف

اذا اشتريت فرسا من مالكا * ثم أخذت الجوب فى شمالكا
فاجعل مصاعا حذما من بالكا

حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال حدثنا الحسن بن حماد عن حيان بن علىّ عن المجالد عن الشعبىّ قال دخلت البصرة فقعدت الى حلقة فيها الأحنف بن قيس فقال لى بعض القوم من أنت قلت رجل من أهل الكوفة قال أنتم موال لنا قلت وكيف قال قد أنقذناكم من أيدى عبيدكم من أصحاب المختار قلت تدرى ما قال شيخ همدان فينا وفيكم فقال الأحنف بن قيس وما قال قلت قال

أفخرتم إن قتلتم أعبدا * وهزمتم مرة آل عزل
واذا فاخرتمونا فاذكروا * ما فعلنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عثنونه * وفتى أبيض وضاح رفل
جاءنا يهدج فى سابغة * فذبحناه ضحى ذبح الحمل
وعفونا فنسيتم عفونا * وكفرتم نعمة الله الأجل
وقتلتم خشبيين بهم * بدلاً من قومكم شر بدل

فغضب الأحنف فقال ياغلام هات تلك الصحيفة فأتى بصحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد الى الأحنف بن قيس أما بعد فويل أم ربيعة ومضر فإن الأحنف مورد قومه سقر حيث لا يقدرون على الصدر وقد بلغنى انكم تكذبونى وان كذبت فقد كذب رسل من قبلى ولست أنا خيرا منهم فقال هذا منا أو منكم ( وقال هشام ) بن محمد عن أبي مخنف قال حدثنى منيع بن العلاء السعدى ان مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس كان فيمن قاتل المختار فلما هزم الناس لحق بآذربيجان بمحمد ابن عمير بن عطارد وقال

عجبت دختنوس لما رأتنى * قد علانى من المشيب خمار
فأهلت بصوتها وأرنت * لا تهالى قد شاب منى العذار
إن ترينى قد بان غرب شبابى * وأتى دون مولدى أعصار
فابن عامين وابن خمسين عاما * أى دهر إلا له أدهار
ليت سيفى لها وجوبتها لى * يوم قالت الا دريم يغار
ليتنا قبل ذلك اليوم متنا * أو فعلنا ما تفعل الأحرار
فعل قوم تقاذف الخير عنهم * لم نقاتل وقاتل العيزار
وتوليت عنهم وأصيبوا * ونفانى عنهم شنار وعار
لهف نفسى على شهاب قريش * يوم يؤتى برأسه المختار

وقال المتوكل

قتلوا حسينا ثم هم ينعونه * إن الزمان بأهله أطوار
لا تبعدن بالطف قتلى ضيعت * وسقى مساكن هامها الامطار
ما شرطة الدجال تحت لوائه * بأضل ممن غره المختار
أبنى قسى أوثقوا دجالكم * يجلى الغبار وأنتم أحرار
لو كان علم الغيب عند أخيكم * لتوطأت لكم به الأحبار

ولكان أمراً بيّننا فيما مضى * تأتي به الأنباء والأخبارُ
انى لأرجوأن يُكذبَ وحيكم * طعنٌ يشقّ عصاكمُ وحصارُ
ويجيئكم قومٌ كأنّ سيوفهم * بأكفهم تحتَ العجاجة نارُ
لا ينثنون إذا هُم لاقوكمُ * الاوهامُ كما تكم أعشارُ

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة بعث المختار جيشا الى المدينة للمكر بابن الزبير وهو مظهر له انه وجّههم معونة له لحرب الجيش الذى كان عبد الملك بن مروان وجّهه اليه لحربه فنزلوا وادىَ القرى

﴿ذكر الخبر عن السبب الداعى كان للمختار الى توجيه ذلك الجيش والى ما صار أمرهم﴾

(قال هشام بن محمد) قال أبو مخنف حدّثنى موسى بن عامر قال لما أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة لحق بالبصرة وكره ان يقدم على ابن الزبير بمكة وهو مهزوم مفلول فكان بالبصرة مقيما حتى قدم عليه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فصارا جميعا بالبصرة وكان سبب قدوم عمر البصرة ان المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشيعة انما يدعو الى ابن الحنفية والطلب بدماء أهل البيت أخذ يخادع ابن الزبير ويكتب اليه فكتب اليه أما بعد فقد عرفتَ مناصحتى اياك وجهدى على أهل عداوتك وما كنتَ أعطيتنى اذا أنا فعلت ذلك من نفسك فلما وفيتُ لك وقضيت الذى كان لك علىّ خستَ بى ولم تفِ بما عاهدتنى عليه ورأيت منى ما قد رأيت فإن ترد مراجعتى أراجعك وان ترد مناصحتى انصح لك وهو يريد بذلك كفه عنه حتى يستجمع له الأمر وهو لا يُطلع الشيعة على شىء من هذا الأمر وإذا بلغهم شىء منه أراهم انه أبعد الناس عن ذلك قال فأراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ فقال له تجهّز الى الكوفة فقد وليناكها فقال كيف وبها المختار قال انه يزعم أنه سامع مطيع قال فتجهز بما بين الثلاثين الالف درهم الى الأربعين ألفا ثم خرج مقبلا الى الكوفة قال ويجىء عينُ المختار من مكة حتى أخبره الخبر فقال له بكم تجهز قال بما بين الثلاثين ألفا الى الأربعين ألفا قال فدعا المختار زائدة بن قدامة وقال له احمل معك سبعين ألف درهم ضعف ما أنفق هذا فى مسيره الينا وتلقه فى المفاوز وأخرج معك بمسافر بن سعيد بن نمران الناعطىّ فى خمسمائة فارس دارع رامح عليهم البَيض ثم قل له خذ هذه النفقة فإنها ضعف نفقتك فإنه قد بلغنا انك تجهزت وتكلفت قدر ذلك فكرهنا ان تغرم فخذها وانصرف فان فعل والا فأره الخيل وقل له ان وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة قال فأخذ زائدةُ المال وأخرج معه الخيل وتلقاه بالمفاوز وعرض عليه المال وأمره بالانصراف فقال له ان أمير المؤمنين قد ولانى الكوفة ولا بد من انفاذ أمره فدعا زائدة بالخيل وقد أكمنها فى جانب فلما رآها

قد أقبلت قال هذا الآن اعذرلى وأجمل بى هات المال فقال له زائدة أما انه لم يبعث به اليك الا لما بينك وبينه فدفعه اليه فأخذه ثم مضى راجعا نحو البصرة فاجتمع بها هو وابن مطيع فى امارة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة وذلك قبل وثوب المثنى بن مُخَرِّبة العبدى بالبصرة (قال أبو مخنف) فحدثنى اسماعيل بن نُعيم ان المختار أخبر ان أهل الشأم قد أقبلوا نحو العراق فعرف انه به يُبدأ فخشى أن يأتيه أهل الشأم من قبل المغرب ويأتيه مصعب بن الزبير من قبل البصرة فوادع ابن الزبير وداراه وكايده وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك ابن الحارث بن الحكم بن أبى العاص الى وادى القرى والمختار لابن الزبير مكايد موادع فكتب المختار الى ابن الزبير أما بعد فقد بلغنى ان عبد الملك بن مروان قد بعث اليك جيشا فإن أحببت ان أمدك بمدد أمددتك فكتب اليه عبد الله بن الزبير أما بعد فان كنت على طاعتى فلست أُكره ان تبعث الجيش الى بلادى وتبايع لى الناس قبلك فإذا أتتنى بيعتك صدّقت مقالتك وكففت جنودى عن بلادك وعجّل علىّ بتسريح الجيش الذى أنت باعثه ومرهم فليسيروا الى مَنْ بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم والسلام فدعا المختار شُرحبيل بن وَرْس من همدان فسرّحه فى ثلاثة آلاف أكثرهم الموالى ليس فيهم من العرب الا سبعمائة رجل فقال له سِرْ حتى تدخل المدينة فاذا دخلتها فاكتب الىّ بذلك حتى يأتيك أمرى وهو يريد اذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميرا من قبله ويأمر ابن ورس أن يمضى الى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة فخرج الآخر يسير قِبَل المدينة وخشى ابن الزبير أن يكون المختار انما يكيده فبعث من مكة الى المدينة عباس بن سهل بن سَعْد فى ألفين وأمره أن يستنفر الأعراب وقال له ابن الزبير ان رأيت القوم فى طاعتى فاقبل منهم والا فكايدهم حتى تهلكهم ففعلوا وأقبل عباس بن سهل حتى لقى ابن ورس بالرقيم وقد عبى ابن ورس أصحابه فجعل على ميمنته سلمان بن حمير الثورىّ من همدان وعلى ميسرته عياش بن جَعْدة الجَدَلىّ وكانت خيله كلها فى الميمنة والميسرة فدنا فسلم عليه ونزل هو يمشى فى الرّجالة وجاء عباس فى أصحابه وهم منقطعون على غير تعبية فيجد ابن ورس على الماء قد عبى أصحابه تعبية القتال فدنا منهم فسلم عليهم ثم قال اخلُ معى ههنا فخلا به فقال له رحمك الله ألست فى طاعة ابن الزبير فقال له ابن ورس بلى قال فسِرْ بنا الى عدوّه هذا الذى بوادى القرى فان ابن الزبير حدّثنى انه انما أشخصكم صاحبكم اليهم قال ابن ورس ما أمرت بطاعتك انما أمرت أن أسير حتى آتى المدينة فاذا نزلتها رأيت رأيى قال له عباس بن سهل فان كنت فى طاعة ابن الزبير فقد أمرنى أن أسير بك وبأصحابك الى عدوّنا الذين بوادى القرى فقال له ابن ورس ما أمرت بطاعتك وما أنا بمتّبعك دون ان أدخل المدينة ثم اكتب الى صاحبى فيأمرنى بأمره فلما رأى عباس بن

سهل لحاجته عرف خلافه فكره أن يُعلمه انه قد فطن له فقال فرأيك أفضل اعمل بما بدا لك فأما انا فانى سائر الى وادى القرى ثم جاء عباس بن سهل فنزل بالماء وبعث الى ابن ورس بجزائر كانت معه فأهداها له وبعث اليه بدقيق وغنم مسلّخة وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعا فبعث عباس بن سهل الى كل عشرة منهم شاة فذبحوها واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وترك القومُ تعبيتهم وأمن بعضهم بعضا فلمّا رأى عباس بن سهل ماهم فيه من الشغل جمع من أصحابه نحوا من ألف رجل من ذوى البأس والنجدة ثم أقبل نحو فسطاط شرحبيل بن ورس فلما رآهم ابن ورس مقبلين اليه نادى فى أصحابه فلم يتواف اليه مائةُ رجل حتى انتهى اليه عباس بن سهل وهو يقول ياشرطة الله الىّ الىّ قاتلوا المحلين أولياء الشيطان الرجيم فإنكم على الحق والهدى وقد غدروا وفجروا (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو يوسف ان عباسا انتهى اليهم وهو يقول

أنا ابنُ سهل فارسٌ غيرُ وكَلْ * أروعُ مِقدامٌ اذا الكبشُ نَكَلْ

وأعتلى رأسَ الطِرِمّاح البطلْ * بالسيف يومَ الرَّوعِ حتى يُنْخزَلْ

قال فوالله ماقتلنا الاشيأ ليس بشىء حتى قُتل ابن ورس فى سبعين من أهل الحفاظ ورفع عباسُ بن سهل راية أمان لأصحاب ابن ورس فأتوها الا نحوا من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سلمان بن حمير الهمدانىّ وعياش بن جَعْدة الجدلىّ فلما وقعوا فى يد عباس بن سهل أمر بهم فقُتلوا الا نحوا من مائتى رجل كره ناسٌ من الناس ممن دُفعوا اليهم قتلهم فخلوا سبيلهم فرجعوا فمات أكثرهم فى الطريق * فلما بلغ المختار أمرُهم ورجع من رجع منهم قام خطيبا فقال ألا إن الفجار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار ألا انه كان أمرا مأتيا وقضاء مقضيا وكتب المختار الى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمى بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى كنت بعثت اليك جندا ليذلوا لك الأعداء وليحوزوا لك البلاد فساروا اليك حتى اذا أظلوا على طَيْبة لقيهم جند الملحد فخدعوهم بالله وغرّوهم بعهد الله فلما اطمأنوا اليهم ووثقوا بذلك منهم وثبوا عليهم فقتلوهم فان رأيت ان أبعث الى أهل المدينة من قبلى جيشا كثيفا وتبعث اليهم من قبلك رسلا حتى يعلم أهل المدينة انى فى طاعتك وانما بعثت الجند اليهم عن أمرك فافعلْ فإنك ستجد عظمهم بحقكم أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين والسلام عليك فكتب اليه ابن الحنفية أما بعد فإن كتابك لما بلغنى قرأته وفهمت تعظيمك لحقى وماتنوى به من سرورى وان أحبّ الأمور كلها الىّ ما أطيع الله فيه فأطع الله مااستطعت فيما أعلنت وأسررت واعلم انى لو أردت القتال لوجدت الناس الىّ سراعا والأعوان لى كثيرا ولكنّى أعتزلهم وأصبر حتى يحكم الله لى وهو خير الحاكمين فأقبل صالح بن مسعود الى ابن الحنفية فودّعه وسلم عليه وأعطاه الكتاب وقال له قل للمختار فليتق

الله وليكفف عن الدماء قال فقلت له أصلحك الله أولم تكتب بهذا اليه قال ابن الحنفية قد أمرته بطاعة الله وطاعة الله تجمع الخير كله وتنهى عن الشر كله فلما قدم كتابه على المختار أظهر للناس انى قد أمرت بأمر يجمع البر واليسر ويضرح الكفر والغدر ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة ووافوا الحج وأميرهم أبو عبد الله الجدلى

﴿ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة﴾

وكان السبب في ذلك فيما ذكر هشام عن أبي مخنف وعلى بن محمد عن مَسلمة بن محارب ان عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومَن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة بزمزم وكرهوا البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة وهربوا الى الحرم وتوعدهم بالقتل والإحراق وأعطى الله عهدا إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعدهم به وضرب لهم في ذلك أجلا فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه ان يبعث الى المختار والى مَن بالكوفة رسولا يُعلمهم حالهم وحال من معهم وما توعدهم به ابن الزبير فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم وكتب معهم الى المختار وأهل الكوفة يُعلمهم حاله وحال من معه وما توعدهم به ابن الزبير من القتل والتحريق بالنار ويسألهم أن لا يخذلوه كما خذلوا الحسين وأهل بيته فقدموا على المختار فدفعوا اليه الكتاب فنادى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال هذا كتاب مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم وقد تركوا محظورا عليهم كما يُحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار ولستُ أبا اسحاق ان لم أنصرهم نصرا مؤزرا وان لم أسرب اليهم الخيل في أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل حتى يحل بابن الكاهلية الويل ووجه أبا عبد الله الجدلى في سبعين راكبا من أهل القوة ووجه ظبيان بن عثمان أخا بني تميم ومعه أربعمائة وأبا المعتمر في مائة وهانئ بن قيس في مائة وعمير بن طارق في أربعين ويونس بن عمران في أربعين وكتب الى محمد بن علي مع الطفيل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود اليه فخرج الناس بعضهم في أثر بعض وجاء أبو عبد الله حتى نزل ذات عِرق في سبعين راكبا ثم لحقه عمير بن طارق في أربعين راكبا ويونس بن عمران في أربعين راكبا فتمّوا خمسين ومائةً فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الكافركوبات وهم ينادون يالثارات الحسين حتى انتهوا الى زمزم وقد أعدّ ابنُ الزبير الحطب ليحرّقهم وكان قد بقي من الأجل يومان فطردوا الحرس وكسروا أعواد زمزم ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا له خلّ بيننا وبين عدوّ الله ابن الزبير فقال لهم انى لا أستحلّ القتال في حرم الله فقال ابن الزبير أتحسبون انى مخلٍّ سبيلهم دون ان يبايع ويبايعوا فقال أبو عبد الله الجدلى أى ورب الركن والمقام ورب الحلّ والحرام لتخلينّ سبيله أو لنجالدنك بأسيافنا جلادا يرتاب منه المبطلون فقال ابن الزبير والله ما هؤلاء الا أكلة

رأس والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتى تقطف رؤسهم فقال له قيس بن مالك أما والله انى لا رجوان رمت ذلك ان يوصل اليك قبل ان ترى فينا ما تحب فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ثم قدم أبو المعتمر فى مائة وهانئ بن قيس فى مائة وظبيان بن عمارة فى مائتين ومعه المال حتى دخلوا المسجد فكبروا يا لثارات الحسين فلما رآهم ابن الزبير خافهم فخرج محمد ابن الحنفية ومن معه الى شعب على وهم يسبون ابن الزبير و يستأذنون ابن الحنفية فيه فيأبى عليهم فاجتمع مع محمد بن على فى الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم ذلك المال ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفى هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بنى تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمدا قال على بن محمد حدثنا الحسين بن رشيد الجوزجانى عن الطفيل بن مرداس العمى قال لما تفرقت بنو تميم بخراسان أيام ابن خازم أتى قصر فرتناعة من فرسانهم ما بين السبعين الى الثمانين فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن المحتفز المزنى ومعه شعبة بن ظهير النهشلى وورد بن الفلق العنبرى وزهير بن ذؤيب العدوى وجيهان بن مشجعة الضبى والحجاج بن ناشب العدوى ورقبة بن الحر فى فرسان بنى تميم قال فأتاهم ابن خازم فحصرهم وخندق خندقا حصينا قال وكانوا يخرجون اليه فيقاتلونه ثم يرجعون الى القصر قال فخرج ابن خازم يوما على تعبية من خندقه فى ستة آلاف وخرج أهل القصر اليه فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز انصرفوا اليوم عن ابن خازم فلا أظن لكم به طاقة فقال زهير بن ذؤيب العدوى امرأته طالق ان رجع حتى ينقض صفوفهم والى جنبهم نهر يدخله الماء فى الشتاء ولم يكن يومئذ فيه ماء فاستبطنه زهير فسار فيه فلم يشعر به أصحاب ابن خازم حتى حمل عليهم فحطم أولهم على آخرهم واستداروا وكر راجعا واتبعوه على جنبتى النهر يصيحون به لا ينزل اليه أحد حتى انتهى الى الموضع الذى انحدر فيه فخرج فحمل عليهم فأفرجوا له حتى رجع قال فقال ابن خازم لأصحابه اذا طاعنتم زهيرا فاجعلوا فى رماحكم كلاليب فأعلقوها فى أداته ان قدرتم عليه فخرج اليهم يوما وفى رماحهم كلاليب قد هيؤها له فطاعنوه فأعلقوا فى درعه أربعة أرماح فالتفت اليهم ليحمل عليهم فاضطربت أيديهم فخلوا رماحهم فجاء يجر أربعة أرماح حتى دخل القصر قال فأرسل ابن خازم غزوان بن جزء العدوى الى زهير فقال قل له أرأيتك ان آمنتك وأعطيتك مائة ألف وجعلت لك باسان طعمة تناصحنى فقال زهير لغزوان ويحك كيف أناصح قوما قتلوا الأشعث بن ذؤيب فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله ابن خازم قال فلما طال عليهم الحصار أرسلوا الى ابن خازم أن خلنا نخرج فنتفرق فقال لا الا أن تنزلوا على حكمى قالوا فانا ننزل على حكمك فقال لهم زهير ثكلتكم أمهاتكم والله ليقتلنكم عن آخركم فإن طبتم بالموت أنفسا فموتوا كراما أخرجوا بنا جميعا فاما ان تموتوا

جميعا وإما ان ينجو بعضكم ويهلك بعضكم وايم الله لئن شددتم عليهم شدّة صادقة ليفرجنّ لكم عن مثل طريق المربد فان شئتم كنت أمامكم وان شئتم كنت خلفكم قال فأبوا عليه فقال أما إني سأريكم ثم خرج هو ورقبة بن الحرّ ومع رقبة غلام له تركيّ وشعبة بن ظهير قال فحملوا على القوم حملة منكرة فأفرجوا لهم فمضوا فأما زهير فرجع الى أصحابه حتى دخل القصر فقال لأصحابه قد رأيتم فأطيعوني ومضى رقبة وغلامه وشعبة قالوا إن فينا من يضعف عن هذا ويطمع في الحياة قال أبعدكم الله أتخلون عن أصحابكم والله لا أكون أجزعكم عند الموت قال ففتحوا القصر ونزلوا فأرسل اليهم فقيدهم ثم حملوا اليه رجلا رجلا فأراد أن يمنّ عليهم فأبى ابنه موسى وقال والله لئن عفوت عنهم لأتّكئنّ على سيفي حتى يخرج من ظهري فقال له عبد الله أما والله انى لأعلم ان الغيّ فيما تأمرني به ثم قتلهم جميعا الا ثلاثة قال أحدهم الحجاج بن ناشب العدوي وكان رمى ابن خازم وهو محاصرهم فكسر ضرسه فحلف لئن ظفر به ليقتلنه أو ليقطعنّ يده وكان حدثا فكلمه فيه رجال من بني تميم كانوا معتزلين من عمرو بن حنظلة فقال رجل منهم ابن عمي وهو غلام حدث جاهل هَبْه لي قال فوهبه له وقال النجاء لا أرينك قال وجيهان بن مشجعة الضبيّ الذي ألقى نفسه على ابنه محمد يومَ قُتل فقال ابن خازم خلوا عن هذا البغل الدارج ورجل من بني سعد وهو الذي قال يومَ لحقوا ابن خازم انصرفوا عن فارس مضر قال وجاؤا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حمله وهو مقيّد فأبى وأقبل يحجل حتى جلس بين يديه فقال له ابن خازم كيف شكرك ان أطلقتك وجعلت لك باسان طعمةً قال لو لم تصنع بي الا حقن دمي لشكرتك فقام ابنه موسى فقال تقتل الضبع وتترك الذيخ تقتل اللبوة وتترك الليث قال ويحك نقتل مثل زهير من لقتال عدوّ المسلمين مَن لنساء العرب قال والله لو شركت في دم أخي أنت لقتلتك فقام رجل من بني سُليم الى ابن خازم فقال أذكرك الله في زهير فقال له موسى اتخذه فحلا لبناتك فغضب ابن خازم فأمر بقتله فقال له زهير إن لي حاجةً قال وما هي قال تقتلني على حدة ولا تخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتُهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراما وان يخرجوا عليكم مصلتين وايم الله ان لو فعلوا الذعروا بُنيَّك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب الثأر بأخيه فأبوا ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالا فأمر به فنحّي ناحية فقُتل قال مَسلمة بن محارب فكان الأحنف بن قيس اذا ذكرهم قال قبح الله ابن خازم قتل رجالا من بني تميم بابنه صبيّ وَغد أحمق لا يساوي علقا ولو قتل منهم رجلا به لكان وفى قال وزعمت بنو عديّ انهم لما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب أبى واعتمد على رمحه وجمع رجليه فوثب الخندق فلما بلغ الحريشَ بن هلال قتلهم قال

أعاذلُ اني لم ألم في قتالهم * وقد عضّ سيفي كبشَهُم ثم صمما

أعاذل ما وليتُ حتى تبدَّدتْ * رجالٌ وحتى لم أجد مُتقدَّما

أعاذل أفنانى السلاح ومن يُطلْ * مُقارعةَ الأبطالِ يرجعْ مكلَّما

أعيْنيَّ ان أنزفتما الدمعَ فاسكبا * دما لازمًا لى دون ان تسكبا الدما

أبَعْدَ زهيرٍ وابن بشر تتابعا * وورد أرجّى في خراسان مَغْنما

أعاذل كم من يوم حرب شهدتُه * أكرُّ اذا ما فارس السوء أحجما

يعنى بقوله أبعدَ زهير زهير بن ذؤيب وابن بشر عثمان بن بشر بن المحتفز المازنىّ وورد ابن الفلق العنبرىّ قتلوا يومئذ وقتل سليمان بن المحتفز أخو بشر ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان على المدينة مصعب بن الزبير من قِبَل أخيه عبد الله وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة وعلى قضائها هشام بن هبيرة وكانت الكوفة بها المختار غالبا عليها وبخراسان عبد الله بن خازم ﴿وفى هذه السنة﴾ شخص ابراهيم بن الأشتر متوجها الى عبيد الله بن زياد لحربه وذلك لثمان بقين من ذى الحجة (قال هشام بن محمد) حدثنى أبو مخنف قال حدّثنى النضر بن صالح وكان قد أدرك ذلك قال حدثنى فُضيل بن خديج وكان قد شهد ذلك وغيرهما قالوا اما هو الا ان فرغ المختار من أهل السبيع وأهل الكُناسة فما نزل ابراهيم بن الأشتر الا يومين حتى أشخصه الى الوجه الذى كان وجّهه له لقتال أهل الشأم فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذى الحجة سنة ٦٦ وأخرج المختارُ معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوى البصائر منهم ممن قد شهد الحرب وجرّبها وخرج معه قيس بن طهفة النهدىّ على ربع أهل المدينة وأمر عبد الله بن حيّة الأسدىّ على ربع مذحج وأسد وبعث الأسود بن جراد الكندىّ على ربع كندة وربيعة وبعث حبيب بن منقذ الثورىّ من همدان على ربع تميم وهمدان وخرج معه المختار يشيّعه حتى اذا بلغ دير عبد الرحمن ابن أمّ الحكم اذا أصحاب المختار قد استقبلوه قد حملوا الكرسىّ على بغل أشهب كانوا يحملونه عليه فوقفوا به على القنطرة وصاحب أمر الكرسىّ حَوْشب البرسمىّ وهو يقول يا ربّ عمّرنا في طاعتك وانصرنا على الأعداء واذكرنا ولا تنسنا واسترنا قال وأصحابه يقولون آمين آمين قال فضيل فأنا سمعت ابن نوف الهمدانىّ يقول قال المختار

اما وربِّ المُرْسَلاتِ عُرفا * لنقتلنّ بعد صفٍّ صَفّا

وبعدَ ألف قاسطين ألفا

قال فلما انتهى اليهم المختار وابنُ الأشتر ازدحموا ازدحاما شديدا على القنطرة ومضى المختار مع ابراهيم الى قناطر رأس الجالوت وهى الى جنب دير عبد الرحمن فاذا أصحاب الكرسىّ قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون فلما صار المختار بين قنطرة دير عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف وذلك حين أراد ان

ينصرف فقال لابن الاشتر خذ عني ثلاثا خف الله في سر أمرك وعلانيته وعجل السير واذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم وان لقيتهم ليلا فاستطعت أن لا تصبح حتى تناجزهم وان لقيتهم نهارا فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم الى الله ثم قال هل حفظت ما أوصيتك به قال نعم قال صحبك الله ثم انصرف وكان موضع عسكر ابراهيم بموضع حمام أعين ومنه شخص بعسكره (قال أبو مخنف) فحدثني فضيل بن خديج قال لما انصرف المختار مضى ابراهيم ومعه أصحابه حتى انتهى الى أصحاب الكرسي وقد عكفوا حوله وهم رافعوا أيديهم الى السماء يستنصرون فقال ابراهيم اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء سنة بني اسرائيل والذي نفسي بيده اذ عكفوا على عجلهم فلما جاز القنطرة ابراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسي

﴿ذكر الخبر عن سبب كرسي المختار الذي يستنصر به هو وأصحابه﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ وكان بدء سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شبويه قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبد الله بن المبارك عن اسحاق بن يحيى بن طلحة قال حدثني معبد بن خالد قال حدثني طفيل بن جعدة بن هبيرة قال أعدمت مرة من الورق فاني لكذلك اذ خرجت يوما فاذا زيات جار لي له كرسي قد ركبه وسخ شديد فخطر على بالي أن لو قلت للمختار في هذا فرجعت فأرسلت الى الزيات أرسل الي بالكرسي فأرسل الي به فأتيت المختار فقلت اني كنت أكتمك شيأ لم أستحل ذلك فقد بدا لي أن أذكره لك قال وما هو قلت كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كانه يرى ان فيه أثرة من علم قال سبحان الله فأخرت هذا الى اليوم ابعث اليه ابعث اليه قال وقد غسل وخرج عود نضار وقد تشرب الزيت فخرج يبص فجيء به وقد غشي فأمر لي باثني عشر ألفا ثم دعا الصلاة جامعة ❁ فحدثني معبد بن خالد الجدلي قال انطلق بي وباسماعيل بن طلحة بن عبيد الله وشبث بن ربعي والناس يجرون الى المسجد فقال المختار انه لم يكن في الأمم الخالية أمر الا وهو كائن في هذه الامة مثله وانه كان في بني اسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وان هذا فينا مثل التابوت اكشفوا عنه فكشفوا عنه أثوابه وقامت السبائية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثا فقام شبث بن ربعي وقال يا معشر مضر لا تكفرن فنحوه فذبوه وصدوه وأخرجوه قال اسحاق فوالله اني لأرجو أنها لشبث ثم لم يلبث ان قيل هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشام باجميرا فخرج بالكرسي على بغل وقد غشي يمسكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة فقتل أهل الشام مقتلة لم يقتلوا مثلها فزادهم ذلك فتنة فارتفعوا فيه حتى تعاطوا الكفر فقلت انا لله وندمت على ما صنعت فتكلم الناس في ذلك فغيب فلم أره بعد ❁ حدثني عبد الله قال حدثني أبي قال قال أبو صالح فقال في ذلك أعشى همدان كما حدثني غير عبد الله

شهدت

شهدتُ عليكم أنكم سبائيَّةٌ * وانى بكم يا شُرْطَةَ الشِّرْكِ عارفُ
وأقسم ما كرسيّكم بسكينةٍ * وان كان قد لُفّتْ عليه اللفائف
وأن ليس كالتابوتِ فينا وان سعتْ * شِبامٌ حواليه ونهدٌ وخارفُ
وانى امرؤٌ أحببتُ آلَ محمدٍ * وتابعتُ وحياً ضُمّنتْه المصاحفُ
وتابعتُ عبد الله لما تتابعتْ * عليه قريشٌ شُمْطُها والغطارِفُ

وقال المتوكل الليثى

أبلغْ أبا اسحاق ان جئتَه * انى بكرْسيّكمْ كافرُ
تنزو شِبامٌ حول أعواده * وتحملُ الوَحىَ له شاكرُ
محمرّةً أعينُهم حوله * كأنهن الحمّص الحادر

(فاما أبو مخنف) فانه ذكر عن بعض شيوخه قصة هذا الكرسى غير الذى ذكره عبد الله بن أحمد بالاسناد الذى حدّثنا به عن طفيل بن جعدة والذى ذكر من ذلك ما حدّثنا به عن هشام بن محمد عنه قال حدثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام ان المختار قال لآل جعدة بن هبيرة بن أبى وهب المخزومى وكانت أمُّ جعدة أم هانىء بنت أبى طالب أخت علىّ ابن أبى طالب عليه السلام لابيه وأمه ائتونى بكرسى علىّ بن أبى طالب فقالوا لا والله ما هو عندنا وما ندرى من أين نجىء به قال لا تكونن حمقى اذهبوا فأتونى به قال فظن القوم عند ذلك أنهم لا يأتون بكرسى فيقولون هو هذا الا قبله منهم فجاؤا بكرسى فقالوا هو هذا فقبله قال فخرجتْ شبامٌ وشاكر ورؤس أصحاب المختار وقد عصّبوه بالحرير والديباج (قال أبو مخنف) عن موسى بن عامر أبى الاشعر الجهنى ان الكرسى لما بلغ ابن الزبير أمرُه قال أين بعض جنادبة الأزد عنه (قال أبو الاشعر) لما جىء بالكرسى كان أول من سدنه موسى بن أبى موسى الاشعرى وكان يأتى المختار أولَ ما جاء ويحفّ به لأن أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب ثم انه بعد ذلك عُتب عليه فاستحيا منه فدفعه الى حوْشب البرْسمى فكان صاحبه حتى هلك المختار قال وكان أحد عمومة الاعشى رجلا يكنى أبا امامة يأتى مجالس أصحابه فيقول قد وُضع لنا اليوم وحىٌ ما سمع الناس بمثله فيه نبأ ما يكون من شئ (قال أبو مخنف) حدثنا موسى بن عامر انه انما كان يصنع ذلك لهم عبد الله بن نوف ويقول المختار أمرنى به ويتبرأ المختار منه

## ثم دخلت سنة سبع وستين

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمما كان فيها من ذلك مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشأم

## ﴿ذكر الخبر عن صفة مقتله﴾

* ذكر هشام بن محمد عن أبى مخنف قال حدثنى أبو الصلت عن أبى سعيد الصَيْقَل قال مضينا
مع ابراهيم بن الاشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشأم فخرجنا مُسْرعين
لا ننثنى نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق قال فسبقناه الى تخوم أرض العراق سبقا
بعيدا ووغلنا فى أرض الموصل فتعجّلنا اليه وأسرعنا السير فنلقاه بخازر الى جنب قرية يقال
لها باربيثا بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ وقد كان ابن الاشتر جعل على مقدّمته
الطفيل بن لقيط من وَهبيل من النَخع رجلا من قومه وكان شجاعا بئيسا فلما ان دنا من ابن
زياد ضم حميد بن حريث اليه وأخذ ابن الاشتر لا يسير الا على تعبية وضم أصحابه كلهم اليه بخيله
ورجاله فأخذ يسير بهم جميعا لا يفرّقهم الا انه يبعث الطفيل بن لَقيط فى الطلائع حتى نزل
تلك القرية قال وجاء عبيد الله بن زياد حتى نزل قريبا منهم على شاطئ خازَر وأرسل عُمير
ابن الحُباب السلمى الى ابن الاشتر انى معك وأنا أريد الليلة لقاءك فأرسل اليه ابن الاشتر
أن القَنى اذا شئت وكانت قيسٌ كلها بالجزيرة فهم أهل خلاف لمروان وآل مروان وجند
مروان يومئذ كلبٌ وصاحبهم ابن بَحْدل فأتاه عمير ليلا فبايعه وأخبره انه على ميسرة
صاحبه وواعده أن ينهزم بالناس وقال ابن الاشتر ما رأيك أخندق علىّ وأتلوّم يومين أو ثلاثة
قال عمير بن الحُباب لا تفعل اناللّه هل يريد القوم الا هذه ان طاولوك وماطلوك فهو خير لهم
هم كثير أضعافكم وليس يطيق القليلُ الكثير فى المطاولة ولكن ناجز القوم فانهم قد ملؤا
منكم رعبا فأتهم فانهم ان شامّوا أصحابك وقاتلوهم يوما بعد يوم ومرة بعد مرة أنسوا بهم
واجترؤا عليهم قال ابراهيم الآن علمت انك لى مناصح صدقتَ الرأى ما رأيت أما ان صاحبى
بهذا أوصانى وبهذا الرأى أمرنى قال عمير فلا تعدونّ رأيه فان الشيخ قد ضرّسته الحروب
وقاسى منها مالم نُقاسِ أصبح فناهض الرجل ثم ان عميرا انصرف وأذكى ابن الاشتر حرسه
تلك الليلة الليلَ كله ولم يدخل عينه غمْض حتى اذا كان فى السحر الاول عبّى أصحابه وكتّب
كتائبه وأمّر أمراءه فبعث سفيان بن يزيد بن المُغفَّل الأزدى على ميمنته وعلىّ بن مالك
الُجشمى على ميسرته وهو أخو أبى الاحوص وبعث عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو
ابراهيم بن الاشتر لامه على الخيل وكانت خيله قليلة فضمها اليه وكانت في الميمنة والقلب وجعل
على رجّالته الطفيل بن لقيط وكانت رايته مع مزاحم بن مالك قال فلما انفجر الفجر صلى بهم
الغداة بغلس ثم خرج بهم فصفهم ووضع أمراء الأرباع فى مواضعهم وألحق أمير الميمنة
بالميمنة وأمير الميسرة بالميسرة وأمير الرجالة بالرجالة وضم الخيل اليه وعليها أخوه لامه عبد
الرحمن بن عبد الله فكانت وسطا من الناس ونزل ابراهيم يمشى وقال للناس ازحفوا فزحف
الناس معه على رسلهم رويدا رويدا حتى أشرف على تلّ عظيم مشرف على القوم فجلس عليه

واذا

واذا أولئك لم يتحرك منهم أحد بعد فسرح عبد الله بن زهير السلولي وهو على فرس له
يتأكل تأكلا فقال قرب على فرسك حتى تأتيني بخبر هؤلاء فانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى
جاء فقال قد خرج القوم على دهش وفشل لقيني رجل منهم فما كان له هجيرى الا يا شيعة
أبي تراب يا شيعة المختار الكذاب فقلت ما بيننا وبينكم أجل من الشتم فقال لي يا عدو الله
الى ما تدعونا أنتم تقاتلون مع غير امام فقلت له بل يا لثارات الحسين ابن رسول الله ادفعوا الينا
عبيد الله بن زياد فانه قتل ابن رسول الله وسيد شباب أهل الجنة حتى نقتله ببعض موالينا
الذين قتلهم مع الحسين فانا لا نراه لحسين ندا فنرضى أن يكون منه قودا واذا دفعتموه الينا
فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله أو أي صالح من المسلمين
شئتم حكما فقال لي قد جربنا كم مرة أخرى في مثل هذا يعني الحكمين فغدرتم فقلت له
وما هو فقال قد جعلنا بيننا وبينكم حكمين فلم ترضوا بحكمهما فقلت له ما جئت بحجة انما
كان صلحنا على انهما اذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ورضينا به وبايعناه فلم يجتمعا على
واحد وتفرقا فكلاهما لم يوفقه الله لخير ولم يسدده فقال من أنت فأخبرته فقلت له من أنت
فقال عدس لبغلته يزجرها فقلت له ما أنصفتني هذا أول غدرك قال ودعا ابن الاشتر بفرس
له فركبه ثم مر بأصحاب الرايات كلها فكلما مر على راية وقف عليها ثم قال يا أنصار الدين
وشيعة الحق وشرطة الله هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي ابن فاطمة بنت
رسول الله حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون
اليه ومنعه أن يأتي ابن عمه فيصالحه ومنعه أن ينصرف الى رحله وأهله ومنعه الذهاب في
الارض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني اسرائيل ما عمل
ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا قد جاءكم الله به وجاءه بكم فوالله اني لأرجو أن لا يكون الله جمع بينكم في هذا الموطن
وبينه الا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم فقد علم الله انكم خرجتم غضبا لاهل بيت
نبيكم فسار فيما بين الميمنة والميسرة وسار في الناس كلهم فرغبهم في الجهاد وحرضهم على القتال
ثم رجع حتى نزل تحت رايته وزحف القوم اليه وقد جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير
السكوني وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمي وشرحبيل بن ذي الكلاع على الخيل وهو
يمشي في الرجال فلما تدانى الصفان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل
الكوفة وعليها علي بن مالك الجشمي فثبت له هو بنفسه فقتل ثم أخذ رايته قرة بن علي
فقتل أيضا في رجال من أهل الحفاظ قتلوا وانهزمت الميسرة فأخذ راية علي بن مالك الجشمي
عبد الله بن ورقاء بن جنادة السلولي ابن أخي حبشي بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستقبل أهل الميسرة حين انهزموا فقال الي يا شرطة الله فأقبل اليه جلهم فقال هذا

أميركم يقاتل سيروا بنا اليه فأقبل حتى أتاه واذا هو كاشف عن رأسه ينادي ياشرطة الله الىّ أنا ابن الاشتر انّ خير فراركم كراركم ليس مُسيئا من أعتبَ فثاب اليه أصحابه وأرسل الى صاحب الميمنة احمل على ميسرتهم وهو يرجو حينئذ ان ينهزم لهم عمير بن الحباب كما زعم فحمل عليهم صاحب الميمنة وهو سفيان بن يزيد بن المغفل فثبت له عمير بن الحباب وقاتله قتالا شديدا فلما رأى ابراهيم ذلك قال لأصحابه أمُّوا هذا السواد الأعظم فوالله لو قد فضضناه لانجفل من ترون منهم يمنةً ويسرة انجفال طير ذعرته فطارت (قال أبو مخنف) فحدثني ابراهيم بن عبد الرحمن الأنصاريّ عن ورقاء ابن عازب قال مشينا اليهم حتى اذا دنونا منهم أطعنا بالرماح قليلا ثم صرنا الى السيوف والعمد فاضطربنا بها مليًّا من النهار فوالله ماشبَّهتُ ماسمعتُ بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد إلا مَيَاجِنَ قصَّارِى دار الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال فكان ذلك كذلك ثم ان الله هزمهم ومنحنا أكتافهم (قال أبو مخنف) وحدثني الحارث بن حصيرة عن أبي صادق ان ابراهيم بن الأشتر كان يقول لصاحب رايته انغمس برايتك فيهم فيقول له انه جُعلت فداك ليس لي مُتقدَّم فيقول بلى فإن أصحابك يقاتلون وان هؤلاء لايهربون ان شاء الله فإذا تقدّم صاحب رايته برايته شد ابراهيم بسيفه فلا يضرب به رجلا الا صرعه وكرد ابراهيم الرجال من بين يديه كأنهم الحملان وإذا حمل برايته شد أصحابه شدة رجل واحد (قال أبو مخنف) حدثني المشرقيّ انه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدةٌ لاتليق شيأ مرت به وانه لما هزم أصحابه حمل عُيَيْنَةُ بن أسماء أخته هند بنت أسماء وكانت امرأة عبيد الله بن زياد فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول

إِن تصرمي حبالنَا فرُبَّمَا * أرديْتُ في الهيجا الكميَّ المُعْلَمَا

(قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج ان ابراهيم لما شد على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلى كثيرة بين الفريقين وان عمير بن الحباب لما رأى أصحاب ابراهيم قد هزموا أصحاب عبيد الله بعث اليه أجيئك الآن فقال لا تأتيني حتى تسكن فورة شرطة الله فإني أخاف عليك عاديتهم وقال ابن الأشتر قتلت رجلا وجدت منه رائحة المسك شرقت يداه وغرّبت رجلاه تحت راية منفردة على شاطىء نهر خازر فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلا ضربه فقده بنصفين فذهبت رجلاه في المشرق ويداه في المغرب وحمل شريك بن جدير التغلبي على الحصين بن نمير السكونيّ وهو يحسبه عبيد الله بن زياد فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ونادى التغلبي اقتلوني وابن الزانية فقتل ابن نمير ❀ وحدثني عبد الله ابن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبد الله بن المبارك قال حدثني الحسن بن كثير قال كان شريك بن جدير التغلبي مع عليّ السلام أصيبت عينه

معه

معه فلما انقضت حرب على لحق ببيت المقدس فكان به فلما جاءه قتل الحسين قال أعاهد الله ان قدرت على كذا وكذا يطلب بدم الحسين لأقتلن ابن مرجانة أو لأموتن دونه فلما بلغه ان المختار خرج يطلب بدم الحسين أقبل اليه قال فكان وجهه مع ابراهيم بن الأشتر وجعل على خيل ربيعة فقال لأصحابه انى عاهدت الله على كذا وكذا فبايعه ثلثمائة على الموت فلما التقوا حمل فجعل يهتكها صفا صفا مع أصحابه حتى وصلوا اليه وثار الرهج فلا يسمع الا وقع الحديد والسيوف فانفرجت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد التغلبى وعبيد الله ابن زياد قال وهو الذى يقول

كلُّ عيش قد أراهُ قَذِرًا * غيرَ ركز الرمح فى ظل الفرس

(قال هشام) قال أبو مخنف حدثنى فضيل بن خديج قال قتل شرحبيل بن ذى الكلاع فادعى قتله ثلاثة سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدى وورقاء بن عازب الأسدى وعبيد الله ابن زهير السلمى قال ولما هزم أصحاب عبيد الله تبعهم أصحاب ابراهيم بن الأشتر فكان من غرق أكثر ممن قتل وأصابوا عسكرهم فيه من كل شىء وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه يأتيكم الفتح أحد اليومين ان شاء الله من قبل ابراهيم بن الأشتر وأصحابه قد هزموا أصحاب عبيد الله ابن مرجانة قال فخرج المختار من الكوفة واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعرى وخرج بالناس ونزل ساباط (قال أبو مخنف) حدثنى المشرقىّ عن الشعبى قال كنت أنا وأبى ممن خرج معه قال فلما جزنا ساباط قال للناس ابشروا فان شرطة الله قد حسوهم بالسيوف يوما الى الليل بنصيبين أو قريبا من نصيبين ودوين منازلهم الا ان جلهم محصور بنصيبين قال ودخلنا المدائن واجتمعنا اليه فصعد المنبر فوالله انه لخطبنا ويأمرنا بالجد وحسن الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام اذ جاءته البشرى تترى يتبع بعضها بعضا بقتل عبيد الله بن زياد وهزيمة أصحابه وأخذ عسكره وقتل أشراف أهل الشأم فقال المختار يا شرطة الله ألم أبشركم بهذا قبل ان يكون قالوا بلى والله لقد قلت ذلك قال فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهمدانيين أتؤمن الآن يا شعبىُّ قال قلت بأى شىء أومن أومن بأن المختار يعلم الغيب لا أومن بذلك أبدا قال أولم يقل لنا انهم قد هزموا فقلت له انما زعم لنا انهم هزموا بنصيبين من أرض الجزيرة وانما هو بخازرَ من أرض الموصل فقال والله لا تؤمن يا شعبىُّ حتى ترى العذاب الأليم فقلت له من هذا الهمدانى الذى يقول لك هذا فقال رجل لعمرى كان شجاعا قتل مع المختار بعد ذلك يوم حَرُوراء يقال له سلمان بن حمير من الثوريين من همدان قال وانصرف المختار الى الكوفة ومضى ابن الأشتر من عسكره الى الموصل وبعث عماله عليها فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين وغلب على سنجار ودارا وما والاهما من أرض الجزيرة وخرج أهل الكوفة الذين

كان المختار قاتلهم فهزمهم فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وكان فيمن قدم على مصعب شبث بن ربعي فقال سراقة بن مرداس البارقيّ يمدح ابراهيم بن الأشتر وأصحابه فى قتل عبيدالله بن زياد

أتاكم غلامٌ من عرانين مذحجٍ * جرىٌّ على الأعداء غيرُ نكولِ
فيابن زيادٍ بُؤْ بأعظم مالكٍ * وذقْ حدّ ماضى الشفرتين صقيلِ
ضربناك بالعضب الحسام بحدّةٍ * إذا ما أبانا قاتلا بقتيلِ
جزى الله خيراً شرطة الله إنَّهم * شفوا من عُبيد الله أمس غليلى

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبدُ الله بن الزبير القُباعَ عن البصرة وبعث عليها أخاه مصعب بن الزبير ﴿فحدثني﴾ عمر بن شبّة قال حدثني علىّ بن محمد قال حدثنا الشعبى قال حدثنى وافد بن أبى ياسر قال كان عمرو بن سرح مولى الزبير يأتينا فيحدثنا قال كنت والله فى الرهط الذين قدموا مع المصعب بن الزبير من مكة الى البصرة قال فقدم متلثّماً حتى أناخ على باب المسجد ثم دخل فصعد المنبر فقال الناس أميرٌ أمير قال وجاء الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة وهو أميرها قبله فسفر المصعب فعرفوه وقالوا مصعب بن الزبير فقال للحارث اظهر اظهرْ فصعد حتى جلس تحته من المنبر درجة قال ثم قام المصعب فحمد الله وأثنى عليه قال فوالله ما أكثر الكلام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإِ موسى الى قوله إنّه كان من المفسدين وأشار بيده نحو الشأم ونُريد أن نَمُنَّ على الذين استُضعفوا فى الأرض ونجعلَهُم أئمّةً ونجعلهم الوارثين وأشار بيده نحو الحجاز ونُرى فرعونَ وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانوا يحذرون وأشار بيده نحو الشأم ﴿حدثني﴾ عمر بن شبة قال حدثنى علىّ بن محمد عن عوانة قال لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال يا أهل البصرة بلغنى انكم تلقبون امراءكم وقد سميت نفسى الجزار ﴿وفى هذه السنة﴾ سار مصعب بن الزبير الى المختار فقتله

﴿ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب اليه والخبر عن مقتل المختار﴾

قال هشام بن محمد عن أبى مخنف حدثنى حبيب بن بديل قال لما قدم شبث على مصعب بن الزبير البصرة وتحته بغلة له قد قطع ذنبها وقطع طرف أذنها وشق قباءه وهو ينادى ياغوثاهُ ياغوثاهُ فأتى مصعب فقيل له ان بالباب رجلا ينادى ياغوثاه ياغوثاه مشقوق القباء من صفته كذا وكذا فقال لهم نعم هذا شبث بن ربعى لم يكن ليفعل هذا غيره فأدخلوه فأدخل عليه وجاءه اشراف الناس من أهل الكوفة فدخلوا عليه فأخبروه بما اجتمعوا له وبما أصيبوا به ووثوب عبيدهم ومواليهم عليهم وشكوا اليه وسألوه النصر لهم والمسير الى المختار معهم وقدم عليهم محمد ابن الاشعث بن قيس ولم يكن شهد وقعة الكوفة كان فى قصر له مما يلى القادسية بطيزناباذ فلما

بلغه هزيمةُ الناس تهيأ للشخوص وسأل عنه المختار فأخبر بمكانه فسرح اليه عبد الله بن قراد
الخثعمي في مائة فلما ساروا اليه وبلغه أن قد دنوا منه خرج في البرّية نحو المصعب حتى لحق
به فلما قدم على المصعب استحثه بالخروج وأدناه مصعب وأكرمه لشرفه قال وبعث المختار
الى دار محمد بن الأشعث فهدمها (قال أبو مخنف) فحدثني أبو يوسف بن يزيد ان المصعب
لما أراد المسير الى الكوفة حين أكثر الناس عليه قال لمحمد بن الاشعث انى لا أسير حتى يأتيني
المهلب بن أبي صفرة فكتب المصعب الى المهلب وهو عامله على فارس أن أقبل الينا لتشهد
أمرنا فانا نريد المسير الى الكوفة فأبطأ عليه المهلب وأصحابه واعتل بشئ من الخراج
لكراهة الخروج فأمر مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحثه ان يأتي المهلب فيقبل
به وأعلمه انه لا يشخص دون ان يأتي المهلب فذهب محمد بن الأشعث بكتاب المصعب الى
المهلب فلما قرأه قال له مثلك يا محمد يأتي بريدا أما وجد المصعب بريدا غيرك قال محمد إني
والله ما أنا ببريد أحد غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلبنا عليهم عبداننا وموالينا فخرج
المهلب وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل
البصرة ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس فحجبه
الحاجب وهو لا يعرفه فرفع المهلب يده فكسر أنفه فدخل الى المصعب وأنفه يسيل دما فقال
له مالك فقال ضربني رجل ما أعرفه ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال هو ذا قال له المصعب
عد الى مكانك وأمر المصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر ودعا عبد الرحمن بن مخنف
فقال له ائت الكوفة فأخرج الى جميع من قدرت عليه ان تخرجه وادعهم الى بيعتي سرًّا
وخذل أصحاب المختار فانسل من عنده حتى جلس في بيته مستترا لا يظهر وخرج المصعب
فقدم امامه عبَّاد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته وبعث عمر بن عبيد الله بن
معمر على ميمنته وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته وجعل مالك بن مسمع على خمس
بكر بن وائل ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس والأحنف بن قيس على خمس تميم وزياد
ابن عمرو الأزدي على خمس الأزد وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية وبلغ ذلك المختار
فقام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة يا أهل الدين وأعوان الحق وأنصار
الضعيف وشيعة الرسول وآل الرسول ان فراركم الذين بغوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين
فاستغووهم عليكم ليمصح الحقّ وينتعش الباطل ويقتل أولياء الله والله لو تهلكون ما عبد الله
في الأرض الا بالفرى على الله واللعن لأهل بيت نبيه انتدبوا مع أحمر بن شميط فإنكم لو قد
لقيتموهم لقد قتلتموهم ان شاء الله قتل عادٍ وإرَم فخرج أحمر بن شميط فعسكر بحمَّام أعيَن
ودعا المختار رؤس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع أحمر بن شميط كما كانوا مع
ابن الأشتر فإنهم انما فارقوا ابن الأشتر لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار فانصرفوا عنه

وبعثهم المختار مع ابن شميط وبعث معه جيشا كثيفا فخرج ابن شميط فبعث على مقدمته ابن كامل الشاكرى وسار أحمر بن شميط حتى ورد المذار وجاء المصعب حتى عسكر منه قريبا ثم ان كل واحد منهما عبى جنده ثم تزاحفا فجعل أحمر بن شميط على ميمنته عبد الله بن كامل الشاكرى وعلى ميسرته عبد الله بن وهب بن نضلة الجشمى وعلى الخيل رزين عبد السلولى وعلى الرجالة كثير بن اسماعيل الكندى وكان يوم خازر مع ابن الأشتر وجعل كيسان أبا عمرة وكان مولى لعرينة على الموالى فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمى الى ابن شميط وقد جعله على ميسرته فقال له ان الموالى والعبيد آل خور عند المصدوقة وإن معهم رجالا كثيرا على الخيل وأنت تمشى فرهم فلينزلوا معك فإن لهم بك اسوة فإنى أتخوف إن طوردوا ساعة وطوعنوا وضوربوا أن يطيروا على متونها ويسلموك وانك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بدا وانما كان هذا منه غشا للموالى والعبيد لما كانوا لقوا منهم بالكوفة فأحب إن كانت عليهم الدبرة أن يكونوا رجالا لا ينجو منهم أحد ولم يتهمه ابن شميط وظن انه انما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا فقال يا معشر الموالى انزلوا معى فقاتلوا فنزلوا معه ثم مشوا بين يديه وبين يدى رايته وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عباد بن الحصين على الخيل فجاء عباد حتى دنا من ابن شميط وأصحابه فقال انما ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير وقال الآخرون انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله والى بيعة الأمير المختار والى ان نجعل هذا الأمر شورى فى آل الرسول فمن زعم من الناس أن أحدا ينبغى له ان يتولى عليهم برئنا منه وجاهدناه فانصرف عباد الى المصعب فأخبره فقال له ارجع فاحمل عليهم فرجع فحمل على ابن شميط وأصحابه فلم يزل منهم أحد ثم انصرف الى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل فجال أصحابه بعضهم فى بعض فنزل ابن كامل ثم انصرف عنه المهلب فقام مكانه فوقفوا ساعة ثم قال المهلب لأصحابه كروا كرة صادقة فإن القوم قد أطمعوكم وذلك بجولتهم التى جالوا فحمل عليهم حملة منكرة فولوا وصبر ابن كامل فى رجال من همدان فأخذ المهلب يسمع شعار القوم أنا الغلام الشاكرى أنا الغلام الشبامى أنا الغلام الثورى فما كان الا ساعة حتى هزموا وحمل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الله بن أنس فقاتل ساعة ثم انصرف وحمل الناس جميعا على ابن شميط فقاتل حتى قتل وتنادوا يا معشر بجيلة وخثعم الصبر الصبر فناداهم المهلب الفرار الفرار اليوم أنجى لكم علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان أضل الله سعيكم ثم نظر الى أصحابه فقال والله ما أرى استحرار القتل اليوم الا فى قومى ومالت الخيل على رجالة ابن شميط فافترقت فانهزمت وأخذت الصحراء فبعث المصعب عباد بن الحصين على الخيل فقال أيما أسير أخذته فاضرب عنقه وسرح محمد بن الأشعث فى خيل عظيمة من خيل أهل الكوفة ممن كان المختار طردهم فقال دونكم ثأركم

فكانوا

فكانوا حيث انهزموا أشدّ عليهم من أهل البصرة لايدركون منهزما الا قتلوه ولا يأخذون أسيرا فيعفون عنه قال فلم ينج من ذلك الجيش الا طائفة من أصحاب الخيل وأما رجّالتهم فأبيدوا الا قليلا (قال أبو مخنف) حدثنى ابن عياش المَنْتُوف عن معاوية بن قرة المُزَنى قال انتهيت الى رجل منهم فأدخلت سنان الرمح فى عينه فأخذت أخضخض عينه بسنان رمحى فقلت له وفعلتَ به هذا قال نعم إنهم كانوا أحلّ عندنا دماء من الترك والديلم وكان معاوية بن قرة قاضيا لأهل البصرة ففى ذلك يقول الأعشى

ألا هل أتاكَ والأنباء تَنمى * بما لاقت بَجِيلةُ بالمذارِ
أُتيحَ لهم بها ضربٌ طِلَخْفٌ * وطعنٌ صائبٌ وَجهَ النهارِ
كأنّ سَحابَةً صَعِقَتْ عليهمْ * فَعَمَّتهُمْ هنالك بالدَّمارِ
فبشِّرْ شيعةَ المختارِ إما * مررتَ على الكُوَيْفَةِ بالصَّغارِ
أقرَّ العينَ صَرْعاهُمْ وفَلٌّ * لهم جمٌّ يُقتّلُ بالصحارى
وما ان سَرَّنى إهلاكُ قومى * وان كانوا وَجدِّكَ فى خيارِ
ولكنى سُرِرْتُ بما يُلاقى * أبو اسحاقَ مِنْ خزىٍ وعارِ

وأقبل المصعب حتى قطع من تلقاء واسط القصب ولم تك واسطُ هذه بُنيت حينئذ بعدُ فأخذ في كَسْكَرَ ثم حمل الرجال وأثقالهم وضعفاء الناس في السُفن فأخذوا فى نهر يقال له نهر خُرْشاذ ثم خرجوا من ذلك النهر الى نهر يقال له قُوسان ثم أخرجهم من ذلك النهر الى الفرات (قال أبو مخنف) وحدثنى فضيل بن خديج الكندى ان أهل البصرة كانوا يخرجون فيجرون سفنهم ويقولون

عَوَّدَنا المصعبُ جرَّ القلسِ * والزَّنبريَّاتِ الطوالِ القُعْسِ

قال فلما بلغ من مع المختار من تلك الأعاجم مالقى اخوانُهم مع ابن شميط قالوا بالفارسية اين بَارْدُرُوغ كُفْت يقولون هذه المرّة كَذَبَ (قال أبو مخنف) وحدثنى هشام بن عبد الرحمن الثقفى عن عبد الرحمن بن أبى عمير الثقفى قال والله انى لجالس عند المختار حين أتاه هزيمة القوم ومالقوا قال فأصغى الىّ فقال قتلت والله العبيد قتلة ما سمعت بمثلها قط ثم قال وقتل ابن شميط وابن كامل وفلان وفلان فسمى رجالا من العرب أصيبوا كان الرجل منهم في الحرب خيرا من فئام من الناس قال فقلت له فهذه والله مصيبة فقال لى مامن الموت بدّ ومامن ميتة أموتها أحبّ الىّ من مثل ميتة ابن شميط حبذا مصارعُ الكرام قال فعلمت ان الرجل قد حدّث نفسه ان لم يُصب حاجته أن يقاتل حتى يموت * ولما بلغ المختار انهم قد أقبلوا اليه في البحر وعلى الظهر سار حتى نزل بهم السَيْلَحِين ونظر الى مُجتمع الأنهار نهر

الحيرة ونهر السيلحين ونهر القادسية ونهر برسف فسكر الفرات على مجتمع الأنهار فذهب ماء الفرات كله في هذه الأنهار وبقيت سفن أهل البصرة في الطين فلما رأوا ذلك خرجوا من السفن يمشون وأقبلت خيلهم تركض حتى أتوا ذلك السكر فكسروه وصمدوا واصمد الكوفة * فلما رأى ذلك المختار أقبل اليهم حتى نزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة وقد كان حصّن قصره والمسجد وأدخل في قصره عدّة الحصار وجاء المصعب يسير اليه وهو بحروراء وقد استعمل على الكوفة عبد الله بن شداد وخرج اليه المختار وقد جعل على ميمنته سليم بن يزيد الكندى وجعل على ميسرته سعيد بن منقذ الهمدانى ثم الثورى وكان على شرطته يومئذ عبد الله بن قراد الخثعمى وبعث على الخيل عمر بن عبد الله النهدى وعلى الرجال مالك بن عمرو النهدى وجعل مصعب على ميمنته المهلب بن أبى صفرة وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر التيمى وعلى الخيل عباد بن الحصين الحبطى وعلى الرجال مقاتل بن مسمع البكرى ونزل هو يمشى متنكبا قوساله قال وجعل على أهل الكوفة محمد بن الاشعث فجاء محمد حتى نزل بين المصعب والمختار مغرّبا ميامنا قال فلما رأى ذلك المختار بعث الى كل خمس من اخماس أهل البصرة رجلا من أصحابه فبعث الى بكر بن وائل سعيد بن منقذ صاحب ميسرته وعليهم مالك بن مسمع البكرى وبعث الى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر عبد الرحمن بن شريح الشبامى وكان على بيت ماله وبعث الى أهل العالية وعليهم قيس بن الهيثم السلمى عبد الله بن جعدة القرشى ثم المخزومى وبعث الى الأزد وعليهم زياد بن عمرو العتكى مسافر بن سعيد بن نمران الناعطى وبعث الى بنى تميم وعليهم الأحنف بن قيس سليم بن يزيد الكندى وكان صاحب ميمنته وبعث الى محمد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعرى ووقف فى بقيّة أصحابه وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وحمل سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح على بكر بن وائل وعبد القيس وهم في الميسرة وعليهم عمر بن عبيد الله بن معمر فقاتلتهم ربيعة قتالا شديدا وصبروا لهم وأخذ سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شريح لا يقلعان اذا حمل واحد فانصرف حمل الآخر وربما حملا جميعا قال فبعث المصعب الى المهلب ماتنتظر ان تحمل على من بإزائك ألاترى مايلقى هذان الحيان منذ اليوم احمل بأصحابك فقال أى لعمرى ما كنت لأجزر الأزد وتميما خشية أهل الكوفة حتى أرى فرصتى قال وبعث المختار الى عبد الله ابن جعدة أن احمل على من بازائك فحمل على أهل العالية فكشفهم حتى انتهوا الى المصعب فجثا المصعب على ركبتيه ولم يكن فرّارا فرمى بأسهمه ونزل الناس عنده فقاتلوا ساعة ثم تحاجزوا قال وبعث المصعب الى المهلب وهو في خمسين جامّين كثيرى العدد والفرسان لا أبالك ماتنتظر أن تحمل على القوم فمكث غير بعيد ثم إنه قال لأصحابه قد قاتل الناس منذ

اليوم

اليوم وأنتم وقوف وقد أحسنوا وقد بقي ما عليكم احملوا واستعينوا بالله واصبر واحمل على من يليه حملة منكرة فحطموا أصحاب المختار حطمة منكرة فكشفوهم وقال عبد الله بن عمرو النهدي وكان من أصحاب صفين اللهم انى على ما كنت عليه ليلة الخميس بصفين اللهم انى أبرأ اليك من فعل هؤلاء لأصحابه حين انهزموا وأبرأ اليك من أنفس هؤلاء يعنى أصحاب المصعب ثم جالد بسيفه حتى قتل وأتى مالك بن عمرو أبو نمران النهدي وهو على الرجالة بفرسه فركبه وانقصف أصحاب المختار انقصافة شديدة كأنهم أجمة فيها حريق فقال مالك حين ركب ما أصنع بالركوب والله لأن أقتل ههنا أحب الى من أن أقتل فى بيتى أين أهل البصائر أين أهل الصبر فثاب اليه نحو من خمسين رجلا وذلك عند المساء فكر على أصحاب محمد بن الأشعث فقتل محمد بن الأشعث الى جانبه هو وعامة أصحابه فبعض الناس يقول هو قتل محمد بن الاشعث ووجد أبو نمران قتيلا الى جانبه وكندة تزعم ان عبد الملك بن أشاءة الكندي هو الذى قتله فلما مر المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلا قال يامعشر الأنصار كروا على الثعالب الرواغة فحملوا عليهم فقتل فخثعم تزعم ان عبد الله بن قراد هو الذى قتله (قال أبو مخنف) وسمعت عوف بن عمرو الجشمي يزعم ان مولى لهم قتله فادعى قتله أربعة نفر كلهم يزعم انه قتله وانكشف أصحاب سعيد بن منقذ فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلا فقتلوا وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلا من قومه وغيرهم ضارب حتى قتل وقاتل المختار على فم سكة شبث ونزل وهو يريد ان لا يبرح فقاتل عامة ليلته حتى انصرف عنه القوم وقتل معه ليلتئذ رجال من أصحابه من أهل الحفاظ منهم عاصم بن عبد الله الأزدي وعياش بن خازم الهمداني ثم الثوري وأحمر بن هديج الهمداني ثم الفايشي (قال أبو مخنف) حدثنا أبو الزبير ان همدان تنادوا ليلتئذ يامعشر همدان سيفوهم فقاتلوهم أشد القتال فلما ان تفرقوا عن المختار قال له أصحابه أيها الأمير قد ذهب القوم فانصرف الى منزلك الى القصر فقال المختار أما والله ما نزلت وأنا أريد ان آتى القصر فأما اذا انصرفوا فاركبوا بنا على اسم الله فجاء حتى دخل القصر فقال الأعشى فى قتل محمد بن الاشعث

تأوب عينك عوارها * وعاد لنفسك تذكارها
واحدى لياليك راجعتها * أرقت ونوم سمارها
وماذاقت العين طعم الرقا * د حتى تبلج إسفارها
وقام نعاة أبى قاسم * فأسبل بالدمع تحدارها
فحق العيون على ابن الأشج أن لا يفتر تقطارها
وألا تزال تبكى له * وتبتل بالدمع أشفارها
عليك محمد لما ثويت تبكى البلاد وأشجارها

ومايذكرونك إلا بكوا * اذا ذمة خانها جارها
وعارية من ليالى الشتا * ء لا يتمنح أيسارها
ولا ينبح الكلب فيها العقو * ر الا الهرير وتختارها
ولا ينفع الثوب فيها الفتى * ولا ربة الخدر تخدارها
فأنت محمد في مثلها * مهين الجزائر نحارها
تظل جفانك موضوعة * تسيل من الشحم أصبارها
ومافى سقائك مستنطق * اذا الشول روح أغبارها
فياواهب الوصفاء الصبا * ح إن شبرت ثم أشبارها
وياواهب الجرد مثل القدا * ح قد يعجب الصف شوارها
وياواهب البكرات الهجا * ن عوذا تجاوب أبكارها
وكنت كدجلة اذ ترتمى * فيقذف في البحر تيارها
وكنت جليدا وذا مرة * اذا يبتغى منك إمرارها
وكنت إذا بلدة أصفقت * وآذن بالحرب جبارها
بعثت عليها ذواكى العيو * ن حتى تواصل أخبارها
باذن من الله والخيل قد * أعد لذلك مضمارها
وقد تطعم الخيل منك الوجيف حتى تنبذ أمهارها
وقد تعلم البازل العيسجو * ر أنك بالخبت حسارها
فيا أسفى يوم لاقيتهم * وخانت رجالك فرارها
وأقبلت الخيل مهزومة * عثارا تضرب أدبارها
بشط حروراء واستجمعت * عليك الموالى وسحارها
فأخطرت نفسك من دونهم * فحاز الرزيئة أخطارها
فلا تبعدن أباقاسم * فقد يبلغ النفس مقدارها
وأفنى الحوادث ساداتنا * ومر الليالى وتكرارها

(قال هشام) قال أبي كان السائب أتى مع مصعب بن الزبير فقتله ورقاء النخعى من وهبيل فقال ورقاء

من مبلغ عنى عبيدا بأننى * علوت أخاه بالحسام المهند
فان كنت تبغى العلم عنه فانه * صريع لدى الديرين غير موسد

وعمداً علوت الرأس منه بصارم * فأثكلته سفيان بعد محمد

(قال هشام) عن أبي مخنف قال حدثني حصيرة بن عبد الله ان هند بنت المتكلفة الناعطية كان يجتمع اليها كل غالٍ من الشيعة فيتحدث في بيتها وفي بيت ليلى بنت قمامة المزنية وكان أخوها رفاعة بن قمامة من شيعة علي وكان مقتصداً فكانت لا تحبه فكان أبو عبد الله الجدلي ويزيد بن شراحيل قد أخبرا ابن الحنفية خبر هاتين المرأتين وغلوهما وخبر أبي الأحراس المرادي والبطين الليثي وأبي الحارث الكندي (قال هشام) عن أبي مخنف قال حدثني يحيى بن أبي عيسى قال فكان ابن الحنفية قد كتب مع يزيد بن شراحيل الى الشيعة بالكوفة يحذرهم هؤلاء فكتب اليهم من محمد بن علي الى من بالكوفة من شيعتنا أما بعد فاخرجوا الى المجالس والمساجد فاذكروا الله علانية وسراً ولا تتخذوا من دون المؤمنين بطانة فإن خشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذابين وأكثروا الصلاة والصيام والدعاء فانه ليس أحد من الخلق يملك لأحد ضراً ولا نفعاً الا ما شاء الله وكل نفس بما كسبت رهينة ولا تزر وازرة وزر أخرى والله قائم على كل نفس بما كسبت فاعملوا صالحا وقدموا لأنفسكم حسنا ولا تكونوا من الغافلين والسلام عليكم (قال أبو مخنف) فحدثني حصيرة بن عبد الله ان عبد الله بن نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة حين خرج الناس الى حروراء وهو يقول يوم الأربعاء ترفعت السماء ونزل القضاء بهزيمة الأعداء فاخرجوا على اسم الله الى حروراء فخرج فلما التقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة ورجع الناس منهزمين ولقيه عبد الله بن شريك النهدي وقد سمع مقالته فقال له ألم تزعم لنا يا ابن نوف انا سنهزمهم قال أوما قرأت في كتاب الله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من أهل البصرة ومن خرج اليه من أهل الكوفة فأخذ بهم نحو السبخة فمر بالمهلب فقال له المهلب يا له فتحا ما أهنأه لولم يكن محمد بن الأشعث قتل قال صدقت فرحم الله محمداً ثم سار غير بعيد ثم قال يا مهلب قال لبيك أيها الأمير قال هل علمت ان عبيد الله بن علي بن أبي طالب قد قتل قال انا لله وانا اليه راجعون قال المصعب اما انه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ثم لا نجعل أنفسنا أحق بشيء مما نحن فيه منه أتدري من قتله قال لا قال انما قتله من يزعم انه لأبيه شيعة اما انهم قد قتلوه وهم يعرفونه قال ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة وبعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فنزل الكناسة وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم الى جبانة السبيع وقد كان قال لعبد الرحمن بن مخنف ما كنت صنعت فيما كنت وكلتك به قال أصلحك الله وجدت الناس صنفين اما من كان له فيك هوى فخرج اليك وأما من كان يرى رأى

المختار فلم يكن ليدعه ولا ليؤثر أحداً عليه فلم أبرح بيتي حتى قدمت قال صدقت وبعث عباد بن الحصين الى جبانة كندة فكل هؤلاء كان يقطع عن المختار وأصحابه الماء والمادة وهم في قصر المختار وبعث زحر بن قيس الى جبانة مراد وبعث عبيد الله بن الحر الى جبانة الصائديين (قال أبو مخنف) وحدثني فضيل بن خديج قال لقد رأيت عبيد الله بن الحر وانه ليطارد أصحاب خيل المختار يقاتلهم في جبانة الصائديين ولربما رأيت خيلهم تطردُ خيله وإنه لوراء خيله يحميها حتى ينتهي الى دار عكرمة ثم يكر راجعا هو وخيله فيطردهم حتى يلحقهم بجبانة الصائديين ولربما رأيت خيل عبيد الله قد أخذت السقاء والسقاءين فيضربون وانما كانوا يأتونهم بالماء أنهم كانوا يعطونهم بالراوية الدينار والدينارين لما أصابهم من الجهد وكان المختار ربما خرج هو وأصحابه فقاتلوا قتالا ضعيفا ولا نكاية لهم وكانت لاتخرج له خيل الا رُميت بالحجارة من فوق البيوت ويُصب عليهم الماء القذر واجترأ عليهم الناس فكانت معايشهم أفضلها من نسائهم فكانت المرأة تخرج من منزلها معها الطعام واللطف والماء قد التحفت عليه فتخرج كأنما تريد المسجد الأعظم للصلاة وكأنها تأتي أهلها وتزور ذات قرابة لها فاذا دنت من القصر فتح لها فدخلت على زوجها وحميمها بطعامه وشرابه ولَطَفه وان ذلك بلغ المصعب وأصحابه فقال له المهلب وكان مجربا اجعل عليهم دروبا حتى تمنع من يأتيهم من أهليهم وأبنائهم وتدعهم في حصنهم حتى يموتوا فيه وكان القوم اذا اشتد عليهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر ثم أمر لهم المختار بعسل فصُب فيه ليغير طعمه فيشربوا منه فكان ذلك أيضا مما يروى أكثرهم ثم ان مصعبا أمر أصحابه فاقتربوا من القصر فجاء عبّاد بن الحصين الحبطي حتى نزل عند مسجد جهينة وكان ربما تقدم حتى ينتهي الى مسجد بني مخزوم وحتى يرمي أصحابه من أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر وكان لا يلقى امرأة قريبا من القصر الا قال لها من أنت ومن أين جئت وما تريدين فأخذ في يوم ثلاث نسوة للشباميين وشاكر أتين أزواجهن في القصر فبعث بهن الى مصعب وان الطعام لمعهن فردّهن مصعب ولم يعرض لهن وبعث زحر بن قيس فنزل عند الحدادين حيث تُكرى الدواب وبعث عبيد الله بن الحر فكان موقفه عند دار بلال وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند فم سكة بني جذيمة بن مالك من بني أسد بن خزيمة وجاء المهلب يسير حتى نزل جهار سُوج خنيس وجاء عبد الرحمن بن مخنف من قبل دار السقاية وابتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة أغمار ليس لهم علم بالحرب فأخذوا يصيحون وليس لهم أمير يا ابن دومة يا ابن دومة فأشرف عليهم المختار فقال أما والله لو ان الذي يعيّرني بدومة كان من القريتين عظيما ما عيّرني بها وبصُر بهم وبتفرقهم وهيئتهم وانتشارهم فطمع فيهم فقال لطائفة من أصحابه

اخرجوا

اخر جوامعي فخرج معه منهم نحوٌ من مائتي رجل فكرّ عليهم فشدخ نحوا من مائة وهزمهم فركب بعضهم بعضا وأخذوا على دار فُرات بن حيان العجلي ثم ان رجلا من بني ضبة من أهل البصرة يقال له يحيى بن ضَمضَم كانت رجلاه تكادان تخُطّان الارض اذا ركب من طوله وكان أقتل شيء للرجال وأهيبَهُ عندهم اذا رأوه فأخذ يحمل على أصحاب المختار فلا يثبت له رجل صمد صمده و بصُر به المختار فحمل عليه فضربه ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه وخرّ ميتا ثم ان تلك الامراء وتلك الرؤس أقبلوا من كل جانب فلم تكن لاصحابه بهم طاقة فدخلوا القصر فكانوا فيه فاشتد عليهم الحصار فقال لهم المختار ويحكم ان الحصار لا يزيدكم الا ضعفا انزلوا بنا فلنقاتل حتى نُقتل كراما ان نحن قُتلنا والله ما أنا بآيس ان صدقتموهم أن ينصركم الله فضعُفوا وعجزوا فقال لهم المختار أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا أحكّمهم في نفسي ولما رأى عبد الله بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب ما يريد المختار تدلّى من القصر بحبل فلحق بأناس من اخوانه فاختبى عندهم ثم ان المختار أزمع بالخروج الى القوم حين رأى من أصحابه الضعف ورأى ما بأصحابه من الفشل فأرسل الى امرأته أم ثابت بنت سَمُرة بن جندب الفزاري فأرسلتْ اليه بطِيب كثير فاغتسل وتحنّط ثم وضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته ثم خرج في تسعة عشر رجلا فيهم السائب بن مالك الاشعري وكان خليفته على الكوفة اذا خرج الى المدائن وكانت تحته عَمْرةُ بنت أبي موسى الاشعري فولدت له غلاما فسماه محمدا فكان مع أبيه في القصر فلما قُتل أبوه وأخذ من في القصر وُجد صبيا فترك ولما خرج المختار من القصر قال للسائب ماذا ترى قال الرأي لك فماذا ترى قال أنا أرى أم الله يرى قال بل الله يرى قال ويحك أحمق أنت انما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ورأيت نجدة انتزى على اليمامة ومروان على الشأم فلم أكن دون أحد من رجال العرب فأخذتُ هذه البلاد فكنت كأحدهم الا اني قد طلبت بثأر أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اذ نامت عنه العرب فقتلت من شرك في دمائهم وبالغت في ذلك الى يومي هذا فقاتل على حسبك ان لم تكن لك نيّة فقال إنا لله وإنا اليه راجعون وما كنت أصنع أن أقاتل على حسبي فقال المختار عند ذلك يتمثل بقول غَيْلان بن سلمة بن مُعَتِّب الثقفي

ولو يَراني أبو غيلانَ اذ حَسَرَت * عني الهمومُ بأمرٍ ماله طَبَقُ
لقال رُهبًا ورُعبًا يُجمَعان معًا * غُنْمُ الحياة وهول النفس والشَّفَقُ
إما تُسِفّ على مجدٍ ومكرمةٍ * أو إسوةٌ لك فيمَن تُهلِكُ الوَرَقُ

فخرج في تسعة عشر رجلا فقال لهم أتؤمنوني وأخرج اليكم فقالوا الا على الحكم فقال لا أحكّمكم في نفسي أبدا فضارب بسيفه حتى قتل وقد كان قال لاصحابه حين أبوا أن يتابعوه على الخروج معه اذا أنا خرجت اليهم فقتلت لم تزدادوا الا ضعفا وذلّا فان نزلتم على حكمهم وثب

أعداؤكم الذين قدوترتموهم فقال كل رجل منهم لبعضكم هذا عنده ثارى فيقتل وبعضكم ينظر الى مصارع بعض فتقولون ياليتنا أطعنا المختار وعملنا برأيه ولوانكم خرجتم معى كنتم ان أخطأتم الظفر متم كراما وان هرب منكم هارب فدخل في عشيرته اشتملت عليه عشيرته أنتم غدا هذه الساعة أذلّ من على ظهر الارض فكان كما قال قال وزعم الناس ان المختار قتل عند موضع الزياتين اليوم قتله رجلان من بنى حنيفة اخوان يدعى أحدهما طرفة والآخر طرّافا ابنا عبد الله بن دجاجة من بنى حنيفة ولما كان من الغد من قتل المختار قال بجير ابن عبد الله المسلى ياقوم قد كان صاحبكم أمس أشار عليكم بالرأى لو أطعتموه ياقوم انكم ان نزلتم على حكم القوم ذبحتم كما تذبح الغنم أخرجوا بأسيافكم فقاتلوا حتى تموتوا كراما فعصوه وقالوا القد أمرنا بهذا من كان أطوع عندنا وأنصح لنا منك فعصيناه أفنحن نطيعك فأمكن القوم من أنفسهم ونزلوا على الحكم فبعث اليهم مصعب عبّاد بن الحصين الحبطى فكان هو يخرجهم مكتفين وأوصى عبد الله بن شداد الجشمى الى عباد بن الحصين وطلب عبد الله بن قراد عصا أو حديدة أو شيأ يقاتل به فلم يجده وذلك ان الندامة أدركته بعد ما دخلوا عليه فأخذوا سيفه وأخرجوه مكتوفا فمرّ به عبد الرحمن وهو يقول

ما كنتُ أخشى أن أرى أسيرا * ان الذين خالفوا الاميرا
قد رغموا وتُبّروا تتبيرا

فقال عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث علىّ بذا قدّموه الى اضرب عنقه فقال له أما انى على دين جدك الذى آمن ثم كفر ان لم أكن ضربت أباك بسيفى حتى فاظ فنزل ثم قال أدنوه منى فأدنوه منه فقتله فغضب عباد فقال قتلته ولم تؤمر بقتله ومرّ بعبد الله بن شداد الجشمى وكان شريفا فطلب عبد الرحمن الى عباد أن يحبسه حتى يكلم فيه الامير فأتى مصعبا فقال انى أحب أن تدفع الىّ عبد الله بن شداد فأقتله فانه من الثأر فأمر له به فلما جاءه أخذه فضرب عنقه فكان عباد يقول أما والله لو علمت انك انما تريد قتله لدفعته الى غيرك فقتله ولكنى حسبت انك تكلمه فيه فتخلى سبيله وأتى بابن عبد الله بن شداد واذا اسمه شداد وهو رجل محتلم وقد اطّلى بنورة فقال اكشفوا عنه هل أدرك فقالوا لا انما هو غلام فخلوا سبيله وكان الاسود بن سعيد قد طلب الى مصعب أن يعرض على أخيه الامان فان نزل تركه له فأتاه فعرض عليه الامان فأبى أن ينزل وقال أموت مع أصحابى أحبّ الىّ من حياة معكم وكان يقال له قيس فأخرج فقتل فيمن قتل وقال بجير بن عبد الله المسلى ويقال كان مولى لهم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناس كثير فقال له المسلى الحمد لله الذى ابتلانا بالإسار وابتلاك بأن تعفو عنا وهما منزلتان احداهما رضى الله والاخرى سخطه من عفا عفا الله عنه وزاده عزّا ومن عاقب لم يأمن القصاص يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم ولسنا تركا ولا ديلما

فان خالفنا اخواننا من أهل مصرنا فإما أن نكون أصبنا وأخطؤا وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقتتلنا كما اقتتل أهل الشام بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اجتمعوا وكما اقتتل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتتلوا ثم اصطلحوا واجتمعوا وقد ملكتم فأسجحوا وقد قدرتم فاعفوا فما زال بهذا القول ونحوه حتى رق لهم الناس ورق لهم مصعب وأراد أن يخلى سبيلهم فقام عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال تخلى سبيلهم اخترنا يا ابن الزبير أو اخترهم ووثب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى فقال قتل أبى وخمسمائة من همدان وأشراف العشيرة وأهل المصر ثم تخلى سبيلهم ودماؤنا ترقرق فى أجوافهم اخترنا أو اخترهم ووثب كل قوم وأهل بيت كان أصيب منهم رجل فقالوا نحواً من هذا القول فلما رأى مصعب ابن الزبير ذلك أمر بقتلهم فنادوه بأجمعهم يا ابن الزبير لا تقتلنا اجعلنا مقدمتك الى أهل الشام غدا فوالله ما بك ولا بأصحابك عنا غدا غنى اذا لقيتم عدوكم فان قتلنا لم نقتل حتى نرقهم لكم وان ظفرنا بهم كان ذلك لك ولمن معك فأبى عليهم وتبع رضى العامة فقال بجير المسلى ان حاجتى اليك أن لا أقتل مع هؤلاء انى أمرتهم أن يخرجوا بأسيافهم فيقاتلوا حتى يموتوا كراما فعصونى فقدم فقتل (قال أبو مخنف) وحدثنى أبى قال حدثنى أبو روق ان مسافر بن سعيد بن نمران قال لمصعب بن الزبير يا ابن الزبير ما تقول لله اذا قدمت عليه وقد قتلت أمة من المسلمين صبرا حكموك فى دمائهم فكان الحق فى دمائهم أن لا تقتل نفسا مسلمة بغير نفس مسلمة فان كنا قتلنا عدة رجال منكم فاقتلوا عدة من قتلنا منكم وخلوا سبيل بقيتنا وفينا الآن رجال كثير لم يشهدوا موطنا من حربنا وحربكم يوما واحدا كانوا فى الجبال والسواد يجبون الخراج ويؤمنون السبيل فلم يستمع له فقال قبح الله قوما أمرتهم أن يخرجوا اليلا على حرس سكة من هذه السكك فنطردهم ثم نلحق بعشائرنا فعصونى حتى حملونى على ان أعطيت التى هى أنقص وأدنى وأوضع وأبوا أن يموتوا الا ميتة العبيد فأنا أسألك أن لا تخلط دمى بدمائهم فقدم فقتل ناحية ثم ان المصعب أمر بكف المختار فقطعت ثم سمرت بمسمار حديد الى جنب المسجد فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف فنظر اليها فقال ما هذه قالوا كف المختار فأمر بنزعها وبعث مصعب عماله على الجبال والسواد ثم انه كتب الى ابن الاشتر يدعوه الى طاعته ويقول له ان أنت أجبتنى ودخلت فى طاعتى فلك الشام وأعنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان وكتب عبد الملك بن مروان من الشام اليه يدعوه الى طاعته ويقول ان أنت أجبتنى ودخلت فى طاعتى فلك العراق فدعا ابراهيم أصحابه فقال ما ترون فقال بعضهم تدخل فى طاعة عبد الملك وقال بعضهم تدخل مع ابن الزبير فى طاعته فقال ابن الاشتر ذاك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبعت عبد الملك مع انى لا أحب أن أختار على أهل مصرى مصرا ولا على عشيرتى عشيرة فكتب الى مصعب فكتب اليه

مصعبُ أن أقبل فأقبل اليه بالطاعة (قال أبو مخنف) حدثني أبو جناب الكلبي ان كتاب مصعب قدم على ابن الاشتر وفيه أما بعد فان الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر وكادوا بالسحر وانّا ندعوك الى كتاب الله وسنة نبيه والى بيعة أمير المؤمنين فان أجبت الى ذلك فأقبل اليَّ فان لك أرض الجزيرة وأرض المغرب كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد والسلام وكتب اليه عبد الملك بن مروان أما بعد فان آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى ونازعوا الامر أهله وألحدوا في بيت الله الحرام والله ممكن منهم وجاعل دائرة السوء عليهم وانى أدعوك الى الله والى سنة نبيه فان قبلت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيتَ وبقيتُ لك عليّ بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه قال فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب واستشارهم في الرأى فقائل يقول عبد الملك وقائل يقول ابن الزبير فقال لهم ورأيي اتباع أهل الشأم كيف لى بذلك ولكن ليس قبيلة تسكن الشأم الا وقد وترتها ولست بتارك عشيرتى وأهل مصرى فأقبل الى مصعب فلما بلغ مصعبا إقباله بعث المهلب الى عمله وهى السنة التى نزل المهلب على الفرات (قال أبو مخنف) حدثني أبو علقمة الخثعمى ان المصعب بعث الى أم ثابت بنت سَمُرة بن جندب امرأة المختار والى عَمْرة بنت النعمان بن بشير الانصارى وهى امرأة المختار فقال لهما ما تقولان فى المختار فقالت أم ثابت ما عسينا أن نقول ما نقول فيه الا ما تقولون فيه أنتم فقالوا لها اذهبى وأما عمرة فقالت رحمة الله عليه ان كان عبدا من عباد الله الصالحين فرفعها مصعب الى السجن وكتب فيها الى عبد الله بن الزبير انها تزعم انه نبى فكتب اليه أن أخرِجْها فاقتلها فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة فضربها مطرٌ ثلاث ضربات بالسيف ومطر تابع لآل قفل من بنى تيم الله بن ثعلبة كان يكون مع الشرط فقالت يا أبتاه يا أهلاه يا عشيرتاه فسمع بها بعض الانصار وهو أبان بن النعمان بن بشير فأتاه فلطمه وقال له يا ابن الزانية قطعتَ نفسها قطع الله يمينك فلزمه حتى رفعه الى مصعب فقال ان أمى مسلمةٌ وادّعى شهادة بنى قفل فلم يشهد له أحد فقال مصعب خلوا سبيل الفتى فانه رأى أمرا فظيعا فقال عمر بن أبى ربيعة القرشى فى قتل مصعب عَمْرة بنت النعمان بن بشير

ان من أعْجَبِ العجائب عندى * قَتْلَ بيضاء حُرَّةٍ عطبول

قُتلَتْ هكذا على غير جُرْمٍ * انّ لله درَّها من قتيلِ

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا * وعلى المحصنات جرُّ الذيولِ

(قال أبو مخنف) وحدثنى محمد بن يوسف ان مصعبا لقى عبد الله بن عمر فسلم عليه وقال له أنا ابن أخيك مصعب فقال له ابن عمر نعم أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة فى غداة واحدة عِشْ ما استطعت فقال مصعب انهم كانوا كفرة سحرة فقال ابن عمر والله لو قتلت

عدتهم

عدّتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفا فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك

أتى راكبٌ بالامر ذى النبإ العجبْ * بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسبْ
بقتل فتاة ذات دلٍّ ستيرةٍ * مهذّبة الاخلاق والخيم والنسبْ
مطهّرة من نسل قوم أكارم * من المؤثرين الخير في سالف الحقبْ
خليلُ النبيّ المصطفى ونصيرُهُ * وصاحبه في الحرب والنكب والكربْ
أتانى بأن الملحدين توافقوا * على قتلها لا جنّبوا القتلَ والسّلبْ
فلا هنأتْ آلَ الزبير معيشةٌ * وذاقوا لباس الذلّ والخوف والحربْ
كأنهمُ اذ أبرزوها وقطّعتْ * بأسيافهم فازوا بمملكة العربْ
ألم تعجبِ الاقوامُ من قتل حرّةٍ * من المحصنات الدين محمودة الادبْ
من الغافلات المؤمنات بريئة * من الذمّ والبهتان والشك والكذبْ
علينا كتابُ القتلِ والبأسِ واجبٌ * وهنّ العفافُ في الحجال وفي الحجبْ
على دين أجداد لها وأبوّة * كرام مضت لم تخز أهلا ولم ترِبْ
من الخفرات لاخروج بذيّة * ملايمة تبغى على جارها الجنبْ
ولا الجار ذى القربى ولم تدرِ ما الخنا * ولم تزدلفْ يوما بسوء ولم تحبْ
عجبتُ لها اذ كفّنتْ وهْى حيةٌ * ألا انّ هذا الخطب من أعجبِ العجبْ

حدثت عن علىّ بن حرب الموصلىّ قال حدثنى ابراهيم بن سليمان الحنفى ابن أخى أبى الاحوص قال حدثنا محمد بن أبان عن علقمة بن مرثد عن سويد بن غفلة قال بينا أنا أسير بظهر النجف اذ لحقنى رجل فطعننى بمخصرة من خلفى فالتفت اليه فقال ما قولك فى الشيخ قلت أى الشيوخ قال علىّ بن أبى طالب قلت إنى أشهدانى أحبّه بسمعى وبصرى وقلبى ولسانى قال وأنا أشهدك انى أبغضه بسمعى وبصرى وقلبى ولسانى فسرنا حتى دخلنا الكوفة فافترقنا فمكث بعد ذلك سنين أوقال زمانا قال ثم انى لفى المسجد الاعظم اذ دخل رجل معتمّ يتصفّح وجوه الخلق فلم يزل ينظر فلم ير لحى أحمق من لحى همدان فجلس اليهم فتحوّلتُ فجلست معهم فقالوا من أين أقبلت قال من عند أهل بيت نبيكم قالوا فاذا جئتنا به قال ليس هذا موضع ذلك فوعدهم من الغد موعدا فغدا وغدوتُ فاذ قد أخرج كتابا معه فى أسفله طابع من رصاص فدفعه الى غلام فقال له يا غلام اقرأه وكان أميّا لا يكتب فقال الغلام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب للمختار بن أبى عبيد كتبه له وصىّ آل محمد أما بعد فكذا وكذا فاستفرغ القومُ البكاء فقال يا غلام ارفع كتابك حتى يفيق القوم قلتُ معاشر همدان أنا أشهد

بالله لقد أدركنى هذا بظهر النجف فقصصت عليهم قصته فقالوا أبيتَ والله الا تثبيطا عن آل محمد وتزيينا النعثل شقّاق المصاحف قال قلت معاشر همدان لا أحدثكم الا ما سمعته أذناى ووعاه قلبى من علىّ بن أبى طالب عليه السلام سمعته يقول لا تسمّوا عثمان شقّاق المصاحف فوالله ما شققها الا عن ملإ منا أصحاب محمد ولو وليتها لعملت فيها مثل الذى عمل قالوا الله أنت سمعت هذا من علىّ قلت والله لأنا سمعته منه قال فتفرقوا عنه فعند ذلك مال الى العبيد واستعان بهم وصنع ما صنع ﴿قال أبو جعفر﴾ واقتص الواقدىّ من خبر المختار بن أبى عبيد بعض ما ذكرنا فخالف فيه من ذكرنا خبره فزعم ان المختار انما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدوم مصعب البصرة وان مصعبا لما سار اليه فبلغه مسيره اليه بعث اليه أحمر بن شميط البجلى وأمره أن يواقعه بالمذار وقال ان الفتح بالمذار قال وانما قال ذلك المختار لانه قيل ان رجلا من ثقيف يُفتح عليه بالمذار فتح عظيم فظن انه هو وانما كان ذلك للحجاج بن يوسف فى قتاله عبد الرحمن بن الاشعث وأمر مصعب صاحب مقدمته عبّادا الحبطى أن يسير الى جمع المختار فتقدم وتقدم معه عبيد الله بن علىّ بن أبى طالب ونزل مصعب نهر البصريين على شط الفرات وحفر هنالك نهرا فسُمّى نهر البصريين من أجل ذلك قال وخرج المختار فى عشرين ألفا حتى وقف بإزائهم وزحف مصعب ومن معه فوافوه مع الليل على تعبية فأرسل الى أصحابه حين أمسى لا يبرحنّ أحدٌ منكم موقفه حتى يسمع مناديا ينادى يا محمد فاذا سمعتموه فاحملوا فقال رجل من القوم من أصحاب المختار هذا والله كذاب على الله وانحاز ومن معه الى المصعب فأمهل المختار حتى اذا طلع القمر أمر مناديا فنادى يا محمد ثم حملوا على مصعب وأصحابه فهزموهم فأدخلوه عسكره فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد واذا أصحابه قد وغلوا فى أصحاب مصعب فانصرف المختار منهزما حتى دخل قصر الكوفة فجاء أصحاب المختار حين أصبحوا فوقفوا مليًّا فلم يروا المختار فقالوا قد قتل فهرب منهم من أطاق الهرب واختفوا فى دور الكوفة وتوجه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يجدوا من يقاتل بهم ووجدوا المختار فى القصر فدخلوا معه وكان أصحاب المختار قتلوا فى تلك الليلة من أصحاب مصعب بشرا كثيرا فيهم محمد بن الاشعث وأقبل مصعب حين أصبح حتى أحاط بالقصر فأقام مصعب يحاصره أربعة أشهر يخرج اليهم المختار فى كل يوم فيقاتلهم فى سوق الكوفة من وجه واحد ولا يقدر عليه حتى قتل المختار فلما قتل المختار بعث من فى القصر يطلب الامان فأبى مصعب حتى نزلوا على حكمه فلما نزلوا على حكمه قتل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم قال فلما خرجوا أراد مصعب أن يقتل العجم ويترك العرب فكلمه من معه فقالوا أىُّ دين هذا وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحد فقدّمهم فضرب أعناقهم ﴿قال أبو جعفر﴾ وحدثنى عمر بن شبة قال حدثنا علىّ بن محمد قال

لما قتل المختار شاور مصعب أصحابه فى المحصورين الذين نزلوا على حكمه فقال عبد الرحمن ابن محمد بن الاشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشباههم ممن وترهم المختار اقتلهم وضجت ضبة وقالوا دم منذر بن حسان فقال عبيد الله بن الحر أيها الامير ادفع كل رجل فى يديك الى عشيرته تمن عليهم بهم فانهم ان كانوا قتلونا فقد قتلناهم ولا غنى بنا عنهم فى ثغورنا وادفع عبيدنا الذين فى يديك الى مواليهم فانهم لأيتامنا وأراملنا وضعفائنا يردونهم الى أعمالهم واقتل هؤلاء الموالى فانهم قد بدا كفرهم وعظم كبرهم وقل شكرهم فضحك مصعب وقال للاحنف ما ترى يا أبا بحر قال قد أرادنى زياد فعصيته يعرض بهم فأمر مصعب بالقوم جميعا فقتلوا وكانوا ستة آلاف فقال عقبة الاسدى

قتلتم ستة الآلاف صبرا * مع العهد الموثق مكتفينا
جعلتم ذمة الحبطى جسرا * ذلولا ظهره للواطئينا
وما كانوا غداة دعوا فغروا * بعهدهم بأول خائنينا
وكنت أمرتهم لو طاوعونى * بضرب فى الازقة مصلتينا

وقتل المختار فيما قيل وهو ابن سبع وستين سنة لاربع عشرة خلت من شهر رمضان فى سنة ٦٧ فلما فرغ مصعب من أمر المختار وأصحابه وصار اليه ابراهيم بن الاشتر وجه المهلب بن أبى صفرة على الموصل والجزيرة وآذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة وبعث بابنه حمزة بن عبد الله اليها فاختلف فى سبب عزله اياه عنها وكيف كان الامر فى ذلك فقال بعضهم فى ذلك ما حدثنى به عمر * قال حدثنى على بن محمد قال لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها الى المختار واستخلف على البصرة عبيد الله بن عبيد الله بن معمر فقتل المختار ثم وفد الى عبد الله بن الزبير فعزله وحبسه عنده واعتذر اليه من عزله وقال والله انى لأعلم انك أحرى وأكفى من حمزة ولكنى رأيت فيه رأى عثمان فى عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الاشعرى وولاه ﴿وحدثنى﴾ عمر قال حدثنى على بن محمد قال قدم حمزة البصرة واليا وكان جوادا سخيا مخلطا يجود أحيانا حتى لا يدع شيأ يملكه ويمنع أحيانا ما لا يمنع مثله فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف فيقال انه ركب يوما الى فيض البصرة فلما رآه قال ان هذا الغدير ان رفقوا به ليكفينهم صيفهم فلما كان بعد ذلك ركب اليه فوافقه جازرا فقال قد رأيت هذا ذات يوم وظننت أن لن يكفيهم فقال له الاحنف ان هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا وشخص الى الاهواز فلما رأى جبلها قال هذا قعيقعان لموضع بمكة فسمى الجبل قعيقعان وبعث الى مردانشاه فاستحثه بالخراج فأبطأ به فقام اليه بسيفه فضربه فقتله فقال الاحنف ما أحد سيف الامير ﴿حدثنى عمر﴾ قال حدثنى على ابن محمد قال لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر وهم بعبد العزيز بن بشر أن يضربه

كتب الاحنف الى ابن الزبير بذلك وسأله أن يعيد مصعبا قال وحمزة الذى عقد لعبد الله بن عمير الليثى على قتال النجدية بالبحرين ﴿ حدثنى عمر قال حدثنا على بن محمد قال لما عزل ابن الزبير حمزة احتمل مالا كثيرا من مال البصرة فعرض له مالك بن مسمع فقال لا ندعك تخرج بأعطياتنا فضمن له عبيد الله بن عبيد بن معمر العطاء فكف وشخص حمزة بالمال فترك أباه وأتى المدينة فأودع ذلك المال رجالا فذهبوا به الا يهوديا كان أودعه فوفى له وعلم ابن الزبير بما صنع فقال أبعده الله أردت أن أباهى به بنى مروان فنكص (وأما هشام) ابن محمد فانه ذكر عن أبى مخنف فى أمر مصعب وعزل أخيه اياه عن البصرة ورده اياه اليها غير هذه القصة والذى ذكر من ذلك عنه فى سياق خبر حدثت به عنه عن أبى المخارق الراسبى ان مصعبا لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولا عن البصرة عزله عنها عبد الله وبعث ابنه حمزة فمكث بذلك سنة ثم انه وفد على أخيه عبد الله بمكة فرده على البصرة وقيل ان مصعبا لما فرغ من أمر المختار انصرف الى البصرة وولى الكوفة الحارث بن عبد الله ابن أبى ربيعة قال وقال محمد بن عمر لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله على الكوفة مصعب وقد ذكرت اختلاف أهل السير فى العامل على البصرة وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة ابن مسعود وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وبالشأم عبد الملك بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمى

## ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الامور الجليلة﴾

فمن ذلك ما كان من رد عبد الله أخاه مصعبا الى العراق أميرا وقد ذكرنا السبب فى رد عبد الله أخاه مصعبا الى العراق أميرا بعد عزله اياه ولما رده عليها أميرا بعث مصعب الحارث بن أبى ربيعة على الكوفة أميرا وذلك انه بدأ بالبصرة مرجعه الى العراق أميرا بعد العزل فصار اليها ﴿وفى هذه السنة﴾ كان مرجع الازارقة من فارس الى العراق حتى صاروا الى قرب الكوفة ودخلوا المدائن

### ﴿ذكر الخبر عن أمرهم ومسيرهم ومرجعهم الى العراق﴾

ذكر هشام عن أبى مخنف قال حدثنى أبو المخارق الراسبى ان مصعبا وجه عمر بن عبيد الله بن معمر على فارس أميرا وكانت الازارقة لحقت بفارس وكرمان ونواحى اصبهان بعد ما أوقع بهم المهلب بالاهواز فلما شخص المهلب عن ذلك الوجه ووجه الى الموصل ونواحيها عاملا عليها وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارس انحطت الازارقة مع الزبير بن الماحوز على عمر بن عبيد الله بفارس فلقيهم بسابور فقاتلهم قتالا شديدا ثم انه ظفر بهم ظفرا بينا غير انه لم يكن

بينهم كثير قتلى وذهبوا كانهم على حامية وقد تركوا على ذلك المعركة (قال أبو مخنف) فحدثنى شيخ للحى بالبصرة قال انى لاسمع قراءة كتاب عمر بن عبيد الله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى أخبر الامير أصلحه الله انى لقيت الازارقة التى مرقت من الدين واتبعت أهواءها بغير هدى من الله فقاتلتهم بالمسلمين ساعة من النهار أشد القتال ثم ان الله ضرب وجوههم وأدبارهم ومنحنا أكتافهم فقتل الله منهم من خاب وخسر وكل الى خسران فكتبت الى الامير كتابى هذا وأنا على ظهر فرسى في طلب القوم أرجو أن يجذهم الله ان شاء الله والسلام ثم انه تبعهم ومضوا من فورهم ذلك حتى نزلوا اصطخر فسار اليهم حتى لقيهم على قنطرة طمستان فقاتلهم قتالا شديدا وقتل ابنه ثم انه ظفر بهم فقطعوا قنطرة طمستان وارتفعوا الى نحو من اصبهان وكرمان فأقاموا بها حتى اجتبروا وقووا واستعدوا وكثروا ثم انهم أقبلوا حتى مروا بفارس وبها عمر بن عبيد الله بن معمر فقطعوا أرضه من غير الوجه الذى كان فيه أخذوا على سابور ثم خرجوا على أرجان فلما رأى عمر بن عبيد الله أن قد قطعت الخوارج أرضه متوجهة الى البصرة خشى أن لا يحتملها له مصعب بن الزبير فشمر فى آثارهم مسرعا حتى أتى أرجان فوجدهم حين خرجوا منها متوجهين قبل الاهواز وبلغ مصعبا اقبالهم فخرج فعسكر بالناس بالجسر الاكبر وقال والله ما أدرى ما الذى أغنى عنى أن وضعت عمر بن عبيد الله بفارس وجعلت معه جندا أجرى عليهم أرزاقهم فى كل شهر وأوفيهم أعطياتهم فى كل سنة وآمر لهم من المعاون فى كل سنة بمثل الاعطيات تقطع أرضه الخوارج الى وقد قطعت علته فأمددته بالرجال وقويتهم والله لو قاتلهم ثم فر كان أعذر له عندى وان كان الفار غير مقبول العذر ولا كريم الفعل وأقبلت الخوارج وعليهم الزبير بن الماحوز حتى نزلوا الأهواز فأتتهم عيونهم ان عمر بن عبيد الله في أثرهم وان مصعب بن الزبير قد خرج من البصرة اليهم فقام فيهم الزبير فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فان من سوء الرأى والحيرة وقوعكم فيما بين هاتين الشوكتين انهضوا بنا الى عدونا نلقهم من وجه واحد فسار بهم حتى قطع بهم أرض جوخى ثم أخذ على النهروانات ثم لزم شاطئ دجلة حتى خرج على المدائن وبها كردم بن مرثد بن نجبة الفزارى فشنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الولدان والنساء والرجال ويبقرون الحبالى وهرب كردم فأقبلوا الى ساباط فوضعوا أسيافهم في الناس فقتلوا أم ولد لربيعة بن ناجد وقتلوا بنانة ابنة أبى يزيد ابن عاصم الأزدى وكانت قد قرأت القرآن وكانت من أجمل الناس فلما غشوها بالسيوف قالت ويحكم هل سمعتم بأن الرجال كانوا يقتلون النساء ويحكم تقتلون من لا يبسط اليكم يدا ولا يريد بكم ضرا ولا يملك لنفسه نفعا أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقال بعضهم اقتلوها وقال رجل منهم لو أنكم تركتموها فقال بعضهم أعجبك جمالها يا عدو

الله قد كفرت وافتتنت فانصرف الآخر عنهم وتركهم فظننا انه فارقهم وحملوا عليها فقتلوها
فقالت رَبْطة بنت يزيد سبحان الله أترون الله يرضى بما تصنعون تقتلون النساء والصبيان
ومن لم يذنب اليكم ذنبا ثم انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرُواع بنت اياس بن شُريح
الهمدانى وهى ابنة أخيها لأمها فحملوا عليها فضربوها على رأسها بالسيف ويصيب ذبابُ
السيف رأس الرواع فسقطتا جميعا الى الأرض وقاتلهم اياس بن شريح ساعة ثم صُرع فوقع
بين القتلى فنزعوا عنه وهم يرون انهم قد قتلوه وصرع منهم رجل من بكر بن وائل يقال له
رزين بن المتوكل * فلما انصرفوا عنهم لم يمت غير بُنانة بنت أبى يزيد وأمّ ولد ربيعة بن
ناجذ وأفاق سائرهم فسقى بعضهم بعضا من الماء وعصبوا اجراحاتهم ثم استأجروا دوابّ ثم
أقبلوا نحو الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثتنى الرواع ابنة اياس قالت ما رأيت رجلا قطّ كان
أجبن من رجل كان معنا وكانت معه ابنته فلما غُشينا ألقاها الينا وهرب عنها وعنا ولا رأينا
رجلا قطّ كان أكرم من رجل كان معنا ما نعرفه ولا يعرفنا لما غشينا قاتل دوننا حتى صرع
بيننا وهو رزين بن المتوكل البكرىّ وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا ثم انه هلك فى امارة
الحجاج فكانت ورثته الاعراب وكان من العباد الصالحين (قال هشام بن محمد) وذكره
عن أبى مخنف قال حدثنى أبى عن عمه ان مصعب بن الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف على
إستان العال فلما قدم الحارث بن أبى ربيعة أقصاه ثم أقرّه بعد ذلك على عمله السنة الثانية
فلما قدمت الخوارج المدائن سرّحوا اليه عصابة منهم عليها صالح بن مِخراق فلقيه بالكرخ
فقاتله ساعة ثم تنازلوا فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج فقتل أبو بكر ويسارٌ مولاه وعبد
الرحمن بن أبى جعال ورجل من قومه وانهزم سائر أصحابه فقال سُراقةُ بن مرداس البارقىّ
فى بطن من الأزد

ألا يالقوم للهموم الطوارق * وللحدث الجائى بإحدى الصفائق
ومَقتل غِطريف كريم نجارُهُ * من المَقدمين الذائدين الأصادقِ
أتانى دوين الخيف قتل ابن مخنف * وقد غوّرتْ أولى النجوم الخوافقِ
فقلتُ تلقاك الإله برحمة * وصلى عليك اللهُ ربُّ المشارقِ
لحا اللهُ قوما عرّدوا عنك بكرةً * ولم يصبروا للّامعات البوارقِ
تولّوا فأجلوا بالضحى عن زعيمنا * وسيّدنا فى المأزق المتضايق
فأنت متى ما جئتنا فى بيوتنا * سمعتَ عويلاً من عوانٍ وعاتقِ
يُبكّين محمودَ الضريبة ماجدا * صبوراً لدى الهيجاء عند الحقائق
فقد أصبحتْ نفسى لذاك حزينةً * وشابتْ لما حملتُ منه مفارقى

قال

(قال أبو مخنف) فحدثنى حذرة بن عبد الله الأزدى والنضر بن صالح العبسى وفضيل بن خديج كلهم أخبرنيه ان الحارث بن أبى ربيعة أتاه أهل الكوفة فصاحوا اليه وقالوا له اخرج فان هذا عدو لنا قد أظل علينا ليست له بقية فخرج وهو يكد كدا حتى نزل النخيلة فأقام بها أياما فوثب اليه ابراهيم ابن الأشتر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه سار الينا عدو ليست له بقية يقتل الرجل والمرأة والمولود ويخيف السبيل ويخرب البلاد فانهض بنا اليه فأمر بالرحيل فخرج فنزل دير عبد الرحمن فأقام فيه حتى دخل اليه شبث بن ربعى فكلمه بنحو مما كلمه به ابن الأشتر فارتحل ولم يكد فلما رأى الناس بطء سيره رجزوا به فقالوا

سار بنا القباع سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

فأشخصوه من ذلك المكان فكلما نزل بهم منزلا أقام بهم حتى يضج الناس به من ذلك ويصيحوا به حول فسطاطه فلم يبلغ الصراة الا في بضعة عشرة يوما فأتى الصراة وقد انتهى اليها طلائع العدو وأوائل الخيول فلما أتتهم العيون بأنه قد أتاهم جماعة أهل المصر قطعوا الجسر بينهم وبين الناس وأخذ الناس يرتجزون

ان القباع سار سيرا ملسا * بين دبيرى ودبا هاخمسا

(قال أبو مخنف) وحدثنى يونس بن أبى اسحاق عن أبيه ان رجلا من السبيع كان به لمم وكان بقرية يقال لها جوبر عند الخرارة وكان يدعى سماك بن يزيد فأتت الخوارج قريته فأخذوه وأخذوا ابنته فقدموا ابنته فقتلوها وزعم لى أبو الربيع السلولى ان اسم ابنته أم يزيد وأنها كانت تقول لهم يا أهل الإسلام ان أبى مصاب فلا تقتلوه وأما أنا فانما أنا جارية والله ما أتيت فاحشة قط ولا آذيت جارة لى ولا تطلعت ولا تشرفت قط فقدموها ليقتلوها فأخذت تنادى ماذنبى ماذنبى ثم سقطت مغشيا عليها أو ميتة ثم قطعوها بأسيافهم قال أبو الربيع حدثنى بهذا الحديث ظئر لها نصرانية من أهل الخورنق كانت معها حين قتلت (قال أبو مخنف) حدثنى يونس بن أبى اسحاق عن أبيه ان الأزارقة جاءت بسماك بن يزيد معهم حتى أشرفوا على الصراة قال فاستقبل عسكرنا فرأى جماعة الناس وكثرتهم فأخذ ينادينا ويرفع صوته اعبروا اليهم فانهم قليل خبيث فضربوا عند ذلك عنقه وصلبوه ونحن ننظر اليه قال فلما كان الليل عبرت اليه أنا ورجل من الحى فأنزلناه فدفناه (قال أبو مخنف) حدثنى أبى ان ابراهيم بن الأشتر قال للحارث بن أبى ربيعة اندب معى الناس حتى أعبر الى هؤلاء الأكلب فأجيئك برؤسهم الساعة فقال شبث بن ربعى وأسماء بن خارجة ويزيد بن الحارث ومحمد ابن الحارث ومحمد بن عمير أصلح الله الأمير دعهم فليذهبوا لا تبدأهم قال وكأنهم حسدوا ابراهيم بن الأشتر (قال أبو مخنف) وحدثنى حصيرة بن عبد الله وأبو زهير العبسى ان الأزارقة لما انتهوا الى جسر الصراة فرأوا ان جماعة أهل المصر قد خرجوا اليهم قطعوا

الجسر واغتنم ذلك الحارث فحبس ثم انه جلس للناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد
فان أول القتال الرمي بالنبل ثم اشراع الرماح ثم الطعن بها شزراً ثم السلة آخر ذلك كله قال
فقام اليه رجل فقال قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة ولكن حتى ما نصنع بهذا وهذا
البحر بيننا وبين عدونا مر بهذا الجسر فليعد كما كان ثم اعبر بنا اليهم فان الله سيريك فيهم
ما تحبه فأمر بالجسر فأعيد ثم عبر الناس اليهم فطاروا حتى انتهوا الى المدائن وجاء المسلمون
حتى انتهوا الى المدائن وجاءت خيل لهم فطاردت خيلا للمسلمين طرادا ضعيفا عند الجسر
ثم إنهم خرجوا منها فأتبعهم الحارث بن أبي ربيعة عبد الرحمن بن مخنف في ستة آلاف
ليخرجهم من أرض الكوفة فاذا وقعوا في أرض البصرة خلاهم فأتبعهم حتى اذا خرجوا
من أرض الكوفة ووقعوا الى اصبهان انصرف عنهم ولم يقاتلهم ولم يكن بينه وبينهم قتال
ومضوا حتى نزلوا بعتاب بن ورقاء بجيٍّ فأقاموا عليه وحاصروه فخرج اليهم فقاتلهم فلم
يطقهم وشدوا على أصحابه حتى دخلوا المدينة وكانت اصبهان يومئذ طعمة لاسماعيل بن
طلحة بن مصعب بن الزبير فبعث عليها عتابا فصبر لهم عتاب وأخذ يخرج اليهم في كل أيام
فيقاتلهم على باب المدينة ويرمون من السور بالنبل والنشاب والحجارة وكان مع عتاب رجل
من حضرموت يقال له أبو هريرة بن شريح فكان يخرج مع عتاب وكان شجاعا فكان يحمل
عليهم ويقول

كيف ترون يا كلاب النار * شد أبي هريرة الهرار
يهركم بالليل والنهار * يا ابن أبي الماحوز والأشرار
كيف ترى جيَّ على المضمار

فلما طال ذلك على الخوارج من قوله كمن له رجل من الخوارج يظنون انه عبيدة بن هلال
فخرج ذات يوم فصنع كما كان يصنع ويقول كما كان يقول اذ حمل عليه عبيدة بن هلال
فضربه بالسيف ضربة على حبل عاتقه فصرعه وحمل أصحابه عليه فاحتملوه فأدخلوه وداووه
وأخذت الأزارقة بعد ذلك تناديهم يقولون يا أعداء الله ما فعل أبو هريرة الهرار فينادونهم
يا أعداء الله والله ما عليه من بأس ولم يلبث أبو هريرة ان بريء ثم خرج عليهم بعد فأخذوا
يقولون يا عدو الله أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزرناك أمك فقال لهم يا فساق
ماذكركم أمي فأخذوا يقولون انه ليغضب لأمه وهو آتيها عاجلا فقال له أصحابه ويحك انما
يعنون النار ففطن فقال يا أعداء الله ما أعقكم بأمكم حين تنتفون منها إنما تلك أمكم واليها
مصيركم ثم ان الخوارج أقامت عليهم أشهرا حتى هلك كراعهم ونفدت أطعمتهم واشتد
عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد فدعاهم عتاب بن ورقاء فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
أما بعد أيها الناس فانه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون فوالله إن بقي الا أن يموت أحدكم

على فراشه فيجيء أخوه فيدفنه ان استطاع وبالحرى أن يضعف عن ذلك ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه فاتقوا الله فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم وإن فيكم لفرسان أهل المصر وانكم لصلحاؤه من أنتم منه اخرجوا بنا الى هؤلاء القوم و بكم حياة وقوة قبل أن لا يستطيع رجل منكم أن يمشي الى عدوه من الجهد وقبل أن لا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءته فقاتل رجل عن نفسه وصبر وصدق فوالله انى لأرجو ان صدقتموهم أن يظفركم الله بهم وأن يظهركم عليهم فناداه الناس من كل جانب وُفّقت وأصبت اخرج بنا اليهم فجمع اليه الناس من الليل فأمر لهم بعشاء كثير فعشّى الناس عنده ثم انه خرج بهم حين أصبح على راياتهم فصبّحهم في عسكرهم وهم آمنون من ان يؤتوا في عسكرهم فشدّوا عليهم في جانبه فضاربوهم فأخلوا لهم عن وجه العسكر حتى انتهوا الى الزبير ابن الماحوز فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل وانحازت الأزارقة الى قَطَرِيّ فبايعوه وجاء عتاب حتى دخل مدينته وقد أصاب من عسكرهم ما شاء وجاء قطريّ في أثره كأنه يريد أن يقاتله فجاء حتى نزل في عسكر الزبير بن الماحوز فتزعم الخوارج ان عينا لقطريّ جاءه فقال سمعت عتابا يقول ان هؤلاء القوم ان ركبوا بنات شحّاج وقادوا بنات صهّال ونزلوا اليوم ارضا وغدا أخرى فبالحرى أن يبقوا فلما بلغ ذلك قطريّا خرج فذهب وخلاهم (قال أبو مخنف) قال أبو زهير العبسيّ وكان معهم خرجنا الى قطريّ من الغد مُشاةً مُصْلتين بالسيوف قال فارتحلوا والله فكان آخر العهد بهم قال ثم ذهب قطريّ حتى أتى ناحية كَرْمان فأقام بها حتى اجتمعت اليه جموعٌ كثيرة وأكل الأرض واجتبى المال وقوى ثم أقبل حتى أخذ في أرض اصبهان ثم انه خرج من شعب ناشط الى ايذج فأقام بأرض الأهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل لمصعب بن الزبير على البصرة فكتب الى مصعب يخبره ان الخوارج قد تحدّرت الى الأهواز وانه ليس لهم الا المهلب فبعث الى المهلب وهو على الموصل والجزيرة فأمره بقتال الخوارج والمسير اليهم وبعث الى عمله ابراهيم ابن الأشتر وجاء المهلب حتى قدم البصرة وانتخب الناس وسار بمن أحبّ ثم توجه نحو الخوارج وأقبلوا اليه حتى التقوا بسُولافَ فاقتتلوا بها ثمانية أشهر أشدّ قتال رآه الناس لا يُنقع بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يصدّ بعضهم عن بعض ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالشأم حتى لم يقدروا من شدّته على الغزو ﴿وفيها﴾ عسكر عبد الملك بن مروان بِبُطْنان حبيب من أرض قنسرين فمُطروا بها فكثر الوحل فسمّوها بطنان الطين وشتا بها عبد الملك ثم انصرف منها الى دمشق ﴿وفيها﴾ قتل عبيد الله ابن الحرّ

## ﴿ ذكر الخبر عن مقتله والسبب الذى جرّ ذلك عليه ﴾

﴿روى﴾ أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن علي بن مجاهد ان عبيد الله بن الحر كان رجلا من خيار قومه صلاحا وفضلا وصلاة واجتهادا فلما قتل عثمان وهاج الهيج بين علي ومعاوية قال اما ان الله ليعلم اني أحب عثمان ولأنصرنه ميتا فخرج الى الشأم فكان مع معاوية وخرج مالك بن مسمع الى معاوية على مثل ذلك الرأي في العثمانية فأقام عبيد الله عند معاوية وشهد معه صفين ولم يزل معه حتى قتل علي عليه السلام * فلما قتل علي قدم الكوفة فأتى اخوانه ومن قد خف في الفتنة فقال لهم ياهؤلاء ما أرى أحدا ينفعه اعتزاله كنا بالشأم فكان من أمر معاوية كيت وكيت فقال له القوم وكان من أمر علي كيت وكيت فقال ياهؤلاء ان تمكننا الأشياء فاخلعوا عذركم واملكوا أمركم قالوا سنلتقي فكانوا يلتقون على ذلك * فلما مات معاوية هاج ذلك الهيج في فتنة ابن الزبير قال ما أرى قريشا تنصف أين ابناء الحرائر فأتاه خليع كل قبيلة فكان معه سبعمائة فارس فقالوا أمرنا بأمرك * فلما هرب عبيد الله بن زياد ومات يزيد بن معاوية قال عبيد الله بن الحر لفتيانه قد بين الصبح لذي عينين فاذا شئتم فخرج الى المدائن فلم يدع مالا قدم من الجبل للسلطان الا أخذه فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه ثم قال ان لكم شركاء بالكوفة في هذا المال قد استوجبوه ولكن تعجلوا عطاء قابل سلفا ثم كتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك قال قلت فهل كان يتناول أموال الناس والتجار قال لي انك لغير عالم بأبي الأشرس والله ما كان في الأرض عربي أغير عند حرة ولا أكف عن قبيح وعن شراب منه ولكن انما وضعه عند الناس شعره وهو من أشعر الفتيان فلم يزل على ذلك من الأمر حتى ظهر المختار وبلغه ما يصنع بالسواد فأمر بامرأته أم سلمة الجعفية فحبست وقال والله لأقتلنه أو لأقتلن أصحابه * فلما بلغ ذلك عبيد الله بن الحر أقبل في فتيانه حتى دخل الكوفة ليلا فكسر باب السجن وأخرج امرأته وكل امرأة ورجل كان فيه فبعث اليه المختار من يقاتله فقاتلهم حتى خرج من المصر فقال حين أخرج امرأته من السجن

ألم تعلمي يا أم توبة أنني * أنا الفارس الحامي حقائق مذحج
واني صبحت السجن في سورة الضحى * بكل فتى حامي الذمار مدجج
فما إن برحن السجن حتى بدا لنا * جبين كقرن الشمس غير مشنج
وخد أسيل عن فتاة حبيبة * إلينا سقاها كل دان مثجج
فما العيش إلا ان أزورك آمنا * كعادتنا من قبل حربي ومخرجي
وما أنت إلا همة النفس والهوى * عليك السلام من خليط مسحج
ومازلت محبوسا لحبسك واجما * واني بما تلقين من بعده شج

فبالله هل أبصرت مثلى فارسا * وقد ولجوا في السجن من كل مولج
ومثلى يحامى دون مثلك إنني * أشد إذا ما غمرة لم تفرج
أضاربهم بالسيف عنك لترجعي * الى الأمن والعيش الرفيع المخرفج
اذا ما أحاطوا بى كررت عليهم * ككر أبى شبلين فى الخيس مخرج
دعوت الى الشاكرى ابن كامل * فولى حثيثا ركضه لم يعرج
وإن هتفوا باسمى عطفت عليهم * خيول كرام الضرب أكثرها الوجى
فلا غرو إلا قول سلمى ظعينتى * أما أنت ياابن الحر بالمتحرج
دع القوم لا تقتلهم وانج سالما * وشمر هداك الله بالخيل فاخرج
وإنى لأرجو يا ابنة الخير ان أرى * على خير أحوال المؤمل فارتجى
ألا حبذا قولى لأحمر طيئ * ولابن خبيب قد دنا الصبح فادلج
وقولى لهذا سر وقولى لذا ارتحل * وقولى لذا من بعد ذلك اسرجى

وجعل يعبث بعمال المختار وأصحابه ووثبت همدان مع المختار فأحرقوا داره وانتهبوا ضيعته بالجبة والبداة فلما بلغه ذلك سار الى ماه الى ضياع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فأنهبها وأنهب ما كان لهمدان بها ثم أقبل الى السواد فلم يدع مالا لهمدانى الا أخذه ففى ذلك يقول

وما ترك الكذاب من جل مالنا * ولا الزرق من همدان غير شريد
أفى الحق أن ينهب ضياعى شاكر * وتأمن عندى ضيعة ابن سعيد
ألم تعلمى ياأم توبة أننى * على حدثان الدهر غير بليد
أشد حيازيمى لكل كريهة * وانى على ماناب جد جليد
فإن لم أصبح شاكرا بكتيبة * فعالجت بالكفين غل حديدى
هم هدموا دارى وقادوا حليلتى * الى سجنهم والمسلمون شهودى
وهم أعجلوها أن تشد خمارها * فيا عجبا هل الزمان مقيدى
فما أنا ابن الحر إن لم أرعهم * بخيل تعادى بالكماة أسود
وما جبنت خيلى ولكن حملتها * على جحفل ذى عدة وعديد

وهى طويلة قال وكان يأتى المدائن فيمر بعمال جوخى فيأخذ مامعهم من الأموال ثم يميل الى الجبل فلم يزل على ذلك حتى قتل المختار فلما قتل المختار قال الناس لمصعب فى ولايته الثانية إن ابن الحر شاق ابن زياد والمختار ولا نأمنه ان يثب بالسواد كما كان يفعل فحبسه مصعب فقال ابن الحر

من مبلـغ الفتيان أن أخاهم * أتى دونه باب شديد وحاجبه
بمنزلة ما كان يرضى بمثلها * اذا قام غنته كبول تجاوبه
على الساق فوق الكعب أسود صامت * شديد يدانى خطوه ويقاربه
وما كان ذا من عظم جرم جنيته * ولكن سعى الساعى بما هو كاذبه
وقد كان في الارض العريضة مسلك * وأى امرئ ضاقت عليه مذاهبه
وفي الدهر والأيام للمرء عبرة * وفيما مضى إن ناب يوما نوائبه

فكلم عبيد الله قوما من مذحج ان يأتوا مصعبا فى أمره وأرسل الى وجوههم فقال ائتوا مصعبا فكلموه فى أمرى في ذاته فإنه حبسنى على غير جرم سعى بى قوم كذبة وخوفوه مالم أكن لأفعله ومالم يكن من شأنى وأرسل الى فتيان من مذحج وقال البسوا السلاح وخذوا عدة القتال فقد أرسلت قوما الى مصعب يكلمونه فى أمرى فأقيموا بالباب فإن خرج القوم وقد شفعهم فلا تعرضوا لأحد وليكن سلاحكم مكفرا بالثياب فجاء قوم من مذحج فدخلوا على مصعب فكلموه فشفعهم فأطلقه وكان ابن الحر قال لأصحابه ان خرجوا ولم يشفعهم فكابروا السجن فإنى أعينكم من داخل. فلما خرج ابن الحر قال لهم أظهروا السلاح فأظهروه ومضى لم يعرض له أحد فأتى منزله وندم مصعب على اخراجه فأظهر ابن الحر الخلاف وأتاه الناس يهنئونه فقال هذا الامر لا يصلح الا لمثل خلفائكم الماضين وما نرى لهم فينا ندا ولا شبيها فنلقى اليه أزمتنا ونمحضه نصيحتنا فإن كان انما هو من عز بز فعلام نعقد لهم في أعناقنا بيعة وليسوا بأشجع منا لقاء ولا أعظم منا غنى وقد عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وما رأينا بعد الأربعة الماضين اماما صالحا ولا وزيرا تقيا كلهم عاص مخالف قوى الدنيا ضعيف الآخرة فعلام تستحل حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجلولاء ونهاوند نلقى الأسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا ثم لا يعرف لنا حقنا وفضلنا فقاتلوا عن حريمكم فأى الامر ما كان فلكم فيه الفضل وانى قد قلبت ظهر المجن وأظهرت لهم العداوة ولا قوة الا بالله وحاربهم فأغار فأرسل اليه مصعب سيف بن هانئ المرادى فقال له إن مصعبا يعطيك خراج بادوريا على ان تبايع وتدخل فى طاعته قال أوليس لى خراج بادوريا وغيرها لست قابلا شيأ ولا آمنهم على شئ ولكنى أراك يا فتى وسيف يومئذ حدث حدثا عاقلا فهل لك ان تتبعنى وأمولك فأبى عليه فقال ابن الحر حين خرج من الحبس

لا كوفة أمى ولا بصرة أبى * ولا أنا يثنينى عن الرحلة الكسل

قال أبو الحسن يروى هذا البيت لمعيم بن وثيل الرياحى

فلا تحسبنى ابن الزبير كناعس * اذا حل أغفى أو يقال له ارتحل

فإن

فإن لم أزرك الخيل تردى عوابساً * بفرسانها لا أدعَ بالحازم البطلْ

وإن لم تر الغارات من كلّ جانب * عليك فتندم عاجلاً أيها الرَّجلْ

فلا وضعتْ عندى حصانٌ قناعها * ولا عشتُ إلا بالأمانيّ والعللْ

وهى طويلة فبعث اليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحىّ فى نفر فقاتله فهزمه ابن الحر وضربه ضربة على وجهه فبعث اليه مصعب حُرَيث بن زيد أو يزيد فبارزه فقتله عبيد الله بن الحر فبعث اليه مصعب الحجاج بن حارثة الخثعمى ومسلم بن عمرو فلقياه بنهر صرصر فقاتلهم فهزمهم فأرسل اليه مصعب قوما يدعونه الى ان يؤمنه ويصله ويوليه أى بلد شاء فلم يقبل وأتى نَرْسى ففرّ دهقانها ظيزجشنس بمال الفَلّوجة فتبعه ابن الحرّ حتى مر بعين التمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيبانى فتعوذ بهم الدهقان فخرجوا اليه فقاتلوه وكانت خيل بسطام خمسين ومائة فارس فقال يونس بن هاعان الهمدانى من خيوان ودعاه ابن الحر الى المبارزة شرٌّ دهر آخره ما كنت أحسبنى أعيش حتى يدعونى انسان الى المبارزة فبارزه فضربه ابن الحر ضربة أثخنته ثم اعتنقا فخرّا جميعا عن فرسيهما وأخذ ابن الحر عمامة يونس وكتفه بها ثم ركب ووافاهم الحجاج بن حارثة الخثعمى فحمل عليه الحجاج فأسره أيضا عبيد الله وبارز بسطامُ بن مصقلة المجشر فاضطربا حتى كره كلٌّ واحد منهما صاحبه وعلاه بسطام فلما رأى ذلك ابن الحر حمل على بسطام واعتنقه بسطامٌ فسقطا الى الأرض وسقط ابن الحر على صدر بسطام فأسره وأسر يومئذ ناسا كثيرا فكان الرجل يقول أنا صاحبك يوم كذا ويقول الآخر أنا نازل فيكم ويَمُتُّ كلٌّ واحد منهم بما يرى انه ينفعه فخلى سبيله وبعث فوارس من أصحابه عليهم دَلْهَمٌ المرادى يطلبون الدهقان فأصابوه فأخذوا المال قبل القتال فقال ابن الحرّ

لو أنّ لى مثل جرير أربعهْ * صبحتُ بيتَ المال حتى أجمعهْ

ولم يهلنى مُصعبٌ ومن معهْ * نعم الفتى ذلكمُ ابن مشجعهْ

ثم ان عبيد الله أتى تكريت فهرب عامل المهلب عن تكريت فأقام عبيد الله يجبى الخراج فوجه اليه مصعب الأبردَ بن قرّة الرياحىّ والجون بن كعب الهمدانى فى ألف وأمدهما المهلب بيزيد بن المغفَّل فى خمسمائة فقال رجل من جُعْفىّ لعبيد الله قد أتاك عدد كثير فلا تقاتلهم فقال

يُخوّفنى بالقتل قومى وإنما * أموتُ اذا جاء الكتابُ المؤجَّلُ

لعلّ القنا تدنى بأطرافها الغنى * فنحيا كراماً أو نكرّ فنقتلُ

فقال للمجشر ودفع اليه رايته وقدم معه دَلهمًا المرادىّ فقاتلهم يومين وهو فى ثلاثمائة فجُرح جرير بن كريب وقتل عمرو بن جندب الأزدىّ وفرسان كثيرٌ من فرسانه

وتحاجزوا عند المساء وخرج عبيد الله من تكريت فقال لأصحابه انى سائر بكم الى عبد الملك بن مروان فتهيأوا وقال انى أخاف ان أفارق الحياة ولم أذعر مصعبا وأصحابه فارجعوا بنا الى الكوفة قال فسار الى كسكر فنفى عاملها وأخذ بيت مالها ثم أتى الكوفة فنزل لحام جرير فبعث اليه مصعب عُمر بن عبيد الله بن معمر فقاتله فخرج الى دير الاعور فبعث اليه مصعب حجار بن أبجر فانهزم حجار فشتمه مصعب وردّه وضمّ اليه الجون بن كعب الهمدانىّ وعمر بن عبيد الله بن معمر فقاتلوه بأجمعهم وكثرت الجراحات فى أصحاب ابن الحرّ وعُقرت خيولهم وجُرح المجشّر وكان معه لواء ابن الحرّ فدفعه الى أحمر طيّئ فانهزم حجار بن أبجر ثم كرّ فاقتتلوا قتالا شديدا حتى أمسوا فقال ابن الحرّ

لو أنّ لى مثل الفتى المُجشّر * ثلاثةً بيّتهم لا أمترى

ساعدنى ليلة دير الأعور * بالطعن والضرب وعند المعبر

لطاح فيها عمر بن معمر

وخرج ابن الحر من الكوفة فكتب مصعب الى يزيد بن الحارث بن رؤيم الشيبانى وهو بالمدائن يأمره بقتال ابن الحرّ فقدم ابنه حوشبا فلقيه بباجسرى فهزمه عبيد الله وقتل فيهم وأقبل ابن الحرّ فدخل المدائن فتحصنوا فخرج عبيد الله فوجّه اليه الجون بن كعب الهمدانىّ وبشر بن عبد الله الأسدىّ فنزل الجون حولايا وقدم بشر الى تامرّا فلقى ابنَ الحرّ فقتله ابنُ الحر وهزم أصحابه ثم لقى الجون بن كعب بحولايا فخرج اليه عبد الرحمن بن عبد الله فحمل عليه ابنُ الحر فطعنه فقتله وهزم أصحابه وتبعهم فخرج اليه بُشير بن عبد الرحمن بن بشير العجلىّ فالتقوا بسورا فاقتتلوا قتالا شديدا فانحاز بشير عنه فرجع الى عمله وقال قد هزمت ابنَ الحرّ فبلغ قوله مصعبا فقال هذا من الذين يحبّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا وأقام عبيد الله فى السواد يغير ويجبى الخراج فقال ابن الحرّ فى ذلك

سَلوا ابنَ رُؤيم عن جلادى وموقفى * بإيوانِ كسرى لا أولّيهم ظهرى

أكُرُّ عليهم مُعلِمًا وتراهُمُ * كمِعزًى تحنّى خشيةَ الذئب بالصخرِ

وبيّتُّهم فى حصن كسرى بن هُرمُزٍ * بمشحوذةٍ بيض وخطّيّةٍ سُمر

فأجدبتُهم طعنا وضربا تراهُمُ * يلوذون منا موهنا بذُرى القصر

يلوذون منى رهبةً ومخافةً * لواذًا كلاذ الحمائم من صقر

ثم ان عبيد الله بن الحرّ فيما ذكر لحق بعبد الملك بن مروان فلما صار اليه وجّهه فى عشرة نفر نحو الكوفة وأمره بالمسير نحوها حتى تلحقه الجنود فسار بهم فلما بلغ الأنبار وجّه الى الى الكوفة مَن يُخبر أصحابه بقدومه ويسألهم أن يخرجوا اليه فبلغ ذلك القيسيّة فأتوا الحارث ابن عبد الله بن أبى ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة فسألوه أن يبعث معهم جيشا فوجّه

معهم

معهم فلما القوا عبيد الله قاتلهم ساعة ثم غرقت فرسه وركب معبرا فوثب عليه رجل من الأنباط فأخذ بعضديه وضربه الباقون بالمرادى وصاحوا إن هذا طلبة أمير المؤمنين فاعتنقا فغرقا ثم استخرجوه فحزّوا رأسه فبعثوا به الى الكوفة ثم الى البصرة ﴿قال أبو جعفر﴾ وقد قيل في مقتله غير ذلك من القول قيل كان سبب مقتل عبيد الله بن الحر انه كان يغشى بالكوفة مصعبا فرآه يقدم عليه أهل البصرة فكتب الى عبد الله بن الزبير فيما ذكر قصيدةً يعاتب بها مصعبا ويخوّفه مسيره الى عبد الملك بن مروان يقول فيها

أبْلغ أميرَ المؤمنين رسالةً * فلستُ على رأى قبيح أواربُهْ
أفى الحق أن أُجفَى ويجعلَ مُصْعَبٌ * وَزِيريه مَن قد كنتُ فيه أحاربُهْ
فكيفَ وقد أبليتُكمْ حق بيعتي * وحقى يُلْوَى عندكم وأطالبُهْ
وأبليتُكم مالا يُضَيَّعُ مثلهُ * وآسيتُكمْ والأمرُ صَعْبٌ مراتبُهْ
فلما استنار الملكُ وانقادتِ العِدَى * وأدركَ من مالِ العراقِ رغائبُهْ
جَفا مصعبٌ عنّى ولو كان غيرَهُ * لأصبح فيما بيننا لا أعاتبُهْ
لقد رابنى من مصعب أنَّ مصعبًا * أرَى كُلَّ ذى غشّ لنا هو صاحبه
وما أنا إن حَلأتمونى بواردٍ * على كدَرٍ قد خصّ بالصفو شاربُهْ
وما لامرئٍ الا الذى اللهُ سائقٌ * إليه وما قد خطَّ في الزُبْر كاتبُهْ
اذا قمتُ عند الباب أدخَلَ مُسْلِمٌ * ويمنعُنى أن أدخلَ البابَ حاجبُهْ

وهى طويلة وقال لمصعب وهو في حبسه وكان قد حُبس معه عطية بن عمرو البكرىّ فخرج عطية فقال عبيد الله

أقول له صبرًا عطىُّ فانما * هو السجنُ حتى يجعلَ اللهُ مَخرَجا
أرَى الدهرَ لى يومين يوما مطرَّدًا * شريدًا ويوما فى الملوك مُتوَّجا
أتُطعَنُ فى دينى غداةَ أتيتُكم * وللدين تدنى الباهلىَّ وحشرَجا
ألم ترَ أنَّ الملكَ قد شِينَ وجهُهُ * ونَبْعِ بلادِ الله قد صار عَوْسَجا

وهى طويلة وقال أيضا يعاتب مصعبا فى ذلك ويذكر له تقريبه سُويدَ بن منجوف وكان سويد خفيف اللحية

بأىّ بلاءٍ أم بأيّة نعمةٍ * تَقدَّم قبلى مُسلِمٌ والمهلبُ
ويُدعَى ابنُ منجوف أمامى كأنه * خصىٌّ أتى للماء والعير يسرب
وشيخُ تميم كالثغامة رأسُهُ * وعيلان عنا خائف مُترَقّبُ
جعلتُ قصورَ الازد ما بين منبج * الى الغاف من وادى عمان تصوّب

بلاد نفى عنها العدوَّ سيوفنا * وصُفرةُ عنها نازحُ الدار أجنبُ

وقال قصيدة يهجو فيها قيس عيلان يقول فيها

أنا ابنُ بنى قيس فإنْ كنتَ سائلاً * بقيس تجدْهم ذُروةً في القبائلِ
ألم ترَ قيساً قيس عيلان برقعت * لحاها وباعت نبلها بالمغازلِ
وما زلتُ أرجو الأزدَ حتى رأيتها * تقصّرُ عن بُنيانها المتطاول

فكتب زفر بن الحارث الى مصعب قد كفيتك قتال ابن الزرقاء وابنُ الحرّ يهجو قيساً ثم ان نفراً من بنى سُليم أخذوا ابن الحر فأسروه فقال انى انما قلت

ألم ترَ قيساً قيس عيلان أقبلت * إلينا وسارت بالقنا والقنابل

فقتله رجل منهم يقال له عياش فقال زُفرُ بن الحارث

لما رأيتُ الناسَ أولادَ علة * وأغرقَ فينا نزغةً كلُّ قائلِ
تكلم عنَّا مَشيُنا بسيوفنا * الى الموت واستنشاط حبل المراكل
فلو يسأل ابنُ الحرّ أخبر أنها * يمانية لا تشترى بالمغازل
وأخبرَ أنَّا ذاتُ علمٍ سيوفنا * بأعناقِ ما بين الطُّلى والكواهلِ

وقال عبد الله بن همام

ترنَّمتَ يا ابنَ الحرّ وحدكَ خاليًا * بقولِ امرئٍ نشوان أو قول ساقطِ
أتذكرُ قوما أوجعتْك رماحُهُمْ * وذبُّوا عن الأحساب عند المآقط
وتبكى لما لاقت ربيعةُ منهمُ * وما أنتَ فى أحساب بكرٍ بواسط
فهلاّ بجعفيّ طلبتَ ذحولها * ورهطك دنيًا في السنين الفوارط
تركناهمُ يومَ الثرىّ أذلةً * يلوذون من أسيافنا بالعرافط
وخالطكم يومَ النخيل بجمعه * عميرٌ فما استبشرتم بالمخالط
ويومَ شراحيل جدعنا أنوفكمُ * وليس علينا يوم ذاك بقاسط
ضربنا بحدّ السيف مفرقَ رأسه * وكان حديثاً عهدُهُ بالمواشط
فإن رغمتْ من ذاك آنفُ مذحجٍ * فرَغْمًا وسُخطًا للأنوفِ السواخط

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة وافت عرفات أربعةُ ألوية قال محمد بن عمر حدثنى شرحبيل بن أبى عَوْن عن أبيه قال وقفت فى سنة ٦٨ بعرفات أربعة ألوية ابن الحنفية في أصحابه فى لواء قام عند جبل المشاة وابن الزبير فى لواء فقام مقامَ الإمام اليوم ثم تقدّم ابن الحنفية بأصحابه حتى وقفوا حذاء ابن الزبير ونجدةُ الحروريّ خلفهما ولواء بنى أمية عن يسارهما فكان أوّل لواء انفضّ لواء محمد بن الحنفية ثم تبعه نجدةُ ثم لواء بنى أمية ثم لواء ابن

الزبير واتبعه الناس قال محمد حدّثنى ابن نافع عن أبيه قال كان ابن عمر لم يدفع تلك العشيّة الا بدفعة ابن الزبير فلما أبطأ ابن الزبير وقد مضى ابن الحنفية ونجدة وبنو أمية قال ابن عمر ينتظر ابن الزبير أمر الجاهلية ثم دفع فدفع ابن الزبير على أثره قال محمد حدّثنى هشام بن عُمارة عن سعيد بن محمد بن جبير عن أبيه قال خفت الفتنة فمشيت اليهم جميعا فجئت محمد بن علىّ فى الشعب فقلت يا أبا القاسم اتق الله فإنّا في مشعر حرام وبلد حرام والناس وفد الله الى هذا البيت فلا تُفسد عليهم حجهم فقال والله ما أريد ذلك وما أحول بين أحد وبين هذا البيت ولا يُؤتى أحد من الحاج من قبلى ولكنى رجل أدفع عن نفسى من ابن الزبير وما يروم منى وما أطلب هذا الأمر الا ان لا يختلف علىّ فيه اثنان ولكن ائت ابن الزبير فكلمه وعليك بنجدة قال محمد فجئت ابن الزبير فكلمته بنحو ما كلمت به ابن الحنفية فقال أنا رجل قد اجتمع علىّ الناس وبايعونى وهؤلاء أهل خلاف فقلت أرى خيرا لك الكف قال أفعل ثم جئت نجدة الحرورىّ فأجده في أصحابه وأجد عكرمة غلام ابن عباس عنده فقلت له استأذن لى على صاحبك قال فدخل فلم ينشب ان أذن لى فدخلت فعظمت عليه وكلمته كما كلمت الرجلين فقال أما ان أبتدىء أحدا بقتال فلا ولكن من بدأ بقتال قاتلته قلت فانى رأيت الرجلين لا يريدان قتالك ثم جئت شيعة بنى أمية فكلمتهم بنحو ما كلمت به القوم فقالوا نحن على أن لا نقاتل أحدا الا أن يقاتلنا فلم أر فى تلك الألوية قوما أسكن ولا أسلم دفعةً من ابن الحنفية ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان العامل لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابر بن الأسود بن عوف الزهرىّ وعلى البصرة والكوفة أخوه مصعب وعلى قضاء البصرة هشام ابن هبيرة وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عقبة بن مسعود وعلى خراسان عبد الله بن خازم السلمىّ وبالشأم عبد الملك بن مروان

## ﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين ﴾

﴿ففيها﴾ كان خروج عبد الملك بن مروان فيما زعم الواقدىّ الى عين وردة واستخلف عمرو ابن سعيد بن العاص على دمشق فتحصّن بها فبلغ ذلك عبدَ الملك فرجع الى دمشق فحاصره قال ويقال خرج معه فلما كان ببُطنان حبيب رجع الى دمشق فتحصن فيها ورجع عبد الملك الى دمشق وأما عوانة بن الحكم فانه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه ان عبد الملك ابن مروان لما رجع من بطنان حبيب الى دمشق مكث بدمشق ماشاء الله ثم سار يريد قَرقيسياء وفيها زفر بن الحارث الكلابىّ ومعه عمرو بن سعيد حتى اذا كان ببُطنان حبيب فتك عمرو بن سعيد فرجع ليلا ومعه حميد بن حُريث بن بحدل الكلبىّ وزهير بن الأبرد الكلبىّ حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أمّ الحكم الثقفىّ قد استخلفه عبد الملك فلما بلغه رجوع عمرو بن سعيد هرب وترك عمله ودخلها عمرو فغلب عليها وعلى خزائنها وقال

غيرهما كانت هذه القصة في سنة ٧٠ وقال كان مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير فقال له عمرو بن سعيد بن العاص انك تخرج الى العراق وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده وعلى ذلك جاهدت معه وقد كان من بلائي معه مالم يخف عليك فاجعل لي هذا الأمر من بعدك فلم يجبه عبد الملك الى شئ فانصرف عنه عمرو راجعا الى دمشق فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى الى دمشق ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث هشام عن عوانة قال ولما غلب عمرو على دمشق طلب عبد الرحمن بن أم الحكم فلم يصبه فأمر بداره فهدمت واجتمع الناس وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر الا زعم ان له جنة ونارا يدخل الجنة من أطاعه والنار من عصاه واني أخبركم ان الجنة والنار بيد الله وانه ليس الي من ذلك شئ غير أن لكم علي حسن المؤاساة والعطية ونزل وأصبح عبد الملك ففقد عمرو بن سعيد فسأل عنه فأخبر خبره فرجع عبد الملك الى دمشق فاذا عمرو قد جلل دمشق المسوح فقاتله بها أياما وكان عمرو بن سعيد اذا أخرج حميد بن حريث الكلبي على الخيل أخرج اليه عبد الملك سفيان بن الأبرد الكلبي واذا أخرج عمرو بن سعيد زهير بن الأبرد الكلبي أخرج اليه عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل الكلبي (قال هشام) حدثني عوانة ان الخيلين تواقفتا ذات يوم وكان مع عمرو بن سعيد رجل من كلب يقال له رجاء بن سراج فقال رجاء يا عبد الرحمن بن سليم ابرز وكان عبد الرحمن مع عبد الملك فقال عبد الرحمن قد أنصف القارة من راماها وبرز له فاطعنا وانقطع ركاب عبد الرحمن فنجا منه ابن سراج فقال عبد الرحمن والله لولا انقطاع الركاب لرميت بما في بطنك من تين وما اصطلح عمرو وعبد الملك أبدا فلما طال قتالهم جاء نساء كلب وصبيانهم فبكين وقلن لسفيان بن الأبرد ولابن بحدل الكلبي علام تقتلون أنفسكم لسلطان قريش فحلف كل واحد منهما أن لا يرجع حتى يرجع صاحبه فلما أجمعوا على الرجوع نظروا فوجدوا سفيان أكبر من حريث فطلبوا الى حريث فرجع ثم إن عبد الملك وعمرا اصطلحا وكتبا بينهما كتابا وآمنه عبد الملك وذلك عشية الخميس * قال هشام فحدثني عوانة ان عمرو بن سعيد خرج في الخيل متقلدا قوسا سوداء فأقبل حتى أوطأ فرسه اطناب سرادق عبد الملك فانقطعت الأطناب وسقط السرادق ونزل عمرو فجلس وعبد الملك مغضب فقال لعمرو يا أبا أمية كأنك تشبه بتقلدك هذه القوس بهذا الحي من قيس قال لا ولكني أتشبه بمن هو خير منهم العاص بن أمية ثم قام مغضبا والخيل معه حتى دخل دمشق ودخل عبد الملك دمشق يوم الخميس فبعث الى عمرو وأن أعط الناس أرزاقهم فأرسل اليه عمرو ان هذا ليس لك ببلد فاشخص عنه فلما كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث الى عمرو أن ائتني وهو عند امرأته الكلبية وقد كان عبد

الملك دعا كريب بن أبرهة بن الصّباح الحميرىّ فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد فقال له فى هذا هلكت حميرُ لا أرى لك ذلك لا ناقتى في ذا ولا جملى فلما أتى رسول عبد الملك عمرا يدعوه صادف الرسول عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو فقال عبد الله لعمرو بن سعيد يا أبا أمية والله لأنت أحبّ الىّ من سمعى و بصرى وقد أرى هذا الرجل قد بعث اليك ان تأتيه وأنا أرى لك أن لا تفعل فقال له عمرو ولم قال لأن تُبيعَ ابن امرأة كعب الأحبار قال ان عظيما من عظماء ولد اسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ثم يخرج منها فلا يلبث أن يُقتل فقال له عمرو والله لو كنتُ نائما ما تخوّفت أن ينبّهنى ابن الزرقاء ولا كان ليجترئ على ذلك منى مع ان عثمان بن عفان أتانى البارحة فى المنام فألبسنى قميصه وكان عبد الله بن يزيد زوج أمّ موسى بنت عمرو بن سعيد فقال عمرو للرسول أبلغه السلام وقل له أنا رائح اليك العشيّة ان شاء الله فلما كان العشىّ لبس عمرو درعا حصينة بين قباء قُوهىّ وقميص قُوهىّ وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبية وحُميد بن حريث بن بحدل الكلبىّ فلما نهض متوجها عثر بالبساط فقال له حميد أما والله لئن أطعتنى لم تأته وقالت له امرأته تلك المقالة فلم يلتفت الى قولهم ومضى فى مائة رجل من مواليه وقد بعث عبد الملك الى بنى مروان فاجتمعوا عنده فلما بلغ عبد الملك انه بالباب أمر أن يُحبس من كان معه وأذن له فدخل ولم تزل أصحابه يحبسون عند كل باب حتى دخل عمرو قاعة الدار وما معه الا وصيف له فرمى عمرو ببصره نحو عبد الملك فإذا حوله بنو مروان وفيهم حسّان بن مالك بن بحدل الكلبى وقبيصة بن ذؤيب الخزاعىّ فلما رأى جماعتهم أحسّ بالشرّ فالتفت الى وصيفه فقال انطلق ويحك الى يحيى بن سعيد فقل له يأتينى فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له لبَّيك فقال له اغرُبْ عنى في حرق الله وناره وقال عبد الملك لحسّان وقبيصة اذا شئتما فقوما فالتقيا وعمرا فى الدار فقال عبد الملك لهما كالمازح ليطمئنّ عمرو بن سعيد أيكما أطول فقال حسانُ قبيصةُ يا أمير المؤمنين أطولُ منّى بالإمرة وكان قبيصة على الخاتم ثم التفت عمرو الى وصيفه فقال انطلق الى يحيى فمُره ان يأتينى فقال له لبيك ولم يفهم عنه فقال له عمرو اغرُبْ عنى فلما خرج حسان وقبيصة أمر بالابواب فغُلّقت ودخل عمرو فرحّب به عبد الملك وقال ههنا يا أبا أمية يرحمك الله فأجلسه معه على السرير وجعل يحدّثه طويلا ثم قال يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو انّا لله يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك أوَتطمع أن تجلس معى متقلدا سيفك فأخذ السيف عنه ثم تحدّثا ما شاء الله ثم قال له عبد الملك يا أبا أمية قال لبيك يا أمير المؤمنين فقال انك حيث خلعتنى آليتُ بيمين ان أنا ملأتُ عينى منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة فقال له بنو مروان ثم تطلقه يا أمير المؤمنين قال ثم أطلقه وما عسيتُ أن أصنع بأبى أمية فقال بنو مروان أبِرَّ قسَم أمير المؤمنين فقال عمرو قد أبرّ الله قسمك يا أمير المؤمنين فأخرج من تحت فراشه

جامعة فطرحها اليه ثم قال ياغلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤس الناس فقال عبد الملك أمكرا أبا أمية عند الموت لا ها الله اذا ما كنا لنخرجك في جامعة على رؤس الناس ولما نخرجها منك الاصعدا ثم اجتبذه اجتباذة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال عمرو أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن يدعوك الى كسر عظم مني أن تركب ما هو أعظم من ذلك فقال له عبد الملك والله لو أعلم انك تبقي علي إن أبقي عليك وتصلح قريش لأطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان قط في بلدة على مثل ما نحن عليه الا أخرج أحدهما صاحبه فلما رأى عمرو ان ثنيته قد اندقت وعرف الذي يريد عبد الملك قال أغدرا يا ابن الزرقاء وقيل ان عبد الملك لما جذب عمرا فسقطت ثنيته جعل عمرو يمسها فقال عبد الملك له أرى ثنيتك قد وقعت منك موقعا لا تطيب نفسك لي بعدها فأمر به فضرب عنقه ﴿رجع الحديث الى حديث عوانة﴾ وأذن المؤذن العصر فخرج عبد الملك يصلي بالناس وأمر عبد العزيز بن مروان أن يقتله فقام اليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو أذكرك الله والرحم ان تلي أنت قتلي وليتول ذلك من هو أبعد رحما منك فألقى عبد العزيز السيف وجلس وصلى عبد الملك صلاة خفيفة ودخل وغلقت الابواب ورأى الناس عبد الملك حيث خرج وليس عمرو معه فذكروا ذلك ليحيى بن سعيد فأقبل في الناس حتى حل بباب عبد الملك ومعه ألف عبد لعمرو وأناس بعد من أصحابه كثير فجعل من كان معه يصيحون أسمعنا صوتك يا أبا أمية وأقبل مع يحيى بن سعيد حميد بن حريث وزهير بن الابرد فكسروا باب المقصورة وضربوا الناس بالسيوف وضرب عبد لعمرو بن سعيد يقال له مصقلة الوليد بن عبد الملك ضربة على رأسه واحتمله ابراهيم بن عربي صاحب الديوان فأدخله بيت القراطيس ودخل عبد الملك حين صلى فوجد عمرا حيا فقال لعبد العزيز ما منعك من أن تقتله قال منعني انه ناشدني الله والرحم فرققت له فقال له عبد الملك أخزى الله أمك البوالة على عقبيها فانك لم تشبه غيرها وأم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية وكانت أم عبد العزيز ليلى وذلك قول ابن الرقيات

ذاك ابن ليلى عبد العزيز ببا * ب اليون تغدو جفانه رذما

ثم ان عبد الملك قال ياغلام ائتني بالحربة فأتاه بالحربة فهزها ثم طعنه بها فلم تجز ثم ثنى فلم تجز فضرب بيده الى عضد عمرو فوجد مس الضرع فضحك ثم قال ودارع أيضا يا أبا أمية ان كنت لمعدا ياغلام ائتني بالصمصامة فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع وجلس على صدره فذبحه وهو يقول

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي * أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

وانتفض عبد الملك رعدةً وكذلك الرجل زعموا يُصيبه اذا قتل ذا قرابة له فحُمل عبد الملك عن صدره فوُضع على سريره فقال ما رأيت مثل هذا قط قتله صاحب دنيا ولا طالب آخرة ودخل يحيى بن سعيد ومن معه على بنى مروان الدار فجرّحوهم ومن كان معهم من مواليهم فقاتلوا يحيى وأصحابه وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفى فدُفع اليه الرأس فألقاه الى الناس وقام عبد العزيز بن مروان فأخذ المال فى البدور فجعل يُلقيها الى الناس فلما نظر الناس الى الاموال ورأوا الرأس انتهبوا الاموال وتفرقوا وقد قيل ان عبد الملك بن مروان لما خرج الى الصلاة أمر غلامه أبا الزُعَيزِعة بقتل عمرو فقتله وألقى رأسه الى الناس والى أصحابه (قال هشام) قال عوانة حُدثت ان عبد الملك أمر بتلك الاموال التى طُرحت الى الناس فجُبيت حتى عادت كلها الى بيت المال ورمى يحيى بن سعيد يومئذ فى رأسه بصخرة وأمر عبد الملك بسريره فأبرز الى المسجد وخرج فجلس عليه وفُقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول ويحكم أين الوليد وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم فأتاه ابراهيم بن عربى الكنانى فقال هذا الوليد عندى قد أصابته جراحة وليس عليه بأس فأتى عبد الملك بيحيى بن سعيد فأمر به أن يُقتل فقام اليه عبد العزيز فقال جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين أتراك قاتلا بنى أمية فى يوم واحد فأمر بيحيى فحُبس ثم أتى بعنبسة بن سعيد فأمر به أن يقتل فقام اليه عبد العزيز فقال أذكرك الله يا أمير المؤمنين فى استئصال بنى أمية وهلاكها فأمر بعنبسة فحُبس ثم أتى بعامر بن الاسود الكلبى فضرب رأسه عبد الملك بقضيب خيزران كان معه ثم قال أتقاتلنى مع عمرو وتكون معه علىّ قال نعم لأن عمرا أكرمنى وأهنتنى وأدنانى وأقصيتنى وقرّبنى وأبعدتنى وأحسن الىّ وأسأت الىّ فكنتُ معه عليك فأمر به عبد الملك أن يقتل فقام عبد العزيز فقال أذكرك الله يا أمير المؤمنين فى خالى فوهبه له وأمر ببنى سعيد فحُبسوا ومكث يحيى فى الحبس شهرا أو أكثر ثم ان عبد الملك صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم استشار الناس فى قتله فقام بعض خطباء الناس فقال يا أمير المؤمنين هل تلد الحيّةُ الا حية نرى والله أن تقتله فانه منافق عدوّ ثم قام عبد الله بن مَسعَدة الفزارى فقال يا أمير المؤمنين ان يحيى ابن عُمك وقرابته ما قد علمت وقد صنعوا ما صنعوا وصنعت بهم ما قد صنعت ولست لهم بآمن ولا أرى لك قتلهم ولكن سيّرهم الى عدوك فان هم قتلوا كنت قد كفيت أمرهم بيد غيرك وان هم سلموا ورجعوا رأيت فيهم رأيك فأخذ برأيه وأخرج آل سعيد فألحقهم بمصعب بن الزبير فلما قدموا عليه دخل عليه يحيى بن سعيد فقال له ابن الزبير انفلتَّ وانحصَّ الذنبُ فقال والله ان الذنب لَبِهُلبه ثم ان عبد الملك بعث الى امرأة عمرو الكلبية ابعثى الىّ بالصلح الذى كنتُ كتبته لعمرو فقالت لرسوله ارجع اليه فأعلمه انى قد لففت ذلك الصلح معه فى أكفانه ليخاصمك به عند ربه وكان عمرو بن سعيد وعبد الملك يلتقيان فى النسب

الى أمية وكانت أم عمرو أم البنين ابنة الحكم بن أبى العاص عمة عبد الملك (قال هشام) فحدثنا عوانة ان الذى كان بين عبد الملك وعمرو كان شرا قديما وكان ابنا سعيد أمهما أم البنين وكان عبد الملك ومعاوية ابنى مروان فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أم مروان بن الحكم الكنانية يتحدثون عندها فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود وكانت أم مروان اذا أتوها هيأت لهم طعاما ثم تأتيهم به فتضع بين يدى كل رجل صحفة على حدة وكانت لا تزال تؤرش بين معاوية بن مروان ومحمد بن سعيد وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد فيقتتلون ويتصارمون الحين لا يكلم بعضهم بعضا وكانت تقول ان لم يكن عند هذين عقل فعند هذين فكان ذلك دأبها كلما أتوها حتى أثبتت الشحناء فى صدورهم * وذكر ان عبد الله بن يزيد القسرى أبا خالد كان مع يحيى بن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة فقاتل بنى مروان فلما قتل عمرو وأخرج رأسه الى الناس ركب عبد الله وأخوه خالد فلحقوا بالعراق فأقام مع ولد سعيد وهم مع مصعب حتى اجتمعت الجماعة على عبد الملك وقد كانت عين عبد الله بن يزيد فقئت يوم المرج وكان مع ابن الزبير يقاتل بنى أمية وأنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة فقال كيف أنتم آل يزيد فقال عبد الله حرباء حرباء فقال عبد الملك ذلك بما قدمت أيديكم وما الله بظلام للعبيد (قال هشام) عن عوانة ان ولد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة أمية وسعيد واسماعيل ومحمد فلما نظر اليهم عبد الملك قال لهم انكم أهل بيت لم تزالوا ترون لكم على جميع قومكم فضلا لم يجعله الله لكم وان الذى كان بينى وبين أبيكم لم يكن حديثا بل كان قديما فى انفس أوليكم على أولينا فى الجاهلية فأقطع بأمية بن عمرو وكان اكبرهم فلم يقدر أن يتكلم وكان أنبلهم وأعقلهم فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال يا أمير المؤمنين ماتنعى علينا أمرا كان فى الجاهلية وقد جاء الله بالاسلام فهدم ذلك فوعد جنة وحذر نارا وأما الذى كان بينك وبين عمرو فان عمرا ابن عمك وأنت اعلم وما صنعت وقد وصل عمرو الى الله وكفى بالله حسيبا ولعمرى لئن أخذتنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خير لنا من ظهرها فرق لهم عبد الملك رقة شديدة وقال ان اباكم خيرنى بين أن يقتلنى أو أقتله فاخترت قتله على قتلى وأما أنتم فما أرغبنى فيكم وأوصلنى لقرابتكم وأرعانى لحقكم فأحسن جائزتهم ووصلهم وقربهم * وذكر ان خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته فقتلته فقال عبد الملك

دانيته منى ليسكن روعه * فأصول صولة حازم مستمكن

غضبا ومحمية لدينى انه * ليس المسىء سبيله كالمحسن

قال عوانة لقى رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة فقال له ورب هذه البنية ما كان فى القوم

مثل

مثل أبيك ولكنه نازع القوم ما في أيديهم فعطب * وكان الواقدى يقول انما كان في سنة ٦٩
بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الحصار وذلك أن عمرو بن سعيد تحصن بدمشق
فرجع عبد الملك اليه من بطنان حبيب فحاصره فيها واما قتله اياه فانه كان فى سنة ٧٠
﴿وفى هذه السنة﴾ حكم محكم من الخوارج بالخيف من منى فقتل عند الجمرة ذكر
محمد بن عمران يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن أبيه قال رأيته عند الجمرة سل سيفه وكانوا
جماعة فأمسك الله بأيديهم وبدرهو من بينهم فحكم فمال الناس عليه فقتلوه * وأقام الحج
للناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير وكان عامله فيها على المصرين الكوفة والبصرة أخوه
مصعب بن الزبير وكان على قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى
خراسان عبد الله بن خازم

## ﴿ ثم دخلت سنة سبعين ﴾

ففى هذه السنة ثارت الروم واستجاشوا على من بالشأم من المسلمين فصالح عبد الملك ملك
الروم على أن يؤدى اليه فى كل جمعة ألف دينار خوفا منه على المسلمين ﴿وفيها﴾ شخص فيما
ذكر محمد بن عمر مصعب بن الزبير الى مكة فقدمها بأموال عظيمة فقسمها في قومه وغيرهم
وقدم بدواب كثيرة وظهر وأثقال فارسل الى عبد الله بن صفوان وجبير بن شيبة وعبد
الله بن مطيع مالا كثيرا ونحر بدنا كثيرة ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن
الزبير وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله فى السنة التى قبلها على المعاون والقضاء

## ﴿ ثم دخلت سنة احدى وسبعين ﴾

### ﴿ ذكر ما كان فيها من الاحداث ﴾

فمن ذلك مسير عبد الملك بن مروان فيها الى العراق لحرب مصعب بن الزبير وكان عبد الملك
فيما قيل لا يزال يقرب من مصعب حتى يبلغ بطنان حبيب ويخرج مصعب الى باجميرا ثم
تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما الى موضعه ثم يعودان فقال عدى بن زيد بن عدى بن
الرقاع العاملى

لعمرى لقد أصحرت خيلنا * بأكناف دجلة للمصعب
اذا ما منافق أهل العرا * ق عوتب ثمت لم يعتب
دلفنا إليه بذى تدرإ * قليل التفقد للغيب
يهزون كل طويل القنا * ة ملتئم النصل والثعلب
كأن وعاهم اذا ما غدوا * ضجيج قطا بلد مخصب
فقدمنا واضح وجهه * كريم الضرائب والمنصب

أعــينَ بنا ونَصرْنا به * ومن يَنصُرِ اللهُ لم يُغلَبِ

فحدثني عمر بن شبة قال حــدثني على بن محمد قال أقبل عبــد الملك من الشام يريد مصعبا وذلك قبل هذه السنة في سنة ٧٠ ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال خالد لعبد الملك إن وجّهتَني الى البصرة وأتبَعتني خيلا يسـيرة رجوتُ ان أغلب لك عليها فوجهه عبد الملك فقدمها مستخفيا في مواليــه وخاصته حتى نزل على عمرو بن أصمع الباهلىّ قال عمر قال أبو الحســن قال مسلمة بن محارب أجار عمرو بن أصمع خالدا وأرسـل الى عباد ابن الحصــين وهو على شرطة ابن معمر وكان مصعب اذا شخص عن البصرة اســتخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر ورجا عمرو بن أصمع ان يبايعــه عبادُ بن الحصــين بأنى قد أجرْتُ خالدا فأحببت ان تعلم ذلك لتكون لى ظهرا فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه فقال له عباد قل له والله لا أضع لبدَ فرسى حتى آتيك فى الخيل فقال عمرو لخالد انى لا أغرّك هذا عباد يأتينا الساعة ولا والله ما أقدر على منعك ولكن عليك بمالك بن مسمع قال أبو زيد قال أبو الحســن ويقال انه نزل على علىّ بن أصمع فبلغ ذلك عبادا فأرسل اليه عبادانى سائر اليــك

حدثني عمر قال حدثني على بن محمد عن مسلمة وعوانة ان خالدا خرج من عنــد ابن أصمع يركض عليه قميص قوهىّ رقيق قد حسر عن فخذيه وأخرج رجليه من الركابين حتى أتى مالكا فقال انى قد اضطررتُ اليك فأجرنى قال نعم وخرج هو وابنه وأرسل الى بكر ابن وائل والأزد فكانت أول راية أتته راية بنى يشكُر وأقبل عباد في الخيل فتواقفوا ولم يكن بينهم قتال فلما كان من الغد غدوا الى جفرة نافع بن الحارث التى نسبت بعــدُ الى خالد ومع خالد رجال من بنى تميم قد أتوه منهم صعصعة بن معاوية وعبد العزيز بن بشر ومرة بن محكان فى عدد منهم وكان أصحاب خالد جفريّة ينسبون الى الُجفرة وأصحاب ابن معمر زُبَيريّة فكان من الجفريّة عبيد الله بن أبى بكرة وحُمران والمغــيرة بن المهلب ومن الزبيريّة قيس بن الهيثم السلمىّ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معــه فتقاضاه رجـل اجرةً فقال غدا أعطيكها فقال غطفان بن أنيف أحد بنى كعب بن عمرو

لبئس ما حكمتَ ياجلاجلُ * النقدُ دَيْنٌ والطعانُ عاجلُ
وأنتَ بالباب سمينٌ آجلُ

وكان قيس يعلم فى عنق فرسه جلاجل وكان على خيل بنى حنظلة عمرو بن وَبرة القحيفى وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كلّ يوم فيعطيهم عشرةً عشرةً فقيل له

لبئس ماحكمت ياابنَ وَبَرَهْ * تُعطى ثلاثينَ وتُعطى عشَرَهْ

ووجه المصعب زُحر بن قيس الجعفىّ مددا لابن معمر فى ألف ووجه عبــدُ الملك عبيد الله ابن زياد بن ظبيان مددا لخالد فكره ان يدخل البصرة وأرســل مطر بن التوأم فرجع اليه

فاخبره

فأخبره بتفرّق الناس فلحق بعبد الملك * قال أبو زيد قال أبو الحسن فحدثني شيخ من بني عرين عن السَّكن بن قتادة قال اقتتلوا أربعة وعشرين يوما وأصيبت عين مالك فضجر من الحرب ومشت السفراء بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص فصالحه على ان يخرج خالدا وهو آمن فأخرج خالدا من البصرة وخاف ان لا يجيز المصعب أمانَ عبيد الله فلحق مالك بثأج فقال الفرزدق يذكر مالكا ولحوق التميمية به وبخالد

عجبْتُ لأقوامٍ تميمٌ أبوهمُ * وهمْ في بني سعدٍ عظامُ المباركِ
وكانوا أعزّ الناس قبل مَسيرهمْ * الى الأزْد مُصْفَرًّا لحاها ومالكِ
فما ظنكمْ بابن الحوارىّ مُصْعَبٍ * إذا افترَّ عن أنيابه غيرَ ضاحكِ
ونحنُ نفينا مالكا عن بلادهِ * ونحن فقأْنا عينَهُ بالنَّيازكِ

قال أبو زيد قال أبو الحسن حدثني مسلمة ان المصعب لما انصرف عبد الملك الى دمشق لم يكن له همة الا البصرة وطمع ان يدرك بها خالدا فوجده قد خرج وآمن ابن معمر الناس فأقام أكثرهم وخاف بعضهم مصعبا فشخص فغضب مصعب على ابن معمر وحلف ان لا يوليه وأرسل الى الجُفريّة فسبهم وأنبهم قال أبو زيد فزعم المدائني وغيره من رواة أهل البصرة انه أرسل اليهم فأتى بهم فأقبل على عبيد الله بن أبي بكرة فقال يا ابن مسروح انما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كل كلب بما يشبهه وإنما كان أبوك عبدا نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ثم أقمتم البينة تدعون ان أبا سفيان زنا بأمكم أما والله لئن بقيت لألحقنكم بنسبكم ثم دعا بحمران فقال يا ابن اليهودية انما أنت علج نبطى سبيت من عين التمر ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود يا ابن الخبيث أتدرى من أنت ومن الجارود انما كان الجارود علجا بجزيرة ابن كاوانَ فارسيا فقطع الى ساحل البحر فانتمى الى عبد القيس ولا والله ما أعرف حيا أكثر اشتمالا على سوءة منهم ثم انكح أخته المكعبر الفارسىّ فلم يصب شرفا قط أعظم منه فهؤلاء ولدها يا ابن قباذ ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزهرانىّ فقال ألستَ من أهل هجر ثم من أهل سماهيج أما والله لأرُدَّنَّكَ الى نسبك ثم أتى بعلىّ بن أصمع فقال أعَبْدٌ لبني تميم مرةً وعزْىٌّ من باهلة مرةً ثم أتى بعبد العزيز بن بشر ابن حناط فقال يا ابن المشتور ألم يسرق عمُّكَ عنزا فى عهد عمر فأمر به فسير ليقطعه أما والله ما أعنت الا من ينكح أختك وكانت أخته تحت مقاتل بن مسمع ثم أتى بأبى حاضر الأسدى فقال يا ابن الإصطخرية ما أنت والأشراف وإنما أنت من أهل قطر دعىٌّ فى بنى أسد ليس لك فيهم قريب ولا نسيب ثم أتى بزياد بن عمرو فقال يا ابن الكرمانى انما أنت علج من أهل كرمان قطعت الى فارس فصرت ملاحا مالك وللحرب لأنت بجر القلس أحذق ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال أعلىَّ تكثر وأنت علج من أهل هجر لحق أبوك بالطائف

وهم يضمون من تأشب اليهم يتعززون به أما والله لأردنك الى أصلك ثم أتي بشيخ بن النعمان فقال ياابن الخبيث انما أنت علج من أهل زندورد هربت أمك وقتل أبوك فتزوج أخته رجل من بني يشكر فجاءت بغلامين فألحقك بنسبهما ثم ضربهم مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وهدم دورهم وصهرهم في الشمس ثلاثا وحملهم على طلاق نسائهم وجمر أولادهم في البعوث وطاف بهم في أقطار البصرة وأحلفهم ان لاينكحوا الحرائر و بعث مصعب خداش ابن يزيد الاسدى في طلب من هرب من أصحاب خالد فأدرك مرة بن محكان فأخذه فقال مرة

بني أسد إن تقتلوني تحاربوا * تميما اذا الحرب العوان اشمعلت
بني أسد هل فيكم من هوادة * فتعفون إن كانت بي النعل زلت
فلا تحسب الأعداء إذ غبت عنهم * وأوريت معنا أن حربي كلت
تمشي خداش في الأسكة آمنا * وقد نهلت مني الرماح وعلت

فقربه خداش فقتله وكان خداش على شرطة مصعب يومئذ وأمر مصعب سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد بدار مالك بن مسمع فهدمها وأخذ مصعب ما كان في دار مالك فكان فيما أخذ جارية ولدت له عمر بن مصعب قال وأقام مصعب بالبصرة حتى شخص الى الكوفة ثم لم يزل بالكوفة حتى خرج لحرب عبد الملك ونزل عبد الملك مسكن وكتب عبد الملك الى المروانية من أهل العراق فأجابه كلهم وشرط عليه ولاية اصبهان فأنعم بها لهم كلهم منهم حجار بن أبجر والغضبان بن القبعثرى وعتاب بن ورقاء وقطن بن عبد الله الحارثي ومحمد ابن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وزحر بن قيس ومحمد بن عمير وعلى مقدمته محمد بن مروان وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية وعلى ميسرته خالد بن يزيد وسار اليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة قال عروة بن المغيرة بن شعبة فخرج يسير متكئا على معرفة دابته ثم تصفح الناس يمينا وشمالا فوقعت عينه علي فقال يا عروة الي فدنوت منه فقال أخبرني عن الحسين بن علي كيف صنع بإبائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب فقال

إن الأُلى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال فعلمت انه لايريم حتى يقتل وكان عبد الملك فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن أبي فروة عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن رجاء بن حيوة قال لما قتل عمرو بن سعيد وضع السيف فقتل من خالفه فلما أجمع بالمسير الى مصعب وقد صفت له الشأم وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيؤ الى مصعب فاختلف عليه رؤساء أهل الشأم من غير خلاف لما يريده ولكنهم أحبوا ان يقيم ويقدم الجيوش فإن ظفروا فذاك وإن لم يظفروا

امدهم

أمدهم بالجيوش خشية على الناس ان أصيب فى لقائه مصعبا لم يكن وراءه ملكٌ فقالوا يا أمير المؤمنين لو أقمت مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ثم سرحته الى مصعب فقال عبد الملك إنه لا يقوم بهذا الأمر الا قرشى له رأى ولعلى أبعث من له شجاعة ولا رأى له وإنى أجد فى نفسى أنى بصير بالحرب شجاع بالسيف ان ألجئتُ الى ذلك ومصعب في بيت شجاعة أبوه أشجع قريش وهو شجاع ولا علم له بالحرب يحب الخفض ومعه من يخالفه ومعى من ينصح لى فسار عبد الملك حتى نزل مَسْكِنَ وسار مصعب الى باجُمَيرَا وكتب عبد الملك الى شيعته من أهل العراق فأقبل ابراهيم بن الأشتر بكتاب عبد الملك مختوما لم يقرأه فدفعه الى مصعب فقال ما فيه فقال ما قرأته فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه الى نفسه ويجعل له ولاية العراق فقال لمصعب إنه والله ما كان من أحد آيَسَ منه منى ولقد كتب الى أصحابك كلهم بمثل الذى كتب الىّ فأطعنى فيهم فاضرب أعناقهم قال اذاً لا تناصحنا عشائرهم قال فأوقرهم حديدا وابعث بهم الى أبيض كسرى فاحبسهم هنالك ووكل بهم من إن غلبتَ ضرب أعنقهم وان غَلبت مننت بهم على عشائرهم فقال يا أبا النعمان إنى لفى شغل عن ذلك يرحم الله أبا بحر إن كان ليحذرنى غدر أهل العراق كأنه كان ينظر الى ما نحن فيه ❊ حدثنى عمر قال حدثنا محمد بن سلام عن عبد القاهر بن السرى قال هم أهل العراق بالغدر بمصعب فقال قيس بن الهيثم ويحكم لا تدخلوا أهل الشأم عليكم فوالله لئن تطعّموا بعيشكم ليُضيِّقُنّ عليكم منازلكم والله لقد رأيت سيد أهل الشأم على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة ولقد رأيتنا فى الصوائف وأحدنا على ألف بعير وإن الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه قال ولما تدانى العسكران بدَيْرِ الجاثليق من مَسْكِنَ تقدم ابراهيم بن الأشتر فحمل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه فوجه عبد الملك بن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية فقرب من محمد بن مروان والتقى القوم فقتل مسلم بن عمرو الباهلىّ وقتل يحيى بن مبشر أحد بنى ثعلبة بن يربوع وقتل ابراهيم بن الأشتر فهرب عتّاب بن ورقاء وكان على الخيل مع مصعب فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثى أبا عثمان قدّم خيلك قال ما أرى ذلك قال ولم قال أكره أن تقتل مذحجٌ في غير شيء فقال لحجار بن أبجر أبا أسيد قدم رايتك قال الى هذه العذرة قال ما تتأخر اليه والله أنتن وألأم فقال لمحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك فقال ما أرى أحدا فعل ذلك فأفعلهُ فقال مصعب يا ابراهيم ولا ابراهيم لى اليوم ❊ حدثنى أبو زيد قال حدثنى محمد بن سلام قال أخبر ابن خازم بمسير مصعب الى عبد الملك فقال أمعه عمر بن عبيد الله بن معمر قيل لا استعمله على فارس قال أفمعه المهلب بن أبى صفرة قيل لا استعمله على الموصل قال أفمعه عباد بن الحصين قيل لا استخلفه على البصرة فقال وأنا بخراسان

خُذِينِي فُخِرِّينِي جَعَارِ وأبْشِرِي * بِلَحْمِ امْرِئٍ لَمْ يَشْهَدِ اليَوْمَ نَاصِرُهْ

فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب يا بنيّ اركب أنت ومن معك الى عمك بمكة فأخبره ما صنع أهل العراق ودعني فإني مقتول فقال ابنه والله لا أخبر قريشا عنك أبدا ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة فهم على الجماعة أو الحق بأمير المؤمنين قال مصعب والله لا تتحدث قريش أني فررت بما صنعت ربيعة من خذلانها حتى أدخل الحرم منهزما ولكن أقاتل فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار وما الفرار لي بعادة ولا خلق ولكن إن أردت ان ترجع فارجع فقاتل فرجع فقاتل حتى قتل * قال علي بن محمد عن يحيى بن اسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه ان عبد الملك أرسل الى مصعب مع أخيه محمد بن مروان إن ابن عمك يعطيك الأمان فقال مصعب إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف الا غالبا أو مغلوبا وقال الهيثم ابن عديّ حدثنا عبد الله بن عياش عن أبيه قال إنا لوقوف مع عبد الملك بن مروان وهو يحارب مصعبا اذ دنا منه زياد بن عمرو فقال يا أمير المؤمنين ان اسماعيل بن طلحة كان لي جار صدق قلما أرادني مصعب بسوء الا دفعه عني فإن رأيت ان تؤمنه على جرمه قال هو آمن فمضى زياد وكان ضخما على ضخم حتى صار بين الصفين فصاح أين أبو البختري اسماعيل بن طلحة فخرج اليه فقال اني أريد ان أذكر لك شيأ فدنا حتى اختلفت أعناق دوابهما وكان الناس ينتطقون بالحواشي المحشوّة فوضع زياد يده في منطقة اسماعيل ثم اقتلعه عن سرجه وكان نحيفا فقال أنشدك الله يا أبا المغيرة فإن هذا ليس بالوفاء لمصعب فقال هذا أحبّ اليّ من ان أراك غدا مقتولا ولما أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب وقال له يا ابن أخي لا تقتل نفسك لك الأمان فقال له مصعب قد آمنك عمك فامض اليه قال لا تتحدث نساء قريش اني أسلمتك للقتل قال فتقدّم بين يديّ أحتسبك فقاتل بين يديه حتى قتل وأثخن مصعب بالرمي ونظر اليه زائدة بن قدامة فشد عليه فطعنه وقال يا لثارات المختار فصرعه ونزل اليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاحتز رأسه وقال إنه قتل أخي النابئ بن زياد فأتى به عبد الملك بن مروان فأثابه ألف دينار فأبى ان يأخذها وقال إني لم أقتله على طاعتك انما قتلته على وتر صنعه بي ولا آخذ في حمل رأس مالا فتركه عند عبد الملك وكان الوتر الذي ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان انه قتل عليه مصعبا ان مصعبا كان ولي في بعض ولايته شرطه مطرف بن سيدان الباهليّ ثم أحد بني جاوة ❁ فحدثني عمر بن شبة قال حدثني أبو الحسن المدائنيّ ومخلد بن يحيى بن حاضر ان مطرّفا أتي بالنابئ بن زياد ابن ظبيان ورجل من بني نمير قد قطعا الطريق فقتل النابئ وضرب النميريّ بالسياط فتركه فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعا بعد ان عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز فخرج يريده فالتقيا فتواقفا وبينهما نهر فعبر مطرف اليه النهر وعاجله ابن ظبيان فطعنه

فقتله

فقتله فبعث مصعب مكرم بن مطرف في طلب ابن ظبيان فسار حتى بلغ عسكر مكرم فنسب اليه ولم يلق ابن ظبيان ولحق ابن ظبيان بعبد الملك لما قتل أخوه فقال البعيث اليشكرى بعد قتل مصعب يذكر ذلك

ولما رأينا الأمر نكسا صدوره * وهم الهوادى أن تكن تواليا
صبرنا لأمر الله حتى يقيمه * ولم نرض الا من أمية واليا
ونحن قتلنا مصعبا وابن مصعب * أخا أسد والنخعى اليمانيا
ومرت عقاب الموت منا بمسلم * فأهوت له نابا فأصبح ثاويا
سقينا ابن سيدان بكأس روية * كفتنا وخير الأمر ما كان كافيا

حدثني أبو زيد قال حدثني على بن محمد قال مر ابن ظبيان بابنة مطرف بالبصرة فقيل لها هذا قاتل أبيك فقالت في سبيل الله أبى فقال ابن ظبيان

فلا في سبيل الله لاقى حمامه * أبوك ولكن في سبيل الدراهم

فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق الى البيعة فبايعوه وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدجيل عند دير الجاثليق فلما قتل أمر به عبد الملك وبابنه عيسى فدفنا ذكر الواقدى عن عثمان بن محمد عن أبى بكر بن عمر عن عروة قال قال عبد الملك حين قتل مصعب واروه فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة ولكن هذا الملك عقيم قال أبو زيد وحدثنى أبو نعيم قال حدثنى عبد الله بن الزبير أبو أبى أحمد عن عبد الله بن شريك العامرى قال إنى لواقف الى جنب مصعب بن الزبير فأخرجت له كتابا من قبائى فقلت له هذا كتاب عبد الملك فقال ما شئت قال ثم جاء رجل من أهل الشام فدخل عسكره فأخرج جارية فصاحت واذلاه فنظر اليها مصعب ثم أعرض عنها قال وأتى عبد الملك برأس مصعب فنظر اليه فقال متى تغذو قريش مثلك وكانا يتحدثان الى حبى وهما بالمدينة فقيل لها قتل مصعب فقالت تعس قاتله قيل قتله عبد الملك بن مروان قالت بأبى القاتل والمقتول * قال وحج عبد الملك بعد ذلك فدخلت عليه حبى فقالت أقتلت أخاك مصعبا فقال

من يذق الحرب يجد طعمها * مرا وتتركه بجعجاع

وقال ابن قيس الرقيات

لقد أورث المصرين خزيا وذلة * قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل * ولا صبرت عند اللقاء تميم
ولو كان بكريا تعطف حوله * كتائب يغلى حميها ويدوم
ولكنه ضاع الذمام ولم يكن * بها مضرى يوم ذاك كريم

جزى الله كوفيًّا هناك ملامةً * وبصريّهم إنّ الملىم مليمُ
وانّ بنى العلاّت أخلوا ظهورنا * ونحن صريحٌ بينهم وصميمُ
فإن نفن لا يبقوا أولئك بعدنا * لذى حرمةٍ فى المسلمين حريم

﴿قال أبو جعفر﴾ وقد قيل ان ما ذكرتُ من مقتل مصعب والحرب التى جرت بينه وبين عبد الملك كانت في سنة ٧٢ وأن أمر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره الى البصرة من قبل عبد الملك كان فى سنة ٧١ وقتل مصعب فى جمادى الآخرة ﴿وفى هذه السنة﴾ دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصرين الكوفة والبصرة على عماله فى قول الواقدىّ وأما أبو الحسن فانه ذكر أن ذلك فى سنة ٧٢ وحدثنى عمر قال حدثنى علىّ بن محمد قال قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة ٧٢ ولما أتى عبد الملك الكوفة فيما ذكر نزل النخيلة ثم دعا الناس الى البيعة فجاءت قضاعةُ فرأى قلةً فقال يا معشر قضاعة كيف سلمتم من مضر مع قلتكم فقال عبد الله بن يعلى النهدى نحن أعزُّ منهم وأمنع قال بمن قال بمن معك منا يا أمير المؤمنين ثم جاءت مذحج وهمدان فقال ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيأ ثم جاءت جُعفىٌّ فلما نظر اليهم عبد الملك قال يا معشر جعفىّ اشتملتم على ابن اختكم وواريتموه يعنى يحيى بن سعيد بن العاص قالوا نعم قال فهاتوه قالوا وهو آمنٌ قال وتشترطون أيضا فقال رجل منهم إنا والله ما نشترط جهلا بحقك ولكنا نتسحب عليك تسحب الولد على والده فقال أما والله لنعم الحى أنتم ان كنتم لفرسانا فى الجاهلية والاسلام هو آمن فجاؤا به وكان يكنى أبا أيوب فلما نظر اليه عبد الملك قال أبا قبيح بأىّ وجه تنظر الى ربك وقد خلعتنى قال بالوجه الذى خلقه فبايع ثم ولى فنظر عبد الملك فى قفاه فقال لله درّه أىّ ابن زوملة هو يعنى غريبة وقال علىّ بن محمد حدثنى القاسم بن معن وغيره ان معبد بن خالد الجدلىّ قال ثم تقدمنا اليه معشر عدوان قال فقدَّمنا رجلا وسيما جميلا وتأخرتُ وكان معبد دميما فقال عبد الملك من فقال الكاتب عدوانُ فقال عبد الملك

عذيرَ الحىّ من عدوا * نَ كانوا حيّةَ الأرض
بغى بعضهم بعضًا * فلم يرعوا على بعضِ
ومنهم كانت السادا * تُ والموفونُ بالقرضِ

ثم أقبل على الجميل فقال إيهِ فقال لا أدرى فقلتُ من خلفه

ومنهم حكمٌ يقضى * فلا يُنقضُ ما يقضى
ومنهم من يُجيزُ الحجَّ بالسُنّة والفرضِ
وهُمْ مذْ وُلدوا شبُّوا * بسرِّ النسب المحض

قال فتركني عبد الملك ثم أقبل على الجميل فقال من هو قال لا أدرى فقلت من خلفه ذو الإصبع قال فأقبل على الجميل فقال ولم سمى ذا الإصبع فقال لا أدرى فقلت من خلفه لان حية عضت اصبعه فقطعتها فأقبل على الجميل فقال ما كان اسمه فقال لا أدرى فقلت من خلفه حُرثان بن الحارث فأقبل على الجميل فقال من أيكم كان قال لا أدرى فقلت من خلفه من بنى ناج فقال

أبعد بنى ناج وسعيك بينهم * فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا
اذا قلت معروفا لأصلح بينهم * يقول وُهيب لا أصالح ذلكا
فأضحى كظهر العير جُبّ سنامه * تطيف به الولدان أحدب باركا

ثم أقبل على الجميل فقال كم عطاؤك قال سبعمائة فقال لى فى كم أنت قلت فى ثلثمائة فأقبل على الكاتبين فقال حُطّا من عطاء هذا أربعمائة وزيداها فى عطاء هذا فرجعت وأنا فى سبعمائة وهو فى ثلثمائة ثم جاءت كندة فنظر الى عبد الله بن اسحاق بن الأشعث فأوصى به بشرا أخاه وقال اجعله فى صحابتك وأقبل داود بن قحذم فى مائتين من بكر بن وائل عليهم الاقبية الداودية وبه سُميت فجلس مع عبد الملك على سريره فأقبل عليه عبد الملك ثم نهض ونهضوا معه فأتبعهم عبد الملك بصره فقال هؤلاء الفساق والله لولا ان صاحبهم جاءنى ما أعطانى أحد منهم طاعة ثم انه ولى فيما قيل قطن بن عبد الله الحارثى الكوفة أربعين يوما ثم عزله وولى بشر بن مروان وصعد منبر الكوفة فخطب فقال ان عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج فآسى بنفسه ولم يغرز ذنبه فى الحرم ثم قال انى قد استعملت عليكم بشر بن مروان وأمرته بالاحسان الى أهل الطاعة والشدة على أهل المعصية فاسمعوا له وأطيعوا واستعمل محمد بن عمير على همذان ويزيد بن رويم على الرى وفرّق العُمّال ولم يف لأحد شرط عليه ولاية اصبهان ثم قال علىّ هؤلاء الفساق الذين أنغلوا الشأم وأفسدوا العراق فقيل قد أجارهم رؤساء عشائرهم فقال وهل يجير علىّ أحد وكان عبد الله بن يزيد بن أسد لجأ الى علىّ بن عبد الله بن عباس ولجأ اليه أيضا يحيى بن مَعْيُوف الهمدانى ولجأ الهذيل بن زُفر بن الحارث وعمرو بن زيد الحكمى الى خالد بن يزيد بن معاوية فآمنهم عبد الملك فظهروا ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبى بكرة وحُمران بن أبان ❁ فحدثنى عمر بن شبة قال حدثنى علىّ بن محمد قال لما قتل المصعب وثب حمران بن أبان وعبيد الله بن أبى بكرة فتنازعا فى ولاية البصرة فقال ابن أبى بكرة أنا أعظم غناء منك أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة فقيل لحمران انك لا تقوى على ابن أبى بكرة فاستعن بعبد الله بن الأهتم فانه ان أعانك لم يقو عليك ابن أبى بكرة ففعل وغلب حمران على البصرة وابن الأهتم على شرطها

وكان لحمران منزلة عند بني أمية ﴿ حدثني ﴾ أبو زيد قال حدثني أبو عاصم النبيل قال أخبرني رجل قال قدم شيخ اعرابي فرأى حمران فقال من هذا فقالوا حمران فقال لقد رأيت هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسوّيه قال أبو زيد قال أبو عاصم فحدثت بذلك رجلا من ولد عبد الله بن عامر فقال حدثني أبي ان حمران مد رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يغمزها ﴿ وفي هذه السنة ﴾ بعث عبد الملك خالد ابن عبد الله على البصرة واليا ﴿ حدثني ﴾ عمر قال حدثني علىّ بن محمد قال مكث حمران على البصرة يسيرا وخرج ابن أبي بكرة حتى قدم على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب فولى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها فوجّه خالدٌ عبيد الله ابن أبي بكرة خليفته على البصرة فلما قدم على حمران قال أقد جئتَ لا جئتَ فكان ابن أبي بكرة على البصرة حتى قدم خالد ﴿ وفي هذه السنة ﴾ رجع عبد الملك فيما زعم الواقدي الى الشأم * قال وفيها نزع ابن الزبير جابر بن الاسود بن عوف عن المدينة واستعمل عليها طلحة ابن عبد الله بن عوف قال وهو آخر وال لابن الزبير على المدينة حتى قدم عليها طارق بن عمرو مولى عثمان فهرب طلحة وأقام طارق بالمدينة حتى كتب اليه عبد الملك ﴿ وحج ﴾ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير في قول الواقدي وذكر أبو زيد عن أبي غسان محمد ابن يحيى قال حدثني مصعب بن عثمان قال لما انتهى الى عبد الله بن الزبير قتلُ مصعب قام في الناس فقال الحمد لله الذي له الخلق والأمر يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء ألا وانه لم يُذلل الله من كان الحق معه وان كان فردا ولم يُعزز من كان وليه الشيطان وحزبُه وان كان معه الأنام طرّا ألا وانه قد أتانا من العراق خبرٌ حزننا وأفرحنا أتانا قتل مصعب رحمة الله عليه فأما الذي أفرحنا فعلمُنا انّ قتله له شهادةٌ وأما الذي حزننا فانّ لفراق الحميم لوعة يجدها حميمُه عند المصيبة ثم يرعوي من بعدها ذو الرأى الى جميل الصبر وكريم العزاء ولئن أصبتُ بمصعب لقد أصبتُ بالزبير قبله وما أنا من عثمان بخلوِ مصيبة وما مصعب الا عبد من عبيد الله وعونٌ من أعواني ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق اسلموه وباعوه بأقل الثمن فان يقتل فانا والله ما نموت على مضاجعنا كما تموت بنو أبي العاص والله ما قتل منهم رجل في زحف في الجاهلية ولا الاسلام وما نموت الا قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف ألا انما الدنيا عاريّةٌ من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ملكه فان تُقبل لا آخذها أخذ الأشر البطر وان تُدبر لا أبكِ عليها بكاء الخرق المهين أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وذكر ان عبد الملك لما قتل مصعبا ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع وأمر به الى الخورنق وأذن اذنا عاما فدخل الناس فأخذوا مجالسهم فدخل عمرو بن حُريث المخزومي فقال اليّ وعلى سريري فأجلسه

معه ثم قال أى الطعام أكلت أحب اليك وأشهى عندك قال عناق حمراء قد أجيد تمليحها وأحكم نضجها قال ماصنعت شيأ فأين أنت من عمروس راضع قد أجيد سمطه وأحكم نضجه اختلجت اليك رجله فأتبعتها يده غذى بشر يحين من لبن وسمن ثم جاءت الموائد فأكلوا فقال عبد الملك بن مروان ما ألذ عيشنا لو أن شيأ يدوم ولكنا كما قال الأول

وكل جديد يا أميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر يقول لعمرو بن حريث لمن هذا البيت ومن بنى هذا البيت وعمرو يخبره فقال عبد الملك

وكل جديد يا أميم الى بلى * وكل امرئ يوما يصير الى كان

ثم أتى مجلسه فاستلقى وقال

اعمل على مهل فانك ميت * واكدح لنفسك أيها الانسان

فكأن ماقد كان لم يك اذ مضى * وكأن ماهو كائن قد كان

﴿وفي هذه السنة﴾ افتتح عبد الملك فى قول الواقدى قيسارية

## ﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ﴾

## ﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث الجليلة ﴾

﴿قال أبو جعفر﴾ فمن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبى صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ﴿ذكر هشام بن محمد﴾ عن أبى مخنف ان حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسى حدثاه ان الازارقة والمهلب بعد ما اقتتلوا بسولاف ثمانية أشهر أشد القتال أتاهم ان مصعب بن الزبير قد قتل فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج الا تخبرونا ماقولكم فى مصعب قالوا امام هدى قالوا فهو وليكم فى الدنيا والآخرة قالوا نعم قالوا وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا ونحن أولياؤه أحياء وأمواتا قالوا فما قولكم في عبد الملك بن مروان قالوا ذاك ابن اللعين نحن الى الله منه براء هو عندنا أحل دما منكم قالوا فأنتم منه براء فى الدنيا والآخرة قالوا نعم كبراءتنا منكم قالوا وأنتم له أعداء أحياء وأمواتا قالوا نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم مصعبا قد قتله عبد الملك بن مروان ونراكم ستجعلون غدا عبد الملك امامكم وأنتم الآن تتبرؤن منه وتلعنون أباه قالوا كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك ابن مروان فأتتهم الخوارج فقالوا ما تقولون في مصعب قالوا يا أعداء الله لانخبركم ماقولنا فيه وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم قالوا فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم فى الدنيا والآخرة وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتا فأخبرونا ماقولكم فى عبد الملك قالوا ذاك امامنا وخليفتنا ولم يجدوا اذ بايعوه بدا من أن يقولوا هذا القول قالت لهم الأزارقة يا أعداء الله أنتم أمس تتبرؤن

منه فى الدنيا والآخرة وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتا وهو اليوم امامكم وخليفتكم وقد قتل امامكم الذى كنتم تولونه فأيهما المحق وأيهما المهتدى وأيهما الضال قالوا لهم يا أعداء الله رضينا بذاك اذ كان ولى أمورنا ونرضى بهذا كما رضينا بذاك قالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وأولياء الظالمين وعبيد الدنيا وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة فلما قدم خالد أثبت المهلبَ على خراج الاهواز ومعونتها وبعث عامر بن مِسْمع على سَابُورَ ومقاتل بن مِسْمع على اردَشِيرْخُرَّه ومسمع بن مالك بن مِسْمع على فَسَاودَ رابجِرْدَ والمغيرة بن المهلب على اصطخر ثم انه بعث الى مقاتل فبعثه على جيش وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة فانحطوا عليه من قِبَل كرْمان حتى أتوا دار ابجِرْد فسار نحوهم وبعث قَطَرِىٌّ مع صالح بن مخراق تسعمائة فارس فأقبل يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا يجرون على غير تعبية فهزم الناس ونزل مقاتل بن مسمع فقاتل حتى قُتل وانهزم عبد العزيز بن عبد الله وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود فأقيمت فيمن يزيد فبلغت مائة ألف وكانت جميلة فغار رجل من قومها كان من رؤس الخوارج يقال له أبو الحديد الشنّى فقال تنحّوا هكذا ما أرى هذه المشركة الا قد فتنتكم فضرب عنقها ثم زعموا أنه لحق بالبصرة فرآه آل منذر فقالوا والله ما ندرى أنحمَدُك أم نذمك فكان يقول ما فعلته الا غيرةً وحميّة وجاء عبد العزيز حتى انتهى الى رام هُرْمُز وأتى المهلب فأخبر به فبعث اليه شيخا من أشياخ قومه كان أحدّ فرسانه فقال ائته فان كان منهزما فعزّه وأخبره انه لم يفعل شيأ لم يفعله الناس قبله وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلا ثم يعزّه الله وينصره فأتاه ذلك الرجل فوجده نازلا فى نحو من ثلاثين رجلا كئيبا حزينا فسلم عليه الأزدى وأخبره انه رسول المهلب وبلغه ما أمره به وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة ثم انصرف الى المهلب فأخبره الخبر فقال له المهلب الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر فقال أنا آتيه أخبره أن أخاه هزم والله لا آتيه فقال المهلب لا والله لا يأتيه غيرك أنت الذى عاينته ورأيته وأنت كنت رسولى اليه قال هو اذًا يهديك يا مهلب ان ذهب اليه العام ثم خرج قال المهلب اما أنت والله فانك لى آمن أما والله لو أنك مع غيرى ثم أرسلك على رجليك خرجت تشتد قال له وأقبل عليه كانك انما تمن علينا بحلمك فنحن والله نكافيك بل نزيد أما تعلم انا نعرّض أنفسنا للقتل دونك ونحميك من عدوك ولو كنا والله مع من يجهل علينا ويبعثنا فى حاجاته على أرجلنا ثم احتاج الى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا ووقيناه بأنفسنا قال له المهلب صدقت صدقت ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرحه الى خالد يخبره خبر أخيه فأتاه الفتى الأزدى وحوله الناس وعليه جُبَّة خضراء ومِطرف أخضر فسلم عليه فرد عليه فقال ما جاء بك قال أصلحك الله أرسلنى

اليك المهلب لاخبرك خبر ما عاينته قال وما عاينت قال رأيت عبد العزيز برام هرمز مهزوما قال كذبت قال لا والله ما كذبت وما قلت لك الا الحق فان كنت كاذبا فاضرب عنقى وان كنت صادقا فأعطنى أصلحك الله جبتك ومطرفك قال ويحك ما أيسر ما سألت ولقد رضيت مع الخطر العظيم ان كنت كاذبا بالخطر الصغير ان كنت صادقا فحبسه وأمر بالاحسان اليه حتى تبينت له هزيمة القوم فكتب الى عبد الملك أما بعد فانى أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنى بعثت عبد العزيز بن عبد الله فى طلب الخوارج وأنهم لقوه بفارس فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس وقتل مقاتل بن مسمع وقدم الفلّ الى الاهواز أحببت ان أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتينى رأيه وأمره انزل عنده ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فكتب اليه أما بعد فقد قدم رسولك فى كتابك تعلمنى فيه بعثتك أخاك على قتال الخوارج وبهزيمة مَنْ هُزم وقتل مَن قتل وسألت رسولك عن مكان المهلب فحدثنى أنه عامل لك على الاهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك اعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب الى جنبك يجبى الخراج وهو الميمون النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسى لها ابنها وابن ابنائها انظر أن ينهض بالناس حتى تستقبلهم بالاهواز ومن وراء الاهواز وقد بعثت الى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة فاذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأى حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله فشق عليه أنه فَيَّل رأيه فى بعثة أخيه وترك المهلب وفى أنه لم يرض رأيه خالصا حتى قال أحضرْه المهلب واستشرْه فيه وكتب عبد الملك الى بشر بن مروان أما بعد فإنى قد كتبت الى خالد بن عبد الله آمرُه بالنهوض الى الخوارج فسرّحْ اليه خمسة آلاف رجل وابعث عليهم رجلا من قِبلك ترضاه فإذا قضوا غزاتهم صرفتهم الى الرىّ فقاتلوا عدوّهم وكانوا فى مسالحهم وجبوا فيأهم حتى تأتى أيام عقبهم فتُعقبهم وتبعث آخرين مكانهم فقطع على أهل الكوفة خمسة آلاف وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وقال اذا قضيت غزاتك هذه فانصرف الى الرىّ وكتب له عليها عهدا وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز وجاء عبد الرحمن ابن محمد بعث أهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم وقال المهلب لخالد بن عبد الله انى أرى ههنا سفنا كثيرة فضُمّها اليك فوالله ما أظن القوم الا مُحرِّقيها فما لبث الا ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم اليها فحرّقتها وبعث خالد بن عبد الله على ميمنته المهلب وعلى ميسرته داود بن قَحذم من بنى قيس بن ثعلبة ومرّ المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخندق فقال له يا ابن أخى ما يمنعك من الخندق فقال والله لهم أهون علىّ من ضرطة الجمل قال فلا يهونوا عليك يا ابن أخى فإنهم سباع العرب لا أبرح أو تضربَ عليك خندقا ففعل و بلغ الخوارج قولُ عبد الرحمن

ابن محمد لهم أهون علىّ من ضرطة الجمل فقال شاعرهم

يا طالب الحق لا تستهوَ بالأمل * فإن من دون ما تهوى مدى الأجل
واعمل لربك واسأله مثوبته * فإن تقواه فاعلم أفضل العمل
واغز المخانيث فى الماذىّ معلمة * كما تصبح غدوا ضرطة الجمل

وأقاموا نحوا من عشرين ليلة ثم ان خالدا زحف اليهم بالناس فرأوا أمرا هالهم من عدد الناس وعدتهم فأخذوا ينحازون واجترأ عليهم الناس فكرّت عليهم الخيل و زحف اليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس وأتبعهم خالد ابن عبد الله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة وانصرف خالد الى البصرة وانصرف عبد الرحمن بن محمد الى الرىّ وأقام المهلب بالأهواز فكتب خالد بن عبد الله الى عبد الملك أما بعد فإنى أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله انى خرجت الى الأزارقة الذين مرقوا من الدين وحرجوا من ولاية المسلمين فالتقينا بمدينة الأهواز فتناهضنا فاقتتلنا كأشدّ قتال كان فى الناس ثم ان الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين وضرب الله وجوه أعدائه فأتبعهم المسلمون يقتلونهم ولا يمنعون ولا يمتنعون وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين ثم أتبعتهم داود بن قحذم والله ان شاء الله مهلكهم ومستأصلهم والسلام عليك فلما قدم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك الى بشر بن مروان أما بعد فابعث من قبلك رجلا شجاعا بصيرا بالحرب فى أربعة آلاف فارس فليسير والى فارس فى طلب المارقة فان خالدا كتب الىّ يخبرنى انه قد بعث في طلبهم داود بن قحذم فمر صاحبك الذى تبعث أن لا يخالف داود بن قحذم اذا ما التقيا فإن اختلاف القوم بينهم عون لعدوّهم عليهم والسلام عليك فبعث بشر بن مروان عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحذم بأرض فارس ثم اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيول عامتهم وأصابهم الجهد والجوع و رجع عامة ذينك الجيشين مشاة الى الأهواز فقال ابن قيس الرقيات من بنى مخزوم في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم * وتركتهم صرعى بكل سبيل
من بين ذى عطش يجود بنفسه * وملحب بين الرجال قتيل
هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا * اذ رحت منتكث القوى بأصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم * فارجع بعار فى الحياة طويل
ونسيت عرسك اذ تقاد سبية * تبكى العيون برنة وعويل

﴿وفى هذه السنة﴾ كان خروج أبى فديك الخارجى وهو من بنى قيس بن ثعلبة فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفى فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطرى

الاهواز

الأهواز وأمر أبى فديك فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كثيف الى أبى فديك فهزمه أبو فديك وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه وسار أمية على فرس له حتى دخل البصرة فى ثلاثة أيام فكتب خالد الى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة ﴿وفى هذه السنة﴾ وجّه عبد الملك الحجاج بن يوسف الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وكان السبب فى توجيهه الحجاج اليه دون غيره فيما ذُكر ان عبد الملك لما أراد الرجوع الى الشأم قام اليه الحجاج بن يوسف فقال يا أمير المؤمنين إنى رأيت فى منامى أنى أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فابعثنى اليه وولّنى قتاله فبعثه فى جيش كثيف من أهل الشأم فسار حتى قدم مكة وقد كتب اليهم عبد الملك بالامان ان دخلوا فى طاعته فحدثنى الحارث قال حدثنى محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن أبى الأسود عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال بعث عبد الملك بن مروان حين قتل مصعب بن الزبير الحجاج بن يوسف الى ابن الزبير بمكة فخرج فى ألفين من جند أهل الشأم فى جمادى من سنة ٧٢ فلم يعرض للمدينة وسلك طريق العراق فنزل بالطائف فكان يبعث البعوث الى عرفة فى الحل ويبعث ابن الزبير بعثا فيقتتلون هنالك فكل ذلك تهزم خيل ابن الزبير وترجع خيل الحجاج بالظفر ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يستأذنه فى حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه ويخبره ان شوكته قد كلت وتفرّق عنه عامة أصحابه ويسأله أن يمدّه برجال فجاءه كتاب عبد الملك وكتب عبد الملك الى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج فسار فى خمسة آلاف من أصحابه حتى لحق بالحجاج وكان قدوم الحجاج الطائف فى شعبان سنة ٧٢ فلما دخل ذو القعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميمون وحصر ابن الزبير وحجّ الحجاج بالناس فى هذه السنة وابن الزبير محصور وكان قدوم طارق مكة لهلال ذى الحجة ولم يطف بالبيت ولم يصل اليه وهو محرم وكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب الى ان قتل عبد الله بن الزبير ونحر ابن الزبير بدنا بمكة يوم النحر ولم يحج ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة * قال محمد بن عمر وحدثنى سعيد بن مسلم بن بابك عن أبيه قال حججت فى سنة ٧٢ فقدمنا مكة فدخلناها من أعلاها فنجد أصحاب الحجاج وطارق فيما بين الحجون الى بئر ميمون فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة ثم حج بالناس الحجاج فرأيته واقفا بالهضبات من عرفة على فرس وعليه الدرع والمغفر ثم صدر فرأيته عدل الى بئر ميمون ولم يطف بالبيت وأصحابه متسلحون ورأيت الطعام عندهم كثيرا ورأيت العير تأتى من الشأم تحمل الطعام الكعك والسويق والدقيق فرأيت أصحابه مخاصيب ولقد ابتعنا من بعضهم كعكا بدرهم فكفانا الى ان بلغنا الجحفة وإنا لثلاثة نفر * قال محمد بن عمر حدثنى مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد قال وكان عالما بفتنة ابن الزبير قال حُصر ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة

سنة ٧٢ ﴿وفى هذه السنة﴾ كتب عبد الملك الى عبد الله بن خازم السُلمى يدعوه الى بيعته ويُطعمه خراسان سبع سنين فذكر على بن محمد ان المفضل بن محمد ويحيى بن طفيل وزهير بن هنيد حدثوه قال وفى خبر بعضهم زيادة على خبر بعض أن مصعب بن الزبير قتل سنة ٧٢ وعبد الله بن خازم بأبرشهر يقاتل بحيرابن ورقاء الصريمى صريم بن الحارث فكتب عبد الملك بن مروان الى ابن خازم مع سورة بن أشيم النميرى ان لك خراسان سبع سنين على ان تبايع لى فقال ابن خازم لسورة لولا ان أضرب بين بنى سليم وبنى عامر لقتلتك ولكن كل هذه الصحيفة فأكلها قال وقال أبو بكر بن محمد بن واسع بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سوادة بن عبيد الله النميرى وقال بعضهم بعث عبد الملك الى ابن خازم سنان بن مكمل الغنوى وكتب اليه ان خراسان طعمة لك فقال له ابن خازم انما بعثك أبو الذبان لأنك من غنى وقد علم انى لا أقتل رجلا من قيس ولكن كل كتابه قال وكتب عبد الملك الى بكير بن وشاح أحد بنى عوف بن سعد وكان خليفة ابن خازم على مرو بعهده على خراسان ووعده ومناه فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير ودعا الى عبد الملك ابن مروان فأجابه أهل مرو وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرشهر فترك بحيرا وأقبل الى مرو يريد أن يأتى ابنه بالترمذ فأتبعه بحير فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية شاهميغد بينها وبين مرو ثمانية فراسخ قال فقاتله ابن خازم فقال مولى لبنى ليث كنت قريبا من معترك القوم في منزل فلما طلعت الشمس تهايج العسكران فجعلت أسمع وقع السيوف فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات فقلت هذا ارتفاع النهار فلما صليت الظهر أوقبل الظهر خرجت فتلقانى رجل من بنى تميم فقلت ما الخبر قال قتلت عدو الله ابن خازم وها هو ذا واذا هو محمول على بغل وقد شدوا في مذاكيره حبلا وحجرا اعدلوه به على البغل قال وكان الذى قتله وكيع بن عميرة القريعى وهو ابن الدورقية اعتور عليه بحير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجشمى ووكيع فطعنوه فصرعوه فقعد وكيع على صدره فقتله فقال بعض الولاة لوكيع كيف قتلت ابن خازم قال غلبته بفضل القنا فلما صرع قعدت على صدره فحاول القيام فلم يقدر عليه وقلت يالثارات دويلة ودويلة أخ لوكيع لأمه قتل قبل ذلك في غير تلك الايام قال وكيع فتنخم في وجهى وقال لعنك الله تقتل كبش مضر بأخيك علج لا يساوى كفا من نوى أوقال من تراب فما رأيت أحدا أكثر ريقا منه على تلك الحال عند الموت قال فذكر ابن هبيرة يوما هذا الحديث فقال هذه والله البسالة قال وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم رجلا من بنى غدانة الى عبد الملك ابن مروان يخبره بقتل ابن خازم ولم يبعث بالرأس وأقبل بكير بن وشاح فى أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم فأراد أخذ رأس ابن خازم فمنعه بحير فضربه بكير بعمود وأخذ الرأس

وقيد بحيرا وحبسه وبعث بكير بالرأس الى عبد الملك وكتب اليه يُخبره انه هو الذى قتله فلما قُدم بالرأس على عبد الملك دعا الغُدانىّ رسول بَحِير وقال ما هذا قال لا أدرى وما فارقت القوم حتى قتل فقال رجل من بنى سُليم

ألَيْلتنا بنيسابور رُدّى * علىَّ الصبحَ ويحكِ أو أنيرى
كواكبُها زَواحفُ لاغباتٌ * كأنّ سماءها بيدَى مُدِيرِ
تَلومُ على الحوادثِ أمُّ زيدٍ * وهل لكِ فى الحوادث من نكيرِ
جهلن كرامتى وصددن عنّى * الى أجلٍ من الدنيا قصيرِ
فلو شهد الفوارسُ من سليم * غداةَ يُطافُ بالأسد العقيرِ
لنازَلَ حولهُ قومٌ كرامٌ * فعزَّ الوترُ فى طلب الوتور
فقد بَقيت كلابٌ نابحاتٌ * ومافي الارضِ بعدكَ من زئيرِ

فولى الحجّ بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان العامل على المدينة طارق مولى عثمان من قبل عبد الملك وعلى الكوفة بشر بن مروان وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بن مسعود وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضائها هشام ابن هُبيرة وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السُلمىّ وفي قول بعض بكير بن وشاح وزعم من قال كان على خراسان فى سنة ٧٢ عبد الله بن خازم أنّ عبد الله بن خازم انما قتل بعد ما قتل عبدُ الله بن الزبير وأن عبد الملك انما كتب الى عبد الله بن خازم يدعوه الى الدخول فى طاعته على أن يُطعمه خراسان عشر سنين بعد ما قتل عبدُ الله ابن الزبير وبعث برأسه اليه وأن عبد الله بن خازم حلف لما ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير أن لا يعطيه طاعة أبدا وانه دعا بطست فغسل رأس ابن الزبير وحنطه وكفنه وصلى عليه وبعث به الى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة وأطعم الرسول الكتابَ وقال لولا انك رسول لضربتُ عنقك وقال بعضهم قطع يديه ورجليه وضرب عنقه

﴿ فصل نذكر فيه الكتّاب من بدء أمر الاسلام ﴾

﴿روى﴾ هشام وغيره ان أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن عبد شمس بالعربية وان أول من كتب بالفارسية بيوراسب وكان فى زمان ادريس وكان أول من صنف طبقات الكتّاب وبيّن منازلهم لُهراسب بن كاوغان بن كيموس وحكى ان أبرويز قال لكاتبه انما الكلام أربعة أقسام سؤالك الشئ وسؤالك عن الشئ وأمرك بالشئ وخبرك عن الشئ فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد وان نقص منها رابع لم تتمّ فاذا طلبت فأسجح واذا سألت فأوضح واذا أمرت فاحتم واذا أخبرت فحقق * وقال أبو موسى الأشعرىّ أوّل من قال أما بعدُ داود وهى فصل الخطاب الذى ذكره الله عنه * وقال الهيثم

ابن عدى" أوّل من قال أما بعد قُسُّ بن ساعدة الإيادى" (أسماء من كتب للنبى" صلى الله عليه وسلم) علىّ بن أبى طالب عليه السلام وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحى فإن غابا كتبه أبىّ بن كعب وزيد بن ثابت وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم فى حوائجهم وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب الى الملوك عن النبى" صلى الله عليه وسلم (وكتب لأبى بكر) عثمان وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعى" وحنظلة بن الربيع (وكتب لعمر بن الخطاب) زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن خلف الخزاعى" أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة ابن الضحاك الأنصارى" وقال عمر بن الخطاب لكتّابه وعماله ان القوة على العمل أن لا تؤخر واعمل اليوم لغد فإنكم اذا فعلتم ذلك تداءبت عليكم الأعمال فلا تدرون بأيها تبدؤن وأيها تأخذون وهو أول من دوّن الدواوين فى العرب في الاسلام (وكان يكتب لعثمان) مروان بن الحكم وكان عبد الملك يكتب له على ديوان المدينة وأبو جبيرة الأنصارى" على ديوان الكوفة وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بنى دهمان من قيس عيلان يكتب له وكان يكتب له أهيب مولاه وحمران مولاه (وكان يكتب لعلى" عليه السلام) سعيد بن نمران الهمدانى" ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير وكان يكتب له عبد الله بن مسعود وروى ان عبد الله بن جبير كتب له وكان عبيد الله بن أبى رافع يكتب له واختلف في اسم أبى رافع فقيل اسمه ابراهيم وقيل أسلم وقيل سنان وقيل عبد الرحمن * وكان يكتب لمعاوية على الرسائل عبيد الله بن أوس الغسانى" وكان يكتب له على ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومى" وكتب له عبد الرحمن بن دراج وهو مولى معاوية وكتب على بعض دواوينه عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السلمى" * وكان يكتب لمعاوية بن يزيد الريان بن مسلم ويكتب له على الديوان سرجون ويروى انه كتب له أبو الزعيزعة * وكتب لعبد الملك بن مروان قبيصة بن ذؤيب ابن حلحلة الخزاعى ويكنى أبا اسحاق وكتب له على ديوان الرسائل أبو الزعيزعة مولاه * وكان يكتب للوليد القعقاع بن خالد أو خليد العبسى" وكتب له على ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشنى" وعلى ديوان الخاتم شعيب العمانى" مولاه وعلى ديوان الرسائل جناح مولاه وعلى المستغلات نفيع بن ذؤيب مولاه * وكان يكتب لسليمان سليمان بن نعيم الحميرى" * وكان يكتب لمسلمة سميع مولاه وعلى ديوان الرسائل الليث بن أبى رقية مولى أم الحكم بنت أبى سفيان وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشنى" وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولى لأهل اليمن من فلسطين وقيل بل رجاء بن حيوة كان يتقلد الخاتم * وكان يكتب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبى فروة * وكان يكتب لعمر بن عبد العزيز الليث بن أبى فروة مولى أم الحكم بنت

أبى سفيان ورجاء بن حيوة وكتب له اسماعيل بن أبى حكيم مولى الزبير وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشنى وقلد مكانه صالح بن جبير الغسانى وقيل الغدانى وعدى بن الصباح ابن المثنى ذكر الهيثم بن عدى انه كان من جلة كتابه * وكتب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجل يقال له يزيد بن عبد الله ثم استكتب أسامة بن يزيد السليحى * وكتب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الكلبى الأبرش ويكنى أبا مجاشع وكان نصر بن سيّار يتقلد ديوان خراج خراسان لهشام وكان من كتّابه بالرُصافة شعيب بن دينار * وكان يكتب للوليد بن يزيد بكير بن الشمّاخ وعلى ديوان الرسائل سالم مولى سعيد بن عبد الملك ومن كتابه عبد الله بن أبى عمرو ويقال عبد الأعلى بن أبى عمرو وكتب له على الحضرة عمرو بن عتبة وكتب ليزيد ابن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم وكان عمرو بن الحارث مولى بنى جُمح يتولى له ديوان الخاتم وكان يتقلد له ديوان الرسائل ثابت بن سليمان بن سعد الخشنى ويقال الربيع بن عرعرة الخشنى وكان يتقلد له الخراج والديوان الذى للخاتم الصغير النضر بن عمرو من أهل اليمن * وكتب لابراهيم بن الوليد ابن أبى جمعة وكان يتقلد له الديوان بفلسطين وبايع الناس ابراهيم أعنى ابن الوليد سوى أهل حمص فانهم بايعوا مروان بن محمد الجعدى وكتب لمروان عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامرى ومصعب بن الربيع الخثعمى وزياد ابن أبى الورد وعلى ديوان الرسائل عثمان بن قيس مولى خالد القسرى وكان من كتابه مخلد ابن محمد بن الحارث ويكنى أباهاشم ومن كتابه مصعب بن الربيع الخثعمى ويكنى أباموسى وكان عبد الحميد بن يحيى من البلاغة فى مكان مكين ومما اختير له من الشعر

ترحّل ماليس بالقافل * وأعقبَ ماليس بالزائل
فلهفى على الخلف النازل * ولهفى على السلف الراحل
أبكّى على ذا وأبكى لذا * بكاءَ مولَّهة ثاكل
تبكّى من ابنٍ لها قاطع * وتبكى على ابنٍ لها واصل
فليست تفتّرُ عن عبرةٍ * لها فى الضمير ومن هامل
تقضّت غوايات سُكر الصبى * وردّ التقى عن الباطل

وكتب لأبى العباس خالدُ بن برمك ودفع أبو العباس ابنته ريطة الى خالد بن برمك حتى أرضعتها زوجته أمّ خالد بنت يزيد بلبان بنت لخالد تدعى أمّ يحيى وأرضعت أم سلمة زوجة أبى العباس أم يحيى بنت خالد بلبان ابنتها ريطة وقلد ديوان الرسائل صالح بن الهيثم مولى ريطة بنت أبى العباس * وكتب لأبى جعفر المنصور عبد الملك بن حُميد مولى حاتم بن النعمان الباهلى من أهل خراسان وكتب له هاشم بن سعيد الجعفى وعبد الأعلى بن أبى طلحة من بنى تميم بواسط وروى ان سليمان بن مخلد كان يكتب لأبى جعفر ومما كان يتمثل به أبو جعفر

المنصور

وما ان شفا نفساً كامر صريمة * اذا حاجة في النفس طال اعتراضها

وكتب له الربيع وكان عمارة بن حمزة من نبلاء الرجال وله

لا تشكون دهراً صححت به * إن الغنى في صحة الجسم

هبك الإمام أكنت منتفعاً * بغضارة الدنيا مع السقم

وكان يتمثل بقول عبد بني الحسحاس

أمن أمية دمع العين مذروف * لو أن ذا منك قبل اليوم معروف

لا تبك عينك ان الدهر ذو غير * فيه تفرق ذو إلف ومألوف

وكتب للمهدي أبو عبيد الله وأبان بن صدقة على ديوان رسائله ومحمد بن حميد الكاتب على ديوان جنده ويعقوب بن داود وكان اتخذه على وزارته وأمره وله

عجباً لتصريف الأمو * ر محبة وكراهيه

والدهر يلعب بالرجا * ل له دوائر جاريه

ولابنه عبد الله بن يعقوب وكان له محمد ويعقوب كلاهما شاعر مجيد

ورع المشيب شراستي وغرامي * ومرى الجفون بمسبل سجام

ولقد حرصت بأن أواري شخصه * عن مقلتي فرمت غير مرام

وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم * صبغي ودامت صبغة الأيام

* لا تبعدن شبيبة ذيالة * فارقتها في سالف الأعوام *

ما كان ما استصحبت من أيامها * الا كبعض طوارق الاحلام

﴿ ولأبيه ﴾

طلق الدنيا ثلاثا * واتخذ زوجا سواها انها زوجة سوء * لا تبالي من أتاها

واستوزر بعده الفيض بن أبي صالح وكان جواداً وكتب للهادي موسى عبيد الله بن زياد ابن أبي ليلى ومحمد بن حميد وسأل المهدي يوماً أبا عبيد الله عن أشعار العرب فصنفها له فقال أحكمها قول طرفة بن العبد

أرى قبر نحام بخيل بماله * كقبر غوي في البطالة مفسد

ترى جثوتين من تراب عليهما * صفائح صم من صفيح منضد

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة * وما تنقص الايام والدهر ينفد

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد

وقوله

وقوله وقد أرانا كلانا همَّ صاحبه * لو أن شيأ اذا ما فاتنا رجعا

وكان شئ الى شئ ففرّقه * دهر يكرّ على تفريق ما جمعا

وقول لبيد

ألا تسألان المرء ماذا يحاول * أنحب فيُقضى أم ضلال وباطلُ

ألا كلُّ شئ ما خلا الله باطل * وكلُّ نعيم لا محالة زائلُ

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * بلى كلُّ ذى رأى الى الله واسلُ

وكقول النابغة الجعدىّ

وقد طال عهدى بالشباب وأهله * ولاقيتُ روعات تُشيبُ النواصيا

فلم أجد الاخوان الا صحابة * ولم أجد الأهلين الا مثاويا

ألم تعلمى ان قد رُزئتُ محاربًا * فمالك منه اليومَ شئ ولا ليا

وكقول هُدْبة بن خَشْرم

ولستُ بمفراح اذا الدهرُ سرّنى * ولا جازع من صَرفه المُتقلب

ولا أتبغّى الشرَّ والشرُّ تاركى * ولكن متى أُحمَلْ على الشرّ أركبِ

وما يعرف الاقوامُ للدهر حقهُ * وما الدهرُ مما يكرهون بمُعتبِ

وللدهر فى أهل الفتى وتلاده * نصيبٌ كحزّ الجازر المُتشعّب

وكقول زيادة بن زيد وتمثل به عبد الملك بن مروان

تذكّر عن شحط أميمة فارعوى * لها بعد اكثار وطول نحيب

وان امرءا قد جرّب الدهر لم يخف * تقلب عصرَيه لغير لبيب

هل الدهرُ والايام الا كما ترى * رزيئةُ مال أو فراق حبيب

وكلُّ الذى يأتى فأنت نسيبهُ * ولستَ لشئ ذاهب بنسيب

وليس بعيدٌ ما يجئ كمُقبلٍ * ولا ما مضى من مُفرح بقريب

وكقول ابن مقبل

لما رأت بدل الشباب بكت له * والشيبُ أرذلُ هذه الابدال

والناس همُّهمُ الحياةُ ولا أرى * طول الحياة يزيدُ غير خبال

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذُخرًا يكون كصالح الاعمال

ووزر له يحيى بن خالد ووزر للرشيد ابنه جعفر بن يحيى بن خالد فن مليح كلامه الخطّ سمطُ الحكمة به تُفصل شذورها وينظم منثورها قال ثمامة قلت لجعفر بن يحيى ما البيان فقال أن يكون الاسم مُحيطا بمعناك مخبرا عن مغزاك مخرجا من الشركة غير مستعان عليه بالفكرة

قال الاصمعى سمعت يحيى بن خالد يقول الدنيا دُول والمال عارية ولنا بمن قبلنا أسوة وفينا لمن بعدنا عبرة ونأتى بتسمية باقى كتاب خلفاء بنى العباس اذا انتهينا الى الدولة العباسية ان شاء الله تعالى

## ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ﴾

### ﴿ ذكر الكائن الذى كان فيها من الامور الجليلة ﴾

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير

### ﴿ ذكر الخبر عن صفة ذلك ﴾

حدثنى الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى اسحاق ابن يحيى عن عبيد الله بن القبطية قال كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة قال محمد بن عمر وحدثنى مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد وكان عالما بفتنة ابن الزبير قال حُصر ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة ٧٢ وقُتل لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٧٣ وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة حدثنا الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدّثنى اسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت المجنيق يُرمى به فرعدت السماء وبرقت وعلا صوتُ الرعد والبرق على الحجارة فاشتمل عليها فأعظم ذلك أهلُ الشأم فأمسكوا بأيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها فى منطقته ورفع حجر المجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا ورمى معهم قال ثم أصبحوا فجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثنى عشر رجلا فانكسر أهل الشأم فقال الحجاج يا أهل الشأم لا تُنكروا هذا فانى ابن تهامة هذه صواعق تُهامة هذا الفتح قد حضر فابشروا إن القوم يصيبهم مثلُ ما أصابكم فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدّةٌ فقال الحجاج ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى كان قُبيل مقتله وقد تفرّق عنه أصحابه وخرج عامة أهل مكة الى الحجاج فى الامان حدثنى الحارث قال حدّثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدّثنى اسحاق بن عبيد الله عن المنذر بن جهم الاسدىّ قال رأيت ابن الزبير يوم قُتل وقد تفرّق عنه أصحابه وخذله من معه خذلانا شديدا وجعلوا يخرجون الى الحجاج حتى خرج اليه نحوٌ من عشرة آلاف وذكر انه كان ممن فارقه وخرج الى الحجاج ابناه حمزة وخُبيب فأخذا منه لانفسهما أمانا فدخل على أمه أسماء كما ذكر محمد بن عمر عن أبى الزناد عن مخرمة بن سليمان الوالبىّ قال دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم فقال يا أمّهْ خذلنى الناس حتى ولدىَّ وأهلى فلم يبق معى الا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يُعطوننى

ما

ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت والله يا بُنىَّ أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له فقد قُتل عليه أصحابك ولا تُمكن من رقبتك يتلعب بها غلمان بنى أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبدُ أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك وان قلتَ كنتُ على حق فلما وهن أصحابى ضعفتُ فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودُكَ في الدنيا القتلُ أحسنُ فدنا ابن الزبير فقبّل رأسها وقال هذا والله رأيى والذى قمتُ به داعيا الى يومى هذا ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعانى الى الخروج الا الغضب لله أن يُستحل حرمه ولكنى أحببت ان أعلم رأيكِ فزدتينى بصيرة مع بصيرتى فانظرى يا أُمَّهْ فانى مقتول من يومى هذا فلا يشتدَّ حزنكِ وسلّمى لامر الله فانّ ابنكِ لم يتعمّد اتيان منكر ولا عملا بفاحشة ولم يجُرْ فى حكم الله ولم يغدر فى أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ولم يبلغنى ظلمٌ عن عمّالى فرضيتُ به بل أنكرته ولم يكن شىءٌ آثرَ عندى من رضى ربى اللهم انى لا أقول هذا تزكيةً منّى لنفسى أنت أعلمُ بى ولكن أقوله تعزيةً لأمى لتسلو عنّى فقالت أُمّه انى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا ان تقدّمتنى وان تقدّمتكَ ففى نفسى اخرج حتى أنظر الى ما يصير أمرك قال جزاكِ الله يا أُمَّهْ خيرا فلا تدعى الدعاء لى قبلُ و بعدُ فقالت لا أدعه أبدا فمن قُتل على باطل فقد قُتلتَ على حق ثم قالت اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة و برّه بأبيه و بى اللهم قد سلمته لأمرك فيه و رضيتُ بما قضيتَ فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين قال مصعب بن ثابت فما مكثت بعده الا عشرا و يقال خمسة أيام * قال محمد بن عمر حدّثنى موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمه قال دخل ابن الزبير على أمّه وعليه الدرع والمغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبّلها فقالت هذا وداع فلا تبعد قال ابن الزبير جئتُ مودّعا انى لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمر بى واعلمى يا أُمَّهْ أنى ان قتلت فانما أنا لحم لا يضرّنى ما صُنع بى قالت صدقت يا بُنىَّ أتمم على بصيرتك ولا تمكن ابن أبى عقيل منك وادنُ منّى أودّعك فدنا منها فقبلها وعانقها وقالت حيث مست الدرع ما هذا صنيع من يريد ما تريد قال ما لبست هذا الدرع الا لأشد منك قالت العجوز فانه لا يشد منى فنزعها ثم أدرج كمّيه وشد أسفل قميصه وجبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها فى المنطقة وأمّه تقول البس ثيابك مشمّرةً ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول

إنى اذا أعرفُ يومى أصبر * إذ بعضُهم يَعْرِفُ ثم يُنكر

فسمعت العجوزُ قوله فقالت تصبر والله ان شاء الله أبوك أبو بكر والزبير وأمك صفية بنت عبد المطلب ﴿ حدثنى ﴾ الحارث قال حدثنى ابن سعد قال أخبرنى محمد بن عمر قال أخبرنا ثور بن يزيد عن شيخ من أهل حمص شهد وقعة ابن الزبير مع أهل الشام قال رأيته يوم

الثلاثاء وإنا لنطلع عليه أهل حمص خمسمائة خمسمائة من باب لنا ندخله لا يدخله غيرنا فيخرج الينا وحده في أثرنا ونحن منهزمون منه فما أنسى أرجوزة له

إِنّي اذا أعرف يومي أصبرْ * وإنما يعرِفُ يَوْمَيْهِ الحرّ

اذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فأقول أنت والله الحر الشريف فلقد رأيته يقف في الأبطح ما يدنو منه أحد حتى ظننا انه لا يقتل حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد قال رأيت الأبواب قد شحنت من أهل الشام يوم الثلاثاء وأسلم أصحاب ابن الزبير المحارسَ وكثرهم القومُ فأقاموا على كل باب رجالا وقائدا وأهل بلد فكان لأهل حمص الباب الذى يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بنى شيبة ولاهل الأردن باب الصفا ولأهل فلسطين باب بنى جُمَح ولأهل قنسرين باب بنى سهم وكان الحجاج وطارق بن عمرو جميعا في ناحية الأبطح الى المروة فمرّةً يحمل ابن الزبير فى هذه الناحية ومرة في هذه الناحية فلكأنه أسد في أجمة ما يُقدم عليه الرجال فيعدو فى أثر القوم وهم على الباب حتى يخرجهم وهو يرتجز

انى اذا أعرف يومى أصبر * وانما يعرف يوميه الحرّ

ثم يصيح يا أبا صفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال

لو كانَ قِرْنى وَاحِدًا كفيتُهُ

قال ابن صفوان أى والله وألف حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال فحدثنى ابن أبى الزناد وأبو بكر بن عبد الله بن مصعب عن ابن المنذر وحدثنا نافع مولى بنى أسد قالا لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ٧٣ وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات ابن الزبير يصلى عامة الليل ثم احتبى بحمائل سيفه فأغفى ثم انتبه بالفجر فقال أذن يا سعد فأذن عند المقام وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتى الفجر ثم تقدم وأقام المؤذن فصلى بأصحابه فقرأ نۤ والقلم حرفا حرفا ثم سلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليهم المغافر والعمائم فكشفوا وجوههم فقال يا آل الزبير لو طبتم لى نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا في الله لم تصبنا زَبَّاءُ بتَّةً أما بعد يا آل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فإنى لم أحضر موطنا قط الا ارتُثتُ فيه من القتل وما أجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم لا أعلم امرءا كسر سيفه واستبقى نفسه فإن الرجل اذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزلُ غضوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل امرئ قرنه ولا يُلهينَّكم السؤال عنى ولا تقولُنّ أين عبدُ الله بن الزبير الا من كان سائلا عنى فإنى فى الرعيل الأول

أبى لابن سلمى انه غير خالد * ملاقى المنايا أى صرف تيمما
فلست بمبتاع الحياة بسبة * ولا مرتق من خشية الموت سلما

احملوا على بركة الله ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحجون فرمى بأجرة فأصابته في وجهه فأرعش لها ودمى وجهه فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه ولحيته قال

لسنا على الأعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وتغاووا عليه قالوا وصاحت مولاة لنا مجنونة وا أمير المؤمنيناه قالوا وقد رأته حيث هوى فأشارت لهم اليه فقتل وإن عليه ثياب خز وجاء الخبر الى الحجاج فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو فقال طارق ما ولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج تمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا ولولا هذا ما كان لنا عذر انا محاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب طارقا ❁ حدثنا عمر قال حدثنا أبو الحسن عن رجاله قال كأني أنظر الى ابن الزبير وقد قتل غلاما أسود ضربه فعرقبه وهو يمر في حملته عليه ويقول صبرا يا ابن حام ففي مثل هذه المواطن تصبر الكرام ❁ حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الجبار بن عمارة عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال بعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم الى المدينة فنصبت بها ثم ذهب بها الى عبد الملك بن مروان ثم دخل الحجاج مكة فبايع من بها من قريش لعبد الملك بن مروان ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة ولى عبد الملك طارقا فولى عثمان المدينة فوليها خمسة أشهر ﴿وفي هذه السنة﴾ توفي بشر بن مروان في قول الواقدي وأما غيره فانه قال كانت وفاته في سنة ٧٤ ﴿وفيها﴾ أيضا وجه فيما ذكر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر لقتال أبي فديك وأمره ان يندب معه من أحب من أهل المصرين فقدم الكوفة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف ثم قدم البصرة فندب أهلها فانتدب معه عشرة آلاف فأخرج لهم أرزاقهم وأعطياتهم فأعطوها ثم سار بهم عمر بن عبيد الله فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة وجعل أهل البصرة على الميسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله وجعل خيله في القلب حتى انتهوا الى البحرين فصف عمر بن عبيد الله أصحابه وقدم الرجالة في أيديهم الرماح قد ألزموها الأرض واستتروا بالبراذع فحمل أبو فديك وأصحابه حملة رجل واحد فكشفوا ميسرة عمر بن عبيد الله حتى ذهبوا في الارض الا المغيرة ابن المهلب ومعن بن المغيرة ومجاعة بن عبد الرحمن وفرسان الناس فإنهم مالوا الى صف أهل الكوفة وهم ثابتون وارتث عمر بن موسى بن عبيد الله فهو في القتلى قد أثخن جراحة فلما

رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا تذمموا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتى مروا بعمر بن موسى بن عبيد الله جريحا فحملوه حتى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تبن كثير فأحرقوه ومالت عليهم الريح وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فديك وحصروهم في المُشَقَّر فنزلوا على الحكم فقتل عمر بن عبيد الله منهم فيما ذكر نحوا من ستة آلاف وأسر ثمانى مائة وأصابوا جارية لامية بن عبد الله حبلى من أبى فديك وانصرفوا الى البصرة ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل عبد الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولاها أخاه بشر بن مروان فصارت ولايتها وولاية الكوفة اليه فشخص بشر لما ولى مع الكوفة البصرة الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ﴿وفيها﴾ غزا محمد ابن مروان الصائفة فهزم الروم وقيل انه كان فى هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم فى ناحية أرمينية وهو فى أربعة آلاف والروم فى ستين ألفا فهزمهم وأكثر القتل فيهم وأقام الحج فى هذه السنة للناس الحجاج بن يوسف وهو على مكة واليمن واليمامة وعلى الكوفة والبصرة فى قول الواقدى بشر بن مروان وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وعلى خراسان بكير بن وشاح

## ﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين ﴾

### ﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة﴾

فما كان فيها من ذلك عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن المدينة واستعماله عليها الحجاج بن يوسف فقدمها فيما ذكر فأقام بها شهرا ثم خرج معتمرا ﴿وفيها﴾ كان فيما ذكر نقض الحجاج بن يوسف بنيان الكعبة الذى كان ابن الزبير بناه وكان اذ بناه أدخل فى الكعبة الحجر وجعل لها بابين فأعادها الحجاج على بنائها الأول في هذه السنة ثم انصرف الى المدينة فى صفر فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبث بأهل المدينة ويتعنتهم وبنى بها مسجدا في بنى سلمة فهو ينسب اليه واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فختم فى أعناقهم فذكر محمد ابن عمران ابن أبى ذيب حدثه عمن رأى جابر بن عبد الله مختوما فى يده وعن ابن أبى ذيب عن اسحاق بن يزيد انه رأى أنس بن مالك مختوما فى عنقه يريد ان يذله بذلك قال ابن عمر وحدثنى شرحبيل بن أبى عون عن أبيه قال رأيت الحجاج أرسل الى سهل بن سعد فدعاه فقال ما منعك ان تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان قال قد فعلت قال كذبت ثم أمر به فختم فى عنقه برصاص ﴿وفيها﴾ استقضى عبد الملك أبا ادريس الخولانى فيما ذكر الواقدى ﴿وفى هذه السنة﴾ شخص في قول بعضهم بشر بن مروان من الكوفة الى البصرة واليا عليها ﴿وفي هذه السنة﴾ ولى المهلب حرب الأزارقة من قبل عبد الملك

﴿ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها﴾

ولما صار بشر بالبصرة كتب عبد الملك اليه فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن يونس بن أبى اسحاق عن أبيه أما بعد فابعث المهلب فى أهل مصره الى الأزارقة ولينتخب من أهل مصره وجوههم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم فانه أعرف بهم وخله ورأيه فى الحرب فانى أوثق شئ بتجربته ونصيحته للمسلمين وابعث من أهل الكوفة بعثا كثيفا وابعث عليهم رجلا معروفا شريفا حسيبا صليبا يعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب ثم أنهض اليهم أهل المصرين فليتبعوهم أى وجه ما توجهوا حتى يبيدهم الله ويستأصلهم والسلام عليك فدعا بشر المهلب فأقرأه الكتاب وأمره ان ينتخب من شاء فبعث بجديع بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدى وهو خال يزيد ابنه فأمره ان يأتى الديوان فينتخب الناس وشق على بشران امرة المهلب جاءت من قبل عبد الملك فلا يستطيع ان يبعث غيره فأوغرت صدره عليه حتى كانه كان له اليه ذنب ودعا بشر بن مروان عبد الرحمن بن مخنف فبعثه على أهل الكوفة وأمره ان ينتخب فرسان الناس ووجوههم وأولى الفضل منهم والنجدة (قال أبو مخنف) فحدثنى أشياخ الحى عن عبد الرحمن بن مخنف قال دعانى بشر بن مروان فقال لى انك قد عرفت منزلتك منى وأثرتك عندى وقد رأيت ان أوليك هذا الجيش للذى عرفت من جزئك وغنائك وشرفك وبأسك فكن عند أحسن ظنى بك أنظر هذا الكذا كذا يقع فى المهلب فاستبد عليه بالأمر ولا تقبلن له مشورة ولا رأيا وتنقصه وقصر به قال فترك ان يوصينى بالجند وقتال العدو والنظر لأهل الاسلام وأقبل يغرينى بابن عمى كأنى من السفهاء أو ممن يستصبى ويستجهل ما رأيت شيخا مثلى فى مثل هيئتى ومنزلتى طمع منه فى مثل ما طمع فيه هذا الغلام منى شب عمرو عن الطوق قال ولما رأى انى لست بالنشيط الى جوابه قال لى مالك قلت أصلحك الله وهل يسعنى الا انفاذ أمرك فى كل ما أحببت وكرهت قال امض راشدا قال فودعته وخرجت من عنده وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رامهرمز فلقى بها الخوارج فخندق عليه وأقبل عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة على ربع أهل المدينة معه بشر بن جرير وعلى ربع تميم وهمدان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وعلى ربع كندة وربيعة اسحاق بن محمد بن الاشعث وعلى ربع مذحج وأسد زحر بن قيس فأقبل عبد الرحمن حتى نزل من المهلب على ميل أو ميل ونصف حيث تراءى العسكران برامهرمز فلم يلبث الناس الا عشرا حتى أتاهم نعى بشر بن مروان وتوفى بالبصرة فارفض ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة واستخلف بشر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حريث وكان الذين انصرفوا من أهل الكوفة زحر بن قيس واسحاق بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فبعث عبد الرحمن بن

مخنف ابنه جعفرا فى آثارهم فرد اسحاق ومحمداً اوفاته زحر بن قيس فحبسهما يومين ثم أخذ
عليهما ان لا يفارقاه فلم يلبثا الا يوما حتى انصرفا فأخذا غير الطريق وطلبا فلم يلحقا وأقبلا حتى
لحقا زحر بن قيس بالأهواز فاجتمع بها ناس كثير ممن يريد البصرة فبلغ ذلك خالد بن عبد
الله فكتب الى الناس كتابا وبعث رسولا يضرب وجوه الناس ويردهم فقدم بكتابه مولى له
فقرأ الكتاب على الناس وقد جمعوا له بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن عبد الله الى
من بلغه كتابى هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فإنى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو
أما بعد فإن الله كتب على عباده الجهاد وفرض طاعة ولاة الأمر فمن جاهد فإنما يجاهد
لنفسه ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى ومن عصى ولاة الأمر والقوّام بالحق أسخط
الله عليه وكان قد استحق العقوبة في بشره وعرض نفسه لاستفاءة ماله وإلقاء عطائه والتسيير
الى أبعد الأرض وشر البلدان أيها المسلمون اعلموا على من اجترأتم ومن عصيتم انه عبد
الملك بن مروان أمير المؤمنين الذى ليست فيه غميزة ولا لأهل المعصية عنده رخصة سوطه
على من عصى وعلى من خالف سيفه فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فإنى لم آلكم نصيحة عباد
الله ارجعوا الى مكتبكم وطاعة خليفتكم ولا ترجعوا عاصين مخالفين فيأتيكم ما تكرهون
أقسم بالله لا أثقف عاصيا بعد كتابى هذا إلا قتلته ان شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وأخذ
كلما قرأ عليهم سطرا أو سطرين قال له زحر أوجز فيقول له مولى خالد والله انى لأسمع كلام
رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع أشهد لا يعبج بشىء مما فى هذا الكتاب فقال له اقرأ أيها العبد
الأحمر ما أمرت به ثم ارجع الى أهلك فإنك لا تدرى ما فى أنفسنا فلما فرغ من قراءته لم
يلتفت الناس الى ما فى كتابه وأقبل زحر واسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا
قرية لآل الأشعث الى جانب الكوفة وكتبوا الى عمرو بن حريث أما بعد فإن الناس لما
بلغهم وفاة الأمير رحمة الله عليه تفرّقوا فلم يبق معنا أحد فأقبلنا الى الأمير والى مصرنا
وأحببنا ان لا ندخل الكوفة الا بإذن الأمير وعلمه فكتب اليهم أما بعد فإنكم تركتم
مكتبكم وأقبلتم عاصين مخالفين فليس لكم عندنا اذن ولا أمان فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى
اذا كان الليل دخلوا الى رحالهم فلم يزالوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف ﴿وفي هذه السنة﴾
عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

﴿ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية﴾

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان الى حين قدم أمية عليها واليا سنتين فى قول أبى الحسن
وذلك أن ابن خازم قتل سنة ٧٢ وقدم أمية سنة ٧٤ وكان سبب عزل بكير عن خراسان
ان بحيرا فيما ذكر علىّ عن المفضل حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت فى رأس
ابن خازم حين قتله فلم يزل محبوسا عنده حتى استعمل عبد الملك أمية بن عبد الله بن خالد بن

اسيد

أسيد فلما بلغ ذلك بكيرا أرسل الى بحير ليصالحه فأبى عليه وقال ظن بكير ان خراسان تبقى له في الجماعة فمشت السفراء بينهم فأبى بحير فدخل عليه ضرار بن حصين الضبي فقال ألا أراك مائقا يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك وأنت أسيره والمشرفيّ في يده ولو قتلك ما حبقت فيك عنز ولا تقبل منه ما أنت بموفق اقبل الصلح واخرج وأنت على أمرك فقبل مشورته وصالح بكيرا فأرسل اليه بكير بأربعين ألفا وأخذ على بحير ان لا يقاتله وكانت تميم قد اختلفت بخراسان فصارت مُقاعِسُ والبطون يتعصبون له فخاف أهل خراسان ان تعود الحربُ وتفسد البلاد ويقهرهم عدوّهم من المشركين فكتبوا الى عبد الملك بن مروان إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة الا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه فقال عبد الملك خراسان ثغر المشرق وقد كان به من الشر ما كان وعليه هذا التميمي وقد تعصب الناس وخافوا ان يصيروا الى ما كانوا عليه فيهلك الثغر ومن فيه وقد سألوا ان أولي أمرهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا فقال أمية بن عبد الله يا أمير المؤمنين تداركهم برجل منك قال لولا انحيازك عن أبي فديك كنت ذلك الرجل قال يا أمير المؤمنين والله ما انحزت حتى لم أجد مقاتلاً وخذلني الناس فرأيت ان انحيازي الى فئة أفضل من تعريضي عصبةً بقيت من المسلمين للهلكة وقد علم ذلك مرّار بن عبد الرحمن بن أبي بكرة وكتب اليك خالد بن عبد الله بما بلغه من عذري قال وكان خالد كتب اليه بعذره ويخبره أن الناس قد خذلوه فقال مرار صدق أمية يا أمير المؤمنين لقد صبر حتى لم يجد مقاتلا وخذله الناس فولاه خراسان وكان عبد الملك يحب أمية ويقول نتيجتي أي لدتي فقال الناس ما رأينا أحدا عُوّض من هزيمة ما عُوّض أمية فرّ من أبي فديك فاستعمل على خراسان فقال رجل من بكر بن وائل في محبس بكير بن وشاح

> أَتتكَ العيسُ تنفخُ في بُراها * تُكشّفُ عَنْ مَناكِبِها القطوعُ
> كأنَّ مواقعَ الأكوارِ منها * حَمامُ كنائسٍ بقَعٌ وقوعُ
> بأبيضَ من أُميَّةَ مَضْرِحيٍّ * كأنَّ جبينَهُ سيفٌ صنيعُ

وبحير يومئذ بالسنج يسأل عن مسير أمية فلما بلغه انه قد قارب أَبْرَشَهْرَ قال لرجل من عجم أهل مرو يقال له رزين أو زرير دُلني على طريق قريب لألقى الأمير قبل قدومه ولك كذا وكذا وأجزل لك العطية وكان عالما بالطريق فخرج به فسار من السنج الى أرض سرخس في ليلة ثم مضى به الى نيسابور فوافى أمية حين قدم أبرشهر فلقيه فأخبره عن خراسان وما يُصلح أهلها وتحسن به طاعتهم ويخف على الوالي مؤنتهم ورفع على بكير أموالا أصابها وحذّره غدرَهُ قال وسار معه حتى قدم مرو وكان أمية سيدا كريما فلم يعرض لبكير ولا لعماله وعرض عليه ان يوليه شرطته فأبى بكير فولاها بحير بن ورقاء فلام بكيرا رجالٌ من

قومه فقالوا أبيت ان تلي فولى بحيرا وقد عرفت ما بينكما قال كنت أمس والى خراسان تحمل الحراب بين يدى فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة وقال أمية لبكير اختر ما شئت من عمل خراسان قال طخارستان قال هى لك قال فتجهز بكير وأنفق مالا كثيرا فقال بحير لأمية إن أتى بكير طخارستان خلعك فلم يزل يحذره حتى حذر فأمره بالمقام عنده ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة الحجاج بن يوسف وكان ولى قضاء المدينة عبد الله بن قيس ابن مخرمة قبل شخوصه الى المدينة كذلك ذكر ذلك عن محمد بن عمر وكان على المدينة ومكة الحجاج بن يوسف وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة وقد ذكر ان عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك

## ﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قبل مرعش ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى عبد الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف العراق دون خراسان وسجستان ﴿وفيها﴾ قدم الحجاج الكوفة ﴿فحدثني﴾ أبو زيد قال حدثني محمد بن يحيى أبو غسان عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مروان فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءة وقد كان بشر بعث المهلب الى الحرورية فبدأ بالمسجد فدخله ثم صعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال علىَّ بالناس فحسبوه وأصحابه خارجة فهموا به حتى اذا اجتمع اليه الناس قام فكشف عن وجهه وقال

أنا ابنُ جَلا وطلّاعُ الثنايا * متى أضعِ العمامةَ تعرفوني

أما والله انى لأحمل الشر محمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله وإنى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وإنى لأنظر الى الدماء بين العمائم واللحى

قد شمَّرتْ عن ساقها تشميرا

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدى زِيَمْ * قد لفَّها الليلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ

ليس براعى إبلٍ ولا غَنَمْ * ولا بجزَّارٍ على ظهرِ وَضَمْ

قد لفَّها الليلُ بعَصْلَبِىّ * أروَعَ خرّاجٍ من الدَّوِّىّ

مُهاجرٍ لَيْسَ بأعرابِىّ

ليس أوان يكره الخلاط * جاءت به والقلص الأعلاط
تهوى هوىّ سابق الغطاط

انى والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين ولا يقعقع لى بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وجريت الى الغاية القصوى إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته ثم عجم عيدانها فوجدنى أمرّها عودا وأصلبها مكسرا فوجهنى اليكم فانكم طال ما أوضعتم فى الفتن وسننتم سنن الغىّ أما والله لألحونكم لحو العود ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل انى والله لا أعد الا وفيت ولا أخلق الا فريت فاياى وهذه الجماعات وقيلا وقالا وما يقول فيم أنتم وذاك والله لتستقيمن على سبل الحق أولأدعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وأنهبت ماله ثم دخل منزله ولم يزد على ذلك * قال ويقال انه لما طال سكوته تناول محمد بن عمير حصى فأراد ان يحصبه بها وقال قاتله الله ما أعياه وأدمه والله انى لأحسب خبره كروائه فلما تكلم الحجاج جعل الحصى ينتثر من يده ولا يعقل به وأن الحجاج قال في خطبته شاهت الوجوه ان الله ضرب مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك وأشباه أولئك فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا ولأعصبنكم عصب السلمة حتى تنقادوا أقسم بالله لتقبلنّ على الإنصاف ولتدعنّ الارجاف وكان وكان وأخبرنى فلان عن فلان والهبر وما الهبر أولأهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامى والولدان يتامى وحتى تمشوا السّمّهى وتقلعوا عن هاوها إياى وهذه الزرافات لا يركبنّ الرجل منكم الا وحده الا انه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ما جبى فيء ولا قوتل عدوّ ولعطّلت الثغور ولولا انهم يغزون كرها ما غزوا طوعا وقد بلغنى رفضكم المهلب واقبالكم على مصركم عصاة مخالفين وإنى أقسم لكم بالله لا أجد أحدا بعد ثالثة الا ضربت عنقه ثم دعا العرفاء فقال ألحقوا الناس بالمهلب وأتونى بالبراآت بموافاتهم ولا تغلقنّ أبواب الجسر ليلا ولا نهارا حتى تنقضى هذه المدة ﴿ تفسير الخطبة ﴾ قوله أنا ابن جلا فابن جلا الصبح لأنه يجلو الظلمة والثنايا ما صغر من الجبال ونتا وأينع الثمر بلغ ادراكه وقوله فاشتدى زيم فهى اسم للحرب والحطم الذى يحطم كل شىء يمر به والوضم ماوقى به اللحم من الارض والعصلى الشديد والدوّية الأرض الفضاء التى يسمع فيها دوى اخفاف الابل والا علاط الابل التى لا ارسان عليها أنشد أبو زيد الأصمعى

واعروريت العلط العرضىّ تركضه * أمّ الفوارس بالدّيداء والرّبعه

والشنان جمع شنّة وهى القربة البالية اليابسة قال الشاعر

كأنك من جمال بنى أقيش * يقعقع خلف رجليه بشنّ

وقوله فعجم عيدانها أى عضها والعجم بفتح الفاء حب الزبيب قال الاعشى

وملفوظها كلقيط العجم

وقوله أمرها عودا أى أصلبها يقال حبل ممر اذا كان شديد الفتل وقوله لأعصبنكم عصب السلمة فالعصب القطع والسلمة شجرة من العضاه وقوله لأخلق الافريت فالخلق التقدير قال الله تعالى من نطفة مخلقة وغير مخلقة أى مقدرة وغير مقدرة يعنى مايتم ومايكون سقطا قال الكميت يصف قربة

لم تجشم الخالقات فريتها * ولم يفض من نطاقها السرب

وانما وصف حواصل الطير يقول ليست كهذه وصخرة خلقاء أى ملساء قال الشاعر

وبهو هواء فوق موركانه * من الصخرة الخلقاء زحلوق ملعب

ويقال فريت الأديم اذا أصلحته وأفريت بالألف اذا أنت أفسدته والسمهى الباطل قال أبو عمرو الشيبانى وأصله ماتسميه العامة مخاط الشيطان وهو لعاب الشمس عند الظهيرة قال أبو النجم العجلى

وذاب للشمس لعاب فنزل * وقام ميزان الزمان فاعتدل

والزرافات الجماعات تم التفسير ﴿قال أبو جعفر﴾ قال عمر فحدثنى محمد بن يحيى عن عبد الله ابن أبى عبيدة قال فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيرا في السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال ياأهل العراق وأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد الله به فى الترغيب ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب وقد عرفت انها عجاجة تحتها قصف يابنى اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الايامى ألا يربع رجل منكم على ظلعه ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدبا لما بعدها * قوله تحتها قصف فهو شدة الريح واللكعاء الورهاء وهى الحمقاء من الاماء والظلع الضعف والوهن من شدة السير وقوله تهوى هوى سابق الغطاط فالغطاط بضم الغين ضرب من الطير قال الأصمعى الغطاط بفتح الغين ضرب من الطير وأنشد لحسان بن ثابت

يغشون حتى ماتهر كلابهم * لايسألون عن الغطاط المقبل

بفتح الغين قال والغطاط بضم الغين اختلاط الضوء بالظلمة من آخر الليل قال الراجز

قام الى أدماء في الغطاط * يمشى بمثل قائم الفسطاط

﴿تم التفسير﴾ قال فقام اليه عمير بن ضابئ التميمى ثم الحنظلى فقال أصلح الله الأمير أنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير عليل وهذا ابنى وهو أشب منى قال ومن أنت قال عمير بن ضابئ التميمى قال أسمعت كلامنا بالأمس قال نعم قال ألست الذى غزا أمير المؤمنين عثمان قال بلى قال وما حملك على ذلك قال كان حبس أبى وكان شيخا كبيرا قال أوليس يقول

همَمتُ ولم أفعلْ وكِدتُ وليتني * ترَكتُ على عثمانَ تبكي حلائلُه

انى لأحسب فى قتلك صلاح المصرين قم اليه ياحرسى فاضرب عنقه فقام اليه رجل فضرب عنقه وأنهب ماله ويقال ان عنبسة بن سعيد قال للحجاج أتعرف هذا قال لا قال هذا أحد قتلة أمير المؤمنين عثمان فقال الحجاج ياعدو الله أفلا الى أمير المؤمنين بعثت بديلا ثم أمر بضرب عنقه وأمر مناديا فنادى الا ان عمير بن ضابئ أتى بعد ثالثة وقد كان سمع النداء فأمرنا بقتله ألا فان ذمة الله بريئة ممن بات الليلة من جند المهلب فخرج الناس فازدحموا على الجسر وخرجت العرفاء الى المهلب وهو برامَهُرْمُز فأخذوا كتُبَه بالموافاة فقال المهلب قدم العراق اليوم رجل ذكر اليوم قوتل العدو قال ابن أبى عبيدة فى حديثه فعبر الجسر تلك الليلة أربعة آلاف من مذحج فقال المهلب قدم العراق رجل ذكر قال عمر عن أبى الحسن قال لما قرأ عليهم كتاب عبد الملك قال القارئ أما بعد سلام عليكم فانى أحمد اليكم الله فقال له اقطع ياعبيد العصا أيُسلم عليكم أمير المؤمنين فلا يرد رادٌ منكم السلام هذا أدبُ ابن نِهْيَة أما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب أو لتستقيمن اقرأ الكتاب فلما بلغ الى قوله أما بعد سلام عليكم لم يبق منهم أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله * قال عمر حدثنى عبد الملك بن شيبان بن عبد الملك بن مسمع قال حدثنى عمرو بن سعيد قال لما قدم الحجاج الكوفة خطبهم فقال انكم قد أخللتم بعسكر المهلب فلا يصبحن بعد ثالثة من جنده أحدٌ فلما كان بعد ثالثة أتى رجل يستدمى فقال من بك قال عمير بن ضابئ البرجمى أمرته بالخروج الى معسكره فضربنى وكذب عليه فأرسل الحجاج الى عمير بن ضابئ فأتى به شيخا كبيرا فقال له ما خلفك عن معسكرك قال أنا شيخ كبير لا حراك بى فأرسلت ابنى بديلا فهو أجلد منى جلدا وأحدث منى سنا فسل عما أقول لك فان كنت صادقا والا فعاقبنى قال فقال عنبسة بن سعيد هذا الذى أتى عثمان قتيلا فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه فأمر به الحجاج فضربت عنقه قال عمرو بن سعيد فوالله انى لأسير بين الكوفة والحيرة اذ سمعت رجزا مضريا فعدلت اليهم فقلت ما الخبر فقالوا قدم علينا رجل من شر أحياء العرب من هذا الحى من ثمود أسقف الساقين ممسوح الجاعرتين أخفش العينين فقدم سيد الحى عمير بن ضابئ فضرب عنقه ولما قتل الحجاج عمير بن ضابئ لقى ابراهيم بن عامر أحد بنى غاضرةَ من بنى أسد عبد الله بن الزبير فى السوق فسأله عن الخبر فقال ابن الزبير

أقولُ لابراهيم لمَّا لقيتُهُ * أرى الامر أمسَى مُنصبًا متشعِّبا

تجهَّزْ وأسرِعْ والحق الجيشَ لا أرى * سِوَى الجيش الا فى المهالِك مَذهبا

تخيَّر فاما أن تزورَ ابنَ ضابئٍ * عميرًا وإما أن تزورَ المُهلبا

هما خطتا كرهٍ نجاؤكَ منهُمَا * رُكوبُكَ حوليًّا من الثلج أشهبا

فخال ولو كانت خُرَاسَانُ دُونهُ * رآها مَكانَ السُّوقِ أوْ هِيَ أقرَبا
فكأن ترى من مُكرهِ العَدْوِ مُسْمِنٍ * تَحَمَّمَ حِنْوَ السَّرْجِ حتى تَحَنَّبَا

وكان قدوم الحجاج الكوفة فيما قيل فى شهر رمضان من هذه السنة فوجّه الحكم بن أيوب الثقفى على البصرة أميرا وأمره أن يشتد على خالد بن عبد الله فلما بلغ خالدا الخبر خرج من البصرة قبل أن يدخلها الحكم فنزل الجلحاء وشيّعه أهل البصرة فلم يَبْرَحْ مُصَلَّاهُ حتى قسم فيهم ألف ألف ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد الملك بن مروان حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبى معشر ووفد يحيى بن الحكم فى هذه السنة على عبد الملك بن مروان واستخلف على عمله بالمدينة أبان بن عثمان وأمر عبد الملك يحيى بن الحكم أن يقرّ على عمله على ما كان عليه بالمدينة وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زُرارة بن أوْفى ﴿وفى هذه السنة﴾ خرج الحجاج من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة أبا يعفور عروة بن المغيرة بن شعبة فلم يزل عليها حتى رجع اليها بعد وقعة رُستقباذ ﴿وفى هذه السنة﴾ ثار الناس بالحجاج بالبصرة

﴿ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به﴾

* ذكر هشام عن أبى مخنف عن أبى زهير العبسى قال خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها وقتل ابن ضابئ من فوره ذلك حتى قدم البصرة فقام فيها بخطبة مثل الذى قام بها فى أهل الكوفة وتوعّدهم مثل وعيده اياهم فأتى برجل من بنى يَشْكر فقيل هذا عاص فقال انّ بى فتقا وقد رآه بشر فعذرنى وهذا عطائى مردود فى بيت المال فلم يقبل منه وقتله ففزع لذلك أهل البصرة فخرجوا حتى تداكّوا على العارض بقنطرة رامهرمز فقال المهلب جاء الناس رجل ذكر وخرج الحجاج حتى نزل رُستقباذ فى أول شعبان سنة ٧٥ فثار الناس بالحجاج عليهم عبد الله بن الجارود فقتل عبد الله بن الجارود وبعث بثمانية عشر رأسا فنُصبت برامهرمز للناس فاشتدت ظهور المسلمين وساء ذلك الخوارج وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف فانصرف الحجاج الى البصرة وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود ان الحجاج لما ندب الناس الى اللحاق بالمهلب بالبصرة فشخصوا سار الحجاج حتى نزل رُستقباذ قريبا من دَسْتُوَى فى آخر شعبان ومعه وجوه أهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا فقام فى الناس فقال ان الزيادة التى زادكم ابن الزبير فى أعطياتكم زيادة فاسق منافق ولست أجيزها فقام اليه عبد الله بن الجارود العبدى فقال انها ليست بزيادة فاسق منافق ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتها لنا فكذّبه وتوعّده فخرج ابن الجارود على الحجاج وتابعه وجوه الناس فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل ابن الجارود

وجماعة من أصحابه وبعث برأسه ورؤس عشرة من أصحابه الى المهلب وانصرف الى البصرة وكتب الى المهلب والى عبد الرحمن بن مخنف أما بعد اذا اتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج والسلام ﴿وفي هذه السنة﴾ نفى المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة﴾

﴿ذكر هشام﴾ عن أبي مخنف عن أبي زهير العبسي قال ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج اليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة ٧٥ فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ولكنهم زحفوا اليهم حتى أزالوهم وخرج القوم كأنهم على حامية حتى نزلوا سابور بأرض منها يقال لها كازَرُون وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان فخندق المهلب عليه فذكر أهل البصرة ان المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف ان رأيت أن تخندق عليك فافعل وان أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا انما خندقُنا سيوفنا وان الخوارج زحفوا الى المهلب ليلا ليبيّتوه فوجدوه قد أخذ حذره فمالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخندق فقاتلوه فانهزم عنه أصحابه فنزل فقاتل في أناس من أصحابه فقتل وقتلوا حوله فقال شاعرهم

لمن العَسكرُ المكلَّلُ بالصر * عَى فهُمْ بين ميّتٍ وقتيلِ
فترَاهُم تَسْفى الرياح عليهم * حاصِبَ الرَّمْل بعدَ جرّ الذيولِ

وأما أهل الكوفة فانهم ذكروا ان كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف أن ناهضا الخوارج حين يأتيكما كتابي فناهضاهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة ٧٥ واقتتلوا قتالا شديدا لم يكن بينهم فيما مضى قتال كان أشد منه وذلك بعد الظهر فمالت الخوارج بحدّها على المهلب بن أبي صفرة فاضطرّوه الى عسكره فسرّح الى عبد الرحمن رجالا من صلحاء الناس فأتوه فقالوا ان المهلب يقول لك انما عدوّنا واحد وقد ترى ما قد لقي المسلمون فأمدّ اخوانك يرحمك الله فأخذ يُمدّه بالخيل بعد الخيل والرجال بعد الرجال فلما كان بعد العصر ورأت الخوارج ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال الى عسكر المهلب ظنوا أن قد خف أصحابه فجعلوا خمس كتائب أو ستا تجاهَ عسكر المهلب وانصرفوا بحدهم وجمعهم الى عبد الرحمن بن مخنف فلما رآهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القُرّاء عليهم أبو الاحوص صاحب عبد الله بن مسعود وخزيمة بن نصر أبو نصر بن خزيمة العبسي الذي قتل مع زيد بن عليّ وصُلب معه بالكوفة ونزل معه من خاصة قومه احد وسبعون رجلا وحملت عليهم الخوارج فقاتلتهم قتالا شديدا ثم ان الناس انكشفوا عنه فبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه الى المهلب فنادى في الناس ليتبعوه الى أبيه فلم يتبعه الا ناس قليل فجاء حتى اذا دنا من أبيه حالت الخوارج بينه وبين أبيه فقاتل

حتى ارتثته الخوارجُ وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومَن معه على تل مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ثم قتل فى تلك العصابة فلما أصبحوا جاء المهلب حتى أتاه فدفنه وصلى عليه وكتب بمصابه الى الحجاج فكتب بذلك الحجاجُ الى عبد الملك بن مروان فنعى عبد الرحمن بمنى وذمّ أهل الكوفة وبعث الحجاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتاب بن ورقاء وأمره اذا ضمّتهما الحربُ أن يسمع للمهلب ويطيع فساءه ذلك فلم يجد بدّا من طاعة الحجاج ولم يقدر على مراجعته فجاء حتى أقام فى ذلك العسكر وقاتل الخوارج وأمرُه الى المهلب وهو فى ذلك يقضى أموره ولا يكاد يستشير المهلب في شئ فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالا من أهل الكوفة فيهم بسطامُ بن مَصْقلة بن هبيرة فأغراهم بعتاب (قال أبو مخنف) عن يوسف بن يزيد ان عتّابا أتى المهلّب يسأله أن يرزق أصحابه فأجلسه المهلب معه على مجلسه قال فسأله أن يرزق أصحابه سؤالا فيه غلظة وتجهم قال فقال له المهلب وإنك لههنا يا ابن اللخناء فبنو تميم يزعمون انه ردّ عليه وأما يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون انه قال والله انها لمُعَمّة مُخوَلة ولوددت ان الله فرّق بيني وبينكُ قال فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه فوثب عليه ابنه المغيرة فقبض على القضيب وقال أصلح الله الأمير شيخ من أشياخ العرب وشريف من أشرافهم ان سمعتَ منه بعض ما تكرهه فاحتمله له فانه لذلك منك أهل ففعل وقام عتاب فرجع من عنده واستقبله بسطام بن مصقلة يشتمه ويقع فيه * فلما رأى ذلك كتب الى الحجاج يشكو اليه المهلّبَ ويخبره انه قد أغرى به سفهاء أهل المصر ويسأله أن يضمّه اليه فوافق ذلك من الحجاج حاجة اليه فيما لقى أشراف الكوفة من شبيب فبعث اليه أن اقدمْ واترك أمر ذلك الجيش الى المهلب فبعث المهلب عليه حبيبَ بن المهلب وقال حميد بن مسلم يرثى عبد الرحمن بن مخنف

ان يقتلوك أباحكيم غدوةً * فلقد تشدُّ وتقتلُ الأبطالاَ
أو يُثكلوناسيداً المسوّدٍ * سَمْحَ الخليقة ماجدًا مفضالاَ
فلمثل قتلك هدَّ قومَكَ كلهم * مَن كان يحمل عنهمُ الاثقالاَ
من كان يكشف غرمهم وقتالهم * يوماً اذا كان القتالُ نزالاَ
أقسمتُ ما نيلتْ مقاتلُ نفسه * حتى تدرَّعَ من دمٍ سربالاَ
وتناجزَ الأبطالُ تحت لوائه * بالمشرفيّة في الأكفّ نصالاَ
يوماً طويلاً ثم آخرَ ليلهم * حين استبانوا في السماء هلالاَ
وتكشّفتْ عنه الصفوفُ وخيلهُ * فهناك نالتهُ الرّماحُ فمالاَ

وقال سراقة بن مرداس البارقىّ

أعينيَّ جودا بالدُّموع السواكبِ * وكونا كواهى شنةٍ معراكبِ

على الأزد لما أن أصيب سراتهم * فنوح العيش بعد ذلك خائب
نرجى الخلود بعدهم وتعوقنا * عوائق موت أو قراع الكتائب
وكنا بخير قبل قتل ابن مخنف * وكل امرئ يوما لبعض المذاهب
أمارد موع الشيب من أهل مصره * وعجل في الشبان شيب الذوائب
وقاتل حتى مات أكرم ميتة * وخر على خد كريم وحاجب
وضارب عنه المارقين عصابة * من الأزد تمشى بالسيوف القواضب
فلا ولدت أنثى ولا آب غائب * الى أهله إن كان ليس بآيب
فيا عيني ابكى مخنفا وابن مخنف * وفرسان قومى قصرة وأقاربى

وقال سراقة أيضا يرثى عبد الرحمن بن مخنف

ثوى سيد الأزدين أزد شنوءة * وأزد عمان رهن رمس بكازر
وضارب حتى مات أكرم ميتة * بأبيض صاف كالعقيقة باتر
وصرع حول التل تحت لوائه * كرام المساعى من كرام المعاشر
قضى نحبه يوم اللقاء ابن مخنف * وأدبر عنه كل ألوث داثر
أمد فلم يمدد فراح مشمرا * الى الله لم يذهب بأثواب غادر

وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحوا من سنة ﴿وفى هذه السنة﴾ تحرك صالح بن مسرح أحد بنى امرئ القيس وكان يرى رأى الصفرية وقيل انه أول من خرج من الصفرية

﴿ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه فى هذه السنة﴾

ذكر ان صالح بن مسرح أحد بنى امرئ القيس حج سنة ٧٥ ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين وأشباههم وحج فى هذه السنة عبد الملك بن مروان فهم شبيب بالفتك به وبلغه ذلك من خبرهم فكتب الى الحجاج بعد انصرافه يأمره بطلبهم وكان صالح يأتى الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ليعدهم فنبت بصالح الكوفة لما طلبه الحجاج فتنكبها

## ﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ﴾

﴿ذكر الكائن من الأحداث فيها﴾

فمن ذلك خروج صالح بن مسرح

﴿ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه﴾

وكان سبب خروجه فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن عبد الله بن علقمة عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمى ان صالح بن مسرح التميمى كان رجلا ناسكا مخبتا مصفر الوجه صاحب عبادة وانه كان بدارا وأرض الموصل والجزيرة له أصحاب يقرئهم القرآن ويفقههم ويقص

عليهم فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا ان قصص صالح بن مسرح عنده وكان ممن
يرى رأيهم فسألوه أن يبعث بالكتاب اليهم ففعل وكان قصصه الحمد لله الذى خلق
السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اللهم انا
لانعدل بك ولا نحفد الا اليك ولا نعبد الا اياك لك الخلق والأمر ومنك النفع والضر واليك
المصير ونشهد ان محمدا عبدك الذى اصطفيته ورسولك الذى اخترته وارتضيته لتبليغ
رسالاتك ونصيحة عبادك ونشهد انه قد بلغ الرسالة ونصح للأمة ودعا الى الحق وقام بالقسط
ونصر الدين وجاهد المشركين حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بتقوى الله والزهد في
الدنيا والرغبة فى الآخرة وكثرة ذكر الموت وفراق الفاسقين وحب المؤمنين فان الزهادة في
الدنيا ترغب العبد فيما عند الله وتفرغ بدنه لطاعة الله وان كثرة ذكر الموت يخيف العبد
من ربه حتى يجأر اليه ويستكين له وان فراق الفاسقين حق على المؤمنين قال الله فى كتابه
ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون وان حب المؤمنين للسبب الذى ينال به كرامة الله ورحمته وجنته جعلنا الله
وإياكم من الصادقين الصابرين ألا ان من نعمة الله على المؤمنين ان بعث فيهم رسولا من
أنفسهم فعلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم وفقههم فى دينهم وكان بالمؤمنين
رؤفا رحيما حتى قبضه الله صلوات الله عليه ثم ولى الأمر من بعده التقى الصديق على الرضى من
المسلمين فاقتدى بهديه واستن بسنته حتى لحق بالله رحمه الله واستخلف عمر فولاه الله أمر
هذه الرعية فعمل بكتاب الله وأحيا سنة رسول الله ولم يحنق فى الحق على جرته ولم يخف فى
الله لومة لائم حتى لحق به رحمة الله عليه وولى المسلمين من بعده عثمان فاستأثر بالفىء وعطل
الحدود وجار في الحكم واستذل المؤمن وعزز المجرم فسار اليه المسلمون فقتلوه فبرئ الله
منه ورسوله وصالح المؤمنين وولى أمر الناس من بعده على بن أبى طالب فلم ينشب ان حكم
في أمر الله الرجال وشك في أهل الضلال وركن وأدهن فنحن من على وأشياعه براء فتيسروا
رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب المتحزبة وأئمة الضلال الظلمة وللخروج من دار الفناء الى
دار البقاء واللحاق باخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة وأنفقوا أموالهم
التماس رضوان الله فى العاقبة ولا تجزعوا من القتل فى الله فان القتل أيسر من الموت والموت
نازل بكم غير ما ترجم الظنون فمفرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم وحلائلكم ودنياكم
وان اشتد لذلك كرهكم وجزعكم ألا فبيعوا الله أنفسكم طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة
آمنين وتعانقوا الحور العين جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين الذين يهدون
بالحق وبه يعدلون (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الله بن علقمة قال بينا أصحاب صالح يختلفون
اليه اذ قال لهم ذات يوم ما أدرى ما تنتظرون وحتى متى أنتم مقيمون هذا الجور قد فشا وهذا

العدل قد عفاولا تزداد هذه الوُلاة على الناس الا غُلوًّا وعُتوًّا وتباعدا عن الحق وجرأة على الربّ فاستعدّوا وابعثوا الى اخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء الى الحق مثلَ الذى تريدون فيأتوكم فنلتقى وننظر فيما نحن صانعون وفى أىّ وقت ان خرجنا نحن خارجون قال فتراسل أصحاب صالح وتلاقوا في ذلك فبيناهم في ذلك اذ قدم عليهم المحلل بن وائل اليشكرىّ بكتاب من شبيب الى صالح بن مسرّح أما بعد فقد علمت انك كنت أردت الشخوص وقد كنت دعوتنى الى ذلك فاستجبت لك فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخ المسلمين ولن نعدل بك منا أحدا وان أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتنى فان الآجال غادية ورائحة ولا آمن أن تخترمنى المنيّةُ ولما أجاهد الظالمين فياله غبنا وياله فضلا متروكا جعلنا الله واياك ممن يريد بعمله الله ورضوانه والنظر الى وجهه ومرافقة الصالحين فى دار السلام والسلام عليك قال فلما قدم على صالح المحلل بن وائل بذلك الكتاب من شبيب كتب اليه صالح أما بعد فقد كان كتابك وخبرك أبطأ عنى حتى أهمنى ذلك ثم ان أمرأ من المسلمين نبّأنى بنبإ مخرجك ومقدمك فحمد الله على قضاء ربنا وقد قدم علىّ رسولك بكتابك فكلّ ما فيه قد فهمته ونحن فى جهاز واستعداد للخروج ولم يمنعنى من الخروج الا انتظارك فأقبلْ الينا ثم اخرج بنا متى ما أحببت فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى دونه الأمور والسلام عليك * فلما قدم على شبيب كتابُه بعث الى نفر من أصحابه فجمعهم اليه منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم والمحلل بن وائل اليشكرىّ والصقر بن حاتم من بنى تيم بن شيبان وابراهيم بن حجر أبو الصُقير من بنى مُحلّم والفضل بن عامر من بنى ذهل بن شيبان ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرّح بدارا فلما لقيه قال اخرج بنا رحمك الله فوالله ما تزداد السُنة الا دروسا ولا يزداد المجرمون الا طغيانا فبثّ صالح رسله فى أصحابه وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ٧٦ فاجتمع بعضهم الى بعض وتهيّأوا وتيسروا للخروج في تلك الليلة واجتمعوا جميعا عنده فى تلك الليلة لميعاده (قال أبو مخنف) فحدثنى فَرْوة بن لقيط الأزدىّ قال والله انى لمع شبيب بالمدائن اذ حدّثنا عن مخرجهم قال لما هَمَمْنا بالخروج اجتمعنا الى صالح بن مسرّح ليلة خرج فكان رأيى استعراض الناس لِمَا رأيت مِن المنكر والعدوان والفساد في الأرض فقمت اليه فقلت يا أمير المؤمنين كيف ترى في السيرة في هؤلاء الظلمة أنقتلهم قبل الدعاء أم ندعوهم قبل القتال وسأخبرك برأيى فيهم قبل أن تخبرنى فيهم برأيك أما أنا فأرى أن نقتل كلّ من لا يرى رأينا قريبا كان أو بعيدا فانا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله واستحوذ عليهم الشيطان فقال لا بل ندعوهم فلعمرى لا يجيبك الا من يرى رأيك وليقاتلنك من يزرى عليك والدعاء أقطع لحجّتهم وأبلغ فى الحجة عليهم قال فقلت له فكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ما تقول

في دمائهم وأموالهم فقال ان قتلنا وغنمنا فلنا وان تجاوزنا وعفونا فوسع علينا ولنا قال فأحسن القول وأصاب رحمة الله عليه وعلينا (قال أبو مخنف) فحدثني رجل من بني محلم ان صالح بن مسرح قال لأصحابه ليلة خرج اتقوا الله عباد الله ولا تعجلوا الى قتال أحد من الناس الا ان يكونوا اقوما يريدونكم و ينصبون لكم فانكم انما خرجتم غضبا لله حيث انتهكت محارمه وعُصى فى الارض فسفكت الدماء بغير حلها وأخذت الأموال بغير حقها فلا تعيبوا على قوم أعمالا ثم تعملوا بها فان كل ما أنتم عاملون أنتم عنه مسؤلون وإنّ عظمكم رجالة وهذه دوابّ لمحمد بن مروان فى هذا الرستاق فابدؤا بها فشدّوا عليها فاحملوا أرجلكم وتقوّوا بها على عدوّكم فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدوابّ فحملوا رجالتهم عليها وصارت رجالتهم فرسانا وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سنجار وخرج صالح ليلة خرج فى مائة وعشرين وقيل فى مائة وعشرة قال وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة فاستخفّ بأمرهم وبعث اليهم عدىّ بن عدىّ بن عُميرة من بنى الحارث بن معاوية بن ثور فى خمسمائة فقال له أصلح الله الأمير أتبعثنى الى رأس الخوارج منذ عشرين سنة قد خرج معه رجال من ربيعة قد سُمّوا لى كانوا يعازّوننا الرجل منهم خير من مائة فارس فى خمسمائة رجل قال له فإنى أزيدك خمسمائة أخرى فسر اليهم فى ألف فسار من حرّان فى ألف رجل فكان أوّل جيش سار الى صالح وسار اليه عدىّ وكأنما يساق الى الموت وكان عدىّ رجلا يتنسّك فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالناس وسرّح الى صالح بن مسرّح رجلا دسّه اليه من بنى خالد من بنى الورثة يقال له زياد ابن عبد الله فقال ان عديّا بعثنى اليك يسألك ان تخرج من هذا البلد وتأتى بلدا آخر فتقاتل أهله فإنّ عديّا للقائك كاره فقال له صالح ارجع اليه فقال له ان كنت ترى رأينا فأرنا من ذلك مانعرف ثم نحن مدلجون عنك من هذا البلد الى غيره وإن كنت على رأى الجبابرة وأئمة السوء رأينا رأينا فان شئنا بدأنا بك وإن شئنا رحلنا الى غيرك فانصرف اليه الرسول فأبلغه ما أرسل به فقال له ارجع اليه فقل له انى والله ما أنا على رأيك ولكنّى أكره قتالك وقتال غيرك فقاتل غيرى فقال صالح لأصحابه اركبوا فركبوا وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ثم تركه ومضى بأصحابه حتى يأتى عدىّ بن عدىّ بن عُميرة فى سُوق دوغان وهو قائم يصلى الضحى فلم يشعر الا والخيل طالعة عليهم فلما بصروا بها تنادوا وجعل صالح شبيبا فى كتيبة فى ميمنة أصحابه وبعث سويد بن سُليم الهندىّ من بنى شيبان فى كتيبة فى ميسرة أصحابه ووقف هو فى كتيبة فى القلب فلما دنا منهم رآهم على غير تعبية وبعضهم يجول فى بعض فأمر شبيبا فحمل عليهم ثم حمل سُويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يقاتلوا وأتى عدىّ بن عدىّ بدابته وهو يصلى فركبها ومضى على وجهه وجاء صالح بن مسرّح حتى نزل عسكره

وحوى

وحوى ما فيه وذهب فل "عدي" وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان فغضب ثم دعا خالد بن جزء السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ودعا الحارث بن جعونة من بني ربيعة ابن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ودعاهما فقال أخرجا الى هذه الخارجة القليلة الخبيثة وعجلا الخروج وأغذا السير فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه فخرجا من عنده فأغذا السير وجعلا يسألان عن صالح بن مسرح فيقال لهما انه توجه نحو آمد فأتبعاه حتى انتهيا اليه وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلا فخندقا وانتهيا اليه وهما متساندان كل واحد منهما في أصحابه على حدته فوجه صالح شبيبا الى الحارث بن جعونة العامري في شطر أصحابه وتوجه هو نحو خالد بن جزء السلمي (قال أبو مخنف) فحدثني المحلمي قال انتهوا الينا في أول وقت العصر فصلى بنا صالح العصر ثم عبانا لهم فاقتتلنا كأشد قتال اقتتله قوم قط وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهزمهم وعلى العشرين فكذلك وجعلت خيلهم لا تثبت لخيلنا * فلما رأى أميراهم ذلك ترجلا وأمرا جل من معهما فترجل فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذي نريد اذا حملنا عليهم استقبلتنا رجالتهم بالرماح ونضحتنا رماتهم بالنبل وخيلهم تطاردنا في خلال ذلك فقاتلناهم الى المساء حتى حال الليل بيننا وبينهم وقد أفشوا فينا الجراحة وأفشيناها فيهم ووالله ما أمسينا حتى كرهناهم وكرهونا وقد قتلوا منا نحوا من ثلاثين رجلا وقتلنا منهم أكثر من سبعين فوقفنا مقابلهم ما يقدمون علينا وما نقدم عليهم فلما أمسوا رجعوا الى عسكرهم ورجعنا الى عسكرنا فصلينا وتروحنا وأكلنا من الكسر ثم إن صالحا دعا شبيبا ورؤس أصحابه فقال يا أخلائي ماذا ترون فقال شبيب أرى انا قد لقينا هؤلاء القوم فقاتلناهم وقد اعتصموا بخنادقهم فلا أرى أن نقيم عليهم فقال صالح وأنا أرى ذلك فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين فمضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ثم دخلوا أرض الموصل فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدسكرة * فلما بلغ ذلك الحجاج سرح اليهم الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الهمداني في ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة ألف من المقاتلة الأولى والفين من الفرض الذي فرض لهم الحجاج فسار حتى اذا دنا من الدسكرة خرج صالح بن مسرح نحو جلولاء وخانقين وأتبعه الحارث بن عميرة حتى انتهى الى قرية يقال لها المدبج من أرض الموصل على تخوم ما بينها وبين أرض جوخى وصالح يومئذ في تسعين رجلا فعبى الحارث بن عميرة يومئذ أصحابه وجعل على ميمنته أبا الرواع الشاكري وعلى ميسرته الزبير بن الأروح التميمي ثم شد عليهم وذلك بعد العصر وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس فهو في كردوس وشبيب في كردوس في ميمنته وسويد بن سليم في كردوس في الميسرة في كل كردوس منهم ثلاثون رجلا * فلما شد عليهم الحارث بن عميرة في جماعة أصحابه انكشف سويد بن سليم وثبت صالح بن مسرح فقتل وضارب شبيب حتى صرع عن فرسه فوقع في رجالة فشد

عليهم فانكشفوا انجاء حتى انتهى الى موقف صالح بن مسرح فأصابه قتيلا فنادى الى ّ يامعشر المسلمين فلاذوا به فقال لأصحابه ليجعل ْ كل واحد منكم ظهره الى ظهر صاحبه وليطاعن عدوّه اذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن ونرى رأينا ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب وأحاط بهم الحارث بن عميرة ممسيا وقال لأصحابه أحرقوا الباب فاذا صار جمرا فدعوه فانهم لا يقدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبّحهم فنقتلهم ففعلوا ذلك بالباب ثم انصرفوا الى عسكرهم فأشرف شبيب عليهم وطائفة من أصحابه فقال بعض أولئك الفرض يابنى الزوانى ألم يخزكم الله فقالوا يافساق نعم تقاتلوننا لقتالنا ايا كم اذ عمّا كم الله عن الحق الذى نحن عليه فما عذركم عند الله في الفرى على أمّهاتنا فقال لهم حلماؤهم انما هذا من قول شبّاب فينا سفهاء والله مايعجبنا قولهم ولا نستحله وقال شبيب لأصحابه ياهؤلاء ماتنتظرون فوالله لئن صبّحكم هؤلاء غدوة إنه لهلاككم فقالوا له مرْنا بأمرك فقال لهم إن الليل أخفى للويل بايعونى أو من شئتم منكم ثم أخرجوا بنا حتى نشدّ عليهم فى عسكرهم فإنهم لذلك منكم آمنون وأنا أرجو أن ينصركم الله عليهم قالوا فابسطْ يدك فلنبايعك فبايعوه ثم جاؤا ليخرجوا وقد صار بابهم جمرا فأتوا باللبود فبلوها بالماء ثم ألقوها على الجمر ثم قطعوا عليها فلم يشعر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر الا وشبيب وأصحابه يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم فضارب الحارث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهزموا وخلّوْا لهم العسكر ومافيه ومضوا حتى نزلوا المدائن فكان ذلك الجيش أوّل جيش هزمه شبيب وأصيب صالح بن مسرّح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الاولى من سنته ﴿وفى هذه السنة﴾ دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته غزالة

﴿ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجاج بها والسبب الذى دعا شبيبا الى ذلك﴾

وكان السبب فى ذلك فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن عبد الله بن علقمة عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمى ّ ان شبيبا لما قتل صالح بن مسرّح بالمدبّج وبايعه أصحاب صالح ارتفع الى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيّار بن المضاء التيمى ّ تيم شيبان فدعاه الى الخروج معه وكان يعرفه قبل ذلك اذ كان في الديوان والمغازى فاشترط عليه سلامة أن ينتخب ثلاثين فارسا ثم لا يغيب عنه الا ثلاث ليال عددًا ففعل فانتخب ثلاثين فارسا فانطلق بهم نحو عنزة وإنما أرادهم ليشفى نفسه منهم لقتلهم أخاه فضالة وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك فى ثمانية عشر نفسا حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجال عليه أثلة عظيمة وعليه عنزة * فلما رأته عنزةُ قال بعضهم لبعض نقتلهم ثم نغدو بهم الى الأمير فنعطى ونُحبى فأجمعوا على ذلك فقالت بنو نصر اخواله لعمر الله لا نساعدكم على قتل ولدنا فنهضت عَنَزَةُ اليهم فقاتلوهم

فقتلوهم وأتوا برؤسهم عبد الملك بن مروان فلذلك أنزلهم بانقيا وفرض لهم ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك الا قليلة فقال سلامة بن سيار أخو فضالة يذكر قتل أخيه وخذلان أخواله اياه

وَمَا خَالَتْ أَخْوَالَ الفَتَى يُسْلِمُونَهُ * لِوَقْعِ السِّلاحِ قَبْلَ مَا فَعَلَتْ نَصْرُ

قال وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرح وشبيب * فلما بايع سلامةُ شبيبا اشترط عليه هذا الشرط فخرج في ثلاثين فارسا حتى انتهى الى عنزة فجعل يقتل المحلة منهم بعد المحلة حتى انتهى الى فريق منهم فيهم خالته وقد أكبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم فقالت وأخرجت ثديها اليه أنشدك برحم هذا يا سلامة فقال لا والله ما رأيت فضالة مذ أناخ بعُقْر الشجرة يعني أخاه لتقو من عنه أولأ جمعن جافتك بالرمح فقامت عن ابنها عند ذلك فقتله (قال أبو مخنف) فحدثني المفضل بن بكر من بني تيم بن شيبان ان شبيبا أقبل في أصحابه نحو راذان فلما سمعت به طائفة من بني تيم بن شيبان خرجوا هرابا منه ومعهم ناس من غيرهم قليل فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد الى جنب حولايا وهم نحو من ثلاثة آلاف وشبيب في نحو من سبعين رجلا أو يزيدون قليلا فنزل بهم فهابوه وتحصنوا منه ثم ان شبيبا سرى في اثني عشر فارسا من أصحابه الى أمه وكانت في سفح ساتيدما نازلة في مظلة من مظال الأعراب فقال لآتين بأمي فلأجعلنها في عسكري فلا تفارقني أبدا حتى أموت أو تموت وخرج رجلان من بني تيم بن شيبان تخوفا على أنفسهما فنزلا من الدير فلحقا بجماعة من قومهما وهم نزول بالجال منهم على مسيرة ساعة من النهار وخرج شبيب في أولئك الرهط في أولهم وهم اثنا عشر يريد أمه بالسفح فإذا هو بجماعة من بني تيم بن شيبان غارين في أموالهم مقيمين لا يرون ان شبيبا يمر بهم لمكانهم الذي هم به ولا يشعر بهم فحمل عليهم في فرسانه تلك فقتل منهم ثلاثين شيخا فيهم حوثرة بن أسد ووبرة بن عاصم اللذان كانا نزلا من الدير فلحقا بالجال ومضى شبيب الى أمه فحملها من السفح فأقبل بها وأشرف رجل من أصحاب الدير من بكر بن وائل على أصحاب شبيب وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان فقال لهم يا قوم القرآن بيننا وبينكم ألم تسمعوا قول الله وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ قالوا بلى قال لهم فكفوا عنا حتى نصبح ثم نخرج اليكم على أمان لنا منكم لكيلا تعرضوا لنا بشيء نكرهه حتى تعرضوا علينا أمركم هذا فإن نحن قبلناه حرمت عليكم أموالنا ودماؤنا وكنا لكم اخوانا وإن نحن لم نقبله رددتمونا الى مأمننا ثم رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم قالوا لهم فهذا لكم * فلما أصبحوا خرجوا اليهم فعرض عليهم أصحاب شبيب قولهم ووصفوا لهم أمرهم فقبلوا ذلك كله وخالطوهم ونزلوا اليهم فدخل بعضهم الى بعض

وجاء شبيب وقد اصطلحوا فأخبره أصحابه خبرهم فقال أصبتم ووفقتم وأحسنتم ثم ان شبيبا ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفة جانحة وخرج يومئذ معه ابراهيم بن حجر المحلمى أبو الصقير كان مع بنى تيم بن شيبان نازلا فيهم ومضى شبيب فى أدانى أرض الموصل وتخوم أرض جوخى ثم ارتفع نحو آذربيجان وأقبل سفيان بن أبى العالية الخثعمى فى خيل قد كان أمر أن يدخل بها طبرستان فأمر بالقفول فأقبل راجعا فى نحو من ألف فارس فصالح صاحب طبرستان (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الله بن علقمة الخثعمى ان كتاب الحجاج أتاه أما بعد فسر حتى تنزل الدسكرة فيمن معك ثم أقم حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة الهمدانى بن ذى المشعار وهو الذى قتل صالح بن مسرح وخيل المناظر ثم سر الى شبيب حتى تناجزه * فلما أتاه الكتاب أقبل حتى نزل الدسكرة ونودى فى جيش الحارث بن عميرة بالكوفة والمدائن ان برئت الذمة من رجل من جيش الحارث بن عميرة لم يواف سفيان بن أبى العالية بالدسكرة قال فخرجوا حتى أتوه وأتته خيل المناظر وكانوا خمسمائة عليهم سورة ابن أبجر التميمى من بنى أبان بن دارم فوافوه الا نحوا من خمسين رجلا تخلفوا عنه وبعث الى سفيان بن أبى العالية أن لا تبرح العسكر حتى آتيك فعجل سفيان فارتحل فى طلب شبيب فلحقه بخانقين فى سفح جبل فجعل على ميمنته خازم بن سفيان الخثعمى من بنى عمرو ابن شهران وعلى ميسرته عدى بن عميرة الشيبانى وأصحر لهم شبيب ثم ارتفع عنهم حتى كأنه يكره لقاءه وقد أكمن له أخاه مصادا معه خمسون فى هزم من الأرض فلما رأوه جمع أصحابه ثم مضى فى سفح الجبل مشرقا فقالوا هرب عدو الله فاتبعوه فقال لهم عدى بن عميرة الشيبانى أيها الناس لا تعجلوا عليهم حتى نضرب فى الارض ونسير بها فان يكونوا قد أكمنوا لنا كمينا كنا قد حذرناه والا فإن طلبهم لن يفوتنا فلم يسمع منه الناس وأسرعوا فى آثارهم * فلما رأى شبيب انهم قد جازوا الكمين عطف عليهم * ولما رأى الكمين أن قد جازوهم خرجوا اليهم فحمل عليهم شبيب من أمامهم وصاح بهم الكمين من ورائهم فلم يقاتلهم أحد وكانت الهزيمة فثبت ابن أبى العالية فى نحو من مائتى رجل فقاتلهم قتالا شديدا حسنا حتى ظن انه انتصف من شبيب وأصحابه فقال سويد بن سليم لاصحابه أمنكم أحد يعرف أمير القوم ابن أبى العالية فوالله لئن عرفته لأجهدن نفسى فى قتله فقال شبيب أنا من أعرف الناس به أما ترى صاحب الفرس الاغر الذى دونه المرامية فإنه ذلك فإن كنت تريده فأمهله قليلا ثم قال ياقعنب أخرج فى عشرين فأتهم من ورائهم فخرج قعنب فى عشرين فارتفع عليهم * فلما رأوه يريد أن يأتيهم من ورائهم جعلوا يتنقضون ويتسللون وحمل سويد بن سليم على سفيان ابن أبى العالية فطاعنه فلم تصنع رمحاهما شيأ ثم اضطربا بسيفيهما ثم اعتنق كل منهما صاحبه فوقعا الى الارض يعتركان ثم تحاجزوا وحمل عليهم شبيب فانكشفوا وأتى سفيان غلام له

يقال

يقال له غزوان فنزل عن برذونه وقال اركبْ يامولاى فركب سفيان وأحاط به أصحابُ شبيب فقاتل دونه غزوان فقُتل وكانت معه رايته وأقبل سفيان بن أبي العالية حتى انتهى الى بابل مَهْرُوذ فنزل بها وكتب الى الحجاج أما بعد فانى أخبر الامير أصلحه الله انى اتبعت هذه المارقة حتى لحقتهم بخانقين فقاتلتهم فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم فبينا نحن كذلك اذ أتاهم قوم كانوا غُيَّباً عنهم فحملوا على الناس فهزموهم فنزلتُ فى رجال من أهل الدين والصبر فقاتلتهم حتى خررت بين القتلى فحُملت مرتثًّا فأتى بى بابل مهروذ فها أنا بها والجند الذين وجّههم الى الأمير وافوا الا سَوْرَةَ بن أبجر فإنه لم يأتنى ولم يشهد معى حتى اذا ما نزلت بابل مهروذ أتانى يقول ما لا أعرف ويعتذر بغير العذر والسلام * فلما قرأ الحجاج الكتاب قال من صنع كما صنع هذا وأبلى كما أبلى فقد أحسن ثم كتب اليه أما بعد فقد أحسنت البلاء وقضيت الذى عليك فاذا خف عنك الوجع فأقبلْ مأجورا الى أهلك والسلام وكتب الى سورة بن أبجر أما بعد فيا ابن أم سورة ما كنت خليقا ان تجترئ على ترك عهدى وخذلان جندى فاذا أتاك كتابى فابعثْ رجلا ممن معك صليبا الى الخيل التى بالمدائن فلينتخب منهم خمسمائة رجل ثم ليقدم بهم عليك ثم سر بهم حتى تلقى هذه المارقة واحزمْ فى أمرك وكدْ عدوك فإن أفضل أمر الحرب حسن المكيدة والسلام * فلما أتى سورة كتابُ الحجاج بعث عدىَّ بن عُميرة الى المدائن وكان بها ألف فارس فانتخب منهم خمسمائة ثم دخل على عبدالله بن أبى عُصَيْفير وهو أمير المدائن امارته الاولى فسلم عليه فأجازه بألف درهم وحمله على فرس وكساه أثوابا ثم انه خرج من عنده فأقبل بأصحابه حتى قدم بهم على سورة بن أبجر ببابل مهروذ فخرج فى طلب شبيب وشبيب يجول فى جوخى وسورة فى طلبه فجاء شبيب حتى انتهى الى المدائن فتحصّن منه أهل المدائن وتحرّزوا وهى أبنية المدائن الاولى فدخل المدائن فأصاب بها دوابّ جند كثيرة فقتل مَن ظهر له ولم يدخلوا البيوت فأتى فقيل له هذا سورة بن أبجر قد أقبل اليك فخرج فى أصحابه حتى انتهى الى النَّهْرَوَان فنزلوا به وتوضؤوا وصلّوا ثم أتوا مصارع اخوانهم الذين قتلهم علىُّ بن أبى طالب عليه السلام فاستغفروا لاخوانهم وتبرؤوا من علىّ وأصحابه وبكوا فأطالوا البكاء ثم خرجوا فقطعوا جسر النهروان فنزلوا من جانبه الشرقى وجاء سورة حتى نزل بقطراثا وجاءته عيونه فأخبرته بمنزل شبيب بالنهروان فدعا رؤس أصحابه فقال انهم قلما يلقون مُصْحرين أو على ظهر الا انتصفوا منكم وظهروا عليكم وقد حُدّثت انهم لا يزيدون على مائة رجل الا قليلا وقد رأيت أن أنتخبكم فأسير فى ثلثمائة رجل منكم من أقويائكم وشجعانكم فآتيهم الآن اذهم آمنون لبياتكم فوالله انى لأرجو أن يصرعهم الله مصارعَ اخوانهم الذين صُرعوا منهم بالنهروان من قبلُ فقالوا اصنعْ ما أحببت فاستعمل على عسكره حازم بن

قدامة الخثعمىّ وانتخب من أصحابه ثلاثمائة رجل من أهل القوّة والجلد والشجاعة ثم أقبل بهم نحو النهروان وبات شبيب وقد أذكى الحرس فلما دنا أصحاب سورة منهم نذروا بهم فاستووا على خيولهم وتعبّوا تعبيتهم * فلما انتهى اليهم سورة وأصحابه أصابوهم قد حذروا واستعدّوا فحمل عليهم سورة وأصحابه فثبتوا لهم وضاربوهم حتى صدّ عنهم سورة وأصحابه ثم صاح شبيب بأصحابه فحمل عليهم حتى تركوا له العرصة وحملوا عليهم معه وجعل شبيب يضرب ويقول

من ينكِ العير ينكْ نيّاكا * جندلتان اصطكّتا اصطكاكا

فرجع سورة الى عسكره وقد هُزِم الفرسان وأهل القوّة فتحمّل بهم حتى أقبل بهم نحو المدائن فدفع اليهم وقد تحمّل وتعدّى الطريق الذى فيه شبيب واتبعه شبيب وهو يرجو أن يلحقه فيصيب عسكره ويصيب بهزيمته أهل العسكر فأغذّ السير في طلبهم فانتهوا الى المدائن فدخلوها وجاء شبيب حتى انتهى الى بيوت المدائن فدفع اليهم وقد دخل الناس وخرج ابن أبى عصيفير فى أهل المدائن فرماهم الناس بالنبل ورموا من فوق البيوت بالحجارة فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن فمرّ على كلواذا فأصاب بها دوابّ كثيرة للحجاج فأخذها ثم خرج يسير فى أرض جوخى ثم مضى نحو تكريت فبينا ذاك الجند فى المدائن اذ أرجف الناس بينهم فقالوا هذا شبيب قد دنا وهو يريد ان يبيّت أهل المدائن الليلة فارتحل عامّة الجند فلحقوا بالكوفة (قال أبو مخنف) وحدّثنى عبد الله بن علقمة الخثعمىّ قال والله لقد هربوا من المدائن وقالوا نُبيَّتُ الليلة وإن شبيبا لبتكريت قال ولما قدم الفلّ على الحجاج سرّح الجزل بن سعيد بن شرحبيل بن عمرو الكندىّ (قال أبو مخنف) حدثنا النضر بن صالح العبسىّ وفضيل بن خديج الكندىّ ان الحجاج لما أتاه الفلّ قال قبح الله سورة ضيّع العسكر والجند وخرج يبيت الخوارج أما والله لأسوأنه وكان بعد قد حبسه ثم عوفى عنه (قال أبو مخنف) وحدّثنى فضيل بن خديج ان الحجاج دعا الجزل وهو عثمان بن سعيد فقال له تيسّر للخروج الى هذه المارقة فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق ولا تُحجم إحجام الوانى الفرق هل فهمت لله أنت يا أخا بنى عمرو بن معاوية فقال نعم أصلح الله الأمير قد فهمت قال له فاخرج فعسكر بدير عبد الرحمن حتى يخرج اليك الناس فقال أصلح الله الأمير لا تبعثنّ معى أحدا من أهل هذا الجند المفلول المهزوم فان الرعب قد دخل قلوبهم وقد خشيت أن لا ينفعك والمسلمين منهم أحدٌ قال له فإن ذلك لك ولا أراك الا قد أحسنت الرأى ووفقت ثم دعا أصحاب الدواوين فقال اضربوا على الناس البعث فأخرجوا أربعة آلاف من الناس من كل ربع ألف رجل وأعجلوا ذلك فجمعت العرفاء وجلس أصحاب الدواوين وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف فأمرهم بالعسكر فعسكروا ثم نودى فيهم بالرحيل ثم ارتحلوا

ونادى

ونادى منادى الحجاج أن برئت الذمّة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفا قال فمضى
الجزل بن سعيد وقد قدّم بين يديه عياض بن أبى لينة الكندىّ على مقدمته فخرج
حتى أتى المدائن فأقام بها ثلاثا وبعث اليه ابن أبى عصيفير بفرس وبرذون وبغلين وألفى
درهم ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتى ارتحلوا فأصاب الناس
ماشاؤا من تلك الجزر والعلف الذى وضع لهم ابن أبى عصيفير ثم ان الجزل بن سعيد خرج
بالناس فى أثر شبيب فطلبه فى أرض جوخى فجعل شبيب يُريه الهيبة فيخرج من رستاق
الى رستاق ومن طسّوج الى طسوج ولا يقيم له ارادة أن يفرّق الجزل أصحابه ويتعجّل اليه
فيلقاه فى يسير من الناس على غير تعبية فجعل الجزل لا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا خندق
على نفسه خندقا فلما طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسروا (قال أبو مخنف)
فحدّثنى فروة بن لقيط ان شبيبا دعانا ونحن بدير بيرمّا ستون ومائة رجل فجعل على كلّ
أربعين من أصحابه رجلا وهو فى أربعين وجعل أخاه مصادا فى أربعين وبعث سويد بن سُليم
فى أربعين وبعث المحلل بن وائل فى أربعين وقد أتته عيونه فأخبرته ان الجزل بن سعيد قد
نزل دير يزدجرد قال فدعانا عند ذلك فعبّانا هذه التعبية وأمرنا فعلقنا على دوابنا وقال
لنا تيسروا فاذا قضمت دوابّكم فاركبوا وليسر كل امرئ منكم مع أميره الذى أمّرناه
عليه ولينظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبعه ودعا أمراءنا فقال لهم انى أريد أن
أبيّت هذا العسكر الليلة ثم قال لأخيه مصاد آتهم فارتفع من فوقهم حتى تأتيهم من ورائهم
من قِبَل حلوان وسآتيهم أنا من امامى من قِبَل الكوفة وأتهم أنت يا سويد من قِبَل المشرق
وأتهم أنت يا محلل من قبل المغرب وليلج كل امرئ منكم على الجانب الذى يحمل عليه ولا
تقلعوا عنهم تحملون وتكرّون عليهم وتصيحون بهم حتى يأتيكم أمرى فلم نزل على تلك
التعبية وكنت أنا فى الأربعين الذين كانوا معه حتى اذا قضمت دوابنا وذلك أول الليل أول
ماهدأت العيون خرجنا حتى انتهينا الى دير الخرارة فاذا للقوم مسلحة عليهم عياض بن أبى
لينة فما هو الا ان انتهينا اليهم فحمل عليهم مصاد أخو شبيب فى أربعين رجلا وكان امام شبيب
وقد كان أراد أن يسبق شبيبا حتى يرتفع عليهم ويأتيهم من ورائهم كما أمره * فلما لقى هؤلاء
قاتلهم فصبروا ساعة وقاتلوهم ثم انا دفعنا اليهم جميعا فحملنا عليهم فهزمناهم وأخذوا الطريق
الأعظم وليس بينهم وبين عسكرهم بدير يزدجرد الا قريب من ميل فقال لنا شبيب اركبوا
معاشرَ المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم ان استطعتم فأتبعناهم والله ملظّين
بهم ملحين عليهم ما نُرفّه عنهم وهم منهزمون مالهم همة الا عسكرهم فانتهوا الى عسكرهم
ومنعهم أصحابُهم أن يدخلوا عليهم ورشقونا بالنبل وكانت عيون لهم قد أتتهم فأخبرتهم بمكاننا
وكان الجزل قد خندق عليه وتحرّز ووضع هذه المسلحة الذين لقيناهم بدير الخرارة ووضع

مسلحة أخرى مما يلى حلوان على الطريق فلما ان دفعنا الى هذه المسلحة التى كانت بدير الخرارة فألحقناهم بعسكر جماعتهم رجعت المسالح الأخر حتى اجتمعت ومنعها أهل العسكر دخول العسكر وقالوا لهم قاتلوا وانضحوا عنكم بالنبل (قال أبو مخنف) وحدثنى جرير بن الحسين الكندىّ قال كان على المسلحتين الاخرتين عاصم بن حجر على التى تلى حلوان وواصل بن الحارث السكونىّ على الأخرى فلمّا ان اجتمعت المسالح جعل شبيب يحمل عليها حتى اضطرها الى الخندق ورشقهم أهل العسكر بالنبل حتى ردوهم عنهم فلما رأى شبيب انه لا يصل اليهم قال لأصحابه سيروا ودعوهم فمضى على الطريق نحو حلوان حتى اذا كان قريبا من موضع قباب حسين بن زفر من بنى بدر بن فزارة وانما كانت قباب حسين بن زفر بعد ذلك قال لأصحابه انزلوا فاقضموا وأصلحوا نبلكم وتروحوا وصلوا ركعتين ثم اركبوا فنزلوا ففعلوا ذلك ثم انه أقبل بهم راجعا الى عسكر أهل الكوفة أيضا وقال سيروا على تعبيتكم التى عبأتكم عليها بدير بَيرمَّا أول الليل ثم أطيفوا بعسكرهم كما أمرتكم فأقبلوا وقال فأقبلنا معه وقد أدخل أهلُ العسكر مسالحهم اليهم وقد أمنونا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر خيولنا قريبا منهم فانتهينا اليهم قبيل الصبح فأحطنا بعسكرهم ثم صحنا بهم من كل جانب فإذا هم يقاتلوننا من كل جانب ويرموننا بالنبل ثم ان شبيبا بعث الى أخيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل الينا وخل لهم سبيل الطريق الى الكوفة فأقبل اليه وترك ذلك الوجه وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة حتى أصبحنا فأصبحنا ولم نستفل منهم شيأ فسرنا وتركناهم فجعلوا يصيحون بنا أين يا كلاب النار أين أيتها العصابة المارقة أصبحوا نخرج اليكم فارتفعنا عنهم نحوا من ميل ونصف ثم نزلنا فصلينا الغداة ثم أخذنا الطريق على بَرازالروز ثم مضينا الى جرجرايا وما يليها فأقبلوا فى طلبنا (قال أبو مخنف) فحدثنى مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر قال كنت مع الناس تاجرا وهم فى طلب الحروريّة وعلينا الجزل بن سعيد فجعل يتبعهم فلا يسير الا على تعبية ولا ينزل الا على خندق وكان شبيب يدعه ويضرب فى أرض جوخى وغيرها يكسر الخراج وطال ذلك على الحجاج فكتب اليه كتابا فقرئ على الناس أما بعد فإنى بعثتك فى فرسان أهل المصر ووجوه الناس وأمرتك باتباع هذه المارقة الضالة المضلة حتى تلقاها فلا تقلع عنها حتى تقتلها وتفنيها فوجدت التعريس فى القرى والتخييم فى الخنادق أهون عليك من المضىّ لما أمرتك به من مناهضتهم ومناجزتهم والسلام فقرئ الكتاب علينا ونحن بقطراثا ودير أبى مريم فشق ذلك على الجزل وأمر الناس بالسير فخرجوا فى طلب الخوارج جادّين وأرجفنا بأميرنا وقلنا يعزلُ (قال أبو مخنف) فحدثنى اسماعيل بن نعيم الهمدانى ثم البُرسمىّ ان الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش وعهد اليه ان لقيت المارقة فازحف اليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم

وواقفهم واستعن بالله عليهم ولا تصنع صنيع الجزل واطلبهم طلب السبع وحد عنهم حيدان الضبع وأقبل الجزل في طلب شبيب حتى انتهوا الى النهر وان فأدركوه فلزم عسكره وخندق عليه وجاء اليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميرا فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة انكم قد عجزتم ووهنتم وأغضبتم عليكم أميركم أنتم فى طلب هذه الاعاريب العجف منذ شهرين وهم قد خربوا بلادكم وكسروا خراجكم وأنتم حاذرون فى جوف هذه الخنادق لا تزايلونها الا ان يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ونزلوا بلدا سوى بلدكم اخرجوا على اسم الله اليهم فخرج وأخرج الناس معه وجمع اليه خيول أهل العسكر فقال له الجزل ماتريد ان تصنع قال اريد ان أقدم على شبيب في هذه الخيل فقال له الجزل أقم أنت في جماعة الجيش فارسهم وراجلهم وأصحر له فوالله ليقدمن عليك فلا تفرق أصحابك فان ذلك شر لهم وخير لك فقال له قف أنت فى الصف فقال ياسعيد بن مجالد ليس لى فيما صنعت رأى أنا برىء من رأيك هذا سمع الله ومن حضر من المسلمين فقال هو رأيي ان أصبت فالله وفقنى له وان يكن غير صواب فأنتم منه براء قال فوقف الجزل فى صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق وجعل على ميمنتهم عياض بن أبى لينة الكندى وعلى ميسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرؤاسى ووقف الجزل فى جماعتهم واستقدم سعيد بن مجالد فخرج وأخرج الناس معه وقد أخذ شبيب الى براز الروز فنزل قطيطيا وأمر دهقانها ان يشترى لهم ما يصلحهم ويتخذ لهم غداء ففعل ودخل مدينة قطيطيا وأمر بالباب فأغلق فلم يفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد فى أهل ذلك العسكر فصعد الدهقان السور فنظر الى الجند مقبلين قد دنوا من حصنه فنزل وقد تغير لونه فقال له شبيب مالى أراك متغير اللون فقال له الدهقان قد جاءتك الجنود من كل ناحية قال لا بأس هل أدرك غداؤنا قال نعم قال فقربه وقد أغلق الباب وأتى بالغداء فتغدى وتوضأ وصلى ركعتين ثم دعا ببغل له فركبه ثم انهم اجتمعوا على باب المدينة فأمر بالباب ففتح ثم خرج على بغله فحمل عليهم وقال لا حكم الا للحكم الحكيم أنا أبو مدله اثبتوا ان شئتم وجعل سعيد يجمع قومه وخيله ثم يدلفها فى أثره ويقول ماهؤلاء انما هم أكلة رأس فلما رآهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا والف خيله كلها ثم جمعها ثم قال استعرضوهم استعراضا وانظروا الى أميرهم فوالله لأقتلنه أو يقتلنى وحمل عليهم مستعرضا لهم فهزمهم وثبت سعيد بن المجالد ثم نادى أصحابه الى الى أنا ابن ذى مران وأخذ قلنسوته فوضعها على قربوس سرجه وحمل عليه شبيب فعممه بالسيف فخالط دماغه فخر ميتا وانهزم ذلك الجيش وقتلوا كل قتلة حتى انتهوا الى الجزل ونزل الجزل ونادى أيها الناس الى وناداهم عياض بن أبى لينة أيها الناس ان كان أميركم القادم قد هلك فأميركم الميمون النقيبة المبارك حى لم يمت فقاتل الجزل قتالا شديدا حتى حمل من بين القتلى فحمل الى المدائن مرتثا وقدم فل أهل ذلك

العسكر الكوفة وكان من أشد الناس بلاء يومئذ خالد بن نهيك من بني ذهل بن معاوية وعياض بن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرتث هذا حديث طائفة من الناس والحديث الآخر قتالهم فيما بين دير أبي مريم الى براز الروز ثم ان الجزل كتب الى الحجاج قال وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ وبعث الى سوق بغداد فآمنهم وذلك اليوم يوم سوقهم وكان بلغه انهم يخافونه فأحب ان يؤمنهم وكان أصحابه يريدون ان يشتروا من السوق دواب وثيابا وأشياء ليس لهم منها بدٌّ ثم أخذ بهم نحو الكوفة وساروا أول الليل حتى نزلوا عقر الملك الذي يلي قصر ابن هبيرة ثم اغذّ السير من الغد فبات بين حمّام عمر بن سعد وبين قُبّينَ فلما بلغ الحجاج مكانه بعث الى سويد بن عبد الرحمن السعدى فبعثه في ألفي فارس نقاوة وقال له اخرجْ الى شبيب فالقه واجعل ميمنة وميسرة ثم انزل اليه فى الرجال فإن استطرد لك فدعه ولا تتبعه فخرج فعسكر بالسبخة فبلغه ان شبيبا قد أقبل فأقبل نحوه وكأنما يساقون الى الموت وأمر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس بالسبخة ونادى ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج الى عثمان بن قطن بالسبخة وأمر سويد بن عبد الرحمن ان يسير في الألفين اللذين معه حتى يلقى شبيبا فمبر بأصحابه الى زُرارة وهو يعبئهم ويحرضهم اذ قيل له قد غشيك شبيب فنزل ونزل معه جل أصحابه وقدم رايته ومضى الى أقصى زرارة فأخبر ان شبيبا قد أخبر بمكانك فتركك ووجد مخاضة فعبر الفرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الذى أنت به ثم قيل له أما تراهم فنادى فى أصحابه فركبوا فى آثارهم وان شبيبا أتى دار الرزق فنزلها فقيل له ان أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسبخة فلما بلغهم مكان شبيب صاح بعضهم ببعض وجالوا وهموا ان يدخلوا الكوفة حتى قيل لهم ان سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم فى الخيل (قال هشام) وأخبرنى عمر بن بشير قال لما نزل شبيب الدير أمر بغنم تهيأ له فصعد الدهقان ثم نزل وقد تغير لونه فقال مالك قال قد والله جاءك جمع كثير قال أبلغ الشواء بعد قال لا قال دعه قال ثم أشرف اشرافةً أخرى فقال قد والله أحاطوا بالجوسق قال هات شواءك فجعل يأكل غير مكترث لهم فلما فرغ توضأ وصلى بأصحابه الأولى ثم تقلد سيفين بعد مالبس درعه وأخذ عمود حديد ثم قال اسرجوا الى البغلة فقال أخوه مصاد أفى هذا اليوم تسرج بغلة قال نعم اسرجوها فركبها ثم قال يافلان أنت على الميمنة وأنت يافلان على الميسرة وقال لمصاد أنت في القلب وأمر الدهقان ففتح الباب في وجوههم قال فخرج اليهم وهو يحكم فجعل سعيد وأصحابه يرجعون القهقرى حتى صار بينهم وبين الدير نحوٌ من ميل قال وجعل سعيد يقول يامعشر همدان أنا ابن ذى مران الىّ الىّ ووجه سرا مع ابنه وقد أحس أنها تكون عليه فنظر شبيب الى مصاد فقال أثكلنيك الله ان لم أثكله ولده قال ثم علاه بالعمود فسقط ميتا وانهزم أصحابه وما قتل بينهم يومئذ الا قتيل واحد قال

وانكشف أصحاب سعيد بن مجالد حتى أتوا الجزل فناداهم الجزل أيها الناس الىّ الىّ وناداهم عياض بن أبي لينة أيها الناس ان يكن أميركم هذا القادم قد هلك فهذا أميركم الميمون النقيبة أقبلوا اليه وقاتلوا معه فنهم من أقبل اليه ومنهم من ركب رأسه منهزماً وقاتل الجزل قتالا شديدا حتى صرع وقاتل عنه خالد بن نهيك وعياض بن أبي لينة حتى استنقذاه وهو مرتث وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفة فأتى بالجزل حتى أدخل المدائن وكتب الى الحجاج بن يوسف * قال أبو مخنف حدثني بذلك ثابت مولى زهير أما بعد فاني أخبر الأمير أصلحه الله انى خرجت فيمن قبلى من الجند الذى وجهني فيه الى عدوه وقد كنت حفظت عهد الامير الىّ فيهم ورأيه فكنت أخرج اليهم اذا رأيت الفرصة وأحبس الناس عنهم اذا خشيت الورطة فلم أزل كذلك ولقد أرادني العدوّ بكل ارادة فلم يصب منى غرّةً حتى قدم علىّ سعيد بن مجالد رحمة الله عليه ولقد أمرته بالتؤدة ونهيته عن العجلة وأمرته ان لا يقاتلهم الا فى جماعة الناس عامّة فعصانى وتعجّل اليهم في الخيل فأشهدت عليه أهل المصرين انى برئ من رأيه الذى رأى وانى لا أهوى ما صنع فمضى فأصيب تجاوز الله عنه ودفع الناسُ الىّ فنزلت ودعوتهم الىّ ورفعت لهم رايتى وقاتلت حتى صُرعت فحملنى أصحابى من بين القتلى فما أفقت الا وأنا على أيديهم على رأس ميل من المعركة فأنا اليوم بالمدائن في جراحة قد يموت الرجل من دونها ويعافى من مثلها فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتى له ولجنده وعن مكايدتى عدوّه وعن موقفى يوم البأس فإنه يستبين له عند ذلك أنى قد صدقته ونصحت له والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد فقد أتانى كتابك وقرأته وفهمت كل ما ذكرت فيه وقد صدّقتك فى كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك وحيطتك على أهل مصرك وشدتك على عدوّك وقد فهمت ما ذكرت من أمر سعيد وعجلته الى عدوه فقد رضيت عجلته وتؤدتك فأمّا عجلته فانها أفضت به الى الجنة وأما تؤدتك فانها لم تدع الفرصة اذا أمكنت وتركُ الفرصة اذا لم تمكن حزمٌ وقد أصبت وأحسنت البلاء وأجرت وأنت عندى من أهل السمع والطاعة والنصيحة وقد أشخصت اليك حيان بن أبجر ليداويك ويعالج جراحتك وبعثت اليك بألفى درهم فانفقها فى حاجتك وما ينوبك والسلام فقدم عليه حيان بن أبجر الكنانىّ من بنى فراس وهم يعالجون الكى وغيره فكان يداويه وبعث اليه عبد الله بن أبي عصيفير بألف درهم وكان يعوده ويتعاهده باللطف والهديّة قال وأقبل شبيب نحو المدائن فعلم انه لا سبيل له الى أهلها مع المدينة فأقبل حتى انتهى الى الكرخ فعبر دجلة اليه وبعث الى أهل سوق بغداذ وهو بالكرخ أن اثبتوا فى سوقكم فلا بأس عليكم وكان ذلك يوم سوقهم وقد كان بلغه انهم يخافونه قال ويخرج سويد حتى جعل بيوت مزينة وبنى سليم فى ظهره وظهور أصحابه وحمل عليهم شبيب حملةً منكرةً وذلك عند المساء فلم يقدر منهم على شىء فأخذ على بيوت الكوفة نحو

الحيرة وأتبعه سويد لا يفارقه حتى قطع بيوت الكوفة كلها الى الحيرة وأتبعه سويد حتى انتهى الى الحيرة فيجده قد قطع قنطرة الحيرة ذاهبا فتركه وأقام حتى أصبح وبعث اليه الحجاج أن أتبعه فأتبعه ومضى شبيب حتى أغار في أسفل الفرات على من وجد من قومه وارتفع في البرّ من وراء خفان في أرض يقال لها الغلظة فيصيب رجالا من بني الورثة فحمل عليهم فاضطرّهم الى جدد من الأرض فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم فلما نفدت وصل اليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلا منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحمران ابن مالك كلهم من بني الوِرثة ( قال أبو مخنف ) حدثني بذلك عطاء بن عرفجة بن زياد بن عبد الله الوِرْثيّ ومضى شبيب حتى يأتي بني أبيه على اللصف ماء لرهطه وعلى ذلك الماء الفزْر ابن الاسود وهو أحد بني الصلت وهو الذي كان ينهى شبيبا عن رأيه وأن يفسد بني عمه وقومه فكان شبيب يقول والله لئن ملكت سبعة أعنة لأغزون الفزر فلما غشيهم شبيب في الخيل سأل عن الفزْر فاتقاه الفزر فخرج على فرس لا تجارَى من وراء البيوت فذهب عليها في الأرض وهرب منه الرجال ورجع وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القُطقُطانة ثم على قصر مقاتل ثم أخذ على شاطئ الفرات حتى أخذ على الحصّاصة ثم على الأنبار ثم مضى حتى دخل دَقُوقاء ثم ارتفع الى أداني آذربيجان فتركه الحجاج وخرج الى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فما شعر الناس بشيء حتى جاء كتاب من ماذرواسب دهقان بابل مهروذ وعظيمها الى عروة بن المغيرة بن شعبة ان تاجرا من تجار الأنبار من أهل بلادي أتاني فذكر ان شبيبا يريد ان يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل أحببتُ إعلامك ذلك لترى رأيك ثم لم ألبث الا ساعة حتى جاءني جابيان من جباتي فحدثاني انه قد نزل خانيجار فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به الى الحجاج بالبصرة فلما قرأه الحجاج أقبل جوادا الى الكوفة وأقبل شبيب يسير حتى انتهى الى قرية يقال لها حربى على شاطئ دجلة فعبر منها فقال ما اسم هذه القرية فقالوا حربَى فقال حَرْبٌ يَصْلى بها عدوكم وحَرَبٌ تدْخِلونه بُيُوتهم انما يتطيَّر من يقوف ويعيف ثم ضرب رايته وقال لأصحابه سيروا فأقبل حتى نزل عقرقوفا فقال له سويد بن سليم يا أمير المؤمنين لو تحوَّلتَ بنا من هذه القرية المشؤمة الاسم قال وقد تطيّرتَ أيضا والله لا أتحوَّل عنها حتى أسير الى عدوّي منها انما شؤمها ان شاء الله على عدوّكم تحملون عليهم فيها فالعقر لهم ثم قال لأصحابه يا هؤلاء ان الحجاج ليس بالكوفة وليس دون الكوفة ان شاء الله شيء فسيروا بنا فخرج يبادر الحجاج الى الكوفة وكتب عروة الى الحجاج ان شبيبا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة فالعجلَ العجلَ فطوى الحجاج المنازل واستبقا الى الكوفة ونزلها الحجاج صلاة الظهر ونزل شبيب السبخة صلاة المغرب فصلى المغرب والعشاء ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيأ يسيرا ثم ركبوا خيولهم

فدخلوا الكوفة فجاء شبيب حتى انتهى الى السوق ثم شد حتى ضرب باب القصر بعموده قال أبو المنذر رأيت ضربة شبيب بباب القصر قد أثرت أثرا عظيما ثم أقبل حتى وقف عند المصطبة ثم قال

وكأنَّ حافرَها بكلِّ خميلةٍ * كيْلٌ يَكيلُ به شحيحٌ معْدِمُ
عبْدٌ دَعيٌّ من ثمودٍ أصله * لابل يُقال أبو أبيهم يقْدُمُ

ثم اقتحموا المسجد الاعظم وكان كثيرا لا يفارقه قوم يصلون فيه فقتل عقيل بن مصعب الوادعي وعديّ بن عمرو الثقفي وأباليث بن أبي سليم مولى عنبسة بن أبي سفيان وقتلوا أزهر بن عبد الله العامري ومرّوا بدار حوشب وهو على الشُرَط فوقفوا على بابه وقالوا ان الامير يدعو حوشبا فأخرج ميمونٌ غلامه برذونَ حوشب ليركبه حوشب فكأنه أنكرهم فظنوا انه قد اتهمهم فأراد أن يدخل فقالوا له كما أنت حتى يخرج صاحبك فسمع حوشب الكلام فأنكر القوم فخرج اليهم فلما رأى جماعتهم أنكرهم وذهب لينصرف فعجّلوا نحوه ودخل وأغلق الباب وقتلوا غلامه ميمونا وأخذوا برذونه ومضوا حتى مروا بالجحّاف بن نبيط الشيباني من رهط حوشب فقال له سويد انزلْ الينا فقال له ما تصنع بنزولي قال له سويد أقضيك ثمن البكرة التي كنتُ ابتعتُ منك بالبادية فقال له الجحّاف بئس ساعة القضاء هذه الساعة وبئس قضاء الدين هذا المكان أماذكرت أمانتك الا والليل مظلم وأنت على ظهر فرسك قبح الله ياسويد دينا لا يصلح ولا يتم الا بقتل ذوي القرابة وسفك دماء هذه الامة قال ثم مضوا فمروا بمسجد بني ذُهْل فلقوا ذهل بن الحارث وكان يصلي في مسجد قومه فيطيل الصلاة فصادفوه منصرفا الى منزله فشدوا عليه ليقتلوه فقال اللهم انى أشكو اليك هؤلاء وظلمهم وجهلهم اللهم انى عنهم ضعيف فانتصرْ لى منهم فضربوه حتى قتلوه ثم مضوا حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة ﴿قال هشام﴾ قال أبو بكر بن عياش واستقبله النضر بن قعقاع بن شَوْر الذهلي وأمه ناجية بنت هانئ بن قبيصة بن هانئ الشيباني فأبْطرهُ حين نظر اليه قال يعني بقوله أبطره أفزعه فقال السلام عليك أيها الامير ورحمة الله قال له سويد مبادرا أمير المؤمنين ويلك فقال أمير المؤمنين حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة وأمر الحجاج المنادى فنادى ياخيل الله اركبي وابشري وهو فوق باب القصر وثم مصباح مع غلام له قائم فكان أول من جاء اليه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى الغصة ومعه مواليه وناس من أهله فقال أنا عثمان بن قطن أعلموا الامير مكاني فليأمر بأمره فقال له ذلك الغلام قف مكانك حتى يأتيك أمر الامير وجاء الناس من كل جانب وبات عثمان فيمن اجتمع اليه من الناس حتى أصبح ثم ان الحجاج بعث بشر بن غالب الاسدي من بني والبة في ألفي رجل وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفي رجل وأبا الضريس مولى بني تميم في ألف من الموالي

وأعين صاحب حمام أعين مولى بشر بن مروان فى ألف رجل وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان وكتب له عليها عهده وكتب الى الحجاج أما بعد فاذا قدم عليك محمد بن موسى فجهز معه ألفى رجل الى سجستان وعجل سراحه وأمر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجاج فلما قدم محمد بن موسى جعل يتحبس فى الجهاز فقال له نصحاؤه تعجل أيها الامير الى عملك فانك لا تدرى ما يكون من أمر الحجاج وما يبدو له فأقام على حاله وحدث من أمر شبيب ما حدث فقال الحجاج لمحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله تلقى شبيبا وهذه الخارجة فتجاهدهم ثم تمضى الى عملك وبعث الحجاج مع هؤلاء الامراء أيضا عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشى وزياد بن عمرو العتكى وخرج شبيب حيث خرج من الكوفة فأتى المردمة وبها رجل من حضرموت على العشور يقال له ناجية بن مرثد الحضرمى فدخل الحمام ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه واستقبل شبيب النضر بن القعقاع بن شور وكان مع الحجاج حين أقبل من البصرة فلما طوى الحجاج المنازل خلفه وراءه فلما رآه شبيب ومعه أصحابه عرفه فقال له شبيب يا نضر بن القعقاع لا حكم الا لله وانما أراد شبيب بمقالته له تلقينه فلم يفهم النضر فقال انا لله وانا اليه راجعون فقال أصحاب شبيب يا أمير المؤمنين كانك انما تريد بمقالتك أن تلقنه فشدوا على نضر فقتلوه قال واجتمعت تلك الامراء فى أسفل الفرات فترك شبيب الوجه الذى فيه جماعة أولئك القواد وأخذ نحو القادسية ووجه الحجاج زحر بن قيس فى جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس وقال له اتبع شبيبا حتى تواقعه حيثما أدركته الا أن يكون منطلقا ذاهبا فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك فلا تبرح ان هو أقام حتى تواقعه فخرج زحر حتى انتهى الى السيلحين وبلغ شبيبا مسيره اليه فأقبل نحوه فالتقيا فجعل زحر على ميمنته عبد الله بن كناز النهدى وكان شجاعا وعلى ميسرته عدى بن عدى بن عميرة الكندى ثم الشيبانى وجمع شبيب خيله كلها كبكبة واحدة ثم اعترض بها الصف فوجف وجيفا واضطرب حتى انتهى الى زحر بن قيس فنزل زحر بن قيس فقاتل زحر حتى صرع وانهزم أصحابه وظن القوم انهم قد قتلوه فلما كان فى السحر وأصابه البرد قام يتمشى حتى دخل قرية فبات بها وحمل منها الى الكوفة وبوجهه ورأسه بضعة عشر جراحة من بين ضربة وطعنة فمكث أياما ثم أتى الحجاج وعلى وجهه وجراحه القطن فأجلسه الحجاج معه على السرير وقال لمن حوله من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة يمشى بين الناس وهو شهيد فلينظر الى هذا وقال أصحاب شبيب لشبيب وهم يظنون انهم قد قتلوا زحرا قد هزمنا لهم جندا وقتلنا لهم أميرا من أمرائهم عظيما انصرف بنا الآن وافرين فقال لهم ان قتلنا هذا الرجل وهزيمتنا هذا الجند قد أرعبت هذه الامراء والجنود التى بعثت فى طلبكم فاقصدوا بنا قصدهم فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحجاج

من شيء وأخذ الكوفة ان شاء الله فقالوا نحن لرأيك سمع تبع ونحن طوع يديك قال فانقض بهم جوادا حتى يأتي نجران وهي نجران الكوفة ناحية عين التمر ثم سأل عن جماعة القوم فخُبّر باجتماعهم برُوذبار في أسفل الفرات في بهُقُباذ الاسفل على رأس أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة فبلغ الحجاج مسيره اليهم فبعث اليهم عبد الرحمن بن الغرق مولى ابن أبي عقيل وكان على الحجاج كريما فقال له الحق بجماعتهم يعني جماعة الامراء فأعلمهم بمسير المارقة اليهم وقل لهم ان جمعكم قتال فأمير الناس زائدة بن قدامة فأتاهم ابن الغرق فأعلمهم ذلك وانصرف عنهم ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثني عبد الرحمن بن جُنْدب قال انتهى الينا شبيب وفينا سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة وقد عبّى كل أمير أصحابه على حدة ففي ميمنتنا زياد بن عمرو العتكي وفي ميسرتنا بشر بن غالب الاسدي وكل أمير واقف في أصحابه فأقبل شبيب حتى وقف على تل فأشرف على الناس وهو على فرس له كُميت أغرّ فنظر الى تعبيتهم ثم رجع الى أصحابه فأقبل في ثلاث كتائب يوجفون حتى اذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سُليم فتقف في ميمنتنا ومضت كتيبة فيها مصاد أخو شبيب فوقفت على ميسرتنا وجاء شبيب في كتيبة حتى وقف مقابل القلب قال وخرج زائدة بن قدامة يسير في الناس فيما بين ميمنتهم الى ميسرتهم يحرّض الناس ويقول يا عباد الله أنتم الكثيرون الطيّبون وقد نزل بكم القليلون الخبيثون فاصبروا جُعلت لكم الفداء كرّتين أو ثلاث تكرون عليهم ثم هو النصر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء ألا ترون اليهم والله ما يكونون مائتي رجل انما هم أكلة رأس انما هم السرّاق المرّاق انما جاؤكم ليهريقوا دماءكم ويأخذوا فيأكم فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه وهم قليل وأنتم كثير وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة غضّوا الابصار واستقبلوهم بالاسنة ولا تحملوا عليهم حتى آمركم ثم انصرف الى موقفه قال ويحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو فانكشف صفهم وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ثم كرّ عليهم ثانية ثم اطّعنوا ساعة ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثني فروة بن لقيط قال أنا والله فيهم يومئذ قال اطّعنا ساعة وصبروا لنا حتى ظننت انهم لن يزولوا وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا وجعل ينادي يا خيلي ويشد بالسيف فيقاتل قتالا شديدا فلقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وانه لاشجع العرب وأشده قتالا وما يعرض له قال ثم انا ارتفعنا عنهم آخرا فاذاهم يتقوّضون فقال له أصحابه ألا تراهم يتقوّضون احمل عليهم فقال لهم شبيب خلوهم حتى يخفّوا فتركوهم قليلا ثم حمل عليهم الثالثة فانهزموا فنظرت الى زياد بن عمرو وانه ليضرب بالسيف وما من سيف يُضرَب به الانبا عنه وهو مجفّف ولقد رأيته اعتوره أكثر من عشرين سيفا فما ضرّه من ذلك شيء ثم انه انهزم وقد جُرح جراحة يسيرة وذلك عند المساء قال ثم شددنا على عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فهزمناه وما قاتلنا كثير

قتال وقد ضارب ساعة وقد بلغني انه كان جُرح ثم لحق بزياد بن عمرو فمضيا منهزمين حتى انتهينا الى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب فقاتلنا قتالا شديدا وصبرلنا ﴿ذكر هشام﴾ عن أبي مخنف قال حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ان أخا شبيب مصادا احمل على بشر بن غالب وهو في الميسرة فأبلى وكرم والله وصبر فنزل ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين فضاربوا بأسيافهم حتى قتلوا عن آخرهم وكان فيهم عروة بن زهير ابن ناجذ الأزدى وأمه زرارة امرأة ولدت في الأزد فيقال لهم بنو زرارة فلما قتلوه وانهزم أصحابه مالوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه حتى انتهى الى موقف أعين ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعا فهزموهما حتى انتهوا بهما الى زائدة ابن قدامة فلما انتهوا اليه نزل ونادى يا أهل الاسلام الأرض الارض الى الى لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على ايمانكم فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر ثم ان شبيبا شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربضة حوله من أهل الحفاظ ﴿قال أبو مخنف﴾ وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال سمعت زائدة بن قدامة ليلتئذ رافعا صوته يقول يا أيها الناس اصبروا وصابروا يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلا غير مدبر حتى قتل ﴿قال أبو مخنف﴾ وحدثني فروة بن لقيط ان أبا الصقر الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة وقد حاجّه في ذلك آخر يقال له الفضل بن عامر قال ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقا عظيما وقال شبيب لأصحابه ارفعوا السيف عن الناس وادعوهم الى البيعة فدعوهم الى البيعة عند الفجر * قال عبد الرحمن بن جندب فكنت فيمن قدم اليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيله واقفة دونه فكل من جاء ليبايعه نزع سيفه عن عاتقه وأخذ سلاحه منه ثم يدنى من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ثم يخلى سبيله قال وأنا كذلك اذ انفجر الفجر ومحمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر معه عصابة من أصحابه قد صبروا فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذن فلما سمع شبيب الأذان قال ما هذا فقال هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح فقال قد ظننت ان حمقه وخيلاءه سيحمله على هذا نحّوا هؤلاء عنا وانزلوا بنا فلنصل قال فنزل فأذن هو ثم استقدم فصلى بأصحابه فقرأ ويل لكل همزة لمزة وأرأيت الذى يكذب بالدين ثم سلم ثم ركبوا فحمل عليهم فانكشفت طائفة من أصحابه وثبتت طائفة قال فروة فما أنسى قوله وقد غشيناه وهو يقاتل بسيفه وهو يقول الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين قال وضارب حتى قتل قال فسمعت أصحابي يقولون ان شبيبا هو الذى قتله ثم انا نزلنا فأخذنا ما كان في العسكر من شيء وهرب الذين كانوا بايعوا شبيبا فلم

يبق منهم أحد وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي مخنف أمراً غير الذى
ذكرته عنه والذى ذكر من ذلك ان عبد الملك بن مروان كان ولى محمد بن موسى بن طلحة
سجستان فكتب اليه الحجاج انك عامل كل بلد مررت به وهذا شبيب فى طريقك فعدل
اليه محمد فأرسل اليه شبيب انك امرؤ مخدوع قد اتقى بك الحجاج وأنت جار لك حق
فانطلق لما أمرت به ولك الله لا آذيتك فأبى الا محاربته فواقفه شبيب وأعاد اليه الرسول
فأبى الا قتاله فدعا الى البراز فبرز اليه البطين ثم قعنب ثم سويد فأبى الا شبيبا فقالوا لشبيب
قد رغب عنا اليك قال فما ظنكم بهذه الاشراف فبرز اليه شبيب وقال انى انشدك الله فى
دمك فان لك جوارا فأبى الا قتاله فحمل عليه شبيب فضربه بعصا حديد فيها اثنا عشر رطلا
بالشامى فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ثم كفنه ودفنه وابتاع ما غنموا من عسكره
فبعث به الى أهله واعتذر الى أصحابه وقال هو جارى بالكوفة ولى أن أهب ما غنمت لاهل
الردة * قال عمر بن شبة قال أبو عبيدة كان محمد بن موسى مع عمر بن عبيد الله بن معمر
بفارس وشهد معه قتال أبى فديك وكان على ميمنته وشهر بالنجدة وشدة البأس وزوجه
عمر بن عبيد الله بن معمر ابنته أم عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان فولاه
سجستان فمر بالكوفة وبها الحجاج بن يوسف فقيل للحجاج ان صار هذا الى سجستان مع
نجدته وصهره لعبد الملك فلجأ اليه أحد ممن تطلب منعك منه قال فما الحيلة قيل تأتيه
وتسلم عليه وتذكر نجدته وبأسه وأن شبيبا فى طريقه وانه قد أعياك وأنك ترجو أن يريح
الله منه على يده فيكون له ذكر ذلك وشهرته ففعل فعدل اليه محمد بن موسى بن طلحة
ابن عبيد الله فواقعه شبيب فقال له شبيب انى قد علمت خداع الحجاج وانما اغترّك ووقى
بك نفسه وكانى بأصحابك لو قد التقت حلقتا البطان قد أسلموك فصرعت مصرع أصحابك
فأطعنى وانطلق لشأنك فانى أنفس بك عن الموت فأبى محمد بن موسى فبارزه شبيب فقتله
﴿رجع الحديث الى حديث أبى مخنف﴾ قال عبد الرحمن لقد كان فيمن بايعه تلك الليلة
أبو بُرْدَة بن أبى موسى الاشعرى فلما بايعه قال له شبيب ألست أبا بردة قال بلى قال شبيب
لاصحابه يا أخلاَّئى أبو هذا أحدُ الحَكَمَيْن فقالوا ألا نقتل هذا فقال ان هذا لا ذنب له فيما
صنع أبوه قالوا أجل قال وأصبح شبيب فأتى مقبلا نحو القصر الذى فيه أبو الضريس
وأعين فرموه بالنبل وتحصنا منه فأقام ذلك اليوم عليهم ثم شخص عنهم فقال له أصحابه
مادون الكوفة أحد يمنعنا فنظر فاذا أصحابه قد خرجوا فقال لهم ما عليكم أكثر مما قد
فعلتم فخرج بهم على نفَّر ثم على الصراة ثم على بغداذ ثم خرج الى خانيجار فأقام بها قال ولما
بلغ الحجاج أن شبيبا قد أخذ نحو نفَّر ظن انه يريد المدائن وهى باب الكوفة ومن أخذ
المدائن كان ما فى يده من أرض الكوفة أكثر فهال ذلك الحجاج وبعث الى عثمان بن قطن

ودعاه وسرّحه الى المدائن و ولاه منبرها والصلاة ومعونة جوخى كلها وخراج الاستان فخرج مسرعا حتى نزل المدائن وعزل الحجاج عبد الله بن أبي عصيفير وكان بها الجزل مقيما أشهرا يداوى جراحته وكان ابن أبي عصيفير يعوده ويكرمه فلما قدم عثمان بن قطن المدائن لم يعُده ولم يكن يتعاهده ولا يُلطفه بشئ فقال الجزل اللهم زد ابن عصيفير جودا وكرما وفضلا و زد عثمان بن قطن ضيقا وبخلا قال ثم ان الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فقال له انتخب الناس واخرجْ في طلب هذا العدوّ فأمره بنخبة ستة آلاف فانتخب فرسان الناس و وجوههم وأخرج من قومه ستمائة من كندة وحضرموت واستحثه الحجاج بالعسكر فعسكر بدير عبد الرحمن فلما أراد الحجاج اشخاصهم كتب اليهم أما بعد فقد اعتدتم عادةَ الأذلاء ووليتم الدبر يوم الزحف وذلك دأب الكافرين وإني قد صفحت عنكم مرّة بعد مرّة ومرة بعد مرة وإني أقسم لكم بالله قسما صادقا لئن عدتم لذلك لأوقعنّ بكم إيقاعا أكون أشدّ عليكم من هذا العدوّ الذى تهربون منه في بطون الأودية والشعاب وتستترون منه بأثناء الانهار وألواذ الجبال فخاف من له معقول على نفسه ولم يجعل عليها سبيلا وقد أعذر من أنذر وقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا * ولكن لا حياة لمن تنادى والسلام عليكم قال ثم سرّح ابنَ الأصم مؤذّنه فأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند طلوع الشمس فقال له ارتحل الساعة وناد في الناس أن برئت الذمة عن رجل من هذا البعث وجدناه متخلفا فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مر بالمدائن فنزل بها يوما وليلة وتشرى أصحابه حوائجهم ثم نادى في الناس بالرحيل فارتحلوا ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته وساءله ساعة وحدثه ثم ان الجزل قال له يا ابن عمّ انك تسير الى فرسان العرب وأبناء الحرب وأحلاس الخيل والله لكأنما خُلقوا من ضلوعها ثم بنوا على ظهورها ثم هم أسد الأجم الفارسُ منهم أشدّ من مائة ان لم تبدأ به بدأ وإن هُجهج أقدم فإني قد قاتلتهم و بلوتهم فإذا أصحرتُ لهم انتصفوا منّي وكان لهم الفضل عليّ واذا خندقت عليّ وقاتلتهم في مضيق نلت منهم بعض ما أحبّ وكان لي عليهم الظفر فلا تلقهم وأنت تستطيع الا في تعبية أو في خندق ثم انه ودّعه فقال له الجزل هذه فرسى الفسيفساء خذها فإنها لاتجارَى فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب فلمّا دنا منه ارتفع عنه شبيب الى دَقوقاء وشهر زور فخرج عبد الرحمن في طلبه حتى اذا كان على التخوم أقام وقال انما هو في أرض الموصل فليقاتلوا عن بلادهم أوليدعوه فكتب اليه الحجاج بن يوسف أما بعد فاطلب شبيبا واسلكْ في أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه فإنما السلطانُ سلطانُ أمير المؤمنين والجند جنده والسلام فخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجاج في طلب شبيب فكان شبيب يدعه حتى اذا دنا منه بيّته فيجده قد خندق على نفسه وحذر

فيمضى ويدعه فيتبعه عبد الرحمن فإذا بلغه انه قد تحمل وأنه يسير أقبل في الخيل فاذا انتهى اليه وجده قد صف الخيل والرجال وأدنى المرامية فلا يصيب له غرة ولا له علة فيمضى ويدعه قال ولما رأى شبيب أنه لا يصيب لعبد الرحمن غرة ولا يصل اليه جعل يخرج اذا دنا منه عبد الرحمن فى خيله فينزل على مسيرة عشرين فرسخا ثم يقيم فى أرض غليظة جدبة فيجئ عبد الرحمن فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فسار خمسة عشر أو عشرين فرسخا فنزل منزلا غليظا خشنا ثم يقيم حتى يدنو عبد الرحمن (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الرحمن بن جندب ان شبيبا كان قد عذب ذلك العسكر وشق عليهم وأحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء فلم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مر به على خانقين ثم على جلولاء ثم على تامرا ثم أقبل حتى نزل البت قرية من قرى الموصل على تخوم الموصل ليس بينها وبين سواد الكوفة الا نهر يسمى حولايا قال وجاء عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث حتى نزل فى نهر حولايا وفى راذان الأعلى من أرض جوخى ونزل عواقيل من النهر ونزلها عبد الرحمن حيث نزلها وهى تعجبه يرى انها مثل الخندق والحصن قال وأرسل شبيب الى عبد الرحمن ان هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم فإن رأيتم أن توادعونا حتى تمضى هذه الأيام فافعلوا فقال له عبد الرحمن نعم ولم يكن شيء أحب الى عبد الرحمن من المطاولة والموادعة قال وكتب عثمان بن قطن الى الحجاج أما بعد فإنى أخبر الأمير أصلحه الله ان عبد الرحمن بن محمد قد حفر جوخى كلها خندقا واحدا وخلى شبيبا وكسر خراجها وهو يأكل أهلها والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد فقد فهمت ما ذكرت لى عن عبد الرحمن وقد لعمرى فعل ما ذكرت فسر الى الناس فأنت أميرهم وعاجل المارقة حتى تلقاهم فإن الله ان شاء الله ناصرك عليهم والسلام * قال وبعث الحجاج الى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة وخرج عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم معسكرون على نهر حولايا قريبا من البت عشية الثلاثاء وذلك يوم التروية فنادى الناس وهو على بغلة أيها الناس أخرجوا الى عدوكم فوثب اليه الناس فقالوا ننشدك الله هذا المساء قد غشينا والناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبية فجعل يقول لأناجزنهم ولتكونن الفرصة لى أولهم فأتاهم عبد الرحمن فأخذ بعنان دابته وناشده الله لما نزل وقال له عقيل بن شداد السلولى ان الذى تريد من مناجزتهم الساعة أنت فاعله غدا وهو غدا خير لك وللناس ان هذه ساعة ريح وغبرة وقد أمسيت فانزل ثم أبكر بنا اليهم غدوة فنزل فسفت عليه الريح وشق عليه الغبار ودعا صاحب الخراج العلوج فبنوا له قبة فبات فيها ثم أصبح يوم الأربعاء فجاء أهل البت الى شبيب وكان قد نزل بيعتهم فقالوا له أصلحك الله أنت ترحم الضعفاء وأهل الجزية ويكلمك من تلى عليه ويشكون اليك ما نزل بهم فتنظر لهم وتكف عنهم وان هؤلاء

القومَ جبابرة لا يكلمون ولا يقبلون العذر والله لئن بلغهم انك مقيم في بيعتنا ليقتلنا ان قضى لك ان ترتحل عنا فإن رأيت فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالا قال فإني أفعل ذلك بكم ثم خرج فنزل جانب القرية قال فبات عثمان ليلته كلها يحرّضهم فلما أصبح وذلك يوم الاربعاء خرج بالناس فاستقبلتهم ريحٌ شديدة وغبرة فصاح الناس اليه فقالوا ننشدك الله أن تخرج بنا في هذا اليوم فإن الريح علينا فأقام بهم ذلك اليوم وأراد شبيب قتالهم وخرج أصحابه فلما رآهم لم يخرجوا اليه أقام فلما كان ليلة الخميس خرج عثمان فعبّى الناس على أرباعهم فجعل كلَّ ربع في جانب العسكر وقال لهم اخرجوا على هذه التعبئة وسألهم مَن كان على ميمنتكم قالوا خالد بن نَهيك بن قيس الكندي وكان على ميسرتنا عقيل بن شدّاد السلولي فدعاهما فقال لهما قفا مواقفكما التي كنتما بها فقد وليتكما المجنبتين فأثبتا ولا تفرّا فوالله لا أزول حتى يزول نخل رَاذانَ عن أصوله فقالا ونحن والله الذي لا اله الا هو لا نفرّ حتى نظفر أو نُقتل فقال لهما جزاكما الله خيرا ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة ثم خرج فجعل ربع أهل المدينة تميم وهمدان نحو نهر حولايا في الميسرة وجعل ربع كندة وربيعة ومذحج وأسد في الميمنة ونزل يمشي في الرجال وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلا فقطع اليهم النهر فكان هو في ميمنة أصحابه وجعل على ميسرته سُويد بن سليم وجعل في القلب مصاد بن يزيد أخاه وزحفوا وسما بعضهم لبعض (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح العبسي ان عثمان كان يقول فيكثر لن يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِنَ المَوتِ أوِ القَتْلِ وَإذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قليلاً أين المحافظون على دينهم المحامون عن فيئهم فقال عقيل بن شدّاد بن حُبْشي السلولي لعلي أن أكون أحدهم قُتل أُولئك يوم رُوذْبار ثم قال شبيب لأصحابه اني حامل على ميسرتهم مما يلي النهر فإذا هزمتها فليحمل صاحب ميسرتي على ميمنتهم ولا يبرح صاحبُ القلب حتى يأتيه أمري وحمل في ميمنة أصحابه مما يلي النهر على ميسرة عثمان بن قطن فانهزموا ونزل عقيل بن شدّاد فقاتل حتى قُتل وقُتل يومئذ مالك بن عبد الله الهمداني ثم المُرْهِبي عمّ عياش بن عبد الله بن عياش المنتوف وجعل يومئذ عقيل بن شدّاد يقول وهو يجالدهم

لأضربَنَّ بالحسام الباتر * ضربَ غلامٍ من سلولَ صابر

ودخل شبيب عسكرهم وحمل سويد بن سليم في ميسرة شبيب على ميمنة عثمان بن قطن فهزمها وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي فنزل خالد فقاتل قتالا شديدا وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على ربع كندة وربيعة يومئذ وهو صاحب الميمنة فلم يَنْثنِ شبيب حتى علاه بالسيف فقتله ومضى عثمان بن قطن وقد نزلت معه العرفاء وأشراف الناس والفرسان نحو القلب وفيه أخو شبيب في نحو من ستين راجلا فلما دنا منهم عثمان بن قطن شدّ عليهم

في الأشراف وأهل الصبر فضاربوهم حتى فرّقوا بينهم وحمل شبيب بالخيل من ورائهم فما شعروا إلا والرماح في أكتافهم تكبّهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا في خيله ورجع مصاد وأصحابه وقد كان شبيب رجّلهم فاضطربوا ساعة وقاتل عثمان بن قطن فأحسن القتال ثم انهم شدّوا عليهم فأحاطوا به وحمل عليه مصاد أخو شبيب فضربه ضربة بالسيف استدار لها ثم قال وكان أمرُ الله مَفعولاً ثم ان الناس قتلوه وقُتل يومئذ الأَبْرَد ابن ربيعة الكندى وكان على تلّ فألقى سلاحه الى غلامه وأعطاه فرسه وقاتل حتى قتل ووقع عبد الرحمن فرآه ابن أبى سَبرة الجُعفيّ وهو على بغلة فعرفه فنزل اليه فناوله الرمح وقال له اركبْ فقال عبد الرحمن بن محمد أيّنا الرديف قال ابن أبى سبرة سبحان الله أنت الأمير تكون المقدّم فركب وقال لابن أبى سبرة ناد في الناس الحقوا بدير أبى مريم فنادى ثم انطلقا ذاهبين ورأى واصل بن الحارث السكونىّ فرس عبد الرحمن الذى حمله عليه الجزلُ يجول فى العسكر فأخذها بعض أصحاب شبيب فظن انه قد هلك فطلبه فى القتلى فلم يجده وسأل عنه فقيل له قد رأينا رجلا قد نزل عن دابّته فحمله عليها فأخلقه أن يكون اياه وقد أخذ ههنا آنفا فاتبعه واصلُ بن الحارث على برذونه ومع واصل غلامه على بغل فلما دنوا منهما قال محمد ابن أبى سبرة لعبد الرحمن قد والله لحق بنا فارسان فقال عبد الرحمن فهلْ غيرُ اثنين فقال لا فقال عبد الرحمن فلا يعجز اثنان عن اثنين قال وجعل يحدّث ابن أبى سبرة كأنه لا يكترث بهما حتى لحقهما الرجلان فقال له ابن أبى سبرة رحمك الله قد لحقنا الرجلان فقال له فانزلْ بنا فنزلا فانتضيا سيفيهما ثم مضيا اليهما * فلما رآهما واصل عرفهما فقال لهما إنكما قد تركتما النزول في موضعه فلا تنزلا الآن ثم حسر العمامة عن وجهه فعرفاه فرحّبا به وقال لابن الأشعث انى لمّا رأيت فرسك يجول فى العسكر ظننتك راجلا فأتيتك ببرذونى هذا لتركبه فترك لابن أبى سبرة بغلته وركب البرذون وانطلق عبد الرحمن بن الأشعث حتى نزل دير اليعار وأمر شبيب أصحابه فرفعوا عن الناس السيف ودعاهم الى البيعة فأتاه من بقى من الرجّالة فبايعوه وقال له أبو الصقر المحلّمى قتلت من الكوفيين سبعةً في جوف النهر كان آخرهم رجلا تعلق بثوبى وصاح ورهّبنى حتى رهبته ثم انى أقدمت عليه فقتلته وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من سائر الناس أو ستمائة وقتل عظم العرفاء يومئذ (قال أبو مخنف) حدثنى قدامة بن حازم بن سفيان الخثعمىّ انه قتل منهم يومئذ جماعة وبات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بدير اليعار فأتاه فارسان فصعدا اليه فوق البيت وقام آخر قريبا منهما فخلا أحدهما بعبد الرحمن طويلا يناجيه ثم نزل هو وأصحابه وقد كان الناس يتحدّثون ان ذلك كان شبيبا وانه قد كان كاتبه ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دير أبى مريم فإذا هو بأصحاب الخيل قد وضع لهم محمدُ بن عبد الرحمن بن أبى سبرة صُبَرَ الشعير والقتّ

بعضه على بعض كأنه القصور ونحر لهم من الجزر ما شاؤا فأكلوا يومئذ وعلفوا دوابهم واجتمع الناس الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له ان سمع شبيب بمكانك أتاك وكنت له غنيمة قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم فالحق أيها الرجل بالكوفة فخرج الى الكوفة و رجع الناس أيضا وجاء فاختبى من الحجاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك ﴿وفي هذه السنة﴾ أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدراهم ﴿ذكر الواقدى﴾ ان سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك. قال وحدثنى ابن أبى الزناد عن أبيه ان عبد الملك ضرب الدراهم والدنانير عامئذ وهو أول من أحدث ضربها قال وحدثنى خالد بن أبى ربيعة عن أبى هلال عن أبيه قال كانت مثاقيل الجاهلية التى ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين قيراطا الا حبة وكان العشرة وزن سبعة قال وحدثنى عبد الرحمن بن جرير الليثى عن هلال بن أسامة قال سألت سعيد بن المسيب فى كم تجب الزكاة من الدنانير قال في كل عشرين مثقالا بالشأمى نصف مثقال قلت ما بال الشأمى من المصرى قال هو الذى تضرب عليه الدنانير وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب الدنانير كانت اثنين وعشرين قيراطا الا حبة قال سعيد قد عرفته قد أرسلت بدنانير الى دمشق فضربت على ذلك ﴿وفى هذه السنة﴾ وفد يحيى بن الحكم على عبد الملك بن مروان وولى أبان بن عثمان المدينة فى رجب ﴿وفيها﴾ استقضى أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خداش من بنى عامر بن لوى ﴿وفيها﴾ ولد مروان بن محمد بن مروان ﴿وأقام الحج﴾ للناس فى هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق ابن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة زرارة بن أوفى

## ﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين﴾

﴿ففى هذه السنة﴾ قتل شبيب عتاب بن ورقاء الرياحى وزهرة بن حوية

### ﴿ذكر الخبر عن سبب مقتلهما﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام عن أبى مخنف عن عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ان شبيبا لما هزم الجيش الذى كان الحجاج وجهه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث اليه وقتل عثمان بن قطن وذلك فى صيف وحر شديد اشتد الحر عليه وعلى أصحابه فأتى ماه بهراذان فتصيف بها ثلاثة أشهر وأتاه ناس كثير ممن يطلب الدنيا فلحقوا به وناس ممن كان الحجاج يطلبهم بمال أو تباعات كان منهم رجل من الحى يقال له الحر بن عبد الله بن عوف وكان دهقانان من أهل نهر درقيط قد أساآ اليه وضيقا عليه فشد عليهما فقتلهما

ثم لحق بشبيب فكان معه بماه وشهد معه مواطنه حتى قُتل فلما آمن الحجاج كلّ من كان خرج الى شبيب من أصحاب المال والتباعات وذلك بعد يوم السبخة خرج اليه الحرّ فيمن خرج فجاء أهل الدهقانين يستعدُون عليه الحجاج فأتى به فدخل وقد أوصى ويئس من نفسه فقال له الحجاج ياعدوّ الله قتلت رجلين من أهل الخراج فقال له قد كان أصلحك الله ماهو أعظم من هذا فقال وماهو قال خروجى من الطاعة وفراق الجماعة ثم آمنتَ كل من خرج اليك فهذا أمانى وكتابك لى فقال له الحجاج أولى لك قد لعمرى فعلتُ وخلى سبيله قال ولما انفسخ الحرّ عن شبيب خرج من ماه فى نحو من ثمانمائة رجل فأقبل نحو المدائن وعليها مُطرّف بن المغيرة بن شعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب ماذرواسب عظيم بابل مهروذ الى الحجاج أما بعد فإنى أخبر الأمير أصلحه الله ان شبيبا قد أقبل حتى نزل قناطر حُذيفة ولا أدرى أين يريد * فلما قرأ الحجاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس والله لتقاتلنّ عن بلادكم وعن فيئكم أو لأبعثنّ الى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغيظ منكم فيقاتلون عدوّكم ويأكلون فيأكم فقام اليه الناس من كل جانب فقالوا نحن نقاتلهم ونعتب الأمير فلينتدبنا الأمير اليهم فانا حيث سرّه وقام اليه زهرة بن حوّية وهو شيخ كبير لا يستتمّ قائما حتى يُؤخذ بيده فقال له أصلح الله الأمير انك انما تبعث اليهم الناس متقطّعين فاستنفر الناس اليهم كافة فلينفر اليهم كافة وابعث عليهم رجلا ثبتا شجاعا مجرّبا للحرب ممن يرى الفرار هضما وعارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج فأنت ذاك فاخرج فقال أصلح الله الأمير انما يصلح للناس فى هذا رجل يحمل الرمح والدرع ويهزّ السيف ويثبت على متن الفرس وأنا لا أطيق من هذا شيأ وقد ضعف بصرى وضعفت ولكن أخرجنى في الناس مع الأمير فإنى انما أثبت على الراحلة فأكون مع الأمير فى عسكره وأشير عليه برأيى فقال له الحجاج جزاك الله عن الإسلام وأهله فى أوّل الإسلام خيرا وجزاك الله عن الإسلام فى آخر الإسلام خيرا فقد نصحت وصدقت أنا مُخرج الناس كافة ألا فسيروا أيها الناس فانصرف الناس فجعلوا يسيرون وليس يدرون مَن أميرهم وكتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان أما بعد فإنى أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله ان شبيبا قد شارف المدائن وإنما يريد الكوفة وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة فى كلها يَقتُل أمراءهم ويفلّ جنودهم فان رأى أمير المؤمنين أن يبعث الى أهل الشأم فيقاتلوا عدوّهم ويأكلوا بلادهم فليفعل والسلام فلما أتى عبد الملك كتابُه بعث اليه سفيان بن الأبرد في أربعة آلاف وبعث اليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمى من مذحج في ألفين فسرحهم حين أتاه الكتاب الى الحجاج وجعل أهل الكوفة يتجهزون الى شبيب ولا يدرون مَن أميرهم وهم يقولون يبعث

فلانا أو فلانا وقد بعث الحجاج الى عتاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خيل الكوفة مع المهلب وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان بشر بن مروان بعث عبد الرحمن بن مخنف عليهم الى قطرى فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف الا نحوا من شهرين حتى قدم الحجاج على العراق فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف بعد قدوم الحجاج الا رجب وشعبان وقتل قطرى عبد الرحمن في آخر رمضان فبعث الحجاج عتاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن بن مخنف وأمر الحجاج عتابا بطاعة المهلب فكان ذلك قد كبر على عتاب ووقع بينه وبين المهلب شر حتى كتب عتاب الى الحجاج يستعفيه من ذلك الجيش ويضمه اليه فلما ان جاءه كتاب الحجاج بإتيانه سر بذلك قال ودعا الحجاج اشراف أهل الكوفة فيهم زهرة بن حوية السعدى من بنى الأعرج وقبيصة بن والق التغلبى فقال لهم من ترون ان ابعث على هذا الجيش فقالوا رأيك أيها الأمير أفضل قال فانى قد بعثت الى عتاب بن ورقاء وهو قادم عليكم الليلة أو القابلة فيكون هو الذى يسير فى الناس قال زهرة بن حوية أصلح الله الأمير رميتهم بحجرهم لا والله لا يرجع اليك حتى يظفر أو يقتل وقال له قبيصة بن والق إنى مشير عليك برأيى فان يكن خطأ فبعد اجتهادى فى النصيحة لأمير المؤمنين وللأمير ولعامة المسلمين وان يك صوابا فالله سددنى له إنا قد تحدثنا وتحدث الناس ان جيشا قد فصل اليك من قبل الشأم وان أهل الكوفة قد هزموا وفلوا واستخفوا بالصبر وهان عليهم عار الفرار فقلوبهم كأنها ليست فيهم كأنما هى فى قوم آخرين فإن رأيت ان تبعث الى جيشك الذى أمددت به من أهل الشأم فيأخذوا حذرهم ولا يبيتوا الا وهم يرون أنهم مبيتون فعلت فإنك تحارب حولا قلبا ظعانا رحالا وقد جهزت اليه أهل الكوفة ولست واثقا بهم كل الثقة وإنما اخوانهم هؤلاء القوم الذين بعثوا اليك من الشأم إن شبيبا بينا هو في أرض اذ هو في أخرى ولا آمن ان يأتيهم وهم غارون فإن يهلكوا نهلك ويهلك العراق فقال لله أنت ما أحسن ما رأيت وما أحسن ما أشرت به على قال فبعث عبد الرحمن ابن الغرق مولى أبى عقيل الى من أقبل اليه من أهل الشأم فأتاهم وقد نزلوا هيت بكتاب من الحجاج أما بعد فإذا حاذيتم هيت فدعوا طريق الفرات والأنبار وخذوا على عين التمر حتى تقدموا الكوفة ان شاء الله وخذوا حذركم وعجلوا السير والسلام فأقبل القوم سراعا قال وقدم عتاب بن ورقاء فى الليلة التى قال الحجاج انه قادم عليكم فيها فأمره الحجاج فخرج بالناس فعسكر بهم بحمام أعين وأقبل شبيب حتى انتهى الى كلواذا فقطع منها دجلة ثم أقبل حتى نزل مدينة بهرسير الدنيا فصار بينه وبين مطرف بن المغيرة بن شعبة جسر دجلة فلما نزل شبيب مدينة بهرسير قطع مطرف الجسر وبعث الى شبيب أن ابعث الى رجالا من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن وأنظر فيما تدعوا اليه فبعث اليه شبيب رجالا من وجوه أصحابه فيهم

قعنب

قعنب وسويد والمحلل فلما أرادوا ان ينزلوا فى السفينة بعث اليهم شبيب ان لاتدخلوا السفينة حتى يرجع الى رسولى من عند مطرف فرجع الرسول و بعث الى مطرف أن ابعث الىّ من أصحابك بعدد أصحابى يكونوا رهنا فى يدى حتى تردّ علىّ أصحابى فقال مطرف لرسوله القه وقل له كيف آمنك انا على أصحابى اذا انا بعثتهم الآن اليك وأنت لاتأمننى على أصحابك فرجع الرسول الى شبيب فأبلغه فأرسل اليه شبيب انك قد علمت أنا لانستحل الغدر فى ديننا وأنتم تفعلونه وتستحلونه فبعث اليه مطرف الربيع بن يزيد الاسدى وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزنى ويزيد بن أبى زياد مولاه وصاحب حرسه فلما صاروا فى يدى شبيب سرح اليه أصحابه فأتوا مطرفا فمكثوا أربعة أيام يتراسلون ثم لم يتفقوا على شئ فلما تبين لشبيب ان مطرفا غير تابعه ولا داخل معه تهيأ للمسير الى عتاب بن ورقاء وإلى أهل الشأم (قال أبو مخنف) فحدثنى فروة بن لقيط ان شبيبا دعا رؤس أصحابه فقال لهم انه لم يثبطنى على رأى قد كنت رأيته الا هذا الثقفىّ منذ أربعة أيام قد كنت حدثت نفسى ان أخرج فى جريدة خيل حتى ألقى هذا الجيش المقبل من الشام رجاء ان أصادف غرتهم أو يحذروا فلا أبالى كنتُ ألقاهم منقطعين من المصر ليس عليهم أمير كالحجاج يستندون اليه ولا مصر كالكوفة يعتصمون به وقد جاءتنى عيونى اليوم فخبرونى ان أوائلهم قد دخلوا عين التمر فهم الآن قد شارفوا الكوفة وجاءتنى عيونى من نحو عتاب بن ورقاء فحدثونى انه قد نزل بجماعة أهل الكوفة الصراة فما أقرب ما بيننا وبينهم فتيسروا بنا للمسير الى عتاب بن ورقاء قال وخاف مطرف ان يبلغ خبره وما كان من ارساله الى شبيب الحجاج فخرج نحو الجبال وقد كان أراد ان يقيم حتى ينظر ما يكون بين شبيب وعتاب فأرسل اليه شبيب أما اذ لم تبايعنى فقد نبذت اليك على سواء فقال مطرف لأصحابه اخرجوا بنا وافرين فإن الحجاج سيقاتلنا فيقاتلنا وبنا قوةٌ أمثل فخرج ونزل المدائن فعقد شبيب الجسر وبعث الى المدائن أخاه مصادا وأقبل اليه عتاب حتى نزل بسوق حكمة وقد أخرج الحجاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم ومن نشط الى الخروج من شبابهم وكانت مقاتلتهم أربعين ألفا سوى الشباب ووافى مع عتاب يومئذ أربعون ألفا من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة فكانوا خمسين ألفا ولم يدع الحجاج قرشيا ولا رجلا من بيوتات العرب الا أخرجه (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الرحمن بن جندب قال سمعت الحجاج وهو على المنبر حين وجه عتابا الى شبيب فى الناس وهو يقول يا أهل الكوفة اخرجوا مع عتاب بن ورقاء بأجمعكم لا ارخص لاحد من الناس فى الإقامة الا رجلا قد وليناه من أعمالنا الا إن للصابر المجاهد الكرامة والأثرة الا وإن للناكل الهارب الهوان والجفوة والذى لا إله غيره لئن فعلتم فى هذا الموطن كفعلكم فى المواطن التى كانت لأولينكم كنفا خشنا ولأعركنكم بكلكل ثقيل ثم نزل وتوافى الناس

مع عتاب بسوق حكمة (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال عرضنا شبيب بالمدائن فكنا ألف رجل فقام فينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر المسلمين ان الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلا وأنقص منه قليلا فأنتم اليوم مئون ومئون الا اني مصلي الظهر ثم سائر بكم فصلى الظهر ثم نودى في الناس يا خيل الله اركبي وابشري فخرج في أصحابه فأخذوا يتخلفون ويتأخرون فلما جاوز ساباط ونزلنا معه قص علينا وذكرنا بأيام الله وزهدنا في الدنيا ورغبنا في الآخرة ساعة طويلة ثم أمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بنا العصر ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتاب بن ورقاء وأصحابه فلما ان رآهم من ساعته نزل وأمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بنا المغرب وكان مؤذنه سلام بن سيار الشيباني وكانت عيون عتاب ابن ورقاء قد جاؤه فأخبروه انه قد أقبل اليه فخرج بالناس كلهم فعباهم وكان قد خندق أول يوم نزل وكان يظهر كل يوم انه يريد ان يسير الى شبيب بالمدائن فبلغ ذلك شبيبا فقال أسير اليه أحب الي من ان يسير الي فأتاه فلما صف عتاب الناس بعث على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن أخي انك شريف فاصبر وصابر فقال أما أنا فوالله لا قاتلن ما ثبت معي انسان وقال لقبيصة بن والق وكان يومئذ على ثلث بني تغلب اكفني الميسرة فقال أنا شيخ كبير كثير مني ان أثبت تحت رايتي قد ابتّ مني القيام ما أستطيع القيام الا ان أقام ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن عليم التغلبيان وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب فقال ابعث أيهما أحببت فأيهما بعثت فلتبعثن ذا حزم وعزم وغناء فبعث نعيم بن عليم على ميسرته وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي وهو ابن عم عتاب شيخ أهل بيته على الرجالة وصفهم ثلاث صفوف صف فيهم الرجال معهم السيوف وصف وهم أصحاب الرماح وصف فيه المرامية ثم سار فيما بين الميمنة الى الميسرة يمر بأهل راية راية فيحثهم على تقوى الله ويأمرهم بالصبر ويقص عليهم (قال أبو مخنف) فحدثني حصيرة بن عبد الله ان تميم بن الحارث الازدي قال وقف علينا فقص علينا قصصا كثيرا كان مما حفظت منه ثلاث كلمات قال يا أهل الإسلام ان أعظم الناس نصيبا في الجنة الشهداء وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ألا ترون انه يقول اصبروا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ فمن حمد الله فعله فما أعظم درجته وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي ألا ترون ان عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه لا يرون الا ان ذلك لهم قربة عند الله فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار أين القصاص قال ذلك فلم يجبه والله أحد منا فلما رأى ذلك قال أين من يروى شعر عنترة قال فلا والله ما رد عليه انسان كلمة فقال إنا لله كأني بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسفي في استه الريح ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهم العدوي وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد

تخلف

تخلف عنه من الناس أربعمائة فقال لقد تخلف عنا من لا أحب ان يُرى فينا فبعث سويد ابن سليم في مائتين الى الميسرة و بعث المحلل بن وائل في مائتين الى القلب ومضى هو في مائتين الى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات قالوا رايات ربيعة فقال شبيب راياتٌ طال مانصرت الحقَّ وطال مانصرت الباطل لها في كلٍّ نصيبٌ والله لأجاهدنكم محتسبا للخير في جهادكم أنتم ربيعة وأنا شبيب أنا أبو المدله لا حكم الا للحكم اثبتوا ان شئتم ثم حمل عليهم وهو على مسناة امام الخندق ففضهم فثبت أصحاب رايات قبيصة بن والق وعبيد بن الحُلَيس ونعيم بن عليم فقتلوا وانهزمت الميسرة كلها وتنادى اناس من بني تغلب قتل قبيصة بن والق فقال شبيب قتلتم قبيصة بن والق التغلبي يامعشر المسلمين قال الله واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين هذا مثل ابن عمكم قبيصة بن والق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين ثم وقف عليه فقال ويحك لو ثبتَّ على اسلامك الأول سعدت ثم حمل من الميسرة على عتاب ابن ورقاء وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم وهمدان فأحسنوا القتال فمازالوا كذلك حتى أتوا فقيل لهم قتل عتاب بن ورقاء فانفضوا ولم يزل عتاب جالسا على طنفسة في القلب و زهرة بن حوية معه اذ غشيهم شبيب فقال له عتاب يازهرة بن حوية هذا يومٌ كثر فيه العدد وقل فيه الغناء وا لهفي على خمسمائة فارس من نحو رجال تميم معي من جميع الناس ألا صابر لعدوه ألا مؤاسٍ بنفسه فانفضوا عنه وتركوه فقال له زهرة أحسنت ياعتاب فعلت فعل مثلك والله والله لو منحتهم كتفك ما كان بقاؤك الا قليلا ابشر فإني أرجو ان يكون الله قد أهدى الينا الشهادة عند فناء أعمارنا فقال له جزاك الله خير ماجزى امرأ بمعروف وحاثا على تقوى فلما دنا منه شبيب وثب في عصابة صبرت معه قليلة وقد ذهب الناس يمينا وشمالا فقال له عمار بن يزيد الكلبي من بني المدينة أصلحك الله ان عبد الرحمن بن محمد قد هرب عنك فانصفق معه اناس كثير فقال له قد فرَّ قبل اليوم ومارأيت ذلك الفتى يبالي ماصنع ثم قاتلهم ساعة وهو يقول مارأيت كاليوم قط موطنا لم أبتل بمثله قط أقل مقاتلا ولا أكثر هاربا خاذلا فرآه رجل من بني تغلب من أصحاب شبيب من بني زيد بن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو وكان قد أصاب دما في قومه فلحق بشبيب وكان من الفرسان فقال لشبيب والله اني لأظنّ هذا المتكلم عتاب بن ورقاء فحمل عليه فطعنه فوقع فكان هو ولي قتله و وطئت الخيل زهرة بن حوية فأخذ يذب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع ان يقوم فجاءه الفضل بن عامر الشيبانيّ فقتله فانتهى اليه شبيب فوجده صريعا فعرفه فقال مَن قتل هذا فقال الفضل أنا قتلته فقال شبيب هذا زهرة ابن حوية أما والله لئن كنتَ قُتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك

وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين قد هزمتها وسرية لهم قد أغرتها وقرية من قراهم جم أهلها قد افتتحتها ثم كان في علم الله أن تقتل ناصر الظالمين (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال رأيناه والله توجع له فقال رجل من شبان بكر بن وائل والله ان أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجع لرجل من الكافرين قال انك لست بأعرف بضلالتهم مني ولكني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ما لو ثبتوا عليه كانوا اخوانا وقتل في المعركة عمار بن يزيد بن شبيب الكلبي وقتل أبو خيثمة بن عبد الله يومئذ واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس فقال ارفعوا عنهم السيف ودعا الى البيعة فبايعه الناس من ساعتهم وهربوا من تحت ليلتهم وأخذ شبيب يبايعهم ويقول الى ساعة يهربون وحوى شبيب على ما في العسكر وبعث الى أخيه فأتاه من المدائن فلما وافاه بالعسكر أقبل الى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قرة يومين ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة وقد دخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج فيمن معهما من أهل الشأم الكوفة فشدوا للحجاج ظهره فاستغنى بهما عن أهل الكوفة فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا أهل الكوفة فلا أعز الله من أراد بكم العز ولا نصر من أراد بكم النصر اخرجوا عنا ولا تشهدوا معنا قتال عدونا الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملا ومن لم يكن شهد قتال عتاب بن ورقاء (قال أبو مخنف) فحدثني فروة بن لقيط قال والله لخرجنا نتبع آثار الناس فأنتهي الى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن قيس الهمداني وهما يمشيان كأني أنظر الى رأس عبد الرحمن قد امتلأ طينا فصددت عنهما وكرهت ان اذعرهما ولو أني أوذن بهما أصحاب شبيب لقتلا مكانهما وقلت في نفسي لئن سقت الى مثلكما من قومي القتل ما أنا برشيد الرأي وأقبل شبيب حتى نزل الصراة (قال أبو مخنف) فحدثني موسى بن سوار ان شبيبا خرج يريد الكوفة فانتهى الى سورا فندب الناس فقال أيكم يأتيني برأس عامل سورا فانتدب له بطين وقعنب وسويد ورجلان من أصحابه فساروا مغذين حتى انتهوا الى دار الخراج والعمال في سمرجة فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا أجيبوا الأمير فقالوا أي الأمراء قالوا أمير خرج من قبل الحجاج يريد هذا الفاسق شبيبا فاغتر بذلك العامل منهم ثم انهم شهروا السيوف وحكموا حين وصلوا اليه فضربوا عنقه وقبضوا على ما كان من مال ولحقوا بشبيب فلما انتهوا اليه قال ما الذي أتيتمونا به قالوا جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال والمال على دابة في بدوره فقال شبيب أتيتمونا بفتنة للمسلمين هلم الحربة يا غلام فخرق بها البدور وأمر فنخس بالدابة والمال يتناثر من بدوره حتى وردت الصراة فقال إن كان بقي شيء فاقذفه في الماء ثم خرج اليه سفيان بن الأبرد مع الحجاج وكان أتاه قبل خروجه معه فقال ابعثني أستقبله قبل أن يأتيك فقال ما أحب

أن نفترق حتى ألقاه فى جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا ﴿وفي هذه السنة﴾ دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحجاج﴾

﴿قال هشام﴾ حدثني أبو مخنف عن موسى بن سوار قال قدم سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشام الكوفة وكان مُطَرّف بن المغيرة كتب الى الحجاج إن شبيبا قد اطلّ علىّ فابعث الى المدائن بعثا فبعث اليه سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتى فارس فلما خرج مطرّف يريد الجبل خرج بأصحابه معه وقد أعلمهم ما يريد وكتم ذلك سبرة فلما انتهى الى دسكرة الملك دعا سبرة فأعلمه ما يريد ودعاه الى أمره فقال له نعم أنا معك فلما خرج من عنده بعث الى أصحابه فجمعهم وأقبل بهم فيصادف عتّاب بن ورقاء قد قتل وشبيبا قد مضى الى الكوفة فأقبل حتى انتهى الى قرية يقال لها بيطرى وقد نزل شبيب حَمَّام عُمر فخرج سبرة حتى يعبر الفرات فى معبر قرية شاهى ثم أخذ الظهر حتى قدم على الحجاج فوجد أهل الكوفة مسخوطا عليهم فدخل على سفيان بن الابرد فقص قصته عليه وأخبره بطاعته وفراقه مُطرّفا وانه لم يشهد عتّابا ولم يشهد هزيمةً في موطن من مواطن أهل الكوفة ولم أزل للأمير عاملا ومعى مائتا رجل لم يشهدوا معى هزيمةً قط وهم على طاعتهم لم يدخلوا فى فتنة فدخل سفيان الى الحجاج فخبّره بخبر ما قص عليه سبرةُ بن عبد الرحمن فقال صدق وبرّ قل له فليشهد معنا لقاء عدوّنا فخرج اليه فأعلمه ذلك وأقبل شبيب حتى نزل موضع حَمَّام أعين ودعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبى زُرْعة بن مسعود الثقفى فوجّهه فى ناس من الشُرط لم يكونوا شهدوا يوم عتاب ورجالا كانوا عمّالا في نحو من مائتى رجل من أهل الشام فخرج في نحو من ألف فنزل زُرارة وبلغ ذلك شبيبا فتعجل اليه في أصحابه فلما انتهى اليه حمل عليه فقتله وهزم أصحابه وجاءت المنهزمة فدخلوا الكوفة وجاء شبيب حتى قطع الجسر وعسكر دونه الى الكوفة وأقام شبيب فى عسكره ثلاثة أيام فلم يكن فى أول يوم الا قتل الحارث بن معاوية فلما كان فى اليوم الثانى أخرج الحجاج مواليهُ وغلمانه عليهم السلاح فأخذوا بأفواه السكك مما يلى الكوفة وخرج أهل الكوفة فأخذوا بأفواه سككهم وخشوا ان لم يخرجوا مَوْجدة الحجاج وعبد الملك بن مروان وجاء شبيب حتى ابتنى مسجدا في أقصى السَّبخة مما يلى موقف أصحاب القتّ عند الايوان وهو قائم حتى الساعة فلما كان اليوم الثالث أخرج الحجاج أبا الورد مولى له عليه تجفاف وأخرج مجففة كثيرة وغلمانا له وقالوا هذا الحجاج فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج أخرج له غلامه طهمان فى مثل تلك العدّة على مثل تلك الهيئة فحمل عليه شبيب فقتله وقال ان كان هذا الحجاج فقد أرحتكم منه ثم ان الحجاج خرج ارتفاع النهار من القصر فقال

ائتونى ببغل أركبه ما بينى وبين السَّبَخَة فأتى ببغل محجّل فقيل له ان الاعاجم أصلحك الله تطيّر أن تركب فى مثل هذا اليوم مثلَ هذا البغل فقال ادنوه منى فان اليوم يوم أغرّ محجل فركبه ثم خرج في أهل الشام حتى أخذ فى سكة البريد ثم خرج فى أعلى السبخة فلما نظر الحجاج الى شبيب وأصحابه نزل وكان شبيب فى ستمائة فارس فلما رأى الحجاج قد خرج اليه أقبل بأصحابه وجاء سبرة بن عبد الرحمن الى الحجاج فقال أين يأمرنى الامير أن أقف فقال قف على أفواه السكك فان جاؤكم فكان فيكم قتال فقاتلوا فانطلق حتى وقف فى جماعة الناس ودعا الحجاج بكرسى له فقعد عليه ثم نادى يا أهل الشأم أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغلبنّ باطلُ هؤلاء الارجاس حقَّكم غُضّوا الابصار واجثوا على الرُكَب واستقبلوا القوم بأطراف الاسنة فجثوا على الركب وأشرعوا الرماح وكأنهم حَرَّة سوداء وأقبل اليهم شبيب حتى اذا دنا منهم عبّى أصحابه ثلاثة كراديس كتيبة معه وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع المحلل بن وائل فقال لسويد احمل عليهم في خيلك فحمل عليهم فثبتوا له حتى اذا غشى أطراف الاسنة وثبوا في وجهه ووجوه أصحابه فطعنوهم قُدُماً حتى انصرف وصاح الحجاج يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا قدّمْ كرسيّ يا غلام وأمر شبيب المحلل فحمل عليهم ففعلوا به مثل ما فعلوا بسويد فناداهم الحجاج يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا قدّمْ كرسى يا غلام ثم ان شبيبا حمل عليهم فى كتيبته فثبتوا له حتى اذا غشى أطراف الرماح وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلا ثم ان أهل الشام طعنوه قُدُماً حتى ألحقوه بأصحابه فلما رأى صبرهم نادى يا سويد احمل في خيلك على أهل هذه السكة يعنى سكة لحام جرير لعلك تزيل أهلها عنها فتأتى الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من امامه فانفرد سويد بن سليم فحمل على أهل تلك السكة فرُمى من فوق البيوت وأفواه السكك فانصرف وقد كان الحجاج جعل عروة بن المغيرة ابن شعبة في نحو من ثلثمائة رجل من أهل الشام رِدْءاً له ولاصحابه لئلا يؤتوا من ورائه ﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى فروة بن لقيط ان شبيبا قال لنا يومئذ يا أهل الاسلام انما شرينا الله ومن شرى الله لم يكبر عليه ما أصابه من الاذى والألم فى جنب الله الصبرَ الصبرَ شدةً كشداتكم فى مواطنكم الكريمة ثم جمع أصحابه فلما ظن الحجاج انه حامل عليهم قال لاصحابه يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ثم ورب السماء ما شئ دون الفتح فجثوا على الرُكَب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه فلما غشيهم نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا فى وجهه فما زالوا يطعنون ويضربون قُدُماً ويدفعون شبيبا وأصحابه وهو يقاتلهم حتى بلغوا موضع بُسْتان زائدة فلما بلغ ذلك المكان نادى شبيب أصحابه يا أولياء الله الارض الارض ثم نزل وأمر أصحابه فنزل نصفهم وترك نصفهم مع سويد بن سليم وجاء الحجاج حتى انتهى الى مسجد شبيب ثم قال يا أهل الشأم يا أهل السمع والطاعة هذا أول الفتح والذى نفس الحجاج بيده وصعد

المسجد

المسجد معه نحوٌ من عشرين رجلا معهم النبل فقال ان دنوا منا فارشقوهم فاقتتلوا عامة النهار من أشد قتال في الارض حتى أقرّ كل واحد من الفريقين لصاحبه ثم ان خالد بن عتاب قال للحجاج ائذن لى في قتالهم فانى موتور وأنا ممن لا يُتهم في نصيحة قال فانى قد أذنت لك قال فانى آتيهم من ورائهم حتى أغير على عسكرهم فقال له افعل ما بدا لك قال فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتى دخل عسكرهم من ورائهم فقتل مُصادًا أخا شبيب وقتل غزالة امرأته قتلها فروة بن الدفان الكلبي وحرق فى عسكره وأتى ذلك الخبر الحجاج وشبيبا فأما الحجاج وأصحابه فكبر وا تكبيرة واحدة وأما شبيب فوثب هو وكل راجل معه على خيولهم وقال الحجاج لأهل الشأم شدوا عليهم فانه قد أتاهم ما أرعب قلوبهم فشدوا عليهم فهزموهم وتخلف شبيب فى حامية الناس ﴿قال هشام﴾ فحدثنى أصغر الخارجى قال حدثنى من كان مع شبيب قال لما انهزم الناس فخرج من الجسر تبعه خيل الحجاج قال فجعل يخفق برأسه فقلت يا أمير المؤمنين التفت فانظر من خلفك قال فالتفت غير مكترث ثم أكبّ يخفق برأسه قال ودنوا منا فقلنا يا أمير المؤمنين قد دنوا منك قال فالتفت والله غير مكترث ثم جعل يخفق برأسه قال فبعث الحجاج الى خيله أن دعوه في حرق الله وناره فتركوه ورجعوا ﴿قال هشام﴾ قال أبو مخنف حدثنى أبو عمرو العذرى قال قطع شبيب الجسر حين عبر قال وقال لى فروة كنت معه حين انهزمنا فما حرّك الجسر ولا اتبعونا حتى قطعنا الجسر ودخل الحجاج الكوفة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم قال والله ما قوتل شبيب قبلها ولى والله هاربا وترك امرأته يُكسر فى استها القصب ﴿وقد قيل﴾ فى قتال الحجاج شبيبا بالكوفة ما ذكره عمر بن شبة قال حدثنى عبد الله بن المغيرة بن عطية قال حدثنى أبى قال حدثنا مزاحم بن زُفر بن جساس التيمى قال لما فض شبيب كتائب الحجاج أذن لنا فدخلنا عليه فى مجلسه الذى يبيت فيه وهو على سرير وعليه لحاف فقال انى دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر فأشيروا علىّ ان هذا الرجل قد تبحبح بحبوحتكم ودخل حريمكم وقتل مقاتلتكم فأشيروا علىّ فأطرقوا وفصل رجل من الصف بكرسيه فقال ان أذن لى الامير تكلمتُ فقال تكلمْ فقال ان الأمير والله ما راقب الله ولا حفظ أمير المؤمنين ولا نصح للرعية ثم جلس بكرسيه فى الصف قال واذا هو قتيبة قال فغضب الحجاج وألقى اللحاف ودلى قدميه من السرير كانى أنظر اليهما فقال من المتكلم قال فخرج قتيبة بكرسيه من الصف فأعاد الكلام قال فما الرأى قال الرأى أن تخرج اليه فتحاكمه قال فارتدْ لى معسكرا ثم اغدُ الىّ قال فخرجنا نلعن عنبسة بن سعيد وكان كلم الحجاج في قتيبة فجعله من أصحابه فلما أصبحنا وقد أوصينا جميعا غدونا في السلاح فصلى الحجاج الصبح ثم دخل فجعل رسوله يخرج ساعة بعد ساعة فيقول أجاء بعد أجاء بعد ولا ندرى من يريد وقد أفعمت المقصورة بالناس فخرج الرسول فقال أجاء بعد واذا قتيبة يمشى في

المسجد عليه قباء هروى أصفر وعمامة خز أحمر متقلدا سيفا عريضا قصير الحمائل كانه فى ابطه قد أدخل بركة قبائه في منطقته والدرع يصفق ساقيه ففتح له الباب فدخل ولم يحجب فلبث طويلا ثم خرج وأخرج معه لواء منشورا فصلى الحجاج ركعتين ثم قام فتكلم وأخرج اللواء من باب الفيل وخرج الحجاج يتبعه فاذا بالباب بغلة شقراء غراء محجلة فركبها وعارضه الوصفاء بالدواب فأبى غيرها وركب الناس وركب قتيبة فرسا أغر محجلا كميتا كانه فى سرجه رمانة من عظم السرج فأخذ فى طريق دار السقاية حتى خرج الى السبخة وبها عسكر شبيب وذلك يوم الأربعاء فتواقفوا ثم غدوا يوم الخميس للقتال ثم غادوهم يوم الجمعة فلما كان وقت الصلاة انهزمت الخوارج * قال أبو زيد حدثنى خلاد بن يزيد قال حدثنا الحجاج بن قتيبة قال جاء شبيب وقد بعث اليه الحجاج أميرا فقتله ثم آخر فقتله أحدهما أعين صاحب حمام أعين قال فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزالة وقد كانت نذرت أن تصلى في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران قال ففعلت قال واتخذ شبيب في عسكره أخصاصا فقام الحجاج فقال لا أراكم تناصحون فى قتال هؤلاء القوم يا أهل العراق وأنا كاتب الى أمير المؤمنين ليمدنى بأهل الشأم قال فقام قتيبة فقال انك لم تنصح لله ولا لأمير المؤمنين فى قتالهم ﴿قال عمر بن شبة﴾ قال خلاد فحدثنى محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر ابن عثمان التيمى ان الحجاج خنق قتيبة بعمامته خنقا شديدا ﴿ثم رجع الحديث الى حديث الحجاج وقتيبة﴾ قال فقال وكيف ذاك قال تبعث الرجل الشريف وتبعث معه رعاعا من الناس فينهزمون عنه ويستحيا فيقاتل حتى يقتل قال فما الرأى قال أن تخرج بنفسك ويخرج معك نظراؤك فيؤاسونك بأنفسهم قال فلعنه من ثم وقال الحجاج والله لأبرزن له غدا فلما كان الغد حضر الناس فقال قتيبة اذكر يمينك أصلح الله الامير فلعنوه أيضا وقال الحجاج أخرج فارتد لى معسكرا فذهب وتهيأ هو وأصحابه فخرجوا فأتى على موضع فيه بعض القذر موضع كناسة فقال ألقوا لى ههنا فقيل ان الموضع قذر فقال ما تدعوننى اليه أقذر الارض تحته طيبة والسماء فوقه طيبة قال فنزل وصف الناس وخالد بن عتاب بن ورقاء مسخوط عليه فليس في القوم وجاء شبيب وأصحابه فقربوا دوابهم وخرجوا يمشون فقال لهم شبيب الهوا عن رميكم ودبوا تحت تراسكم حتى اذا كانت أسنتهم فوقها فأزلقوها صعدا ثم ادخلوا تحتها تستقلوا فتقطعوا أقدامهم وهى الهزيمة باذن الله فأقبلوا يدبون اليهم وجاء خالد ابن عتاب في شاكريته فدار من وراء عسكرهم فأضرم أخصاصهم بالنار فلما رأوا ضوء النار وسمعوا معمعتها التفتوا فرأوها في بيوتهم فولوا الى خيلهم وتبعهم الناس وكانت الهزيمة ورضى الحجاج عن خالد وعقد له على قتالهم قال ولما قتل شبيب عتابا أراد دخول الكوفة ثانية فأقبل حتى شارفها فوجه اليه الحجاج سيف بن هانئ ورجلا معه ليأتياه بخبر شبيب فأتيا

عسكره ففطن بهما فقتل الرجل وأفلت سيفٌ وتبعه رجل من الخوارج فأوثب سيفٌ فرسه ساقية ثم سأل الرجل الامان على أن يصدقه فآمنه فأخبره ان الحجاج بعثه وصاحبه ليأتياه بخبر شبيب قال فأخبرْه انا نأتيه يوم الاثنين فأتى سيف الحجاج فأخبره فقال كذب وماق فلما كان يوم الاثنين توجهوا يريدون الكوفة فوجه اليهم الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي فلقيه شبيب بزُرارة فقتله وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البَطين في عشرة فوارس يرتاد له منزلا على شاطئ الفرات في دار الرّزق فأقبل البطين وقد وجه الحجاج حوشب بن يزيد في جمع من أهل الكوفة فأخذوا بأفواه السكك فقاتلهم البطين فلم يقو عليهم فبعث الى شبيب فأمده بفوارس فعقروا فرس حوشب وهزموه ونجا ومضى البطين الى دار الرزق وعسكر على شاطئ الفرات وأقبل شبيب فنزل دون الجسر فلم يوجه اليه الحجاج أحدا فمضى فنزل السبخة بين الكوفة والفرات فأقام ثلاثا لا يوجه اليه الحجاج أحدا فأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه فوجه قتيبة بن مسلم فهيأ له عسكرا ثم رجع فقال وجدت المأتى سهلا فسر على الطائر الميمون فنادى في أهل الكوفة فخرجوا وخرج معه الوجوه حتى نزلوا في ذلك العسكر وتواقفوا وعلى ميمنة شبيب البطين وعلى ميسرته قَعنَب مولى بني أبي ربيعة بن ذهل وهو في زهاء مائتين وجعل الحجاج على ميمنته مطر بن ناجية الرياحي وعلى ميسرته خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي في زهاء أربعة آلاف وقيل له لا تعرّفه موضعك فتنكر وأخفى مكانه وشبّه له أبا الورد مولاه فنظر اليه شبيب فحمل عليه فضربه بعمود وزنه خمسة عشر رطلا فقتله وشبه له أعين صاحب حمام أعين بالكوفة وهو مولى لبكر بن وائل فقتله فركب الحجاج بغلة غرّاء محجلة وقال ان الدين أغرّ محجّل وقال لأبي كعب قدم لواءك أنا ابن أبي عقيل وحمل شبيب على خالد بن عتاب وأصحابه فبلغ بهم الرحبة وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه فنزل عند ذلك الحجاج وأمر أصحابه فنزلوا فجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد فانهم على ذلك اذ تناول مصقلة بن مهلهل الضبي لجام شبيب فقال ما تقول في صالح بن مُسَرّح وبما تشهد عليه قال أعلى هذه الحال وفي هذا الحدّ والحجاج ينظر قال فبرئ من صالح فقال مصقلة برئ الله منك وفارقوه الا أربعين فارساهم أشد أصحابه وانحاز الآخرون الى دار الرزق وقال الحجاج قد اختلفوا وأرسل الى خالد بن عتاب فأتاهم فقاتلهم فقتلت غزالةُ ومر برأسها الى الحجاج فارسٌ فعرفه شبيب فأمر عُلوان فشد على الفارس فقتله وجاء بالرأس فأمر به فغسل ودفنه وقال هي أقرب اليكم رُحما يعني غزالة ومضى القوم على حاميتهم ورجع خالد الى الحجاج فأخبره بانصراف القوم فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم وأتبعه ثمانيةٌ منهم قعنب والبطين وعلوان وعيسى والمهذب وابن عويمر وسنان حتى بلغوا به الرحبة وأتى شبيب في موقفه بخُوط ابن عمير السدوسي فقال له شبيب يا خوط لا حكم الا لله فقال لا حكم الا لله فقال شبيب خوط من

أصحابكم ولكنه كان يخاف فأطلقه وأتى بعمير بن القعقاع فقال له لا حكم الا الله يا عمير فجعل
لا يفقه عنه ويقول فى سبيل الله شبابى فردد عليه شبيب لا حكم الا الله ليتخلصه فلم يفقه فأمر
بقتله وقتل مُصاد أخو شبيب وجعل شبيب ينتظر النفر الذين تبعوا خالدا فأبطؤوا ونعس شبيب
فأيقظه حبيب بن حدرة وجعل أصحاب الحجاج لا يقدمون عليه هيبة له وسار الى دار الرزق
فجمع رثة من قتل من أصحابه وأقبل الثمانية الى موضع شبيب فلم يجدوه فظنوا انهم قتلوه
ورجع مطر وخالد الى الحجاج فأمرهما فأتبعا الرهط الثمانية وأتبع الرهط شبيبا فمضوا جميعا
حتى قطعوا جسر المدائن فدخلوا ديرا هنالك وخالد يقفوهم فحصرهم فى الدير فخرجوا عليه
فهزموه نحوا من فرسخين حتى ألقوا أنفسهم فى دجلة بخيلهم وألقى خالد نفسه بفرسه فمر به
ولواؤه فى يده فقال شبيب قاتله الله فارسا وفرسه هذا أشد الناس وفرسه أقوى فرس فى
الارض فقيل له هذا خالد بن عتاب فقال مُعْرَقٌ له فى الشجاعة والله لو علمت لأقحمت
خلفه ولو دخل النار ﴿رجع الحديث الى حديث أبى مخنف﴾ عن أبى عمرو العذرى ان الحجاج
دخل الكوفة حين انهزم شبيب ثم صعد المنبر فقال والله ما قوتل شبيب قط قبلها مثلها ولّى
والله هاربا وترك امرأته يُكسر فى استها القصب ثم دعا حبيب بن عبد الرحمن الحكمى
فبعثه فى أثره فى ثلاثة آلاف من أهل الشأم فقال له الحجاج احذر بياته وحيث ما لقيته فنازله
فان الله قد فلّ حدّه وقصم نابه فخرج حبيب بن عبد الرحمن فى أثر شبيب حتى نزل الانبار
وبعث الحجاج الى العمال ان دُسّوا الى أصحاب شبيب ان من جاءنا منهم فهو آمن فكان كل
من ليست له تلك البصيرة ممن قد هدّه القتال يجيء فيؤمَن وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج
يوم هُزموا ان من جاءنا منكم فهو آمن فتفرّق عنه ناس كثير من أصحابه وبلغ شبيبا مَنزلُ
حبيب بن عبد الرحمن الانبار فأقبل بأصحابه حتى اذا دنا من عسكرهم نزل فصلى بهم المغرب
﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى أبو يزيد السكسكى قال أنا والله فى أهل الشأم ليلة جاءنا شبيب
فبيّتنا قال فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا أرباعا وقال لكل ربع منا ليجزئ
كل ربع منكم جانبه فان قاتل هذا الربع فلا يُغثهم هذا الربع الآخر فانه قد بلغنى ان هذه
الخوارج مناقريب فوطّنوا أنفسكم على انكم مبيّتون ومقاتلون فما زلنا على تعبيتنا حتى
جاءنا شبيب فبيّتنا فشد على ربع منا عليهم عثمان بن سعيد العذرى فضاربهم طويلا فما زالت
قدمُ الانسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامرى
فقاتلهم فما زالت قدم انسان منهم ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وعليهم النعمان بن سعد
الحميرى فما قدر منهم على شئ ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمى فقاتلهم
طويلا فلم يظفر بشئ ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل وألزّ بنا حتى قلنا
لا يفارقنا ثم نازلنا راجلا طويلا فسقطت والله بيننا وبينهم الايدى وفُقئت الاعين وكثرت

القتلى قتلنامنهم نحوامن ثلاثين وقتلوامنانحوامن مائة والله لو كانوافيمانرى يزيدون على مائة رجل لاهلكونا وايم الله على ذلك مافارقونا حتى مللناهم وملونا وكرهونا وكرهناهم ولقد رأيت الرجل منايضرب بسيفه الرجل منهم فمايضره شيأمن الإعياء والضعف ولقد رأيت الرجل منايقاتل جالسا ينفح بسيفه مايستطيع أن يقوم من الإعياء فلمايئسوامنا ركب شبيب ثم قال لمن كان نزل من أصحابه اركبوا فلمااستووا على متون خيولهم وجه منصرفا عنا ﴿قال أبو مخنف﴾ حدثني فروة بن لقيط عن شبيب قال لماانصرفناعنهم وبنا كآبة شديدة وجراحة ظاهرة قال لناما أشد هذا الذي بنالو كنا انما نطلب الدنيا وما أيسر هذا في ثواب الله فقال أصحابه صدقت يا أمير المؤمنين قال فما أنسى منه اقباله على سويد بن سليم ولا مقالته له قتلت منهم أمس رجلين أحدهما أشجع الناس والآخر أجبن الناس خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم فاشترى أحدهم حاجته ثم خرج قبل أصحابه وخرجت معه فقال كانك لم تشتر علفا فقلت ان لي رفقاء قد كفوني ذلك فقلت له أين ترى عدونا هذا نزل قال بلغني انه قد نزل منا قريبا وايم الله لوددت اني قد لقيت شبيبهم هذا قلت فتحب ذلك قال نعم قلت فخذ حذرك فأنا والله شبيب وانتضيت سيفي فخر والله ميتا فقلت له ارتفع ويحك وذهبت أنظر فاذا هو قد مات فانصرفت راجعا فأستقبل الآخر خارجا من القرية فقال أين تذهب هذه الساعة وانما يرجع الناس الى عسكرهم فلم أكلمه ومضيت يقرب بي فرسي وأتبعني حتى لحقني فقطعت عليه فقلت له مالك فقال أنت والله من عدونا فقلت أجل والله فقال والله لا تبرح حتى تقتلني أو أقتلك فحملت عليه وحمل علي فاضطربنا بسيفينا ساعة فوالله ما فضلته في شدة نفس ولا اقدام الا ان سيفي كان أقطع من سيفه فقتلته قال فضينا حتى قطعنا دجلة ثم أخذنا في أرض جوخى حتى قطعنا دجلة مرة أخرى من عند واسط ثم أخذنا الى الأهواز ثم الى فارس ثم ارتفعنا الى كرمان ﴿وفي هذه السنة﴾ هلك شبيب في قول هشام بن محمد وفي قول غيره كان هلاكه سنة ٧٨

## ﴿ذكر سبب هلاكه﴾

﴿قال هشام﴾ عن أبي مخنف قال حدثني أبو يزيد السكسكي قال أقفلنا الحجاج اليه يعني الى شبيب فقسم فينا مالا عظيما وأعطى كل جريح مناوكل ذي بلاء ثم أمر سفيان بن الأبرد أن يسير الى شبيب فتجهز سفيان فشق ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمي وقال تبعث سفيان الى رجل قد فللته وقتلت فرسان أصحابه فأمضى سفيان بعد شهرين وأقام شبيب بكرمان حتى اذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعا فيستقبله سفيان بجسر دجيل الاهواز وقد كان الحجاج كتب الى الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل وهو زوج ابنة

الحجاج وعامله على البصرة أما بعد فابعث رجلا شجاعا شريفا من أهل البصرة فى أربعة آلاف
الى شبيب ومره فليلحق بسفيان بن الابرد وليسمع له وليطع فبعث اليه زياد بن عمرو العتكى
فى أربعة آلاف فلم ينته الى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب ولما ان التقيا بجسر دجيل عبر
شبيب الى سفيان فوجد سفيان قد نزل فى الرجال وبعث مهاصر بن صيفى العذرى على
الخيل وبعث على ميمنته بشر بن حسان الفهرى وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزارى
فأقبل شبيب فى ثلاثة كراديس من أصحابه هو في كتيبة وسويد فى كتيبة وقعنب المحلمى
فى كتيبة وخلف المحلل بن وائل في عسكره قال فلما حمل سويد وهو فى ميمنته على ميسرة
سفيان وقعنب وهو فى ميسرته على ميمنته حمل هو على سفيان فاضطربنا طويلا من النهار
حتى انحازوا فرجعوا الى المكان الذى كانوا فيه فكر علينا هو وأصحابه اكثر من ثلاثين كرة
كل ذلك لا نزول من صفنا وقال لنا سفيان بن الأبرد لا تتفرقوا ولكن لتزحف الرجال اليهم
زحفا فوالله مازلنا نطاعنهم ونضاربهم حتى اضطررناهم الى الجسر فلما انتهى شبيب الى
الجسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل فقاتلناهم حتى المساء أشد قتال قاتله قوم قط فما هو
الا ان نزلوا فأوقعوا لنا من الطعن والضرب شيأ ما رأينا مثله من قوم قط فلما رأى سفيان انه
لا يقدر عليهم ولا يأمن مع ذلك ظفرهم دعا الرماة فقال ارشقوهم بالنبل وذلك عند المساء وكان
التقاؤهم نصف النهار فرماهم أصحاب النبل بالنبل عند المساء وقد صفهم سفيان بن الابرد
على حدة وبعث على المرامية رجلا فلما رشقوهم بالنبل ساعة شدوا عليهم فلما شدوا على
رماتنا شددنا عليهم فشغلناهم عنهم فلما رموا بالنبل ساعة ركب شبيب وأصحابه ثم كروا على
أصحاب النبل كرة صرع منهم أكثر من ثلاثين رجلا ثم عطف بخيله علينا فمشى عامدا نحونا
فطاعناه حتى اختلط الظلام ثم انصرف عنا فقال سفيان لاصحابه أيها الناس دعوهم
لا تتبعوهم حتى نصبحهم غدوة قال فكففنا عنهم وليس شىء أحب الينا من أن ينصرفوا عنا
﴿قال أبو مخنف﴾ فحدثنى فروة بن لقيط قال فما هو الا ان انتهينا الى الجسر فقال اعبروا معاشر
المسلمين فاذا أصبحنا باكرناهم ان شاء الله فعبرنا امامه وتخلف فى أخرانا فأقبل على فرسه
وكانت بين يديه فرس أنثى ماذيانة فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الماذيانة ونزل
حافر رجل فرس شبيب على حرف السفينة فسقط فى الماء فلما سقط قال ليقضى الله أمرا
كان مفعولا فارتمس فى الماء ثم ارتفع فقال ذلك تقدير العزيز العليم ﴿قال أبو مخنف﴾
فحدثنى أبو يزيد السكسكى بهذا الحديث وكان ممن يقاتله من أهل الشأم وحدثنى فروة بن
لقيط وكان ممن شهد مواطنه فأما رجل من رهطه من بنى مرة بن همام فانه حدثنى انه كان
معه قوم يقاتلون من عشيرته ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة وكان قد قتل من عشائرهم
رجالا كثيرا فكان ذلك قد أوجع قلوبهم وأوغر صدورهم وكان رجل يقال له مقاتل من بنى

تيم بن شيبان من أصحاب شبيب فلما قتل شبيب رجالا من بنى تيم بن شيبان أغار هو على بنى مرّة بن همام فأصاب منهم رجلا فقال له شبيب ما حملك على قتلهم بغير أمرى فقال له أصلحك الله قتلت كفار قومى وقتلت كفار قومك قال وأنت الوالى علىّ حتى تقطع الأمور دونى فقال أصلحك الله أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا منا كان أو من غيرنا قال بلى قال فانما فعلت ما كان ينبغى ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عُشر ما أصبت من رهطى وما يحل لك يا أمير المؤمنين أن تجد من قتل الكافرين قال انى لا أجد من ذلك وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائرهم فزعموا انه لما تخلف فى أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض هل لكم أن نقطع به الجسر فندرك ثارنا الساعة فقطعوا الجسر فمالت السفن ففزع الفرس ونفر ووقع فى الماء فغرق (قال أبو مخنف) فحدثنى ذلك المرّىّ بهذا الحديث وناس من رهط شبيب يذكرون هذا أيضا وأما حديث العامة فالحديث الاول (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو يزيد السكسكى قال إنّا والله لنتهيأ للانصراف اذ جاء صاحب الجسر فقال أين أميركم قلنا هو هذا فجاءه فقال أصلحك الله ان رجلا منهم وقع فى الماء فتنادوا بينهم غرق أمير المؤمنين ثم انهم انصرفوا راجعين وتركوا عسكرهم ليس فيه أحد فكبّر سفيان وكبّرنا ثم أقبل حتى انتهى الى الجسر وبعث مهاصر بن صيفى فعبر الى عسكرهم فاذا ليس فيه منهم صافرٌ ولا آثرٌ فنزل فيه فاذا أكثر عسكر خلق الله خيرا وأصبحنا فطلبنا شبيبا حتى استخرجناه وعليه الدرع فسمعت الناس يزعمون انه شُقّ بطنه فأخرج قلبه فكان مجتمعا صلبا كانه صخرة وانه كان يضرب به الأرض فيثب قامة انسان فقال سفيان احمدوا الله الذى أعانكم فأصبح عسكرهم فى أيدينا (قال أبو زيد) عمر بن شبة حدثنى خلاد بن يزيد الارقط قال كان شبيب يُنعى لامه فيقال قتل فلا تقبل قال فقيل لها انه غرق فقبلت وقالت انى رأيت حين ولدته انه خرج منى شهاب نار فعلمت انه لا يُطفئه الا الماء (قال هشام) عن أبى مخنف حدثنى فروة بن لقيط الأزدى ثم العامرى ان يزيد بن نُعيم أبا شبيب كان ممن دخل فى جيش سلمان بن ربيعة اذ بعث به وبمن معه الوليد بن عقبة عن أمر عثمان اياه بذلك مددا لأهل الشأم أرض الروم فلما قفل المسلمون أقيم السبى للبيع فرأى يزيد بن نعيم أبو شبيب جارية حمراء لا شهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين فابتاعها ثم أقبل بها وذلك سنة ٢٥ أول السنة فلما أدخلها الكوفة قال أسلمى فأبت عليه فضربها فلم تزدد الا عصيانا فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت ثم دعا بها فأدخلت عليه فلما تغشاها تلقّت منه بحمل فولدت شبيبا وذلك سنة ٢٥ فى ذى الحجة فى يوم النحر يوم السبت وأحبّت مولاها حبا شديدا وكانت تحدثهُ وقالت ان شئت أجبتك الى ما سألتنى من الاسلام فقال لها قد شئت فأسلمت وولدت شبيبا وهى مُسلمة وقالت انى رأيت فيما يرى النائم انه خرج من قُبلى

شهاب فثقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها فبينا هو كذلك اذ وقع في ماء كثير جار فخبا وقد ولدته في يومكم هذا الذى تهريقون فيه الدماء وانى قد أولت رؤياى هذه انى أرى ولدى هذا غلاما أراه سيكون صاحب دماء يهريقها وانى أرى أمره سيعلو ويعظم سريعا قال فكان أبوه يختلف به وبأمه الى البادية الى أرض قومه على ماء يدعى اللصف (قال أبو مخنف) وحدثنى موسى بن أبى سويد بن رادى ان جند أهل الشأم الذين جاؤا حملوا معهم الحجر فقالوا لانفرّ من شبيب حتى يفر هذا الحجر فبلغ شبيبا أمرهم فأراد أن يكيدهم فدعا بأفراس أربعة فربط في أذنابها ترسة في ذنب كل فرس ترسين ثم ندب معه ثمانية نفر من أصحابه ومعه غلام له يقال له حيّان وأمره أن يحمل معه إداوة من ماء ثم سار حتى يأتى ناحية من العسكر فأمر أصحابه أن يكونوا في نواحى العسكر وأن يجعلوا مع كل رجلين فرسا ثم يمسّوها الحديد حتى تجد حرّه ويخلوها في العسكر وواعدهم تلعة قريبة من العسكر فقال من نجا منكم فان موعده هذه التلعة وكره أصحابه الاقدام على ما أمرهم به فنزل حيث رأى ذلك منهم حتى صنع بالخيل مثل الذى أمرهم ثم وغلت فى العسكر ودخل يتلوها محكّما فضرب الناس بعضهم بعضا فقام صاحبهم الذى كان عليهم وهو حبيب بن عبد الرحمن الحكمى فنادى أيها الناس ان هذه مكيدة فالزموا الارض حتى يتبيّن لكم الامر ففعلوا وبقى شبيب في عسكرهم فلزم الارض حيث رآهم قد سكنوا وقد أصابته ضربة عمود أوهنته فلما ان هدأ الناس ورجعوا الى أبنيتهم خرج فى غمارهم حتى أتى التلعة فاذا هو بحيان فقال أفرغ يا حيان على رأسى من الماء فلما مدّ رأسه ليصبّ عليه من الماء همّ حيان أن يضرب عنقه فقال لنفسه لا أجد لى مكرمة ولا ذكرا أرفع من قتلى هذا وهو أمانى عند الحجاج فاستقبلته الرعدة حيث همّ بما همّ به فلما أبطأ بحلّ الاداوة قال ما يبطئك بحلها فتناول السكين من موزجه فخرقها به ثم ناولها اياه فأفرغ عليه من الماء فقال حيان منعنى والله الجبن وما أخذنى من الرعدة أن أضرب عنقه بعد ما هممت به ثم لحق شبيب بأصحابه فى عسكره ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة خرج مطرّف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجبال فقتل

﴿ذكر السبب الذى كان عنه خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان﴾

﴿قال هشام﴾ عن أبى مخنف قال حدثنى يوسف بن يزيد بن بكر الازدى ان بنى المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء نبلاء أشرافا بأبدانهم سوى شرف أبيهم ومنزلتهم فى قومهم قال فلما قدم الحجاج فلقوه وشافههم علم انهم رجال قومه وبنو أبيه فاستعمل عروة بن المغيرة على الكوفة ومطرّف بن المغيرة على المدائن وحمزة بن المغيرة على همذان (قال أبو مخنف) فحدثنى الحصين بن عبد الله بن سعد بن نفيل الازدى قال قدم علينا مطرّف بن المغيرة بن شعبة

المدائن

المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولانى عليكم وأمرنى بالحكم بالحق والعدل في السيرة فإن عملت بما أمرنى به فأنا أسعد الناس وإن لم أفعل فنفسي أوبقت وحظ نفسي ضيّعت الا انى جالس لكم العصرين فارفعوا الى حوائجكم وأشيروا على بما يصلحكم ويصلح بلادكم فإنى لن آلوكم خيرا ما استطعت ثم نزل وكان بالمدائن اذ ذاك رجال من أشراف أهل المصر وبيوتات الناس وبها مقاتلة لا بأس بها عدة ان كان كون بأرض جوخى أو بأرض الأنبار فأقبل مطرف حين نزل حتى جلس للناس في الإيوان وجاء حكيم بن الحارث الأزدى يمشى نحوه وكان من وجوه الأزد وأشرافهم وكان الحجاج قد استعمله بعد ذلك على بيت المال فقال له أصلحك الله انى كنت منك نائيا حين تكلمت وانى أقبلت نحوك لأجيبك فوافق ذلك نزولك إنا قد فهمنا ما ذكرت لنا انه عهد اليك فأرشد الله العاهد والمعهود اليه وقد منيت من نفسك العدل وسألت المعونة على الحق فأعانك الله على ما نويت إنك تشبه أباك في سيرته برضى الله والناس فقال له مطرف ههنا الىّ فأوسع له فجلس الى جنبه (قال أبو مخنف) فحدثنى الحصين بن يزيد انه كان من خير عامل قدم عليهم قط أقمعه لمريب وأشده إنكارا للظلم فقدم عليه بشر بن الاجدع الهمدانى ثم الثورى وكان شاعرا فقال

انى كلفت بخود غير فاحشة * غراء وهنانة حسانة الجيد
كأنها الشمس يوم الدجن إذ برزت * تمشى مع الأنس الهيف الأماليد
سل الهوى بعلنداة مذكرة * عنها الى المجتدى ذى العرف والجود
إلى الفتى الماجد الفياض نعرفه * فى الناس ساعة يحلى كل مردود
من الأكارم أنسابا اذا نسبوا * والحامل الثقل يوم المغرم الصيد
إنى أعيذك بالرحمن من نفر * حمر السبال كأسد الغابة السود
فرسان شيبان لم نسمع بمثلهم * أبناء كل كريم النجل صنديد
شدوا على ابن حصين في كتيبته * فغادروه صريعا ليلة العيد
وابن المجالد أردته رماحهم * كأنما زل عن خوصاء صيخود
وكل جمع بروذاباذ كان لهم * قد فض بالطعن بين النخل والبيد

فقال له ويحك ما جئت الا لترغبنا وقد كان شبيب أقبل من ساتيدما فكتب مطرف الى الحجاج أما بعد فإنى أخبر الأمير أكرمه الله ان شبيبا قد أقبل نحونا فان رأى الأمير ان يمدنى برجال أضبط بهم المدائن فعل فإن المدائن باب الكوفة وحصنها فبعث اليه الحجاج ابن يوسف سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف في مائتين وعبد الله بن كناز فى مائتين وجاء شبيب فأقبل حتى نزل قناطر حذيفة ثم جاء حتى انتهى الى كلواذا فعبر منها دجلة ثم أقبل حتى

نزل مدينة بَهُرَسير ومطرّف بن المغيرة في المدينة العتيقة التى فيها منزل كسرى والقصر الأبيض * فلما نزل شبيب بهرسير قطع مطرّف الجسر فيما بينه وبين شبيب وبعث الى شبيب أن ابعث الىّ رجالا من صلحاء أصحابك أدارسهم القرآن وانظر ماتدعون اليه فبعث اليه رجالا منهم سُويد بن سُليم وقَعْنَب والمحلل بن وائل فلما أدنى منهم المِعْبر وأرادوا أن ينزلوا فيه أرسل اليهم شبيب أن لا تدخلوا السفينة حتى يرجع الىّ رسولى من عند مطرّف وبعث الى مطرف أن ابعث الىّ بعدّة من أصحابك حتى تردّ علىّ أصحابى فقال لرسوله القه فقل له فكيف آمنك على أصحابى اذا بعثتهم الآن اليك وأنت لا تأمننى على أصحابك فأرسل اليه شبيب انك قد علمت أنا لا نستحلّ في ديننا الغدر وأنتم تفعلونه وتهوّنونه فسرّح اليه مطرف الربيع بن يزيد الأسدىّ وسليمان بن حذيفة بن هلال بن مالك المزنى ويزيد ابن أبى زياد مولى المغيرة وكان على حرس مطرّف فلما وقعوا في يديه بعث أصحابه اليه (قال أبو مخنف) حدّثنى النضر بن صالح قال كنت عند مطرّف بن المغيرة بن شعبة فما أدرى أقال انى كنت في الجند الذين كانوا معه أو قال كنت بازائه حيث دخلت عليه رسل شبيب وكان لى ولأخى ودّا مكرما ولم يكن ليستر منا شيأ فدخلوا عليه وما عنده أحد من الناس غيرى وغير أخى حلام بن صالح وهم ستة ونحن ثلاثة وهم شاكون في السلاح ونحن ليس علينا الا سيوفنا * فلما دنوا قال سويد السلام على من خاف مقام ربه وعرف الهدى وأهله فقال له مطرّف أَجَلْ فسلم الله على أولئك ثم جلس القوم فقال لهم مطرّف قُصوا علىّ أمركم وخبرونى ما الذى تطلبون والى ماتدعون فحمد الله سُويدُ بن سُليم وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الذى ندعو اليه كتابُ الله وسنة محمد صلى الله عليه وان الذى نقمنا على قومنا الاستئثار بالفىء وتعطيل الحدود والتسلط بالجبرية فقال لهم مطرّف ما دعوتم الا الى حق ولا نقمتم الا جورا ظاهرا أنا لكم على هذا متابع فتابعونى الى ما أدعوكم اليه ليجتمع أمرى وأمركم وتكون يدى وأيديكم واحدة فقالوا هات اذكر ما تريد ان تذكر فإن يكن ماتدعونا اليه حقا نجبك قال فإنى أدعوكم الى أن نقاتل هؤلاء الظَلَمَةَ العاصين على احداثهم الذى أحدثوا وان ندعوهم الى كتاب الله وسنة نبيه وان يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين يُؤمّرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التى تركهم عليها عمرُ بن الخطاب فان العرب اذا علمت انما يراد بالشورى الرضى من قريش رضوا وكثر تبعكم منهم وأعوانكم على عدوّكم وتمّ لكم هذا الأمر الذى تريدون قال فوثبوا من عنده وقالوا هذا ما لا نجيبك اليه أبدا فلما مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفة البيت التفت اليه سويد ابن سليم فقال يا ابن المغيرة لو كان القوم عُداةً غُدُرًا كنتَ قد أمكنتهم من نفسك ففزع لها مطرّفٌ وقال صدقتَ وإله موسى وعيسى قال ورجعوا الى شبيب فأخبروه بمقالته

فطمع فيه وقال لهم اذا أصبحتم فليأته أحدكم * فلما أصبحوا بعث اليه سويدا وأمره بأمره فجاء سويد حتى انتهى الى باب مطرّف فكنتُ أنا المستأذن له فلما دخل وجلس أردتُ أن أنصرف فقال لى مطرّف اجلسْ فليس دونك ستر فجلست وأنا يومئذ شابٌ أغيد فقال له سويد مَنْ هذا الذى ليس لك دونه ستر فقال له هذا الشريف الحسيب هذا ابن مالك ابن زُهير بن جَذيمة فقال له بخٍ أكرمت فارتَبط ان كان دينه على قدر حسبه فهو الكامل ثم أقبل على فقال انا لقينا أمير المؤمنين بالذى ذكرت لنا فقال لنا القوه فقولوا له ألست تعلم ان اختيار المسلمين منهم خيرَهم لهم فيما يرون رأى رشيد فقد مضت به السنة بعد الرسول صلى الله عليه فاذا قال لكم نعم فقولوا له فإنا قد اخترنا لأنفسنا أرضانا فينا وأشدّنا اضطلاعا لما حُمل فما لم يُغيّرْ ولم يُبدّل فهو ولىُّ أمرنا وقال لنا قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت ان العرب اذا علمت انكم انما تريدون بهذا الأمر قريشا كان أكثر لتبعكم منهم فان أهل الحق لا ينقصهم عند الله أن يقلوا ولا يزيد الظالمين خيرا أن يكثروا وان تركنا حقنا الذى خرجنا له ودخولنا فيما دعوتنا اليه من الشورى خطيئة وعجز ورخصة الى نصرة الظالمين ووهن لأنا لا نرى ان قريشا أحقُّ بهذا الأمر من غيرها من العرب فقال له فان زعم انهم أحق بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا له ولِمَ ذاك فان قال لقرابة محمد صلى الله عليه بهم فقل له فوالله ما كان ينبغى اذاً لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأوّلين ان يتولوا على أسرة محمد ولا على ولد أبى لهب لو لم يبق غيرُهم ولولا انهم علموا ان خير الناس عند الله أتقاهم وان أولاهم بهذا الأمر أتقاهم وأفضلهم فيهم وأشدّهم اضطلاعا بحمل أمورهم ما تولوا أمور الناس ونحن أوّل مَنْ أنكر الظلم وغيّر الجور وقاتل الأحزاب فان اتبعنا فله ما لنا وعليه ما علينا وهو رجل من المسلمين والا يفعل فهو كبعض مَن نُعادى ونقاتل من المشركين فقال له مطرّف قد فهمت ما ذكرت ارجعْ يومَك هذا حتى ننظر فى أمرنا فرجع ودعا مطرّف رجالا من أهل ثقاته وأهل نصائحه منهم سليمان ابن حذيفة المزنىّ والربيع بن يزيد الأسدىّ قال النضر بن صالح وكنت أنا ويزيد بن أبى زياد مولى المغيرة بن شعبة قائمين على رأسه بالسيف وكان على حرسه فقال لهم مُطرّفٌ ياهؤلاء انكم نصحائى وأهل مودّتى ومَنْ أثق بصلاحه وحسن رأيه والله ما زلت لأعمال هؤلاء الظلمة كارها أنكرها بقلبى وأغيّرها ما استطعت بفعلى وأمرى فلما عظمت خطيئتهم ومرّ بى هؤلاء القوم يجاهدونهم لم أر انه يسعنى الا مناهضتهم وخلافهم ان وجدت أعوانا عليهم وانى دعوت هؤلاء القوم فقلت لهم كيت وكيت وقالوا لى كيت وكيت فلستُ أرى القتال معهم ولو تابعونى على رأيى وعلى ما وصفت لهم لخلعت عبد الملك والحجاج ولسرت اليهم أجاهدهم فقال له المزنىّ انهم لن يتابعوك وانك لن تتابعهم فأخف هذا الكلام

ولا تظهره لأحد وقال له الاسدى مثل ذلك فجثا مولاه ابن أبى زياد على ركبتيه ثم قال والله لا يخفى مما كان بينك وبينهم على الحجاج كلمة واحدة وليزادن على كل كلمة عشرة أمثالها والله ان لو كنت فى السحاب هاربا من الحجاج ليلتمسن أن يصل اليك حتى يهلك أنت ومن معك فالنجاء النجاء من مكانك هذا فان أهل المدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب وأهل عسكر شبيب يتحدثون بما كان بينك وبين شبيب ولا تمسى من يومك هذا حتى يبلغ الخبر الحجاج فاطلب دارا غير المدائن فقال له صاحباه مانرى الرأى الا كما ذكر لك قال لهما مطرف فما عندكما قال الاجابة الى ما دعوتنا اليه والمؤاساة لك بأنفسنا على الحجاج وغيره قال ثم نظر الى فقال ما عندك فقلت قتال عدوك والصبر معك ما صبرت فقال لى ذاك الظن بك قال ومكث حتى اذا كان فى اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له ان تابعتنا فأنت منا وان أبيت فقد نابذناك فقال لا تعجلوا اليوم فانا ننظر قال وبعث الى أصحابه أن ارحلوا الليلة من عند آخركم حتى توافوا الدسكرة معى لحدث حدث هنالك ثم أدلج وخرج أصحابه معه حتى مر بدير يزدجرد فنزله فلقيه قبيصة بن عبد الرحمن القحافى من خثعم فدعاه الى صحبته فصحبه فكساه وحمله وأمر له بنفقة ثم سار حتى نزل الدسكرة * فلما أراد أن يرتحل منها لم يجد بدا من ان يعلم أصحابه ما يريد فجمع اليه رؤس أصحابه فذكر الله بما هو أهله وصلى على رسوله ثم قال لهم أما بعد فان الله كتب الجهاد على خلقه وأمر بالعدل والإحسان وقال فيما أنزل علينا تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وانى أشهد الله انى قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف فمن أحب منكم صحبتى وكان على مثل رأيى فليتابعنى فان له الأسوة وحسن الصحبة ومن أبى فليذهب حيث شاء فانى لست أحب أن يتبعنى من ليست له نية فى جهاد أهل الجور أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والى قتال الظلمة فاذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الامر شورى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبوا قال فوثب اليه أصحابه فبايعوه ثم انه دخل رحله وبعث الى سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف والى عبد الله بن كناز النهدى فاستخلاهما ودعاهما الى مثل ما دعا اليه عامة أصحابه فأعطياه الرضى فلما ارتحل انصرفا بمن معهما من أصحابه حتى أتيا الحجاج فوجداه قد نازل شبيبا فشهدا معه وقعة شبيب قال وخرج مطرف بأصحابه من الدسكرة موجها نحو حلوان وقد كان الحجاج بعث فى تلك السنة سويد بن عبد الرحمن السعدى على حلوان وماه سبذان * فلما بلغه ان مطرف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عرف انه ان رفق فى أمره أو داهن لا يقبل ذلك منه الحجاج فجمع له سويد أهل البلد والأكراد فأما الأكراد فأخذوا عليه ثنية حلوان وخرج اليه سويد وهو يحب أن يسلم من قتاله وان يعافى من الحجاج فكان خروجه كالتعذير (قال أبو مخنف) فحدثنى

عبد الله بن علقمة الخثعمي ان الحجاج بن جارية الخثعمي حين سمع بخروج مطرّف من المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلا من قومه وغيرهم قال وكنت فيهم فلحقناه بحلوان فكنا ممن شهد معه قتال سويد بن عبد الرحمن (قال أبو مخنف) وحدثني بذلك أيضا النضر (قال أبو مخنف) وحدثني عبد الله بن علقمة قال ماهو الا ان قدمنا على مطرّف بن المغيرة فسرّ بمقدمنا عليه وأجلس الحجاج بن جارية معه على مجلسه (قال أبو مخنف) وحدّثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة ان سويدا لما خرج اليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت وقدم ابنه القعقاع في الخيل وما خيله يومئذ بكثير (قال أبو مخنف) قال النضر بن صالح أراهم كانوا مائتين وقال ابن علقمة أراهم كانوا ينقصون من الثلاثمائة قال فدعا مطرّف الحجاج بن جارية فسرّحه اليهم في نحو من عدّتهم فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادّون في قتاله وهم فرسان متعالمون فلما رآهم سويد قد تيسروا نحو ابنه أرسل اليهم غلاما له يقال له رُستم قتل معه بعد ذلك بدَير الجماجم وفي يده راية بني سعد فانطلق غلامه حتى انتهى الى الحجاج بن جارية فأسرّ اليه ان كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه الى غيرها فاخرجوا عنا فانا لا نريد قتالكم وان كنتم ايانا تريدون فلابدّ لنا من منع ما في أيدينا * فلما جاءه بذلك قال له الحجاج بن جارية ائت أميرنا فاذكر له ما ذكرت لي فخرج حتى أتى مطرّفا فذكر له مثل الذى ذكر للحجاج بن جارية فقال له مطرّف ما أريدكم ولا بلادكم فقال له فالزم هذا الطريق حتى تخرج من بلادنا فانا لا نجد بدّا من ان يرى الناس وتسمع بذلك انا قد خرجنا اليك قال فبعث مطرّف الى الحجاج فأتاه ولزموا الطريق حتى مرّوا بالثنية فاذا الأكراد بها فنزل مطرّف ونزل معه عامة أصحابه وصعد اليهم في الجانب الأيمن الحجاج بن جارية وفي الجانب الأيسر سليمان بن حذيفة فهزماهم وقتلاهم وسلم مطرّف وأصحابه فمضوا حتى دنوا من همذان فتركها وأخذ ذات اليسار الى ماه دينار وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همذان فكره أن يدخلها فيتّهم أخوه عند الحجاج فلمّا دخل مطرّف أرض ماه دينار كتب الى أخيه حمزة أما بعد فان النفقة قد كثرت والمؤنة قد اشتدت فأمدد أخاك بما قدرت عليه من مال وسلاح وبعث اليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب مطرّف ليلا فلما رآه قال له ثكلتك أُمك أنت قتلت مطرّفا فقال له ما أنا قتلته جُعلت فداك ولكن مطرّف قتل نفسه وقتلني وليته لا يقتلك فقال له ويحك من سوّل له هذا الأمر فقال نفسه سوّلت هذا له ثم جلس اليه فقص عليه القصص وأخبره بالخبر ودفع كتاب مطرف اليه فقرأه ثم قال نعم وأنا باعث اليه بمال وسلاح ولكن أخبرني ترى ذلك يخفى لي قال ما أظن ان يخفى فقال له حمزة فوالله لئن أنا خذلته في أنفع النصرين له نصر العلانية لا أخذله في أيسر النصرين نصر السريرة قال فسرح اليه مع يزيد

ابن أبى زياد بمال وسلاح فأقبل به حتى أتى مطرفا ونحن نزول في رستاق من رساتيق ماه دينار يقال له سامان مُتاخم أرض اصبهان وهو رستاق كانت الحمراء تنزله (قال أبو مخنف) فحدثنى النضر بن صالح قال والله ماهو الا ان مضى يزيد بن أبى زياد فسمعت أهل العسكر يتحدثون ان الأمير بعث الى أخيه يسأله النفقة والسلاح فأتيت مطرّفا فحدثته بذلك فضرب بيده على جبهته ثم قال سبحان الله قال الأول مايخفى قال مالا يكون قال وماهو الا ان قدم يزيد بن أبى زياد علينا فسار مطرف بأصحابه حتى نزل قم وقاشان واصبهان (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الله بن علقمة ان مطرّفا حين نزل قمّ وقاشان واطمأن دعا الحجاج بن جارية فقال له حدثنى عن هزيمة شبيب يوم السبخة أكانت وأنت شاهدها أم كنت خرجت قبل الوقعة قال لا بل شهدتها قال فحدثنى حديثهم كيف كان فحدثه فقال انى كنت أحب ان يظفر شبيب وإن كان ضالا فيقتل ضالا قال فظننت انه تمنى ذلك لأنه كان يرجو ان يتم له الذى يطلب لو هلك الحجاج قال ثم ان مطرفا بعث عماله (قال أبو مخنف) فحدثنى النضر بن صالح ان مطرفا عمل عملا حازما لولا ان الأقدار غالبة قال كتب مع الربيع بن يزيد الى سويد بن سرحان الثقفى والى بكير بن هارون البجلىّ أما بعد فانا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والى جهاد من عند عن الحق واستأثر بالفىء وترك حكم الكتاب فإذا ظهر الحق ودمغ الباطل وكانت كلمة الله هى العليا جعلنا هذا الأمر شورى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم الرضى فمن قبل هذا منا كان أخانا فى ديننا وولينا فى محيانا ومماتنا ومن رد ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه فكفى بنا عليه حجة وكفى بتركه الجهاد في سبيل الله غبنا وبمداهنة الظالمين فى أمر الله وهنا ان الله كتب القتال على المسلمين وسماه كرْهاً ولن ينال رضوان الله الا بالصبر على أمر الله وجهاد أعداء الله فأجيبوا رحمكم الله الى الحق وادعوا اليه من ترجون اجابته وعرفوه مالا يعرفه وليقبل الىّ كل من رأى رأينا وأجاب دعوتنا ورأى عدوّه عدوّنا أرشدنا الله وإياكم وتاب علينا وعليكم إنه هُوَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ والسلام فلما قدم الكتاب على ذينك الرجلين دبا فى رجال من أهل الرىّ ودعوا من تابعهما ثم خرجا فى نحو من مائة من أهل الرى سرّا لا يفطن بهم فجاؤا حتى وافوا مطرّفا وكتب البراء بن قبيصة وهو عامل الحجاج على اصبهان أما بعد فان كان للأمير أصلحه الله حاجةٌ فى اصبهان وغير اصبهان فليبعث الى مطرف جيشا كثيفا يستأصله ومن معه فإنه لا تزال عصابة قد انتفجت له من بلدة من البلدان حتى توافيه بمكانه الذى هو به فانه قد استكثف وكثر تبعه والسلام فكتب اليه الحجاج أما بعد اذا أتاك رسولى فعسكر بمن معك فاذا مرّ بك عدى بن وتاد فاخرج معه فى أصحابك واسمع له وأطع والسلام فلما قرأ كتابه خرج فعسكر وجعل الحجاج بن يوسف يسرح الى البراء بن قبيصة الرجال على دوابّ البريد عشرين عشرين

وخمسة

وخمسة عشر خمسة عشر وعشرة عشرة حتى سرح اليه نحوا من خمسمائة وكان فى ألفين وكان الأسود بن سعد الهمدانى أتى الرىّ فى فتح الله على الحجاج يوم لقى شبيبا بالسبخة فر بهمذان والجبال ودخل على حمزة فاعتذر اليه فقال الأسود فابلغت الحجاج عن حمزة فقال قد بلغنى ذاك وأراد عزله فخشى ان يمكر به ان يمتنع منه فبعث الى قيس بن سعد العجلى وهو يومئذ على شرطة حمزة بن المغيرة ولبنى عجل وربيعة عددٌ بهمذان فبعث الى قيس بن سعد بعهده على همذان وكتب اليه ان أوثق حمزة بن المغيرة فى الحديد واحبسه قبلك حتى يأتيك أمرى فلما أتاه عهده وأمره أقبل ومعه ناس من عشيرته كثير فلما دخل المسجد وافق الاقامة لصلاة العصر فصلى مع حمزة فلما انصرف حمزة انصرف معه قيس بن سعد العجلى صاحب شرطه فأقرأه كتاب الحجاج اليه وأراه عهده فقال حمزة سمعا وطاعة فأوثقه وحبسه فى السجن وتولى أمر همذان وبعث عماله عليها وجعل عماله كلهم من قومه وكتب الى الحجاج أما بعد فانى أخبر الامير أصلحه الله انى قد شددت حمزة بن المغيرة فى الحديد وحبسته فى السجن وبعثت عمالى على الخراج ووضعت يدى فى الجباية فان رأى الأمير ابقاه الله ان يأذن لى فى المسير الى مطرف أذن لى حتى اجاهده فى قومى ومن أطاعنى من أهل بلادى فإنى أرجو ان يكون الجهاد أعظم أجرًا من جباية الخراج والسلام فلما قرأ الحجاج كتابه ضحك ثم قال هذا جانب آثرا ما قد أمناه وقد كان مكان حمزة بهمذان أثقل ما خلق الله على الحجاج مخافة ان يمد أخاه بالسلاح والمال ولا يدرى لعله يبدو له فيعق فلم يزل يكيده حتى عزله فاطمأن وقصد قصد مطرف (قال أبو مخنف) فحدثنى مطرف بن عامر بن واثلة ان الحجاج لما قرأ كتاب قيس بن سعد العجلى وسمع قوله إن أحبّ الأمير سرت اليه حتى اجاهده فى قومى قال ماأبغض الىّ ان تكثر العرب فى أرض الخراج قال فقال لى ابن الغرق ماهو الا ان سمعتها من الحجاج فعلمت انه لو قد فرغ له قد عزله قال وحدثنى النضر بن صالح ان الحجاج كتب الى عدىّ بن وتاد الإيادى وهو على الرى يأمره بالمسير الى مطرف بن المغيرة وبالمرّ على البراء بن قبيصة فإذا اجتمعوا فهو أمير الناس (قال أبو مخنف) وحدثنى أبى عن عبد الله ابن زهير عن عبد الله بن سليم الأزدى قال إنى لجالس مع عدىّ بن وتاد على مجلسه بالرى اذ أتاه كتاب الحجاج فقرأه ثم دفعه الىّ فقرأته فإذا فيه أما بعد فإذا قرأت كتابى هذا فانهض بثلاثة أرباع من معك من أهل الرى ثم اقبل حتى تمرّ بالبراء بن قبيصة بجىّ ثم سيرا جميعا فاذا التقيتما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرّفا فاذا كفى الله المؤمنين مؤنته فانصرفْ الى عملك فى كنف من الله وكلايته وستره فلما قرأته قال لى قم وتجهز قال وخرج فعسكر ودعا الكُتاب فضربوا البعث على ثلاثة أرباع الناس فما مضت جمعة حتى سرنا فانتهينا الى جىّ ويوافينا بها قبيصة القُحافى فى تسعمائة من أهل الشأم فيهم عمر بن هبيرة قال ولم نلبث بجىّ

الايومين حتى نهض عدى بن وتَّاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الرى وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم اليه الحجاج من الكوفة وسبعمائة من أهل الشام ونحو من ألف رجل من أهل اصبهان والأكراد فكان في قريب من ستة آلاف مقاتل ثم أقبل حتى دخل على مطرّف بن المغيرة (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح عن عبد الله ابن علقمة ان مطرّف فلما بلغه مسيرهم اليه خندق على أصحابه خندقا فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه (قال أبو مخنف) وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير قال كنت مع مولاى اذذاك قال خرج عدى بن وتاد فعبّى الناس فجعل على ميمنته عبد الله بن زهير ثم قال للبراء بن قبيصة قم في الميسرة فغضب البراء وقال تأمرني بالوقوف في الميسرة وأنا أمير مثلك تلك خيلي في الميسرة وقد بعثت عليها فارس مُضَرَ الطُّفيل بن عامر بن واثلة قال فأنهى ذلك الى عدى بن وتاد فقال لابن اقيصر الخثعمى انطلق فأنت على الخيل وانطلق الى البراء بن قبيصة فقل له انك قد أمرت بطاعتى ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرّجالة في شيء انما عليك أن تؤمر فتُطيع ولا تعرض لى في شيء أكرهه فأتنكّر لك وقد كان له مُنكِرًا ماثم ان عديّا بعث على الميسرة عمر بن هبيرة و بعثه في مائة من أهل الشام فجاء حتى وقف برايته فقال رجل من أصحابه للطفيل بن عامر خلّ رايتك وتنحَّ عنا فانما نحن أصحاب هذا الموقف فقال الطفيل انى لا أخاصمكم انما عقد لى هذه الراية البراء بن قبيصة وهو أميرنا وقد علمنا ان صاحبكم على جماعة الناس فان كان قد عقد لصاحبكم هذا فبارك الله له ما أسمعَنا وأطوعَنا فقال لهم عمر بن هبيرة مهلا كفوا عن أخيكم وابن عمكم رايتنا رايتك فان شئت آثرناك بها قال فما رأيت رجلين كانا أحلم منهما في موقفهما ذلك قال ونزل عدى بن وتاد ثم زحف نحو مطرّف (قال أبو مخنف) فحدثني النضر بن صالح وعبد الله بن علقمة ان مطرّفا بعث على ميمنته الحجاج بن جارية وعلى ميسرته الربيع بن يزيد الاسدى وعلى الحامية سليمان ابن صخر المُزنى ونزل هو يمشى في الرجال ورايته مع يزيد بن أبى زياد مولى أبيه المغيرة ابن شعبة قال فلما زحف القوم بعضهم الى بعض وتدانوا قال لبكير بن هارون البجلىّ أخرج اليهم فادعهم الى كتاب الله وسنة نبيه وبكّتهم بأعمالهم الخبيثة فخرج اليهم بكير بن هارون على فرس له أدهم أقرح ذنوب عليه الدرع والمغفر والساعدان في يده الرمح وقد شد درعه بعصابة حمراء من حواشى البرود فنادى بصوت له عال رفيع يا أهل قبلتنا وأهل ملتنا وأهل دعوتنا انّا نسألكم بالله الذى لا اله الا هو الذى علمه بما تسرّون مثل علمه بما تُعلنون لما أنصفتمونا وصدقتمونا وكانت نصيحتكم لله لا لخلقه وكنتم شهداء الله على عباده بما يعلمه الله من عباده خبّرونى عن عبد الملك بن مروان وعن الحجاج بن يوسف ألستم تعلمونهما جبارَين مستأثرين يتبعان الهوى فيأخذان بالظنة ويقتلان على الغضب قال

فتنادوا من كل جانب يا عدوَّ الله كذبت ليسا كذلك فقال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ويلكم أو تعلمون الله مالا يعلم انى قد استشهدتكم وقد قال الله في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه فخرج اليه صارم مولى عدى بن وتاد وصاحب رايته فحمل على بكير بن هارون البجلى فاضطربا بسيفهما فلم تعمل ضربة مولى عدى شيأ وضربه بكير بالسيف فقتله ثم استقدم فقال فارس لفارس فلم يخرج اليه أحد فحمل يقول

صارمُ قد لاقيت سيفا صارما * وأسدا ذا لبدة ضبارما

قال ثم ان الحجاج بن جارية حمل وهو في الميمنة على عمر بن هبيرة وهو في الميسرة وفيها الطفيل ابن عامر بن واثلة فالتقى هو والطفيل وكانا صديقين متواخيين فتعارفا وقد رفع كل واحد منهما السيف على صاحبه فكفا أيديهما فاقتتلوا طويلا ثم ان ميسرة عدى بن وتاد زالت غير بعيد وانصرف الحجاج بن جارية الى موقفه ثم ان الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير فاقتتلوا طويلا ثم ان جماعة الناس حملت على الأسدى فقتلته وانكشفت ميسرة مطرف بن المغيرة حتى انتهت اليه ثم ان عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتله قتالا طويلا ثم انه حدره حتى انتهى الى مطرّف وحمل ابن أقيصر الخثعمى في الخيل على سليمان بن صخر المزنى فقتله وانكشفت خيلهم حتى انتهى الى مطرّف فثم اقتتلت الفرسان أشد قتال رآه الناس قط ثم انه وصل الى مطرّف (قال أبو مخنف) فحدثنى النضر بن صالح انه جعل يناديهم يومئذ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال ولم يزل يقاتل حتى قتل واحتزّ رأسه عمر بن هبيرة وذكرانه قتله وقد كان أسرع اليه غير واحد غير أن ابن هبيرة احتزّ رأسه وأوفده به عدى بن وتاد وحظى به وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاء حسنا (قال أبو مخنف) وقد حدثنى حكيم بن أبي سفيان الأزدى انه قتل يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة وكان صاحب راية مطرّف قال ودخلوا عسكر مطرّف وكان مطرّف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدى فقتل وكان صالحا ناسكا عفيفا (قال أبو مخنف) حدثنى زيد مولاهم انه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمى فما ملكتُ نفسى أن قلت له أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيرا قال فأقبل نحوى وقال من أنت فقال له مولاىَ هذا غلامى ماله قال فأخبره بمقالتى فقال انه ضعيف العقل قال ثم انصرفنا الى الرى مع عدى بن وتاد قال وبعث رجالا من أهل البلاء الى الحجاج فأكرمهم وأحسن اليهم قال ولما رجع الى الرى جاءت بجيلة الى عدى بن وتاد فطلبوا البكير بن هارون الأمان فآمنه وطلبت ثقيف

لسويد بن سرحان الثقفى الأمان فآمنه وطلبت فى كل رجل كان مع مطرف عشيرته فآمنهم وأحسن فى ذلك وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم فى عسكر مطرف فنادوا يا براء خذ لنا الأمان يا براء اشفع لنا فشفع لهم فتركوا وأسر عدى ناسا كثيرا فخلى عنهم (قال أبو مخنف) وحدثنى النضر بن صالح انه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بحلوان فأكرمه وأحسن اليه ثم انه انصرف بعد ذلك الى الكوفة (قال أبو مخنف) وحدثنى عبد الله بن علقمة ان الحجاج بن جارية الخثعمى أتى الرى وكان مكتبه بها فطلب الى عدى فيه فقال هذا رجل مشهور قد شهر مع صاحبه وهذا كتاب الحجاج الى فيه (قال أبو مخنف) فحدثنى أبى عن عبد الله بن زهير قال كنت فيمن كلمه فى الحجاج بن جارية فأخرج الينا كتاب الحجاج بن يوسف أما بعد فان كان الله قتل الحجاج بن جارية فبعدا له فذاك ما أهوى وأحب وان كان حيا فاطلبه قبلك حتى توثقه ثم سرحه الى ان شاء الله والسلام قال فقال لنا قد كتب الى فيه ولا بد من السمع والطاعة ولو لم يكتب الى فيه آمنته لكم وكففت عنه فلم أطلبه وقنا من عنده قال فلم يزل الحجاج بن جارية خائفا حتى عزل عدى بن وتاد وقدم خالد بن عتاب ابن ورقاء فمشيت اليه فيه فكلمته فآمنه وقال حبيب بن خدرة مولى لبنى هلال بن عامر

هل أتى فائدَ عن أيسارنا * اذ خشينا من عدوّ خُرُقَا
اذ أتانا الخوفُ من مأمننا * فطوينا فى سواد أفقَا
وسلى هديةَ يوماً هل رأت * بشراً أكرمَ منا خُلُقَا
وسليها أعلى العهد لنا * أو يَصرّون علينا حَنَقَا
ولكم من خُلةٍ من قبلها * قد صرمنا حبلها فانطلقَا
قد أصبنا العيشَ عيشاً ناعماً * وأصبنا العيش عيشاً رَنَقَا
وأصبتُ الدهر دهراً أشتهى * طبقا منه وألوى طبقَا
وشهدتُ الخيل فى ملمومةٍ * ماترى منهنّ الا الحدقَا
يتساقونَ بأطراف القنا * من نجيع الموت كأساً دهقَا
فطراد الخيل قد يؤنقنى * ويرد اللهوُ عنى الأنقَا
بمشيح البيض حتى يتركوا * لسيوف الهند فيها طُرُقَا
وكأنى من غدٍ وافقتها * مثلَ ما وافقَ شنٌّ طبقَا

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب قطرى بن الفجاءة فخالفه بعضهم واعتزله وبايع عبد ربّ الكبير وأقام بعضهم على بيعة قطرى

ذكر

﴿ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذى من أجله حدث الاختلافُ بينهم حتى صار أمرهم الى الهلاك﴾

* ذكر هشام عن أبى مخنف عن يوسف بن يزيد ان المهلب أقام بسابور فقاتل قطريّا وأصحابه من الأزارقة بعد ماصرف الحجاج عتاب بن ورقاء عن عسكره نحوا من سنة ثم انه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم قتالا شديدا وكانت كرمان فى أيدى الخوارج وفارسُ فى يد المهلب فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذى هم به لا يأتيهم من فارس مادّة وبَعُدَ ديارهم عنهم فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب حتى نزل بجِيرَفْت وجِيرَفْتُ مدينة كرمان فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالا شديدا وحازهم عن فارسَ كلها فلما صارت فارسُ كلها في يدى المهلب بعث الحجاج عليها عُمّاله وأخذها من المهلب فبلغ ذلك عبد الملك فكتب الى الحجاج أما بعد فدَعْ بيد المهلب خراج جبال فارس فانه لابدَّ للجيش من قوة ولصاحب الجيش من معونة ودع له كورة فَسَا ودَرَابْجِرْدَ وكورة اصطخر فتركها للمهلب فبعث المهلب عليها عماله فكانت له قوة على عدوّه ومايصلحه ففى ذلك يقول شاعر الازد وهو يعاتب المهلب

نقاتلُ عن قصورِ دَرَابْجِرْدٍ * ونَجْبى للمُغيرةِ والرُّقادِ

وكان الرقاد بن زياد بن همَّام رجل من العَتيك كريما على المهلب وبعث الحجاج الى المهلب البَراء بن قبيصة وكتب الى المهلب أما بعد فانك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطلمت هذه الخارجة المارقة ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الارض حولك وقد بعثت اليك البراء بن قبيصة لينهضكَ اليهم فانهض اليهم اذا قدم عليك بجميع المسلمين ثم جاهدهم أشد الجهاد واياك والعللَ والاباطيل والامور التى ليست لك عندى بسائغة ولا جائزة والسلام فأخرج المهلب بنيه كل ابن له فى كتيبة وأخرج الناس على راياتهم ومصافهم وأخماسهم وجاء البراء ابن قبيصة فوقفه على تلّ قريب منهم حيث يراهم فأخذت الكتائب تحمل على الكتائب والرجال على الرجال فيقتتلون أشد قتال رآه الناس من صلاة الغداة الى انتصاف النهار ثم انصرفوا فجاء البراء بن قبيصة الى المهلب فقال له لا والله ما رأيت كبَنيك فرسانا قط ولا كفرسانك من العرب فرسانا قط ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك قط اصبر ولا أبأس أنت والله المعذور فرجع بالناس المهلب حتى اذا كان عند العصر خرج اليهم بالناس وبنيه في كتائبهم فقاتلوه كقتالهم في أول مرة (قال أبو مخنف) وحدثنى أبو المغلس الكنانى عن عمه أبى طلحة قال خرجتْ كتيبةٌ من كتائبهم لكتيبة من كتائبنا فاشتد بينهما القتال فأخذت كل واحدة منهما لا تصدّ عن الاخرى فاقتتلتا حتى حجز الليل بينهما فقالت احداهما للأخرى ممن أنتم فقال هؤلاء نحن من بنى تميم وقال هؤلاء نحن من بنى تميم فانصرفوا عند المساء قال المهلب للبراء كيف رأيت قال رأيت قوما والله ما يعينك عليهم الا الله فأحسن الى البراء بن

قبيصة وأجازه وحمله وكساه وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم انصرف الى الحجاج فأتاه بعذر المهلب وأخبره بما رأى وكتب المهلب الى الحجاج أما بعد فقد أتاني كتاب الامير أصلحه الله واتهامه اياي في هذه الخارجة المارقة وأمرني الامير بالنهوض اليهم وإشهاد رسوله ذلك وقد فعلت فليسأله عما رأى فأما أنا فوالله لو كنت أقدر على استئصالهم أو ازالتهم عن مكانهم ثم أمسكت عن ذلك لقد غششت المسلمين وما وفيت لامير المؤمنين ولا نصحت الامير أصلحه الله فمعاذ الله أن يكون هذا من رأيي ولا مما أدين الله به والسلام ثم ان المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهرا لا يستقل منهم شيأ ولا يرى في موطن يُنقعون له ولمن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يردعونهم به ويكفونهم عنهم ثم ان رجلا منهم كان عاملا لقطري على ناحية من كرمان خرج في سرية لهم يدعى المُقعطر من بني ضبة فقتل رجلا قد كان ذا بأس من الخوارج ودخل منهم في ولاية فقتله المقعطر فوثبت الخوارج الى قطري فذكروا له ذلك وقالوا أمكنا من الضبي نقتله بصاحبنا فقال لهم ما أرى أن أفعل رجل تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه وهو من ذوي الفضل منكم والسابقة فيكم قالوا بلى قال لهم لا فوقع الاختلاف بينهم فولوا عبد رب الكبير وخلعوا قطريا وبايع قطريا منهم عصابة نحو من ربعهم أو خمسهم فقاتلهم نحوا من شهر غدوة وعشية فكتب بذلك المهلب الى الحجاج أما بعد فان الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم فخلع عظمهم قطريا وبايعوا عبد رب الكبير وبقيت عصابة منهم مع قطري فهم يقاتل بعضهم بعضا غدوا وعشيا وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم ان شاء الله والسلام فكتب اليه أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها فاذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا فتكون مؤنتهم عليك أشد والسلام فكتب اليه أما بعد فقد بلغني كتاب الامير وكل ما فيه قد فهمت ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضا وينقص بعضهم عدد بعض فإن تموا على ذلك فهو الذي نريد وفيه هلاكهم وان اجتمعوا لم يجتمعوا الا وقد رقق بعضهم بعضا فأناهضهم على تفيئة ذلك وهم أهون ما كانوا وأضعفه شوكة ان شاء الله والسلام فكف عنه الحجاج وتركهم المهلب يقتتلون شهرا لا يحركهم ثم ان قطريا خرج بمن اتبعه نحو طبرستان وبايع عامتهم عبد رب الكبير فنهض اليهم المهلب فقاتلوه قتالا شديدا ثم ان الله قتلهم فلم ينج منهم الا قليل وأخذ عسكرهم وما فيه وسبوا لانهم كانوا يسبون المسلمين وقال كعب الاشقري والاشقر بطن من الأزد يذكر يوم رام هرمز وأيام سابور وأيام جيرفت

يا حفصَ اني عدانى عنكم السفرُ * وقد أرقتُ فآذى عينيَ السهرُ
علقتَ يا كعبُ بعد الشيب غانيةً * والشيب فيه عن الأهواء مزدجرُ
أممسكٌ أنت عنها بالذي عهدتْ * أم حبلها اذ نأتكَ اليومَ منبترُ

علقت

عُلِقتُ خَوْدًا بأعلى الطفّ منزلُها * فى غُرْفَةٍ دونها الابواب والحُجَرُ
دُرْمًا مَنَاكِبُهَا رَيَّا مآكِمُهَا * تكاد اذ نَهَضَتْ للمشى تنبتِرُ
وقد تركتُ بشطّ الزَّابِيَيْنِ لها * دارًا بها يَسْعَدُ البَادُونَ والحضَرُ
واخترتُ دارًا بها حَيٌّ أُسَرُّ بهم * مازال فيهم لمن نختارُهُمْ خِيَرُ
لمَّا نَبَتْ بى بلادى سِرْتُ مُنتجِعًا * وَطَالِبُ الخير مُرْتادٌ ومُنتظِرُ
أبا سعيد فانى جئتُ مُنتجِعًا * أرْجُو نوالَكَ لمَّا مَسَّنِى الضَّرَرُ
لولا المهلبُ مازُرْنا بلادَهمُ * مادامت الأرضُ فيها الماءُ والشجرُ
فما من الناس من حَيٍّ عَلِمتُهمُ * الا يُرَى فيهم من سَيْبِكم أثرُ
أحيَيْتَهم بِسِجالٍ مِن نَدَاكَ كما * تحيا البلادُ اذا ماسها المطرُ
إنى لأرجو اذا مافاقةٌ نزلَتْ * فضلًا من الله في كفَّيكَ يَبْتَدِرُ
فاجبرْ أخالك أوهى الفقرُ قوّتَهُ * لَعَلَّهُ بعدَ وَهْيِ العظمِ يَنجبِرُ
جَفَا ذَوُو نَسَبِى عنى وأخلفَنى * ظَنّى فلله دَرّى كيف آتمِرُ
ياوَاهِبَ القَيْنَةِ الحسناءِ سُنَّتُها * كالشمس هِزْكَولَةً فى طَرْفِها فَتَرُ
وما تزال بُدُورٌ منكَ رائحة * وآخرون لهم من سَيْبِكَ الغُرَرُ
نماكَ للمجد أملاكٌ وَرِثْتَهُمُ * شُمُّ العَرانينِ فى أخلاقهم يَسَرُ
ثارُوا بقتلى وأوتارٍ تُعَدِّدُها * فى حينِ لاحَدَثٌ فى الحرب يُتَّأرُ
واستسلمَ الناسُ اذحلَّ العدوُّ بهم * فما لأمرِهِمِ وِرْدٌ ولا صَدَرُ
وما تجاوزَ بابَ الجسر من أحدٍ * وعضَّتِ الحربُ أهلَ المصرِ فانجحروا
وأدخلَ الخوفُ أجوافَ البيوتِ على * مثلِ النساءِ رجالٍ مابهم غِيَرُ
واشتدَّتِ الحربُ والبَلوَى وحلَّ بنا * أمرٌ تُشَمَّرُ في أمثاله الازُرُ
نظلُّ من دون خفضٍ معصمين بهم * فَشَمَّرَ الشيخُ لمَّا أعظمَ الخطرُ
كنا نُهَوِّنُ قبلَ اليوم شأنَهمُ * حتى تفاقمَ أمرٌ كان يُحتقَرُ
لمَّا وَهَنَّا وقد حلوا بساحتِنَا * واستنفر الناسُ تاراتٍ فما نفرُوا
نادى امرؤٌ لاخلافَ فى عشيرتِه * عنهُ وليس به فى مثله قِصَرُ
أفشى هنالك مما كان مذ عصروا * فيهم صنائعَ مما كان يُدَّخَرُ
تلبَّسُوا لقِراعِ الحربِ بِزَّتَها * فأصبحوا من وراء الجسر قد عَبَرُوا
ساروا بألويةٍ للمجد قد رُفِعَتْ * وتحتهنَّ لُيُوثٌ في الوغا وُقُرُ

حتى اذا خلّفوا الأهواز واجتمعوا * برام هرمز وافاهم بها الخبر
نعيُّ بشر فجال القوم وانصدعوا * الا بقايا اذا ما ذكّروا ذكروا
ثم استمرّ بنا راضٍ ببيعته * ينوى الوفاء ولم نغدر كما غدروا
حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد * شُبّت لنا ولهم نار لها شرر
نلقى مساعير أبطالاً كأنهم * جنٌّ نقارعهم ما مثلهم بشر
نُسقى ونسقيهم سمًّا على حنقٍ * مستأنفي الليل حتى أسفر السحر
قتلى هنالك لا عقلٌ ولا قودٌ * منّا ومنهم دماء سفكها هدر
حتى تنحّوا لنا عنها تسوقهم * منا ليوث اذا ما أقدموا جسروا
لم يغن عنهم غداة التلّ كيدهم * عند الطعان ولا المكر الذى مكروا
باتت كتائبنا تردى مسوّمة * حول المهلب حتى نوّر القمر
هناك ولّوا حزانا بعد ما فرحوا * وحال دونهم الأنهار والجدر
عبّوا جنودهم بالسفح اذ نزلوا * بكازرون فما عزّوا ولا ظفروا
وقد لقوا مصدقًا منا بمنزلة * ظنوا بأن ينصروا فيها فما نصروا
بدشت بارين يوم الشعب اذ لحقت * أسد بسفك دماء الناس قد زئروا
لاقوا كتائب لا يخلون ثغرهم * فيهم على من يقاسى حربهم صعر
المقدمين اذا ما خيلهم وردت * والعاطفين اذا ما ضيّع الدبر
وفى جبيرين اذ صفّوا بزحفهم * ولوا خزايا وقد فلّوا وقد قهروا
والله ما نزلوا يومًا بساحتنا * إلا أصابهم من حربنا ظفر
ننفيهم بالقنا عن كل منزلةٍ * تروح منا مساعير وتبتكر
ولوا حذارًا وقد هزّوا أسنتنا * نحو الحروب فما نجّاهم الحذر
صلت الجبين طويل الباع ذو فرح * ضخم الدسيعة لا وانٍ ولا غمر
مجرّب الحرب ميمونٌ نقيبته * لا يستخفّ ولا من رأيه البطر
وفى ثلاث سنين يستديم بنا * يقارع الحرب أطوارا ويأتمر
يقول إنّ غدًا مبدٍ لناظره * وفى الليالى وفى الأيام معتبر
دعوا التتابع والإسراع وارتقبوا * انّ المحارب يستأنى وينتظر
حتى أتته أمور عندها فرج * وقد تبين ما يأتى وما يذر
لما زواهم الى كرمان وانصدعوا * وقد تقاربت الآجال والقدر

سرنا اليهم بمثل الموج وازدلفوا * وقبل ذلك كانت بيننا مئر
وزادنا حنقاً قتلى نذكرها * لا تستفيق عيون كلما ذكروا
اذا ذكرنا جروزاً والذين بها * قتلى مضى لهم حولان ما قبروا
تأتى علينا حزازات النفوس فما * نبقى عليهم وما يبقون ان قدروا
ولا يقيلوننا فى الحرب عثرتنا * ولا نقيلهم يوماً اذا عثروا
لا عذر يقبل منا دون أنفسنا * ولا لهم عندنا عذر لو اعتذروا
صفان بالقاع كالطودين بينهما * كالبرق يلمع حتى يشخص البصر
على بصائر كل غير تاركها * كلا الفريقين تتلى فيهم السور
يمشون فى البيض والأبدان اذ وردوا * مشى الزوامل تهدى صفهم زمر
وشيخنا حوله منا ململمة * حى من الأزد فيما نابهم صبر
فى موطن يقطع الابطال منظره * تشاط فيه نفوس حين تبتكر
مازال منا رجال ثم نضربهم * بالمشرفى ونار الحرب تستعر
وباد كل سلاح يستعان به * فى حومة الموت الا الصارم الذكر
ندوسهم بعناجيج مجففة * وبيننا ثم من صم القنا كسر
يغشين قتلى وعقرى ما بها رمق * كأنما فوقها الجادى يعتصر
قتلى بقتلى قصاص يستقاد بها * تشفى صدور رجال طال ما وتروا
مجاورين بها خيلاً معقرة * للطير فيها وفى أجسادهم جزر
في معرك تحسب القتلى بساحته * أعجاز نخل زفته الريح ينقعر
وفي مواطن قبل اليوم قد سلفت * قد كان للأزد فيها الحمد والظفر
فى كل يوم تلاقى الأزد مفظعة * يشيب في ساعة من هولها الشعر
والأزد قومى خيار القوم قد علموا * اذا قروهم يوم الوغى خطروا
فيهم معاقل من عز يلاذ بها * يوماً اذا شمرت حرب لها درر
حى بأسيافهم يبغون مجدهم * ان المكارم في المكروه تبتدر
لولا المهلب للجيش الذى وردوا * أنهار كرمان بعد الله ما صدروا
انا اعتصمنا بحبل الله اذ جحدوا * بالمحكمات ولم نكفر كما كفروا
جاروا عن القصد والإسلام واتبعوا * ديناً يخالف ما جاءت به النذر

وقال الطفيل بن عامر بن واثلة وهو يذكر قتل عبد ربه الكبير وأصحابه وذهاب قطرى

في الأرض واتباعهم اياه وهم اوغنه اياهم

لقد مسَّ مناعبد ربٍّ وجنده * عقابٌ فأمسى سَبْيُهم في المقاسم

سمالهمُ بالجيش حتى أزاحهم * بكرمان عن مثوًى من الأرض ناعم

وماقطريٌّ الكفر الانعامةٌ * طريد يُدوِّى ليله غير نائم

اذا فرَّ منا هاربًا كان وَجْهُهُ * طريقًا سوى قصد الهدى والمعالم

فليس بمنجيه الفرار وإنْ جرت * به الفلكُ في لج من البحر دائم

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة كانت هلكة قطريّ وعبيدة بن هلال وعبد رب الكبير ومن كان معهم من الأزارقة

﴿ذكر سبب مهلكهم﴾

وكان سبب ذلك ان أمر الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد رب الكبير وبعضهم مع قطريّ ووهى أمرُ قطريّ توجه يريد طبرستان وبلغ أمره الحجاج فوجه فيما ذكر هشام عن أبي مخنف عن يونس بن يزيد سفيان بن الأبرد ووجه معه جيشا من أهل الشأم عظيما في طلب قطريّ فأقبل سفيان حتى أتى الرى ثم أتبعهم وكتب الحجاج الى اسحاق بن محمد بن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان أن اسمعْ وأطع لسفيان فأقبل الى سفيان فسار معه في طلب قطريّ حتى لحقوه في شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه فتفرق عنه أصحابه ووقع عن دابته في أسفل الشعب فتدهدى حتى خرَّ الى أسفله فقال معاوية بن محصن الكنديّ رأيته حيث هوى ولم أعرفه ونظرت الى خمس عشرة امرأة عربية هنّ في الجمال والبرازة وحسن الهيئة كما شاء ربك ماعدا العجوز فيهنّ فحملت عليهنّ فصرفتهنّ الى سفيان بن الابرد * فلما دنوت بهنّ منه انتحت لى بسيفها العجوزُ فتضرب به عنقى فقطعت المغفر وقطعت جلدةً من حلقى وأختلج السيف فأضرب به وجهها فأصاب قحف رأسها فوقعت ميتةً وأقبلتُ بالفتيات حتى دفعتهنّ الى سفيان وإنه ليضحك من العجوز وقال ماأردت الى قتل هذه أخزاها الله فقلت أوما رأيت أصلحك الله ضربتها اياى والله ان كادت لتقتلنى قال قد رأيت فوالله ما ألومك على فعلك أبعدها الله وبأتى قطريًّا حيث تدهدى من الشعب علجٌ من أهل البلد فقال له قطريّ اسقنى من الماء وقد كان اشتدّ عطشه فقال أعطنى شيأ حتى أسقيك فقال ويحك والله مامعى الا ماترى من سلاحى فأنا مؤتيكه اذا أتيتنى بماء قال لا بل أعطنيه الآن قال لا ولكن ائتنى بماء قبلُ فانطلق العلج حتى أشرف على قطريّ ثم حدّر عليه حجرا عظيما من فوقه دهدأه عليه فأصاب احدى وركيه فأوهنته وصاح بالناس فأقبلوا نحوه والعلج حينئذ لا يعرف قطريا غير أنه يظنّ انه من أشرافهم لحسن هيئته وكمال سلاحه فدفع

اليه

اليه نفرٌ من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه منهم سورة بن أبجر التميمىّ وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف والصباح بن محمد بن الاشعث وبادام مولى بنى الاشعث وعمر بن أبى الصلت ابن كناز مولى بنى نصر بن معاوية وهو من الدهاقين فكل هؤلاء ادّعوا قتله فدفع اليهم أبو الجهم بن كنانة الكلبى وكلهم يزعم انه قاتله فقال لهم ادفعوه الىّ حتى تصطلحوا فدفعوه اليه فأقبل به الى اسحاق بن محمد وهو على أهل الكوفة ولم يأته جعفر لشئ كان بينه وبينه قبل ذلك وكان لا يكلمه وكان جعفر مع سفيان بن الابرد ولم يكن معه اسحاق كان جعفر على ربع أهل المدينة بالرى * فلما مرّ سفيان بأهل الرىّ انتخب فرسانهم بأمر الحجاج فسار بهم معه فلما أتى القوم بالرأس فاختصموا فيه اليه وهو فى يدى أبى الجهم بن كنانة الكلبى قال له امض به أنت ودع هؤلاء المختلفين فخرج برأس قطرىّ حتى قدم به على الحجاج ثم أتى به عبد الملك بن مروان فألحق فى ألفين وأعطى قطما يعنى انه يفرض للصغار فى الديوان وجاء جعفر الى سفيان فقال له أصلحك الله ان قطريا كان أصاب والدى فلم يكن لى همٌّ غيره فاجمع بينى وبين هؤلاء الذين ادّعوا قتله فسلهم ألم أكن أمامهم حتى بدرتُهم فضربته ضربة فصرعته ثم جاؤنى بعدُ فأقبلوا يضربونه بأسيافهم فان أقروا لى بهذا فقد صدقوا وان أبوا فأنا أحلف بالله أنى صاحبه والا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه وانهم لا يعرفون ما أقول ولا حقّ لى فيه قال جئتَ الآن وقد سرحنا بالرأس فانصرف عنه فقال لاصحابه أما والله إنك لاخلق القوم أن تكون صاحبه ثم ان سفيان بن الابرد أقبل منصرفا الى عسكر عبيدة ابن هلال وقد تحصّن فى قصر بقومس فحاصره فقاتله أياما ثم ان سفيان بن الابرد سار بنا اليهم حتى أحطنا بهم ثم أمر مناديَه فنادى فيهم أيما رجلٍ قتل صاحبه ثم خرج الينا فهو آمن فقال عبيدة بن هلال

لعمرى لقد قام الاصمّ بخطبة * لذى الشك منها فى الصدُور غليلُ

لعمرى لئن أعطيتُ سفيان بيعتى * وفارقتُ دينى إننى لجهولُ

الى الله أشكو ما ترى بجيادنا * تساوكُ هزلى مخهُنّ قليلُ

تعاورها القُذّافُ من كل جانبٍ * بقومس حتى صعْبهُن ذلولُ

فان يكُ أفناها الحصارُ فربما * تشحّطَ فيما بينهن قتيلُ

وقد كُنّ مما ان يُقدْن على الوجى * لهنّ بأبواب القباب صهيلُ

فحاصرهم حتى جهدوا وأكلوا دوابّهم ثم انهم خرجوا اليه فقاتلوه فقتلهم وبعث برؤسهم الى الحجاج ثم دخل الى دُنباوند وطبرستان فكان هنالك حتى عزله الحجاج قبل الجماجم ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدىَّ أميةُ بن عبد الله بن خالد ابن أسيد

﴿ ذكر سبب قتله اياه ﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر على بن محمد عن المفضل بن محمد ان أمية بن عبد الله وهو عامل عبد الملك بن مروان على خراسان ولى بكيرا غزو ما وراء النهر وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان فتجهز للخروج اليها وأنفق نفقة كثيرة فوشى به اليه بحير بن ورقاء الصريمى على ما بينت قبل فأمره أمية بالمقام * فلما ولاه غزو ما وراء النهر تجهز وتكلف الخيل والسلاح وادان من رجال السغد وتجارهم فقال بحير لأمية إن صار بينك وبينه النهر ولقى الملوك خلع الخليفة ودعا الى نفسه فأرسل اليه أمية أقم لعلى أغزو فتكون معى فغضب بكير وقال كأنه يضارنى وكان عتاب اللقوة الغدانى استدان ليخرج مع بكير فلما أقام أخذه غرماؤه فحبس فأدى عنه بكير وخرج ثم أجمع أمية على الغزو قال فأمر بالجهاز ليغزو بخارى ثم يأتى موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ فاستعد الناس وتجهزوا واستخلف على خراسان ابنه زيادا وسار معه بكير فعسكر بكشماهن فأقام أياما ثم أمر بالرحيل فقال له بحير انى لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكير فليكن فى الساقة وليحشر الناس قال فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر فقال له أمية اقطع يا بكير فقال عتاب اللقوة الغدانى أصلح الله الامير أعبر ثم يعبر الناس بعدك فعبر ثم عبر الناس فقال أمية لبكير قد خفت أن لا يضبط ابنى عمله وهو غلام حدث فارجع الى مرو فاكفنيها فقد وليتكها فزين ابنى وقم بأمره فانتخب بكير فرسانا من فرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبر ومضى أمية الى بخارى على مقدمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبر وقد مضى أمية إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان ثم طلبنا أميرا من قريش يجمع أمرنا فجاءنا أمير يلعب بنا يحولنا من سجن الى سجن قال فما ترى قال احرق هذه السفن وامض الى مرو فاخلع أمية وتقيم بمرو وتأكلها الى يوم ما قال فقال الأحنف بن عبد الله العنبرى الرأى ما رأى عتاب فقال بكير إنى أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معى فقال أتخاف عدم الرجال انا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك هؤلاء الذين معك قال يهلك المسلمون قال انما يكفيك أن ينادى مناد من أسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفا من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع قال فيهلك أمية ومن معه قال ولم يهلكون ولهم عدة وعدد ونجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة ليقاتلوا عن أنفسهم حتى يبلغوا الصين فأحرق بكير السفن ورجع الى مرو فأخذ ابن أمية فحبسه ودعا الناس الى خلع أمية فأجابوه وبلغ أمية فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ورجع فأمر باتخاذ السفن فاتخذت له وجمعت وقال لمن معه من وجوه تميم ألا تعجبون من بكير إنى قدمت خراسان فحذرته ورفع عليه وشكى منه وذكروا أموالا أصابها فأعرضت عن ذلك كله ثم لم أفتشه عن شىء ولا أحدا من عماله ثم

عرضت عليه شرطتي فأبى فأعفيته ثم وليته خذرته فأمرته بالمقام وما كان ذلك الا نظر الله ثم رددته الى مرو وليته الأمر فكفر ذلك كله وكافأني بما ترون فقال له قوم أيها الامير لم يكن هذا من شأنه انما أشار عليه بإحراق السفن عتاب اللقوة فقال وما عتاب وهل عتاب الا دجاجة حاضنة فبلغ قوله عتابا فقال عتاب في ذلك

إنَّ الحواضنَ تلقاها مجففةً * غُلْبَ الرقاب على المنسوبة النُّجُبِ

تركتَ أمرَكَ من جُبنٍ ومن خَوَرٍ * وجئتنا حُمقًا يا ألأمَ العربِ

لما رأيتَ جبالَ السُّغْدِ مُعْرِضةً * وليتَ موسى ونوحا عَكْوةَ الذَّنَبِ

وجئتَ ذيخًا مُغِذًّا ما تُكلّمنا * وطرْتَ من سَعَفِ البحرين كالخربِ

أوعدُ وعيدكَ انى سوف تعرِفُنِي * تحتَ الخوافقِ دون العارضِ اللجِبِ

يَخُبُّ بى مشرفٌ عار نواهقُهُ * يَغْشَى الكتيبةَ بين العدْوِ والخببِ

قال فلما تهيأت السفن عبر أمية وأقبل الى مرو وترك موسى بن عبد الله وقال اللهم إني أحسنت الى بكير فكفر إحساني وصنع ما صنع اللهمّ أكفنيه فقال شماس بن دثار وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن خازم فغزا مع أمية أيها الأمير أكفيكه ان شاء الله فقدّمه أمية في ثمانمائة فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر وسار اليه بكير ومعه مُدركُ بن أنيف وأبوه مع شماس فقال اما كان في تميم أحد يحارب بني غيرك ولامه فأرسل اليه شماس أنت ألوم وأسوء صنيعا مني لم تفِ لأمية ولم تشكر له صنيعه بك قدم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك قال فبيّته بكير ففرّق جمعه وقال لا تقتلوا منهم أحدا وخذوا سلاحهم فكانوا اذا أخذوا رجلا سلبوه وخلوا عنه فتفرّقوا ونزل شماس فى قرية لطيئ يقال لها بُوَينه وقدم أمية فنزل كشماهن ورجع اليه شماس بن دثار فقدّم أمية ثابت بن قطبة مولى خزاعة فلقيه بكير فأسر ثابتا وفرّق جمعه وخلى بكير سبيل ثابت ليد كانت له عنده قال فرجع الى أمية فأقبل أمية فى الناس فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رُستم الخليل بن أوس العَبْشمى فأبلى يومئذ فنادوه يا صاحب شرطة عارمة وعارمةُ جارية بكير فأحجم فقال له بكير لا أبالك لا يهدّك نداء هؤلاء القوم فإن للعارمة فحلا يمنعها فقدّم لواءك فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط فنزل السوق العتيقة ونزل أميةُ باسان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد فانكشفوا يوما فحماهم بكير ثم التقوا يوما آخر في الميدان فضرب رجل من بنى تميم على رجله فجعل يسحبها وهريم يحميه فقال الرجل اللهمّ أيّدنا فأمدّنا بالملائكة فقال له هريم أيها الرجل قاتلْ عن نفسك فإن الملائكة فى شغل عنك فتحامل ثم أعاد قوله اللهمّ أمدّنا بالملائكة فقال هريم لتكفنّ عنى أولأ دعنك والملائكة وحماه حتى ألحقه بالناس قال ونادى رجل من بنى تميم يا أميةُ يا فاضحَ قريش فآلى أميةُ إن ظفر به أن يذبحه فظفر به

فذبحه بين شرفتين من المدينة ثم التقوا يوما آخر فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتمى أنا ابن وشاح فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير فانحاز بكير وانكشف أصحابه وأتبع حريث بكيرا حتى بلغ القنطرة فناداه أين يا بكير فكر عليه فضربه حريث على رأسه فقطع المغفر وعض السيف برأسه فصرع فاحتمله أصحابه فأدخلوه المدينة قال فكانوا على ذلك يقاتلونهم وكان أصحاب بكير يغدون متفضلين في ثياب مصبغة وملاحف وأزر صفر وحمر فيجلسون على نواحي المدينة يتحدثون وينادي مناد من رمى بسهم رمينا اليه برأس رجل من ولده وأهله فلا يرميهم أحد قال فأشفق بكير وخاف ان طال الحصار أن يخذله الناس فطلب الصلح وأحب ذلك أيضا أصحاب أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة فقالوا لأمية صالحه وكان أمية يحب العافية فصالحه على أن يقضي عنه أربعمائة ألف ويصل أصحابه ويوليه أي كور خراسان شاء ولا يسمع قول بحير فيه وان رابه منه ريب فهو آمن أربعين يوما حتى يخرج عن مرو فأخذ الأمان لبكير من عبد الملك وكتب له كتابا على باب سنجان ودخل أمية المدينة قال وقوم يقولون لم يخرج بكير مع أمية غازيا ولكن أمية لما غزا استخلفه على مرو فخلعه فرجع أمية فقاتله ثم صالحه ودخل مرو ووفى أمية لبكير وعاد الى ما كان عليه من الإكرام وحسن الإذن وأرسل الى عتاب اللقوة فقال أنت صاحب المشورة فقال نعم أصلح الله الأمير قال ولم قال خف ما كان في يدي وكثر ديني وأعديت على غرمائي قال ويحك فضربت بين المسلمين وأحرقت السفن والمسلمون في بلاد العدو وما خفت الله قال قد كان ذلك فأستغفر الله قال كم دينك قال عشرون ألفا قال تكف عن غش المسلمين وأقضي دينك قال نعم جعلني الله فداك قال فضحك أمية وقال ان ظني بك غير ما تقول وسأقضي عنك فأدى عنه عشرين ألفا وكان أمية سهلا لينا سخيا لم يعط أحد من عمال خراسان بها مثل عطاياه قال وكان مع ذلك ثقيلا عليهم كان فيه زهو شديد وكان يقول ما أكتفي بخراسان وسجستان لمطبخي وعزل أمية بحيرا عن شرطته وولاها عطاء ابن أبي السائب وكتب الى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه فضرب عبد الملك بعثا الى أمية بخراسان فتجاعل الناس فأعطى شقيق بن سليل الأسدي جعالته رجلا من جرم وأخذ أمية الناس بالخراج واشتد عليهم فيه فجلس بكير يوما في المسجد وعنده ناس من بني تميم فذكر واشدة أمية على الناس فذموه وقالوا سلط علينا الدهاقين في الجباية وبحير وضرار بن حصن وعبد العزيز بن جارية بن قدامة في المسجد فنقل بحير ذلك الى أمية فكذبه فادعى شهادة هؤلاء وادعى شهادة مزاحم بن أبي المجشر السلمي فدعا أمية مزاحما فسأله فقال انما كان يمزح فأعرض عنه أمية ثم أتاه بحير فقال أصلح الله الأمير ان بكيرا والله قد دعاني الى خلعك وقال لولا مكانك لقتلت هذا القرشي وأكلت خراسان

فقال

فقال أمية ما أصدّق بهذا وقد فعل ما فعل فآمنته ووصلته قال فأتاه بضرار بن حصن وعبد العزيز بن جارية فشهدا ان بكيرا قال لهما لو أطعتمانى لقتلت هذا القرشىّ المخنث وقد دعانا الى الفتك بك فقال أمية أنتم أعلم وما شهدتم وما أظن هذا به وإن تركه وقد شهدتم بما شهدتم عجزٌ وقال لحاجبه عبيدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبى السائب اذا دخل بكير وبدل وشمردل ابنا أخيه فنهضتُ فخذوهم وجلس أمية للناس وجاء بكير وابنا أخيه فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل وخرج الناس وخرج بكير فحبسوه وابنَى أخيه فدعا أمية ببكير فقال أنت القائل كذا وكذا قال تثبَّت أصلحك الله ولا تسمعنّ قول ابن المحلوقة فحبسه وأخذ جاريته العارمة فحبسها وحبس الاحنف بن عبد الله العنبرىّ وقال أنت ممن أشار على بكير بالخلع * فلما كان من الغد أخرج بكيرا فشهد عليه بحيرٌ وضرار وعبد العزيز ابن جارية أنه دعاهم الى خلعه والفتك به فقال أصلحك الله تثبت فان هؤلاء أعدائى فقال أمية لزياد ابن عقبة وهو رأس أهل العالية ولابن وَلاَن العدوىّ وهو يومئذ من رؤساء بنى تميم وليعقوب بن خالد الذّهلىّ أتقتلونه فلم يجيبوه فقال لبَحير أتقتله قال نعم فدفعه اليه فنهض يعقوب بن القعقاع الاعلم الازدىّ من مجلسه وكان صديقا لبكير فاحتضن أمية وقال أذكرك الله أيها الامير في بكير فقد أعطيتَه ما أعطيته من نفسك قال يا يعقوب ما يقتله الا قومه شهدوا عليه فقال عطاء بن أبى السائب الليثىّ وهو على حرس أمية خلّ عن الامير قال لا فضربه عطاء بقائم السيف فأصاب أنفه فأدماه فخرج ثم قال لبحير يا بحير إن الناس أعطوا بكيرا ذمتهم فى صلحه وأنت منهم فلا تخفر ذمتك قال يا يعقوب ما أعطيته ذمة ثم أخذ بحير سيف بكير الموصول الذى كان أخذه من إسوار الترجمان ترجمان ابن خازم فقال له بكير يا بحير انك تفرّق أمر بنى سعد إن قتلتنى فدع هذا القرشىّ يلى منى ما يريد فقال بحير لا والله يا ابن الإصبهانية لا تصلح بنو سعد ما دمنا حيَّين قال فشأنك يا ابن المحلوقة فقتله وذلك يوم جمعة وقتل أمية ابنى أخى بكير ووهب جارية بكير العارمةَ لبَحير وكلّمَ أميةُ فى الاحنف بن عبد الله العنبرىّ فدعا به من السجن فقال وأنت ممن أشار على بكير وشتمه وقال قد وهبتك لهؤلاء قال ثم وجّه أميةُ رجلا من خُزاعة الى موسى بن عبد الله بن خازم فقتله عمرو بن خالد بن حصن الكلابىّ غيلة فتفرّق جيشه فاستأمن طائفةٌ منهم موسى فصار وا معه ورجع بعضهم الى أمية ﴿وفى هذه السنة﴾ عبر النهر نهر بلخ أمية للغزو فحوصر حتى جهد هو وأصحابه ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك فانصرف والذين معه من الجند الى مرو وقال عبد الرحمن بن خالد ابن العاص بن هشام بن المغيرة يهجو أمية

ألا أبلغ أمية أن سيُجزَى * ثواب الشرّ إنّ له ثوابا
ومَن ينظر عتابَكَ أو يَرُدُّه * فلستُ بناظر منك العتابا
محا المعروفَ منك خلالُ سوء * مُنحتَ صَنيعَها بابًا فبابا

وَمَن سَمّاكَ إذ قسم الاسامى * أمية اذوُلدتَ فقد أصابا

﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ❁ وحدّثنى أحمد بن ثابت عمن حدّثه عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال حج أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حجتين سنة ٧٦ وسنة ٧٧ وقد قيل ان هلاك شبيب كان فى سنة ٧٨ وكذلك قيل فى هلاك قطرى وعبيدة بن هلال وعبد رب الكبير وغزا فى هذه السنة الصائفة الوليد

## ﴿ثم دخلت سنة ثمان وسبعين﴾

### ﴿ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة﴾

فمن ذلك عزل عبد الملك بن مروان أميةَ بن عبد الله عن خراسان وضمّه خراسان وسجستان الى الحجاج بن يوسف فلما ضم ذلك اليه فرّق فيه عماله

### ﴿ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان وذكر السبب فى توليته من ولاه ذلك وشيأ منه﴾

﴿ذكر﴾ ان الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخص من الكوفة الى البصرة واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبى عقيل وقد قيل انه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله ابن عامر الحضرمى ثم عزله وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله فقدم عليه المهلب بها وقد فرغ من الازارقة فقال هشام حدّثنى أبو مخنف عن أبى المخارق الراسى ان المهلب بن أبى صفرة لما فرغ من الازارقة قدم على الحجاج وذلك سنة ٧٨ فأجلسه ودعا بأصحاب البلاء من المهلب فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلا من أصحابه ببلاء حسن الا صدّقه الحجاج بذلك فحملهم الحجاج وأحسن عطاياهم وزاد فى أعطياتهم ثم قال هؤلاء أصحاب الفعال وأحق بالاموال هؤلاء حماة الثغور وغيظ الاعداء (قال هشام) عن أبى مخنف قال يونس بن أبى اسحاق قد كان الحجاج ولى المهلب سجستان مع خراسان فقال له المهلب الا أدلك على رجل هو أعلم بسجستان منى وقد كان ولى كابل وزابل وجباهم وقاتلهم وصالحهم قال له بلى فمن هو قال عبيد الله بن أبى بكرة ثم انه بعث المهلب على خراسان وعبيد الله بن أبى بكرة على سجستان وكان العامل هنالك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية وكان عاملا لعبد الملك بن مروان لم يكن للحجاج شئ من أمره حين بعث على العراق حتى كانت تلك السنة فعزله عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج فمضى المهلب الى خراسان وعبيد الله بن أبى بكرة الى سجستان فمكث عبيد الله بن أبى بكرة بقية سنته فهذه رواية أبى مخنف عن أبى المخارق وأما على بن محمد فانه ذكر عن المفضل بن محمد ان خراسان وسجستان جمعتا للحجاج مع العراق فى أول سنة ٧٨ بعد ما قتل الخوارج فاستعمل عبيد الله بن أبى

بكرة على خراسان والمهلب بن أبي صفرة على سجستان فكره المهلب سجستان فلقى عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي وكان على شرطة الحجاج فقال ان الأمير ولاني سجستان وولى ابن أبي بكرة خراسان وأنا أعرف بخراسان منه قد عرفتها أيام الحكم بن عمرو الغفارى وابن أبي بكرة أقوى على سجستان مني فكلم الأمير يحوّلني الى خراسان وابن ابى بكرة الى سجستان قال نعم وكلم زاذان فرّوخ يُعيني فكلمه فقال نعم فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج وليت المهلب سجستان وابن أبي بكرة أقوى عليها منه فقال زاذان فروخ صدق قال إنا قد كتبنا عهده قال زاذان فروخ ما أهوَن تحويل عهده فحوّل ابن ابى بكرة الى سجستان والمهلب الى خراسان وأخذ المهلب بألف ألف من خراج الاهواز وكان ولاها اياه خالد بن عبد الله فقال المهلب لابنه المغيرة ان خالدا ولاني الأهواز وولاك اصطخر وقد أخذني الحجاج بألف ألف فنصفٌ عليّ ونصف عليك ولم يكن عند المهلب مال كان اذا عزل استقرض قال فكلم اباماويّة مولى عبد الله بن عامر وكان أبو ماويّة على بيت مال عبد الله بن عامر فأسلف المهلب ثلثمائة ألف فقالت خَيرَةُ القشَيْريّة امرأة المهلب هذا لا يفى بما عليك فباعت حليًا لها ومتاعا فأكمل خمسمائة ألف وحمل المغيرة الى أبيه خمسمائة ألف فحملها الى الحجاج ووجّه المهلب ابنه حبيبا على مقدمته فأتى الحجاج فودعه فأمر الحجاج له بعشرة آلاف وبغلة خضراء قال فسار حبيب على تلك البغلة حتى قدم خراسان هو وأصحابه على البريد فسار عشرين يوما فتلقاهم حين دخلوا حملُ حطب فنفرت البغلة فتعجبوا منها ومن نفارها بعد ذلك التعب وشدة السير فلم يعرض لامية ولا لعماله وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة ٧٩

﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة الوليد بن عبد الملك حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن ابى معشر وكان أمير المدينة فى هذه السنة أبان بن عثمان وأمير الكوفة والبصرة وخراسان وسجستان وكرمان الحجاج بن يوسف وخليفته بخراسان المهلب وبسجستان عبيد الله بن أبي بكرة وعلى قضاء الكوفة شريح وعلى قضاء البصرة فيما قيل موسى بن أنس وأغزى عبد الملك في هذه السنة يحيى بن الحكم

## ﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ﴾

### ﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة﴾

فن ذلك ما أصاب أهل الشأم فى هذه السنة من الطاعون حتى كادوا يفنون من شدته فلم يغز فى تلك السنة أحدٌ فيما قيل للطاعون الذى كان بها وكثرة الموت ﴿وفيها﴾ فيما قيل أصابت الروم أهل أنطاكية ﴿وفيها﴾ غزا عبيد الله بن أبي بكرة رُتبيلَ

### ﴿ذكر الخبر عن غزوه اياه﴾

﴿قال هشام﴾ حدثنى أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبى قال لما ولى الحجاج المهلب خراسان

وعبيد الله بن أبى بكرة بسجستان مضى المهلب الى خراسان وعبيد الله بن أبى بكرة الى سجستان وذلك فى سنة ٧٨ فمكث عبيد الله بن أبى بكرة بقية سنته ثم انه غزا رتبيل وقد كان مصالحا وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجا وربما امتنع فلم يفعل فبعث الحجاج الى عبيد الله بن أبى بكرة أن ناجزه بمن معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيح أرضه وتهدم قلاعه وتقتل مقاتلته وتسبى ذريته فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثى ثم الضبابى وكان من أصحاب على وكان عبيد الله على أهل البصرة وهو أمير الجماعة فمضى حتى وغل فى بلاد رتبيل فأصاب من البقر والغنم والاموال ماشاء وهدم قلاعا وحصونا وغلب على أرض من أرضهم كثيرة وأصحاب رتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض حتى أمعنوا فى بلادهم ودنوا من مدينتهم وكانوا منها على ثمانية عشر فرسخا فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب وخلوهم والرساتيق فسقط فى أيدى المسلمين وظنوا أن قد هلكوا فبعث ابن أبى بكرة الى شريح بن هانئ انى مصالح القوم على أن أعطيهم مالا ويخلوا بينى وبين الخروج فأرسل اليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم فلقيه شريح فقال انك لا تصالح على شئ الا حسبه السلطان عليكم فى أعطياتكم قال لو منعنا العطاء ما حيينا كان أهون علينا من هلاكنا قال شريح والله لقد بلغت سنا وقد هلكت لداتى ما تأتى علىّ ساعة من ليل أو نهار فأظنها تمضى حتى أموت ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ولئن فاتتنى اليوم ما إخالنى مدركها حتى أموت وقال ياأهل الاسلام تعاونوا على عدوكم فقال له ابن أبى بكرة انك شيخ قد خرفت فقال شريح انما حسبك أن يقال بستان ابن أبى بكرة وحمام ابن أبى بكرة ياأهل الاسلام من أراد منكم الشهادة فالىّ فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير وفرسان الناس وأهل الحفاظ فقاتلوا حتى أصيبوا الا قليلا فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول

أصبحت ذا بثّ أقاسى الكبرا * قد عشت بين المشركين أعصرا
ثمّت أدركت النبىّ المنذرا * وبعده صدّيقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسترا * والجمع فى صفّينهم والنّهرا
وباجميرات مع المشقّرا * هيهات ما أطول هذا عمرا

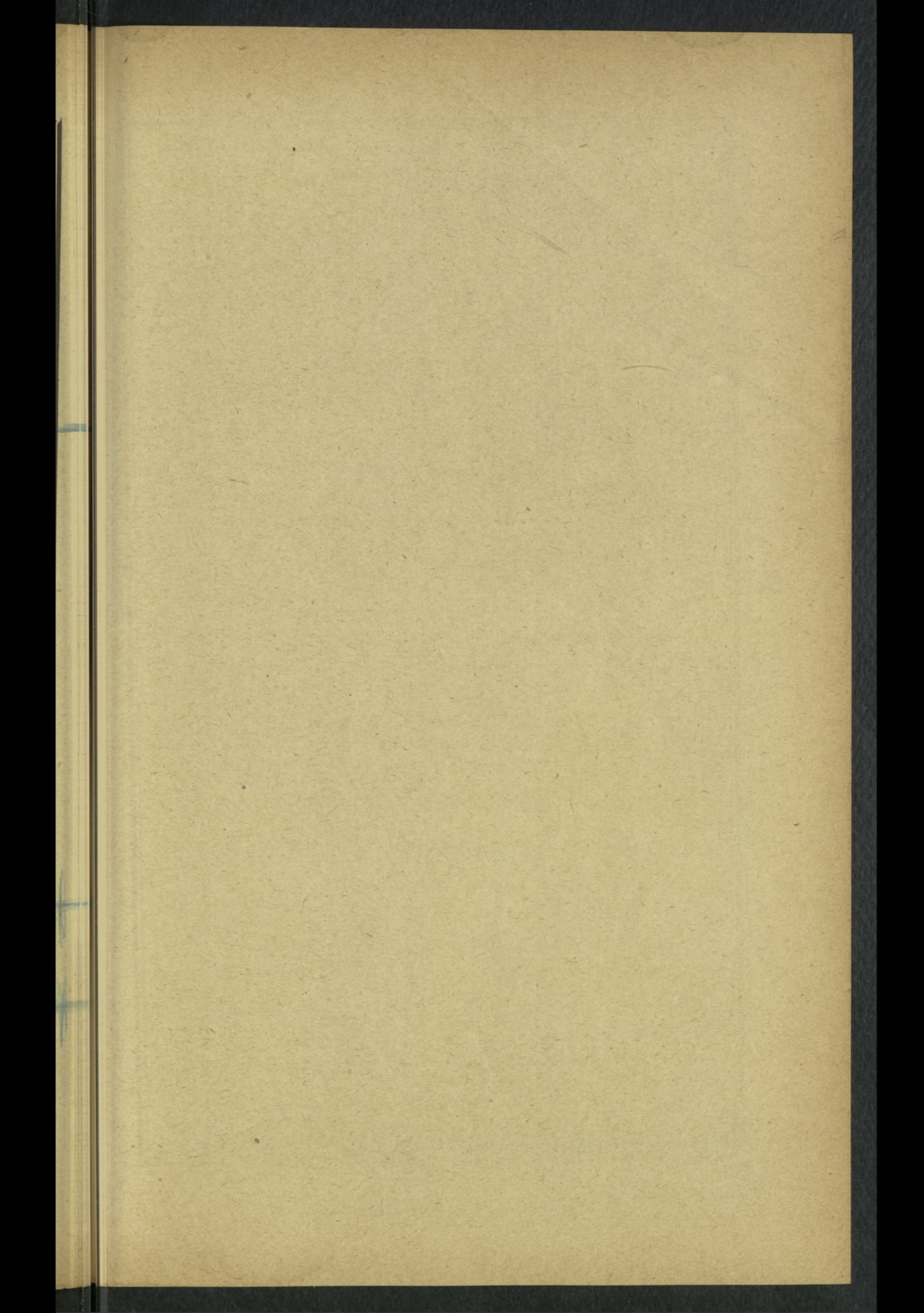
فقاتل حتى قتل فى ناس من أصحابه ونجا من نجا فخرجوا من بلاد رتبيل حتى خرجوا منها فاستقبلهم من خرجوا اليهم من المسلمين بالاطعمة فاذا أكل أحدهم وشبع مات فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم ثم جعلوا يطعمونهم السمن قليلا قليلا حتى استمرؤا وبلغ ذلك الحجاج فأخذه ما تقدّم وما تأخّر وبلغ ذلك منه كل مبلغ وكتب الى عبد الملك أما بعد فان جند أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم ينج منهم الا القليل وقد اجترأ العدوّ بالذى أصابه على

أهل الاسلام قد خلوا بلادهم وغلبوا على كل حصونهم وقصورهم وقد أردت أن أوجه اليهم جندا كثيفا من أهل المصرين فأحببت أن أستطلع رأى أمير المؤمنين فى ذلك فان رأى لى بعثة ذلك الجند أمضيته وان لم ير ذلك فان أمير المؤمنين أولى بجنده مع انى أتخوف ان لم يأت رتبيل ومن معه من المشركين جند كثيف عاجلا أن يستولوا على ذلك الفرج كله ﴿وفى هذه السنة﴾ قدم المهلب خراسان أميرا وانصرف عنها أمية بن عبد الله وقيل استعفى شريح القاضى من القضاء فى هذه السنة وأشار بأبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى فأعفاه الحجاج وولى أبا بردة ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر أبان بن عثمان وكذلك قال الواقدى وغيره من أهل السِيَر وكان أبان هذه السنة أميرا على المدينة من قبل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وكان على خراسان المهلب من قِبل الحجاج وقيل ان المهلب كان على حربها وابنه المغيرة على خراجها وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبى موسى وعلى قضاء البصرة موسى ابن أنس

---

تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله

﴿ سنة ثمانين من الهجرة ﴾



﴿فهرست الجزء السابع من تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى﴾

صحيفة

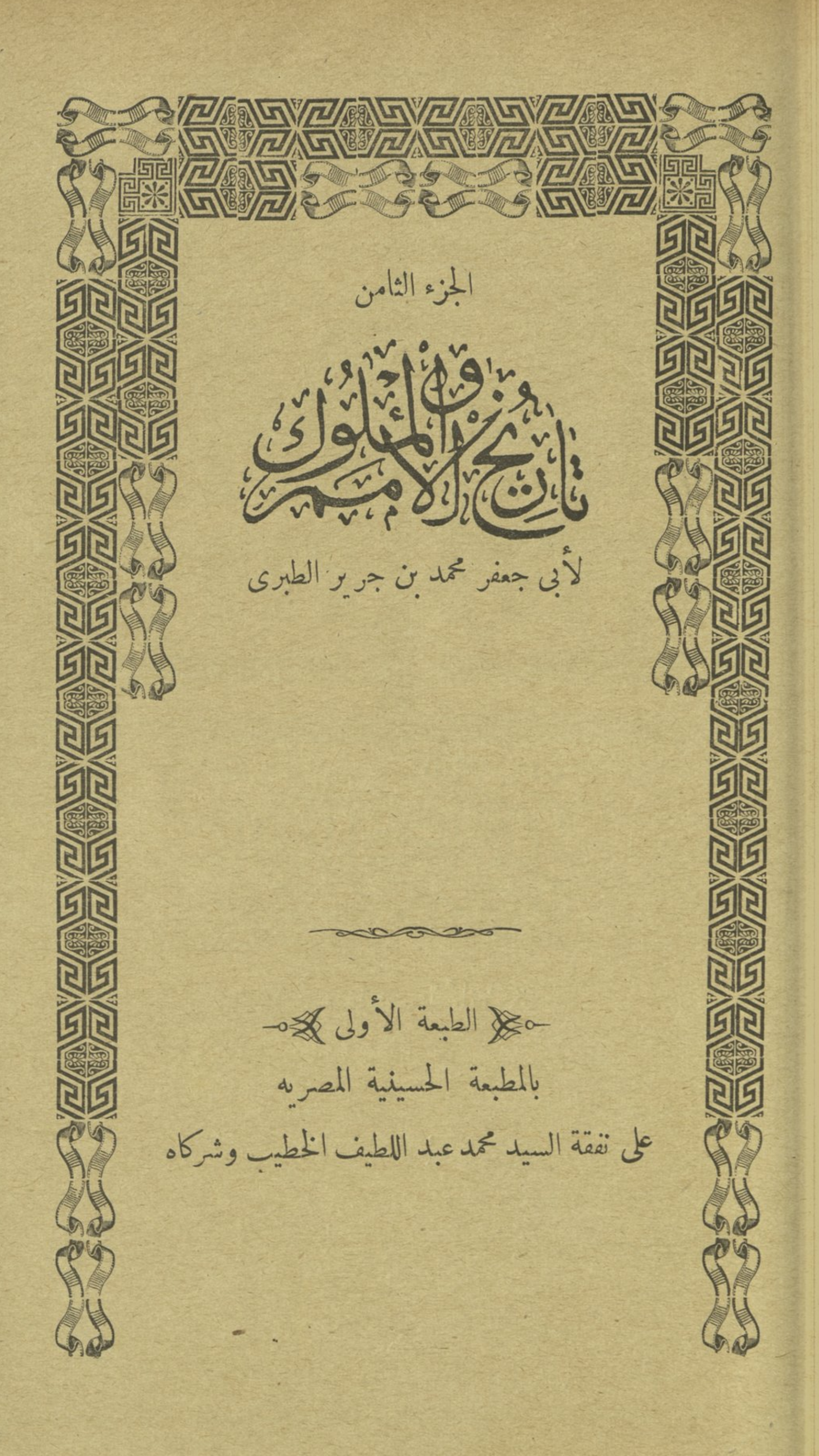
صحيفة

صحيفة

صحيفة



(تمت)



الجزء الثامن

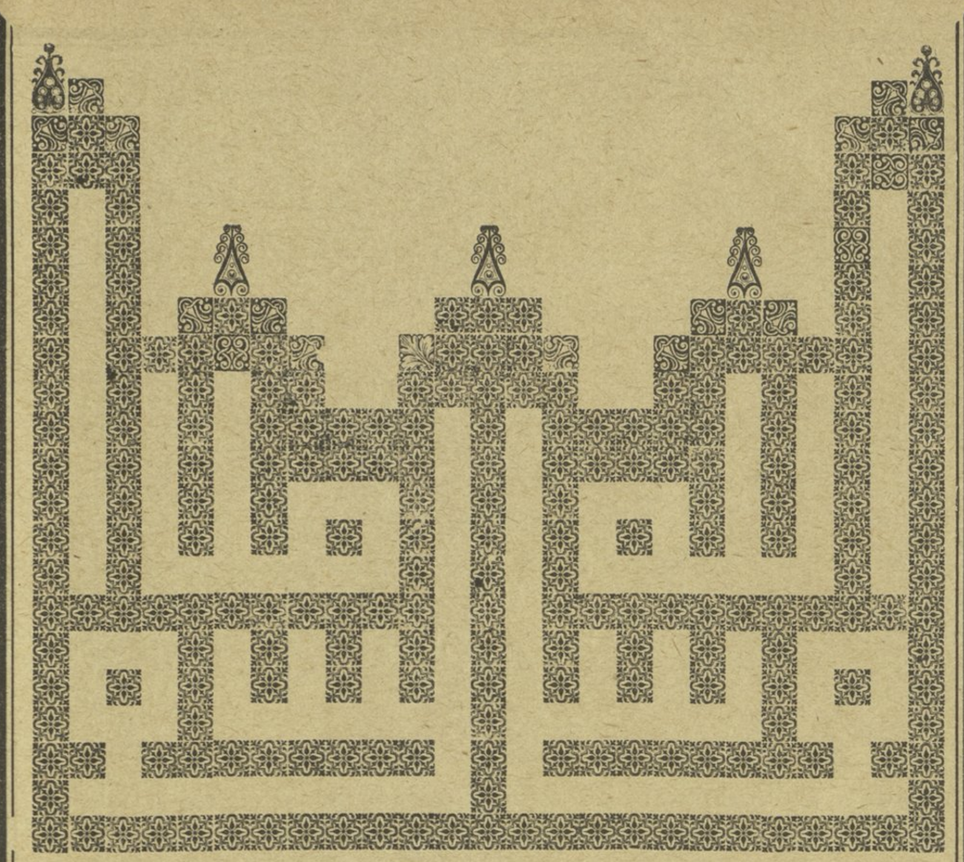
# تاريخ الأمم والملوك

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى


الطبعة الأولى

بالمطبعة الحسينية المصريه

على نفقة السيد محمد عبد اللطيف الخطيب وشركاه



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ثم دخلت سنة ثمانين﴾

﴿ذكر الاحداث الجليلة التى كانت فى هذه السنة﴾

﴿وفى هذه السنة﴾ جاء فيما حدثت عن ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدى سيل بمكة ذهب بالحجاج فغرقت بيوت مكة فسمى ذلك العام عام الجحاف لان ذلك السيل جحف كل شىء مر به قال محمد بن عمر حدثنى محمد بن رفاعة بن ثعلبة عن أبيه عن جده قال جاء السيل حتى ذهب بالحجاج ببطن مكة فسمى لذلك عام الجحاف ولقد رأيت الابل عليها الحمولة والرجال والنساء يمر بهم مالأحد فيهم حيلة وانى لأنظر الى الماء قد بلغ الركن وجاوزه ﴿وفى هذه السنة﴾ كان بالبصرة طاعون الجارف فيما زعم الواقدى ﴿وفى هذه السنة﴾ قطع المهلب نهر بلخ فنزل على كش فذكر على بن محمد عن المفضل بن محمد وغيره انه كان على مقدمة المهلب حين نزل

على

على كش" أبو الادهم زياد بن عمرو الزماني" في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف الا ان أبا الأدهم كان يغني غناء الفين في البأس والتدبير والنصيحة قال فأتى المهلب وهو نازل على كش" ابن عم ملك الختل فدعاه الى غزو الختل فوجه معه ابنه يزيد فنزل في عسكره ونزل ابن عم الملك وكان الملك يومئذ اسمه السبل في عسكره على ناحية فبيت السبل ابن عمه فكبر في عسكره فظن ابن عم السبل ان العرب قد غدروا به وأنهم خافوه على الغدر حين اعتزل عسكرهم فأسره السبل فأتى به قلعته فقتله قال فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبل فصالحوه على فدية حملوها اليه ورجع الى المهلب فأرسلت أم الذي قتله السبل الى أم السبل كيف ترجين بقاء السبل بعد قتل ابن عمه وله سبعة اخوة قد وترهم وأنت أم واحد فأرسلت اليها ان الأسد تقل" أولادها والخنازير كثير أولادها ووجه المهلب ابنه حبيبا الى ربنجن فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفا فدعا رجل من المشركين المبارزة فبرز له جبلة غلام حبيب فقتل المشرك وحمل على جمعهم فقتل منهم ثلاثة نفر ثم رجع ورجع العسكر ورجع العدو" الى بلادهم ونزلت جماعة من العدو قرية فسار اليهم حبيب في أربعة آلاف فقاتلهم فظفر بهم فأحرقها ورجع الى أبيه فسميت المحترقة ويقال ان الذي أحرقها جبلة غلام حبيب قال فمكث المهلب سنتين مقيما بكش" فقيل له لو تقدمت الى السغد وما وراء ذلك قال ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند حتى يرجعوا الى مرو سالمين قال وخرج رجل من العدو" يوما فسأله البراز فبرز اليه هريم بن عدي أبو خالد بن هريم وعليه عمامة قد شدها فوق البيضة فانتهى الى جدول فجاوله المشرك ساعة فقتله هريم وأخذ سلبه فلامه المهلب وقال لو أصبت ثم أمددت بألف فارس ما عدلوك عندي واتهم المهلب وهو بكش قوما من مضر فحبسهم بها فلما قفل وصار صلح خلاهم فكتب اليه الحجاج ان كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم وان كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم اذ حبستهم فقال المهلب خفتهم فحبستهم فلما أمنت خليتهم وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري ثم صالح المهلب أهل كش على فدية فأقام ليقبضها وأتاه كتاب ابن الاشعث بخلع الحجاج ويدعوه الى مساعدته على خلعه فبعث بكتاب ابن الاشعث الى الحجاج ﴿وفي هذه السنة﴾ وجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك وقد اختلف أهل السير في سبب توجيهه اياه اليها وأين كان عبد الرحمن يوم ولاه الحجاج سجستان وحرب رتبيل فأما يونس بن أبي اسحاق فيما حدث" هشام عن أبي مخنف عنه فانه ذكر ان عبد الملك لما ورد عليه كتاب الحجاج بن يوسف بخبر الجيش الذي كان مع عبيد الله بن أبي بكرة في بلاد رتبيل وما لقوا بها كتب اليه أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه مصاب المسلمين بسجستان وأولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وعلى الله ثوابهم وأما ما أردت" أن يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وامضائها

الى ذلك الفرج الذى أصيب فيه المسلمون أوكفها فان رأيى في ذلك أن تمضى رأيك راشدا موفقا وكان الحجاج وليس بالعراق رجل أبغض اليه من عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان يقول ما رأيته قط الا أردت قتله (قال أبو مخنف) فحدثنى نمير بن وعلة الهمدانى ثم اليناعى عن الشعبى قال كنت عند الحجاج جالسا حين دخل عليه عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فلما رآه الحجاج قال انظر الى مشيته والله لهممت أن أضرب عنقه قال فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقته وانتظرته على باب سعيد بن قيس السبيعى فلما انتهى الى قلت ادخل بنا الباب انى أريد أن أحدثك حديثا هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج فقال نعم فأخبرته بمقالة الحجاج له فقال وأنا كما زعم الحجاج ان لم أحاول أن أزيله عن سلطانه فأجهد الجهد اذ طال بى وبه بقاء ثم ان الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة وعشرين ألف رجل من أهل البصرة وجد في ذلك وشمر وأعطى الناس أعطياتهم كملا وأخذهم بالخيول الروائع والسلاح الكامل وأخذ في عرض الناس ولا يرى رجلا تذكر منه شجاعة الا أحسن معونته فمر عبيد الله بن أبى محجن الثقفى على عباد بن الحصين الحبطى وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفى وهو يعرض الناس فقال عباد ما رأيت فرسا أروع ولا أحسن من هذا وان الفرس قوة وسلاح وان هذه البغلة علنداة فزاده الحجاج خمسين وخمسمائة درهم ومر به عطية العنبرى فقال له الحجاج يا عبد الرحمن أحسن الى هذا فلما استتب له أمر ذينك الجندين بعث الحجاج عطارد بن عمير التميمى فعسكر بالاهواز ثم بعث عبيد الله بن حجر بن ذى الجوشن العامرى من بنى كلاب ثم بدا له فبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وعزل عبيد الله بن حجر فأتى الحجاج عمه اسماعيل بن الاشعث فقال له لا تبعثه فانى أخاف خلافه والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى لوال من الولاة عليه طاعة وسلطانا فقال الحجاج ليس هناك هولى أهيب وفي أرغب من أن يخالف أمرى أو يخرج من طاعتى فأمضاه على ذلك الجيش فخرج بهم حتى قدم سجستان سنة ٨٠ فجمع أهلها حين قدمها (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو الزبير الارحبى رجل من همدان كان معه انه صعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الامير الحجاج ولانى ثغركم وأمرنى بجهاد عدوكم الذى استباح بلادكم وأباد خياركم فاياكم أن يتخلف منكم رجل فيحل بنفسه العقوبة اخرجوا الى معسكركم فعسكروا به مع الناس فعسكر الناس كلهم في معسكرهم ووضعت لهم الاسواق وأخذ الناس بالجهاز والهيئة بآلة الحرب فبلغ ذلك رتبيل فكتب الى عبد الرحمن بن محمد يعتذر اليه من مصاب المسلمين ويخبره انه كان لذلك كارها وانهم ألجؤه الى قتالهم ويسأله الصلح ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج فلم يجبه ولم يقبل منه ولم ينشب عبد الرحمن ان سار

فى الجنود اليه حتى دخل أول بلاده وأخذ رتبيل يضم اليه جنده ويدع له الارض رستاقا رستاقا وحصنا حصنا وطفق ابن الاشعث كلما حوى بلدا بعث اليه عاملا وبعث معه أعوانا ووضع البُرُد فيما بين كل بلد وبلد وجعل الأرصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل مكان مخوف حتى اذا حاز من أرضه أرضا عظيمة وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة حبس الناس عن الوغول فى أرض رتبيل وقال نكتفى بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها وتجترئ المسلمون على طرقها ثم نتعاطى في العام المقبل ماوراءها ثم لم نزل نتنقصهم في كل عام طائفةً من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذراريهم وفى أقصى بلادهم وممتنع حصونهم ثم لا نزايل بلادهم حتى يهلكهم الله ثم كتب الى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدوّ وبما صنع الله للمسلمين وبهذا الرأى الذى رآه لهم وأما غير يونس بن أبى إسحاق وغير من ذكرت الرواية عنه فى أمر ابن الأشعث فإنه قال فى سبب ولايته سجستان ومسيره الى بلاد رتبيل غير الذى رويت عن أبى مخنف وزعم ان السبب فى ذلك كان ان الحجاج وجه هميان بن عدى السَّدُوسى الى كرمان مسلحة لها ليمدّ عامل سجستان والسند ان احتاجا الى مدد فعصى هميانُ ومن معه فوجه الحجاج ابن الأشعث فى محاربته فهزمه وأقام بموضعه ومات عبيد الله بن أبى بكرة وكان عاملا على سجستان فكتب الحجاج عهد ابن الأشعث عليها وجهز اليها جيشا انفق عليهم ألفى ألف سوى أعطياتهم كان يدعى جيش الطواويس وأمره بالإقدام على رتبيل ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة أبان بن عثمان كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال محمد بن عمر الواقدى وقال بعضهم الذى حج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك وكان على المدينة فى هذه السنة أبان بن عثمان وعلى العراق والمشرق كله الحجاجُ بن يوسف وعلى خراسان المهلب بن أبى صفرة من قبل الحجاج وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبى موسى وعلى قضاء البصرة موسى ابن أنس وأغزى عبد الملك في هذه السنة ابنه الوليد

## ﴿ ثم دخلت سنة احدى وثمانين ﴾

### ﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث﴾

﴿فى هذه السنة﴾ كان فتح قاليقلا حدثنى عمر بن شبة قال حدثنا على بن محمد قال أغزى عبد الملك سنة ٨١ ابنه عبيد الله بن عبد الملك ففتح قاليقلا ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل بحير ابن ورقاء الصريمى بخراسان

### ﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

وكان سبب قتله ان بحيرا كان هو الذى تولى قتل بكير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله اياه بذلك فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بنى عوف بن سعد من الأبناء يحض رجلا

من الأبناء من آل بكير بالوتر

لعمري لقد أغضيت عيناً على القذى * وبت بطيناً من رحيق مروّق
وخليت ثأراً طل واخترت نومة * ومن شرب الصهباء بالوتر يسبق
فلو كنت من عوف بن سعد ذؤابة * تركت بحيراً في دم مترقرق
فقل لبحير نم ولا تخش ثائراً * بعوف فعوف أهل شاة حبلق
دع الضأن يوماً قد سبقتم بوتركم * وصرتم حديثاً بين غرب ومشرق
وهبّوا فلو أمسى بكير كعهده * صحيحاً لغاداهم بجأواء فيلق

﴿ وقال أيضا ﴾

فلو كان بكر بارزاً في أداته * وذي العرش لم يقدم عليه بحير
ففي الدهر ان أبقاني الدهر مطلب * وفي الله طلاب بذاك جدير

وبلغ بحيرا ان الأبناء يتوعدونه فقال

توعدني الأبناء جهلاً كأنما * يرون فنائي مقفراً من بني كعب
رفعت له كفي بحد مهند * حسام كلون الملح ذي رونق عضب

فذكر علي بن محمد عن المفضل بن محمد ان سبعة عشر رجلا من بني عوف بن كعب بن سعد تعاقدوا على الطلب بدم بكير فخرج فتى منهم يقال له الشمردل من البادية حتى قدم خراسان فنظر الى بحير واقفا فشد عليه فطعنه فصرعه فظن انه قد قتله وقال الناس خارجيٌّ فراكضهم فعثر فرسه فندر عنه فقتل ثم خرج صعصعة بن حرب العوفي ثم أحد بني جندب من البادية وقد باع غنيمات له واشترى حمارا ومضى الى سجستان فجاور قرابة لبحير هناك ولاطفهم وقال أنا رجل من بني حنيفة من أهل اليمامة فلم يزل يأتيهم ويجالسهم حتى أنسوا به فقال لهم ان لي بخراسان ميراثا قد غلبت عليه وبلغني ان بحيرا عظيم القدر بخراسان فاكتبوا لي اليه كتابا يعينني على طلب حقي فكتبوا اليه فخرج فقدم مرو والمهلب غازٍ قال فلقي قوما من بني عوف فأخبرهم أمره فقام اليه مولى لبكير صيقل فقبل رأسه فقال له صعصعة اتخذ لي خنجرا فعمل له خنجرا وأحماه وغمسه في لبن أتان مرارا ثم شخص من مرو فقطع النهر حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ فلقي بحيرا بالكتاب وقال اني رجل من بني حنيفة كنت من أصحاب ابن أبي بكرة وقد ذهب مالي بسجستان ولي ميراث بمرو فقدمت لأبيعه وأرجع الى اليمامة قال فأمر له بنفقة وأنزله معه وقال له استعن بي على ما أحببت قال أقيم عندك حتى يقفل الناس فأقام شهرا أو نحوا من شهر يحضر معه باب المهلب ومجلسه حتى عرف به قال وكان بحير يخاف الفتك به ولا يأمن أحدا فلما قدم صعصعة بكتاب أصحابه قال هو رجل من بكر بن وائل فأمنه فجاء يوما وبحير جالس في مجلس المهلب عليه قميص ورداء

ونعلان

ونعلان فقعد خلفه ثم دنا منه فأكب عليه كانه يكلمه فوجأه بخنجره فى خاصرته فغيبه في جوفه فقال الناس خارجى فنادى يالثأرات بكير أنا ثائر ببكير فأخذه أبو العجفاء بن أبى الخرقاء وهو يومئذ على شرط المهلب فأتى به المهلب فقال له بؤسا لك ما أدركت بثأرك وقتلت نفسك وما على بحير بأس فقال لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس لماتوا ولقد وجدت ريح بطنه فى يدى فحبسه فدخل عليه السجن قوم من الابناء فقبلوا رأسه قال ومات بحير من غد عند ارتفاع النهار فقيل لصعصعة مات بحير فقال اصنعوا بى الآن ما شئتم وما بدا لكم أليس قد حلت نذور نساء بنى عوف وأدركت بثارى لا أبالى ما لقيت أما والله لقد أمكننى منه ما صنعت خاليا غير مرة فكرهت ان أقتله سرا فقال المهلب ما رأيت رجلا أسخى نفسا بالموت صبرا من هذا وأمر بقتله أبا سويقة ابن عم لبحير فقال له أنس بن طلق ويحك قتل بحير فلا تقتلوا هذا فأبى وقتله فشتمه أنس وقال آخرون بعث به المهلب الى بحير قبل ان يموت فقال له أنس بن طلق العبشمى يا بحير انك قتلت بكيرا فاستحى هذا فقال بحير أدنوه منى لا والله لا أموت وأنت حى فأدنوه منه فوضع رأسه بين رجليه وقال اصبر عفاق انه شر باق فقال ابن طلق لبحير لعنك الله أكلمك فيه وتقتله بين يدى فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير فقال المهلب انا لله وإنا إليه راجعون غزوة أصيب فيها بحير فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا علام قتل صاحبنا وانما طلب بثأره فنازعتهم مقاعس والبطون حتى خاف الناس ان يعظم البأس فقال أهل الحجى احملوا دم صعصعة واجعلوا دم بحير بواء ببكير فودوا صعصعة فقال رجل من الابناء يمدح صعصعة

لله در فتى تجاوز همه * دون العراق مفاوزا وبحورا
مازال يدأب نفسه ويكدها * حتى تناول فى خرون بحيرا

قال وخرج عبد ربه الكبير أبو وكيع وهو من رهط صعصعة الى البادية فقال لرهط بكير قتل صعصعة بطلبه بدم صاحبكم فودوه فأخذ لصعصعة ديتين ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجاج ومن معه من جند العراق وأقبلوا اليه لحربه فى قول أبى مخنف وروايته لذلك عن أبى المخارق الراسبى وأما الواقدى فإنه زعم ان ذلك كان في سنة ٨٢

﴿ذكر الخبر عن السبب الذى دعا عبد الرحمن بن محمد الى ما فعل من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجاج فى هذه السنة﴾

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد فى بلاد رتبيل وكتابه الى الحجاج بما كان منه هناك وبما عرض عليه من الرأى فيما يستقبل من أيامه فى سنة ٨٠ ونذكر الآن ما كان من أمره فى سنة ٨١ فى رواية أبى مخنف عن أبى المخارق ﴿ذكر هشام﴾ عن

أبي مخنف قال قال أبو المخارق الراسبي كتب الحجاج الى عبد الرحمن بن محمد جواب كتابه أما بعد فان كتابك أتاني وفهمت ماذكرت فيه وكتابك كتاب امرئ يحب الهدنة ويستريح الى الموادعة قد صانع عدوّاً قليلاً ذليلاً قد أصابوا من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسناً وغناؤهم في الاسلام عظيماً لعمرك يا ابن أم عبد الرحمن انك حيث تكفّ عن ذلك العدوّ بجندي وحدّي لسخيّ النفس عمن أصيب من المسلمين اني لم أعدد رأيك الذي زعمت انك رأيته رأي مكيدة ولكني رأيت انه لم يحملك عليه الا ضعفك والتياث رأيك فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والهدم لحصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريّهم ثم أردفه كتاباً فيه أما بعد فمُرْ من قبلك من المسلمين فليحرثوا وليقيموا فانها دارهم حتى يفتحها الله عليهم ثم اردفه كتاباً آخر فيه أما بعد فامض لما أمرتك به من الوغول في أرضهم والا فان اسحاق بن محمد أخاك أمير الناس فخله وما وليته فقال حين قرأ كتابه أنا أحمل ثقل اسحاق فعرض له فقال لا تفعل فقال ورب هذا يعني المصحف لئن ذكرته لأحد لاقتلنك فظن انه يريد السيف فوضع يده على قائم السيف ثم دعا الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اني لكم ناصح ولصلاحكم محبّ ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأي استشرت فيه ذوي أحلامكم وأولي التجربة للحرب منكم فرضوه لكم رأياً ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحاً وقد كتبت الى أميركم الحجاج فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ويأمرني بتعجيل الوغول بكم في أرض العدو وهي البلاد التي هلك اخوانكم فيها بالامس وانما أنا رجل منكم أمضي اذا مضيتم وآبى اذا أبيتم فثار اليه الناس فقالوا لا بل نأبى على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع (قال أبو مخنف) فحدثني مطرف بن عامر بن واثلة الكناني ان أباه كان أول متكلم يومئذ وكان شاعراً خطيباً فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه أما بعد فان الحجاج والله ما يرى بكم الا ما رأى القائل الاول اذ قال لاخيه احمل عبدك على الفرس فان هلك هلك وان نجا فلك ان الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهوب واللصوب فان ظفرتم فغنمتم أكل البلاد وحاز المال وكان ذلك زيادة في سلطانه وان ظفر عدوّكم كنتم أنتم الاعداء البغضاء الذي لا يبالي عنتهم ولا يُبقي عليهم اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن فاني أشهدكم اني أول خالع فنادى الناس من كل جانب فعلنا فعلنا قد خلعنا عدو الله وقام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي ثانياً وكان على شرطته حين أقبل فقال عباد الله انكم ان أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم وجمّركم تجمير فرعون الجنود فانه بلغني انه أول من جمّر البعوث ولن تعاينوا الاحبّة فيما أرى أو يموت أكثركم بايعوا أميركم وانصرفوا الى عدوكم فانفوه عن بلادكم فوثب الناس الى عبد الرحمن فبايعوه فقال تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصرة لي وجهاده معي حتى ينفيه الله من أرض العراق

فبايعه

فبايعه الناس ولم يذكر خلع عبد الملك اذ ذاك بشيء (قال أبو مخنف) حدثني عمر بن ذرّ القاصّ ان أباه كان معه هنالك وان ابن محمد كان ضربه وحبسه لانقطاعه كان الى أخيه القاسم ابن محمد فلما كان من أمره الذى كان من الخلاف دعاه فحمله وكساه وأعطاه فأقبل معه فيمن أقبل وكان قاصّا خطيبا (قال أبو مخنف) حدثني سيف بن بشر العجلى عن المنخّل بن حابس العبدى ان ابن محمد لما أقبل من سجستان أمّر على بُسْت عياض بن هميان البكرى من بنى سَدُوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وعلى زَرَنْج عبد الله بن عامر التميمى ثم الدارمى ثم بعث الى رُتبيل فصالحه على أن ابن الاشعث ان ظهر فلا خراج عليه أبدا ما بقى وان هُزم فأراده ألجأه عنده (قال أبو مخنف) حدثني خُشَينة بن الوليد العبسى ان عبد الرحمن لما خرج من سجستان مقبلا الى العراق سار بين يديه الاعشى على فرس وهو يقول

شَطَّتْ نَوَى مَنْ دارُهُ بالايوانْ * ايوانِ كسرى ذى القرى والريحانْ
من عاشقٍ أمسَى بزَابُلستانْ * ان ثقيفا منهمُ الكذَّابانْ
كذَّابُها الماضِى وكذابٌ ثانْ * أمكَنَ ربى من ثقيفٍ هَمْدَانْ
يوما الى الليلِ يُسَلِّى ما كانْ * انا سَمَوْنا للكَفُور الفتّانْ
حينَ طغَى فى الكفر بعدَ الايمانْ * بالسَّيّدِ الغطْريفِ عبدِ الرحمن
سارَ بجمع كالدَّبَى من قحطانْ * ومن معدّ قد أبى ابنِ عدنانْ
بجَحفلٍ جَمّ شديدِ الإرنانْ * فقلْ لحجاجٍ وَلِىّ الشيطان
يَثبُتُ لجمعِ مذحِجٍ وهمدانْ * فانهم ساقوه كأسَ الذَّيفانْ
ومُلحِقُوهُ بقُرَى ابنِ مَرْوَانْ

قال وبعث على مقدّمته عطية بن عمرو العنبرى وبعث الحجاج اليه الخيل فجعل لا يلقى خيلا الا هزمها فقال الحجاج من هذا فقيل له عطية فذلك قول الاعشى

فاذا جَعلتَ دُرُوبَ فا * رسَ خلفَهُمْ دَرْبًا فدَرْبا
فابعَثْ عطيةَ فى الخيو * لِ يكُبُّهُنَّ عليكَ كَبَّا

ثم ان عبد الرحمن أقبل يسير بالناس فسأل عن أبى اسحاق السبيعى وكان قد كتبه فى أصحابه وكان يقول أنت خالى فقيل له ألا تأتيه فقد سأل عنك فكره أن يأتيه ثم أقبل حتى مر بكرمان فبعث عليهم خرشة بن عمرو التميمى ونزل أبو اسحاق بها فلم يدخل فى فتنته حتى كانت الجماجم ولما دخل الناس فارس اجتمع الناس بعضهم الى بعض وقالوا انا اذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك فاجتمعوا الى عبد الرحمن فكان أول الناس (قال أبو مخنف) فيما حدثني أبو الصلت التيمى خلع عبد الملك بن مروان تيحان بن أبجر من بنى تيم الله بن ثعلبة فقام فقال أيها الناس انى خلعت أبا ذِبَّان كخلعى قيصى فخلعه الناس الا قليلا منهم ووثبوا الى ابن

محمد فبايعوه وكانت بيعته تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحلين فاذا قالوا نعم بايع فلما بلغ الحجاج خلعه كتب الى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ويسأله أن يعجل بعثة الجنود اليه وبعث كتابه الى عبد الملك يتمثل فى آخره بهذه الأبيات وهى للحارث بن وعلة

سَائِل مُجَاوِرَ جَرْمٍ هَل جَنَيْتَ لَهم * حَرْبًا تُفَرِّقُ بين الجِيرَةِ الخُلُطِ

وهَل سَمَوْتُ بِجَرَّار له لجَبٌ * جَمّ الصَّوا هَل بين الجمّ والفُرُطِ

وهَل تركتُ نساءَ الحيّ ضاحيةً * في ساحة الدار يَسْتَوْقِدْنَ بالغُبُطِ

وجاء حتى نزل البصرة وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو بسجستان فكتب اليه أما بعد فانك وضعت رجلك يا ابن محمد في غرز طويل الغيّ على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الله الله فانظر لنفسك لا تهلكها ودماء المسلمين فلا تسفكها والجماعة فلا تفرقها والبيعة فلا تنكثها فان قلت أخاف الناس على نفسى فالله أحق ان تخافه عليها من الناس فلا تعرّضها الله في سفك دم ولا استحلال محرّم والسلام عليك وكتب المهلب الى الحجاج أما بعد فان أهل العراق قد أقبلوا اليك وهم مثل السيل المنحدر من عل ليس شيء يرده حتى ينتهى الى قراره وان لاهل العراق شِرَّةً في أول مخرجهم وصبابة الى أبنائهم ونسائهم فليس شيء يردهم حتى يسقطوا الى أهليهم ويشمّوا أولادهم ثم واقفهم عندها فان الله ناصرك عليهم ان شاء الله فلما اقرأ كتابه قال فعل الله به وفعل لا والله مالى نظر ولكن لابن عمه نصح ولما وقع كتاب الحجاج الى عبد الملك هاله ثم نزل عن سريره وبعث الى خالد بن يزيد بن معاوية ودعاه فأقرأه الكتاب ورأى ما به من الجزع فقال يا أمير المؤمنين ان كان هذا الحدث من قبل سجستان فلا تخفه وان كان من قبل خراسان تخوّفته قال فخرج الى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان أهل العراق طال عليهم عمرى فاستعجلوا قدرى اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشأم حتى يبلغوا رضاك فاذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا الى سخطك ثم نزل وأقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقى ابن محمد وترك رأى المهلب وفرسان أهل الشأم يسقطون الى الحجاج فى كل يوم مائة وخمسون وعشرة وأقل على البُرُد من قبل عبد الملك وهو في كل يوم تسقط الى عبد الملك كُتُبه ورسله بخبر ابن محمد أيّ كورة نزل ومن أى كورة يرتحل وأىّ الناس اليه أسرع (قال أبو مخنف) حدثنى فضيل ابن خديج ان مكتبه كان بكرمان وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة فلما مر بهم ابن محمد بن الاشعث انجفلوا معه وعزم الحجاج رأيه على استقبال ابن الاشعث فسار باهل الشأم حتى نزل تستر وقدّم بين يديه مطهر بن حرّ العكّىّ أو الجذامىّ وعبد الله بن رميثة الطائى ومطهر على الفريقين فجاؤا حتى انتهوا الى دُجيل وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلاله عليها عبد الله بن أبان الحارثى في ثلثمائة فارس وكانت مسلحة له وللجند

فلما انتهى اليه مطهر بن حر أمر عبد الله بن رميثة الطائى فأقدم عليهم فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت اليه وجرح أصحابه (قال أبو مخنف) فحدثنى أبو الزبير الهمدانى قال كنت فى أصحاب ابن محمد اذ دعا الناس وجمعهم اليه ثم قال اعبروا اليه من هذا المكان فأقحم الناس خيولهم دجيل من ذلك المكان الذى أمرهم به فوالله ما كان باسرع من ان عبر عظم خيولنا فانكاملت حتى حملنا على مطهر بن حر والطائى فهزمناهما يوم الاضحى فى سنة ٨١ وقتلناهم قتلا ذريعا وأصبنا عسكرهم وأتت الحجاج الهزيمة وهو يخطب فصعد اليه أبو كعب بن عبيد بن سرجس فأخبره بهزيمة الناس فقال أيها الناس ارتحلوا الى البصرة الى معسكر ومقاتل وطعام ومادة فان هذا المكان الذى نحن به لا يحمل الجند ثم انصرف راجعا وتبعته خيول أهل العراق فكلما أدركوا منهم شاذا قتلوه وأصابوا ثقلا حووه ومضى الحجاج لا يلوى على شئ حتى نزل الزاوية وبعث الى طعام التجار بالكلاء فأخذه فحمله اليه وخلى البصرة لاهل العراق وكان عامله عليهم الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصدمة وأقبل راجعا دعا بكتاب المهلب فقرأه ثم قال لله أبوه أى صاحب حرب هو أشار علينا بالرأى ولكنا لم نقبل وقال غير أبى مخنف كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط فسار الحجاج فى جيشه حتى نزل رستقباذ وهى من دستوى من كور الاهواز فعسكر بها وأقبل ابن الاشعث فنزل تستر وبينهما نهر فوجه الحجاج مُطَهَّر بن حر العكى فى ألفى رجل فأوقعوا بمسلحة لابن الاشعث وسار ابن الاشعث مبادرا فواقعهم وهى عشيةُ عَرَفَة من سنة ٨١ فيقال انهم قتلوا من أهل الشأم ألفا وخمسمائة وجاءه الباقون منهزمين ومعه يومئذ مائة وخمسون ألف ألف ففرقها فى قواده وضمنهم اياها وأقبل منهزما الى البصرة وخطب ابن الاشعث أصحابه فقال أما الحجاج فليس بشئ ولكنا نريد غزو عبد الملك وبلغ أهل البصرة هزيمة الحجاج فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الجسر دونه فرشاه الحكم بن أيوب مائة ألف فكف عنه ودخل الحجاج البصرة فأرسل الى ابن عامر فانتزع المائة الالف منه ﴿رجع الحديث الى حديث أبى مخنف عن أبى الزبير الهمدانى﴾ فلما دخل عبد الرحمن ابن محمد البصرة بايعه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك جميع أهلها من قُرَّائها وكهولها وكان رجل من الازد من الجَهاضِم يقال له عقبة بن عبد الغافر له صحابة فنزا فبايع عبد الرحمن مستبصرا فى قتال الحجاج وخندق الحجاج عليه وخندق عبد الرحمن على البصرة وكان دخول عبد الرحمن البصرة فى آخر ذى الحجة من سنة ٨١ ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة سليمان ابن عبد الملك كذا حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وقال فى هذه السنة ولد ابن أبى ذئب وكان العامل فى هذه السنة على

المدينة أبان بن عثمان وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف وعلى حرب خراسان المهلب وعلى خراجها المغيرة بن مهلب من قبل الحجاج وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبى موسى وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة

## ﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ﴾

### ﴿ ذكر الخبر عن الكائن من الاحداث فيها ﴾

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية ﴿ ذكر هشام ﴾ ابن محمد عن أبى مخنف قال حدثنى أبو الزبير الهمدانى قال كان دخول عبد الرحمن البصرة فى آخر ذى الحجة واقتتلوا فى المحرم من سنة ٨٢ فتزاحفوا ذات يوم فاشتد قتالهم ثم ان أهل العراق هزموهم حتى انتهوا الى الحجاج وحتى قاتلوهم على خنادقهم وانهزمت عامة قريش وثقيف حتى قال عبيد بن موهب مولى الحجاج وكاتبه

فَرَّ البَرَاءُ وابْنُ عَمِّهِ مُصعَبُ * وفرَّتْ قُرَيْشٌ غيرَ آلِ سَعِيدِ

ثم انهم تزاحفوا فى المحرم فى آخره فى اليوم الذى هزم فيه أهل العراق أهل الشأم فنكصت ميمنتهم وميسرتهم واضطربت رماحهم وتقوض صفهم حتى دنوا منا فلما رأى الحجاج ذلك جثا على ركبتيه وانتضى نحوا من شبر من سيفه وقال لله در مُصْعَب ما كان أكرمه حين نزل به ما نزل فعلمتُ انه والله لا يريد ان يفر قال فغمزت أبى بعينى ليأذن لى فيه فأضربه بسيفى فغمزنى غمزة شديدة فسكنت وحانت منى التفاتة فإذا سفيان بن الأبرد الكلبى قد حمل عليهم فهزمهم من قبل الميمنة فقلت ابشر أيها الأمير فإن الله قد هزم العدو فقال لى قم فانظر قال فقمت فنظرت فقلت قد هزمهم الله قال قم يا زياد فانظر قال فقام فنظر فقال الحق أصلحك الله يقينا قد هزموا فخر ساجدا فلما رجعت شتمنى أبى وقال أردت ان تُهلكنى وأهل بيتى وقتل فى المعركة عبد الرحمن بن عوسجة أبو سفيان النهمى وقتل عقبة بن عبد الغافر الأزدى ثم الجهضمى فى أولئك القراء فى ربضة واحدة وقتل عبد الله بن رزام الحارثى وقتل المنذر ابن الجارود وقتل عبد الله بن عامر بن مسمع وأُتى الحجاج برأسه فقال ما كنت أرى هذا فارقنى حتى جاءنى الآن برأسه وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلا يومئذ فقتله وزعموا انه كان مولى للفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب كان شجاعا يدعى نصيرا فلما رأى مشيته بين الصفين وكان يلومه على مشيته قال لا ألومه على هذه المشية أبدا وقتل الطُّفيل بن عامر بن واثلة وقد كان قال وهو بفارس يقبل مع عبد الرحمن من كرمان الى الحجاج

أَلا طَرَقَتْنا بالغَرِيَّيْنِ بَعْدَما * كَلِلْنَا على شَحْطِ المَزارِ جَنُوبُ
أَتَوْكَ يَقُودُونَ المَنَايا وإنَّما * هَدَتْها بأَوْلانا إليكَ ذُنُوبُ

ولا خيرَ في الدُّنيا لمن لم يكن لهُ * مِنَ اللهِ في دارِ القرارِ نصيبُ
ألا أبلغ الحجاج أنْ قدْ أظلهُ * عذابٌ بأيدي المؤمنين مُصيبُ
متى نَهبط المصرَين يهربْ محمدٌ * وليس بمُنجي ابن اللعين هُروبُ

قال منيتنا أمراً كان في علم الله أنك أولى به فعجَّل لك في الدنيا وهو معذبك في الآخرة وانهزم الناس فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة وتبعه أهل القوة من أصحاب الخيل من أهل البصرة ولما مضى عبد الرحمن نحو الكوفة وثب أهل البصرة الى عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه فقاتل بهم خمس ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس ثم انصرف فلحق بابن الأشعث وتبعه طائفة من أهل البصرة فلحقوا به وخرج الحريش بن هلال السعدي وهو من بني أنف الناقة وكان جريحاً الى سفوان فمات من جراحته وقتل في المعركة زياد بن مقاتل بن مسمع من بني قيس بن ثعلبة فقامت حميدة ابنته تندبه وكان على خمس بكر بن وائل مع ابن الأشعث وعلى الرجال فقالت

حامى زيادٌ على رايتيه * وفرَّ جُدَيُّ بني العنبرِ

فجاء البلتع السعدي فسمعها وهي تندب أباها وتعيب التميمي فجاء وكان يبيع سمناً بالمربد فترك سمنه عند أصحابه وجاء حتى قام تحتها فقال

علامَ تلومينَ من لم يُلِمْ * تطاول ليلكِ من مُعْصِرِ
فانْ كان أردى أباكِ السنان * فقدْ تلحقُ الخيلُ بالمُدْبِرِ
وقدْ تنْطحُ الخيلُ تحتَ العجا * ج غيرَ البريِّ ولا المُعْذِرِ
ونحنُ منعنا لواء الحريش * وطاحَ لواءُ بني جحْدرِ

فقال عامر بن واثلة يرثي ابنه طُفيلاً

خلّي طُفيلٌ عليَّ الهمَّ فانشعبا * وهدَّ ذلك رُكْني هدَّةً عجبا
وابنَيْ سُميَّةَ لا أنساهُما أبداً * فيمن نسيتُ وكلٌّ كان لي نَصَبا
وأخطأتني المنايا لا تُطالعُني * حتى كبِرْتُ ولم يترُكن لي نشبا
وكنْتُ بعدَ طُفيلٍ كالذي نضبتْ * عنه المياهُ وغاض الماءُ فانقضبا
فلا بعيرَ لهُ في الأرضِ يركبُهُ * وان سعى إثرَ منْ قدْ فاتهُ لغِبا
وسارَ من أرضِ خاقانَ التي غلبتْ * أبناءُ فارسَ في أربائها غلَبا
ومِن سجستانَ أسبابٌ تزيّنها * لكَ المنيَّةُ حيناً كان مُجتلَبا

حتى وردت حياض الموت فانكشفت * عنك الكتائب لا تخفى لها عقبا
وغادروك صريعاً رهن معركة * ترى النسور على القتلى بها عصبا
تعاهدوا ثم لم يوفوا بما عهدوا * وأسلموا للعدو السبي والسلبا
ياسوءة القوم إذ تسبى نساؤهم * وهم كثير يرون الخزي والحربا

(قال أبو مخنف) فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي ان الحجاج أقام بقية المحرم وأول صفر ثم استعمل على البصرة أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ومضى ابن الأشعث الى الكوفة وقد كان الحجاج خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي حليف حرب بن أمية على الكوفة (قال أبو مخنف) كما حدثني يونس بن أبي اسحاق انه كان على أربعة آلاف من أهل الشأم (قال أبو مخنف) فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني انهم كانوا ألفين وكان حنظلة بن الورّاد من بني رياح بن يربوع التميمي وابن عتاب بن ورقاء على المدائن وكان مطر بن ناجية من بني يربوع على المعونة فلما بلغه ما كان من أمر ابن الاشعث أقبل حتى دنا من الكوفة فتحصن منه ابن الحضرمي في القصر ووثب أهل الكوفة مع مطر بن ناجية بابن الحضرمي ومن معه من أهل الشأم فحاصرهم فصالحوه على ان يخرجوا ويخلوه والقصر فصالحهم (قال أبو مخنف) فحدثني يونس بن أبي اسحاق انه رآهم ينزلون من القصر على العجل وفتح باب القصر لمطر بن ناجية فازدحم الناس على باب القصر فزحم مطر على باب القصر فاخترط سيفه فضرب به جحفلة بغل من بغال أهل الشأم وهم يخرجون من القصر فألقى جحفلته ودخل القصر واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم قال يونس وأنا رأيتها تقسم بينهم وكان أبو السقر فيمن أعطيها وأقبل ابن الأشعث منهزماً الى الكوفة وتبعه الناس اليها ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة كانت وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الاشعث في قول بعضهم قال الواقدي كانت وقعة دير الجماجم في شعبان من هذه السنة وفي قول بعضهم كانت في سنة ٨٣

﴿ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الاشعث الى دير
الجماجم وذكر ماجرى بينه وبين الحجاج بها﴾

﴿ذكر هشام﴾ عن أبي مخنف قال حدثني أبو الزبير الهمداني ثم الأرحبي قال كنت قد أصابتني جراحة وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الاشعث حين أقبل فاستقبلوه بعد ماجاز قنطرة زبارا فلما دنا منها قال لي ان رأيت ان تعدل عن الطريق فلا يرى الناس جراحتك فإني لا أحب ان يستقبلهم الجرحى فافعل فعدلت ودخل الناس فلما دخل الكوفة مال اليه أهل الكوفة كلهم وسبقت همدان اليه فحفت به عند دار عمرو بن حريث الا ان طائفة من تميم ليسوا بالكثير قد أتوا مطر بن ناجية فأرادوا ان يقاتلوا دونه فلم

يطيقوا قتال الناس فدعا عبد الرحمن بالسلاليم والعجل فوضعت ليصعد الناس القصر فصعد الناس القصر فأخذوه فأتى به عبد الرحمن بن محمد فقال له استبقني فاني أفضل فرسانك وأعظمهم عنك غنًى فأمر به فحبس ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه وبايعه مطر ودخل الناس اليه فبايعوه وسقط اليه أهل البصرة وتقوَّضت اليه المسالح والثغور وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وعرف بذلك وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الاشعث ثلاثا فبلغ ذلك عبد الملك ابن مروان فقال قاتل الله عُدى الرحمن انه قد فر وقاتل غلمانٌ من غلمان قريش بعد ثلاثا وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البر حتى مر بين القادسية والعذيب ومنعوه من نزول القادسية وبعث اليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من خيل المصرين فنعوه من نزول القادسية ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادى السباع ثم تساير واحتى نزل الحجاج دير قُرَّة ونزل عبد الرحمن بن العباس دير الجماجم ثم جاء ابن الأشعث فنزل بدير الجماجم والحجاج بدير قرَّة فكان الحجاج بعد ذلك يقول أما كان عبد الرحمن يزجر الطير حيث رآنى نزلتُ دير قُرَّة ونزل دير الجماجم واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم والقراء من أهل المصرين فاجتمعوا جميعا على حرب الحجاج وجمعهم عليه بغضهم والكراهية له وهم اذذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم وجاءت الحجاج أيضا أمداده من قبل عبد الملك من قبل ان ينزل دير قرَّة وقد كان الحجاج أراد قبل ان ينزل دير قرَّة ان يرتفع الى هيتَ وناحية الجزيرة ارادة أن يقترب من الشام والجزيرة فيأتيه المدد من الشام من قريب ويقترب من رفاغة سعر الجزيرة فلما مر بدير قرة قال ما بهذا المنزل بُعد من أمير المؤمنين وإن الفلاليج وعين التمر الى جنبنا فنزل فكان في عسكره مخندقا وابن محمد في عسكره مخندقا والناس يخرجون في كل يوم فيقتتلون فلا يزال أحدهما يدنى خندقه نحو صاحبه فإذا رآه الآخر خندق أيضا وأدنى خندقه من صاحبه واشتد القتال بينهم فلما بلغ ذلك رؤس قريش وأهل الشأم قِبَل عبد الملك ومواليه قالوا ان كان انما يرضى أهل العراق ان تنزع عنهم الحجاج فإنَّ نزع الحجاج أيسر من حرب أهل العراق فانزعه عنهم تخلص لك طاعتهم وتحقن به دماءنا ودماءهم فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك وبعث الى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه فاجتمعا جميعا عنده كلاهما في جنديهما فأمرهما ان يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم وان يجرى عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشأم وان ينزل ابن محمد أى بلد من عراق شاء يكون عليه واليا ما دام حيا وكان عبد الملك واليا فإن هم قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج وكان محمد بن مروان أمير العراق وإن أبوا ان

يقبلوا فالحجاج أمير جماعة أهل الشأم وولى القتال ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعته فلم يأت الحجاج أمر قط كان أشد عليه ولا أغيظ له ولا أوجع لقلبه منه مخافة أن يقبلوا فيعزل عنهم فكتب الى عبد الملك يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لا يلبثون الا قليلا حتى يخالفوك و يسيروا اليك ولا يزيدهم ذلك الا جرأة عليك ألم تر وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان * فلما سألهم ما يريدون قالوا نزع سعيد بن العاص فلما نزعه لم تتم لهم السنة حتى ساروا اليه فقتلوه إن الحديد بالحديد يفلح خار الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك فأبى عبد الملك الا عرض هذه الخصال على أهل العراق ارادة العافية من الحرب فلما اجتمعا مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال يا أهل العراق أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين وهو يعطيكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال التى ذكرنا * وقال محمد بن مروان أنا رسول أمير المؤمنين اليكم وهو يعرض عليكم كذا وكذا فذكر هذه الخصال قالوا نرجع العشية فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس الا أتاه فحمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقد أعطيتم أمرا انتهازكم اليوم اياه فرصة ولا آمن أن يكون على ذى الرأى غدا حسرة وانكم اليوم على النصف وان كانوا اعتدّوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون فلا والله لا زلتم عليهم جرآء ولا زلتم عندهم أعزاء ان أنتم قبلتم أبدا ما بقيتم فوثب الناس من كل جانب فقالوا ان الله قد أهلكهم فأصبحوا في الأزل والضنك والمجاعة والقلة والذلة ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرفيع والمادّة القريبة لا والله لا نقبل فأعادوا خلعه ثانية وكان عبد الله بن ذواب السلمى وعمير بن تيحان أول من قام بخلعه في الجماجم وكان اجتماعهم على خلعه بالجماجم أجمع من خلعهم اياه بفارس فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك الى الحجاج فقالا شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك فانا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع فقال قد قلت لكما انه لا يراد بهذا الامر غيركما ثم قال انما أقاتل لكما وانما سلطانى سلطانكما فكانا اذا لقياه سلما عليه بالإمرة وقد زعم أبو يزيد السكسكى انه انما كان أيضا يسلم عليهما بالامرة اذا لقيهما وخلياه والحرب فتولاها (قال أبو مخنف) فحدثنى الكلبى محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجماجم سمعت عبد الرحمن بن محمد وهو يقول ألا ان بنى مروان يعيّرون بالزرقاء والله ما لهم نسب أصح منه الا ان بنى أبى العاص أعلاج من أهل صفورية فان يكن هذا الأمر في قريش فعنّى فقئت بيضة قريش وان يك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس ومدّ بها صوته يسمع الناس وبرزوا للقتال فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليم الكلبى وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمى وعلى خيله سفيان بن الأبرد الكلبى وعلى

رجاله عبد الرحمن بن حبيب الحكمي وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن جارية الخثعمي وعلى ميسرته الابرد بن قرة التميمي وعلى خيله عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة ابن الحارث الهاشمي وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبي وقاص وعلى مجففته عبد الله بن رزام الحارثي وجعل على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي وكان معه خمسة عشر رجلا من قريش وكان فيهم عامر الشعبي وسعيد بن جبير وأبو البختري الطائي وعبد الرحمن ابن أبي ليلى ثم انهم أخذوا يتزاحفون في كل يوم و يقتتلون وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فهم فيما شاؤا من خصبهم واخوانهم من أهل البصرة وأهل الشأم في ضيق شديد قد غلت عليهم الأسعار وقل عندهم الطعام وفقدوا اللحم وكانوا كأنهم في حصار وهم على ذلك يغادون أهل العراق و يراوحونهم فيقتتلون أشد القتال وكان الحجاج يدني خندقه مرة وهؤلاء أخرى حتى كان اليوم الذي أصيب فيه جبلة بن زحر ثم انه بعث الى كميل بن زياد النخعي وكان رجلا ركينا وقورا عند الحرب له بأس وصوت في الناس وكانت كتيبته تدعى كتيبة القراء يحمل عليهم فلا يكادون يبرحون و يحملون فلا يكذبون فكانوا قد عرفوا بذلك فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون وخرج الناس فعبى الحجاج أصحابه ثم زحف في صفوفه وخرج ابن محمد في سبعة صفوف بعضها على أثر بعض وعبى الحجاج لكتيبة القراء التي مع جبلة بن زحر ثلاث كتائب و بعث عليها الجراح بن عبد الله الحكمي فأقبلوا نحوهم (قال أبو مخنف) حدثني أبو يزيد السكسكي قال أنا والله في الخيل التي عبيت لجبلة بن زحر قال حملنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات كل كتيبة تحمل حملة فلا والله ما استنقصنا منهم شيأ ﴿وفي هذه السنة﴾ توفي المغيرة بن المهلب بخراسان ﴿ذكر علي بن محمد﴾ عن المفضل بن محمد قال كان المغيرة بن المهلب خليفة أبيه بمرو على عمله كله فمات في رجب سنة ٨٢ فأتى الخبر يزيد وعلمه أهل العسكر فلم يخبروا المهلب وأحب يزيد أن يبلغه فأمر النساء فصرخن فقال المهلب ما هذا فقيل مات المغيرة فاسترجع وجزع حتى ظهر جزعه عليه فلامه بعض خاصته فدعا يزيد فوجهه الى مرو فجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على لحيته وكتب الحجاج الى المهلب يعزيه عن المغيرة وكان سيدا وكان المهلب يوم مات المغيرة مقيما بكش وراء النهر لحرب أهلها قال فسار يزيد في ستين فارسا ويقال سبعين فيهم مجاعة بن عبد الرحمن العتكي وعبد الله بن معمر بن سمير اليشكري ودينار السجستاني والهيثم بن المنخل الجرموزي وغزوان الإسكاف صاحب زم وكان أسلم على يد المهلب وأبو محمد الزمي وعطية مولى لعتيك فلقيهم خمسمائة من الترك في مفازة نسف فقالوا ما أنتم قالوا تجار قالوا فأين الأثقال قالوا قدمناها قالوا فأعطونا شيأ فأبى يزيد فأعطاهم مجاعة ثوبا وكرابيس وقوسا فانصرفوا ثم غدروا وعادوا اليهم فقال يزيد انا كنت

أعلمَ بهم فقاتلوهم فاشتدّ القتال بينهم ويزيد على فرس قريب من الارض ومعه رجل من الخوارج كان يزيد أخذه فقال استبقني فمنّ عليه فقال له ماعندك فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل رجلا ثم كرّ فخالطهم حتى تقدّمهم وقتل رجلا ثم رجع الى يزيد وقتل يزيدُ عظيما من عظمائهم ورُمى يزيد فى ساقه واشتدت شوكتهم وهرب أبو محمد الزمّىّ وصبر لهم يزيد حتى حاجز وهم وقالوا قد غدرنا ولكن لا ننصرف حتى نموت جميعا أو تموتوا أو تعطونا شيأ فخلف يزيد لا يُعطيهم شيأ فقال مجاعة أذكرك الله قد هلك المغيرة وقد رأيتَ ما دخل على المهلب من مصابه فأنشدك الله ان تصاب اليوم قال إنّ المغيرة لم يَعْدُ أجله ولست أعدو أجلى فرمى اليهم مجاعة بعمامة صفراء فأخذوها وانصرفوا وجاء أبو محمد الزمى بفوارس وطعام فقال له يزيد أسلمتنا يا أبا محمد فقال انما ذهبتُ لأجيئكم بمدد وطعام فقال الراجز

يزيدُ يا سيفَ أبى سعيدْ * قد علمَ الاقوامُ والجنودْ

والجمعُ يومَ المجمع المشهودْ * أنكَ يومَ التركِ صلبُ العودْ

وقال الاشقرىّ

والتركُ تعلمُ إذلاقى جموعهمُ * أن قد لقوهُ شهابا يَفرجُ الظلما

بفتيةٍ كاسُود الغاب لم يجدوا * غيرَ التأسى وغيرَ الصبرِ معتصَما

نرى شرائجَ تغشى القومَ من علق * وما أرى نبوةً منهم ولا كزَما

وتحتَهم قرَحٌ يركَبْنَ ماركبوا * من الكريهة حتى يبتلعن دَمَا

في حازّة الموتِ حتى جنّ ليلُهمُ * كلا الفريقين ماولى ولا انهزَما

﴿وفى هذه السنة﴾ صالح المهلب أهل كَشّ على فدية و رحل عنها يريد مرو

﴿ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كَشّ﴾

ذكر علىّ بن محمد عن المفضل بن محمد ان المهلب اتهم قوما من مُضَر فحبسهم وقفل من كشَّ وخلفهم وخلف حريث بن قطبة مولى خزاعة وقال اذا استوفيت الفدية فرُدَّ عليهم الرُّهُن وقطع النهر * فلما صار ببلخ أقام بها وكتب الى حريث انى لستُ آمن إن رددتَ عليهم الرهن أن يُغيروا عليك فاذا قبضتَ الفدية فلا تخلى الرهن حتى تقدم أرض بلخ فقال حريث لملك كشّ ان المهلب كتب الىّ أن أحبس الرهن حتى أقدم أرض بلخ فإن عجلتَ لى ما عليك سلمتُ اليك رهائنك وسرتُ فأخبرته ان كتابه ورد وقد استوفيتُ ما عليكم ورددت عليكم الرهن فعجل لهم صُلحهم وردّ عليهم من كان في أيديهم منهم وأقبل فعرض لهم التركُ فقالوا افد نفسك ومن معك فقد لقينا يزيد بن المهلب ففدى نفسه فقال حريث ولدتنى اذا أمُّ يزيدَ وقاتلهم فقتلهم وأسر منهم أسرى ففدَوْهم فمنّ عليهم وخلاهم و ردّ عليهم

الفداء وبلغ المهلب قوله ولدتني أمّ يزيداذاً فقال يأنف العبد أن تلده رحمه وغضب * فلما قدم عليه بلخ قال له أين الرهن قال قبضت ماعليهم وخليتهم قال ألم أكتب اليك أن لا تخليهم قال أتاني كتابك وقد خليتهم وقد كفيت ماخفت قال كذبت ولكنك تقربت اليهم والى ملكهم فأطلعته على كتابي اليك وأمر بتجريده فجزع من التجريد حتى ظن المهلب أن به برصاً فجرده وضربه ثلاثين سوطا فقال حريث وددت أنه ضربني ثلثمائة سوط ولم يجردني أنفاً واستحياء من التجريد وحلف ليقتلن المهلب فركب المهلب يوما وركب حريث فأمر غلامين له وهو يسير خلف المهلب أن يضرباه فأبى أحدهما وتركه وانصرف ولم يجترئ الآخر لما صار وحده أن يقدم عليه فلما رجع قال لغلامه مامنعك منه قال الإشفاق والله عليك والله ماجزعت على نفسي وعلمت أنا ان قتلناه انك ستقتل ونقتل ولكن كان نظري لك ولو كنت أعلم انك تسلم من القتل لقتلته قال فترك حريث اتيان المهلب وأظهر انه وجع وبلغ المهلب انه تمارض وانه يريد الفتك به فقال المهلب لثابت بن قطبة جئني بأخيك فإنما هو كبعض ولدي عندي وما كان ما كان مني اليه الا نظرا له وأدبا ولربما ضربت بعض ولدي أؤدّبه فأتى ثابت أخاه فناشده وسأله أن يركب الى المهلب فأبى وخافه وقال والله لا أجيئه بعدما صنع بي ماصنع ولا آمنه ولا يأمنني فلمارأى ذلك أخوه ثابت قال له أما ان كان هذا رأيك فاخرج بنا الى موسى بن عبد الله بن خازم وخاف ثابت أن يفتك حريث بالمهلب فيقتلون جميعا فخرجا في ثلثمائة من شاكريتهما والمنقطعين اليهما من العرب ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة توفي المهلب بن أبي صفرة

﴿ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته﴾

قال علي بن محمد حدثني المفضل قال مضى المهلب منصرفه من كش يريد مرو فلما كان بزاغول من مرو الروذ أصابته الشوصة وقوم يقولون الشوكة فدعا حبيبا ومن حضره من ولده ودعا بسهام فحزمت وقال أترونكم كاسريها مجتمعة قالوا لا قال أفترونكم كاسريها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فإن صلة الرحم تنسئ في الاجل وتثري المال وتكثر العدد وأنهاكم عن القطيعة فان القطيعة تعقب النار وتورث الذلة والقلة فتحابوا وتواصلوا وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا وتبارّوا تجتمع أموركم ان بني الأمّ يختلفون فكيف ببني العلات وعليكم بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم أفضل من قولكم فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه واتقوا الجواب وزلة اللسان فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ويزل لسانه فيهلك أعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى بغدوّ الرجل ورواحه اليكم تذكرة له وآثروا الجود على البخل وأحبوا العرب واصطنعوا العرف فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك فكيف الصنيعة عنده عليكم في

الحرب بالأناة والمكيدة فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة وإذا كان اللقاء نزل القضاء فإن أحذر جل بالحزم فظهر على عدوه قيل أتى الأمر من وجهه ثم ظفر فحمد وان لم يظفر بعد الأناة قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن وتعليم السنن وأدب الصالحين واياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم وقد استخلفت عليكم يزيد وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد فلا تخالفوا يزيد فقال له المفضل لو لم تقدمه لقدمناه ومات المهلب وأوصى الى حبيب فصلى عليه حبيب ثم سار الى مرو وكتب يزيد الى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه اياه فأقره الحجاج ويقال انه قال عند موته ووصيته لو كان الأمر الى لوليت سيد ولدي حبيبا قال وتوفي في ذي الحجة سنة ٨٢ فقال نهار بن توسعة التميمي

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى * ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرو الروذ رهنى ضريحه * وقد غيبا عن كل شرق ومغرب

اذا قيل أي الناس أولى بنعمة * على الناس قلناه ولم نتهيب

أباح لنا سهل البلاد وحزنها * بخيل كأرسال القطا المتسرب

يعرضها للطعن حتى كأنما * يجللها بالأرجوان المخضب

تطيف به قحطان قد عصبت به * وأحلافها من حي بكر وتغلب

وحيا معد عوذ بلوائه * يفدونه بالنفس والأم والأب

﴿وفي هذه السنة﴾ ولى الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب خراسان بعد موت المهلب ﴿وفيها﴾ عزل عبد الملك أبان بن عثمان عن المدينة قال الواقدي عزله عنها لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة قال وفيها ولى عبد الملك هشام بن اسماعيل المخزومي المدينة وعزل هشام بن اسماعيل عن قضاء المدينة لما وليها نوفل بن مساحق العامري وكان يحيى بن الحكم هو الذي استقضاه على المدينة * فلما عزل يحيى وولها أبان بن عثمان أقره على قضائها وكانت ولاية أبان المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاث عشرة ليلة فلما عزل هشام بن اسماعيل نوفل بن مساحق عن القضاء ولى مكانه عمرو بن خالد الزرقي ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق ابن عيسى عن أبي معشر وكان على الكوفة والبصرة والمشرق الحجاج وعلى خراسان يزيد ابن المهلب من قبل الحجاج

## ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ﴾

### ﴿ذكر الأحداث التي كانت فيها﴾

فما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم

﴿ذكر الخبر عن سبب انهزامه﴾

ذكر هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدّثني أبو الزبير الهمدانيّ قال كنت في خيل جبلة ابن زحر * فلما حمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة نادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال يا معشر القرّاء ان الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم انى سمعت عليّا رفع الله درجته في الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصديقين يقول يوم لقينا أهل الشام أيها المؤمنون انه من رأى عدوانا يُعمل به ومنكرا يُدعى اليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن أنكر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه ومَن أنكره بالسيف لتكونَ كلمةُ اللهِ العُليا وكلمةُ الظالمينَ السُّفلَى فذلك الذى أصاب سبيل الهدى ونوّر فى قلبه باليقين فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحقّ فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه وقال أبو البخترى أيها الناس قاتلوهم على دينكم ودنياكم فوالله لئن ظهروا عليكم ليُفسدُنّ عليكم دينكم وليغلبُنّ على دنياكم وقال الشعبيّ يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم فوالله ما أعلم قوما على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم فى الحكم فليكن بهم البدار وقال سعيد بن جبير قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبُّرهم فى الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة (قال أبو مخنف) قال أبو الزبير فتهيأنا للحملة عليهم فقال لنا جبلة اذا حملتم عليهم فاحملوا حملة صادقة ولا تردّوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفّهم قال فحملنا عليهم حملة بجدّ منا فى قتالهم وقوّة منا عليهم فضربنا الكتائب الثلاث حتى اشفترّت ثم مضينا حتى واقعنا صفهم فضربناهم حتى أزلناهم عنه ثم انصرفنا فمررنا بجبلة صريعا لا ندرى كيف قُتل قال فهدّنا ذلك وجبنّا فوقفنا موقفنا الذى كنا به وان قُرّاءنا المتوافرون ونحن نتناعى جبلة بن زحر بيننا كأنما فقد به كلّ واحد منا أباه أو أخاه بل هو في ذلك الموطن كان أشدّ علينا فقدا فقال لنا أبو البخترى الطائىّ لا يستبيننّ فيكم قتلُ جبلة بن زحر فإنما كان كرجل منكم أتته منيّته ليومها فلم يكن ليتقدّم يومه ولا ليتأخر عنه وكلكم ذائق ماذاق ومدعوّ فجيب قال فنظرتُ الى وجوه القرّاء فاذا الكآبة على وجوههم بينة واذا ألسنتهم منقطعة واذا الفشل فيهم قد ظهر واذا أهل الشام قد سُرّوا وجذلوا فنادوا يا أعداء الله قد هلكتم وقد قتل الله طاغوتكم (قال أبو مخنف) فحدّثني أبو يزيد السكسكىّ ان جبلة حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفنا وتبعونا وافترقت منا فرقة فكانت ناحيةً فنظرنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابنا وقد وقف لأصحابه ليرجعوا اليه على رأس رهوة فقال بعضنا هذا والله جبلة ابن زحر احملوا عليه مادام أصحابُه مشاغيلَ بالقتال عنه لعلكم تصيبونه قال فحملنا عليه فأشهدُ ما ولى ولكن حمل علينا بالسيف * فلما هبط من الرهوة شجرناه بالرماح فأذريناه

عن فرسه فوقع قتيلا ورجع أصحابه فلما رأيناهم مقبلين تنحّينا عنهم فلما رأوه قتيلا رأينا من استرجاعهم وجزعهم ما قرّت به أعيننا قال فتبيّنا ذلك في قتالهم ايانا وخروجهم الينا (قال أبو مخنف) حدّثني سهم بن عبد الرحمن الجهني قال لما أصيب جبلة هدّ الناس مقتله حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني فشجّع الناس مقدمه وقالوا هذا يقوم مقام جبلة فسمع هذا القول من بعضهم أبو البختري فقال قبحتم ان قتل منكم رجل واحد ظننتم أن قد أحيط بكم فان قتل الآن ابن مصقلة ألقيتم بأيديكم الى التهلكة وقلتم لم يبق أحد يقاتل معه ما أخلقكم أن يخلف رجاؤنا فيكم وكان مقدم بسطام من الرى فالتقى هو وقتيبة في الطريق فدعاه قتيبة الى الحجاج وأهل الشأم ودعاه بسطام الى عبد الرحمن وأهل العراق فكلاهما أبى على صاحبه وقال بسطام لأن أموت مع أهل العراق أحبّ الى من ان أعيش مع أهل الشأم وكان قد نزل ما سبذان فلما قدم قال لابن محمد أمّرني على خيل ربيعة ففعل فقال لهم يا معشر ربيعة إنّ في شرسفة عند الحرب فاحتملوها لى وكان شجاعا فخرج الناس ذات يوم ليقتتلوا فحمل في خيل ربيعة حتى دخل عسكرهم فأصابوا فيهم نحوا من ثلاثين امرأة من بين أمة وسرّية فأقبل بهن حتى اذا دنى من عسكره ردّهنّ فجئن دخلن عسكر الحجاج فقال أولى لهم منع القوم نساءهم أما لو لم يردّوهن لسبيت نساؤهم غدا اذا ظهرت ثم اقتتلوا يوما آخر بعد ذلك فحمل عبد الله بن مليل الهمداني في خيل له حتى دخل عسكرهم فسبا ثماني عشرة امرأة وكان معه طارق بن عبد الله الأسدى وكان راميا فخرج شيخ من أهل الشأم من فسطاطه فأخذ الأسدى يقول لبعض أصحابه استرمنى هذا الشيخ لعلى أرميه أو أحمل عليه فأطعنه فإذا الشيخ يقول رافعا صوته اللهم لمّنا وإياهم بعافية فقال الأسدى ما أحبّ أن أقتل مثل هذا فتركه وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد ثم خلى سبيلهن أيضا فقال الحجاج مثل مقالته الأولى (قال هشام) قال أبى أقبل الوليد بن نحيت الكلبي من بني عامر في كتيبة الى جبلة بن زحر فانحطّ عليه الوليد من رابية وكان جسيما وكان جبلة رجلا ربعة فالتقيا فضربه على رأسه فسقط وانهزم أصحابه وجيء برأسه (قال هشام) فحدثني بهذا الحديث أبو مخنف وعوانة الكلبي قالا لما جيء برأس جبلة بن زحر الى الحجاج حمله على رمحين ثم قال يا أهل الشأم ابشروا هذا أول الفتح لا والله ما كانت فتنة قطّ فخبت حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمن وهذا من عظمائهم ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشأم يدعو الى المبارزة فخرج اليه الحجاج بن جارية فحمل عليه فطعنه فأذراه وحمل أصحابه فاستنقذوه فإذا هو رجل من خثعم يقال له أبو الدرداء فقال الحجاج بن جارية أما انى لم أعرفه حتى وقع ولو عرفته ما بارزته ما أحبّ أن يصاب من قومى مثله وخرج عبد الرحمن بن عوف الرؤاسى أبو حميد فدعا الى المبارزة فخرج اليه ابن عمّ

له من أهل الشأم فاضطر بابسيفيهما فقال كل واحد منهما أنا الغلام الكلابي فقال كل واحد منهما لصاحبه من أنت فلما تساءلا تحاجزا وخرج عبد الله بن رزام الحارثي الى كتيبة الحجاج فقال اخرجوا الى رجلا رجلا فأخرج اليه رجل فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام يقتل كل يوم رجلا حتى اذا كان اليوم الرابع أقبل فقالوا قد جاء لا جاء الله به فدعا الى المبارزة فقال الحجاج للجراح أخرج اليه فخرج اليه فقال له عبد الله بن رزام وكان له صديقا ويحك يا جراح ما أخرجك الى قال قد ابتليت بك قال فهل لك في خير قال ما هو قال أنهزم لك فترجع الى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك وأما أنا فانى أحتمل مقالة الناس فى انهزامى عنك حبا لسلامتك فانى لا أحب أن أقتل من قومى مثلك قال فافعل فحمل عليه فأخذ يستطرد له وكان الحارثى قد قطعت لهاته وكان يعطش كثيرا وكان معه غلام له معه إداوة من ماء فكلما عطش سقاه الغلام فاطرد له الحارثى وحمل عليه الجراح حملة بجد لا يريد الا قتله فصاح به غلامه إن الرجل جاد فى قتلك فعطف عليه فضربه بالعمود على رأسه فصرعه فقال لغلامه انضح على وجهه من ماء الإداوة واسقه ففعل ذلك به فقال يا جراح بئس ما جزيتنى أردت بك العافية وأردت أن تزيرنى المنية فقال لم أرد ذلك فقال انطلق فقد تركتك للقرابة والعشيرة (قال محمد بن عمر الواقدى) حدثنى ابن أبى سبرة عن صالح بن كيسان قال قال سعيد الحرشى أنا في صف القتال يومئذ اذ خرج رجل من أهل العراق يقال له قدامة بن الحريش التميمى فوقف بين الصفين فقال يا معشر جرامقة أهل الشأم انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة رسوله فإن أبيتم فليخرج الى رجل فخرج اليه رجل من أهل الشأم فقتله حتى قتل أربعة فلما رأى ذلك الحجاج أمر مناديا فنادى لا يخرج الى هذا الكلب أحد قال فكف الناس قال سعيد الحرشى فدنوت من الحجاج فقلت أصلح الله الأمير انك رأيت أن لا يخرج الى هذا الكلب أحد وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بآجالهم ولهذا الرجل أجل وأرجو أن يكون قد حضر فأذن لأصحابى الذين قدموا معى فليخرج اليه رجل منهم فقال الحجاج ان هذا الكلب لم يزل هذا له عادة وقد أرعب الناس وقد أذنت لأصحابك فمن أحب أن يقوم فليقم فرجع سعيد الحرشى الى أصحابه فأعلمهم فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز اليه رجل من أصحاب الحرشى فقتله قدامة فشق ذلك على سعيد وثقل عليه لكلامه الحجاج ثم نادى قدامة من يبارز فدنا سعيد من الحجاج فقال أصلح الله الأمير ائذن لى في الخروج الى هذا الكلب فقال وعندك ذلك قال سعيد نعم انا كما تحب فقال الحجاج أرنى سيفك فأعطاه اياه فقال الحجاج معى سيف أثقل من هذا فامر له بالسيف فاعطاه اياه فقال الحجاج ونظر الى سعيد فقال ما أجود درعك وأقوى فرسك ولا أدرى كيف تكون مع هذا الكلب قال سعيد أرجو أن

يظفرني الله به فقال الحجاج اخرج على بركة الله قال سعيد فخرجت اليه فلما دنوت منه قال قف
ياعدوّ الله فوقفت فسرّني ذلك منه فقال احترْ إما أن تمكنني فأضربك ثلاثا واما أن أمكنك
فتضربني ثلاثا ثم تمكنني قلت أمكنّي فوضع صدره على قربوسه ثم قال اضرب فجمعت يديّ
على سيفي ثم ضربت على المغفر متمكنا فلم يصنع شيأ فساءني ذلك من سيفي ومن ضربتي ثم
أجمع رأيي أن أضربه على أصل العاتق فاما ان أقطع واما ان أوهن يده عن ضربته فضربته
فلم أصنع شيأ فساءني ذلك ومن غاب عني ممن هو في ناحية العسكر حين بلغه مافعلت والثالثة
كذلك ثم اخترط سيفا ثم قال أمكني فامكنته فضربني ضربة صرعني منها ثم نزل عن فرسه
وجلس على صدري وانتزع من خفيه خنجرا أوسكينا فوضعها على حلقي يريد ذبحي فقلت له
أنشدك الله فانك لست مصيبا من قتلي الشرف والذكر مثل ما أنت مصيب من تركي قال
ومن أنت قلت سعيد الحرشي قال أولى ياعدوّ الله فانطلق فأعلم صاحبك مالقيت قال سعيد
فانطلقت أسعى حتى انتهيت الى الحجاج فقال كيف رأيت فقلت الأمير كان أعلم بالأمر
﴿رجع الحديث﴾ الى حديث أبي مخنف عن أبي يزيد قال وكان أبو البختري الطائي وسعيد
ابن جبير يقولان ما كان لنفس أن تموتَ الّا باذن اللهِ كتاباً مؤجّلاً الى آخر الآية ثم
يحملان حتى يواقعا الصف (قال أبو المخارق) قاتلناهم مائة يوم سوَاءً أعدُّها عدًّا قال نزلنا دير
الجماجم مع ابن محمد غداة الثلاثاء لليلة مضت من شهر ربيع الاول سنة ٨٣ وهزمنا يوم
الاربعاء لاربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد الضحى ومتوع النهار وما كنا
قط أجرأ عليهم ولاهم أهون علينا منهم في ذلك اليوم قال خرجنا اليهم وخرجوا الينا يوم
الاربعاء لاربع عشرة مضت من جمادى الآخرة فقاتلناهم عامة النهار أحسن قتال
قاتلناهموه قط ونحن آمنون من الهزيمة عالون للقوم اذ خرج سفيان بن الابرد الكلبي في
الخيل من قبل ميمنة أصحابه حتى دنا من الابرد بن قُرّة التميمي وهو على ميسرة عبد الرحمن بن
محمد فوالله ماقاتله كبير قتال حتى انهزم فأنكرها الناس منه وكان شجاعا ولم يكن الفرار له
بعادة فظن الناس انه قد كان أومِن وصُولح على أن ينهزم بالناس فلما فعلها تقوّضت الصفوف
من نحوه وركب الناس وجوههم وأخذوا في كل وجه وصعد عبد الرحمن بن محمد المنبر فأخذ
ينادي الناس عباد الله اليَّ أنا ابن محمد فأتاه عبد الله بن رزام الحارثي فوقف تحت منبره وجاء
عبد الله بن ذؤاب السُلمي في خيل له فوقف منه قريبا وثبت حتى دنا منه أهل الشأم فأخذت
نبلهم تحوزه فقال يا ابن رزام احمل على هذه الرجال والخيل فحمل عليهم حتى أمعنوا ثم جاءت
خيل لهم أخرى ورجّالة فقال احمل عليهم يا ابن ذؤاب فحمل عليهم حتى أمعنوا وثبت لايبرح
منبره ودخل أهل الشأم العسكر فكبّروا فصعد اليه عبد الله بن يزيد بن المُغفَّل الازدي
وكانت مُليكةُ ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن فقال انزل فاني أخاف عليك ان لم تنزل أن تؤسر

ولعلك ان انصرفت أن تجمع لهم جمعا يهلكهم الله به بعد اليوم فنزل وخلى أهل العراق العسكر وانهزموا لا يلوون على شيء ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعدة بن هبيرة ومعه أناس من أهل بيته حتى اذا حاذوا قرية بنى جعدة بالفلوجة دعوا بمعبر فعبروا فيه فانتهى اليهم بسطام بن مصقلة فقال هل فى السفينة عبد الرحمن بن محمد فلم يكلموه وظن انه فيهم فقال

لا وألت نفس عليها تحاذر

ضرم قيس على البلا * د حتى اذا اضطرمت أجذما

ثم جاء حتى انتهى الى بيته وعليه السلاح وهو على فرسه لم ينزل عنه فخرجت اليه ابنته فالتزمها وخرج اليه أهله يبكون فأوصاهم بوصية وقال لا تبكوا أرأيتم ان لم أترككم كم عسيت أن أبقى معكم حتى أموت وان أنا مت فان الذى رزقكم الآن حى لا يموت وسيرزقكم بعد وفاتى كما رزقكم فى حياتى ثم ودع أهله وخرج من الكوفة (قال أبو مخنف) فحدثنى الكلبى محمد بن السائب انهم لما انهزموا ارتفاع النهار حين امتد ومتع قال جئت أشتد ومعى الرمح والسيف والترس حتى بلغت أهلى من يومى ما ألقيت شيأ من سلاحى فقال الحجاج اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ونادى المنادى من رجع فهو آمن ورجع محمد بن مروان الى الموصل وعبد الله بن عبد الملك الى الشأم بعد الوقعة وخليا الحجاج والعراق وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة وأجلس مصقلة بن كرب بن رقبة العبدى الى جنبه وكان خطيبا فقال اشتم كل امرئ بما فيه ممن كنا أحسنا اليه فاشتمه بقلة شكره ولؤم عهده ومن علمت منه عيبا فعبه بما فيه وصغر اليه نفسه وكان لا يبايعه أحد إلا قال له أتشهد انك قد كفرت فاذا قال نعم بايعه والا قتله فجاء اليه رجل من خثعم قد كان معتزلا للناس جميعا من وراء الفرات فسأله عن حاله فقال مازلت معتزلا وراء هذه النطفة منتظرا أمر الناس حتى ظهرت فأتيتك لابايعك مع الناس قال أمتربص أتشهد انك كافر قال بئس الرجل أنا ان كنت عبدت الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسى بالكفر قال اذاً أقتلك قال وان قتلتنى فوالله ما بقى من عمرى الا ظمء حمار وانى لانتظر الموت صباح مساء قال اضربوا عنقه فضربت عنقه فزعموا انه لم يبق حوله قرشى ولا شامى ولا أحد من الحزبين الا رحمه ورثى له من القتل ودعا بكميل بن زياد النخعى فقال له أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلا فقال والله ما أدرى على أينا أنت أشد غضبا عليه حين أقاد من نفسه أم على حين عفوت عنه ثم قال أيها الرجل من ثقيف لا تصرف على أنيابك ولا تهدم على تهدم الكثيب ولا تكشر كشران الذئب والله ما بقى من عمرى الا ظمء الحمار فانه يشرب غدوة ويموت عشية ويشرب عشية ويموت غدوة اقض ما أنت قاض فان الموعد الله وبعد القتل الحساب قال الحجاج فان الحجة عليك قال ذلك ان كان القضاء اليك قال بلى كنت فيمن قتل عثمان وخلعت أمير المؤمنين اقتلوه فقدم فقتل

قتله أبو الجهم بن كنانة الكلبى من بنى عامر بن عوف ابن عم منصور بن جمهور وأتى بآخر من بعده فقال الحجاج انى أرى رجلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر فقال أخادعى عن نفسى أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون ذى الأوتاد فضحك الحجاج وخلى سبيله وأقام بالكوفة شهرا وعزل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة ﴿وفى هذه السنة﴾ كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الاشعث بعد ما انهزم من دير الجماجم

﴿ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها﴾

(قال هشام) حدثنى أبو مخنف عن أبى يزيد السكسكى قال خرج محمد بن سعد بن أبى وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن واجتمع اليه ناس كثير وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشى حتى اتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن أبى عقيل ابن عم الحجاج فاخذها وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم البصرة وهو بها فاجتمع الناس الى عبد الرحمن ونزل فاقبل عبيد الله حينئذ الى ابن محمد بن الاشعث وقال له انى لم أرد فراقك وانما أخذتها لك وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن فأقام عليها خمسا حتى هيأ الرجال في المعابر فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم اليهم خرجوا حتى لحقوا بابن الاشعث جميعا وأقبل نحوهم الحجاج فخرج الناس معه الى مسكن على دجيل وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف وتلاوم الناس على الفرار وبايع أكثرهم بسطام بن مصقلة على الموت وخندق عبد الرحمن على أصحابه وبثق الماء من جانب فجعل القتال من وجه واحد وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسرى من خراسان في ناس من بعث الكوفة فاقتتلوا خمس عشرة ليلة من شعبان أشد القتال حتى قتل زياد بن غنيم القينى وكان على مسالح الحجاج فهده ذلك وأصحابه هدا شديدا (قال أبو مخنف) حدثنى أبو جهضم الأزدى قال بات الحجاج ليله كله يسير فينا يقول لنا انكم أهل الطاعة وهم أهل المعصية وأنتم تسعون فى رضوان الله وهم يسعون فى سخط الله وعادة الله عندكم فيهم حسنة ما صدقتموهم فى موطن قط ولا صبرتم لهم الا أعقبكم الله النصر عليهم والظفر بهم فاصبحوا اليهم عادين جادين فانى لست أشك فى النصر ان شاء الله قال فاصبحنا وقد عبانا فى السحر فباكرناهم فقاتلناهم أشد قتال قاتلناهموه قط وقد جاءنا عبد الملك بن المهلب مجففا وقد كشفت خيل سفيان بن الأبرد فقال له الحجاج ضم اليك يا عبد الملك هذا البشر لعلى أحمل عليهم ففعل وحمل الناس من كل جانب فانهزم أهل العراق أيضا وقتل أبو البخترى الطائى وعبد الرحمن بن أبى ليلى وقالا قبل أن يقتلا ان الفرار كل ساعة بنا القبيح فاصيبا قال ومشى بسطام بن مصقلة الشيبانى فى أربعة آلاف من أهل الحفاظ من أهل المصرين فكسر واجفون السيوف وقال لهم ابن مصقلة لو كنا اذا فررنا بانفسنا من الموت نجونا منه فررنا ولكنا قد علمنا انه نازل بنا عما قليل فاين المحيد عما لا بد منه يا قوم انكم

محقون فقاتلوا على الحق والله لولم تكونوا على الحق لكان موتٌ في عزّ خيرا من حياة في ذلّ فقاتل هو وأصحابه قتالا شديدا كشفوا فيه أهل الشام مرارا حتى قال الحجاج علىّ بالرُماة لا يقاتلهم غيرهم فلما جاءتهم الرماة وأحاط بهم الناس من كل جانب قُتلوا الا قليلا وأخذ بكير ابن ربيعة بن أبي ثروان الضبي أسيرا فأتى به الحجاج فقتله (قال أبو مخنف) فحدثني أبو الجهضم قال جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس فقال الحجاج يا أهل الشام انه من صنع الله لكم ان هذا غلام من الغلمان جاء بفارس أهل العراق أسيرا اضرب عنقه فقتله قال ومضى ابن الاشعث والفلّ من المنهزمين معه نحو سجستان فاتبعهم الحجاج عمارة بن تميم اللخمى ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أمير على القوم فسار عمارة بن تميم الى عبد الرحمن فادركه بالسوس فقاتله ساعة من نهار ثم انه انهزم هو وأصحابه فمضوا حتى أتوا سابور واجتمعت الى عبد الرحمن ابن محمد الأكرادُ مع من كان معه من الفلول فقاتلهم عمارة بن تميم قتالا شديدا على العقبة حتى جُرِح عمارة وكثير من أصحابه ثم انهزم عمارة وأصحابه وخلوا لهم عن العقبة ومضى عبد الرحمن حتى مر بكرمان (قال الواقدى) كانت وقعة الزاوية بالبصرة في المحرّم سنة ٨٣ (قال أبو مخنف) حدثني سيف بن بشر العجلى عن المنخل بن حابس العبدى قال لما دخل عبد الرحمن بن محمد كرمان تلقاه عمرو بن لقيط العبدى وكان عامله عليها فهيأ له نزلا فنزل فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل والله لقد بلغنا عنك يا ابن الاشعث أن قد كنت جبانا فقال عبد الرحمن والله ما جبنت والله لقد دلفت الرجال بالرجال ولففت الخيل بالخيل ولقد قاتلت فارسا وقاتلت راجلا وما انهزمت ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلا ولا أرى معي مقاتلا ولكني زاولت ملكا مؤجلا ثم انه مضى بمن معه حتى فوّز في مفازة كرمان (قال أبو مخنف) فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفى قال لما مضى ابن محمد في مفازة كرمان وأتبعه أهل الشام دخل بعض أهل الشام قصرا في المفازة فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدةَ اليشكُرى وهي قصيدة طويلة

أيا لهفًا ويا حَزَنا جميعا * ويا حَرَّ الفؤاد لمَا لَقِينا
تركنا الدينَ والدنيا جميعا * وأسلمنا الحلائلَ والبَنينا
فما كنا أناسا أهلَ دينٍ * فنصبرَ في البلاء اذا ابتلينا
وما كنا أناسا أهلَ دنيا * فنَمْنَعَها ولولم نرجُ دينا
تركنا دُورَنا لطَغَام عكٍّ * وأنباط القرَى والاشعرينا

ثم ان ابن محمد مضى حتى خرج على زَرَنج مدينة سجستان وفيها رجل من بني تميم قد كان عبد الرحمن استعمله عليها يقال له عبد الله بن عامر البعّار من بني مُجاشع بن دارم فلما قدم عليه عبد الرحمن بن محمد منهزما أغلق باب المدينة دونه ومنعه دخولها فاقام عليها عبد

الرحمن أيام رجاء افتتاحها ودخولها فلما رأى انه لا يصل اليها خرج حتى أتى بُسْتَ وقد كان استعمل عليها رجلا من بكر بن وائل يقال له عياض بن هِمْيان أبو هشام بن عياض السدوسى فاستقبله وقال له انزل فجاء حتى نزل به وانتظر حتى اذا غفل أصحاب عبد الرحمن وتفرقوا عنه وثب عليه فأوثقه وأراد ان يأمن بها عند الحجاج ويتخذ بها عنده مكانا وقد كان رُتبيل سمع بمقدم عبد الرحمن عليه فاستقبله فى جنوده فجاء رتبيل حتى أحاط ببست ثم نزل وبعث الى البكرى والله لئن آذيته بما يُقذى عينه أوضررته ببعض المضرة أو رزأته حبلا من شَعَر لا أبرح العرصة حتى استنزلك فاقتلك وجميع من معك ثم أسبى ذراريكم وأقسم بين الجند أموالكم فارسل اليه البكرىُّ أن أعطنا أمانا على أنفسنا وأموالنا ونحن ندفعه اليك سالما وما كان له من مال مُوَفَّرا فصالحهم على ذلك وآمنهم ففتحوا لابن الاشعث الباب وخلوا سبيله فأتى رتبيل فقال له ان هذا كان عاملى على هذه المدينة وكنت حيث وليته واثقا به مطمئنا اليه فغدر بى وركب منى ما قد رأيت فأذن لى فى قتله قال قد آمنته وأكره أن أغدر به قال فأذن لى في دفعه ولهزه والتصغير به قال أما هذا فنعمْ ففعل به عبد الرحمن بن محمد ثم مضى حتى دخل مع رُتبيل بلاده فانزله رتبيل عنده وأكرمه وعظمه وكان معه ناس من الفل كثير ثم ان عُظْمَ الفلول وجماعة أصحاب عبد الرحمن ومن كان لا يرجو الامان من الرؤس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الاشعث ولم يقبلوا أمان الحجاج فى أول مرة وجهدوا عليه الجهْدَ كله اقبلوا في أثر ابن الاشعث وفى طلبه حتى سقطوا بسجستان فكان بها منهم وممن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحوٌ من ستين ألفا ونزلوا على عبد الله بن عامر البعار فحصروه وكتبوا الى عبد الرحمن يخبرونه بقدومهم وعددهم وجماعتهم وهو عند رتبيل وكان يصلى بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فكتبوا اليه أن أقبل الينا لعلنا نسير الى خراسان فان بها منا جندا عظيما فلعلهم يبايعوننا على قتال أهل الشأم وهى بلاد واسعة عريضة وبها الرجال والحصون فخرج اليهم عبد الرحمن بن محمد بمن معه فحصروا عبد الله بن عامر البعار حتى استنزلوه فامر به عبد الرحمن فضرب وعُذب وحبس وأقبل نحوهم عُمارة بن تميم فى أهل الشأم فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن أخرج بنا عن سجستان فلندعها ونأتى خراسان فقال عبد الرحمن بن محمد على خراسان يزيد بن المهلب وهو شاب شجاع صارم وليس بتارك لكم سلطانه ولو دخلتموها وجدتموه اليكم سريعا ولن يَدَعَ أهل الشأم اتباعكم فاكْرَهُ ان يجتمع عليكم أهل خراسان وأهل الشأم وأخاف ان لا تنالوا ما تطلبون فقالوا انما أهل خراسان منا ونحن نرجو أن لو قد دخلناها ان يكون من يتبعنا منهم أكثر

ممن

ممن يقاتلنا وهي أرض طويلة عريضة ننتحى فيها حيث شئنا ونمكث حتى يهلك الله الحجاج أوعبد الملك أونرى من رأينا فقال لهم عبد الرحمن سيروا على اسم الله فساروا حتى بلغوا هراة فلم يشعروا بشئ حتى خرج من عسكره عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين ففارقه فأخذ طريقا سوى طريقهم فلما أصبح ابن محمد قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانى قد شهدتكم في هذه المواطن وليس فيها مشهد الا أصبر لكم فيه نفسي حتى لا يبقى منكم فيه أحد فلما رأيت انكم لا تقاتلون ولا تصبرون أتيت ملجأ ومأمنا فكنت فيه فجاءتني كتبكم بأن أقبل الينا فانا قد اجتمعنا وأمرنا واحد لعلنا نقاتل عدونا فأتيتكم فرأيت ان أمضى الى خراسان وزعمتم انكم مجتمعون لى وانكم لن تفرّقوا عنى ثم هذا عبيد الله بن عبد الرحمن قد صنع ما قد رأيتم فحسبي منكم يومى هذا فاصنعوا ما بدا لكم أما أنا فمنصرف الى صاحبي الذى أتيتكم من قبله فمن أحب منكم ان يتبعني فليتبعني ومن كره ذلك فليذهب حيث أحب في عياذ من الله فتفرقت منهم طائفة ونزلت معه طائفة وبقى عظم العسكر فوثبوا الى عبد الرحمن بن العباس لما انصرف عبد الرحمن فبايعوه ثم مضى ابن محمد الى رتبيل ومضوا هم الى خراسان حتى انتهوا الى هراة فلقوا بها الرقاد الأزدى من العتيك فقتلوه وسار اليهم يزيد ابن المهلب * وأما على بن محمد المدائنى فانه ذكر عن المفضل بن محمد ان ابن الأشعث لما انهزم من مسكن مضى الى كابُل وان عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة أتى هراة فذم ابن الأشعث وعابه بفراره وأتى عبد الرحمن بن عباس سجستان فانضم اليه فلُّ ابن الأشعث فسار الى خراسان في جمع يقال عشرين ألفا فنزل هراة ولقوا الرقاد بن عبيد العتكى فقتلوه وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس عبد الرحمن بن المنذر بن الجارود فأرسل اليه يزيد بن المهلب قد كان لك في البلاد مُتَّسَعٌ ومن هو أكلّ منى حدًّا وأهون شوكة فارتحل الى بلد ليس لى فيه سلطان فإنى أكره قتالك وان أحببت ان أمدك بمال لسفرك أعنتك به فأرسل اليه ما نزلنا هذه البلاد لمحاربة ولا لمقام ولكنا أردنا ان نريح ثم نشخص ان شاء الله وليست بنا حاجة الى ما عرضت فانصرف رسول يزيد اليه وأقبل الهاشميُّ على الجباية وبلغ يزيد فقال من أراد يريح ثم يجتاز لم يَجْبِ الخراج فقدم المفضل في أربعة آلاف ويقال في ستة آلاف ثم أتبعه في أربعة آلاف ووزن يزيد نفسه بسلاحه فكان أربعمائة رطل فقال ما أرانى الا قد ثقلت عن الحرب أى فرس يحملنى ثم دعا بفرسه الكامل فركبه واستخلف على مرو خاله جديع بن يزيد وصير طريقه على مرو الروذ فأتى قبر أبيه فأقام عنده ثلاثة أيام وأعطى من معه مائة درهم مائة درهم ثم أتى هراة فأرسل الى الهاشمي قد أرحتَ وأسمنتَ وجبيتَ فلك ما جبيت وإن أردت زيادة زدناك فاخرج فوالله ما أحب ان أقاتلك قال فأبى الا القتال ومعه عبيد الله ابن عبد الرحمن بن سمرة ودسّ الهاشميُّ الى جند يزيد يمنيهم ويدعوهم الى نفسه فأخبر

بعضهم يزيد فقال جل الأمر عن العتاب أتغدى بهذا قبل ان يتعشى بى فسار اليه حتى تدانى العسكران وتأهبوا للقتال وألقى ليزيد كرسى فقعد عليه وولى الحرب أخاه المفضل فأقبل رجل من أصحاب الهاشمى يقال له خليد عُيَيْنَيْن من عبد القيس على ظهر فرسه فرفع صوته فقال

دَعَتْ يا يَزِيدَ بنَ المهلَّبِ دَعْوَةً * لها جَزَعٌ ثم استهلَّت عيونُها

ولو يُسمع الداعى النداءَ أجابَها * بصُمِّ القنَا والبيض تُلقى جفونُها

وقدْ فرَّ أشرافُ العِراقِ وغادَرُوا * بها بقرًا للحيْنِ جُمًّا قُرُونُها

وأراد ان يحض يزيد فسكت يزيد طويلا حتى ظن الناس ان الشعر قد حركه ثم قال للرجل ناد وأسمعهم جَشِّمُوهم ذلك فقال خليد

لبئسَ المنادى والمنوَّهُ باسمه * تَنَادِيهِ أبكارُ العِراقِ وعونُها

يَزِيدُ إذا يُدعى لِيَوْمِ حفيظةٍ * ولا يَمْنَعُ السَّوْآتِ إلا حُصُونُها

فإنى أراه عن قليل بنفسهِ * يُدانُ كما قد كان قبلُ يَدِينُها

فلا حُرَّةٌ تُبكيه لكن نوائحٌ * تبكّى عليه البقع منها وجونُها

فقال يزيد للمفضل قدم خيلك فتقدم بها وتهايجوا فلم يكن بينهم كبير قتال حتى تفرق الناس عن عبد الرحمن وصبر وصبرت معه طائفةٌ من أهل الحفاظ وصبر معه العبديون وحمل سعد بن نجد القُرْدُوسى على حليس الشيبانىّ وهو امام عبد الرحمن فطعنه حليس فأذراه عن فرسه وحماه أصحابه وكثرهم الناس فانكشفوا فأمر يزيد بالكف عن اتباعهم وأخذوا ما كان في عسكرهم وأسروا منهم أسرى فولى يزيدُ عطاء بن أبى السائب العسكر وأمره بضم ما كان فيه فأصابوا ثلاث عشرة امرأة فأتوا بهن يزيد فدفعهن الى مرة بن عطاء بن أبى السائب فحملهن الى الطَّبَسَيْن ثم حملهن الى العراق وقال يزيد لسعد بن نجد من طعنك قال حليس الشيبانى وأنا والله راجلا أشدّ منه وهو فارس قال فبلغ حليسا فقال كذب والله لأنا أشدّ منه فارسا وراجلا وهرب عبد الرحمن بن منذر بن بشر بن حارثة فصار الى موسى بن عبد الله بن خازم قال فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبى وقاص وعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر وعياش بن الأسود بن عوف الزهرى والهلقام بن نعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة وفير وز حصين وأبو العلج مولى عبيد الله بن معمر ورجل من آل أبى عقيل وسوار بن مروان وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خلف وعبد الله بن فضالة الزهرانىّ ولحق الهاشمى بالسند وأتى ابن سمرة مرو ثم انصرف يزيد الى مرو وبعث بالأسرى الى الحجاج مع سبرة بن نخف بن أبى صفرة وخلى عن ابن طلحة وعبد الله بن فضالة وسعى قوم بعبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة فأخذه يزيد فحبسه ﴿وأما هشام﴾ فانه ذكر

انه

انه حدثه القاسم بن محمد الحضرمىّ عن حفص بن عمر بن قبيصة عن رجل من بنى حنيفة يقال له جابر بن عمارة ان يزيد بن المهلب حبس عنده عبد الرحمن بن طلحة وآمنه وكان الطلحى قد آلى على يمين ان لا يرى يزيد بن المهلب فى موقف الا أتاه حتى يقبل يده شكرا لما أبلاه قال وقال محمد بن سعد بن أبى وقاص ليزيد أسألك بدعوة أبى لأبيك فخلى سبيله ولقول محمد بن سعد ليزيد أسألك بدعوة أبى لأبيك حديث فيه بعض الطول ﴿قال هشام﴾ حدثنى أبو مخنف قال حدثنى هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبى عقيل الثقفىّ قال بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى الى الحجاج بن يوسف بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر فقال أنت صاحب شرطة عدى الرحمن فقال أصلح الله الأمير كانت فتنة شملت البرّ والفاجر فدخلنا فيها فقد أمكنك الله منا فان عفوت فبحلمك وفضلك وان عاقبت عاقبت ظلمة مذنبين فقال الحجاج أما قولك انها شملت البرّ والفاجر فكذبت ولكنها شملت الفجار وعوفى منها الأبرار وأما اعترافك بذنبك فعسى ان ينفعك فعزل ورجا الناس له العافية حتى قدم بالهلقام بن نعيم فقال له الحجاج أخبرنى عنك ما رجوت من اتباع عبد الرحمن بن محمد أرجوت أن يكون خليفة قال نعم رجوت ذلك وطمعت ان ينزلنى منزلتك من عبد الملك قال فغضب الحجاج وقال اضربوا عنقه فقتل قال ونظر الى موسى بن عمر بن عبيد الله بن معمر وقد نُحّى عنه فقال اضربوا عنقه وقتل بقيتهم وقد كان آمن عمرو بن أبى قرة الكندى ثم الحجرىّ وهو شريف وله بيت قديم فقال يا عمر وكنت تفضى الىّ وتحدثنى انك ترغب عن ابن الأشعث وعن الاشعث قبله ثم تبعت عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث والله ما بك عن اتباعهم رغبة ولا نعمة عين لك ولا كرامة قال وقد كان الحجاج حين هزم الناس بالجماجم نادى مناديه من لحق بقُتَيبة بن مسلم بالرى فهو أمانه فلحق ناس كثير بقتيبة وكان فيمن لحق به عامر الشعبىّ فذكر الحجاجُ الشعبى يوما فقال أين هو وما فعل فقال له يزيد بن أبى مسلم بلغنى أيها الأمير انه لحق بقتيبة بن مسلم بالرى قال فأبعثْ اليه فلنؤتَ به فكتب الحجاج الى قتيبة أما بعد فابعث الى بالشعبى حين تنظر فى كتابى هذا والسلام عليك فسرح اليه (قال أبو مخنف) فحدثنى السرىُّ بن اسماعيل عن الشعبى قال كنت لابن أبى مسلم صديقا فلما قدم بى على الحجاج لقيت ابن أبى مسلم فقلت أشر على قال ما أدرى ما أشير به عليك غير أن اعتذرْ ما استطعتَ من عذر وأشار بمثل ذلك علىّ نصحائى واخوانى فلما دخلت عليه رأيتُ والله غير ما رأوا لى فسلمت عليه بالإمرة ثم قلت أيها الامير ان الناس قد أمرونى ان أعتذر اليك بغير ما يعلم الله انه الحق وايم الله لا أقول فى هذا المقام الا حقا قد والله سودنا عليك وحرّضنا وجهدنا عليك كل الجهد فما آلونا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البرَرة ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فإن سطوت فبذنوبنا وما جرَتْ اليه أيدينا وان عفوت عنا فبحلمك وبعد الحجة لك علينا

فقال له الحجاج أنت والله أحب الىّ قولا ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت قد أمنت عندنا ياشعبىّ فانصرف قال فانصرفت فلما مشيت قليلا قال هلم ياشعبىّ قال فوجل لذلك قلبى ثم ذكرت قوله قد أمنت ياشعبى فاطمأنت نفسى قال كيف وجدت الناس ياشعبىّ بعدنا قال وكان لى مكرما فقلت أصلح الله الامير اكتحلت والله بعدك السهر واستوعرت الجناب واستحلست الخوف وفقدت صالح الإخوان ولم أجد من الامير خلفا قال انصرف ياشعبىّ فانصرفت (قال أبو مخنف) قال خالد بن قطن الحارثىّ أتى الحجاج بالاعشى أعشى همدان فقال إيه ياعدوّ الله أنشدنى قولك بين الاشج وبين قيس أنفذ بيتك قال بل أنشدك ماقلت لك قال بل أنشدنى هذه فأنشده

أبى اللهُ إلا أن يُتمّ نورَهُ * ويُطفئ نورَ الفاسقين فيَخمُدا
ويُظهرَ أهلَ الحقّ فى كلّ موطنٍ * ويُعدلَ وقعَ السّيفِ من كان أصيدا
ويُنزلَ ذُلاًّ بالعِراقِ وأهلِه * لِما نقضُوا العهدَ الوثيقَ المؤكّدا
وما أحدثوا من بدعةٍ وعظيمةٍ * من القولِ لم تَصعدْ إلى الله مَصعَدا
ومَا نكثُوا من بيعةٍ بعدَ بيعةٍ * إذا ضمنُوها اليومَ خاسوا بها غدا
وجُبْنًا حشاهُ ربُّهمْ في قلوبِهمْ * فما يقربُونَ الناسَ إلا تهدُّدا
فلا صِدْقَ فى قولٍ ولا صبرَ عندَهُمْ * ولكنَّ فخرًا فيهم وتزيُّدا
فكيفَ رأيتَ اللهَ فرّقَ جمعَهُمْ * ومزّقهُمْ عُرضَ البلادِ وشرّدا
فقتلاهُمُ قتلى ضلالٍ وفتنةٍ * وحيُّهمُ أمسى ذليلًا مُطرّدا
ولما زحفنا لابنِ يُوسفَ غُدوةً * وأبرقَ منّا العارضانِ وأرعدا
قطعنَا إليه الخندقين وإنّما * قطعنا وأفضينا الى الموت مرصدا
فكافحنَا الحجاجُ دونَ صفوفنا * كِفاحًا ولم يضربْ لذلك موعدا
بِصفّ كأنّ البرقَ فى حجراته * اذا ما تجلّى بيضُهُ وتوقّدا
دلفنا إليه فى صفوفٍ كأنّها * جبالُ شرورى لو تُعانُ فتنهدا
فما لبثَ الحجاجُ أن سلّ سيفَهُ * علينا فولى جمعُنا وتبدّدا
وما زاحفَ الحجاجُ إلا رأيتَهُ * مُعانًا مُلقّى للفتوح مُعوّدا
وإنّ ابنَ عباسٍ لفى مرجحنّةٍ * نُشبّهُها قطعًا من الليلِ أسوَدا
فما شرعُوا رُمحًا ولا جرّدُوا له * ألا رُبّما لاقى الجبانُ فجرّدا
وكرّتْ علينا خيلُ سفيانَ كرّةً * بفرسانها والسمهريّ مُقصّدا

وسفيان

وسُفيانُ يَهْدِيها كأنَّ لواءَهُ * من الطعن سِندُباتُ بالصبغ مُجْسَدا
كهولٌ ومردٌ من قُضاعَةَ حَوْلَهُ * مساعيرُ أبطالٍ اذا النِكسُ عَرَّدا
إذا قال شُدُّوا شَدَّةً حملوا معًا * فأنْهَلَ خرصانَ الرِّماحِ وأوردا
جُنُودُ أميرِ المؤمنينَ وَخَيْلُهُ * وسلطانُهُ أمسى عزيزًا مؤيَّدا
فيَهْنى أميرَ المؤمنينَ ظُهُورُه * على أمَّةٍ كانوا بُغاةً وحُسَّدا
نزَوْا يَشْتَكُونَ البَغْيَ من أمرائِهِمْ * وكانوا هُمُ أبغَى البغاةِ وأعندا
وجَدْنا بَنِي مروانَ خَيْرَ أئمةٍ * وأفضلَ هذى الناسِ حلمًا وسُودَدا
وخَيْرَ قُرَيْشٍ في قريشٍ أُرُومةً * وأكرمَهم إلا النبيَّ مُحَمَّدا
إذا ما تَدَبَّرْنا عَواقِبَ أمرِهِ * وَجَدْنا أميرَ المؤمنينَ مُسَدَّدا
سيغلب قوم غالبُوا اللهَ جهْرَةً * وإن كايدُوهُ كان أقوى وأكْيَدا
كذاك يضِلُّ اللهُ من كان قلبُهُ * مريضًا ومن والى النِفاقَ وألحدا
فقد تركوا الأهلينَ والمالَ خلفَهُمْ * وبيضًا عليهنَّ الجلابيبُ خُرَّدا
يُنادينَهُمْ مُسْتَعْبِراتٍ إليهمِ * ويُذرِينَ دمعًا في الخُدُودِ وإثمِدا
فإلا تُناوِلْهُنَّ منك برحمةٍ * يكنَّ سَبايا والبُعُولَةُ أعبُدا
أنكثًا وعصيانًا وغدرًا وذِلةً * أهانَ الإلهُ من أهانَ وأبْعَدا
لقد شأمَ المِصْرينِ فرْخُ مُحمّدٍ * بحقٍّ وما لاقى من الطيرِ أسعَدا
كما شأمَ اللهُ النُجَيْرَ وأهلَهُ * بجدٍّ لهُ قد كان أشقى وأنكدا

فقال أهل الشأم أحسن أصلح الله الأمير فقال الحجاج لا لم يحسن انكم لا تدرون ما أراد بها ثم قال يا عدوّ الله انا لسنا نحمدك على هذا القول انما قلت تأسف ان لا يكون ظهر وظفر وتحريضا لاصحابك علينا وليس عن هذا سألناك أنفذ لنا قولك * بين الاشجّ وبين قيسٍ باذخ * فأنفذها فلما قال * بخ بخ لوالده وللمولود * قال الحجاج لا والله لا تبخبخ بعدها لاحد أبدا فقدمه فضرب عنقه ﴿وقد ذكر﴾ من أمر هؤلاء الاسرى الذين أسرهم يزيد بن المهلب ووجههم الى الحجاج ومن فلول ابن الاشعث الذين انهزموا يوم مسكن أمر غير ما ذكره أبو مخنف عن أصحابه والذى ذكر عنهم من ذلك انه لما انهزم ابن الاشعث مضى هؤلاء مع سائر الفلّ الى الرىّ وقد غلب عليها عمر بن أبي الصلت بن كنازمولى بني نصر بن معاوية وكان من أفرس الناس فانضموا اليه فأقبل قتيبة بن مسلم الى الرىّ من قبل الحجاج وقد ولاه عليها فقال النفر الذين ذكرت أن يزيد بن المهلب وجّههم الى الحجاج مقيدين وسائر فلّ

ابن الأشعث الذين صاروا الى الرىّ لعمر بن أبى الصلت نوليك أمرنا وتحارب بنا قتيبة فشاور عمرُ أباه أبا الصلت فقال له أبوه والله يا بنىّ ما كنت أبالى اذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تقتل من غد فعقد لواءه وسار فهزم وهُزم أصحابه وانكشفوا الى سجستان واجتمعت بها الفلول وكتبوا الى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رُتبيل ثم كان من أمرهم وأمر يزيد بن المهلب ما قد ذكرت * وذكر أبو عبيدة أن يزيد لما أراد أن يوجّه الأسرى الى الحجاج قال له أخوه حبيب بأىّ وجه تنظر الى اليمانية وقد بعثت ابن طلحة فقال يزيد هو الحجاج ولا يُتعرّض له وقال وَطّن نفسك على العزل ولا ترسل به فإن له عندنا بلاء قال وما بلاؤه قال لزم المهلب فى مسجد الجماعة بمائتى ألف فأدّاها طلحة عنه فأطلقه وأرسل بالباقين فقال الفرزدق

وَجدَ ابنُ طلحةَ يومَ لاقى قومه * قحطانَ يومَ هَراةَ خيرَ المعشر

وقيل ان الحجاج لما أتى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه اذا دعوتك بسيّدهم فأتنى بفَيْرُوز وفابر زسر يره وهو حينئذ بواسط القصب قبل أن تُبنى مدينةُ واسط ثم قال لحاجبه جئنى بسيدهم فقال لفيروز قم فقال له الحجاج أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء فوالله ما لحمك من لحومهم ولا دمك من دمائهم قال فتنة عَمّتَ الناس فكنا فيها قال اكتبْ لى أموالك قال ثم ماذا قال اكتُبْها أولُ قال ثم أنا آمنٌ على دمى قال اكتبها ثم أنظرُ قال اكتب يا غلام ألفَ ألفٍ ألفى ألف فذكر مالا كثيرا فقال الحجاج أين هذه الأموال قال عندى قال فأدّها قال وأنا آمن على دمى قال والله لتؤدّينها ثم لأقتلنك قال والله لا تجمع مالى ودمى فقال الحجاج للحاجب نحّه فنحاه ثم قال ائتنى بمحمد بن سعد بن أبى وقاص فدعاه فقال له الحجاج أيها يا ظلّ الشيطان أعظم الناس تيها وكبرا تأبى بيعة يزيد بن معاوية وتشبّه بحسين وابن عمر ثم صرت مؤذنا لابن كناز عبد بنى نصر يعنى عمر بن أبى الصلت وجعل يضرب بعود فى يده رأسه حتى أدماه فقال له محمد أيها الرجل ملكتَ فأسجح فكفّ يده فقال ان رأيت أن تكتب الى أمير المؤمنين فان جاءك عفوٌ كنتَ شريكا فى ذلك محمودا وان جاءك غير ذلك كنتَ قد أعذرتَ فأطرق مليا ثم قال اضربْ عنقه فضُربت عنقه ثم دعا بعمر بن موسى فقال يا عبد المرأة أتقوم بالعمود على رأس ابن الحائك وتشرب معه الشراب فى حمام فارس وتقول المقالة التى قلت أين الفرزدق قُم فأنشدْه ما قلتَ فيه فأنشده

وَخضَبْتَ أيرَكَ للزناء ولم تكن * يومَ الهِيَاجِ لتخضبَ الأبطالا

فقال أما والله لقد رفعته عن عقائل نسائك ثم أمر بضرب عنقه ثم دعا بابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة فإذا غلام حَدَث فقال أصلح الله الأمير مالى ذنب انما كنت غلاما صغيرا مع أبى وأمى لا أمر لى ولا نهى وكنت معهما حيث كانا فقال وكانت أمك مع أبيك فى هذه الفتن كلها قال نعم قال على أبيك لعنة الله ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال اجعل ابن الأشعث

طلب ما طلب ما الذى أملت أنت معه قال أملت أن يملك فيولينى العراق كما ولاك عبدُ الملك قال قم يا حوشب فاضربْ عنقه فقام اليه فقال له الهلقام يا ابن لطيفة اتنكأ القرح فضرب عنقه ثم أتى بعبد الله بن عامر فلما قام بين يديه قال لا رأت عيناك يا حجاج الجنة ان أقلت ابن المهلب بما صنع قال وما صنع قال

لأنه كاسَ في إطلاقِ أسرَته * وقاد نحوكَ في أغلالها مُضَرا

وَقَى بقومِكَ وِرْدَ الموتِ أسرَتهُ * وكان قومُكَ أدنى عنده خطرا

فأطرق الحجاجُ مليا وَوَقَرَتْ في قلبه وقال وما أنت وذاك اضرب عنقه فضربت عنقه ولم تزل فى نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبسه ثم أمر بفير وز فعُذِّبَ فكان فيما عذب به ان كان يُشدّ عليه القصب الفارسيّ المشقوق ثم يُجرّ عليه حتى يخرّق جسده ثم يُنضح عليه الخلّ والملح فلما أحسَّ بالموت قال لصاحب العذاب ان الناس لا يشكون انى قد قتلت ولى ودائع أموال عند الناس لا تُؤدّى اليكم أبدا فأظهرنى للناس ليعلموا انى حيّ فيؤدّوا المال فأعلم الحجاج فقال أظهروه فأخرج الى باب المدينة فصاح فى الناس مَنْ عرفنى فقد عرفنى ومن أنكرنى فأنا فيروز حصين ان لى عند أقوام مالا فمن كان لى عنده شئ فهو له وهو منه فى حلّ فلا يؤدّينّ منه أحدٌ درهما ليبلغ الشاهدُ الغائبَ فأمر به الحجاج فقتل وكان ذلك مما روى الوليد بن هشام بن قحذم عن أبى بكر الهذلىّ * وذكر ضَمْرة بن ربيعة عن ابن شوذب ان عُمال الحجاج كتبوا اليه إن الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له أصل فى قرية فليخرج اليها فخرج الناس فعسكروا فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه يا محمداه وجعلوا لا يدرون أين يذهبون فجعل قرّاء أهل البصرة يخرجون اليهم متقنعين فيبكون لما يسمعون منهم ويرون قال فقدم ابن الأشعث على تفيئة ذلك واستبصر قرّاء أهل البصرة فى قتال الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث * وذكر عن ضمرة بن ربيعة عن الشيبانىّ قال قتل الحجاج يوم الزاوية أحد عشر ألفا ما استحيا منهم الا واحدا كان ابنه في كتاب الحجاج فقال له أتحبّ أن نعفو لك عن أبيك قال نعم فتركه لابنه وانما خدعهم بالأمان أمر مناديا فنادى عند الهزيمة ألا لا أمان لفلان ولا فلان فسمى رجالا من أولئك الأشراف ولم يقل الناس آمنون فقالت العامة قد آمن الناس كلهم الا هؤلاء النفرَ فأقبلوا الى حجرته فلما اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم ثم قال لآمرنّ بكم اليوم رجلا ليس بينكم و بينه قرابة فأمر بهم عمارة بن تميم اللخمىّ فقرّبهم فقتلهم * وروى عن النضر بن شميل عن هشام ابن حسان انه قال بلغ ما قتل الحجاج صبرا مائة وعشرين أو مائة وثلاثين ألفا * وقد ذُكر فى هزيمة ابن الأشعث بمسكن قول غير الذى ذكره أبو مخنف والذى ذكر من ذلك ان

ابن الأشعث والحجاج اجتمعا بمسكن من أرض ابز قباذ فكان عسكر ابن الاشعث على نهر يُدعى خداش مؤخرُ النهر نهر تيرى ونزل الحجاج على نهر أفريذ والعسكران جميعا بين دجلة والسيب والكرخ فاقتتلوا شهرا وقيل دون ذلك ولم يكن الحجاج يعرف اليهم طريقا الا الطريق الذى يلتقون فيه فأتى بشيخ كان راعيا يُدعى زورقا فدله على طريق من وراء الكرخ طوله ستة فراسخ في أجمة وضحضاح من الماء فانتخب أربعة آلاف من جلة أهل الشأم وقال لقائدهم ليكن هذا العلج امامك وهذه أربعة آلاف درهم معك فإن أقامك على عسكرهم فادفع المال اليه وإن كان كذبا فاضرب عنقه فإن رأيتهم فاحمل عليهم فيمن معك وليكن شعارُكم يا حجاجُ يا حجاجُ فانطلق القائد صلاة العصر والتقى عسكر الحجاج وعسكر ابن الاشعث حين فصل القائد بمن معه وذلك مع صلاة العصر فاقتتلوا الى الليل فانكشف الحجاج حتى عبر السيب وكان قد عقده ودخل ابن الاشعث عسكره فانتهب ما فيه فقيل له لو اتبعتهُ فقال قد تعبنا ونصبنا فرجع الى عسكره فألقى أصحابُه السلاح وباتوا آمنين في أنفسهم لهم الظفر وهجم القوم عليهم نصف الليل يصيحون بشعارهم فجعل الرجل من أصحاب ابن الاشعث لا يدرى أين يتوجه دُجيلٌ عن يساره ودجلةُ أمامه ولها جُرف منكر فكان مَن غرق أكثر ممن قتل وسمع الحجاج الصوت فعبر السيب الى عسكره ثم وجه خيله الى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الاشعث وانحاز في ثلثمائة فمضى على شاطئ دجلة حتى أتى دُجيلا فعبره فى السفن وعقروا دوابهم وانحدروا في السفن الى البصرة ودخل الحجاج عسكره فانتهب ما فيه وجعل يقتل من وجد حتى قتل أربعة آلاف فيقال ان فيمن قتل عبد الله بن شدّاد بن الهاد وقتل فيهم بسطام بن مصقلة بن هبيرة وعمر بن ضُبَيْعة الرَّقاشيّ وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن مخرمة العبديّين وبكير بن ربيعة بن ثروان الضبيّ فأتى الحجاج برؤسهم على ترس فجعل ينظر الى رأس بسطام ويتمثلُ

إذا مَرَرْتَ بوادِى حَيَّةٍ ذَكَرٍ * فاذهبْ ودَعْنى أُقاسى حيةَ الوادِى

ثم نظر الى رأس بكير فقال ما ألقى هذا الشقىّ مع هؤلاء خذ بأذنه يا غلام فألقه عنهم ثم قال ضعْ هذا الترس بين يدى مسمع بن مالك بن مسمع فوُضع بين يديه فبكى فقال له الحجاج ما أبكاك أحزنا عليهم قال بل جزعا لهم من النار ﴿وفى هذه السنة﴾ بنى الحجاج واسطا وكان سبب بنائه ذلك فيما ذُكر ان الحجاج ضرب البعْث على أهل الكوفة الى خراسان فعسكروا بحمّام عمر وكان فتًى من أهل الكوفة من بنى أسد حديثُ عهد بعرس بابنة عمّ له انصرف من العسكر الى ابنة عمه ليلا فطرق الباب طارقٌ ودقّه دقا شديدا فإذا سكرانُ من أهل الشأم فقالت للرجل ابنة عمه لقد لقينا من هذا الشامىّ شرّا يفعل بنا كل ليلة ما ترى يريد المكروه وقد شكوته الى مشيخة أصحابه وعرفوا ذلك فقال ائذنوا له ففعلوا فأغلق الباب

وقد كانت المرأة نجدت منزلها وطيبته فقال الشامى قد آن لكم فاستقناه الاسدى فأندر رأسه فلما أذن بالفجر خرج الرجل الى العسكر وقال لامرأته اذا صليت الفجر فابعثى الى الشاميين أن أخرجوا صاحبكم فسيأتون بك الحجاج فاصدقيه الخبر على وجهه ففعلت ورفع القتيل الى الحجاج وأدخلت المرأة عليه وعنده عنبسة بن سعيد على سريره فقال لها ما خطبك فأخبرته فقال صدقتنى ثم قال لولاة الشامى ادفنوا صاحبكم فإنه قتيل الله الى النار لا قود له ولا عقل ثم نادى مناديه لا ينزلن أحد على أحد واخرجوا فعسكروا وبعث روادا يرتادون له منزلا وأمعن حتى نزل أطراف كسكر فبيناهو فى موضع واسط اذا راهب قد أقبل على حمار له وعبر دجلة * فلما كان في موضع واسط تفاجت الاتان فبالت فنزل الراهب فاحتفر ذلك البول ثم احتمله فرمى به في دجلة وذلك بعين الحجاج فقال على به فأتى به فقال ما حملك على ما صنعت قال نجد فى كتبنا انه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه ما دام في الارض أحد يوحده فاختط الحجاج مدينة واسط وبنى المسجد فى ذلك الموضع ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل عبد الملك فيما قال الواقدى عن المدينة أبان بن عثمان واستعمل عليها هشام بن اسماعيل المخزومى * وحج بالناس في هذه السنة هشام بن اسماعيل حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكان العمال فى هذه السنة على الامصار سوى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها فى السنة التى قبلها وأما المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها

## ﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين ﴾

### ﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

﴿ففيها﴾ كانت غزوة عبد الله بن عبد الملك بن مروان الروم ففتح فيها المصيصة كذلك ذكر الواقدى ﴿وفيها﴾ قتل الحجاج أيوب بن القرية وكان ممن كان مع ابن الاشعث وكان سبب قتله اياه فيما ذكر انه كان يدخل على حوشب بن يزيد بعد انصرافه من دير الجماجم وحوشب على الكوفة عامل للحجاج فيقول حوشب انظروا الى هذا الواقف معى وغدا أو بعد غد يأتى كتاب من الامير لا أستطيع الا انفاذه فبيناهو ذات يوم واقف اذ أتاه كتاب من الحجاج أما بعد فإنك صرت كهفا لمنافقى أهل العراق ومأوى فاذا نظرت في كتابى هذا فابعث الى بابن القرية مشدودة يده الى عنقه مع ثقة من قبلك فلما قرأ حوشب الكتاب رمى به اليه فقرأه فقال سمعا وطاعة فبعث به الى الحجاج موثقا فلما دخل على الحجاج قال له يا ابن القرية ما أعددت لهذا الموقف قال أصلح الله الامير ثلاثة حروف * كأنهن ركب وقوف * دنيا وآخرة ومعروف * قال اخرج مما قلت قال افعل أما الدنيا فمال حاضر يأكل منه البر والفاجر وأما الآخرة فميزان عادل ومشهد ليس فيه باطل

وأما المعروف فإن كان على اعترفت وان كان لى اغترفت قال اما لى فاعترف بالسيف اذا وقع بك قال أصلح الله الامير أقلنى عثرتى واسقنى ريقى فانه ليس جواد الاله كبوة ولا شجاع الاله هبوة قال الحجاج كلا والله لأرينك جهنم قال فأرحنى فانى أجد حرها قال قدمه ياحرسى فاضرب عنقه فلما نظر اليه الحجاج يتشحط فى دمه قال لو كنا تركنا ابن القرية حتى نسمع من كلامه ثم أمر به فأخرج فرمى به قال هشام قال عوانة حين منع الحجاج من الكلام ابن القرية قال له ابن القرية أما والله لو كنت أنا وأنت على السواء لسكتنا جميعا أو لالفيت منيعا ﴿وفي هذه السنة﴾ فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك بباذغيس

﴿ذكر سبب فتحه اياها﴾

* ذكر على بن محمد عن المفضل بن محمد قال كان نيزك ينزل بقلعة باذغيس فتحين يزيد غزوه ووضع عليه العيون فبلغه خروجه فخالفه يزيد اليها وبلغ نيزك فرجع فصالحه على أن يدفع اليه ما فى القلعة من الخزائن ويرتحل عنها بعياله فقال كعب بن معدان الاشقرى

وباذغيس التى من حل ذروتها * عز الملوك فان شاجار أو ظلما
منيعة لم يكدها قبله ملك * الا اذا واجهت جيشا له وجما
تخال نيرانها من بعد منظرها * بعض النجوم إذا ما ليلها عتما
لما أطاف بها ضاقت صدورهم * حتى أقروا له بالحكم فاحتكما
فذل ساكنها من بعد عزته * يعطى الجزى عارفا بالذل مهتضما
وبعد ذلك أياما نعددها * وقبلها ما كشفت الكرب والظلما
أعطاك ذاك ولى الرزق يقسمه * بين الخلائق والمحروم من حرما
يداك إحداهما تسقى العدو بها * سما وأخرى نداها لم يزل ديما
فهل كسيب يزيد أو كنائله * إلا الفرات وإلا النيل حين طما
ليسا بأجود منه حين مدهما * اذ يعلوان حداب الارض والأكما

﴿وقال﴾

ثنائى على حى العتيك بأنها * كرام مقاريها كرام نصابها
إذا عقدوا للجار حل بنجوة * عزيز مراقيها منيع هضابها
نفى نيزكا عن باذغيس ونيزك * بمنزلة أعيى الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها * غمامة صيف زل عنها سحابها
ولا يبلغ الأروى شماريخها العلى * ولا الطير إلا نسرها وعقابها
وما خوفت بالذئب ولدان أهلها * ولا نبحت إلا النجوم كلابها

تمنيتُ أن ألقى العتيكَ ذوى النُّهى * مُسلطـة تُحمى بملك ركابُها
كما يتمنى صاحبُ الحرثِ اعطشت * مزارعُه غيثاً غزيراً ربابُها
فأُسقِيَ بعد اليأس حتى تحيَّرتْ * جداولها رِيًّا وعبَّ عُبابُها
لقد جمع الله النوى وتشعَّبتْ * شعوبٌ من الآفاقِ شتّى مآبُها

قال وكان نيزك يعظم القلعة اذا رآها سجد لها وكتب يزيد بن المهلب الى الحجاج بالفتح وكانت كتب يزيد الى الحجاج يكتبها يحيى بن يعمر العدوانى وكان حليفاً لهذيل فكتب إنا لقينا العدوَّ فمنحنا الله أكتافهم فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة برؤس الجبال وعراعر الأودية وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار فقال الحجاج من يكتب ليزيد فقيل يحيى بن يعمر فكتب الى يزيد فحمله على البريد فقدم عليه أفصح الناس فقال له أين وُلدت قال بالأهواز قال فهذه الفصاحة قال حفظت كلام أبى وكان فصيحا قال من هناك فأخبرنى هل يلحن عنبسة بن سعيد قال نعم كثيرا قال ففلان قال نعم قال فأخبرنى عنى ألحن قال نعم تلحن لحنا خفيا تزيد حرفا وتنقص حرفا وتجعل أنّ فى موضع إنّ وإنّ فى موضع أنّ قال قد أجلتُك ثلاثا فإن أجدك بعد ثلاث بأرض العراق قتلتك فرجع الى خراسان ﴿ وحج ﴾ بالناس فى هذه السنة هشام بن اسماعيل المخزومى كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكانت عمال الأمصار فى هذه السنة عمالها الذين سميت قبلُ فى سنة ٨٣

## ﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين ﴾

﴿ ذكر ما كان فيها من الأحداث ﴾

﴿ ففيها ﴾ كان هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

﴿ ذكر السبب الذى به هلك وكيف كان ﴾

(ذكر هشام بن محمد) عن أبى مخنف قال لما انصرف ابن الأشعث من هَراة راجعا الى رتبيل كان معه رجل من أود يقال له علقمة ابن عمرو فقال له ما أريد أن أدخل معك فقال له عبد الرحمن لِمَ قال لأنى أتخوّف عليك وعلى من معك والله لكأنى بكتاب الحجاج قد جاء فوقع الى رتبيل يُرغبه ويُرهبه فإذا هو قد بعث بك سَلماً أو قتلكم ولكن ههنا خمسمائة قد تبايعنا على أن ندخل مدينةً فنتحصَّن فيها ونقاتل حتى نُعطى أمانا أو نموت كراما فقال له عبد الرحمن أما لو دخلت معى لآسيتك وأكرمتك فأبى عليه علقمةُ ودخل عبد الرحمن بن محمد الى رتبيل وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودودا النضرىّ وأقاموا حتى قدم عليهم عُمارة بن تميم اللخمىّ فحاصرهم فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم فخرجوا اليه فوفى لهم قال

وتتابعت كتب الحجاج الى رُتبيل في عبد الرحمن بن محمد أن ابعث به الىّ والا فوالذى لا إله الا هو لأوطئنّ أرضك ألف ألف مقاتل وكان عند رتبيل رجل من بنى تميم ثم من بنى يربوع يقال له عبيد بن أبى سُبيع فقال لرتبيل انا آخذ لك من الحجاج عهدا ليكفنّ الخراج عن أرضك سبع سنين على أن تدفع اليه عبد الرحمن بن محمد قال رتبيل لعبيد فان فعلتَ فان لك عندى ما سألت فكتب الى الحجاج يخبره ان رتبيل لا يعصيه وانه لن يدع رتبيلَ حتى يبعث اليه بعبد الرحمن بن محمد فأعطاه الحجاجُ على ذلك مالا وأخذ من رتبيل عليه مالا وبعث رتبيل برأس عبد الرحمن بن محمد الى الحجاج وترك له الصُلح الذى كان يأخذه منه سبع سنين وكان الحجاج يقول بعث الىّ رتبيل بعدوّ الله فألقى نفسه من فوق إجّار فمات (قال أبو مخنف) وحدثنى سليمان بن أبى راشد انه سمع مليكة ابنة يزيد تقول والله لمات عبد الرحمن وإن رأسه لعلى فخذى كان السلّ قد أصابه * فلما مات وأرادوا دفنه بعث اليه رتبيل فحزّ رأسه فبعث به الى الحجاج وأخذ ثمانية عشر رجلا من آل الأشعث فحبسهم عنده وترك جميع من كان معه من أصحابه وكتب الى الحجاج بأخذه الثمانية عشر رجلا من أهل بيت عبد الرحمن فكتب اليه أن اضرب رقابهم وابعث الىّ برؤسهم وكره أن يؤتى بهم اليه أحياءً فيُطلبَ فيهم الى عبد الملك فيترُكُ منهم أحدا وقد قيل في أمر ابن أبى سُبَيع وابن الأشعث غيرُ ما ذكرتُ عن أبى مخنف وذلك ما ذكر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى انه كان يقول زعم ان عمارة بن تميم خرج من كرمان فأتى سجستان وعليها رجل من بنى العنبر يُدعى مودود فحصره ثم آمنه ثم استولى على سجستان وأرسل الى رتبيل وكتب اليه الحجاج أما بعد فإنى قد بعثت اليك عمارة بن تميم في ثلاثين ألفا من أهل الشأم لم يخالفوا طاعة ولم يخلعوا خليفة ولم يتبعوا امام ضلالة يجرى على كل رجل منهم في كل شهر مائة درهم يستطعمون الحرب استطعاما يطلبون ابن الأشعث فأبى رُتبيل أن يُسلمه وكان مع ابن الأشعث عبيد ابن أبى سبيع التميمى قد خُصّ به وكان رسوله الى رتبيل فخصّ برتبيل أيضا وخفّ عليه فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن انى لا آمن غدر هذا التميمىّ فاقتله فهمّ به وبلغ ابن أبى سبيع فخافه فوشى به الى رتبيل وخوّفه الحجاجَ ودعاه الى الغدر بابن الأشعث فأجابه فخرج سرّا الى عمارة بن تميم فاستعجل في ابن الأشعث فجعل له ألف ألف فأقام عنده وكتب بذلك عمارة الى الحجاج فكتب اليه أن أعطِ عُبيداً ورُتبيل ما سألاك فاشترط فاشترط رتبيل أن لا تغزى بلاده عشر سنين وأن يؤدّى بعد العشر سنين في كلّ سنة تسعمائة ألف فأعطى وعبيدا ما سألا وأرسل رُتبيل الى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته وقد أعدّ لهم الجوامع والقيود فألقى فى عنقه جامعة وفي عنق القاسم جامعة وأرسل بهم جميعا الى أدنى مسالح عمارة منه وقال لجماعة من كان مع ابن الاشعث من

الناس

الناس تفرّقوا الى حيث شئتم ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قصر فمات فاحتزّ رأسه فأتى به وبالاسرى عمارةُ فضرب أعناقهم وأرسل برأس ابن الاشعث وبرؤس أهله وبامرأته الى الحجاج فقال فى ذاك بعض الشعراء

هيهاتَ موضعُ جثةٍ من رأسها * رأسٌ بمصر وجثةٌ بالرُّخَّجِ

وكان الحجاج أرسل به الى عبد الملك فأرسل به عبد الملك الى عبد العزيز وهو يومئذ على مصر * وذكر عمر بن شبّة ان ابن عائشة حدّثه قال أخبرنى سعد بن عبيد الله قال لما أتى عبد الملك برأس ابن الاشعث أرسل به مع خصىّ الى امرأة منهم كانت تحت رجل من قريش فلما وضع بين يديها قالت مرحبا بزائر لا يتكلم ملك من الملوك طلب ما هو أهله فأبت المقاديرُ فذهب الخصىّ يأخذ الرأس فاجتذبته من يده قالت لا والله حتى أبلغ حاجتى ثم دعت بخَطمىّ فغسلته وغلفته ثم قالت شأنك به الآن فأخذه ثم أخبر عبد الملك فلما دخل عليه زوجها قال ان استطعت أن تصيب منها سخلة * وذكر ان ابن الاشعث نظر الى رجل من أصحابه وهو هارب الى بلاد رتبيل فتمثل

يطرُدُهُ الخوفُ فهو تائهٌ * كذاكَ من يكرَهُ حرَّ الجلادِ

مُنخرقُ الخفين يشكو الوجا * تنكُبُهُ أطرافُ مروٍ حدادِ

قد كان فى الموت له راحةٌ * والموتُ حتمٌ فى رقابِ العبادِ

فالتفت اليه فقال يا لحية هلا ثبتّ فى موطن من المواطن فنموت بين يديك فكان خيرا لك مما صرت اليه (قال هشام) قال أبو مخنف خرج الحجاج فى أيامه تلك يسير ومعه حميد الارقط وهو يقول

ما زالَ يبنى خندقا ويهدِمُهْ * عن عسكرٍ يقودُهُ فيُسلِمُهْ

حتى يصيرُ فى يديْكَ مَقسمُهْ * هيهاتَ من مَصَفِّهِ مُنهزَمُهْ

إنَّ أخا الكظاظ من لا يَسأَمُهْ

فقال الحجاج هذا أصدق من قول الفاسق أعشى همدان

نُبِّئتُ أنَّ بنى يو * سفَ خرَّ من زَلَقٍ فتبَّا

قد تبيَّن له مَن زَلِقَ وتبَّ ودَحِضَ فانكبَّ وخاف وخاب وشكَّ وارتاب ورفع صوته فما بقى أحد الا فزع لغضبه وسكت الأريقط فقال له الحجاج عد فيما كنت فيه ما لك يا أرقط قال انى جعلت فداك أيها الأمير وسلطان الله عزيز ما هو الآن رأيتك غضبت فأرعدت خصائلى واحزالّت مفاصلى وأظلم بصرى ودارت بى الارض قال له الحجاج أجل ان سلطان الله عزيز عد فيما كنت فيه ففعل وقال الحجاج وهو ذات يوم يسير ومعه زياد بن جرير بن عبد الله البجلى وهو أعور فقال الحجاج للاريقط كيف قلت لابن سمرة قال قلت

يا أعورَ العينين فديتُ العورا * كنتَ حسبتَ الخندقَ المحفورا
يردُّ عنك القدرَ المقدورا * ودائراتِ السَّوْء أن تدورا

وقد قيل ان مهلك عبد الرحمن بن محمد كان فى سنة ٨٤ ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل الحجاج ابن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان وولاها المفضل بن المهلب أخا يزيد

﴿ذكر السبب الذى من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل﴾

ذكر علىّ بن محمد عن المفضل بن محمد ان الحجاج وفد الى عبد الملك فمرّ فى منصرفه بدير فنزله فقيل له ان فى هذا الدير شيخا من أهل الكتاب عالما فدعا به فقال يا شيخ هل تجدون فى كتبكم ما أنتم فيه ونحن قال نعم نجد ما مضى من أمركم وما أنتم فيه وما هو كائن قال أفمسمًّى أم موصوفا قال كلٌّ ذلك موصوفٌ بغير اسم واسمٌ بغير صفة قال فما تجدون صفة أمير المؤمنين قال نجده فى زماننا الذى نحن فيه ملك أقرع من يقم لسبيله يصرعْ قال ثم من قال اسم رجل يقال له الوليد قال ثم ماذا قال رجل اسمه اسم نبى يفتح به على الناس قال أفتعرفنى قال قد أخبرت بك قال أفتعلم ما ألى قال نعم قال فمن يليه بعدى قال رجل يقال له يزيد قال فى حياتى أم بعد موتى قال لا أدرى قال أفتعرف صفته قال يغدر غدرة لا أعرف غير هذا قال فوقع فى نفسه يزيد بن المهلب وارتحل فسار سبعا وهو وجل من قول الشيخ وقدم فكتب الى عبد الملك يستعفيه من العراق فكتب اليه يا ابن أم الحجاج قد علمت الذى تغزو وانك تريد ان تعلم رأيى فيك ولعمرى انى لأرى مكان نافع بن علقمة فاله عن هذا حتى يأتى الله بما هو آتٍ فقال الفرزدق يذكر مسيره

لو أنَّ طيرًا كُلفتْ مثلَ سيرِهِ * إلى واسطٍ من إيلياءَ لملَّتِ
سرى بالمهارى من فلسطين بعدما * دنا الليلُ من شمس النهار فولّتِ
فما عاد ذاك اليومُ حتى أناخها * بميسانَ قد ملَّتْ سُراها وكلَّتِ
كأنَّ قُطاميًّا على الرحل طاويًا * اذا غمرةُ الظلماء عنهُ تجلَّتِ

قال فبينا الحجاج يوما خال اذ دعا عبيد بن موهب فدخل وهو ينكت فى الارض فرفع رأسه فقال ويحك يا عبيدُ ان أهل الكتب يذكرون ان ما تحت يدى يليه رجلٌ يقال له يزيد وقد تذكرت يزيد بن أبى كبشة ويزيد بن حصين بن نمير ويزيد بن دينار فليسوا هناك وما هو ان كان الا يزيد بن المهلب فقال عبيد لقد شرفتهم وأعظمت ولايتهم وإنَّ لهم لعددًا وجلدا وطاعةً وحظًّا فأخلق به فأجمع على عزل يزيد فلم يجد له شيأ حتى قدم الخيار بن سبرة بن ذؤيب بن عرفجة بن محمد بن سفيان بن مجاشع وكان من فرسان المهلب وكان مع يزيد فقال له الحجاج أخبرنى عن يزيد قال حسن الطاعة لين السيرة قال كذبت أصدقنى عنه قال الله أجل وأعظم قد أسرج ولم يلجم قال صدقت واستعمل الخيار على عمان بعد ذلك قال ثم

كتب الى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب بالزبيرية فكتب اليه عبد الملك انى لا أرى نقصانا بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير بل أراه وفاء منهم لهم وان وفاءهم لهم يدعوهم الى الوفاء لى فكتب اليه الحجاج يخوفه غدرهم لما أخبره به الشيخ فكتب اليه عبد الملك قد أكثرت فى يزيد وآل المهلب فسم لى رجلا يصلح لخراسان فسمى له مُجَّاعة بن سعر السعدى فكتب اليه عبد الملك ان رأيك الذى دعاك الى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك الى مجاعة بن سعر فانظر لى رجلا صارما ماضيا لأمرك فسمى قتيبة بن مسلم فكتب اليه ولّه و بلغ يزيد ان الحجاج عزله فقال لاهل بيته من ترون الحجاج يولى خراسان قالوا رجلا من ثقيف قال كلا ولكنه يكتب الى رجل منكم بعهده فاذا قدمتُ عليه عزله وولى رجلا من قيس وأخلق بقتيبة قال فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره ان يكتب اليه بعزله فكتب اليه أن استخلف المفضل وأقبل فاستشار يزيد حُضَين بن المنذر فقال له أقم واعتلّ فان أمير المؤمنين حسن الرأى فيك وانما أتيت من الحجاج فإن أقمت ولم تعجل رجوت ان يكتب اليه ان يقر يزيد قال انا أهل بيت بورك لنا فى الطاعة وأنا أكره المعصية والخلاف فأخذ فى الجهاز وأبطأ ذلك على الحجاج فكتب الى المفضل انى قد وليتك خراسان فجعل المفضل يستحث يزيد فقال له يزيد إن الحجاج لا يقرك بعدى وانما دعاه الى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه قال بل حسدتنى قال يزيد يا ابن بهلة أنا أحسدك ستعلم وخرج يزيد فى ربيع الآخر سنة ٨٥ فعزل الحجاج المفضل فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لامه

يا ابنَىْ بهلةَ إنما أخزاكما * ربّى غداةَ غدا الهُمامُ الازهرُ

أحفرتُمُ لاخيكُم فوقعتمُ * في قعرِ مُظْلِمةٍ أخوها المُعورُ

جُودُوا بتوبةِ مُخلصينَ فإنّما * يأبى ويأنفُ أن يتُوبَ الاخسرُ

وقال حضين ليزيد

أمرتُكَ أمرًا حازمًا فعصيتنى * فأصبحْتَ مسلوبَ الإمارةِ نادمَا

فما أنا بالباكى عليكَ صبابةً * وما أنا بالداعى لترجِعَ سالمَا

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين كيف قلت ليزيد قال قلت

أمرتُكَ أمرًا حازمًا فعصيتنى * فنفسَكَ أوْلى اللومِ إنْ كُنتَ لائما

فإن يبلُغِ الحجاجَ أنْ قدْ عصيتَهُ * فانكَ تلْقى أمرَهُ متفاقما

قال فماذا أمرته به فعصاك قال أمرته ان لا يدع صفراء ولا بيضاء الاحملها الى الامير فقال رجل لعياض بن حضين أما أبوك فوجده قتيبة حين فرَّه قارحا بقوله أمرته أن لا يدع صفراء ولا بيضاء الاحملها الى الامير * قال على وحدثنا كليب بن خلف قال كتب الحجاج الى يزيد أن اغزُ خُوارِزم فكتب اليه أيها الامير انها قليلة السلب شديدة الكلب فكتب اليه

الحجاج استخلف واقدم فكتب اليه انى أريد ان أغزو خوارزم فكتب اليه لا تغزها فإنها كما وصفت فغزا ولم يطعه فصالحه أهل خوارزم وأصاب سبيا مما صالحوه وقفل فى الشتاء فاشتد عليهم البرد فأخذ الناس ثياب الاسرى فلبسوها فمات ذلك السبى من البرد قال ونزل يزيد بلستانة وأصاب أهل مرو الروذ طاعون ذلك العام فكتب اليه الحجاج أن اقدم فقدم فلم يمر ببلد الا فرشوا له الرياحين وكان يزيد ولى سنة ٨٢ وعزل سنة ٨٥ وخرج من خراسان فى ربيع الآخر سنة ٨٥ وولى قتيبة ﴿وأما هشام بن محمد﴾ فإنه ذكر عن أبى مخنف في عزل الحجاج يزيد عن خراسان سببا غير الذى ذكره علىّ بن محمد والذى ذكر من ذلك عن أبى مخنف ان أبا المخارق الراسبى وغيره حدثوه ان الحجاج لم يكن له حين فرغ من عبد الرحمن بن محمد هم الا يزيد بن المهلب وأهل بيته وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم الا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصرين بخراسان ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن ابن محمد بالعراق غير يزيد بن المهلب فأخذ الحجاج في مؤاربة يزيد ليستخرجه من خراسان فكان يبعث اليه ليأتيه فيعتل عليه بالعدو وحرب خراسان فمكث بذلك حتى كان آخر سلطان عبد الملك ثم ان الحجاج كتب الى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزُّبير وانه لا وفاء لهم فكتب اليه عبد الملك انى لا أرى تقصيرا بولد المهلب طاعتهم لآل الزبير ولا وفاءهم لهم فإن طاعتهم ووفاءهم لهم هو دعاهم الى طاعتى والوفاء لى ثم ذكر بقية الخبر نحو الذى ذكره علىّ بن محمد ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا المفضل باذغيس ففتحها

## ﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

ذكر علىّ بن محمد عن المفضل بن محمد قال عزل الحجاج يزيد وكتب الى المفضل بولايته على خراسان سنة ٨٥ فوليها تسعة أشهر فغزا باذغيس ففتحها وأصاب مغنما فقسمه بين الناس فأصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم ثم غزا أخرون وشومان فظفر وغنم وقسم ما أصاب بين الناس ولم يكن للمفضل بيت مال كان يعطى الناس كلما جاءه شئ وإن غنم شيئا قسمه بينهم فقال كعب الاشقرى يمدح المفضل

ترى ذا الغِنَى والفقرِ من كلّ مَعشَرٍ * عصَائبَ شتّى يَنتَوُونَ المفضّلا
فمن زائرٍ يرجُو فَوَاضِلَ سَيبْهِ * وآخرَ يقضى حاجةً قد ترحّلا
إذا ما انتوينا غيرَ أرضِكَ لم نجِد * بها منتوًى خيرًا ولا متعلّلا
إذا ما عدَدنا الاكرَمينَ ذوِى النُّهى * وقد قدّموا من صالحٍ كنتَ أوّلا
لعمْرِى لقد صال المفضّلُ صَولةً * أباحتْ بشُومانَ المناهلَ والكلا
ويوم ابن عباس تناولتَ مثلها * فكانت لنا بين الفريقين فيصَلا

صفت لك أخلاق المهلب كلها * وسربلت من مسعاته ما تسربلا
أبوك الذى لم يسع ساع كسعيه * فأورث مجداً لم يكن متنحلا

﴿وفي هذه السنة﴾ قتل موسى بن عبد الله بن خازم السلمي بالترمذ

﴿ذكر سبب قتله ومصيره الى الترمذ حتى قتل بها﴾

ذكر ان سبب مصيره الى الترمذ كان ان أباه عبد الله بن خازم لما قتل من قتل من بني تميم بفرتنا وقد مضى ذكرى خبر قتله اياهم تفرق عنه عظم من كان بقي معه منهم فخرج الى نيسابور وخاف بني تميم على ثقله بمرو فقال لابنه موسى حول ثقلي عن مرو وأقطع نهر بلخ حتى تلجأ الى بعض الملوك أوالى حصن تقيم فيه فشخص موسى من مرو في عشرين ومائتي فارس فأتى آمل وقد ضوى اليه قوم من الصعاليك فصار في أربعمائة وانضم اليه رجال من بني سليم منهم زرعة بن علقمة فأتى زم فقاتلوه فظفر بهم وأصاب مالا وقطع النهر فأتى بخارى فسأل صاحبها أن يلجأ اليه فأبى وخافه وقال رجل فاتك وأصحابه مثله أصحاب حرب وشر فلا آمنه وبعث اليه بصلة عين ودواب وكسوة ونزل على عظيم من عظماء أهل بخارى في نوقان فقال له انه لاخير لك في المقام في هذه البلاد وقد هابك القوم وهم لا يأمنونك فاقام عند دهقان نوقان أشهرا ثم خرج يلتمس ملكا يلجأ اليه أو حصنا فلم يأت بلدا الا كرهوا مقامه فيهم وسألوه أن يخرج عنهم * قال علي بن محمد فأتى سمرقند فاقام بها وأكرمه طرخون ملكها وأذن له في المقام فاقام ماشاء الله ولاهل الصغد مائدة يوضع عليها لحم ودك وخبز وابريق شراب وذلك في كل عام يوما يجعل ذلك لفارس الصغد فلا يقربه أحد غيره هو طعامه في ذلك اليوم فان أكل منه أحد غيره بارزه فايهما قتل صاحبه فالمائدة له فقال رجل من أصحاب موسى ماهذه المائدة فاخبر عنها فسكت فقال صاحب موسى لآكلن ما على هذه المائدة ولأبارزن فارس الصغد فان قتلته كنت فارسهم فجلس فاكل ما عليها وقيل لصاحب المائدة فجاء مغضبا فقال ياعربي بارزني قال نعم وهل أريد الا المبارزة فبارزه فقتله صاحب موسى فقال ملك الصغد أنزلتكم وأكرمتكم فقتلتم فارس الصغد لولا اني أعطيتك وأصحابك الامان لقتلتكم أخرجوا عن بلدي ووصله فخرج موسى فأتى كس فكتب صاحب كس الى طرخون يستنصره فاتاه فخرج اليه موسى في سبعمائة فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا وباصحاب موسى جراح كثير فلما أصبحوا أمرهم موسى فحلقوا رؤسهم كما يصنع الخوارج وقطعوا صفنات اخبيتهم كما يصنع العجم اذا استماتوا وقال موسى لزرعة بن علقمة انطلق الى طرخون فاحتل له فاتاه فقال له طرخون لم صنع أصحابك ماصنعوا قال استقتلوا فما حاجتك الى أن تقتل أيها الملك موسى وتقتل فانك لاتصل اليه حتى يقتل مثل عدتهم منكم ولو قتلته واياهم جميعا مانلت حظا لان له قدرا في العرب فلا يلي أحد خراسان الا طالبك بدمه فان

سلمت من واحد لم تسلم من آخر قال ليس الى ترك كس في يده سبيل قال فكف عنه حتى يرتحل فكف وأتى موسى الترمذ وبها حصن يشرف على النهر الى جانب منه فنزل موسى على بعض دهاقين الترمذ خارجا من الحصن والدهقان مجانب لترمذشاه فقال لموسى ان صاحب الترمذ متكرم شديد الحياء فان ألطفته وأهديت اليه أدخلك حصنه فانه ضعيف قال كلا ولكني أسأله أن يدخلني حصنه فسأله فأبى فاكره موسى وأهدى له وألطفه حتى لطف الذي بينهما وخرج فتصيد معه وكثر الطاف موسى له فصنع صاحب الترمذ طعاما وأرسل اليه انى أحب أن أكرمك فتغدَّ عندى وائتني في مائة من أصحابك فانتخب موسى من أصحابه مائة فدخلوا على خيولهم فلما صارت فى المدينة تصاهلت فتطير أهل الترمذ وقالوا لهم انزلوا فنزلوا فأدخلوا بيتا خمسين فى خمسين وغدوهم فلما فرغوا من الغداء اضطجع موسى فقالوا له اخرج قال لا أصيب منزلا مثل هذا فلست بخارج منه حتى يكون بيتي أو قبرى وقاتلوهم في المدينة فقتل من أهل الترمذ عدة وهرب الآخرون فدخلوا منازلهم وغلب موسى على المدينة وقال لترمذشاه اخرج فانى لست أعرض لك ولا لاحد من أصحابك فخرج الملك وأهل المدينة فأتوا الترك يستنصرونهم فقالوا دخل اليكم مائة رجل فاخرجوكم عن بلادكم وقد قاتلناهم بكس فنحن لا نقاتل هؤلاء فأقام ابن خازم بالترمذ ودخل اليه أصحابه وكانوا سبعمائة فأقام فلما قتل أبوه انضم اليه من أصحاب أبيه أربعمائة فارس فقوى فكان يخرج فيغير على من حوله قال فأرسل الترك قوما الى أصحاب موسى ليعلموا علمه فلما قدموا قال موسى لاصحابه لا بدّ من مكيدة لهؤلاء قال وذلك فى أشد الحر فامر بنار فاجّجت وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء ولبسوا فوقها البود اومدوا أيديهم الى النار كانهم يصطلون وأذن موسى للترك فدخلوا ففزعوا مما رأوا وقالوا لم صنعتم هذا قالوا نجد البرد فى هذا الوقت ونجد الحر فى الشتاء فرجعوا وقالوا جنّ لا نقاتلهم قال وأراد صاحب الترك أن يغزو موسى فوجه اليه رسلا وبعث بسمّ ونشاب فى مسك وانما أراد بالسم ان حربهم شديدة والنشاب الحرب والمسك السلم فاختر الحرب أو السلم فاحرق السلم وكسر النشاب ونثر المسك فقال القوم لم يريدوا الصلح وأخبر أن حربهم مثل النار وأنه يكسرنا فلم يغزهم قال فولى بُكَيْرُ بن وِشاح خراسان فلم يعرض له ولم يوجّه اليه أحدا ثم قدم أُمَيَّةُ فسار بنفسه يريده فخالفه بكير وخلع فرجع الى مرو فلما صالح أمية بكيرا أقام عامه ذلك فلما كان فى قابل وجّه الى موسى رجلا من خزاعة فى جمع كثير فعاد أهل الترمذ الى الترك فاستنصروهم فأبوا فقالوا لهم قد غزاهم قوم منهم وحصروهم فان أعناهم عليهم ظفرنا بهم فسارت الترك مع أهل الترمذ فى جمع كثير فأطاف بموسى الترك والخزاعىّ فكان يقاتل الخزاعى أول النهار والتُّرْكَ آخرَ النهار فقاتلهم شهرين أو ثلاثة فقال موسى لعمرو بن خالد بن حصين الكلابى وكان فارسا قد طال أمرنا وأمر هؤلاء وقد أجمعت أن أبيت عسكر الخزاعى فانهم للبيات آمنون فما ترى قال البيات نعما هو

ولكن

وليكن ذلك بالعجم فان العرب أشد حذراوأسرع فزعاوأجرأ على الليل من العجم فبيّتهم
فانى أرجوأن ينصرنا الله عليهم ثم ننفرد لقتال الخزاعى فنحن فى حصن وهم بالعراء وليسوا
باولى بالصبر ولا أعلم بالحرب منا قال فاجمع موسى على بيات الترك فلما ذهب من الليل ثلثه
خرج في أربعمائة وقال لعمرو بن خالد اخرجوا بعدنا وكونوا منا قريبا فاذا سمعتم تكبيرنا
فكبروا وأخذ على شاطئ النهر حتى ارتفع فوق العسكر ثم أخذ من ناحية كفتان فلما قرب
من عسكرهم جعل أصحابه أرباعا ثم قال أطيفوا بعسكرهم فاذا سمعتم تكبيرنا فكبروا وأقبل
وقدم عمرا بين يديه ومشوا خلفه فلما رآته أصحاب الأرصاد قالوا من أنتم قالوا عابرى سبيل قال
فلما جازوا الرصد تفرقوا وأطافوا بالعسكر وكبروا فلم يشعر الترك الا بوقع السيوف فثاروا
يقتل بعضهم بعضا وولوا وأصيب من المسلمين ستة عشر رجلا وحووا عسكرهم وأصابوا
سلاحا ومالا وأصبح الخزاعى وأصحابه قد كسرهم ذلك وخافوا مثلها من البيات فتحذروا فقال
لموسى عمرو بن خالد انك لا تظفر الا بمكيدة ولهم أمداد وهم يكثرون فدعنى آتهم لعلى أصيب
من صاحبهم فرصة انى ان خلوت به قتلته فتناولنى بضرب قال تتعجل الضرب وتتعرض
للقتل قال أما التعرض للقتل فانا كل يوم متعرض له وأما الضرب فما أيسره فى جنب
ما أريد فتناوله بضرب ضربه خمسين سوطا فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخزاعى
مستأمنا وقال أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم فلما قتل أتيت ابنه فلم أزل معه
وكنت أول من أتاه فلما قدمت اتهمنى وتعصب علىّ وتنكر لى وقال لى قد تعصبت لعدونا
فأنت عين له فضربنى ولم آمن القتل وقلت ليس بعد الضرب الا القتل فهربت منه فآمنه
الخزاعى وأقام معه قال فدخل يوما وهو خال ولم ير عنده سلاحا فقال كانه ينصح له أصلحك الله
ان مثلك في مثل حالك لا ينبغى أن يكون فى حال من أحواله بغير سلاح فقال ان معى سلاحا
فرفع صدر فراشه فاذا سيف منتضى فتناوله عمرو فضربه به فقتله وخرج فركب فرسه ونذروا
به بعد ما أمعن فطلبوه ففاتهم فأتى موسى وتفرق ذلك الجيش فقطع بعضهم النهر وأتى بعضهم
موسى مستأمنا فآمنه فلم يوجه اليه أمية أحدا قال وعزل أمية وقدم المهلب أميرا فلم يعرض
لابن خازم وقال لبنيه اياكم وموسى فانكم لا تزالون ولاة هذا الثغر ما أقام هذا الثط بمكانه فان
قتل كان أول طالع عليكم أميرا على خراسان رجل من قيس فمات المهلب ولم يوجه اليه أحدا
ثم تولى يزيد بن المهلب فلم يعرض له وكان المهلب ضرب حريث بن قطبة الخزاعى فخرج هو
وأخوه ثابت الى موسى فلما ولى يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرمهما وقتل أخاهما لامهما
الحارث بن منقذ وقتل صهرا لهما كانت عنده أم حفص ابنة ثابت فبلغهما ما صنع يزيد قال
فخرج ثابت الى طرخون فشكا اليه ما صنع به وكان ثابت محببا فى العجم بعيد الصوت
يعظمونه ويثقون به فكان الرجل منهم اذا أعطى عهدا يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا
يغدر فغضب له طرخون وجمع له نيزك والسبل وأهل بخارى والصغانيان فقدموا مع ثابت

الى موسى بن عبد الله وقد سقط الى موسى فلّ عبد الرحمن بن العباس من هراة وفلّ ابن
الاشعث من العراق ومن ناحية كابل وقوم من بنى تميم ممن كان يقاتل ابن خازم فى الفتنة من
أهل خراسان فاجتمع الى موسى ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن فقال له ثابت
وحريث سر حتى تقطع النهر فتخرج يزيد بن المهلب عن خراسان ونوليك فان طرخون
ونيزك والسبل وأهل بخارى معك فهمّ أن يفعل فقال له أصحابه ان ثابتا وأخاه خائفان ليزيد
وان أخرجت يزيد عن خراسان وأمنا توليا الامر وغلباك على خراسان فاقم مكانك فقبل
رأيهم وأقام بالترمذ وقال لثابت ان أخرجنا يزيد قدم عامل لعبد الملك ولكنا نخرج عمّال
يزيد من وراء النهر مما يلينا وتكون هذه الناحية لنا أكلها فرضى ثابت بذلك وأخرج من
كان من عمال يزيد من وراء النهر وحُملت اليهم الاموال وقوى أمرهم وأمر موسى وانصرف
طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبل الى بلادهم وتدبير الامر لحريث وثابت والامير موسى
ليس له غير الاسم فقال لموسى أصحابه لسنا نرى من الامر فى يديك شيأ أكثر من اسم الامارة
فاما التدبير فلحريث وثابت فاقتلهما وتول الامر فأبى وقال ما كنت لاغدر بهما وقد قوّيا
أمرى فحسدوهما وألحوا على موسى فى أمرهما حتى أفسدوا قلبه وخوفوه غدرهما وهم
بمتابعتهم على الوثوب بثابت وحريث واضطرب أمرهم فانهم لفى ذلك اذ خرجت عليهم
الهيَاطلة والتُبّت والتُرْك فأقبلوا فى سبعين ألفا لا يعُدون الحاسر ولا صاحب بيضة جمّاء
لا يعدون الا صاحب بيضة ذات قونس قال فخرج ابن خازم الى رَبَض المدينة في ثلثمائة راجل
وثلاثين مجففا وألقى له كرسى فقعد عليه قال فأمر طرخون أن يثلم حائط الربض فقال موسى
دعوهم فهدموا ودخل أوائلهم فقال دعوهم يكثرون وجعل يقلب طَبَرْزِينا بيده فلما كثروا
قال الآن امنعوهم فركب وحمل عليهم فقاتلهم حتى أخرجهم عن الثُلمة ثم رجع فجلس على
الكرسى وذمّر الملكُ أصحابه ليعودوا فأبوا فقال لفرسانه هذا الشيطان مَن سرّه أن ينظر الى
رستم فلينظر الى صاحب الكرسى فمن أبى فليقدم عليه ثم تحولت الاعاجم الى رستاق كفتان
قال فأغاروا على سَرْح موسى فاغتمّ ولم يطعم وجعل يعبث بلحيته فسار ليلا على نهر فى حافيته
نبات لم يكن فيه ماء وهو يفضى الى خندقهم فى سبعمائة فأصبحوا عند عسكرهم وخرج
السرح فأغار عليه فاستاقه واتبعه قومٌ منهم فعطف عليه سوّار مولى لموسى فطعن رجلا منهم
فصرعه فرجعوا عنهم وسلم موسى بالسرح قال وغاداهم العجم القتال فوقف ملكهم على تلّ
في عشرة آلاف فى أكمل عُدّة فقال موسى ان أزلتم هؤلاء فليس الباقون بشئ فقصد
لهم حُرَيْثُ بن قطبة فقاتلهم صدر النهار وألح عليهم حتى أزالوهم عن التلّ ورُمى يومئذ
حريثٌ بنشابة فى جبهته فتحاجزوا فبَيَّتهم موسى وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم
حتى وصل الى شمعة ملكهم فوجأ رجلا منهم بقبيعة سيفه فطعن فرسه فاحتمله فألقاه
في نهر بَلخ فغرق وعليه درعان فقتل العجم قتلا ذريعا ونجا منهم من نجا بشر ومات

حريث بن قطبة بعد يومين فدُفن فى قبّته قال وارتحل موسى وحملوا الرؤس الى الترمذ فبنوا من تلك الرؤس جوسقين وجعلوا الرؤس يقابل بعضها بعضا وبلغ الحجاج خبر الوقعة فقال الحمد لله الذى نصر المنافقين على الكافرين فقال أصحاب موسى قد كُفينا أمرَ حريث فأرحنا من ثابت فأبى وقال لا وبلغ ثابتا بعضُ ما يخوضون فيه فدسّ محمدَ بن عبد الله بن مرثد الخزاعى عمّ نصر بن عبد الحميد عاملِ أبى مسلم على الرىّ وكان فى خدمة موسى بن عبد الله وقال له اياك أن تتكلم بالعربيّة وان سألوك من أين أنت فقل من سبى البامِيان فكان يخدم موسى وينقل الى ثابت خبرهم فقال له تحفظ ما يقولون وحذر ثابتٌ فكان لا ينام حتى يرجع الغلام وأمر قوما من شاكريّته يحرسونه ويبيتون عنده فى داره ومعهم قومٌ من العرب وألحّ القومُ على موسى فأضجروه فقال لهم ليلةً قد أكثرتم علىّ وفيما تريدون هلاككم وقد أبرمتمونى فعلى أىّ وجه تفتكون به وأنا لا أغدر به فقال نوح ابن عبد الله أخو موسى خلّنا واياه فاذا غدا اليك غدوةً عدلنا به الى بعض الدور فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل اليك قال أما والله انه لهلاككم وأنتم أعلم والغلام يسمع فأتى ثابتا فأخبره فخرج من ليلته فى عشرين فارسا فمضى وأصبحوا وقد ذهب فلم يدروا من أين أُتوا وفقدوا الغلام فعلموا انه كان عينا له عليهم ولحق ثابت بحشورا فنزل المدينة وخرج اليه قوم كثير من العرب والعجم فقال موسى لاصحابه قد فتحتم على أنفسكم بابا فسُدّوه وسار اليه موسى فخرج اليه ثابت فى جمع كثير فقاتلهم فأمر موسى باحراق السور وقاتلهم حتى ألجؤا ثابتا وأصحابه الى المدينة وقاتلوهم عن المدينة فأقبل رقبة بن الحرّ العنبرىّ حتى اقتحم النار فانتهى الى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقفٌ يحمى أصحابه فقتله ثم رجع فخاض النار وهى تلتهب وقد أخذت بجوانب نمط عليه فرمى به عنه ووقف وتحصن ثابت فى المدينة وأقام موسى فى الربَض وكان ثابت حين شخص الى حشورا أرسل الى طرخون فأقبل طرخون مُعينا له وبلغ موسى مجىء طرخون فرجع الى الترمذ وأعانه أهلُ كسَّ ونسف وبخارى فصار ثابت فى ثمانين ألفا فحصروا موسى وقطعوا عنه المادّة حتى جُهدوا قال وكان أصحاب ثابت يعبرون نهرا الى موسى بالنهار ثم يرجعون بالليل الى عسكرهم فخرج يوما رقبة وكان صديقا لثابت وقد كان ينهى أصحاب موسى عما صنعوا فنادى ثابتا فبرز له وعلى رقبة قباء خزّ فقال له كيف حالك يا رقبة فقال ما تسأل عن رجل عليه جبّة خزّ فى حمارّة القيظ وشكا اليه حالهم فقال أنتم صنعتم هذا بأنفسكم فقال أما والله ما دخلت فى أمرهم ولقد كرهت ما أرادوا فقال ثابت أين تكون حتى يأتيك ما قُدّر لك قال أنا عند المحِلّ الطُفاوىّ رجلٍ من قيس من يَعْصُر وكان المحلّ شيخا صاحب شراب فنزل رقبة عنده قال فبعث ثابت الى رقبة بخمسمائة درهم مع علىّ بن المهاجر الخزاعىّ وقال إنّ لنا تجارا قد

خرجوا من بلخ فإذا بلغك انهم قد قدموا فأرسل الى تأتك حاجتك فأتى على باب المحل فدخل فإذا رقبة والمحل جالسان بينهما جفنة فيها شراب وخوان عليه دجاج وأرغفة ورقبة شعث الرأس متوشح بملحفة حمراء فدفع اليه الكيس وأبلغه الرسالة وما كلمه وتناول الكيس وقال له بيده أخرج ولم يكلمه قال وكان رقبة جسيما كبيرا غائر العينين نانئ الوجنتين مفلج بين كل سنين له موضع سن كأن وجهه ترس قال فلما أضاق أصحاب موسى واشتد عليهم الحصار قال يزيد بن هزيل انما مقام هؤلاء مع ثابت والقتل أحسن من الموت جوعا والله لأفتكن بثابت أولأموتن فخرج الى ثابت فاستأمنه فقال له ظهير أنا أعرف بهذا منك ان هذا لم يأتك رغبة فيك ولا جزعا لك ولقد جاءك بغدرة فاحذره وخلنى واياه فقال ما كنت لأقدم على رجل أتانى لا أدرى أكذلك هو أم لا قال فدعنى أرتهن منه رهنا فأرسل ثابت الى يزيد فقال أما أنا فلم أكن أظن رجلا يغدر بعد ما يسأل الامان وابن عمك أعلم بك منى فانظر ما يعاملك عليه فقال يزيد لظهير أبيت يا أبا سعيد الا حسدا قال أما يكفيك ما ترى من الذل تشردت عن العراق وعن أهلى وصرت بخراسان فيما ترى أفما تعطفك الرحم فقال له ظهير أما والله لو تركت ورأيى فيك لما كان هذا ولكن أرهنا ابنيك قدامة والضحاك فدفعهما اليهم فكانا فى يدى ظهير قال وأقام يزيد يلتمس غرة ثابت لا يقدر منه على ما يريد حتى مات ابن لزياد القصير الخزاعى أتى أباه نعيه من مرو فخرج ثابت متفضلا الى زياد ليعزيه ومعه ظهير ورهط من أصحابه وفيهم يزيد بن هزيل وقد غابت الشمس فلما صار على نهر الصغانيان تأخر يزيد بن هزيل ورجلان معه وقد تقدم ظهير وأصحابه فدنا يزيد من ثابت فضربه فعض السيف برأسه فوصل الى الدماغ قال ورمى يزيد وصاحباه بأنفسهم فى نهر الصغانيان فرموهم فنجا يزيد سباحة وقتل صاحباه وحمل ثابت الى منزله فلما أصبح طرخون أرسل الى ظهير ائتنى بابنى يزيد فأتاه بهما فقدم ظهير الضحاك بن يزيد فقتله ورمى به وبرأسه في النهر وقدم قدامة ليقتله فالتفت فوقع السيف في صدره ولم يبن فألقاه فى النهر حيا فغرق فقال طرخون أبوهما قتلهما وغدره فقال يزيد بن هزيل لاقتلن بابنى كل خزاعى بالمدينة فقال له عبد الله بن بديل بن عبد الله بن بديل بن ورقاء وكان ممن أتى موسى من فل ابن الاشعث لو رمت ذاك من خزاعة لصعب عليك وعاش ثابت سبعة أيام ثم مات وكان يزيد بن هزيل سخيا شجاعا شاعرا ولى أيام ابن زياد جزيرة ابن كاوان فقال

قد كنت أدعو الله في السر مخلصا * ليمكننى من جزية ورجال
فأترك فيها ذكر طلحة خاملا * ويحمد فيها نائلى وفعالى

قال فقام بأمر العجم بعد موت ثابت طرخون وقام ظهير بأمر أصحاب ثابت فقاما قياما

ضعيفا وانتشر أمرهم فأجمع موسى على بياتهم فجاء رجل فأخبر طرخون فضحك وقال موسى يعجز أن يدخل متوضأه فكيف بيبيتنا لقد طار قلبك لا يحرسنّ الليلة أحدٌ العسكرَ فلما ذهب من الليل ثلثه خرج موسى في ثمانمائة قد عبّاهم من النهار وصيّرهم أرباعا قال فصيّر على ربع رقبة بن الحر وعلى ربع أخاه نوحَ بن عبد الله بن خازم وعلى ربع يزيد ابن هزيل وصار هو في ربع وقال لهم اذا دخلتم عسكرهم فتفرّقوا ولا يمرّنّ أحدٌ منكم بشيء الا ضربه فدخلوا عسكرهم من أربع نواح لا يمرّون بدابة ولا رجل ولا خباء ولا جوالق الا ضربوه وسمع الوجبة نيزكُ فلبس سلاحه ووقف في ليلة مظلمة وقال لعليّ بن المهاجر الخزاعيّ انطلق الى طرخون فأعلمه موقفي وقل له ماترى أعمل به فأتى طرخونَ فاذا هو في فازةٍ قاعدٌ على كرسيّ وشاكريّته قد أوقدوا النيران بين يديه فأبلغه رسالةَ نيزك فقال اجلس وهو طامح ببصره نحو العسكر والصوت اذ أقبل مُحمِيَةُ السلميّ وهو يقول حم لا يُنْصَرونَ فتفرّق الشاكريّة ودخل محمية الفازةَ وقام اليه طرخون فبدره فضربه فلم يغن شيأ قال وطعنه طرخونُ بذباب السيف في صدره فصرعه ورجع الى الكرسيّ فجلس عليه وخرج محميةُ يعدو قال ورجعت الشاكريةُ فقال لهم طرخونُ فررتم من رجل أرأيتم لو كان نارا هل كانت تُحرق منكم أكثر من واحد فما فرغ من كلامه حتى دخل جوارٍ يه الفازةَ وخرج الشاكرية هرّابا فقال للجوارى اجلسن وقال لعليّ ابن المهاجر قم قال فخرجا فاذا نوح بن عبد الله بن خازم في السرادق فتجاولا ساعة واختلفا ضربتين فلم يصنعا شيأ وولى نوحٌ وأتبعه طرخون فطعن فرسَ نوح في خاصرته فشبّ فسقط نوح والفرسُ في نهر الصغانيان ورجع طرخون وسيفه يقطر دما حتى دخل السرادق وعليّ بن المهاجر معه ثم دخلا الفازة وقال طرخون للجوارى ارجعن فرجعن الى السرادق وأرسل طرخون الى موسى كُفّ أصحابكَ فانا نرتحل اذا أصبحنا فرجع موسى الى عسكره فلما أصبحوا ارتحل طرخون والعجم جميعا فأتى كلُّ قوم بلادهم قال وكان أهل خراسان يقولون ما رأينا مثل موسى بن عبد الله بن خازم ولا سمعنا به قاتل مع أبيه سنتين ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملكا فغلبه على مدينته وأخرجه منها ثم سارت اليه الجنود من العرب والترك فكان يقاتل العرب أوّلَ النهار والعجم آخر النهار وأقام في حصنه خمس عشرة سنة وسار ما وراء النهر لموسى لا يعازّه فيه أحدٌ قال وكان بقومس رجل يقال له عبد الله يجتمع اليه فتيان يتنادمون عنده في مؤونته ونفقته فلزمه دين فأتى موسى بن عبد الله فأعطاه أربعةَ آلاف فأتى بها أصحابه فقال الشاعر يعاتب رجلا يقال له موسى

فما أنت موسى اذ يُناجِى إلهه * ولا واهبُ القَيْنات موسى بنُ خازم

قال فلما عُزل يزيد وولى المفضل خراسان أراد أن يحظى عند الحجاج بقتال موسى بن عبد الله فأخرج عثمان بن مسعود وكان يزيد حبسه فقال انى أريد أن أوجهك الى موسى بن عبد الله فقال والله لقد وترنى وانى لثائر بابن عمى ثابت وبالخزاعى وما يد أبيك وأخيك عندى وعند أهل بيتى بالحسنة لقد حبستمونى وشردتم بنى عمى واصطفيتم أموالهم فقال له المفضل دع هذا عنك وسر فأدرك بثأرك فوجهه في ثلاثة آلاف وقال له مر مناديا فليناد من لحق بنا فله ديوان فنادى بذلك فى السوق فسارع اليه الناس وكتب المفضل الى مدرك وهو ببلخ أن يسير معه فخرج فلما كان ببلخ خرج ليلة يطوف في العسكر فسمع رجلا يقول قتلته والله فرجع الى أصحابه فقال قتلت موسى ورب الكعبة قال فأصبح فسار من بلخ وخرج مدرك معه متثاقلا فقطع النهر فنزل جزيرة بالترمذ يقال لها اليوم جزيرة عثمان لنزول عثمان بها في خمسة عشر ألفا وكتب الى السبل والى طرخون فقدموا عليه فحصروا موسى فضيقوا عليه وعلى أصحابه فخرج موسى ليلا فأتى كفتان فامتار منها ثم رجع فمكث شهرين في ضيق وقد خندق عثمان وحذر البيات فلم يقدر موسى منه على غرة فقال لاصحابه حتى متى اخرجوا بنا فاجعلوا يومكم اما ظفرتم واما قتلتم وقال لهم اقصدوا للصغد والترك فخرج وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة وقال له ان قتلت فلا تدفعن المدينة الى عثمان وادفعها الى مدرك بن المهلب وخرج فصير ثلث أصحابه بازاء عثمان وقال لا تهايجوه الا أن يقاتلكم وقصد لطرخون وأصحابه فصدقوهم فانهزم طرخون والترك وأخذوا عسكرهم فجعلوا ينقلونه ونظر معاوية بن خالد بن أبى برزة الى عثمان وهو على برذون لخالد بن أبى برزة الاسلمى فقال انزل أيها الامير فقال خالد لا تنزل فان معاوية مشؤم وكرت الصغد والترك راجعة فحالوا بين موسى وبين الحصن فقاتلهم فعقر به فسقط فقال لمولى له احملنى فقال الموت كريه ولكن ارتدف فان نجونا نجونا جميعا وان هلكنا هلكنا جميعا قال فارتدف فنظر اليه عثمان حين وثب فقال وثبة موسى ورب الكعبة وعليه مغفر له موشى بخز أحمر فى أعلاه ياقوتة اسمانجونية فخرج من الخندق فكشفوا أصحاب موسى فقصد لموسى وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه فابتدروه فانطووا عليه فقتلوه ونادى منادى عثمان لا تقتلوا أحدا من لقيتموه فخذوه أسيرا قال فتفرق أصحاب موسى وأسر منهم قوم فعرضوا على عثمان فكان اذا أتى بأسير من العرب قال دماؤنا لكم حلال ودماؤكم علينا حرام ويأمر بقتله واذا أتى بأسير من الموالى شتمه وقال هذه العرب تقاتلنى فهلا غضبت لى فيأمر به فيشدخ وكان فظا غليظا فلم يسلم عليه يومئذ أسير الا عبد الله بن بديل ابن عبد الله بن بديل بن ورقاء فانه كان مولاه فلما نظر اليه أعرض عنه وأشار بيده أن خلوا عنه ورقبة بن الحر لما أتى به نظر اليه وقال ما كان من هذا الينا كبير ذنب وكان

صديقا الثابت وكان مع قوم فوفى لهم والعجب كيف أسرتموه قالوا طعن فرسه فسقط عنه في وهدة فأسر فأطلقه وحمله وقال لخالد بن أبى برزة ليكن عندك قال وكان الذى أجهز على موسى بن عبد الله واصل بن طيسلة العنبرى ونظر يومئذ عثمان الى زرعة بن علقمة السلمى والحجاج بن مروان وسنان الاعرابى ناحية فقال لكم الامان فظن الناس انه لم يؤمنهم حتى كاتبوه قال وبقيت المدينة فى يدى النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم فقال لا أدفعها الى عثمان ولكنى أدفعها الى مدرك فدفعها اليه وآمنه فدفعها مدرك الى عثمان وكتب المفضل بالفتح الى الحجاج فقال الحجاج العجب من ابن بهلة آمره بقتل ابن سمرة فيكتب الى انه لما به ويكتب الى انه قتل موسى بن عبد الله بن خازم قال وقتل موسى سنة ٨٥ فذكر البحترى ان مغراء بن المغيرة بن أبى صفرة قتل موسى فقال

وقد عركت بالترمذ الخيل خازما * ونوحا وموسى عركة بالكلاكل

قال فضرب رجل من الجند ساق موسى فلما ولى قتيبة أخبر عنه فقال ما دعاك الى ما صنعت بفتى العرب بعد موته قال كان قتل أخى فأمر به قتيبة فقتل بين يديه ﴿وفي هذه السنة﴾ أراد عبد الملك بن مروان خلع أخيه عبد العزيز بن مروان

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه﴾

*ذكر الواقدى ان عبد الملك هم بذلك فنهاه عنه قبيصة بن ذؤيب وقال لا تفعل هذا فإنك باعث على نفسك صوت نعار ولعل الموت يأتيه فتستريح منه فكف عبد الملك عن ذلك ونفسه تنازعه الى ان يخلعه ودخل عليه روح بن زنباع الجذامى وكان أجل الناس عند عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين لو خلعته ما انتطح فيه عنزان فقال ترى ذلك يا أبا زرعة قال اى والله وأنا أول من يجيبك الى ذلك فقال نصيح ان شاء الله قال فبينا هو على ذلك وقد نام عبد الملك وروح بن زنباع اذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب طروقا وكان عبد الملك قد تقدم الى حجابه فقال لا يحجب عنى قبيصة أى ساعة جاء من ليل أو نهار اذا كنت خاليا أو عندى رجل واحد وان كنت عند النساء أدخل المجلس وأعلمت بمكانه فدخل وكان الخاتم اليه وكانت السكة اليه تأتيه الاخبار قبل عبد الملك ويقرأ الكتاب قبله ويأتى بالكتاب الى عبد الملك منشورا فيقرأه إعظاما لقبيصة فدخل عليه فسلم عليه وقال أجرك الله يا أمير المؤمنين فى أخيك عبد العزيز قال وهل توفى قال نعم فاسترجع عبد الملك ثم أقبل على روح فقال كفانا الله أبا زرعة ما كنا نريد وما أجمعنا عليه وكان ذلك مخالفا لك يا أبا اسحاق فقال قبيصة ما هو فأخبره بما كان فقال قبيصة يا أمير المؤمنين ان الرأى كله في الاناة والعجلة فيها ما فيها فقال عبد الملك ربما كانت فى العجلة خير كثير رأيت أمر عمرو ابن سعيد ألم تكن العجلة فيه خيرا من التأنى ﴿وفى هذه السنة﴾ توفي عبد العزيز بن

مروان بمصر فى جمادى الاولى فضمّ عبد الملك عمله الى ابنه عبد الله بن عبد الملك و ولاه مصر وأما المدائنى فانه قال فى ذلك ما حدّثنا به أبو زيد عنه ان الحجاج كتب الى عبد الملك يزيّن له بيعة الوليد وأوفد وفداً فى ذلك عليهم عمران بن عصام العنزى فقام عمران خطيبا فتكلم وتكلم الوفد وحثوا عبد الملك وسألوه ذلك فقال عمران بن عصام

أميرَ المؤمنينَ اليكَ نُهدِى * على النأى التحيّةَ والسَّلاما

أجبْنى فى بنيكَ يكُنْ جوابى * لهم عاديّة ولنا قواما

فلو أنَّ الوليدَ أطاعُ فيه * جعلت له الخلافةَ والذماما

شبيهُكَ حول قبّته قريشٌ * به يستمطرُ الناس الغماما

ومثلك فى التُّقى لم يَصبُ يومًا * لدُن خلعَ القلائدَ والتماما

فإن تُؤثِرْ أخاكَ بها فانّا * وجدّكَ لانطيقُ لها اتّهاما

ولكنا نُحاذرُ من بنيه * بنى العلات مأثرةً سماما

ونخشى ان جعلتَ الملكَ فيهم * سحابا أن تعودَ لهم جهاما

فلا يكُ ما حلبتَ غدًا لقومٍ * وبعد غدٍ بنوكَ هُم العياما

فأقسمُ لو تخطّأنى عصامٌ * بذلك ما عذرتُ به عصاما

ولو أنى حبوتُ أخا بفضلٍ * أريدُ به المقالةَ والمقاما

لعقّبَ فى بنىَّ على بنيهِ * كذلك أو لرُمتُ له مراما

فمَن يكُ فى أقاربه صدوعٌ * فصدعُ الملك أبطأهُ التئاما

فقال عبد الملك يا عمرانُ انه عبد العزيز قال احتَل له يا أمير المؤمنين قال علىٌّ أراد عبد الملك بيعة الوليد قبل أمر ابن الاشعث لان الحجاج بعث فى ذلك عمران بن عصام فلما أبى عبد العزيز أعرض عبد الملك عما أراد حتى مات عبد العزيز ولما أراد أن يخلع أخاه عبد العزيز ويبايع لابنه الوليد كتب الى أخيه ان رأيت أن تصيّر هذا الامر لابن أخيك فأبى فكتب اليه فاجعلها له من بعدك فانه أعزُّ الخلق على أمير المؤمنين فكتب اليه عبد العزيز انى أرى فى أبى بكر بن عبد العزيز ما ترى فى الوليد فقال عبد الملك اللهمّ ان عبد العزيز قطعنى فاقطعه فكتب اليه عبد الملك احمل خراج مصر فكتب اليه عبد العزيز يا أمير المؤمنين انى واياك قد بلغنا سنّا لم يبلغها أحدٌ من أهل بيتك الاّ كان بقاؤه قليلا وانى لا أدرى ولا تدرى أيّنا يأتيه الموت أولا فان رأيت أن لا تغثث علىّ بقيّة عمرى فافعلْ فرق له عبد الملك وقال لعمرى لا أغثث عليه بقية عمره وقال لابنيه ان يُرد الله أن يُعطيكموها لا يقدرُ أحد من العباد على ردّ ذلك وقال لابنيه الوليد وسليمان هل قارفتما حراما قط قالا لا

والله قال الله أكبر نلتماها ورب الكعبة قال فلما أبى عبد العزيز أن يجيب عبد الملك الى ما أراد قال عبد الملك اللهم قد قطعنى فاقطعه فلما مات عبد العزيز قال أهل الشأم رد على أمير المؤمنين أمره فدعا عليه فاستجيب له قال وكتب الحجاج الى عبد الملك يشير عليه أن يستكتب محمد بن يزيد الأنصارى وكتب اليه ان أردت رجلا مأمونا فاضلا عاقلا وديعا مسلما كتوما تتخذه لنفسك وتضع عنده سرك وما لا تحب أن يظهر فاتخذ محمد بن يزيد فكتب اليه عبد الملك احمله الى فحمله فاتخذه عبد الملك كاتبا قال محمد فلم يكن يأتيه كتاب الا دفعه الى ولا يستر شيأ الا أخبرنى به وكتمه الناس ولا يكتب الى عامل من عماله الا أعلمنيه فانى لجالس يوما نصف النهار اذا أنا ببريد قد قدم من مصر فقال الاذن على أمير المؤمنين قلت ليست هذه ساعة اذن فاعلمنى ما قدمت له قال لا قلت فان كان معك كتاب فادفعه الى قال لا قال فأبلغ بعض من حضرنى أمير المؤمنين فخرج فقال ما هذا قلت رسول قدم من مصر قال فخذ الكتاب قلت زعم انه ليس معه كتاب قال فسله عما قدم له قلت قد سألته فلم يخبرنى قال أدخله فأدخلته فقال أجرك الله يا أمير المؤمنين فى عبد العزيز فاسترجع وبكى ووجم ساعة ثم قال يرحم الله عبد العزيز مضى والله عبد العزيز لشأنه وتركنا وما نحن فيه ثم بكى النساء وأهل الدار ثم دعانى من غد فقال ان عبد العزيز رحمه الله قد مضى لسبيله ولا بد للناس من علم وقائم يقوم بالأمر من بعدى فمن ترى قلت يا أمير المؤمنين سيد الناس وأرضاهم وأفضلهم الوليد بن عبد الملك قال صدقت وفقك الله فمن ترى أن يكون بعده قلت يا أمير المؤمنين أين تعدلها عن سليمان فتى العرب قال وفقت أما انا لو تركناه الوليد واياها لجعلها لبنيه اكتب عهد الوليد وسليمان من بعده فكتبت بيعة الوليد ثم سليمان من بعده فغضب على الوليد فلم يولنى شيأ حين أشرت بسليمان من بعده قال على عن ابن جعدبة كتب عبد الملك الى هشام بن اسماعيل المخزومى أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان فبايعوا غير سعيد بن المسيب فانه أبى وقال لا أبايع وعبد الملك حى فضربه هشام ضربا مبرحا وألبسه المسوح وسرحه الى ذباب ثنية بالمدينة كانوا يقتلون عندها ويصلبون فظن انهم يريدون قتله فلما انتهوا به الى ذلك الموضع ردوه فقال لو ظننت أنهم لا يصلبونى ما لبست سراويل مسوح ولكن قلت يصلبوننى فيسترنى وبلغ عبد الملك الخبر فقال قبح الله هشاما انما كان ينبغى أن يدعوه الى البيعة فان أبى يضرب عنقه أو يكف عنه ﴿وفى هذه السنة﴾ بايع عبد الملك لابنيه الوليد ثم من بعده لسليمان وجعلهما وليى عهد المسلمين وكتب ببيعته لهما الى البلدان فبايع الناس وامتنع من ذلك سعيد بن المسيب فضربه هشام ابن اسماعيل وهو عامل عبد الملك على المدينة وطاف به وحبسه فكتب عبد الملك الى هشام يلومه على ما فعل من ذلك وكان ضربه ستين سوطا وطاف به فى تبان من شعر حتى بلغ

به رأس الثنيّة وأما الحارث فانه قال حدّثنى ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدىّ قال حدثنا عبد الله بن جعفر وغيره من أصحابنا قالوا استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهرىّ على المدينة فدعا الناس الى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب لا حتى يجتمع الناس فضربه ستين سوطا فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب الى جابر يلومه وقال مالنا ولسعيد دعه * وحدثنى الحارث عن ابن سعد ان محمد بن عمر أخبره قال حدثنا عبد الله بن جعفر وغيره من أصحابنا ان عبد العزيز بن مروان توفى بمصر فى جمادى سنة ٨٤ فعقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان العهد وكتب بالبيعة لهما الى البلدان وعامله يومئذ هشام بن اسماعيل المخزومى فدعا الناس الى البيعة فبايع الناس ودعا سعيد بن المسيب أن يبايع لهما فأبى وقال لا حتى أنظر فضربه هشام بن اسماعيل ستين سوطا وطاف به فى تبّان شعر حتى بلغ به رأس الثنية فلما كرّوا به قال أين تكرون بى قالوا الى السجن قال والله لولا انى ظننت انه الصلب لما لبست هذا التبان أبدا فرده الى السجن وحبسه وكتب الى عبد الملك يخبره بخلافه وما كان من أمره فكتب اليه عبد الملك يلومه فيما صنع ويقول سعيد والله كان أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه وانا لنعلم ماعنده من شقاق ولا خلاف ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة هشام بن اسماعيل المخزومى كذلك حدثنا أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وكان العامل على المشرق فى هذه السنة مع العراق الحجاج بن يوسف

## ﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فما كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان وكان مهلكه فى النصف من شوال منها ﴿حدثنى﴾ أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال توفى عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦ فكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر * وأما الحارث فانه حدثنى عن ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدثنى شرحبيل بن أبى عون عن أبيه قال أجمع الناس على عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ قال ابن عمر وحدثنى أبو معشر نجيح قال مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦ فكانت ولايته منذ يوم بويع الى يوم توفى احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا كان تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير ويسلم عليه بالخلافة بالشام ثم بالعراق بعد مقتل مصعب وبقى بعد مقتل عبد الله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر الا سبع ليال * وأما علىّ بن محمد المدائنى فانه فيما حدثنا أبو زيد عنه قال مات عبد الملك سنة ٨٦ بدمشق وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوما

﴿ ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفي ﴾

اختلف أهل السير في ذلك فقال أبو معشر فيه ما حدثني الحارث عن ابن سعد قال أخبرنا محمد ابن عمر قال حدثني أبو معشر نجيح قال مات عبد الملك بن مروان وله ستون سنة ﴿ قال الواقدى ﴾ وقد روى لنا انه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة قال والاول أثبت وهو على مولده قال وولد سنة ٢٦ فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وشهد يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين وقال المدائنى على بن محمد فيما ذكر أبو زيد عنه مات عبد الملك وهو ابن ثلاث وستين سنة

﴿ ذكر نسبه وكنيته ﴾

أما نسبه فانه عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وأما كنيته فأبو الوليد وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية وله يقول ابن قيس الرقيات

أَنتَ ابنُ عائِشَةَ التى * فَضَلَتْ أَرُومَ نِسائِهَا
لم تَلتَفِتْ لِلِدَاتِهَا * ومَضَتْ على غُلوائِهَا

﴿ ذكر أولاده وأزواجه ﴾

منهم الوليد وسليمان ومروان الاكبر دَرَجَ وعائشةُ أُمُّهم ولادةُ بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهَير بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس ابن بغيض ويزيد ومروان ومعاوية درج وأم كلثوم وأمهم عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وهشام وأمه أم هشام بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى وقال المدائنى اسمها عائشة بنت هشام وأبو بكر واسمه بكار أمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عُبَيْد الله والحكم دَرَجَ أمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان وفاطمة بنت عبد الملك أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسه ومحمد وسعيد الخير والحجاج لامهات أولاد * قال المدائنى وكان له من النساء سوى من ذكرنا شقراء بنت سلمة بن حلبَس الطائى وابنةٌ لعلىّ بن ابى طالب عليه السلام وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر * وذكر المدائنى عن عوانة وغيره ان سلمة بن زيد بن وهب بن نباتة الفهمى دخل على عبد الملك فقال له أى الزمان أدركت أفضل وأى الملوك أكمل قال أما الملوك فلم أر الا ذامّا وحامدا وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما وكلهم يذم زمانه لأنه يبلى جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع غير الأمل قال فاخبرنى عن فهم قال هم كما قال من قال

درج الليلُ والنهارُ على فَهْمِ بن عَمْرٍو فاصبحُوا كالرَّميم
وَخلَتْ دارُهُمْ فأضحَتْ يَبابًا * بعْدَ عِزٍّ وثَرْوَةٍ ونعيم

وكذاك الزمان يذهب بالنا * س وتبقى ديارهم كالرسوم

قال فمن يقول منكم

رأيت الناس مذ خلقوا وكانوا * يحبون الغنى من الرجال
وان كان الغنى قليل خير * بخيلا بالقليل من النوال
فما أدرى علام وفيم هذا * وماذا يرتجون من البخال
أللدنيا فليس هناك دنيا * ولا يرجى لحادثة الليالى

قال أنا * قال علىّ قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط لعبد الملك بن مروان

نبئت أن ابن القلمس عابنى * ومن ذا من الناس الصحيح المسلم
فابصر سبل الرشد سيد قومه * وقد يبصر الرشد الرئيس المعمم
فمن أنتم ها خبرونا من انتم * وقد جعلت أشياء تبدو وتكتم

فقال عبد الملك ما كنت أرى ان مثلنا يقال له من أنتم أما والله لولا ما تعلم لقلت قولا الحقكم باصلكم الخبيث ولضربتك حتى تموت وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبى لعبد الملك

يا ابن أبى العاص ويا خير فتى * أنت سداد الدين ان دين وهى
أنت الذى لا يجعل الامر سدى * حيب قريش عنكم حوب الرحى
ان أبا العاصى وفى ذاك اعتصى * أوصى بنيه فوعوا عنه الوصى
ان يسعروا الحرب ويأبوا ما أبى * الطاعنين فى النحور والكلى
شزرا ووصلا للسيوف بالخطى * الى القتال فحووا ما قد حوى

وقال أعشى بنى شيبان

عرفت قريش كلها * لبنى أبى العاص الإماره
لأبرها وأحقها * عند المشورة بالاشاره
المانعين لما ولوا * والنافعين ذوى الضراره
وهم أحقهم بها * عند الحلاوة والمراره

وقال عبد الملك ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر منى وان ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ولكن لبخله لا يصلح أن يكون سائسا

## ﴿ خلافة الوليد بن عبد الملك ﴾

﴿ وفى هذه السنة ﴾ بويع للوليد بن عبد الملك بالخلافة فذكر انه لما دفن أباه وانصرف عن قبره دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع اليه الناس فخطب فقال انا لله وانا اليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بموت أمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة قوموا

فبايعوا

فبايعوا فكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولى فانه قام وهو يقول

اللهُ أعطَاكَ التى لا فوقها * وقد أراد الملحدُون عوقَها
عنكَ ويأبى اللهُ الا سَوْقَها * اليكَ حتى قلَّدُوكَ طَوْقَها

فبايعه ثم تتابع الناس على البيعة * وأما الواقدى فانه ذكر ان الوليد لما رجع من دفن أبيه ودفن خارج باب الجابية لم يدخل منزله حتى صعد على منبر دمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس انه لا مقدم لما أخر الله ولا مؤخر لما قدم الله وقد كان من قضاء الله وسابق علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه الموت وقد صار الى منازل الأبرار ولىّ هذه الامة بالذى يحق عليه لله من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل واقامة ما أقام الله من منار الاسلام وأعلامه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشنّ هذه الغارة على أعداء الله فلم يكن عاجزا ولا مفرطا أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع الفرد أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه ومن سكت مات بدائه ثم نزل فنظر الى ما كان من دواب الخلافة فحازه وكان جبارا عنيدا

﴿وفى هذه السنة﴾ قدم قتيبة بن مسلم خراسان واليا عليها من قبل الحجاج فذكر علىّ ابن محمد ان كليب بن خلف أخبره عن طفيل بن مرداس العمّى والحسن بن رُشيد عن سليمان بن كثير العمى قال أخبرنى عمى قال رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان فى سنة ٨٦ فقدم والمفضل يعرض الجند وهو يريد أن يغزو أخرُون وشُومان فخطب الناس قتيبة وحثهم على الجهاد وقال ان الله أحلكم هذا المحل ليعزّ دينه ويذبّ بكم عن الحرمات ويزيد بكم المال استفاضة والعدوّ وقما ووعد نبيّه صلى الله عليه النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ووعد المجاهدين فى سبيله أحسن الثواب وأعظم الذخر عنده فقال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الى قوله ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ثم أخبر عمن قتل فى سبيله انه حىّ مرزوق فقال ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فتنجزوا موعود ربكم ووطّنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم وإياى والهوينا

﴿ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان فى هذه السنة﴾

ثم عرض قتيبة الجند فى السلاح والكراع وسار واستخلف بمرو على حربها إياس بن عبد الله بن عمرو وعلى الخراج عثمان بن السعدىّ فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلخ وبعض عظمائهم فسار وامعه فلما قطع النهر تلقاه بيش الأعور ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب فدعاه الى بلاده فأتاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ودعاه الى بلاده فمضى مع

بيش الى الصغانيان فسلم اليه بلاده وكان ملك أخرون وشومان قد أساء جوار بيش وغزاه وضيق عليه فسار قتيبة الى أخرون وشومان وهما من طخارستان فجاءه غيسلشتان فصالحه على فدية أداها اليه فقبلها قتيبة ورضى ثم انصرف الى مرو واستخلف على الجند أخاه صالح ابن مسلم وتقدم جنده فسبقهم الى مرو وفتح صالح بعد رجوع قتيبة باسار ابه صن وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ فوهب له قرية تدعى تنجانة ثم قدم صالح على قتيبة فاستعمله على الترمذ قال وأما الباهليون فيقولون قدم قتيبة خراسان سنة ٨٥ فعرض الجند فكان جميع ما أحصوا من الدروع فى جند خراسان ثلاثمائة وخمسين درعا فغزا أخرون وشومان ثم قفل فركب السفن فانحدر الى آمل وخلف الجند فأخذوا طريق بلخ الى مرو وبلغ الحجاج فكتب اليه يلومه ويعجز رأيه فى تخليفه الجند وكتب اليه اذا غزوت فكن فى مقدم الناس واذا قفلت فكن فى أخرياتهم وساقتهم * وقد قيل ان قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر فى هذه السنة على بلخ لأن بعضها كان منتقضا عليه وقد ناصب المسلمين فحارب أهلها فكان ممن سبى امرأة برمك أبى خالد بن برمك وكان برمك على النوبهار فصارت لعبد الله بن مسلم الذى يقال له الفقير أخى قتيبة بن مسلم فوقع عليها وكان به شئ من الجذام ثم ان أهل بلخ صالحوا من غد اليوم الذى حاربهم قتيبة فأمر قتيبة برد السبى فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم يا تازى انى قد علقت منك وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة فأوصى أن يلحق به ما فى بطنها وردت الى برمك * فذكر ان ولد عبد الله بن مسلم جاؤا أيام المهدى حين قدم الرى الى خالد فادعوه فقال لهم مسلم بن قتيبة انه لا بد لكم ان استلحقتموه ففعل من أن تزوجوه فتركوه وأعرضوا عن دعواهم وكان برمك طبيبا فداوى بعد ذلك مسلمة من علة كانت به ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ﴿وفيها﴾ حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وعبد الملك بن المهلب عن شرطته ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة هشام بن اسماعيل المخزومى كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف وعلى الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبى عقيل وعلى الحرب بها من قبل الحجاج زياد بن جرير بن عبد الله وعلى البصرة أيوب بن الحكم وعلى خراسان قتيبة بن مسلم

## ﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

﴿ففى هذه السنة﴾ عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن اسماعيل عن المدينة وورد عزله عنها فيما ذكر ليلة الأحد لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ٨٧ وكانت إمرته

عليها أربع سنين غير شهر أو نحوه ﴿وفي هذه السنة﴾ ولى الوليد عمر بن عبد العزيز المدينة
قال الواقدى قدمها واليا في شهر ربيع الأول وهو ابن خمس وعشرين سنة وولد سنة ٦٢
قال وقدم على ثلاثين بعيرا فنزل دار مروان قال فحدثنى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه
قال لما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة ونزل دار مروان دخل عليه الناس فسلموا فلما
صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبا
بكر بن عبد الرحمن وأبا بكر بن سليمان بن أبى خيثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد وسالم
ابن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة
ابن زيد فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال انى انما دعوتكم لأمر
تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق ما أريد أن أقطع أمرا الا برأيكم أو برأى
من حضر منكم فإن رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عامل لى ظلامة فأحرج الله على
من بلغه ذلك إلا بلغنى فخرجوا يجزونه خيرا وافترقوا قال وكتب الوليد الى عمر يأمره
أن يقف هشام بن اسماعيل للناس وكان فيه سيئ الرأى قال الواقدى فحدثنى داود بن
جبير قال أخبرتنى أم ولد سعيد بن المسيب ان سعيدا دعا ابنه ومواليه فقال ان هذا الرجل
يوقف للناس أو قد وقف فلا يتعرض له أحد ولا يؤذه بكلمة فانا سنترك ذلك لله وللرحم
فان كان ما علمت لسيئ النظر لنفسه فأما كلامه فلا أكلمه أبدا * قال وحدثنى محمد بن
عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه قال كان هشام بن اسماعيل يسيء جوارنا ويؤذينا ولقى
منه على بن الحسين أذى شديدا فلما عزل أمر به الوليد أن يوقف للناس فقال ما أخاف
الا من على بن الحسين فمر به على وقد وقف عند دار مروان وكان على قد تقدم الى خاصته
أن لا يعرض له أحد منهم بكلمة فلما مر ناداه هشام بن اسماعيل الله أعلم حيث يجعل
رسالاته ﴿وفي هذه السنة﴾ قدم نيزك على قتيبة وصالح قتيبة أهل باذغيس على أن
لا يدخلها قتيبة

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

* ذكر على بن محمد ان أبا الحسن الجشمى أخبره عن أشياخ من أهل خراسان وجبلة بن
فروخ عن محمد بن المثنى ان نيزك طرخان كان فى يديه أسراء من المسلمين وكتب اليه
قتيبة حين صالح ملك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم ويهدده فى
كتابه فخافه نيزك فأطلق الاسرى و بعث بهم الى قتيبة فوجه اليه قتيبة سليما الناصح مولى
عبيد الله بن أبى بكرة يدعوه الى الصلح والى أن يؤمنه وكتب اليه كتابا يحلف فيه بالله لئن لم
يقدم عليه ليغزونه ثم ليطلبنه حيث كان لا يقلع عنه حتى يظفر به أو يموت قبل ذلك فقدم
سليم على نيزك بكتاب قتيبة وكان يستنصحه فقال له يا سليم ما أظن عند صاحبك خيرا كتب

الىّ كتابالا يكتب الى مثلى قال له سليم ياأباالهيّاج ان هذارجل شديد فى سلطانه سهل اذا سُوهل صعب اذاعُوسر فلا يمنعك منه غلظة كتابه اليك فما أحسن حالك عنده وعند جميع مضر فقدم نيزك مع سليم على قتيبة فصالحه أهل باذغيس فى سنة ٨٧ على ان لايدخل باذغيس ﴿وفى هذه السنة﴾ غزامسلمة بن عبدالملك أرض الروم ومعه يزيد ابن جبير فلقى الروم فى عدد كثير بسُوسَنة من ناحية المَصّيصَة قال الواقدىّ فيهالاقى مسلمةُ ميمونا الجرجانىَّ ومع مَسْلمة نحوٌ من ألف مقاتل من أهل انطاكية عند طُوانَة فقتل منهم بشرا كثيرا وفتح الله على يديه حصونا وقيل ان الذى غزا الروم فى هذه السنة هشام بن عبدالملك ففتح الله على يديه حصن بولق وحصن الاخرم وحصن بولس وقمقم وقتل من المستعربة نحوامن ألف مقاتل وسبى ذراريّهم ونساءهم ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا قتيبة بِيكَنْد

﴿ذكرالخبرعن غزوته هذه﴾

* ذكر علىّ بن محمد ان أباالذيّال أخبره عن المهلب بن اياس عن أبيه عن حصين بن مجاهد الرازىّ وهارون بن عيسى عن يونس بن أبى اسحاق وغيرهم ان قتيبة لماصالح نيزك أقام الى وقت الغزو ثم غزافى تلك السنة سنة ٨٧ بيكند فسارمن مرو وأتى مرو روذثم أتى آمل ثم مضى الى زمّ فقطع النهر وسارالى بيكند وهى أدنى مدائن بُخارى الى النهر يقال لها مدينة التجار على رأس المفازة من بخارى فلمانزل بعَقْوَتهم استنصروا الصغد واستمدّوا مَن حولهم فأتوهم فى جمع كثير وأخذوابالطريق فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل اليه رسول ولم يجرله خبرٌ شهرين وأبطأخبره على الحجاج فأشفق الحجاج على الجند فأمر الناس بالدعاء لهم فى المساجد وكتب بذلك الى الامصار وهم يقتتلون فى كلّ يوم قال وكان لقتيبة عينٌ يقال له تنذر من العجم فأعطاه أهل بخارى الأعلى مالا على أن يفثأعنهم قتيبةَ فأتاه فقال أخلنى فنهض الناسُ واحتبس قتيبةُ ضرارَبن حصين الضبّىّ فقال تنذر هذاعامل يقدم عليك وقد عُزل الحجاج فلوانصرفتَ بالناس الى مرو فدعاقتيبة سِيَاه مولاه فقال اضربْ عنق تنذر فقتله ثم قال لضرار لم يبق أحدٌ يعلم هذا الخبرغيرى وغيرك وإنى أعطى الله عهدا إن ظهرهذا الحديثُ من أحد حتى تنقضى حربُنا هذه لأُلحقنّك به فاملك لسانك فإن انتشارهذا الحديث يَفُتّ فى اعضاد الناس ثم أذن للناس قال فدخلوا فراعهم قتلُ تنذر فوجموا وأطرقوا فقال قتيبةُ مايرُوعكم من قتل عبدٍ أحانه الله قالوا إنا كنانظنه ناصحا للمسلمين قال بل كان غاشّا فأحانه الله بذنبه فقدمضى لسبيله فاغدوا على قتال عدوّكم والقَوْهم بغيرما كنتم تلقونهم به فغدا الناسُ متأهّبين وأخذوا مصافّهم ومشى قتيبة فحضّ أهل الرايات فكانت بين الناس مشاولة ثم تزاحفوا والتقوا وأخذت السيوف مأخذها

وانزل

وأنزل الله على المسلمين الصبر فقاتلوهم حتى زالت الشمس ثم منح الله المسلمين أكتافهم فانهزموا يريدون المدينة وأتبعهم المسلمون فشغلوهم عن الدخول فتفرّقوا وركبهم المسلمون قتلا وأسرا كيف شاؤا واعتصم من دخل المدينة بالمدينة وهم قليل فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليهدمها فسألوه الصلح فصالحهم واستعمل عليهم رجلا من بني قتيبة وارتحل عنهم يريد الرجوع فلما سار مرحلة أو ثنتين وكان منهم على خمس فراسخ نقضوا وكفروا فقتلوا العامل وأصحابه وجدعوا آنفهم وآذانهم وبلغ قتيبة فرجع اليهم وقد تحصّنوا فقاتلهم شهرا ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها بالخشب وهو يريد اذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتنهدم فسقط الحائط وهم يعلقونه فقتل أربعين من الفعلة فطلبوا الصلح فأبى وقاتلهم فظفر بها عنوةً فقتل من كان فيها من المقاتلة وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين فقال لقتيبة أنا أفدي نفسي فقال له سُليم الناصح ما تبذل قال خمسة آلاف حريرة صينيّة قيمتها ألف ألف فقال قتيبة ما ترون قالوا نرى ان فداءه زيادةٌ في غنائم المسلمين وما عسى أن يبلغ من كيد هذا قال لا والله لا تروع بك مسلمةٌ أبدا وأمر به فقُتل * قال عليّ قال أبو الذيّال عن المهلب بن اياس عن أبيه والحسن بن رُشيد عن طفيل بن مرداس ان قتيبة لما فتح بيكند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يُحصى فولى الغنائم والقسم عبد الله بن وألان العدويّ أحد بني ملكان وكان قتيبة يسمّيه الأمين بن الأمين وإياس بن بَيْهَس الباهليّ فأذابا الآنية والأصنام فرفعاه الى قتيبة ورفعا اليه خَبَثَ ما أذابا فوهبه لهما فأعطيا به أربعين ألفا فأعلماه فرجع فيه وأمرهما أن يذيباه فأذاباه فخرج منه خمسون ومائة ألف مثقال أو خمسون ألف مثقال وأصابوا في بيكند شيأ كثيرا وصار في أيدي المسلمين من بيكند شيء لم يصيبوا مثله بخراسان ورجع قتيبة الى مرو وقوي المسلمون فاشتروا السلاح والخيل وجلبت اليهم الدوابّ وتنافسوا في حسن الهيئة والعُدّة وغالوا بالسلاح حتى بلغ الرمح سبعين وقال الكميت

ويوم بَيكند لا تُحصى عجائبُهُ * وما بخارا مما أخطأ العددُ

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة فكتب قتيبة الى الحجاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح الى الجند فأذن له فأخرجوا ما كان في الخزائن من عُدّة الحرب وآلة السفر فقسمه في الناس فاستعدّوا فلما كان أيام الربيع ندب الناس وقال اني أغزيكم قبل أن تحتاجوا الى حمل الزاد وأنقلكم قبل أن تحتاجوا الى الادفاء فسار في عُدة حسنة من الدوابّ والسلاح فأتى آمل ثم عبر من زمّ الى بخارى فأتى نُومُشكَث وهي من بخارى فصالحوه قال عليّ حدثنا أبو الذيّال عن أشياخ من بني عدي ان مسلمًا الباهلي قال لوألان ان عندي مالا أحبّ أن أستودعكه قال أتريد أن يكون مكتوما أو لا تكره أن يعلمه الناس قال أحبّ أن تكتمه قال ابعث به مع رجل تثق به الى موضع كذا وكذا ومره اذا رأى رجلا في ذلك

الموضع أن يضع ما معه وينصرف قال نعم فجعل مسلم المال في خُرْج ثم حمله على بغل وقال لمولًى له انطلق بهذا البغل الى موضع كذا وكذا فإذا رأيت رجلا جالسا فخلّ عن البغل وانصرف فانطلق الرجل بالبغل وقد كان والان أتى الموضع لميعاده فأبطأ عليه رسولُ مسلم ومضى الوقت الذى وعده فظنّ انه قد بدا له فانصرف وجاء رجلٌ من بنى تغلب فجلس في ذلك الموضع وجاء مولى مسلم فرأى الرجل جالسا فخلى عن البغل ورجع فقام التغلبىّ الى البغل فلما رأى المال ولم ير مع البغل أحدا قاد البغل الى منزله فأخذ البغل وأخذ المال فظنّ مسلم ان المال قد صار الى والان فلم يسأل عنه حتى احتاج اليه فلقيه فقال مالى فقال ماقبضت شيأ ولا لك عندى مال قال فكان مسلم يشكوه ويتنقصهُ قال فأتى يوما مجلسَ بنى ضبيعة فشكاه والتغلبىُّ جالس فقام اليه فخلا به وسأله عن المال فأخبره فانطلق به الى منزله وأخرج الخُرْج فقال أتعرفه قال نعم قال والخاتَمَ قال نعم قال اقبض مالك وأخبره الخبر فكان مسلم يأتى الناس والقبائل التى كان يشكو اليهم والانَ فيعذره ويخبرهم الخبر وفي والان يقول الشاعر

لست كوالانَ الذى سادَ بالتُّقى * ولست كعِمرانَ ولا كالمهلبِ

وعمران بن الفَصيل البرجمىّ ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر عمرُ بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قِبَل عمر بن عبد العزيز وكان على العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف وخليفته على البصرة في هذه السنة فيما قيل الجَرّاح بن عبد الله الحكمىّ وعلى قضائها عبد الله بن أذينة وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير ابن عبد الله وعلى قضائها أبو بكر بن أبى موسى الأشعرى وعلى خراسان قتيبة بن مسلم

## ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

## ﴿ذكر ما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك ما كان من فتح الله على المسلمين حصنا من حصون الروم يُدعى طوانة فى جمادى الآخرة وشتوا بها وكان على الجيش مَسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك * فذكر محمد بن عمر الواقدىّ أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال كان فتح طوانة على يدى مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد وهزم المسلمون العدوَّ يومئذ هزيمة صاروا الى كنيستهم ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها أبدا وبقى العبّاس معه نفير منهم ابن محيريز الجمحى فقال العباس لابن مُحَيْريز أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة فقال ابن محيريز نادِهم يأتوك فنادى العباس يا أهل القرآن فأقبلوا جميعا فهزم الله العدوَّ حتى دخلوا طوانة وكان الوليد بن عبد الملك ضرب

البعث على أهل المدينة في هذه السنة * فذكر محمد بن عمر عن أبيه أن مخرمة بن سليمان الوالبى قال ضرب عليهم بعث ألفين وانهم تجاعلوا فخرج ألف وخمسمائة وتخلف خمسمائة فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس وهما على الجيش وانهم شتوا بطوانة وافتتحوها ﴿وفيها﴾ ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك ﴿وفيها﴾ أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وادخالها فى المسجد فذكر محمد بن عمران محمد بن جعفر بن وردان البناء قال رأيت الرسول الذى بعثه الوليد بن عبد الملك قدم في شهر ربيع الأول سنة ٨٨ قدم معتجرا فقال الناس ماقدم به الرسول فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بادخال حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد رسول الله وأن يشترى مافى مؤخَّره ونواحيه حتى يكون مائتى ذراع فى مائتى ذراع ويقول له قدّم القبلة ان قدرت وأنت تقدر لمكان اخوالك فانهم لايخالفونك فمن أبى منهم فمُر أهل المصر فليقوّموا له قيمة عدل ثم اهدم عليهم وادفع اليهم الأثمان فان لك فى ذلك سلف صدق عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده فاجاب القوم الى الثمن فاعطاهم اياه وأخذ في هدم بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد فلم يمكث الا يسيرا حتى قدم الفَعَلة بعث بهم الوليد (قال محمد بن عمر) وحدثنى موسى بن يعقوب عن عمه قال رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس القاسم وسالم وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وخارجة بن زيد وعبد الله بن عبد الله بن عمر يُرُونه أعلاما في المسجد ويقدّرونه فاسّسوا أساسه (قال محمد بن عمر) وحدثنى يحيى بن النعمان الغفارى عن صالح بن كيسان قال لما جاء كتاب الوليد من دمشق سار خمس عشرة بهدم المسجد تجرّد عمر ابن عبد العزيز قال صالح فاستعملنى على هدمه وبنائه فهدمناه بعمّال المدينة فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حتى قدم علينا الفَعَلة الذين بعث بهم الوليد (قال محمد) وحدثنى موسى بن أبى بكر عن صالح بن كيسان قال ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفر من سنة ٨٨ وبعث الوليد الى صاحب الروم يُعلمه انه أمر بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يُعينه فيه فبعث اليه بمائة ألف مثقال ذهب وبعث اليه بمائة عامل وبعث اليه من الفُسَيْفساء بأربعين حملا وأمر أن يتتبّع الفسيفساء فى المدائن التى خُرّبت فبعث بها الى الوليد فبعث بذلك الوليد الى عمر بن عبد العزيز ﴿وفى هذه السنة﴾ ابتدأ عمر بن عبد العزيز فى بناء المسجد ﴿وفيها﴾ غزا أيضا مسلمة الروم ففتح على يديه حصون ثلاثة حصن قسطنطين وغزاله وحصن الأخرم وقتل من المستعربة نحوا من ألف مع سبى الذرّية وأخذ الأموال ﴿وفي هذه السنة﴾ غزا قتيبة نومُشكث ورامیثنه

﴿ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه﴾

*ذكر على بن محمد ان المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حيان عن مولى لهم أدرك ذلك ان قتيبة غزا نومشكث فى سنة ٨٨ واستخلف على مرو بشار بن مسلم فتلقاه أهلها فصالحهم ثم صار الى راميثنه فصالحه أهلها فانصرف عنهم وزحف اليه الترك معهم السغد وأهل فرغانة فاعترضوا المسلمين فى طريقهم فلحقوا عبد الرحمن بن مسلم الباهلى وهو على الساقة بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل فلما قربوا منه أرسل رسولا الى قتيبة يخبره وغشيه الترك فقاتلوه وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس فانتهى الى عبد الرحمن وهو يقاتلهم وقد كاد الترك يستعلونهم فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا وقاتلوهم الى الظهر وأبلى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة فهزم الله الترك وفض جمعهم ورجع قتيبة يريد مرو وقطع النهر من الترمذ يريد بلخ ثم أتى مرو وقال الباهليون لقى الترك المسلمين عليهم كور بغانون التركى ابن أخت ملك الصين فى مائتى ألف فاظهر الله المسلمين عليهم ﴿وفى هذه السنة﴾ كتب الوليد بن عبد الملك الى عمر بن عبد العزيز فى تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان (قال محمد بن عمر) حدثنى ابن أبى سبرة قال حدثنى صالح بن كيسان قال كتب الوليد الى عمر فى تسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة وخرجت كتبه الى البلدان بذلك وكتب الوليد الى خالد بن عبد الله بذلك قال وحبس المجذمين عن أن يخرجوا على الناس وأجرى عليهم أرزاقا وكانت تجرى عليهم وقال ابن أبى سبرة عن صالح بن كيسان قال كتب الوليد الى عمر بن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التى عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم فعملها عمر وأجرى ماءها فلما حج الوليد وقف عليها فنظر الى بيت الماء والفوارة فاعجبته وأمر لها بقوام يقومون عليها وأن يسقى أهل المسجد منها ففعل ذلك ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عمر بن عبد العزيز فى رواية محمد بن عمر * ذكر ان محمد بن عبد الله بن جبير مولى لبنى العباس حدثه عن صالح بن كيسان قال خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة يعنى سنة ٨٨ بعدة من قريش أرسل اليهم بصلات وظهر للحمولة وأحرموا معه من ذى الحليفة وساق معه بدنا فلما كان بالتنعيم لقيهم نفر من قريش منهم ابن أبى مليكة وغيره فاخبروه ان مكة قليلة الماء وانهم يخافون على الحاج العطش وذلك أن المطر قل فقال عمر فالمطلب ههنا بين تعالوا ندع الله قال فرأيتهم دعوا ودعا معهم فالحوا فى الدعاء قال صالح فلا والله ان وصلنا الى البيت ذلك اليوم الا مع المطر حتى كان مع الليل وسكبت السماء وجاء سيل الوادى فجاء أمر خافه أهل مكة ومطرت عرفة ومنى وجمع فما كانت الا عبرا قال ونبتت مكة تلك السنة للخصب * وأما أبو معشر فانه قال حج بالناس سنة ٨٨ عمر بن الوليد بن عبد الملك حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكانت العمال على الامصار في هذه السنة العمال الذين ذكرنا انهم كانوا عمالها في سنة ٨٧

## ﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين ﴾

### ﴿ ذكر الخبر عن الاحداث التى كانت فيها ﴾

فمن ذلك افتتاح المسلمين فى هذه السنة حصن سُورية وعلى الجيش مسلمة بن عبد الملك زعم الواقدى ان مسلمة غزا فى هذه السنة أرض الروم ومعه العباس بن الوليد ودخلاها جميعا ثم تفرّقا فافتتح مسلمة حصن سُورية وافتتح العباس اذرولِيّة ووافق من الروم جمعا فهزمهم وأما غير الواقدىّ فانه قال قصد مسلمة عمورية فوافق بها للروم جمعا كثيرا فهزمهم الله وافتتح هِرَقْلة وقمودية وغزا العباس الصائفة من ناحية البَدَنْدُون ﴿ وفى هذه السنة ﴾ غزا قتيبة بخارى ففتح راميثنه * ذكر علىّ بن محمد عن الباهليين انهم قالوا ذلك وأن قتيبة رجع بعد ما فتحها فى طريق بلخ فلما كان بالفارياب أتاه كتاب الحجاج أن رُدّ وَرْدان خُذاه فرجع قتيبة سنة ٨٩ فاتى زَمّ فقطع النهر فلقيه السُغد وأهل كَسّ ونَسَف فى طريق المفازة فقاتلوه فظفر بهم ومضى الى بخارى فنزل خَرْقانة السُفلى عن يمين وردان فلقوه بجمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين ثم أعطاه الله الظفر عليهم فقال نهار بن توْسعة

وباتت لَهُم منّا بخَرْقان لَيلة * ولَيْلَتُنا كانت بخَرْقانَ أطْوَلاَ

قال علىّ أخبرنا أبو الذيّال عن المهلب بن اياس وأبو العلاء عن ادريس بن حنظلة ان قتيبة غزا وردان خُذاه ملك بخارى سنة ٨٩ فلم يطقه ولم يظفر من البلد بشىء فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج بذلك فكتب اليه الحجاج أن صَوِّرْها لى فبعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج أن ارجع الى مراغتك فتُبْ الى الله مما كان منك وأْتها من مكان كذا وكذا وقيل كتب اليه الحجاج ان كِسْ بكِسّ وانسفْ نَسَفا وردْ وَرْدان واياك والتحويط ودعنى من بُنيّات الطريق ﴿ وفى هذه السنة ﴾ ولى خالد بن عبد الله القسرى مكة فيما زعم الواقدى وذكر ان عمر بن صالح حدّثه عن نافع مولى بنى مخزوم قال سمعت خالد بن عبد الله يقول على منبر مكة وهو يخطب أيها الناس أيهما أعظمُ أخليفةُ الرجل على أهله أم رسوله اليهم والله لو لم تعلموا فضلَ الخليفة ألا ان ابراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحًا أجاجا واستسقاه الخليفة فسقاه عذبا فراتا بئرا حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنيّتين ثنية طَوَى وثنية الحجون فكان يُنقل ماؤها فيوضع فى حوض من أدم الى جنب زمزم لَيُعرَف فضله على زمزم قال ثم غارت البئر فذهبت فلا يُدْرى أين هى اليوم ﴿ وفيها ﴾ غزا مَسْلمة بن عبد الملك الترك حتى بلغ الباب من ناحية آذربيجان ففتح حصونا ومدائن هنالك ﴿ وحج ﴾ بالناس فى هذه السنة عمر بن عبد العزيز حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكان العمال فى هذه السنة على الامصار العمال فى السنة التى قبلها وقد ذكرناهم قبلُ

## ﴿ ثم دخلت سنة تسعين ﴾

### ﴿ ذكر الخبر عن الأحداث التى كانت فيها ﴾

﴿ ففى هذه السنة ﴾ غزا مَسلمة أرض الروم فيما ذكر محمد بن عمر من ناحية سورية ففتح الحصون الخمسة التى بسورية ﴿ وغزا ﴾ فيها العباس بن الوليد قال بعضهم حتى بلغ الارزن وقال بعضهم حتى بلغ سورية وقال محمد بن عمر قول من قال حتى بلغ سورية أصحّ ﴿ وفيها ﴾ قتل محمد بن القاسم الثقفى داهر بن صصّة ملك السند وهو على جيش من قِبل الحجاج بن يوسف ﴿ وفيها ﴾ استعمل الوليد قرّة بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك ﴿ وفيها ﴾ أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر فذهبوا به الى ملكهم فاهداه ملك الروم الى الوليد بن عبد الملك ﴿ وفيها ﴾ فتح قتيبة بخارى وهزم جموع العدوّ بها

### ﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

* ذكر علىّ بن محمد ان أبا الذيّال أخبره عن المهلب بن اياس وأبو العلاء عن ادريس بن حنظلة ان كتاب الحجاج لما ورد على قتيبة يأمره بالتوبة مما كان من انصرافه عن وردان خُذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير اليه ويعرّفه الموضع الذى ينبغى له أن يأتى بلده منه خرج قتيبة الى بخارى فى سنة ٩٠ غازيا فأرسل وردان خُذاه الى السُغد والترك ومَن حولهم يستنصرونهم فأتوهم وقد سبق اليها قتيبة فحصرهم فلما جاءتهم أمدادُهم خرجوا اليهم ليقاتلوهم فقالت الأزد اجعلونا على حدة وخلوا بيننا وبين قتالهم فقال قتيبة تقدّموا فتقدّموا يقاتلونهم وقتيبة جالس عليه رداء أصفر فوق سلاحه فصبر واجميعا مليّا ثم جال المسلمون وركبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكين فكرّوا راجعين وانطوت مجنبتا المسلمين على الترك فقاتلوهم حتى ردّوهم الى مواقفهم فوقف الترك على نشز فقال قتيبة من يُزيلهم لنا عن هذا الموضع فلم يقدم عليهم أحد والأحياء كلها وقوف فمشى قتيبة الى بنى تميم فقال يابنى تميم انكم أنتم بمنزلة الحطميّة فيوم كأيامكم أبى لكم الفداء قال فأخذ وكيعٌ اللواء بيده وقال يابنى تميم أتُسلمونى اليوم قالوا لا يا أبا مطرّف وهريم بن أبى طَحْمة المجاشعىّ على خيل بنى تميم ووكيع رأسهم والناس وقوف فأحجموا جميعا فقال وكيع ياهُريم قدّم ودفع اليه الراية وقال قدّمْ خيلك فتقدّم هريم ودبّ وكيع في الرجال فانتهى هريم الى نهر بينه وبين العدوّ فوقف فقال له وكيع اقحم ياهريم قال فنظر هريم الى وكيع نظر الجَمل الصؤول وقال أنا أقحم خيلى هذا النهرَ فإن انكشفت كان هلاكها والله إنك لأحمق قال يا ابن اللخناء ألا أراك تردّ أمرى وحذفه بعَمود كان معه فضرب هريم فرسه فأقحمه وقال ما بعد هذا أشدّ من هذا وعبر هريم فى الخيل وانتهى وكيع الى النهر فدعا بخشب فقنطر النهر وقال لأصحابه مَن

وطّن منكم نفسه على الموت فليعبر ومَن لا فليثبتْ مكانه فما عبر معه الا ثمانمائة راجل فدبّ فيهم حتى اذا أعيوا أقعدهم فأراحوا حتى دنا من العدوّ فجعل الخيل مجنبتين وقال لهريم انى مطاعن القوم فاشغلهم عنا بالخيل وقال للناس شدّوا فحملوا فما انثنوا حتى خالطوهم وحمل هريم خيله عليهم فطاعنوهم بالرماح فما كفوا عنهم حتى حدروهم عن موقفهم ونادى قتيبة أما ترون العدوَّ منهزمين فما عبر أحدٌ ذلك النهر حتى ولى العدوُّ منهزمين فأتبعهم الناس ونادى قتيبة مَن جاء برأس فله مائة قال فزعم موسى بن المتوكل القُرَيعىّ قال جاء يومئذ أحد عشر رجلا من بنى قريع كل رجل رجل يجىء برأس فيقال له من أنت فيقول قُريعى قال فجاء رجل من الأزد برأس فألقاه فقالوا له من أنت قال قريعى قال وجهم بن زحر قاعد فقال كذب والله أصلحك الله انه لابنُ عمى فقال له قتيبة ويحك ما دعاك الى هذا قال رأيت كلَّ مَن جاء قال قُريعى فظننت أنه ينبغى لكلّ من جاء برأس أن يقول قريعىّ قال فضحك قتيبة قال وجُرح يومئذ خاقان وابنه ورجع قتيبة الى مرو وكتب الى الحجاج انى بعثت عبد الرحمن بن مسلم ففتح الله على يديه قال وقد شهد الفتح مولى للحجاج فقدم فأخبره الخبر فغضب الحجاجُ على قتيبة فاغتم لذلك فقال له الناس ابعث وفدا من بنى تميم وأعطهم وأرضهم يخبروا الأمير أنّ الأمر على ما كَتَبْتَ فبعث رجالا فيهم عُرام بن شتير الضبىّ فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعابهم ودعا بالحجام بيده مقراض فقال لأقطعنّ ألسنتكم أولتصدُقننى قالوا الأمير قتيبةُ وبعث عليهم عبدَ الرحمن فالفتحُ للأمير والرأس الذى يكون على الناس وكلمه بهذا عرام بن شَتَير فسكن الحجاج ﴿وفى هذه السنة﴾ جدّد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

* قال علىّ ذكر أبو السَرىّ عن الجهم الباهلىّ قال لما أوقع قتيبةُ بأهل بخارى ففضّ جمعهم هابه أهلُ السغد فرجع طرخون ملك السغد ومعه فارسان حتى وقف قريبا من عسكر قتيبة وبينهما نهر بخارى فسأل أن يبعث اليه رجلا يكلمه فأمر قتيبة رجلا فدنا منه وأما الباهليّون فيقولون نادى طرخون حُيان النبطىّ فأتاه فسألهم الصلح على فدية يؤدّيها اليهم فأجابه قتيبة الى ما طلب وصالحه وأخذ منه رهنا حتى يبعث اليه بما صالحه عليه وانصرف طرخونُ الى بلاده ورجع قتيبة ومعه نيزك ﴿وفى هذه السنة﴾ غدر نيزكُ فنقض الصلح الذى كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته وعاد حربا فغزاه قتيبة

﴿ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظفر به﴾

* قال علىّ ذكر أبو الذيّال عن المهلب بن اياس والمفضّل الضبىّ عن أبيه وعلىّ بن مجاهد وكليب بن خلف العمّىّ كلٌّ قد ذكر شيأ فألفته وذكر الباهليّون شيأ فألحقته فى خبر

هؤلاء وألقته أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد ذعره ماقد رأى من الفتوح وخاف قتيبة فقال لأصحابه وخاصته متهم أنا مع هذا ولست آمنه وذلك أن العربى بمنزلة الكلب اذا ضربته نبح واذا أطعمته بصبص واتبعك واذا غزوته ثم أعطيته شيأ رضى ونسى ما صنعت به وقد قاتله طرخون مرارا فلما أعطاه فدية قبلها ورضى وهو شديد السطوة فاجر فلو استأذنت ورجعت كان الرأى قالوا استأذنه فلما كان قتيبة بآمل استأذنه فى الرجوع الى تخارستان فأذن له فلما فارق عسكره متوجها الى بلخ قال لأصحابه أغذوا السير فساروا واسيرا شديدا حتى أتوا النوبهار فنزل يصلى فيه وتبرك به وقال لأصحابه انى لا أشك أن قتيبة قد ندم حين فارقنا عسكره على اذنه لى وسيقدم الساعة رسوله على المغيرة ابن عبد الله يأمره بحبسى فأقيموا ربيئة تنظر فاذا رأيتم الرسول قد جاوز المدينة وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البروقان حتى نبلغ تخارستان فيبعث المغيرة رجلا فلا يدركنا حتى ندخل شعب خلم ففعلوا قال وأقبل رسول من قبل قتيبة الى المغيرة يأمره بحبس نيزك فلما مر الرسول الى المغيرة وهو بالبروقان ومدينة بلخ يومئذ خراب ركب نيزك وأصحابه فمضوا وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه فى طلبه فوجده قد دخل شعب خلم فانصرف المغيرة وأظهر نيزك الخلع وكتب الى أصبهبذ بلخ والى باذام ملك مرو روذ والى سهرك ملك الطالقان والى ترسل ملك الفارياب والى الجوزجانى ملك الجوزجان يدعوهم الى خلع قتيبة فأجابوه وواعدهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة وكتب الى كابل شاه يستظهر به وبعث اليه بثقله وماله وسأله إن يأذن له أن اضطر اليه أن يأتيه ويؤمنه فى بلاده فأجابه الى ذلك وضم ثقله قال وكان جيغويه ملك تخارستان ضعيفا واسمه الشذ فأخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب مخافة أن يشغب عليه وجيغويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده فلما استوثق منه وضع عليه الرقباء وأخرج عامل قتيبة من بلاد جيغويه وكان العامل محمد بن سليم الناصح وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء وقد تفرق الجند فلم يبق مع قتيبة الا أهل مرو فبعث عبد الرحمن أخاه الى بلخ فى اثنى عشر ألفا الى البروقان وقال أقم بها ولا تحدث شيأ فاذا حسر الشتاء فعسكر وسر نحو تخارستان واعلم انى قريب منك فسار عبد الرحمن فنزل البروقان وأمهل قتيبة حتى اذا كان فى آخر الشتاء كتب الى أبرشهر وبيورد وسرخس وأهل هراة ليقدموا عليه فقدموا قبل أوانهم الذى كانوا يقدمون عليه فيه ﴿ وفى هذه السنة ﴾ أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان فيما قال بعض أهل الأخبار فقتل من أهلها مقتلة عظيمة وصلب منهم سماطين أربعة فراسخ فى نظام واحد

﴿ ذكر الخبر عن سبب ذلك ﴾

وكان السبب فى ذلك فيما ذكر ان نيزك طرخان لما غدر وخلع قتيبة وعزم على حربه طابقه

علی

على حربه ملكُ الطالقان وواعده المصير اليه مع مَن استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة فلما هرب نيزك من قتيبة ودخل شِعْب خُلم الذى يأخذ الى طخارستان علم انه لا طاقة له بقُتيبة فهرب وسار قتيبة الى الطالقان فأوقع بأهلها ففعل ماذكرتُ فيما قبلُ وقد خُولف قائل هذا القول فيما قال مِن ذلك وأنا ذاكره في احداث سنة ٩١ ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر وكان عمر بن عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على مكة والمدينة والطائف وعلى العراق والمشرق الحجاج بن يوسف وعامل الحجاج على البصرة الجراح بن عبد الله وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة وعلى الكوفة زياد بن جرير بن عبد الله وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قُرَّة بن شريك ﴿وفي هذه السنة﴾ هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم فلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك

﴿ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحجاج ومسيرهم الى سليمان﴾

(قال هشام) حدّثني أبو مخنف عن أبي المخارق الراسبيّ قال خرج الحجاج الى رُستُقْباذ للبعث لأنّ الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس فخرج بيزيد وباخوته المفضَّل وعبد الملك حتى قدم بهم رستقباذ فجعلهم في عسكره وجعل عليهم كهيئة الخندق وجعلهم في فسطاط قريبا من حجرته وجعل عليهم حرسا من أهل الشأم وأغرمهم ستة آلاف ألف وأخذ يعذبهم وكان يزيد يصبر صبرا حسنا وكان الحجاج يُغيظه ذلك فقيل له انه رُمي بنُشَّابة فثبت نصلُها في ساقه فهو لا يمسّها شيء الا صاح فان حُرّكت أدنى شيء سمعتَ صوته فأمر أن يعذَّب ويُدهق ساقه فلما فُعل ذلك به صاح وأختُه هند بنت المهلب عند الحجاج فلما سمعتْ صياح يزيد صاحت وناحت فطلقها ثم انه كفّ عنهم وأقبل يستأديهم فأخذوا يؤدّون وهم يعملون في التخلص من مكانهم فبعثوا الى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمرونه أن يضمّر لهم الخيل ويُرى الناس انه انما يريد بيعها ويعرضها على البيع ويُغلي بها لئلا تُشترى فتكون لنا عدّة ان نحن قدرنا على أن نجو مما ههنا ففعل ذلك مروانُ وحبيبٌ بالبصرة يعذَّب أيضا وأمر يزيد بالحرس فصُنع لهم طعام كثير فأكلوا وأمر بشراب فسُقوا فكانوا متشاغلين به ولبس يزيد ثياب طبّاخه ووضع على لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال كأنّ هذه مِشْية يزيد فجاء حتى استعرض وجهه ليلا فرأى بياض اللحية فانصرف عنه فقال هذا شيخ وخرج المفضل على أثره ولم يُفطَن له فجاؤا الى سفنهم وقد هيّأوها في البطائح وبينهم وبين البصرة ثمانية عشر فرسخا فلما انتهوا الى السفن

أبطأ عليهم عبدُ الملك وشُغل عنهم فقال يزيد للمفضل اركب بنا فانه لاحق فقال المفضل وعبدُ الملك أخوه لأمه وهى بهلة هندية لا والله لا أبرح حتى يجىء ولو رجعتُ الى السجن فأقام يزيد حتى جاءهم عبدُ الملك وركبوا عند ذلك السفن فساروا ليلتهم حتى أصبحوا ولما أصبح الحرس علموا بذهابهم فرُفع ذلك الى الحجاج وقال الفرزدق فى خروجهم

لَمْ أَرَ كالرَّهْطِ الذينَ تتابعوا * على الجذعِ والحرَّاسُ غيرُ نيامِ
مَضَوْا وَهُمُ مُسْتَيْقِنُونَ بأنهم * الى قَدَرٍ آجالُهُمْ وحِمَامِ
وإن منهمُ إلا يُسَكِّنُ جأشَهُ * بِعَضْبٍ صقيلٍ صارمٍ وحُسامِ
فلما التقَوْا لم يلتقوا بمُنَقَّهٍ * كبيرٍ ولا رَخْصِ العظامِ غُلامِ
بمثلِ أبيهمْ حين تمت لِداتهم * بخمسين تترى جُرأةٍ وتمامِ

ففزع له الحجاج وذهب وهمه انهم ذهبوا قِبَلَ خراسان وبعث البريد الى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويأمره أن يستعدّ لهم وبعث الى أمراء الثغور والكُوَر أن يرصدوهم ويستعدّوا لهم وكتب الى الوليد بن عبد الملك يُخبره بهربهم وأنه لا يراهم أرادوا الا خراسانَ ولم يزل الحجاج يظنّ بيزيد ما صنع كان يقول إنى لأظنه يحدّث نفسه بمثل الذى صنع ابنُ الأشعث ولما دنا يزيد من البطائح من موقوع استقبلته الخيل قد هُيِّئت له ولإخوته فخرجوا عليها ومعهم دليل لهم من كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد بن الرَّبعة فأخذ بهم على السَّماوة وأتى الحجاج بعد يومين فقيل له انما أخذ الرجل طريق الشأم وهذه الخيل حسرى فى الطريق وقد أتى مَن رآهم موجّهين فى البرّ فبعث الى الوليد يُعلمه ذلك ومضى يزيد حتى قدم فلسطين فنزل على وُهَيب بن عبد الرحمن الأزدىّ وكان كريما على سليمان وأنزل بعض ثقله وأهله على سفيان بن سليمان الأزدىّ وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان فقال هذا يزيد بن المهلب وإخوته فى منزلى وقد أتوك هُرّابا من الحجاج متعوّذين بك قال فأتنى بهم فهم آمنون لا يُوصَل اليهم أبدا وأنا حىٌّ فجاءبهم حتى أدخلهم عليه فكانوا فى مكان آمن وقال الكلبىُّ دليلهم فى مسيرهم

ألا جعَلَ اللهُ الأخلاءَ كلَّهُمْ * فداءً على ما كان لابن المُهلبِ
لَنِعْمَ الفتى يامعشرَ الأزدِ أسعفَتْ * رِكابُكُمْ بالوهب شَرْقِىَّ مَنْقَبِ
عَدَلْنَ يميناً عنهم رَمْلُ عالجٍ * وذاتَ يمينِ القوم أعلامُ غُرَّبِ
فإلاّ تُصَبِّح بعد خمسٍ ركابُنا * سليمانَ من أهل اللوى تتأوَّبِ
تَقَرُّ قَرارَ الشمسِ مما وراءنا * وتذهبُ فى داجٍ مِنَ الليلِ غيهَبِ
بِقَومٍ هُمُ كانوا الملوكَ هَدَيْتُهُمْ * بِظَلماءَ لم يُبْصَرْ بها ضوءُ كوكبِ

ولا قبر إلا ضئيلاً كأنه * سوار حناه صائغ السور مذهب

(قال هشام) فأخبرني الحسن بن أبان العلمي قال بينا عبد الجبار بن يزيد بن الربعة يسري بهم فسقطت عمامة يزيد ففقدها فقال يا عبد الجبار ارجع فاطلبها لنا فقال ان مثلي لا يؤمر بهذا فأعاد فأبى فتناوله بالسوط فانتسب له فاستحيا منه فذلك قوله

ألا جعل الله الأخلاء كلهم * فداء على ما كان لابن المهلب

وكتب الحجاج ان آل المهلب خانوا مال الله وهربوا مني ولحقوا بسليمان وكان آل المهلب قدموا على سليمان وقد أمر الناس أن يحصلوا اليسر حوا الى خراسان لا يرون الا أن يزيد توجه الى خراسان ليفتن من بها فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان هون عليه بعض ما كان في نفسه وطار غضبا للمال الذي ذهب به وكتب سليمان الى الوليد أن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنته وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف وبقي ثلاثة آلاف ألف فهي علي فكتب اليه لا والله لا أومنه حتى تبعث به الي فكتب اليه لئن أنا بعثت به اليك لأجيئن معه فأنشدك الله ان تفضحني ولا ان تخفرني فكتب اليه والله لئن جئتني لا أومنه فقال يزيد ابعثني اليه فوالله ما أحب ان أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ولا ان يتشاءم بي لكما الناس ابعث اليه بي وأرسل معي ابنك واكتب اليه بألطف ما قدرت عليه فأرسل ابنه أيوب معه وكان الوليد أمره ان يبعث به اليه في وثاق فبعث به اليه وقال لابنه اذا أردت ان تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة ثم ادخلا جميعا على الوليد ففعل ذلك به حين انتهيا الى الوليد فدخلا عليه فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة قال والله لقد بلغنا من سليمان ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه الى عمه وقال يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لا تخفر ذمة أبي وأنت أحق من منعها ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ولا تذل من رجا العز في الانقطاع الينا لعزنا بك وقرأ الكتاب لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك أما بعد يا أمير المؤمنين فوالله ان كنت لا ظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك لا تذل جاري ولا تخفر جواري بل لم أجر إلا سامعا مطيعا حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته وقد بعثت به اليك فإن كنت انما تغزو قطيعتي والإخفار لذمتي والابلاغ في مساءتي فقد قدرت إن أنت فعلت وأنا أعيذك بالله من احتراد قطيعتي وانتهاك حرمتي وترك بري وصلتي فوالله يا أمير المؤمنين ما تدري ما بقائي وبقاؤك ولا متى يفرق الموت بيني وبينك فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ان لا يأتي علينا أجل الوفاة الا وهو لي واصل ولحقي مؤد وعن مساءتي نازع فليفعل والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسر مني برضاك وسرورك وان رضاك مما ألتمس به رضوان الله فان كنت يا أمير المؤمنين تريد يوما من الدهر مسرتي وصلتي وكرامتي وإعظام حقي فتجاوز لي عن يزيد وكل ما طلبته

به فهو علىّ فلما قرأ كتابه قال لقد شققنا على سليمان ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه وتكلم يزيد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه ثم قال يا أمير المؤمنين ان بلاءكم عندنا أحسن البلاء فمن ينس ذلك فلسنا ناسيه ومن يكفر فلسنا كافريه وقد كان من بلائنا أهل البيت فى طاعتكم والطعن فى أعين أعدائكم فى المواطن العظام فى المشارق والمغارب ما ان المنة علينا فيها عظيمة فقال له اجلس فجلس فآمنه وكف عنه ورجع الى سليمان وسعى اخوته فى المال الذى عليه وكتب الى الحجاج انى لم أصل الى يزيد وأهل بيته مع سليمان فاكفف عنهم واله عن الكتاب الىّ فيهم فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحجاج عليه ألف ألف درهم فتركها له وكف عن حبيب بن المهلب ورجع يزيد الى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يعلمه الهيئة ويصنع له طيب الأطعمة ويهدى له الهدايا العظام وكان من أحسن الناس عنده منزلة وكان لا تأتى يزيد بن المهلب هديّة الا بعث بها الى سليمان ولا تأتى سليمان هديّة ولا فائدة الا بعث بنصفها الى يزيد بن المهلب وكان لا تعجبه جارية الا بعث بها الى يزيد الا خطيئة الجارية فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعرى فقال انطلق الى سليمان فقل له يا خالفة أهل بيته إن أمير المؤمنين قد بلغه أنه لا تأتيك هدية ولا فائدة الا بعثت الى يزيد بنصفها وانك تأتى الجارية من جواريك فلا ينقضى طهرها حتى تبعث بها الى يزيد فوقع ذلك عليه وعيّره به أتراك مبلغا ما أمرتك به قال طاعتك طاعة وانما أنا رسول قال فأته فقل له ذلك وأقم عنده فإنى باعث اليه بهديّة فادفعها اليه وخذ منه البراءة بما تدفع اليه ثم أقبل فمضى حتى قدم عليه وبين يديه المصحف وهو يقرأ فدخل عليه فسلم فلم يرد عليه السلام حتى فرغ من قراءته ثم رفع رأسه اليه فكلمه بكل شئ أمره به الوليد فتمعر وجهه ثم قال أما والله لئن قدرتُ عليك يوما من الدهر لأقطعن منك طابقا فقال له انما كانت علىّ الطاعة ثم خرج من عنده فلما أتى بذلك الذى بعث به الوليد الى سليمان دخل عليه الحارث بن ربيعة الأشعرى وقال له أعطنى البراءة بهذا الذى دفعت اليك فقال كيف قلت لى قال لا أعيده عليك أبدا انما كان علىّ فيه الطاعة فسكن وعلم ان قد صدقه الرجل ثم خرج وخرجوا معه فقال خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الاسفاط وابعثوا بها الى يزيد قال فعلم الرجل انه لا يطيع في يزيد أحدا ومكث يزيد بن المهلب عند سليمان تسعة أشهر وتوفي الحجاج سنة ٩٥ فى رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة

## ﴿ ثم دخلت سنة احدي وتسعين ﴾

### ﴿ ذكر ما كان فيها من الاحداث ﴾

﴿ ففيها ﴾ غزا فيما ذكر محمد بن عمر وغيره الصائفة عبد العزيز بن الوليد وكان على الجيش مسلمة بن عبد الملك ﴿ وفيها ﴾ غزا أيضا مسلمة الترك حتى بلغ الباب من ناحية

اذربيجان

آذربيجان ففتح على يديه مدائن وحصون ﴿وفيها﴾ غزا موسى بن نصير الأندلسى ففتح على يديه أيضا مدائن وحصون ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث على بن محمد وقصة نيزك وظفر قتيبة به حتى قتله ولما قدم من كان قتيبة كتب اليه يأمره بالقدوم عليه من أهل أبرشهر وبيورد وسرخس وهراة على قتيبة سار بالناس الى مرو روذ واستخلف على الحرب حماد بن مسلم وعلى الخراج عبد الله بن الأهتم وبلغ مرزبان مرو روذ إقباله الى بلاده فهرب الى بلاد الفرس وقدم قتيبة مرو روذ فأخذ ابنين له فقتلهما وصلبهما ثم سار الى الطالقان فقام صاحبها ولم يحاربه فكف عنه وفيها لصوص فقتلهم قتيبة وصلبهم واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم ومضى الى الفارياب فخرج اليه ملك الفارياب مذعنا مقرا بطاعته فرضى عنه ولم يقتل بها أحدا واستعمل عليها رجلا من باهلة وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم فترك أرضه وخرج الى الجبال هاربا وسار قتيبة الى الجوزجان فلقيه أهلها سامعين مطيعين فقبل منهم فلم يقتل فيها أحدا واستعمل عليها عامر بن مالك الحمانى ثم أتى بلخ فلقيه الاصبهبذ فى أهل بلخ فدخلها فلم يقم بها الا يوما واحدا ثم مضى يتبع عبد الرحمن حتى أتى شعب خلم وقد مضى نيزك فعسكر ببغلان وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه يمنعونه ووضع مقاتلة فى قلعة حصينة من وراء الشعب فأقام قتيبة أياما يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر منهم على شى ولا يقدر على دخوله وهو مضيق الوادى يجرى وسطه ولا يعرف طريقا يفضى به الى نيزك الا الشعب أو مفازة لا تحتمل العساكر فبقى متلددا يلتمس الحيل قال فهو في ذلك اذ قدم عليه الرؤب خان ملك الرؤب وسمنجان فاستأمنه على ان يدله على مدخل القلعة التى وراء هذا الشعب فآمنه قتيبة وأعطاه ما سأله وبعث معه رجالا ليلا فانتهى بهم الى القلعة التى من وراء شعب خلم فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم وهرب من بقى منهم ومن كان في الشعب فدخل قتيبة والناس الشعب فأتى القلعة ثم مضى الى سمنجان ونيزك ببغلان بعين تدعى فنج جاو بين سمنجان وبغلان مفازة ليست بالشديدة قال فأقام قتيبة بسمنجان أياما ثم سار الى نيزك وقدم أخاه عبد الرحمن وبلغ نيزك فارتحل من منزله حتى قطع وادى فرغانة ووجه ثقله وأمواله الى كابل شاه ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن بن مسلم يتبعه فنزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق الكرز ونزل قتيبة اسكيمشت بينه وبين عبد الرحمن فرسخان فتحرز نيزك في الكرز وليس اليه مسلك الا من وجه واحد وذلك الوجه صعب لا تطيقه الدواب فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام وأصابهم الجدرى وجدر جيغويه وخاف قتيبة الشتاء فدعا سليما الناصح فقال انطلق الى نيزك واحتل لأن تأتينى به بغير أمان فان أعياك وأبى فآمنه واعلم أنى ان عاينتك وليس هو معك صلبتك فاعمل لنفسك قال فاكتب لى الى عبد

الرحمن لا يخالفني قال نعم فكتب له الى عبد الرحمن فقدم عليه فقال له ابعث رجالا فليكونوا على فم الشعب فاذا خرجت أنا ونيزك فليعطفوا من ورائنا فيحولوا بيننا وبين الشعب قال فبعث عبد الرحمن خيلا فكانوا حيث أمرهم سليم ومضى سليم وقد حمل معه من الأطعمة التي تبقى أياما والأخبصة أوقارا حتى أتى نيزك فقال له نيزك خذلتني ياسليم قال ما خذلتك ولكنك عصيتني وأسأت بنفسك خلعت وغدرت قال فالرأي قال الرأي ان تأتيه فقد أمحكته وليس ببارح موضعه هذا قد اعتزم على ان يشتو بمكانه هلك أو سلم قال آتيه على غير أمان قال ما أظنه يؤمنك لما في قلبه عليك فانك قد ملأته غيظا ولكني أرى ان لا يعلم بك حتى تضع يدك في يده فاني أرجو ان فعلت ذاك أن يستحي ويعفو عنك قال أترى ذلك قال نعم قال ان نفسي لتأبى هذا وهو إن رآني قتلني فقال له سليم ما أتيتك الا لأشير عليك بهذا ولو فعلت لرجوت ان تسلم وان تعود حالك عنده الى ما كانت فأما اذا أبيت فإني منصرف قال فنغديك اذا قال اني لأظنكم في شغل عن تهيئة الطعام ومعنا طعام كثير قال ودعا سليم بالغداء فجاؤا بطعام كثير لا عهد لهم بمثله منذ حصروا فانتهبه الأتراك فغم ذلك نيزك وقال سليم يا أبا الهياج انا لك من الناصحين أرى أصحابك قد جهدوا وإن طال بهم الحصار وأقمت على حالك لم آمنهم أن يستأمنوا بك فانطلق وأت قتيبة قال ما كنت لآمنه على نفسي ولا آتيه على غير أمان فإن ظني به انه قاتلي وإن آمنني ولكن الأمان أعذر لي وأرجى قال فقد آمنك أفتتهمني قال لا قال فانطلق معي قال له أصحابه اقبل قول سليم فلم يكن ليقول الا حقا فدعا بدوابه وخرج مع سليم فلما انتهى الى الدرجة التي يهبط منها الى قرار الأرض قال ياسليم من كان لا يعلم متى يموت فإني أعلم متى أموت أموت اذا عاينت قتيبة قال كلا أيقتلك مع الامان فركب ومضى معه جيغويه وقد برأ من الجدري وصول وعثمان ابنا أخي نيزك وصول طرخان خليفة جيغويه وخنس طرخان صاحب شرطه قال فلما خرج من الشعب عطفت الخيل التي خلفها سليم على فوهة الشعب فحالوا بين الأتراك وبين الخروج فقال نيزك لسليم هذا أول الشر قال لا تفعل تخلف هؤلاء عنك خير لك وأقبل سليم ونيزك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم فأرسل رسولا الى قتيبة يعلمه فأرسل قتيبة عمرو بن أبي مهزم الى عبد الرحمن أن أقدم بهم عليّ فقدم بهم عبد الرحمن عليه فحبس أصحاب نيزك ودفع نيزك الى ابن بسام الليثي وكتب الى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك فجعل ابن بسام نيزك في قبته وحفر حول القبة خندقا ووضع عليه حرسا ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة العليمي فاستخرج ما كان في الكرز من متاع ومن كان فيه وقدم به على قتيبة فحبسهم ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب اليه فأتاه كتاب الحجاج بعد أربعين يوما يأمره بقتل نيزك قال فدعا به فقال هل لك عندي عقد أو عند عبد الرحمن أو عند سليم قال لي عند سليم قال كذبت وقام فدخل

وردّ نيزك الى حبسه فمكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس قال فقال المهلب بن اياس العدوى وتكلم الناسُ في أمر نيزك فقال بعضهم ما يحل له ان يقتله وقال بعضهم ما يحلّ له تركه وكثرت الأقاويل فيه قال وخرج قتيبة اليوم الرابع فجلس وأذن للناس فقال ما ترون في قتل نيزك فاختلفوا فقال قائل اقتله وقال قائل أعطيتَهُ عهدا فلا تقتله وقال قائل ما نأمنه على المسلمين ودخل ضرار بن حصين الضبى فقال ما تقول يا ضرارُ قال أقول انى سمعتك تقول أعطيت الله عهدا ان أمكنك منه ان تقتله فان لم تفعل لا ينصرنك الله عليه أبدا فأطرق قتيبة طويلا ثم قال والله لو لم يبق من أجلى الا ثلاث كلمات لقلت اقتلوه اقتلوه اقتلوه وأرسل الى نيزك فأمر بقتله وأصحابه فقتل مع سبعمائة وأما الباهليون فيقولون لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم فلما أراد قتله دعا به ودعا بسيف حنفى فانتضاه وطول كمّيه ثم ضرب عنقه بيده وأمر عبد الرحمن فضرب عنق صول وأمر صالحا فقتل عثمان ويقال شقران ابن أخى نيزك وقال لبكر بن حبيب السهمى من باهلة هل بك قوة قال نعم وأريد وكانت في بكر أعرابيّة فقال دونك هؤلاء الدهاقين قال وكان اذا أتى برجل ضرب عنقه وقال أوردوا ولا تصدرُوا فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفا في قول الباهليين وصلب نيزك وابنى أخيه في أصل عين تدعى وخش خاشان في اسكيمشت فقال المغيرة بن حبناء يذكر ذلك فى كلمة له طويلة

لعمرى لنعمتْ غزوةُ الجند غزوةً * قضتْ نحبها من نيزك وتعلّت

قال علىّ أخبرنا مصعب بن حيان عن أبيه قال بعث قتيبة برأس نيزك مع محفن بن جزء الكلابى وسوّار بن زهدم الجرمىّ فقال الحجاج ان كان قتيبة لحقيقا ان يبعث برأس نيزك مع ولدُ مُسلمٍ فقال سوّار

أقولُ لمحفن وجرى سنيحٌ * وآخرُ بارحٌ منْ عنْ يميني
وقدْ جعلتْ بوائقُ من أمورٍ * ترفع حوله وتكفّ دونى
نشدتُّك هلْ يسُرك أنَّ سرجى * وسرجك فوق أبغُلِ باذبينِ

قال فقال محفن نعم وبالصين قال علىّ أخبرنا حمزة بن ابراهيم وعلى بن مجاهد عن حنبل بن أبى حريدة عن مرزبان قهستان وغيرهما ان قتيبة دعا يوما بنيزك وهو محبوس فقال ما رأيك فى السبل والشذّ أتراهما يأتيان إن أرسلت اليهما قال لا قال فأرسل اليهما قتيبة فقدما عليه ودعا نيزك وجيغويه فدخلا فاذا السبل والشذ بين يديه على كرسيين فجلسا بإزائهما فقال الشذ لقتيبة إن جيغويه وإن كان لى عدوّا فهو أسنُّ منى وهو الملك وأنا كعبده فأذن لى أدن منه فأذن له فدنا منه فقبل يده وسجد له قال ثم استأذنه في السبل فأذن له فدنا منه فقبل يده فقال نيزك لقتيبة ائذن لى أدنُ من الشذ فانى عبده فأذن له فدنا منه فقبل يده ثم أذن قتيبة للسبل والشذّ فانصرفا الى بلادهما وضم الى الشذّ الحجاج القينىّ وكان من وجوه

أهل خراسان وقتل قتيبة نيزك فأخذ الزبيرُ مولى عابس الباهلي خفّ النيزك فيه جوهر وكان أكثرَ من في بلاده مالاً وعقاراً من ذلك الجوهر الذى أصابه في خفه فسوغه اياه قتيبة فلم يزل موسراً حتى هلك بكابُلَ في ولاية أبى داود قال وأطلق قتيبة جيغويه ومنَّ عليه وبعث به الى الوليد فلم يزل بالشأم حتى مات الوليد ورجع قتيبة الى مرو واستعمل أخاه عبد الرحمن على بلخ فكان الناس يقولون غدر قتيبة بنيزك فقال ثابت قطنة

لا تحسبنّ الغدر حزماً فربّما * ترقت به الأقدام يوماً فزلت

وقال وكان الحجاج يقول بعثت قتيبة فتى غِرًّا فما زدته ذراعاً الا زادنى باعاً قال علىّ أخبرنا حمزة بن ابراهيم عن أشياخ من أهل خراسان وعلىّ بن مجاهد عن حنبل بن أبى حريدة عن مرزبان قهستان وغيرهما ان قتيبة بن مسلم لما رجع الى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان وكان قد هرب عن بلاده فأرسل يطلب الأمان فآمنه على ان يأتيه فيصالحه فطلب رُهناً يكونون فى يديه ويعطى رهائن فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلىّ وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته فخلف ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض حصونه وقدم على قتيبة فصالحه ثم رجع فمات بالطالقان فقال أهل الجوزجان سموه فقتلوا حبيباً وقتل قتيبة الرهنَ الذين كانوا عنده فقال نهار بن توسعة لقتيبة

أراكَ اللهُ فى الأتراكِ حكماً * كحكمٍ في قريظةَ والنضيرِ
قضاءً من قتيبةَ غيرَ جورٍ * بهِ يُشفى الغليل من الصدورِ
فان يرَ نيزكٌ خزياً وذلاً * فكم فى الحربِ حُمقٍ من أميرِ

وقال المغيرة بن حبناء يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك وصول وابن أخى نيزك عثمان أوشقران

لمن الدّيارُ عفتْ بسفح سنامِ * الا بقيةَ أيصرٍ وثُمامِ
عصفَ الرياحُ ذُيولَها فمحونها * وجرينَ فوق عراصِها بتمامِ
دارٌ لجاريةٍ كأنَّ رُضابَها * مسكٌ يُشابُ مزاجُهُ بمُدامِ
أبلغ أبا حفصٍ قتيبةَ مدحتى * واقرأ عليه تحيَّتى وسلامى
ياسيفُ أبلغها فانَّ ثناءها * حسنٌ وانَّكَ شاهدٌ لمقامى
يَسمو فتتّضعُ الرجالُ اذا سما * لقُتَيْبةَ الحامى حمى الاسلامِ
لأغرَّ منتجبٍ لكل عظيمةٍ * بحرٍ يباحُ به العدوُّ لُهامِ
يمضى اذا هاب الجبانُ وأحمشتْ * حربٌ تسعَّرُ نارُها بضرامِ
تُروى القناةُ مع اللواء أمامه * تحتَ اللوامعِ والنُّحورُ دوامِ
والهامُ تفريهِ السيوفُ كأنَّهُ * بالقاعِ حينَ تراهُ قيضُ نعامِ

وترى الجياد مع الجياد ضوامرا * بفنائه لحوادث الأيام
وبهن أنزل نيزكا من شاهق * والكرز حيث يروم كل مرام
وأخاه شقرانا سقيت بكأسه * وسقيت كأسهما أخا باذام
وتركت صولا حين صال مجدلا * يركبنه بدوابر وحوام

﴿وفي هذه السنة﴾ أعني سنة ٩١ غزا قتيبة شومان وكس ونسف غزوته الثانية وصالح طرخان

## ﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

قال على أخبرنا بشر بن عيسى عن أبي صفوان وأبو السرى وجبلة بن فروخ عن سليمان بن مجالد والحسن بن رشيد عن طفيل بن مرداس العمى وأبو السرى المروزى عن عمه وبشر ابن عيسى وعلى بن مجاهد عن حنبل بن أبي حريدة عن مرزبان قهستان وعياش بن عبد الله الغنوى عن أشياخ من أهل خراسان قال وحدثنى ظئرى كل قد ذكر شيأ فألفته وأدخلت من حديث بعضهم في حديث بعض أن فيلسنشب باذق وقال بعضهم غيسلشتان ملك شومان طرد عامل قتيبة ومنع الفدية التي صالح عليها قتيبة فبعث اليه قتيبة عياشا الغنوى ومعه رجل من نساك أهل خراسان يدعوان ملك شومان الى أن يؤدى الفدية على ما صالح عليه قتيبة فقدما البلد فخرجوا اليهما فرموهما فانصرف الرجل وأقام عياش الغنوى فقال أما ههنا مسلم فخرج اليه رجل من المدينة فقال أنا مسلم فما تريد قال تعيننى على جهادهم قال نعم فقال له عياش كن خلفى لتمنع لى ظهرى فقام خلفه وكان اسم الرجل المهلب فقاتلهم عياش فحمل عليهم فتفرقوا عنه وحمل المهلب على عياش من خلفه فقتله فوجدوا به ستين جراحة فغمهم قتله وقالوا قتلنا رجلا شجاعا وبلغ قتيبة فسار اليهم بنفسه وأخذ طريق بلخ فلما أتاها قدم أخاه عبد الرحمن واستعمل على بلخ عمرو بن مسلم وكان ملك شومان صديقا لصالح بن مسلم فأرسل اليه صالح رجلا يأمره بالطاعة ويضمن له رضى قتيبة إن رجع الى الصلح فأبى وقال لرسول صالح ما تخوفنى به من قتيبة وأنا أمنع الملوك حصنا أرمى أعلاه وأنا أشد الناس قوسا وأشده رميا فلا تبلغ نشابتى نصف حصنى فما أخاف من قتيبة فمضى قتيبة من بلخ فعبر النهر ثم أتى شومان وقد تحصن ملكها فوضع عليه المجانيق ورمى حصنه فهشمه فلما خاف أن يظهر عليه ورأى ما نزل به جمع ما كان له من مال وجوهر فرمى به فى عين فى وسط القلعة لا يدرك قعرها قال ثم فتح القلعة وخرج اليهم فقاتلهم فقتل وأخذ قتيبة القلعة عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم رجع الى باب الحديد فأجاز منه الى كس ونسف وكتب اليه الحجاج أن كس بكس وانسف نسف واياك والتعويط ففتح كس ونسف وامتنع عليه فرياب فحرقها فسميت المحترقة وسرح قتيبة من كس

ونسف أخاه عبد الرحمن بن مسلم الى السغد الى طرخون فسار حتى نزل بمرج قريبا منهم وذلك فى وقت العصر فانتبذ الناس وشربوا حتى عبثوا وعاثوا وأفسدوا فأمر عبد الرحمن أبا مرضيّة مولى لهم أن يمنع الناس من شرب العصير فكان يضربهم ويكسّر آنيتهم ويصبّ نبيذهم فسال فى الوادى فسُمّى مرجَ النبيذ فقال بعض شعرائهم

أمّا النبيذُ فلستُ أشرَبُه * أخشى أبا مرضيّة الكلب

مُتَعَسِّفاً يَسْعَى بسكّته * يتوثّب الحيطان للشرب

فقبض عبد الرحمن من طرخون شيأ كان قد صالحه عليه قتيبةُ ودفع اليه رُهنا كانوا معه وانصرف عبد الرحمن الى قتيبة وهو ببخارى فرجعوا الى مرو فقالت السغد لطرخون انك قد رضيت بالذلّ واستطبتَ الجزية وأنت شيخ كبير فلا حاجة لنا بك قال فولّوا من أحببتم قال فولّوا غوزك وحبسوا طرخون فقال طرخون ليس بعد سلب الملك الا القتل فيكون ذلك بيدى أحبُّ الىّ من أن يليه مُنى غيرى فاتّكأ على سيفه حتى خرج من ظهره قال وانما صنعوا بطرخون هذا حين خرج قتيبة الى سجستان وولّوا غوزك وأما الباهليون فيقولون حصر قتيبةُ ملكَ شومان ووضع على قلعته المجانيق ووضع منجنيقا كان يسميها الفحجاء فرمى بأوّل حجر فأصاب الحائط ورمى بآخر فوقع فى المدينة ثم تتابعت الحجارة فى المدينة فوقع حجر منها فى مجلس الملك فأصاب رجلا فقتله ففتح القلعة عنوةً ثم رجع الى كسّ ونسف ثم مضى الى بخارى فنزل قرية فيها بيتُ نار وبيت آلهة وكان فيها طواويس فسمّوه منزل الطّواويس ثم سار الى طرخون بالسغد ليقبض منه ما كان صالحه عليه فلما أشرف على وادى السغد فرأى حُسنه تمثّل

وادٍ خَصيبٌ عشيبٌ ظلٌّ يمنعُهُ * من الأنيس حذار اليوم ذى الرَّهَج

وَرَدْتُهُ بعَناجيجٍ مُسَوَّمةٍ * يَرْدِينَ بالشُّعْثِ سفّاكينَ للمُهَج

قال فقبض من طرخون صلحه ثم رجع الى بخارى فملّك بخارى خذاه غلاما حدثا وقتل من خاف أن يضادّه ثم أخذ على آمل ثم أتى مرو قال وذكر الباهليون عن بشار بن عمرو عن رجل من باهلة قال لم يفرغ الناس من ضرب أبنيتهم حتى افتتحت القلعة ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى الوليدُ بن عبد الملك مكة خالد بن عبد الله القسرىّ فلم يزل واليا عليها الى أن مات الوليد * فذكر محمد بن عمر الواقدىّ أن اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة حدّثه عن نافع مولى بنى مخزوم قال سمعت خالد بن عبد الله يقول يا أيها الناس انكم بأعظم بلاد الله حرمةً وهى التى اختار الله من البلدان فوضع بها بيته ثم كتب على عباده حجّه مَن استطاع اليه سبيلاً أيها الناس فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة واياكم والشبهات فانى والله ما أوتَى بأحد يطعن على امامه الا صلبته فى الحرم ان الله جعل الخلافة منه بالموضع الذى جعلها فسلموا

وأطيعوا ولا تقولوا كيت وكيت انه لا رأى فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه واعلموا أنه بلغني ان قوما من أهل الخلاف يقدمون عليكم ويقيمون فى بلادكم فاياكم أن تنزلوا أحدا ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة فانى لا أجد أحدا منهم فى منزل أحد منكم الاهدمت منزله فانظروا من تنزلون في منازلكم وعليكم بالجماعة والطاعة فان الفرقة هو البلاء العظيم * قال محمد بن عمر وحدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن موسى بن عقبة عن أبى حبيبة قال اعتمرت فنزلت دور بنى أسد في منازل الزبير فلم أشعر الا به يدعونى فدخلت عليه فقال ممن أنت قلت من أهل المدينة قال ما أنزلك في منازل المخالف للطاعة قلت انما مقامى ان أقمت يوما أو بعضه ثم أرجع الى منزلى وليس عندى خلاف أنا ممن يعظم أمر الخلافة وأزعم ان من جحدها فقد هلك قال فلا عليك ما أقمت انما يكره أن يقيم من كان زاريا على الخليفة قلت معاذ الله وسمعته يوما يقول والله لو أعلم ان هذه الوحش التى تأمن في الحرم لو نطقت لم تقر بالطاعة لأخرجتها من الحرم إنه لا يسكن حرم الله وأمنه مخالف للجماعة زار عليهم قلت وفق الله الأمير ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة الوليد بن عبد الملك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال حج الوليد بن عبد الملك سنة ۹۱ وكذلك قال محمد بن عمر حدثنى موسى بن أبى بكر قال حدثنا صالح بن كيسان قال لما حضر قدوم الوليد أمر عمر بن عبد العزيز عشرين رجلا من قريش يخرجون معه فيتلقون الوليد بن عبد الملك منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأخوه محمد ابن عبد الرحمن وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فخرجوا حتى بلغوا السويداء وهم مع عمر بن عبد العزيز وفى الناس يومئذ دواب وخيل فلقوا الوليد وهو على ظهر فقال لهم الحاجب انزلوا لأمير المؤمنين فنزلوا ثم أمرهم فركبوا فدعا بعمر بن عبد العزيز فسايره حتى نزل بذى خشب ثم أحضروا فدعاهم رجلا رجلا فسلموا عليه ودعا بالغداء فتغدوا عنده وراح من ذى خشب فلما دخل المدينة غدا الى المسجد ينظر الى بنائه فأخرج الناس منه فما ترك فيه أحد وبقى سعيد بن المسيب ما يجترئ أحد من الحرس أن يخرجه وما عليه الا ريطتان ما تساويان الا خمسة دراهم فى مصلاه فقيل له لو قمت قال والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه قيل فلو سلمت على أمير المؤمنين قال والله لا أقوم اليه قال عمر ابن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاء أن لا يرى سعيدا حتى يقوم فحانت من الوليد نظرة الى القبلة فقال من ذلك الجالس أهو الشيخ سعيد بن المسيب فجعل عمر يقول نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر قال الوليد قد علمت حاله ونحن نأتيه فنسلم عليه فدار في المسجد حتى وقف على القبر ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال كيف أنت أيها الشيخ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام فقال بخير والحمد لله فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله قال الوليد خير والحمد لله فانصرف وهو

يقول لعمر هذا بقية الناس فقلت أجل يا أمير المؤمنين قال وقسم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً عُجماً بين الناس وآنية من ذهب وفضة وأموالا وخطب بالمدينة في الجمعة فصلى بهم (قال محمد بن عمر) وحدثني اسحاق بن يحيى قال رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عام حجّ قد صفّ له جنده صفين من المنبر الى جدار مؤخر المسجد في أيديهم الجِرَزَة وعُمد الحديد على العواتق فرأيته طلع في دُرّاعة وقلنسوة ما عليه رداء فصعد المنبر فلما صعد سلم ثم جلس فأذن المؤذنون ثم سكتوا فخطب الخطبة الاولى وهو جالس ثم قام فخطب الثانية قائما قال اسحاق فلقيت رجاء بن حيوة وهو معه فقلت هكذا يصنعون قال نعم وهكذا صنع معاوية فهلم جرّا قلتُ أفلا تكلمه قال أخبرني قبيصة بن ذؤيب انه كلم عبد الملك بن مروان فأبى أن يفعل وقال هكذا خطب عثمان فقلت والله ما خطب هكذا ما خطب عثمان الا قائما قال رجاء رُوى لهم هذا فأخذوا به قال اسحاق لم نر منهم أحد أشدّ تجبرا منه (قال محمد بن عمر) وقدم بطيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجمره وبكسوة الكعبة فنُشرت وعُلقت على حبال في المسجد من ديباج حسن لم يُرَ مثله قط فنشرها يوما وطُوى ورفع قال وأقام الحجاج الوليد بن عبد الملك * وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة ٩٠ غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد بن عبد الله القسرىّ في قول الواقدىّ وقال غيره كانت ولاية مكة في هذه السنة أيضا الى عمر بن عبد العزيز

## ﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ﴾

### ﴿ ذكر الأحداث التى كانت فيها ﴾

فمن ذلك غزوة مَسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ففُتح على يدى مسلمة حصون ثلاثة وجلا أهل سُوسَنة الى جوف أرض الروم ﴿ وفيها ﴾ غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثنى عشر ألفا فلقى ملك الأندلس زعم الواقدىّ انه يقال له ادرينوق وكان رجلا من أهل أصبهان قال وهم ملوك عجم الاندلس فزحف له طارق بجميع من معه فزحف الادرينوق في سرير الملك وعلى الادرينوق تاجه وقفّازُه وجميع الحلية التى كان يلبسها الملوك فاقتتلوا قتالا شديدا حتى قتل الله الادرينوق وفُتح الأندلس سنة ٩٢ ﴿ وفيها ﴾ غزا فيما زعم بعض أهل السِيَر قتيبة سجستان يريد رتبيل الاعظم والزابل فلما نزل سجستان تلقته رُسُل رُتبيل بالصلح فقبل ذلك وانصرف واستعمل عليهم عبد ربه ابن عبد الله بن عمير الليثىّ ﴿ وحج ﴾ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدىّ وغيره وكان عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التى قبلها

## ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ﴾

### ﴿ ذكر الاحداث التى كانت فيها ﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ففتح الله على يديه سمسطية ﴿وفيها﴾ كانت أيضا غزوة مروان بن الوليد الروم فبلغ خنجرة ﴿وفيها﴾ كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم فافتتح ماسة وحصن الحديد وغزالة وبرجمة من ناحية ملطية ﴿وفيها﴾ قتل قتيبة ملك خام جرد وصالح ملك خوارزم صلحا مجددا

### ﴿ ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الامر فيه ﴾

* ذكر على بن محمد ان أبا الذيال أخبره عن المهلب بن اياس والحسن بن رشيد عن طفيل ابن مرداس العمى وعلى بن مجاهد عن حنبل بن أبى حريدة عن مرزبان قهستان وكليب ابن خلف والباهليين وغيرهم وقد ذكر بعضهم مالم يذكر بعض فألفته أن ملك خوارزم كان ضعيفا فغلبه أخوه خرزاذ على أمره وخرزاذ أصغر منه فكان اذا بلغه أن عند أحد ممن هو منقطع الى الملك جارية أو دابة أو متاعا فاخرا أرسل فأخذه أو بلغه أن لأحد منهم بنتا أو أختا أو امرأة جميلة أرسل اليه فغصبه وأخذ ما شاء وحبس ما شاء لا يمتنع عليه أحد ولا يمنعه الملك فإذا قيل له قال لا أقوى عليه وقد ملأه مع هذا غيظا فلما طال ذلك منه عليه كتب الى قتيبة يدعوه الى أرضه يريد أن يسلمها اليه وبعث اليه بمفاتيح مدائن خوارزم ثلاثة مفاتيح من ذهب واشترط عليه أن يدفع اليه أخاه وكل من كان يضاده يحكم فيه مايرى وبعث فى ذلك رسلا ولم يطلع أحدا من مرازبته ولا دهاقينه على ما كتب به الى قتيبة فقدمت رسله على قتيبة فى آخر الشتاء ووقت الغزو وقد تهيأ للغزو فأظهر قتيبة أنه يريد السغد ورجع رسل خوارزمشاه اليه بما يحب من قبل قتيبة وسار واستخلف على مرو ثابتا الأعور مولى مسلم قال فجمع ملوكه وأحباره ودهاقينه فقال ان قتيبة يريد السغد وليس بغازيكم فهلم نتنعم فى ربيعنا هذا فأقبلوا على الشرب والتنعم وأمنوا عند أنفسهم الغزو قال فلم يشعروا حتى نزل قتيبة فى هزارسب دون النهر فقال خوارزمشاه لاصحابه ماترون قالوا نرى أن نقاتله قال لكنى لا أرى ذلك قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ولكنى أرى أن نصرفه بشىء نؤديه اليه فنصرفه عامنا هذا ونرى رأينا قالوا ورأينا رأيك فأقبل خوارزمشاه فنزل فى مدينة الفيل من وراء النهر قال ومدائن خوارزمشاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد فمدينة الفيل أحصنهن فنزلها خوارزمشاه وقتيبة فى هزارسب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزمشاه نهر بلخ فصالحه على عشرة آلاف رأس وعين ومتاع وعلى أن يعينه على ملك خام جرد وان يفى له بما كتب اليه فقبل ذلك منه قتيبة ووفى له وبعث قتيبة أخاه الى ملك خام جرد وكان يعادى خوارزمشاه فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب

على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير فقتلهم وأمر قتيبة لما جاءه بهم أخاه عبد الرحمن بسريره فأخرج وبرز للناس قال وأمر بقتل الاسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخلف ظهره ألف قال قال المهلب بن اياس أخذت يومئذ سيوف الاشراف فضرب بها الاعناق فكان فيها ما لا يقطع ولا يجرح فأخذوا سيفي فلم يُضرَبْ به شيء الا أبانه فحسدني بعض آل قتيبة فغمز الذي يضرب أن اصفح به فصفح به قليلا فوقع في ضرس المقتول فثلمه (قال أبو الذيّال) والسيف عندي قال ودفع قتيبة الى خوارزم شاه أخاه ومن كان يخالفه فقتلهم واصطفى أموالهم فبعث بها الى قتيبة ودخل قتيبةُ مدينة فيل فقبل من خوارزم شاه ما صالحه عليه ثم رجع الى هزارسب وقال كعب الاشقريّ

رَمتكَ فِيلٌ بما فيها وما ظَلَمتْ * ورامها قبلكَ الفَجْفاجةُ الصَّلِفُ
لا يُجْزِئُ الثَّغرَ خوَّارُ القناةِ ولاَ * هشُّ المكاسِرِ والقلبُ الذي يَجِفُ
هل تذْكُرونَ ليالي التركِ تقتلُهمْ * ما دونَ كازةَ والفَجْفاجُ مُلتَحِفُ
لم يَركَبُوا الخيلَ إلا بعدَ ما كبروا * فَهُم ثِقالٌ على أكتافِها عُنُفُ
أنتم شِباسٌ ومرداذانُ محتقرٌ * وبئسَ خراءُ قُبورٌ حشوُها القُلَفُ
إني رأيتُ أباحفصٍ تُفضِّلُهُ * أيامُهُ ومساعي الناسِ تختلفُ
قيسٌ صريحٌ وبعضُ الناسِ يجمعُهمْ * قُرًى وريفٌ فمنسوبٌ ومُقترَفُ
لو كنتَ طاوعتَ أهلَ العجزِ ما اقتسموا * سبعينَ ألفاً وعزُّ السُّغدِ مُؤتَنَفُ
وفي سمرقندَ أخرى أنتَ قاسمُها * لئن تأخرَ عن حوبائكَ التلَفُ
ما قدَّمَ الناسُ من خيرٍ سبقتَ به * ولا يفوتُكَ مما خلَّفوا شَرَفُ

قال أنشدني عليّ بن مجاهد رمتك * رمتك فيل بما دون كازه * قال وكذلك قال الحسن ابن رشيد الجوزجانيّ وأما غيرهما فقال * رمتك فيل بما فيها * وقالوا فيل مدينة سمرقند قال وأثبتها عندي قول علي بن مجاهد قال وقال الباهليون أصاب قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس قال وكان خاصةُ قتيبة كلموه سنة ٩٣ وقالوا الناس كالون قدموا من سجستان فأجمّهم عامهم هذا فأبى قال فلما صالح أهل خوارزم سار الى السغد فقال الأشقريّ

لو كنت طاوعت أهل العجز ما اقتسموا * سبعين ألفا وعز السغد مؤتنف

﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم منصرفه من خوارزم سمرقند فافتتحها

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

قد تقدّم ذكر الإسناد عن القوم الذين ذكر عليّ بن محمد أنه أخذ عنهم حين صالح قتيبة صاحب خوارزم ثم ذكر مدرجا في ذلك أن قتيبة لما قبض صُلح خوارزم قام اليه المجسر

ابن

ابن مزاحم السلمى فقال إن لى حاجة فأخلنى فأخلاه فقال ان أردت السغد يوما من الدهر فالآن فانهم آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا وانما بينك و بينهم عشرة أيام قال أشار بهذا عليك أحد قال لا قال فأعلمته أحدا قال لا قال والله لئن تكلم به أحد لاضربن عنقك فأقام يومه ذلك فلما أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال سر فى الفرسان والمرامية وقدم الاثقال الى مرو فوجهت الاثقال الى مرو ومضى عبد الرحمن يتبع الاثقال يريد مرو يومه كله فلما أمسى كتب اليه اذا أصبحت فوجه الاثقال الى مرو وسر فى الفرسان والمرامية نحو السغد وأكتم الاخبار فانى بالاثر قال فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الاثقال أن يمضوا الى مرو وسار حيث أمره وخطب قتيبة الناس فقال ان الله قد فتح لكم هذه البلدة فى وقت الغزو وفيه ممكن وهذه السغد شاغرة برجلها قد نقضوا العهد الذى كان بيننا ومنعونا ما كنا صالحنا عليه طرخون وصنعوا به ما بلغكم وقال الله من نكث فانما ينكث على نفسه فسيروا على بركة الله فإنى أرجو أن يكون خوارزم والسغد كالنضير وقريظة وقال الله وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها قال فأتى السغد وقد سبقه اليها عبد الرحمن بن مسلم فى عشرين ألفا وقدم عليه قتيبة فى أهل خوارزم و بخارى بعد ثلاثة أو أربعة من نزول عبد الرحمن بهم فقال انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين فحصرهم شهرا فقاتلوهم فى حصارهم مرارا من وجه واحد وكتب أهل السغد وخافوا طول الحصار الى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة أن العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به فانظروا لأنفسكم فأجمعوا على أن يأتوهم وأرسلوا اليهم أرسلوا من يشغلهم حتى نبيت عسكرهم قال وانتخبوا فرسانا من أبناء المرازبة والأساورة والأشداء الابطال فوجهوهم وأمروهم أن يبيتوا عسكرهم وجاءت عيون المسلمين فأخبروهم فانتخب قتيبة ثلثمائة أو ستمائة من أهل النجدة واستعمل عليهم صالح بن مسلم فصيرهم فى الطريق الذى يخاف أن يؤتى منه و بعث صالح عيونا يأتونه بخبر القوم ونزل على فرسخين من عسكر القوم فرجعت اليه عيونه فأخبروه أنهم يصلون اليه من ليلتهم ففرق صالح خيله ثلاث فرق فجعل كمينا فى موضعين وأقام على قارعة الطريق وطرقهم المشركون ليلا ولا يعلمون بمكان صالح وهم آمنون فى أنفسهم من أن يلقاهم أحد دون العسكر فلم يعلموا بصالح حتى غشوه قال فشدوا عليهم حتى اذا اختلفت الرماح بينهم خرج الكمينان فاقتتلوا قال وقال رجل من البراجم حضرتهم فما رأيت قط قوما كانوا أشد قتالا من أبناء أولئك الملوك ولا أصبر فقتلناهم فلم يفلت منهم الا نفر يسير وحوينا سلاحهم واحتززنا رؤسهم وأسرنا منهم أسرى فسألناهم عمن قتلنا فقالوا ما قتلتم الا ابن ملك أو عظيما من العظماء أو بطلا من الابطال ولقد قتلتم رجالا إن كان الرجل ليعدل بمائة رجل فكتبنا على آذانهم ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا وما منا رجل الا معلق رأسا معروفا باسمه وسلبنا من جيد السلاح وكريم المتاع

ومناطق الذهب ودوابّ فُرْهَة فنفلنا قتيبة ذلك كله وكسر ذلك أهلَ السغد ووضع قتيبة عليهم المجانيق فرماهم بها وهو في ذلك يقاتلهم لا يُقلع عنهم وناصحه من معه من أهل بخارى وأهل خوارزم فقاتلوا قتالا شديدا وبذلوا أنفسهم فأرسل اليه غوزك انما تقاتلني بإخوتي وأهل بيتي من العجم فأخرج الىّ العرب فغضب قتيبة ودعا الجدلىّ فقال اعرض الناس وميّز أهل البأس فجمعهم ثم جلس قتيبة يعرضهم بنفسه ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل فيقول ماعندك فيقول العريف شجاع ويقول ماهذا فيقول مختصر ويقول ماهذا فيقول جبان فسمى قتيبة الجبناء الانتان وأخذ خيلهم وجيّد سلاحهم فأعطاه الشجعاء والمختصرين وترك لهم رثّ السلاح ثم زحف بهم فقاتلهم بهم فرسانا ورجالا ورمى المدينة بالمجانيق فثلم فيها ثلمة فسدّوها بغرائر الدُّخن وجاء رجل حتى قام على الثلمة فشتم قتيبة وكان مع قتيبة قوم رُماة فقال لهم قتيبة اختاروا منكم رجلين فاختاروا فقال أيكما يرمي هذا الرجل فإن أصابه فله عشرة آلاف وإن أخطأه قطعت يده فتلكّأ أحدُهما وتقدّم الآخرُ فرماه فلم يُخطئ عينه فأمر له بعشرة آلاف قال وأخبرنا الباهليّون عن يحيى ابن خالد عن أبيه خالد بن باب مولى مسلم بن عمرو قال كنتُ في رُماة قتيبة فلما افتتحنا المدينة صعدتُ السور فأتيتُ مقام ذلك الرجل الذي كان فيه فوجدته ميتا على الحائط ماأخطأت النُّشابة عينه حتى خرجت من قفاه ثم أصبحوا من غد فرموا المدينة فثلموا فيها وقال قتيبة ألحّوا عليها حتى تعبروا على الثلمة فقاتلوهم حتى صاروا على ثلمة المدينة ورماهم السغد بالنّشاب فوضعوا أترستهم فكان الرجل يضع ترسه على عينه ثم يحمل حتى صاروا على الثلمة فقالوا له انصرف عنا اليوم حتى نصالحك غدا فاما باهلة فيقولون قال قتيبة لانصالحهم الا ورجالنا على الثلمة ومجانيقنا تخطر على رؤسهم ومدينتهم قال وأما غيرهم فيقولون قال قتيبة جزع العبيد فانصرفوا على ظفركم فانصرفوا فصالحهم من الغد على الفي ألف ومائتي ألف في كلّ عام على أن يُعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ليس فيهم صبىّ ولا شيخ ولا عيب على أن يُخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها مقاتل فيُبنى له فيه مسجد فيدخل ويصلي ويوضع له فيها منبر فيخطب ويتغدّى ويخرج قال فلما تمّ الصلح بعث قتيبة عشرة من كلّ خمس برجلين فقبضوا ماصالحوهم عليه فقال قتيبة الآن ذلوا حين صار اخوانُهم وأولادهم في أيديكم ثم أخلوا المدينة وبنوا مسجدا ووضعوا منبرا ودخلها في أربعة آلاف انتخبهم فلما دخلها أتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدّى وأرسل الى أهل السغد مَن أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ فإني لست خارجا منها وانما صنعت هذا لكم ولست آخذ منكم أكثر مما صالحتكم عليه غير أنّ الجند يقيمون فيها قال وأما الباهليون فيقولون صالحهم قتيبة على مائة ألف رأس وبيوت النيران وحلية الاصنام فقبض ماصالحهم عليه وأتى بالاصنام فسُلبت ثم وُضعت بين يديه فكانت كالقصر العظيم حين جُمعت فأمر

بتحريقها

بتحريقها فقالت الاعاجم إن فيها أصناماً من حرقها هلك فقال قتيبة أنا أحرقها بيدي فجاء غوزك فجثا بين يديه وقال أيها الامير ان شكرك على واجب لا تعرض لهذه الاصنام فدعا قتيبة بالنار وأخذ شعلة بيده وخرج فكبر ثم أشعلها وأشعل الناس فاضطرمت فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال قال وأخبرنا مخلد بن حمزة بن بيض عن أبيه قال حدثني من شهد قتيبة وفتح سمرقند أو بعض كور خراسان فاستخرجوا منها قدوراً عظاماً من نحاس فقال قتيبة لحضين يا أبا ساسان أترى رقاش كان لها مثل هذه القدور فقال لا ولكن كانت لعيلان قدر مثل هذه القدور فضحك قتيبة وقال أدركت بثأرك قال وقال محمد بن أبي عيينة لسلم بن قتيبة بين يدي سليمان بن علي إن العجم ليعيرون قتيبة الغدر أنه غدر بخوارزم وسمرقند قال فأخبرنا شيخ من بني سدوس عن حمزة ابن بيض قال أصاب قتيبة بخراسان بالسغد جارية من ولد يزدجرد فقال أترون ابن هذه يكون هجينا فقالوا نعم يكون هجينا من قبل أبيه فبعث بها الى الحجاج فبعث بها الحجاج الى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد * قال وأخبرنا بعض الباهليين عن نهشل بن يزيد عن عمه وكان قد أدرك ذلك كله قال لما رأى غوزك الحاح قتيبة عليهم كتب الى ملك الشاش وإخشاذ فرغانة وخاقان إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب فان وصل الينا كنتم أضعف وأذل فمهما كان عندكم من قوة فابذلوها فنظروا في أمرهم فقالوا انما نؤتى من سفلتنا وانهم لا يجدون كوجدنا ونحن معشر الملوك المعنيون بهذا الامر فانتخبوا أبناء الملوك وأهل النجدة من فتيان ملوكهم فليخرجوا حتى يأتوا عسكر قتيبة فليبيتوه فانه مشغول بحصار السغد ففعلوا وولوا عليهم ابناً لخاقان وساروا وقد أجمعوا أن يبيتوا العسكر وبلغ قتيبة فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس فكان شعبة بن ظهير وزهير بن حيان فيمن انتخب فكانوا أربعمائة فقال لهم ان عدوكم قد رأوا بلاء الله عندكم وتأييده اياكم في مزاحفتكم ومكاثرتكم كل ذلك يفلجكم الله عليهم فأجمعوا على أن يحتالوا غرتكم وبياتكم واختاروا دهاقينهم وملوكهم وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم وقد فضلكم الله بدينه فأبلوا الله بلاء حسنا تستوجبون به الثواب مع الذب عن أحسابكم قال ووضع قتيبة عيونا على العدو حتى اذا قربوا منه قدر ما يصلون الى عسكره من الليل ادخل الذين انتخبهم فكلمهم وحضهم واستعمل عليهم صالح بن مسلم فخرجوا من العسكر عند المغرب فساروا فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم الذين وصفوا لهم ففرق صالح خيله وأكمن كمينا عن يمينه وكمينا عن يساره حتى اذا مضى نصف الليل أو ثلثاه جاء العدو باجتماع واسراع وصمت وصالح واقف في خيله فلما رأوه شدوا عليه حتى اذا اختلفت الرماح شد الكمينان عن يمين وعن شمال فلم نسمع الا الاعتزاء فلم نر قوما كانوا أشد منهم قال وقال رجل من البراجم حدثني زهير أو شعبة قال انا لنختلف عليهم بالطعن والضرب اذ تبينت تحت الليل قتيبة وقد ضربت

ضربة أعجبتني وأنا أنظر الى قتيبة فقلت كيف ترى بابى أنت وأمى قال اسكت دق الله فاك قال
فقتلناهم فلم يفلت منهم الا الشريد وأقمنا نحوى الاسلاب ونحتزّ الرؤس حتى أصبحنا ثم أقبلنا
الى العسكر فلم أر جماعة قط جاؤا بمثل ما جئنا به ما منا رجل الا معلق رأسا معروفا باسمه
وأسيرٌ في وثاقه قال وجئنا قتيبة بالرؤس فقال جزاكم الله عن الدين والاعراض خيرا
وأكرمني قتيبة من غير أن يكون باح لى بشيء وقرن بى في الصلة والاكرام حيان العدوى
وحليسَ الشيبانى فظننت انه رأى منهما مثلَ الذى رأى منى وكسر ذلك أهل السُغد فطلبوا
الصلح وعرضوا الفدية فأبى وقال أنا ثائر بدم طَرْخون كان مولاى وكان من أهل ذمتى
قالوا حدث عمرو بن مسلم عن أبيه قال أطال قتيبة المقَام وثُلمت الثلمة في سمرقند قال
فنادى منادٍ فصيح بالعربية يشتم قتيبة قال فقال عمرو بن أبى زَهْدم ونحن حول قتيبة فحين
سمعنا الشتم خرجنا مسرعين فمكثنا طويلا وهو ملحّ بالشتم فجئت الى رِواق قتيبة فاطّلعتُ
فإذا قتيبة مُحْتَبٍ بشملة يقول كالمناجى لنفسه حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان أما
والله لئن أصبحتُ لأحاولن من أهلك أقصى غاية فانصرفتُ الى أصحابى فقلت كم من نفس
أبية ستموت غدا منا ومنهم فأخبرتُهم الخبرَ قال وأما باهلة فيقولون سار قتيبة فجعل النهر يمين
حتى ورد بخارى فاستنهضهم معه وسار حتى اذا كان بمدينة أربنجن وهى التى تجلب منها اللبود
الأرْبِنْجَنِيَّة لقيهم غوزك صاحب السغد في جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفرغانة
فكانت بينهم وقائعُ من غير مزاحفة كلّ ذلك يظهر المسلمون ويتحاجزون حتى قربوا من
مدينة سمرقند فتزاحفوا يومئذ فحمل السغد على المسلمين حملة حطموهم حتى جازوا
عسكرهم ثم كرّ المسلمون عليهم حتى ردوهم الى عسكرهم وقتل الله من المشركين عددا كثيرا
ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم قال وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبى صغيرة قال رأيت
خيلا يومئذ تطاعن خيل المسلمين وقد أمر يومئذ قتيبة بسريره فأبرز وقعد عليه
وطاعنوهم حتى جازوا قتيبة وانه لمحتب بسيفه ما حل حبوته وانطوت مجنبتا المسلمين على
الذين هزَموا القلب فهزموهم حتى ردّوهم الى عسكرهم وقتل من المشركين عدد كثير
ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم وصنع غوزك طعاما ودعا قتيبة فأتاه في عدد من أصحابه
فلما تغدى استوهب منه سمرقند فقال للملك انتقل عنها فانتقل عنها وتلا قتيبة وأنه أهلكَ
عادًا الأولى وثمود فما أبقى * قال وأخبرنا أبو الذيال عن عمر بن عبد الله التميمى قال حدثنى
الذى سرحه قتيبة الى الحجاج بفتح سمرقند قال قدمتُ على الحجاج فوجهنى الى الشأم فقدمتها
فدخلت مسجدها فجلست قبل طلوع الشمس والى جنبى رجل ضرير فسألته عن شيء من
أمر الشأم فقال انك لغريب قلت أجل قال من أى بلد أنت قلت من خراسان قال ما أقدمك
فأخبرته فقال والذى بعث محمدا بالحق ما افتتحتموها الا غدرا وانكم يا أهل خراسان للذين

تسلبون بنى أمية ملكهم وتنقضون دمشق حجراً حجراً قال وأخبرنا العلاء بن جرير قال بلغنى أن قتيبة لما فتح سمرقند وقف على جبلها فنظر الى الناس متفرقين فى مروج السغد فتمثل قول طرفة

وأرتعَ أقوامٌ ولولا محلُّنا * بمخشيةٍ ردُّوا الجمال فقوَّضوا

قال وأخبرنا خالد بن الأصفح قال قال الكميت

كانت سمرقند أحقاباً يمانية * فاليوم تنسبها قيسية مُضرُ

قال وقال أبو الحسن الجشمى فدعا قتيبة نهار بن توسعة حين صالح أهل السغد فقال يا نهارُ أين قولك

ألا ذهبَ الغزوُ المقرّبُ للغنى * ومات الندى والجودُ بعدَ المهلبِ
أقاما بمروَ الرُّوذِ رهنَ ضريحه * وقد غُيّبا عن كل شرقٍ ومغربِ

أفغزوٌ هذا يا نهارُ قال لا هذا أحسن وأنا الذى أقول

وما كانَ مذْ كنا ولا كانَ قبلنا * ولا هو فيما بعدَنا كابنِ مسلمِ
أعمَّ لأهلِ الترك قتلاً بسيفه * وأكثرَ فينا مقسماً بعد مقسمِ

قال ثم ارتحل قتيبة راجعاً الى مرو واستخلف على سمرقند عبد الله بن مسلم وخلف عنده جنداً كثيفاً وآلة من آلة الحرب كثيرة وقال لا تدعن مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند الا مختوم اليد وان جفت الطينة قبل ان يخرج فاقتله وان وجدت معه حديدة سكيناً فما سواه فاقتله وان أغلقت الباب ليلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقتله فقال كعب الاشقرى ويقال رجل من جعفى

كُلَّ يومٍ يحوى قتيبةُ نهباً * ويزيدُ الأموالَ مالاً جديدا
باهلىٌّ قد ألبسَ التاجَ حتى * شابَ منه مفارقٌ كنَّ سودا
دوَّخَ السُّغدَ بالكتائبِ حتى * تركَ السغدَ بالعراءِ قعودا
فوليدٌ يبكى لفقدِ أبيه * وأبٌ موجعٌ يبكّى الوليدا
كلما حلَّ بلدةً أو أتاها * تركتْ خيلُهُ بها أخدودا

قال وقال قتيبة هذا العداء لا عداء عيرين لانه فتح خوارزم وسمرقند فى عام واحد وذلك ان الفارس اذا صرع فى طلق واحد عيرين قيل عادى بين عيرين ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرو وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو وعلى حربها وكان ضعيفاً وكان على خراجها عبيد الله بن أبى عبيد الله مولى بنى مسلم قال فاستضعف أهل خوارزم إياساً وجمعوا له فكتب عبيد الله الى قتيبة فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم فى الشتاء عاملا وقال

اضرب اياس بن عبد الله وحيان النبطي مائة مائة واحلقهما وضم اليك عبيد الله بن أبي عبيد الله مولى بني مسلم واسمع منه فان له وفاء فمضى حتى اذا كان من خوارزم على سكة فدس الى اياس فأنذره فتنحى وقدم فأخذ حيان فضربه مائة وحلقه قال ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود الى خوارزم فبلغهم ذلك فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلهم خوارزم شاه وقالوا لا نعينك فهرب الى بلاد الترك وقدم المغيرة فسبى وقتل وصالحه الباقون فأخذ الجزية وقدم على قتيبة فاستعمله على نيسابور ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الاندلس ووجهه الى مدينة طليطلة

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

ذكر محمد بن عمران موسى بن نصير غضب على طارق في سنة ٩٣ فشخص اليه في رجب منها ومعه حبيب بن عقبة بن نافع الفهري واستخلف حين شخص على افريقية ابنه عبد الله ابن موسى بن نصير وعبر موسى الى طارق في عشرة آلاف فتلقاه فترضاه فرضي عنه وقبل منه عذره ووجهه منها الى مدينة طليطلة وهي من عظام مدائن الاندلس وهي من قرطبة على عشرين يوما فأصاب فيها مائدة سليمان بن داود فيها من الذهب والجوهر ما الله أعلم به ﴿قال﴾ وفيها أجدب أهل افريقية جدبا شديدا فخرج موسى بن نصير فاستسقى ودعا يومئذ حتى انتصف النهار وخطب الناس فلما أراد ان ينزل قيل له ألا تدعو لامير المؤمنين قال ليس هذا يوم ذاك فسقوا سقيا كفاهم حينا ﴿وفيها﴾ عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة

﴿ذكر سبب عزل الوليد اياه عنها﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق واعتدائه عليهم وظلمه لهم بغير حق ولا جناية وأن ذلك بلغ الحجاج فاضطغنه على عمر وكتب الى الوليد ان من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا الى المدينة ومكة وان ذلك وهن فكتب الوليد الى الحجاج أن أشر علي برجلين فكتب اليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله فولى خالدا مكة وعثمان المدينة وعزل عمر بن عبد العزيز قال محمد بن عمر خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة فأقام بالسويداء وهو يقول لمزاحم أتخاف ان تكون ممن نفته طيبة ﴿وفيها﴾ ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد اياه وصب على رأسه قربة من ماء بارد ﴿ذكر﴾ محمد ابن عمر ان أبا المليح حدثه عمن حضر عمر بن عبد العزيز حين جلد خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطا وصب على رأسه قربة من ماء في يوم شات ووقفه على باب المسجد فمكث يومه ثم مات ﴿وحج بالناس في هذه السنة﴾ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكانت

عمال الامصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها الا ما كان من المدينة فان العامل عليها كان عثمان بن حيان المرّي وليها فيما قيل في شعبان سنة ٩٣ وأما الواقدى فانه قال قدم عثمان المدينة لليلتين بقيتا من شوال سنة ٩٤ وقال بعضهم شخص عمر بن عبد العزيز عن المدينة معزولا في شعبان من سنة ٩٣ وغزا فيها واستخلف عليها حين شخص عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى وقدم عثمان بن حيان المدينة لليلتين بقيتا من شوال

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين ﴾

﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم فقيل انه فتح فيها انطاكية ﴿وفيها﴾ غزا فيما قيل عبدُ العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطى أرض بُرج الحمام ويزيد بن أبي كبشة أرض سورية ﴿وفيها﴾ كانت الرجفة بالشأم ﴿وفيها﴾ افتتح القاسم بن محمد الثقفى أرض الهند ﴿وفيها﴾ غزا قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خُجَنْدَة وكاشان مدينتَى فرغانة

﴿ ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه ﴾

ذكر علىّ بن محمد ان أبا الفوارس التميمى أخبره عن ماهان ويونس بن أبى اسحاق ان قتيبة غزا سنة ٩٤ فلما قطع النهر فرض على أهل بخارى وكسّ ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل قال فسار وامعه الى السغد فوجهوا الى الشاش وتوجه هو الى فرغانة وسار حتى أتى خُجَنْدَة فجمع له أهلها فلقوه فاقتتلوا مرارا كل ذلك يكون الظفر للمسلمين ففرغ الناس يوما فركبوا خيولهم فأوفى رجلٌ على نشز فقال تالله ما رأيت كاليوم غرّةً لو كان هيجٌ اليومَ ونحن على ما أرى من الانتشار لكانت الفضيحة فقال له رجل الى جنبه كلا نحن كما قال عوف ابن الخرع

نأتم البلادَ لحُبّ اللقا * ولا نتّقى طائرا حيثُ طارا

سنيحا ولا جاريا بارحا * على كلّ حالٍ نلاقى اليَسارا

وقال سحبان وائل يذكر قتالهم بخجندة

فسَلْ الفوارسَ في خُجنْـ * ـدةَ تحتَ مرهفة العوالى

هلْ كُنتُ أجمعُهُم إذا * هُزِموا وأقدمُ فى قتالى

أم كُنتُ أضرِبُ هامةَ الـ * ـعاتى وأصبرُ للعوالى

هذا وأنتَ قريعُ قيـ * ـسٍ كلها ضخمُ النوالِ

وفضلت قيساً فى الندى * وأبوك فى الحجج الخوالى
ولقد تبين عدل حكمك * فيهم في كل مال
تمت مروأتكم ونا * غى عزكم غلب الجبال

قال ثم أتى قتيبة كاشان مدينة فرغانة وأتاه الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها وحرقوا أكثرها وانصرف قتيبة الى مرو وكتب الحجاج الى محمد بن القاسم الثقفى أن وجه من قبلك من أهل العراق الى قتيبة و وجه اليهم جهم بن زحر بن قيس فانه فى أهل العراق خير منه في أهل الشام وكان محمد واداً لجهم بن زحر فبعث سليمان بن صعصعة وجهم بن زحر فلما ودعه جهم بكى وقال ياجهم انه للفراق قال لابد منه قال وقدم على قتيبة سنة ٩٥ ﴿وفى هذه السنة﴾ قدم عثمان بن حيان المرى المدينة واليا عليها من قبل الوليد بن عبد الملك

﴿ذكر الخبر عن ولايته﴾

قد ذكرنا قبل سبب عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة ومكة وتأميره على المدينة عثمان بن حيان فزعم محمد بن عمران عثمان قدم المدينة أميرا عليها لليلتين بقيتا من شوال سنة ٩٤ فنزل بها دار مروان وهو يقول محلة والله مظعان المغرور من غر بك فاستقضى أبا بكر بن حزم قال محمد بن عمر حدثنى محمد بن عبد الله بن أبى حرة عن عمه قال رأيت عثمان بن حيان أخذ رياح بن عبيد الله ومنقذا العراقى فحبسهم وعاقبهم ثم بعث بهم في جوامع الى الحجاج بن يوسف ولم يترك بالمدينة أحدا من أهل العراق تاجرا ولا غير تاجر وأمر بهم ان يخرجوا من كل بلد فرأيتهم فى الجوامع وأتبع أهل الأهواء وأخذ هيصما فقطعه ومنحورا وكانا من الخوارج قال وسمعته يخطب على المنبر يقول بعد حمد الله أيها الناس انا وجدناكم أهل غش لأمير المؤمنين فى قديم الدهر وحديثه وقد ضوى اليكم من يزيدكم خبالا أهل العراق هم أهل الشقاق والنفاق هم والله عش النفاق وبيضته التى تفلقت عنه والله ما جربت عراقيا قط الا وجدت أفضلهم عند نفسه الذى يقول فى آل أبى طالب مايقول وماهم لهم بشيعة وإنهم لا عداء لهم ولغيرهم ولكن لما يريد الله من سفك دمائهم فانى والله لا أوتى باحد آوى أحدا منهم أو أكراه منزلا ولا أنزله الا هدمت منزله وأنزلت به ماهو أهله ثم ان البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على مايصلح رعيته جعل يمر عليه من يريد الجهاد فيستشيره الشأم أحب اليك أم العراق فيقول الشأم أحب الى انى رأيت العراق داء عضالا وبها فرخ الشيطان والله لقد أعضلوا بى وانى لأرانى سأفرقهم فى البلدان ثم أقول لو فرقتهم لافسدوا من دخلوا عليه بجدل و حجاج وكيف ولم وسرعة وجيف في الفتنة فإذا خبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل لم يصلحوا على عثمان فلقى منهم الامرين وكانوا أول الناس فتق هذا الفتق العظيم ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة وأنغلوا البلدان والله

انى لا تقرب الى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فداجهم فلم يصلحوا عليه وليهم رجل الناس جلدا فبسط عليهم السيف وأخافهم فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا وذلك انه خبرهم وعرفهم أيها الناس انا والله ما رأينا شعارا قط مثل الأمن ولا رأينا حلسا قط شرا من الخوف فالزموا الطاعة فان عندى يا أهل المدينة خبرة من الخلاف والله ما أنتم بأصحاب قتال فكونوا من أحلاس بيوتكم وعضوا على النواجذ فانى قد بعثت فى مجالسكم من يسمع فيبلغنى عنكم إنكم فى فضول كلام غيره ألزم لكم فدعوا عيب الولاة فان الأمر انما ينقض شيأ شيأ حتى تكون الفتنة وان الفتنة من البلاء والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد قال يقول القاسم بن محمد صدق فى كلامه هذا الأخير إن الفتنة لهكذا * قال محمد بن عمر وحدثنى خالد بن القاسم عن سعيد بن عمرو الانصارى قال رأيت منادى عثمان بن حيان ينادى عندنا يا بنى أمية بن زيد برئت ذمة الله ممن آوى عراقيا وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل يقال له أبو سوادة من العبّاد فقال والله ما أحب ان أدخل عليكم مكروها بلغونى مأمنى قات لا خير لك فى الخروج ان الله يدفع عنا وعنك قال فأدخلته بيتى وبلغ عثمان بن حيان فبعث احراسا فأخرجته الى بيت أخى فما قدروا على شئ وكان الذى سعى بى عدوا فقلت للأمير أصلح الله الأمير يؤتى بالباطل فلا تعاقبُ عليه قال فضرب الذى سعى بى عشرين سوطا وأخرجنا العراقىَّ فكان يصلى معنا ما يغيب يوما واحدا وحدب عليه أهل دارنا فقالوا نموت دونك فما برح حتى عزل الخبيث * قال محمد بن عمر وحدثنا عبد الحكم بن عبد الله بن أبى فروة قال انما بعث الوليد عثمان بن حيان الى المدينة لاخراج من بها من العراقيين وتفريق أهل الأهواء ومن ظهر عليهم أو علا بأمرهم فلم يبعثه واليا فكان لا يصعد المنبر ولا يخطب عليه فلما فعل فى أهل العراق ما فعل وفى منحور وغيره أثبته على المدينة فكان يصعد على المنبر ﴿وفى هذه السنة﴾ قتل الحجاج سعيد بن جُبَيْر

﴿ ذكر الخبر عن مقتله ﴾

وكان سبب قتل الحجاج اياه خروجه عليه مع من خرج عليه مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان الحجاج جعله على عطاء الجند حين وجه عبد الرحمن الى رتبيل لقتاله فلما خلع عبد الرحمن الحجاج كان سعيدٌ فيمن خلعه معه فلما هزم عبد الرحمن وهرب الى بلاد رتبيل هرب سعيدٌ

﴿ حدثنا ﴾ أبو كريب قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال كتب الحجاج الى فلان وكان على أصبهان وكان سعيدٌ قال الطبرى أظنه انه لما هرب من الحجاج ذهب الى أصبهان فكتب اليه ان سعيدا عندك فخذه فجاء الامر الى رجل تحرَّج فأرسل الى سعيد تحوَّل عنى فتنحى عنه فأتى آذربيجان فلم يزل بآذربيجان فطال عليه السنون واعتمر فخرج الى مكة فأقام بها فكان اناسٌ من ضربه يستخفون فلا يخبرون بأسمائهم قال فقال أبو حصين وهو يحدثنا هذا فبلغنا

أن فلانا قد أمّر على مكة فقلت له ياسعيد ان هذا الرجل لا يؤمن وهو رجل سوء وأنا أتقيه عليك فأظعن وأشخص فقال ياأبا حصين قد والله فررت حتى استحييت من الله سيجيئنى ما كتب الله لى قلت أظنك والله سعيدا كما سمتك أمك قال فقدم ذلك الرجل الى مكة فأرسل فأخذ فلان له وكلمه فجعل يديره وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس قال كتب الحجاج الى الوليد ان أهل النفاق والشقاق قد لجؤا الى مكة فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لى فيهم فكتب الوليد الى خالد بن عبد الله القسرىّ فأخذ عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلا لانهما مكيان وأما الآخرون فبعث بهم الى الحجاج فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد حتى مات الحجاج وقتل سعيد بن جبير ❀ **حدثنا** أبو كريب قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا الاشجعىّ قال لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جبير نزّل منزلا قريبا من الرّبذة فانطلق أحد الحرسيّين فى حاجته وبقى الآخر فاستيقظ الذى عنده وقد رأى رؤيا فقال ياسعيد انى أبرأ الى الله من دمك انى رأيت فى منامى فقيل ويلك تبرّأ من دم سعيد بن جبير اذهب حيث شئت لا أطلبك أبدا فقال سعيد أرجو العافية وأرجو وأبى حتى جاء ذاك فنزلا من الغد فأرى مثلها فقيل ابرأ من دم سعيد فقال ياسعيد اذهب حيث شئت انى أبرأ الى الله من دمك حتى جاء به فلما جاء به الى داره التى كان فيها سعيد وهى دارهم هذه ❀ **حدثنا** أبو كريب قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا يزيد بن أبى زياد مولى بنى هاشم قال دخلت عليه فى دار سعيد هذه جىء به مقيدا فدخل عليه قراء أهل الكوفة قلت ياأبا عبد الله فحدثكم قال اى والله ويضحك وهو يحدثنا وبنية له في حجره فنظرت نظرة فأبصرت القيد فبكت فسمعته يقول اى بنية لا تطيرى اياك وشق والله عليه فاتبعناه نشيعه فانتهينا به الى الجسر فقال الحرسيان لا نعبر به أبدا حتى يعطينا كفيلا نخاف ان يغرق نفسه قال قلنا سعيد يغرق نفسه فاعبروا حتى كفلنا به * قال وهب بن جرير حدثنا أبى قال سمعت الفضل بن سويد قال بعثنى الحجاج فى حاجة فجىء بسعيد بن جبير فرجعت فقلت لأنظرن مايصنع فقمت على رأس الحجاج فقال له الحجاج ياسعيد ألم أشركك في أمانتى ألم أستعملك ألم أفعل حتى ظننت انه يخلى سبيله قال بلى قال فما حملك على خروجك علىّ قال عزم علىّ قال فطار غضبا وقال هيه رأيت لعزمة عدوّ الرحمن عليك حقا ولم تر لله ولا لأمير المؤمنين ولا لى عليك حقا اضربا عنقه فضربت عنقه فندر رأسه عليه كمة بيضاء لاطية صغيرة ❀ **وحدثت** عن أبى غسان مالك بن اسماعيل قال سمعت خلف بن خليفة يذكر عن رجل قال لما قتل سعيد بن جبير فندر رأسه هلل ثلاثا مرة يفصح بها وفى الثنتين يقول مثل ذلك فلا يفصح بها * وذكر أبو بكرة الباهلى قال سمعت أنس بن أبى شيخ يقول لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال لعن الله ابن النصرانية قال يعنى خالدا القسرى وهو الذى

أرسل به من مكة أما كنت أعرف مكانه بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة ثم أقبل عليه فقال ياسعيد ما أخرجك علىّ فقال أصلح الله الأمير إنما أنا امرؤ من المسلمين يخطىء مرة ويصيب مرة قال فطابت نفس الحجاج وتطلق وجهه ورجا أن يتخلص من أمره قال فعاوده في شيء فقال له إنما كانت له بيعةٌ فى عنقى قال فغضب وانتفخ حتى سقط أحد طرفي ردائه عن منكبه فقال ياسعيد ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لامير المؤمنين عبد الملك قال بلى قال ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لامير المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية قال بلى قال فتنكث بيعتين لامير المؤمنين وتفى بواحدة للحائك ابن الحائك أضربا عنقه قال فاياه عنى جريرٌ بقوله

يارُبَّ ناكِثِ بَيْعَتَيْنِ تَرَكْتَهُ * وخِضَابُ لِحيَتِهِ دَمُ الاوداج

وذكر عتاب بن بشر عن سالم الافطس قال أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع احدى رجليه فى الغرز أو الركاب فقال والله لا أركب حتى تبوء مقعدك من النار اضربوا عنقه فضربت عنقه فالتبس عقله مكانه فجعل يقول قيودنا قيودنا فظنوا انه قال القيود التى على سعيد بن جبير فقطعوا رجليه من انصاف ساقيه وأخذوا القيود * قال محمد ابن حاتم حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن هلال بن جناب قال جيء بسعيد بن جبير الى الحجاج فقال اكتبتَ الى مصعب بن الزبير قال بل كتب الىّ مصعبٌ قال والله لاقتلنك قال إنى اذا لسعيد كما سمتنى أمى قال فقتله فلم يلبث بعده الا نحواً من أربعين يوما فكان اذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول ياعدو الله فيم قتلتنى فيقول مالى ولسعيد بن جبير مالى ولسعيد بن جبير ﴿قال أبو جعفر﴾ وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء مات فيها عامة فقهاء أهل المدينة مات في أولها علىّ بن الحسين عليه السلام ثم عروة بن الزبير ثم سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﴿واستقضى﴾ الوليد فى هذه السنة بالشأم سليمان بن حبيب واختلف فيمن أقام الحج للناس فى هذه السنة فقال أبو معشر فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه قال حج بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة ٩٤ وقال الواقدى حج بالناس سنة ٩٤ عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك قال ويقال مسلمة بن عبد الملك وكان العامل فيها على مكة خالد بن عبد الله القسرى وعلى المدينة عثمان بن حيان المرّىّ وعلى الكوفة زياد بن جرير وعلى قضائها أبو بكر بن أبى موسى وعلى البصرة الجرَّاح بن عبد الله وعلى قضائها عبد الرحمن بن أذينة وعلى خراسان قتيبة بن مسلم وعلى مصر قرَّة بن شريك وكان العراق والمشرق كله الى الحجاج

## ﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين ﴾

### ﴿ ذكر الاحداث التى كانت فيها ﴾

﴿ ففيها ﴾ كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم ففتح الله على يديه ثلاثة حصون فيما قيل وهى طولس والمرزبانين وهرقلة ﴿ وفيها ﴾ فتح آخر الهند الا الكيرج والمندل ﴿ وفيها ﴾ بنيت واسط القصب فى شهر رمضان ﴿ وفيها ﴾ انصرف موسى ابن نصير الى افريقية من الاندلس وضحى بقصر الماء فيما قيل على ميل من القيروان ﴿ وفيها ﴾ غزا قتيبة بن مسلم الشاش

### ﴿ ذكر الخبر عن غزوته هذه ﴾

﴿ رجع الحديث ﴾ الى حديث علىّ بن محمد قال وبعث الحجاج جيشا من العراق فقدموا على قتيبة سنة ٩٥ فغزا فلما كان بالشاش أو بكشماهن أتاه موت الحجاج فى شوال فغمه ذلك وقفل راجعا الى مرو وتمثل

لعَمْرى لَنِعْمَ المرءُ من آلِ جعفرٍ * بحَوْرانَ أمسى أعلقَتْهُ الحبائلُ
فإنْ تَحْىَ لا أملَلْ حياتى وإن تَمُتْ * فما في حياةٍ بعدَ موتِكَ طائلُ

قال فرجع بالناس ففرقهم فخلف فى بخارى قوما ووجه قوما الى كسّ ونسف ثم أتى مرو فأقام بها وأتاه كتاب الوليد قد عرف أميرُ المؤمنين بلاءك وجدك فى جهاد أعداء المسلمين وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك كالذى يجب لك فالمم مغازيك وانتظر ثواب ربك ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كانى أنظر الى بلادك والثغر الذى أنت به ﴿ وفيها ﴾ مات الحجاج بن يوسف فى شوال وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل كانت وفاته فى هذه السنة لخمس ليال بقين من شهر رمضان ﴿ وفيها ﴾ استخلف الحجاج لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما قال الواقدى عشرين سنة ﴿ وفي هذه السنة ﴾ افتتح العباس بن الوليد قنسرين ﴿ وفيها ﴾ قتل الوَضاحىّ بأرض الروم ونحوٌ من ألف رجل معه ﴿ وفيها ﴾ ذكر ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علىّ ﴿ وفيها ﴾ ولى الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبى كبشة على الحرب والصلاة بالمصرين الكوفة والبصرة وولى خراجهما يزيد بن أبى مسلم وقيل ان الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب البلدين والصلاة بأهلهما يزيد بن أبى كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبى مسلم فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج استخلفهما عليه وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم أقرّهم بعده على أعمالهم التى كانوا عليها في حياته ﴿ وحج ﴾ بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك حدثنى بذلك أحمد ابن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وكان عمال

الامصار في هذه السنة هم العمال الذى كانوا في السنة التي قبلها الا ما كان من الكوفة والبصرة فانهما ضمتا الى من ذكرت بعد موت الحجاج

## ﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين ﴾

### ﴿ذكر الأحداث التي كانت فيها﴾

﴿ففيها﴾ كانت فيما قال الواقدى غزوة بشر بن الوليد الشاتية فقفل وقد مات الوليد ﴿وفيها﴾ كانت وفاة الوليد بن عبد الملك يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦ في قول جميع أهل السير واختلف في قدر مدة خلافته فقال الزهرى في ذلك ما حدثنى عن ابن وهب عن يونس عنه ملك الوليد عشر سنين الا اشهرا وقال أبو معشر فيه ما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر (وقال هشام) بن محمد كانت ولاية الوليد ثمانى سنين وستة أشهر وقال الواقدى كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين واختلف أيضا في مبلغ عمره فقال محمد بن عمر توفى بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر وقال هشام بن محمد توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة وقال على بن محمد توفي وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر وقال على كانت وفاة الوليد بدير مران ودفن خارج باب الصغير ويقال في مقابر الفراديس ويقال انه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل صلى عليه عمر بن عبد العزيز وكان له فيما قال على تسعة عشر ابنا عبد العزيز ومحمد والعباس وابراهيم وتمام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشر ويزيد ويحيى أم عبد العزيز ومحمد أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وأم أبى عبيدة فزارية وسائرهم لامهات شتى

### ﴿ذكر الخبر عن بعض سيره﴾

حدثنى عمر قال حدثنى على قال كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلائفهم بنى المساجد مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنار وأعطى الناس وأعطى المجذمين وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وفتح في ولايته فتوح عظام فتح موسى بن نصير الاندلس وفتح قتيبة كاشغر وفتح محمد بن القاسم الهند قال وكان الوليد يمر بالبقال فيقف عليه فيأخذ حزمة البقل فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها قال وأتاه رجل من بنى مخزوم يسأله في دينه فقال نعم ان كنت مستحقا لذلك قال يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقا لذلك مع قرابتى قال أقرأت القرآن قال لا قال ادن منى فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان في يده وقرعه قرعات بالقضيب وقال لرجل ضم هذا اليك فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن فقام اليه عثمان بن يزيد بن خالد بن عبد الله بن

خالد بن أسيد فقال يا أمير المؤمنين إنّ عليّ دَيناً فقال أقرأت القرآن قال نعم فاستقرأه عشر آيات من الانفال وعشر آيات من براءة فقرأ فقال نعم نقضى عنكم ونصل أرحامكم على هذا قال ومرض الوليد فرهقته غشية فمكث عامّة يومه عندهم ميتا فبُكى عليه وخرجت البُرُد بموته فقدم رسول على الحجاج فاسترجع ثم أمر بحبل فشُدّ في يديه ثم أوثق الى اسطوانة وقال اللهمّ لا تسلط علىّ من لا رحمة له فقد طال ما سألتك أن تجعل منيّتى قبل منيته وجعل يدعو فانه لكذلك اذ قدم عليه بريدٌ بافاقته قال علىٌّ ولما أفاق الوليد قال ما أحدٌ أسرّ بعافية أمير المؤمنين من الحجاج فقال عمر بن عبد العزيز ما أعظم نعمةَ الله علينا بعافيتك وكأنى بكتاب الحجاج قد أتاك يذكر فيه أنه لما بلغه بُرؤُك خرّ لله ساجدا واعتق كلّ مملوك له وبعث بقوارير من أنبج الهند فما لبث الا أياما حتى جاء الكتاب بما قال قال ثم لم يمت الحجاجُ حتى ثقل على الوليد فقال خادمٌ للوليد إنى لاوضّئ الوليد يوما للغداء فمدّ يده فجعلتُ أصبّ عليه الماء وهو ساهٍ والماء يسيل ولا أستطيع أن أتكلم ثم نضح الماء فى وجهى وقال أناعسٌ أنت ورفع رأسه الىّ وقال ماتدرى ما جاء الليلةَ قلت لا قال ويحك مات الحجاج فاسترجعتُ قال اسكتْ ما يُسَرّ مولاك أنّ في يده تفاحةً يشُمُّها قال علىٌّ وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون فى زمانه فانما يسأل بعضهم بعضا عن البناء والمصانع فولى سليمانُ فكان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يسأل بعضُهم بعضا عن التزويج والجوارى * فلما ولى عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل ما وِردُك الليلةَ وكم تحفظ من القرآن ومتى تختم ومتى ختمت وما تصوم من الشهر ورثى جرير الوليد فقال

يا عينِ جودِى بدمعٍ هاجَهُ الذكرُ * فما لدمعِكَ بعدَ اليومِ مُدَّخَرُ
إنّ الخليفةَ قد وارَتْ شمائلَهُ * غبراءُ مُلحَدَةٌ في جولها زَوَرُ
أضحى بَنوهُ وقد جلتْ مُصيبتُهُم * مثلَ النجومِ هوَى من بينها القمرُ
كانوا جميعا فلم يَدفعْ منيّتَهُ * عبدُ العزيزِ ولا روحٌ ولا عُمَرُ

حدثنى عمر قال حدثنا علىّ قال حجّ الوليد بن عبد الملك وحجّ محمد بن يوسف من اليمن وحمل هدايا للوليد فقالت أمّ البنين للوليد يا أمير المؤمنين اجعل لى هديّة محمد بن يوسف فأمر بصرفها اليها فجاءت رسل أمّ البنين الى محمد فيها فأبى وقال حتى ينظر اليها أميرُ المؤمنين فيرى رأيه وكانت هدايا كثيرةً فقالت يا أمير المؤمنين انك أمرت بهدايا محمد أن تُصرف الىّ ولا حاجةَ لى بها قال ولِم قالت بلغنى أنه غصبها الناس وكلفهم عملها وظلمهم وحمل محمدٌ المتاع الى الوليد فقال بلغنى انك أصبتها غصبا قال معاذ الله فأمر فاستُحلف بين الركن والمقام خمسين يمينا بالله ما غصب شيأ منها ولا ظلم أحدا ولا أصابها الا من طيّب فحلف فقبلها

الوليدُ ودفعها الى أم البنين فمات محمد بن يوسف باليمن أصابه داء تقطع منه ﴿وفى هذه السنة﴾ كان الوليد أراد الشخوص الى أخيه سليمان لخلعه وأراد البيعة لابنه من بعده وذلك قبل مرضته التي مات فيها ﴿حدثني﴾ عمر قال حدثنا على قال كان الوليد وسليمان وَلِيَّى عهد عبد الملك فلما أفضى الامر الى الوليد أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان فأبى سليمانُ فأراده على أن يجعله له من بعده فأبى فعرض عليه أموالا كثيرة فأبى فكتب الى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز ودعا الناس الى ذلك فلم يجبه أحدٌ الا الحجاجَ وقتيبة وخواصٌ من الناس فقال عباد بن زياد ان الناس لا يُجيبونك الى هذا ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابنك فاكتب الى سليمان فليقدم عليك فإن لك عليه طاعة فأرِدْه على البيعة لعبد العزيز من بعده فانه لا يقدر على الامتناع وهو عندك فان أبى كان الناس عليه فكتب الوليد الى سليمان يأمره بالقدوم فأبطأ فاعتزم الوليد على المسير اليه وعلى أن يخلعه فأمر الناس بالتأهب وأمر بحُجَره فأخرجت فمرض ومات قبل أن يسير وهو يريد ذلك قال عمر قال على وأخبرنا أبو عاصم الزيادى عن الهلواث الكلبى قال كنا بالهند مع محمد بن القاسم فقتل الله داهرًا وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان فلما ولى سليمان جاءنا كتاب سليمان أن ازرعوا واحرثوا فلا شأم لكم فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمرُ بن عبد العزيز فأقفلنا قال عمر قال على أراد الوليد أن يبنى مسجد دمشق وكانت فيه كنيسةٌ فقال الوليد لاصحابه أقسمت عليكم لمَّا أتانى كلُّ رجل منكم بلبنةٍ فجعل كلُّ رجل يأتيه بلبنة ورجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين فقال له ممن أنت قال من أهل العراق قال يا أهل العراق تفرطون في كل شئ حتى في الطاعة وهدموا الكنيسة وبناها مسجدا فلما ولى عمرُ بن عبد العزيز شكوا ذلك اليه فقيل إن كلَّ ما كان خارجا من المدينة افتتح عنوةً فقال لهم عمر نردّ عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فإنها فتحت عنوة ونبنيها مسجدا فلما قال لهم ذلك قالوا بل ندع لكم هذا الذى هدمه الوليد ودعوا لنا كنيسة توما ففعل عمر ذلك ﴿وفى هذه السنة﴾ افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر وغزا الصين

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

﴿رجع الحديث﴾ الى حديث على بن محمد بالإسناد الذى ذكرتُ قبلُ قال ثم غزا قتيبة فى سنة ٩٦ وحمل مع الناس عيالهم وهو يريد أن يحرز عياله فى سمرقند خوفا من سليمان فلما عبر النهر استعمل رجلا من مواليه يقال له الخوارزمى على مقطع النهر وقال لا يجوزنّ أحدٌ الا بجواز ومضى الى فرغانة وأرسل الى شعب عصام مَن يسهّل له الطريق الى كاشغر وهى أدنى مدائن الصين فأتاه موتُ الوليد وهو بفرغانة قال فأخبرنا أبو الذيّال عن المهلب ابن اياس قال قال اياس بن زهير لما عبر قتيبة النهر أتيتُه فقلت له انك خرجت ولم أعلم

رأيك في العيال فنأخذ أهبة ذلك وبنيّ الا كابر معي ولي عيال قد خلفتهم وأمّ عجوز وليس عندهم من يقوم بأمرهم فان رأيت أن تكتب لي كتابا مع بعض بنيّ أو وجّهه فيقدم عليّ بأهلي فكتب فأعطاني الكتاب فانتهيت الى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخر فألويت بيدي فجاء قوم في سفينة فقالوا من أنت وأين جوازك فأخبرتهم فقعد معي قومٌ وردّ قومٌ السفينة الى العامل فأخبروه قال ثم رجعوا اليّ فحملوني فانتهيت اليهم وهم يأكلون وأنا جائع فرميت بنفسي فسألني عن الامر وأنا آكل لا أجيبه فقال هذا أعرابيّ قد مات من الجوع ثم ركبتُ فمضيت فأتيت مرو فحملت أمي ورجعت أريد العسكر وجاءنا موت الوليد فانصرفت الى مرو قال وأخبرنا أبو مخنف عن أبيه قال بعث قتيبة كثير بن فلان الى كاشغر فسبى منها سبيا فختم أعناقهم مما أفاء الله على قتيبة ثم رجع قتيبة وجاءهم موت الوليد قال وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمدانيّ عن أشياخ من أهل خراسان والحكم بن عثمان قال حدّثني شيخ من أهل خراسان قال وغل قتيبة حتى قرب من الصين قال فكتب اليه ملك الصين أن ابعث الينا رجلا من أشراف من معكم يخبرنا عنكم ونسائله عن دينكم فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلا وقال بعضهم عشرة من أفناء القبائل لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس بعد ما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه فكلمهم قتيبة وفاطنهم فرأى عقولا وجمالا فأمر لهم بعدّة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخزّ والوشي واللين من البياض والرقيق والنعال والعطر وحملهم على خيول مطهّمة تقادُ معهم ودوابّ يركبونها قال وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مفوّها بسيط اللسان فقال يا هبيرةُ كيف أنت صانع قال أصلح الله الامير قد كُفيت الادب وقل ما شئت أقلهُ وآخذ به قال سيروا على بركة الله وبالله التوفيق لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد فإذا دخلتم عليه فأعلموه اني قد حلفت أن لا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأختم ملوكهم وأجبي خراجهم قال فساروا وعليهم هبيرة بن المشمرج فلما قدموا أرسل اليهم ملك الصين يدعوهم فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل ثم مسّوا الغالية وتدخّنوا ولبسوا النعال والاردية ودخلوا عليه وعنده عظماء أهل مملكته فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحدٌ من جلسائه فنهضوا فقال الملك لمن حضره كيف رأيتم هؤلاء قالوا رأينا قوما ما هم الا نساء ما بقي منا أحد حين رآهم ووجد رائحتهم الا انتشر ما عنده قال فلما كان الغد أرسل اليهم فلبسوا الوشي وعمائم الخزّ والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا عليه قيل لهم ارجعوا فقال لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الاولى وهم أولئك فلما كان اليوم الثالث أرسل اليهم فشدّوا عليهم سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر وتقلدوا السيوف وأخذوا الرماح وتنكبوا القسيّ وركبوا خيولهم وغدوا فنظر

اليهم

اليهم صاحب الصين فرأى أمثال الجبال مُقبلةً فلما دنوا ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوهم مشمّرين فقيل لهم قبل أن يدخلوا ارجعوا لما دخل قلوبهم من خوفهم قال فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم دفعوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها فقال الملك لأصحابه كيف ترونهم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء قطّ فلما أمسى أرسل اليهم الملك أن ابعثوا الىّ زعيمكم وأفضلكم رجلا فبعثوا اليه هبيرةَ فقال له حين دخل عليه قد رأيتم عظيم ملكى وانه ليس أحدٌ يمنعكم منى وأنتم في بلادى وانما أنتم بمنزلة البَيضة في كفّى وأنا سائلك عن أمر فان لم تصدقنى قتلتكم قال سلْ قال لِمَ صنعتم ما صنعتم من الزىّ فى اليوم الأوّل والثانى والثالث قال أما زيُّنا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم وأما يومنا الثانى فاذا أتينا أمراءنا وأما اليوم الثالث فزيُّنا لعدوّنا فاذا هاجنا هيجٌ وفزعٌ كنا هكذا قال ما أحسن ما دبّرتم دهركم فانصرفوا الى صاحبكم فقولوا له ينصرف فانى قد عرفت حرصه وقلة أصحابه والا بعثتُ عليكم من يُهلككم ويهلكه قال له كيف يكون قليلَ الأصحاب مَنْ أولُ خيله فى بلادك وآخرُها فى منابت الزيتون وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك وأما تخويفك ايانا بالقتل فإنّ لنا آجالا اذا حضرت فأكرمها القتلُ فلسنا نكرهه ولا نخافه قال فما الذى يرضى صاحبك قال انه قد حلف أن لا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ويُعطى الجزيةَ قال فانا نخرجه من يمينه نبعث اليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها قال فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحرير وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجازهم فأحسن جوائزهم فساروا فقدموا بما بعث به فقبل قتيبةُ الجزية وختم الغِلمة وردّهم ووطىء التراب فقال سوادةُ بن عبد الله السلولىّ

لا عَيبَ في الوفدِ الذينَ بَعثتَهُمْ * للصّينِ إنْ سَلكوا طريقَ المَنهجِ
كسرُوا الجفونَ على القذى خوفَ الرَّدَى * حاشى الكريمَ هبيرةَ بنِ مُشمرَجِ
لم يَرضَ غيرَ الختمِ في أعناقِهم * ورَهائنٍ دُفعتْ بحمْلِ سَمرَّجِ
أدَّى رسالتَكَ التى استرْعيتَهُ * وأتاكَ مِنْ حنثِ اليمينِ بمخرجِ

قال فأوفد قتيبةُ هبيرةَ الى الوليد فمات بقرية من فارس فرثاه سوادة فقال

للّه قبرُ هبيرة بن مُشمرجٍ * ماذا تضمَّنَ من ندًى وجمالِ
وبديهةٍ يَعيا بها أبناؤُها * عند احتفال مشاهد الأقوالِ
كان الربيعَ اذا السّنون تتابعتْ * والليثَ عندَ تكعكُعِ الأبطالِ
فسقتْ بقرية حيثُ أمسى قبرُه * غُرٌّ يرُحْنَ بمُسبلٍ هطّالِ
بكتِ الجيادُ الصافناتُ لفقده * وبكاه كلُّ مُثقّفٍ عسّالِ

وبكته شعث لم يجدن مؤاسيا * في العام ذي السنوات والإمحال

قال وقال الباهليون كان قتيبة اذا رجع من غزاته كل سنة اشترى اثنى عشر فرسا من جياد الخيل واثنى عشر هجينا لا يجاوز بالفرس أربعة آلاف فيقام عليها الى وقت الغزو فاذا تأهب للغزو وعسكر قيدت وأضمرت فلا يقطع نهرا بخيل حتى تخف لحومها فيحمل عليها من يحمله في الطلائع وكان يبعث في الطلائع الفرسان من الأشراف ويبعث معهم رجالا من العجم ممن يستنصح على تلك الهجن وكان اذا بعث بطليعة أمر بلوح فنقش ثم يشقه شقتين فأعطاه شقة واحتبس شقة لئلا يمثل مثلها ويأمره أن يدفنها فى موضع يصفه له من مخاضة معروفة أو تحت شجرة معلومة أوخربة ثم يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادق طليعته أم لا وقال ثابت قطنة العتكى يذكر من قتل من ملوك الترك

أقر العين مقتل كازرنك * وكشبيز ومالاقى بياذ

وقال الكميت يذكر غزوة السغد وخوارزم

وبعد في غزوة كانت مباركة * تردى زراعة أقوام وتحتصد
نالت غمامتها فيلا بوابلها * والسغد حين دنا شؤبوبها البرد
اذ لايزال له نهب ينفله * من المقاسم لاوخش ولا نكد
تلك الفتوح التى تدلى بحجتها * على الخليفة أنا معشر حشد
لم تثن وجهك عن قوم غزوتهم * حتى يقال لهم بعدا وقد بعدوا
لم ترض من حصنهم ان كان ممتنعا * حتى يكبر فيه الواحد الصمد

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك ﴾

﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفى هذه السنة بويع سليمان بن عبد الملك بالخلافة وذلك فى اليوم الذى توفى فيه الوليد بن عبد الملك وهو بالرملة ﴿ وفيها ﴾ عزل سليمان بن عبد الملك عثمان بن حيان عن المدينة ذكر محمد بن عمر انه نزعه عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٩٦ قال وكان عمله على المدينة ثلاث سنين وقيل كانت إمرته عليها سنتين غير سبعة ليال قال الواقدى وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قد استأذن عثمان أن ينام فى غد ولا يجلس للناس ليقوم ليلة احدى وعشرين فأذن له وكان أيوب بن سلمة المخزومى عنده وكان الذى بين أيوب بن سلمة وبين أبى بكر بن عمرو بن حزم سيئا فقال أيوب لعثمان ألم ترالى مايقول هذا انما هذا منه رئاء فقال عثمان قد رأيت ذلك ولست لأبى إن أرسلت اليه غدوة ولم أجده جالسا لأجلدنه مائة ولأحلقن رأسه ولحيته قال أيوب فجاءنى أمر أحببته فعجلت من السحر فاذا شمعة فى الدار فقلت عجل المرى فاذا رسول سليمان قد قدم على أبى بكر بتأميره وعزل عثمان وحده قال أيوب فدخلت دار الامارة

فاذا

فإذا ابن حيان جالس وإذا بأبي بكر على كرسي يقول للحداد اضرب في رجل هذا الحديد ونظر الى عثمان فقال

آبواعلي أدبارهم كشفا * والأمر يحدث بعده الأمر

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل سليمان يزيد بن أبي مسلم عن العراق وأمر عليه يزيد بن المهلب وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره أن يقتل آل أبي عقيل ويبسط عليهم العذاب ﴿فحدثني﴾ عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد قال قدم صالح العراق على الخراج ويزيد على الحرب فبعث يزيد زياد بن المهلب على عمان وقال له كاتب صالح اذا كتبت اليه فابدأ باسمه وأخذ صالح آل أبي عقيل فكان يعذبهم وكان يلي عذابهم عبد الملك بن المهلب ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل قتيبة بن مسلم بخراسان

﴿ذكر الخبر عن سبب مقتله﴾

وكان سبب ذلك ان الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنه عبد العزيز بن الوليد ولي عهده ودس في ذلك الى القواد والشعراء فقال جرير في ذلك

اذا قيل أي الناس خير خليفة * أشارت الى عبد العزيز الاصابع

رأوه أحق الناس كلهم بها * وما ظلموا فبايعوه وسارعوا

وقال أيضا جرير يحض الوليد على بيعة عبد العزيز

الى عبد العزيز سمت عيون الرّ * عية اذ تحيّرت الرّعاء

اليه دعت دواعيه إذا ما * عماد الملك خرّت والسّماء

وقال أولوا الحكومة من قريش * علينا البيع ان بلغ الغلاء

رأوا عبد العزيز ولي عهد * وماظلموا بذاك ولا أساؤا

فما ذا تنظرون بها وفيكم * جسور بالعظائم واعتلاء

فزحلفها بأزملها اليه * أمير المؤمنين اذا تشاء

فإنّ الناس قد مدّوا اليه * أكفّهم وقد برح الخفاء

ولو قد بايعوك ولي عهد * لقام الوزن واعتدل البناء

فبايعه على خلع سليمان الحجاج بن يوسف وقتيبة ثم هلك الوليد وقام سليمان بن عبد الملك فخافه قتيبة قال علي ابن محمد أخبرنا بشر بن عيسى والحسن بن رشيد وكليب بن خلف عن طفيل بن مرداس وجبلة بن فروخ عن محمد بن عزيز الكندي وجبلة بن أبي داود ومسلمة بن محارب عن السكن بن قتادة ان قتيبة لما أتاه موت الوليد بن عبد الملك وقيام سليمان أشفق من سليمان لانه كان يسعى في بيعة عبد العزيز بن الوليد مع الحجاج وخاف أن يولي سليمان يزيد بن المهلب خراسان قال فكتب اليه كتابا يهنئه بالخلافة ويعزيه على

الوليد ويعلمه بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأنه له على مثل ما كان لهما عليه من الطاعة
والنصيحة ان لم يعزله عن خراسان وكتب اليه كتابا آخر يعلمه فيه فتوحه ونكايته وعظم
قدره عند ملوك العجم وهيبته في صدورهم وعظم صوته فيهم ويذم المهلب وآل المهلب
ويحلف بالله لئن استعمل يزيد على خراسان ليخلعنه وكتب كتابا ثالثا فيه خلعه وبعث
بالكتب الثلاثة مع رجل من باهلة وقال له ادفع اليه هذا الكتاب فان كان يزيد بن
المهلب حاضرا فقرأه ثم ألقاه اليه فادفع اليه هذا الكتاب فإن قرأه وألقاه الى يزيد فادفع
اليه هذا الكتاب فإن قرأ الاول ولم يدفعه الى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين قال
فقدم رسول قتيبة فدخل على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فدفع اليه الكتاب فقرأه ثم
ألقاه الى يزيد فدفع اليه كتابا آخر فقرأه ثم رمى به الى يزيد فأعطاه الكتاب الثالث فقرأه
فتمعّر لونه ثم دعا بطين فختمه ثم أمسكه بيده وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فانه قال فيما
حُدّثت عنه كان في الكتاب الاوّل وقيعة في يزيد بن المهلب وذكر غدره وكفره وقلة
شكره وكان في الثاني ثناء على يزيد وفي الثالث لئن لم تُقرّني على ما كنتُ عليه وتؤمنني
لاخلعنك خلع النعل ولأملأنّها عليك خيلا ورجالا وقال أيضا لما قرأ سليمان الكتاب
الثالث وضعه بين مثالين من المُثل التي تحته ولم يُحِر في ذلك مرجوعا ﴿رجع الحديث﴾ الى
حديث علي بن محمد قال ثم أمر يعني سليمان برسول قتيبة أن يُنزل تُحُوّل الى دار الضيافة
فلما أمسى دعا به سليمانُ فأعطاه صُرّةً فيها دنانير فقال هذه جائزتك وهذا عهد صاحبك
على خراسان فسر وهذا رسولي معك بعهده قال فخرج الباهليّ وبعث معه سليمانُ
رجلا من عبد القيس ثم أحد بني ليث يقال له صعصعة أو مصعب فلما كان بحلوان تلقاهم
الناس بخلع قتيبة فرجع العبديّ ودفع العهد الى رسول قتيبة وقد خلع واضطرب الامرُ
فدفع اليه عهده فاستشار اخوته فقالوا لا يثق بك سليمانُ بعد هذا (قال عليّ) وحدّثني بعض
العنبريين عن أشياخ منهم أن توبة بن أبي أسيد العنبري قال قدم صالح العراق فوجهني
الى قتيبة ليطلعني طلع ما في يديه فصحبني رجل من بني أسد فسألني عما خرجت فيه فكاتمته
أمري فإنا لنسير اذ سنح لنا سانح فنظر الى رفيقي فقال أراك في أمر جسيم وأنت تكتمني
فمضيتُ فلما كنت بحلوان تلقاني الناس بقتل قتيبة * قال عليّ وذكر أبو الذيال وكليب
ابن خلف وأبو علي الجوزجاني عن طفيل بن مرداس وأبو الحسن الجشمي ومصعب بن
حبان عن أخيه مقاتل بن حبان وأبو مخنف وغيرهم ان قتيبة لما هم بالخلع استشار اخوته
فقال له عبد الرحمن اقطع بعثا فوجّه فيه كل من تخافه ووجه قوما الى مرو وسر حتى تنزل
سمرقند ثم قل لمن معك من أحبّ المقام فله المواساة ومن أراد الانصراف فغير مستكره
ولا متبوع بسوء فلا يقيم معك الا مناصح وقال له عبد الله اخلعه مكانك وادع الناس الى

خلعه فليس يختلف عليك رجلان فأخذ برأى عبد الله فخلع سليمان ودعا الناس الى خلعه فقال للناس انى قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضممت الأخ الى أخيه والولد الى أبيه وقسمت بينكم فيأكم وأجريت عليكم اعطياتكم غير مكدرة ولا مؤخرة وقد جربتم الوُلاة قبلى أتاكم أمية فكتب الى أمير المؤمنين ان خراج خراسان لا يقيم بمطبخى ثم جاءكم أبو سعيد فدوّم بكم ثلاث سنين لا تدرون أفي طاعة أنتم أم فى معصية لم يجب فيئا ولم ينكأ عدوا ثم جاءكم بنوه بعده يزيد فحل تبارى اليه النساء وانما خليفتكم يزيد بن ثروان هَبَنَّقَةُ القيسى قال فلم يجبه أحد فغضب فقال لا أعز الله من نصرتم والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنه يا أهل السافلة ولا أقول أهل العالية يا أوباش الصدقة جمعتكم كما تجمع ابل الصدقة من كل أوب يا معشر بكر بن وائل يا أهل النفخ والكذب والبخل بأىّ يوميكم تفخرون بيوم حربكم أم بيوم سلمكم فوالله لأنا أعزّ منكم يا أصحاب مُسيلمة يا بنى ذميم ولا أقول تميم يا أهل الخَوَر والقصف والغدر كنتم تسمّون الغدر فى الجاهلية كيسان يا أصحاب سَجاح يا معشر عبد القيس القساة تبدّلتم بأبر النخل أعنة الخيل يا معشر الأزد تبدّلتم بقلوس السفن أعنة الخيل الحصن ان هذا البدعة في الإسلام والاعراب وما الاعراب لعنة الله على الاعراب يا كناسة المصرين جمعتكم من منابت الشيح والقيصوم ومنابت الفلفل تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان حتى اذا جمعتكم كما تجمع قرع الخريف قلتم كيت وكيت أما والله انى لابن أبيه وأخو أخيه أما والله لأعصبنكم عصب السلمة ان حول الصليان الزمزمة يا أهل خراسان هل تدرون من وليكم وليكم يزيد بن ثروان كأنى بأمير من جاء وحكم قد جاءكم فغلبكم على فيئكم واظلالكم ان ههنا نارا ارموها ارم معكم ارموا غرضكم الاقصى قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات ان الشأم أب مبرور وان العراق أب مكفور حتى متى يتبطح أهل الشأم بأفنيتكم وظلال دياركم يا أهل خراسان انسبونى تجدونى عراقىّ الامّ عراقىّ الاب عراقىّ المولد عراقىّ الهوى والرأى والدين وقد أصبحتم اليوم فيما ترون من الامن والعافية قد فتح الله لكم البلاد وآمن سبلكم فالظعينة تخرج من مرو الى بلخ بغير جواز فاحمدوا الله على النعمة وسلوه الشكر والمزيد قال ثم نزل فدخل منزله فأتاه أهل بيته فقالوا ما رأينا كاليوم قط والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك ودثارك حتى تناولت بكرا وهم أنصارك ثم لم ترض بذلك حتى تناولت تميما وهم اخوتك ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الازد وهم يدك فقال لما تكلمت فلم يجبنى أحد غضبت فلم أدر ما قلت إنّ أهل العالية كابل الصدقة قد جمعت من كل أوب وأما بكر فإنها أمة لا تمنع يد لامس وأما تميم فجمل أجرب وأما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه وأما الأزد فأعلاج شرار من خلق الله لو ملكت أمرهم لوسمتهم قال فغضب الناس

وكرهوا خلع سليمان وغضبت القبائل من شتم قتيبة فأجمعوا على خلافه وخلعه وكان أوّل من تكلم فى ذلك الازد فأتوا حضين بن المنذر فقالوا ان هذا قد دعا الى ما دعا اليه من خلع الخليفة وفيه فساد الدين والدنيا ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا فما ترى يا أبا حفص وكان يكتنى في الحرب بأبى ساسان ويقال كنيته أبو محمد فقال لهم حضين مُضَر بخراسان تعدل هذه الثلاثة الاخماس وتميم أكثر الخمسين وهم فرسان خراسان ولا يرضون أن يصير الامر فى غير مُضَر فان أخرجتموهم من الامر أعانوا قتيبة قالوا انه قد وتر بنى تميم بقتل ابن الاهتم قال لا تنظروا الى هذا فانهم يتعصبون للمُضَريّة فانصرفوا رادين لرأى حُضين فارادوا أن يولّوا عبد الله بن حوذان الجهضمىّ فأبى وتدافعوها فرجعوا الى حُضين فقالوا قد تدافعنا الرياسة فنحن نوليك أمرنا وربيعة لا تخالفك قال لا ناقة لى فى هذا ولا جمل قالوا ما ترى قال ان جعلتم هذه الرياسة في تميم تمّ أمركم قالوا فمن ترى من تميم قال ما أرى أحدا غير وكيع فقال حيّان مولى بنى شيبان ان أحدا لا يتقلد هذا الامر فيصلى بحرّه ويبذل دمه ويتعرض للقتل فان قدم أميرا أخذه بما جنى وكان المهنأ لغيره الا هذا الأعرابىّ وكيع فانه مقدام لا يبالى ما ركب ولا ينظر في عاقبة وله عشيرة كثيرة تطيعه وهو موتور يطلب قتيبة برياسته التى صرفها عنه وصيرها الضرار بن حُصين بن زيد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبىّ فمشى الناس بعضهم الى بعض سرًّا وقيل لقتيبة ليس يُفسد أمر الناس الا حيّان فاراد أن يغتاله وكان حيّان يلاطف حشم الولاة فلا يخفون عنه شيأ قال فدعا قتيبة رجلا فامره بقتل حيان وسمعه بعض الخدم فأتى حيّان فاخبره فارسل اليه يدعوه فحذر وتمارض وأتى الناس وكيعا فسألوه أن يقوم بامرهم فقال نعم وتمثل قول الاشهب بن رُميلة

سأجنى ما جنيت وانّ ركنى * لمعتمدٌ الى نضد ركين

قال وبخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف وبكر سبعة آلاف رئيسهم الحضين بن المنذر وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الضبىّ وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان عوذى والازد عشرة آلاف رأسهم عبد الله ابن حوذان ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر أو عبيد الله بن علىّ والموالى سبعة آلاف عليهم حيان وحيان يقال انه من الديلم ويقال انه من خراسان وانما قيل له نبطى للُكنته فارسل حيان الى وكيع أرأيت ان كففت عنك وأعنتك تجعل لى جانب نهر بلخ خراجه ما دمت حيا وما دمت واليا قال نعم فقال للعجم هؤلاء يقاتلون على غير دين فدعوهم يقتل بعضهم بعضا قالوا نعم فبايعوا وكيعا سرا فأتى ضرار بن حصين قتيبة فقال ان الناس يختلفون الى وكيع وهم يبايعونه وكان وكيع يأتى منزل عبد الله بن مسلم الفقير فيشرب عنده فقال عبد الله هذا يحسد وكيعا وهذا الامر باطل هذا وكيع في بيتى يشرب ويسكر ويسلح فى

ثيابه

ثيابه وهذا يزعم انهم يبايعونه قال وجاء وكيع الى قتيبة فقال احذر ضرارا فانى لا آمنه عليك فانزل قتيبة ذلك منهما على التحاسد وتمارض وكيع ثم ان قتيبة دس ضرار بن سنان الضبى الى وكيع فبايعه سرا فتبين لقتيبة ان الناس يبايعونه فقال لضرار قد كنت صدقتنى قال انى لم أخبرك الا بعلم فانزلت ذلك منى على الحسد وقد قضيت الذى كان على قال صدقت وأرسل قتيبة الى وكيع يدعوه فوجده رسول قتيبة قد طلى على رجله مغرة وعلى ساقه خرزا وودعا وعنده رجلان من زهران يرقيان رجله فقال له أجب الامير قال قد ترى ما برجلى فرجع الرسول الى قتيبة فاعاده اليه قال يقول لك ائتنى محمولا على سرير قال لا أستطيع قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلى أحد بنى وائل وكان على شرطته ورجل من غنى انطلقا الى وكيع فاتيانى به فان أبى فاضربا عنقه ووجه معهما خيلا ويقال كان على شرطه بخراسان ورقاء بن نصر الباهلى * قال على قال أبو الذيال قال ثمامة بن ناجذ العدوى أرسل قتيبة الى وكيع من يأتيه به فقلت أنا آتيك به أصلحك الله فقال ائتنى به فاتيت وكيعا وقد سبق اليه الخبر ان الخيل تأتيه فلما رآنى قال يا ثمامة ناد فى الناس فناديت فكان أول من أتاه هريم بن أبى طحمة فى ثمانية قال وقال الحسن بن رشيد الجوزجانى أرسل قتيبة الى وكيع فقال هريم أنا آتيك به قال فانطلق قال هريم فركبت برذونى مخافة أن يردنى فاتيت وكيعا وقد خرج قال وقال كليب بن خلف أرسل قتيبة الى وكيع شعبة بن ظهير أحد بنى صخر بن نهشل فاتاه فقال يا ابن ظهير لبث قليلا تلحق الكتائب ثم دعا بسكين فقطع خرزا كان على رجليه ثم لبس سلاحه وتمثل

شدوا على سرتى لا تنقلف * يوم لهمدان ويوم للصدف

وخرج وحده ونظر اليه نسوة فقلن أبو مطرف وحده فجاء هريم بن أبى طحمة فى ثمانية فيهم عميرة بن البريد بن ربيعة العجيفى قال حمزة بن ابراهيم وغيره ان وكيعا خرج فتلقاه رجل فقال ممن أنت قال من بنى أسد قال ما اسمك قال ضرغامة قال ابن من قال ابن ليث قال دونك هذه الراية قال المفضل بن محمد الضبى ودفع وكيع رايته الى عقبة بن شهاب المازنى قال ثم رجع الى حديثهم قالوا فخرج وكيع وأمر غلمانه فقال اذهبوا بثقلى الى بنى العم فقالوا لا نعرف موضعهم قال انظروا رمحين مجموعين أحدهما فوق الآخر فوقهما مخلاة فهم بنو العم قال وكان فى العسكر منهم خمسمائة قال فنادى وكيع فى الناس فاقبلوا أرسالا من كل وجه فاقبل فى الناس يقول

قرم اذا حمل مكروهة * شد الشراسيف لها والحزيم

وقال قوم تمثل وكيع حين خرج

انحن بلقمان بن عاد فجنسه * أرينى سلاحى لن يطير وابا عزل

واجتمع الى قتيبة أهل بيته وخواص من أصحابه وثقاته فيهم اياس بن بيهس بن عمرو ابن عم

قتيبة دنيا وعبد الله بن وألان العدوى وناس من رهطة بنى وائل وأتاه حيان بن اياس العدوى
في عشرة فيهم عبد العزيز بن الحارث قال وأتاه ميسرة الجدلى وكان شجاعا فقال ان شئت
أتيتك برأس وكيع فقال قف مكانك وأمر قتيبة رجلا فقال ناد في الناس أين بنو عامر
فنادى أين بنو عامر فقال محفن بن جزء الكلابى وقد كان جفاهم حيثُ وَضَعْتَهُمْ قال ناد
أذكركم الله والرحم فنادى محفن أنت قطعتها قال ناد لكم العُتبى فناداه محفن أو غيره لا أقالنا
الله اذاً فقال قتيبة

يا نفسُ صبراً على ما كان من ألم * اذ لم أجد لفضول القوم اقرانا

ودعا بعمامة كانت أمُّه بعثت بها اليه فاعتم بها كان يعتم بها فى الشدائد ودعا ببرذون له مدرّب
كان يتطيّر اليه في الزحوف فقرِّب اليه ليركبه فجعل يقمص حتى أعياه فلما رأى ذلك عاد الى
سريره فقعد عليه وقال دعوه فان هذا أمرٌ يُراد وجاء حَيّان النبطى في العجم فوقف وقتيبة
واجد عليه فوقف معه عبد الله بن مُسلم فقال عبد الله لحيَّان احمل على هذين الطرفين قال لم
يَأن لذلك فغضب عبد الله وقال ناولنى قوسى قال حيان ليس هذا يوم قوس فارسل وكيع الى
حيان أين ما وعدتنى فقال حيان لابنه اذا رأيتنى قد حوّلت قلنسوتى ومضيت نحو عسكر
وكيع فمِلْ بمن معك من العجم الىّ فوقف ابن حيان مع العجم فلما حوّل حيان قلنسوته
مالت الاعجام الى عسكر وكيع فكبَّر أصحابه وبعث قتيبة أخاه صالحا الى الناس فرماه رجل
من بنى ضَبّة يقال له سليمان الزنجبيرج وهو الخرنوب ويقال بل رماه رجل من بلعم فاصاب
هامته فحُمل الى قتيبة ورأسه مائل فوُضع في مصلاه فتحول قتيبة فجلس عنده ساعة ثم تحول
الى سريره * قال وقال أبو السرى الازدى رمى صالحا رجلٌ من بنى ضبة فاثقله وطعنه زياد بن
عبد الرحمن الازدى من بنى شريك بن مالك * قال وقال أبو مخنف حمل رجل من غنيٍّ على
الناس فرأى رجلاً مجفّفا فشبهه بجهم بن زحر بن قيس فطعنه وقال

انَّ غنياً أهلُ عزٍّ ومَصْدَق * اذا حاربوا والناس مُفْتَتِنُونا

فاذا الذى طعن علجٌ وتهايج الناس وأقبل عبد الرحمن بن مُسلم نحوهم فرماه أهل السوق
والغوغاء فقتلوه وأحرق الناس موضعا كانت فيه ابلٌ لقتيبة ودوابّه ودنوا منه فقاتل عنه
رجل من باهلة من بنى وائل فقال له قتيبة انجُ بنفسك فقال له بئس ما جزيتك اذاً وقد
أطعمتنى الجردق وألبستنى النرمق قال فدعا قتيبة بدابة فاتى ببرذون فلم يقر ليركبه فقال ان
له لشأنا فلم يركبه وجلس وجاء الناس حتى بلغوا الفسطاط فخرج اياس بن بَيْهس وعبد الله
ابن وألان حين بلغ الناس الفسطاط وتركا قتيبة وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه
عَمْراً أو عُمَر فلقيه الطائى فحذره ووجد ابنه فاردفه قال وفطن قتيبة للهيثم بن المنخل وكان ممن
يعين عليه فقال

اعلمه

أُعلّمهُ الرِّمَايَة كلّ يَوْمٍ * فلمَّا اشتد ساعِدُهُ رَمَانِى

قال وقتل معه اخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم بنو مسلم وقتل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ونجا أخوه ضرار استنقذه اخواله وأمه غراء بنت ضرار ابن القعقاع بن معبد بن زرارة وقال قوم قتل عبد الكريم بن مسلم بقزوين وقال أبو عبيدة قال أبو مالك قتلوا قتيبة سنة ٩٦ وقتل من بنى مسلم احد عشر رجلا فصلبهم وكيع سبعة منهم لصُلب مسلم وأربعةٌ من بنى أبنائهم قتيبةُ وعبد الرحمن وعبد الله الفقير وعبيد الله وصالح وبَشَّار ومحمَّدٌ بَنُو مسلم وكثير بن قتيبة ومغلس بن عبد الرحمن ولم ينج من صُلب مسلم غير عمرو وكان عامل الجوزجان وضرار وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن مَعبد بن زُرَارة فجاء اخواله فدفعوه حتى نجوه ففى ذلك يقول الفرزدق

عَشيَّةَ ماوَدَّ ابنُ غُرَّاءَ أنه * له من سِوَانا اذ دعا أَبَوَانِ

وضرب اياس بن عمرو ابن أخى مسلم بن عمرو على تَرْقُوته فعاش قال ولما غشى القوم الفسطاط قطعوا أطنابه قال زهير فقال جهم بن زحر لسعد انزل فحُزّ رأسه وقد أثخن جراحا فقال أخاف أن تجول الخيل قال تخاف وأنا الى جنبك فنزل سعد فشق صوقعة الفسطاط فاحتز رأسه فقال حُضَيْن بن المنذر

وان ابنَ سَعد وابنَ زَحرٍ تَعَاوَرَا * بِسيْفَيْهما رأسَ الهُمَام المُتَوَّج
عَشيَّةَ جِئْنَا بابنِ زَحرٍ وجِئْتمُ * بادغمَ مَرقُومِ الذراعين دَيزَج
أصمَّ غُدَانِىٍّ كأنَّ جَبينَه * لطاخةُ نِقس فى أديمٍ مُمَجمَج

قال فلما قتل مسلمة يزيد بن المهلب استعمل على خراسان سَعيدَ خُذَينَةَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص فحبس عمّال يزيد وحبس فيهم جهم بن زحر الجُعفىَّ وعلى عذابه رجل من بَاهِلَةَ فقيل له هذا قاتل قتيبة فقتله فى العذاب فلامه سعيدٌ فقال أمرتنى أن أستخرج منه المال فعذبته فأتى على أَجله قال وسقطت على قتيبة يوم قتل جاريةٌ له خوارزمية فلما قتل خرجت فاخذها بعد ذلك يزيد بن المهلب فهى أم خُلَيْدَة قال علىٌّ قال حمزة بن ابراهيم وأبو اليقظان لما قتل قتيبة صعد عمارة بن جنية الرياحى المنبر فتكلم فاكثر فقال له وكيع دَعنا من قذرك وهذرك ثم تكلم وكيع فقال مَثَلى ومَثَلُ قتيبة كما قال الاول

من يَنِكِ العيرَ يَنِكْ نَيَّاكا

أراد قتيبة أن يقتلنى وأنا قتال

قد جرَّبونى ثم جربونى * من غلوتَيْن ومن المئين
حتى اذا شبْتُ وشيَّبونى * خلَّوْا عِنَانى وتنكَّبُونى

أنا أبو مطرف قال وأخبرنا أبو معاوية عن طلحة بن اياس قال قال وكيع يوم قتل قتيبة

أنا ابن خندف تنميني قبائلها * للصالحات وعمى قيس عيلانا

ثم أخذ بلحيته ثم قال

شيخ اذا حمل مكروهة * شد الشراسيف لها والحزيم

والله لأقتلن ثم لأقتلن ولأصلبن ثم لأصلبن انى والغ دما ان مرزبانكم هذا ابن الزانية قد أغلى عليكم أسعاركم والله ليصيرن القفيز فى السوق غدا باربعة أولأصلبنه صلوا على نبيكم ثم نزل قال على وأخبرنا المفضل بن محمد وشيخ من بنى تميم ومسلمة بن محارب قالوا طلب وكيع رأس قتيبة وخاتمه فقيل له ان الأزد أخذته فخرج وكيع وهو يقول دهدرين سعد القين

في أى يومى من الموت أفر * أيوم لم يقدر أم يوم قدر

لا خير فى احزم جياد القرع * في أى يوم لم أرع ولم أرع

والله الذى لا اله غيره لا أبرح حتى أوتى بالرأس أو يذهب برأسى مع رأس قتيبة وجاء بخشب فقال ان هذه الخيل لا بد لها من فرسان يتهدد بالصلب فقال له حضين يا أبا مطرف تؤتى به فاسكن وأتى حضين الازد فقال أحمق أنتم بايعناه وأعطيناه المقادة وعرض نفسه ثم تأخذون الرأس أخرجوه لعنه الله من رأس فجاؤا بالرأس فقالوا يا أبا مطرف ان هذا هو احتزه فاشكمه قال نعم فاعطاه ثلاثة آلاف وبعث بالرأس مع سليط بن عبد الكريم الحنفى ورجال من القبائل وعليهم سليط ولم يبعث من بنى تميم أحدا * قال قال أبو الذيال كان فيمن ذهب بالرأس أنيف بن حسان أحد بنى عدى (قال أبو مخنف) وفى وكيع لحيان النبطى بما كان أعطاه * قال قال خريم بن أبى يحيى عن أشياخ من قيس قالوا قال سليمان للهذيل بن زفر حين وضع رأس قتيبة ورؤس أهل بيته بين يديه هل ساءك هذا يا هذيل قال لو ساءنى ساء قوما كثيرا فكلمه خريم بن عمرو والقعقاع بن خليد فقالا ائذن فى دفن رؤسهم قال نعم وما أردت هذا كله قال على قال أبو عبد الله السلمى عن يزيد بن سويد قال قال رجل من عجم أهل خراسان يا معشر العرب قتلتم قتيبة والله لو كان قتيبة منا فمات فينا جعلناه فى تابوت فكنا نستفتح به اذا غزونا وما صنع أحد قط بخراسان ما صنع قتيبة الا انه قد غدر وذلك ان الحجاج كتب اليه أن اختلهم واقتلهم فى الله قال وقال الحسن بن رشيد قال الاصبهبذ لرجل يا معشر العرب قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيدا العرب قال فايهما كان أعظم عندكم وأهيب قال لو كان قتيبة بالمغرب باقصى جحر به فى الارض مكبلا بالحديد ويزيد معنا فى بلادنا وال علينا لكان قتيبة أهيب فى صدورنا وأعظم من يزيد قال على قال المفضل بن محمد الضبى جاء رجل الى قتيبة يوم قتل وهو جالس فقال اليوم يقتل ملك العرب وكان قتيبة عندهم ملك العرب فقال له اجلس قال وقال كليب بن خلف حدثنى رجل ممن كان مع وكيع حين قتل قتيبة قال أمر وكيع رجلا فنادى لا يسلبن قتيل فر ابن عبيد الهجرى على أبى الحجر الباهلى فسلبه فبلغ

وكيعاً فضرب عنقه قال أبو عبيدة قال عبد الله بن عمر من تيم اللات ركب وكيع ذات يوم فاتوه بسكران فامر به فقتل فقيل له ليس عليه القتل انما عليه الحد قال لا أعاقب بالسياط ولكني أعاقب بالسيف فقال نهار بن توسعة

وكنا نُبكّي من الباهليّ * فهذا الغُدانيّ شرٌّ وشرّ

(وقال أيضا)

ولما رأينا الباهليّ ابن مسلم * تجبر عمّمناه عضباً مُهنّدا

وقال الفرزدق يذكر وقعة وكيع

ومنّا الذي سل السيوف وشامها * عشية باب القصر من فرغانِ

عشيةَ لم تمنعْ بنيها قبيلة * بعزٍّ عراقيٍّ ولا بيمانِ

عشية ما ودّ ابن غرّاء أنه * له من سوانا اذ دعا أبوانِ

عشية لم تستر هوازنُ عامر * ولا غطفانٌ عورةَ ابنِ دُخانِ

عشيةَ ودَّ الناسُ انهم لنا * عبيدٌ اذا الجمعان يضطربانِ

رأوا جبلا يعلو الجبال اذا التقت * رؤس كبيريهنَّ ينتطحانِ

رجالٌ على الإسلام إذْ ما تجالدوا * على الدّينِ حتى شاعَ كلَّ مكانِ

وحتى دعا في سور كلِّ مدينةٍ * مُنادٍ ينادي فوقها بأذانِ

فيُجزى وكيعٌ بالجماعة إذ دعا * اليها بسيفٍ صارمٍ وبنانِ

جزاءً بأعمال الرجال كما جرى * ببدرٍ وباليرموك فيءُ جنانِ

وقال الفرزدق في ذلك أيضا

أتاني ورَحلي بالمدينةِ وقعةٌ * لآلِ تميم أقعدت كلَّ قائم

وقال عليّ أخبرنا خريم بن أبي يحيى عن بعض عمومته قال أخبرني شيوخ من غسان قالوا إنا لبثنيّة العُقاب اذ نحن برجل يشبه الفُيُوج معه عصا وجراب قلنا من أين أقبلت قال من خراسان قلنا فهل كان بها من خبر قال نعم قُتل قتيبةُ بن مسلم أمس فتعجّبنا لقوله فلما رأى انكارنا ذلك قال أين ترونني الليلةَ من افريقية ومضى واتبعناه على خيولنا فاذا شيءٌ يسبق الطرف وقال الطرمّاح

لولا فوارسُ مذحجٍ ابنة مذحجٍ * والازدُ زُعزعَ واستُبيحَ العسكرُ

وتقطعت بهم البلادُ ولم يؤُبْ * منهم الى أهل العراق مُخبرُ

واستضلعتْ عُقدَ الجماعة وازدرى * أمرَ الخليفةِ واستحلَّ المنكرُ

قومٌ هُم قتلوا قتيبةَ عنوةً * والخيلُ جانحةٌ عليها العثيرُ

بالمرج مرج الصين حيث تبينت * مضر العراق من الأعز الأكبر
إذ حالفت جزعا ربيعة كلها * وتفرقت مضر ومن يتمضر
وتقدمت أزد العراق ومذحج * للموت يجمعها أبوها الأكبر
قحطان تضرب رأس كل مدجج * تحمى بصائرهن اذ لا تبصر
والأزد تعلم ان تحت لوائها * ملكا قراسية وموت أحمر
فبعزنا نصر النبى محمد * وبنا تثبت فى دمشق المنبر

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلى

كأن أبا حفص قتيبة لم يسر * بجيش الى جيش ولم يعل منبرا
ولم تخفق الرايات والقوم حوله * وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربه * وراح الى الجنات عفا مطهرا
فما رزئ الإسلام بعد محمد * بمثل أبى حفص فبكيه عبهرا

يعنى أم ولد له وقال الأصم بن الحجاج يرثى قتيبة

ألم يأن للأحياء أن يعرفوا لنا * بلى نحن أولى الناس بالمجد والفخر
نقود تميما والموالى ومذحجا * وأزد وعبد القيس والحى من بكر
نقتل من شئنا بعزة ملكنا * ونجبر من شئنا على الخسف والقسر
سليمان كم من عسكر قد حوت لكم * أسنتنا والمقربات بنا تجرى
وكم من حصون قد أبحنا منيعة * ومن بلد سهل ومن جبل وعر
ومن بلدة لم يغزها الناس قبلنا * غزونا نقود الخيل شهرا الى شهر
مرن على الغزو الجرور ووقرت * على النفر حتى ما تهال من النفر
وحتى لو ان النار شبت وأكرهت * على النار خاضت فى الوغى لهب الجمر
تلاعب أطراف الأسنة والقنا * بلبتها والموت فى لجج خضر
بهن أبحنا أهل كل مدينة * من الشرك حتى جاوزت مطلع الفجر
ولو لم تعجلنا المنايا لجاوزت * بنا ردم ذى القرنين ذا الصخر والقطر
ولكن آجالا قضين ومدة * تناهى إليها الطيبون بنو عمرو

﴿وفى هذه السنة﴾ عزل سليمان بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسرى عن مكة وولاها طلحة بن داود الحضرمى ﴿وفيها﴾ غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم الصائفة ففتح حصنا يقال له حصن عوف ﴿وفى هذه السنة﴾ توفي قرة بن شريك العبسى وهو أمير مصر في

صفر فى قول بعض أهل السير وقال بعضهم كان هلاك قرة فى حياة الوليد فى سنة ٩٥ في الشهر الذى هلك فيه الحجاج ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره وكان الأمير على المدينة فى هذه السنة أبو بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب وعلى خراجها صالح بن عبد الرحمن وعلى البصرة سفيان بن عبد الله الكندى من قبل يزيد بن المهلب وعلى قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبى موسى وعلى حرب خراسان وكيع بن أبى سود

## ﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث﴾

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش الى القسطنطينية واستعماله ابنه داود بن سليمان على الصائفة فافتتح حصن المرأة ﴿وفيها﴾ غزا فيما ذكر الواقدى مسلمة ابن عبد الملك أرض الروم ففتح الحصن الذى كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية ﴿وفيها﴾ غزا عمر و بن هبيرة الفزارى فى البحر أرض الروم فشتا بها ﴿وفيها﴾ قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس وقدم برأسه على سليمان حبيب بن أبى عبيد الفهرى ﴿وفيها﴾ ولى سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان

### ﴿ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان﴾

وكان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة اليه ولى يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة وخراجها (فذكر هشام) بن محمد عن أبى مخنف أن يزيد نظر لما ولاه سليمان ماولاه من أمر العراق فى أمر نفسه فقال ان العراق قد أخربها الحجاج وأنا اليوم رجاء أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب وأعيد عليهم تلك السجون التى قد عافاهم الله منها ومتى لم آت سليمان بمثل ماجاء به الحجاج لم يقبل منى فأتى يزيد سليمان فقال أدلك على رجل بصير بالخراج توليه اياه فتكون أنت تأخذه به صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم فقال له قد قبلنا رأيك فأقبل يزيد الى العراق ✿ وحدثنى عمر بن شبة قال قال على كان صالح قدم العراق قبل قدوم يزيد فنزل واسطا قال على فقال عباد بن أيوب لما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه فقيل لصالح هذا يزيد وقد خرج الناس يتلقونه فلم يخرج حتى قرب يزيد من المدينة فخرج صالح عليه دراعة ودبوسية صفراء صغيرة بين يديه أربعمائة من أهل الشأم فلقى يزيد فسايره فلما دخل المدينة قال له صالح قد فرغت لك هذا الدار فأشار له الى

دار فنزل يزيد ومضى صالح الى منزله قال وضيّق صالح على يزيد فلم يملكه شيأ واتخذ يزيد ألف خوان يُطعم الناس عليها فأخذها صالح فقال له يزيد اكتب ثمنها عليّ واشترى متاعا كثيرا وصكّ صكاكا الى صالح لباعتها منه فلم يُنفذه فرجعوا الى يزيد فغضب وقال هذا عملي بنفسي فلم يلبث ان جاء صالح فأوسع له يزيد فجلس وقال ليزيد ما هذه الصكاك الخراج لا يقوم لها قد أنفذت لك منذ أيام صكا بمائة ألف وعجلت لك أرزاقك وسألت مالا للجند فأعطيتك فهذا لا يقوم له شيء ولا يرضى أمير المؤمنين به وتؤخذ به فقال له يزيد يا أبا الوليد أجز هذه الصكاك هذه المرّة وضاحكه قال فإني أجيزها فلا تكثرنّ عليّ قال لا * قال عليّ بن محمد حدثنا مسلمة بن محارب وأبو العلاء التيمي والطفيل بن مرداس العمّي وأبو حفص الأزدي عمن حدثه عن جهم بن زحر بن قيس والحسن بن رُشيد عن سليمان بن كثير وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني وعامر بن حفص وأبو مخنف عن عثمان بن عمرو ابن محصن الازدي وزهير بن هنيد وغيرهم وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض فألفت ذلك ان سليمان بن عبد الملك ولى يزيد بن المهلب العراق ولم يُوله خراسان فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك بن المهلب وهو بالشأم ويزيد بالعراق كيف أنت يا عبد الملك إن وليتُك خراسان قال يجدني أمير المؤمنين حيث يحب ثم أعرض سليمان عن ذلك قال وكتب عبد الملك بن المهلب الى جرير بن يزيد الجهضمي والى رجال من خاصته ان أمير المؤمنين عرض عليّ ولاية خراسان فبلغ الخبر يزيد بن المهلب وقد ضجر بالعراق وقد ضيّق عليه صالح بن عبد الرحمن فليس يصل معه الى شيء فدعا عبد الله بن الأهتم فقال اني أريدك لأمر قد أهمّني فأحب أن تكفينيه قال مُرني بما أحببت قال أنا فيما ترى من الضيق وقد أضجرني ذلك وخراسان شاغرة برجلها وقد بلغني ان أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب فهل من حيلة قال نعم سرّحني الى أمير المؤمنين فإني أرجو أن آتيك بعهدك عليها قال فاكتم ما أخبرتك به وكتب الى سليمان كتابين أحدهما يذكر له فيه أمر العراق وأثنى فيه على ابن الاهتم وذكر له علمه بها ووجه ابن الأهتم وحمله على البريد وأعطاه ثلاثين ألفا فسار سبعا فقدم بكتاب يزيد على سليمان فدخل عليه وهو يتغدّى فجلس ناحيةً فأتى بدجاجتين فأكلهما قال فدخل ابن الاهتم فقال له سليمان لك مجلس غير هذا تعود اليه ثم دعا به بعد ثالثة فقال له سليمان ان يزيد بن المهلب كتب اليّ يذكر علمك بالعراق وبخراسان ويثني عليك فكيف علمك بها قال أنا أعلم الناس بها بها وُلدتُ وبها نشأتُ فلي بها وبأصلها خبر وعلم قال ما أحوج أمير المؤمنين الى مثلك يشاوره في أمرها فأشر عليّ برجل أوليه خراسان قال أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولي فإن ذكر منهم أحدا أخبرته برأيي فيه هل يصلح لها أم لا قال فسمى سليمان رجلا من قريش قال يا أمير المؤمنين ليس من رجال

خراسان

خراسان قال فعبد الملك بن المهلب قال لا حتى عدّ درجالا فكان فى آخر من ذكر وكيع
ابن أبى سود فقال يا أمير المؤمنين وكيع رجل شجاع صارم بئيس مقدام وليس بصاحبها
مع هذا إنه لم يقد ثلثمائة قط فرأى لأحد عليه طاعة قال صدقت ويحك فمن لها قال
رجل اعلمه لم تسمّه قال فمن هو قال لا أبوح باسمه إلا أن يضمن لى أمير المؤمنين ستر ذلك
وان يجيرنى منه ان علم قال نعم سمّه من هو قال يزيد بن المهلب قال ذاك بالعراق والمقام
بها أحبّ اليه من المقام بخراسان قال قد علمت يا أمير المؤمنين ولكن تكرهه على ذلك
فيستخلف على العراق رجلا ويسير قال أصبت الرأى فكتب عهد يزيد على خراسان
وكتب اليه كتابا إنّ ابن الاهتم كما ذكرت فى عقله ودينه وفضله ورأيه ودفع الكتاب وعهد
يزيد الى ابن الاهتم فسار سبعا فقدم على يزيد فقال له ما وراءك قال فأعطاه الكتاب
فقال ويحك أعندك خير فأعطاه العهد فأمر يزيد بالجهاز للسير من ساعته ودعا ابنه مخلدا
فقدّمه الى خراسان قال فسار من يومه ثم سار يزيد واستخلف على واسط الجرّاح بن عبد
الله الحكمىّ واستعمل على البصرة عبد الله بن هلال الكلابى وصيّر مروان بن المهلب على
أمواله وأموره بالبصرة وكان أوثق اخوته عنده ولمروان يقول أبو البهاء الإيادىّ

رأيت أبا قبيصة كلّ يوم * على العلات أكرمهم طباعا
اذا ما هم أبوا أن يستطيعوا * جسيم الامر يحمل ما استطاعا
وان ضاقت صدورهم بأمر * فضلتهم بذاك ندى وباعا

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنّى فانه قال فى ذلك حدّثنى أبو مالك ان وكيع بن أبى سود بعث
بطاعته وبرأس قتيبة الى سليمان فوقع ذلك من سليمان كلّ موقع فجعل يزيد بن المهلب
لعبد الله بن الاهتم مائة ألف على أن ينقر وكيعا عنده فقال أصلح الله أمير المؤمنين والله
ما أحد أوجب شكرا ولا أعظم عندى يدا من وكيع لقد أدرك بثأرى وشفانى من عدوّى
ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجب علىّ حقا وان النصيحة تلزمنى لأمير المؤمنين ان وكيعا لم
يجتمع له مائة عنان قط الا حدّث نفسه بغدرة خامل فى الجماعة نابهٌ فى الفتنة فقال ماهو
اذًا ممن نستعين به وكانت قيس تزعم ان قتيبة لم يخلع فاستعمل سليمان يزيد بن المهلب على
حرب العراق وأمره ان أقامت قيس البينة أن قتيبة لم يخلع فينزع يدًا من طاعة أن يقيد
وكيعا به فغدر يزيد فلم يعط عبد الله بن الاهتم ما كان ضمن له ووجّه ابنه مخلد بن يزيد
الى وكيع ﴿رجع الحديث الى حديث علىّ﴾ قال علىّ أخبرنا أبو مخنف عن عثمان بن عمرو
ابن محصن وأبو الحسن الخراسانىّ عن الكرمانىّ قال وجه يزيد ابنه مخلدا الى خراسان
فقدّم مخلد عمرو بن عبد الله بن سنان العتكىّ ثم الصّنابحى حين دنا من مرو فلما
قدمها أرسل الى وكيع أن القنى فأبى فأرسل اليه عمرو يا أعرابىّ أحمق جلفًا جافيًا

انطلق الى أميرك فتلقه وخرج وجوه من أهل مرو يتلقون مخلدا وتثاقل وكيع عن الخروج فأخرجه عمر والازدي فلما بلغوا مخلدا نزل الناس كلهم غير وكيع ومحمد بن حمران السعدي وعباد بن لقيط أحد بني قيس بن ثعلبة فأنزلوهم فلما قدم مرو حبس وكيعا فعذبه وأخذ أصحابه فعذبهم قبل قدوم أبيه قال علي عن كليب بن خلف قال حدثنا ادريس بن حنظلة قال لما قدم مخلد خراسان حبسني فجاءني ابن الأهتم فقال لي أتريد ان تنجو قلت نعم قال أخرج الكتب التي كتبها القعقاع بن خليد العبسي وخريم بن عمر والمري الى قتيبة في خلع سليمان فقلت له يا ابن الأهتم اياي تخدع عن ديني قال فدعا بطومار وقال انك أحمق فكتب كتابا عن لسان القعقاع ورجال من قيس الى قتيبة ان الوليد بن عبد الملك قد مات وسليمان باعث هذا المزوني على خراسان فاخلعه فقلت يا ابن الأهتم تهلك والله نفسك والله لئن دخلت عليه لأعلمنه أنك كتبتها ﴿وفي هذه السنة﴾ شخص يزيد بن المهلب الى خراسان أميرا عليها فذكر علي بن محمد عن أبي السري الأزدي عن عمه قال ولي وكيع خراسان بعد قتل قتيبة تسعة أشهر أو عشرة وقدم يزيد بن المهلب سنة ٩٧ قال علي فذكر المفضل بن محمد عن أبيه قال أدنى يزيد أهل الشأم وقوما من أهل خراسان فقال نهار بن توسعة

وما كنا نؤمل من أمير * كما كنا نؤمل من يزيد
فأخطأ ظننا فيه وقدما * زهدنا في معاشرة الزهيد
إذا لم يعطنا نصفا أمير * مشينا نحوه مثل الأسود
فمهلا يا يزيد أنب إلينا * ودعنا من معاشرة العبيد
نجيء فلا نرى إلا صدودا * على أنا نسلم من بعيد
ونرجع خائبين بلا نوال * فما بال التجهم والصدود

قال علي أخبرنا زياد بن الربيع عن غالب القطان قال رأيت عمر بن عبد العزيز واقفا بعرفات في خلافة سليمان وقد حج سليمان عامئذ وهو يقول لعبد العزيز بن عبد الله ابن خالد بن أسيد العجب لأمير المؤمنين استعمل رجلا على أفضل ثغر للمسلمين فقد بلغني عمن يقدم من التجار من ذلك الوجه انه يعطي الجارية من جواريه مثل سهم ألف رجل أما والله ما الله أراد بولايته فعرفت انه يعني يزيد والجهنية فقلت يشكر بلاءهم أيام الأزارقة قال ووصل يزيد عبد الملك بن سلام السلولي فقال

ما زال سيبك يا يزيد بحوبتي * حتى ارتويت وجودكم لا ينكر
أنت الربيع إذا تكون خصاصة * عاش السقيم به وعاش المقتر
عمت سحابته جميع بلادكم * فرووا وأغدقهم سحاب ممطر

فسقاك ربك حيث كنت مخيلة * ريا سحائبها تروح وتبكر

﴿وفي هذه السنة﴾ حج بالناس سليمان بن عبد الملك حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر ﴿وفيها﴾ عزل سليمان طلحة بن داود الحضرمي عن مكة قال الواقدي حدثني ابراهيم بن نافع عن ابن أبي مليكة قال لما صدر سليمان بن عبد الملك من الحج عزل طلحة بن داود الحضرمي عن مكة وكان عمله عليها ستة أشهر وولي عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف وكانت عمال الامصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها الا خراسان فان عاملها على الحرب والخراج والصلاة يزيد بن المهلب وكان خليفته على الكوفة فيما قيل حرملة بن عمير اللخمي أشهرا ثم عزله وولاها بشير بن حسان النهدي

## ﴿ثم دخلت سنة ثمان وتسعين﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك الى القسطنطينية وأمره ان يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره فشتا بها وصاف فذكر محمد بن عمران ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى قال لما دنا مسلمة من قسطنطينية أمر كل فارس ان يحمل على عجز فرسه مدين من طعام حتى يأتي به القسطنطينية فأمر بالطعام فألقي في ناحية مثل الجبال ثم قال للمسلمين لا تأكلوا منه شيأ أغيروا في أرضهم وازرعوا وعمل بيوتا من خشب فشتا فيها وزرع الناس ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يكنه شيء والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات ثم أكلوا من الزرع فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهرا لأهلها معه وجوه أهل الشأم خالد بن معدان وعبد الله بن أبي زكرياء الخزاعي ومجاهد بن جبر حتى أتاه موت سليمان فقال القائل تخمل مديها ومدي مسلمه

﴿حدثني﴾ أحمد بن زهير عن علي بن محمد قال لما ولي سليمان غزا الروم فنزل دابق وقدم مسلمة فهابه الروم فشخص إليون من أرمينية فقال لمسلمة ابعث الي رجلا يكلمني فبعث ابن هبيرة فقال له ابن هبيرة ما تعدون الاحمق فيكم قال الذي يملأ بطنه من كل شيء يجده فقال له ابن هبيرة إنا أصحاب دين ومن ديننا طاعة أمرائنا قال صدقت كنا وأنتم نقاتل على الدين ونغضب له فأما اليوم فإنا نقاتل على الغلبة والملك نعطيك عن كل رأس دينارا فرجع ابن هبيرة الى الروم من غد وقال أبي ان يرضى أتيته وقد تغدى وملأ بطنه ونام فانتبه وقد غلب عليه البلغم فلم يدر ما قلت وقالت البطارقة لإليون ان صرفت عنا مسلمة ملكناك فوثقوا له فأتى مسلمة فقال قد علم القوم انك لا تصدقهم القتال وانك تطاولهم ما دام الطعام عندك ولو أحرقت الطعام أعطوا بأيديهم فأحرقه فقوي العدو وضاق المسلمون حتى كادوا

يهلكون فكانوا على ذلك حتى مات سليمان قال وكان سليمان بن عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عهدا أن لا ينصرف حتى يدخل الجيش الذى وجهه الى الروم القسطنطينية قال وهلك ملك الروم فأتاه اليون فأخبره وضمن له ان يدفع اليه أرض الروم فوجه معه مسلمة حتى نزل بها وجمع كل طعام حولها وحصر أهلها وأتاهم اليون فملكوه فكتب الى مسلمة يخبره بالذى كان ويسأله ان يُدخل من الطعام ما يعيش به القوم ويصدقونه بأن أمرَه وأمر مسلمة واحدٌ وانهم فى أمان من السباء والخروج من بلادهم وأن يأذن لهم ليلة في حمل الطعام وقد هيأ اليون السفنَ والرجال فأذن له فما بقى فى تلك الحظائر الا ما لا يذكر حُمل فى ليلة وأصبح اليون محاربا وقد خدعه خديعة لو كان امرأة لَعيبَ بها فلقى الجند ما لم يلق جيش حتى ان كان الرجل ليخاف ان يخرج من العسكر وحده وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق وكل شئ غير التراب وسليمان مقيم بدابق ونزل الشتاء فلم يقدر يمدّهم حتى هلك سليمان. ﴿وفي هذه السنة﴾ بايع سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب بن سليمان وجعله ولىّ عهده فحدثنى عمر بن شبة عن علىّ بن محمد قال كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان ان يبايعا لابن عاتكة ولمروان بن عبد الملك من بعده قال فحدثنى طارق بن المبارك قال مات مروان بن عبد الملك في خلافة سليمان منصرفهَ من مكة فبايع سليمان حين مات مروان لأيوب وأمسكَ عن يزيد وتربّص به ورجا ان يهلك فهلك أيوب وهو ولىّ عهده ﴿وفى هذه السنة﴾ فتحت مدينة الصقالبة قال محمد بن عمر أغارت برجان فى سنة ٩٨ على مسلمة بن عبد الملك وهو فى قلة من الناس فأمده سليمان بن عبد الملك بمسعدة أو عمرو ابن قيس في جمع فمكرت بهم الصقالبة ثم هزمهم الله بعد ان قتلوا شراحيل بن عبدة ﴿وفي هذه السنة﴾ فيما زعم الواقدىّ غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس فأصيب ناس من أهل انطاكية وأصاب الوليد ناسا من ضواحى الروم وأسر منهم بشرا كثيرا ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان فذكر هشام بن محمد عن أبى مخنف ان يزيد بن المهلب لما قدم خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة ثم أقبل الى دهستان وجرجان وبعث ابنه مخلدا على خراسان وجاء حتى نزل بدهستان وكان أهلها طائفة من الترك فأقام عليها وحاصر أهلها معه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشأم ووجوه أهل خراسان والرّى وهو في مائة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك والمتطوعين فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس فلا يلبثهم الناسُ ان يهزموهم فيدخلون حصنهم ثم يخرجون أحيانا فيقاتلون فيشتد قتالهم وكان جهم وجمال ابنا زحر من يزيد بمكان وكان يكرمهما وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبى سبرة الجعفىّ له لسان وبأس غير انه كان يفسد نفسه بالشراب وكان لا يكسر غشيان يزيد وأهل بيته وكانه أيضا حجزه عن ذلك ما رأى من حسن أثرهم على ابنى زحر جهم وجمال وكان اذا نادى

المنادى

المنادى ياخيل الله اركبي وابشري كان أول فارس من أهل العسكر يبدر الى موقف البأس عند الروع محمدُ بن عبد الرحمن بن أبى سبرة فنودى ذات يوم فى الناس فبدر الناس ابن أبى سبرة فانه لواقف على تل اذ مر به عثمان بن المفضل فقال له ياابن أبى سبرة ماقدرت على ان أسبقك الى الموقف قط فقال ومايغنى ذلك عنى وأنتم ترشحون غلمان مذحج وتجهلون حق ذوى الاسنان والتجارب والبلاء فقال أما انك لوتريد ماقبلنا لم نعدل عنك ماأنت له أهل قال وخرج الناس فاقتتلوا اقتتالا شديدا فحمل محمد بن أبى سبرة على تركى قدصد الناس عنه فاختلفا ضربتين فثبت سيف التركى في بيضة ابن أبى سبرة وضربه ابن أبى سبرة فقتله ثم أقبل وسيفه فى يده يقطر دما وسيف التركى في بيضته فنظر الناس الى أحسن منظر رأوه من فارس ونظر يزيد الى ائتلاق السيفين والبيضة والسلاح فقال من هذا فقالوا ابن أبى سبرة فقال لله أبوه أى رجل هو لولا اسرافه على نفسه وخرج يزيد بعد ذلك يوماوهو يرتاد مكانا يدخل منه على القوم فلم يشعر بشئ حتى هجم عليه جماعة من الترك وكان معه وجوه الناس وفرسانهم وكان في نحو من أربعمائة والعدوّ فى نحو من أربعة آلاف فقاتلهم ساعة ثم قالوا ليزيد أيها الأمير انصرف ونحن نقاتل عنك فأبى ان يفعل وغشى القتال يومئذ بنفسه وكان كأحدهم وقاتل ابن أبى سبرة وابن ازحر والحجاج بن جارية الخثعمى وجل أصحابه فأحسنوا القتال حتى اذا أرادوا الانصراف جعل الحجاج بن جارية على الساقة فكان يقاتل من ورائه حتى انتهى الى الماء وقد كانوا عطشوا فشربوا وانصرف عنهم العدوّ ولم يظفروا منهم بشئ فقال سفيان بن صفوان الخثعمى

لولا ابنُ جارِيَةَ الأغرُّ جَبِينُهُ * لَسُقِيتَ كأسَ مُرَّةَ المُتَجرَّعِ

وحِمَاكَ في فُرْسَانِهِ وخيُولِهِ * حتَّى وردتَ الماءَ غيرَ مُتَعتَعِ

ثم انه ألحّ عليها وأنزل الجنود من كل جانب حولها وقطع عنهم المواد فلما جهدوا وعجزوا عن قتال المسلمين واشتد عليهم الحصار والبلاء بعث صُول دهقانُ دِهستان الى يزيد انى أصالحك على ان تؤمننى على نفسى وأهل بيتى ومالى وأدفع اليك المدينة ومافيها وأهلها فصالحه وقبل منه ووفى له ودخل المدينة فأخذ ما كان فيها من الاموال والكنوز ومن السبى شيأ لايحصى وقتل أربعة عشر ألف تركى صبرا وكتب بذلك الى سليمان بن عبد الملك ثم خرج حتى أتى جرجان وقد كانوا يصالحون أهل الكوفة على مائة ألف ومائتى ألف أحيانا وثلثمائة ألف وصالحوهم عليها فلما أتاهم يزيد استقبلوه بالصلح وهابوه وزادوه واستخلف عليهم رجلا من الأزد يقال له أسد بن عبد الله ودخل يزيد الى الإصبهذ في طبرستان فكان معه الفعلة يقطعون الشجر ويصلحون الطرق حتى انتهوا اليه فنزل به فحصره وغلب على أرضه وأخذ الإصبهذ يعرض على يزيد الصلح ويزيده على ما كان يؤخذ منه فيأبى رجاء افتتاحها فبعث

ذات يوم أخاه أبا عيينة فى أهل المصرين فأصعد فى الجبل اليهم وقد بعث الاصبهبذ الى الديلم
فاستجاش بهم فاقتتلوا فحازهم المسلمون ساعة وكشفوهم وخرج رأس الديلم يسأل المبارزة
فخرج اليه ابن أبى سبرة فقتله فكانت هزيمتهم حتى انتهى المسلمون الى فم الشعب فذهبوا
ليصعدوا فيه وأشرف عليهم العدوّ يرشقونهم بالنشاب ويرمونهم بالحجارة فانهزم الناس من فم
الشعب من غير كبير قتال ولا قوة من عدوّهم على إتباعهم وطلبهم وأقبلوا يركب بعضهم بعضا
حتى أخذوا يتساقطون فى اللهوب ويتدهدأ الرجل من رأس الجبل حتى نزلوا الى عسكر
يزيد لا يعبؤن بالشرّ شيأ وأقام يزيدُ بمكانه على حاله وأقبل الإصبهبذ يكاتب أهل جرجان
و يسألهم ان يثبوا بأصحاب يزيد وان يقطعوا عليه مادته والطرق فيما بينه وبين العرب ويعدهم
ان يكافئهم على ذلك فوثبوا بمن كان يزيدُ خلف من المسلمين فقتلوا منهم من قدروا عليه
واجتمع بقيتهم فتحصنوا في جانب فلم يزالوا فيه حتى خرج اليهم يزيد وأقام يزيد على الإصبهبذ
في أرضه حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف نقداً ومائتى ألف وأربعمائة
حمار موقرة زعفران وأربعمائة رجل على رأس كل رجل برنس على البرنس طيلسان وجام
من فضة وسرقة من حرير وقد كانوا صالحوا قبل ذلك على مائتى ألف درهم ثم خرج منها
يزيد وأصحابه كأنهم فلّ ولولا ما صنع أهل جرجان لم يخرج من طبرستان حتى يفتحها وأما
غير أبى مخنف فإنه قال فى أمر يزيد وأمر أهل جرجان ما حدثنى أحمد بن زهير عن علىّ
ابن محمد عن كليب بن خلف وغيره ان سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ثم امتنعوا وكفروا
فلم يأت جرجانَ بعد سعيد أحدٌ ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن يسلك طريق خراسان من
ناحيته أحدٌ الا على وجل وخوف من أهل جرجان كان الطريق الى خراسان من فارس
الى كرمان فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولى خراسان ثم غزا
مصقلة خراسان أيام معاوية فى عشرة آلاف فأصيب وجنده بالرُويان وهى متاخمة طبرستان
فهلكوا في واد من أوديتها أخذ العدوُّ عليهم بمضايقه فقتلوا جميعا فهو يسمى وادى مصقلة
قال وكان يضرب به المثل حتى يَرْجع مصقلة من طبرستان قال علىّ عن كليب بن خلف
العمى عن طفيل بن مرداس العمى وإدريس بن حنظلة ان سعيد بن العاص صالح أهل
جرجان فكانوا يجبؤن أحيانا مائة ألف ويقولون هذا صلحنا وأحيانا مائتى ألف وأحيانا
ثلثمائة ألف وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا حتى أتاهم
يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها فلما صالح صول وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل
جرجان على صلح سعيد بن العاص ❀ حدثنى أحمد عن علىّ عن كليب بن خلف
العمى عن طفيل بن مرداس و بشر بن عيسى عن صفوان قال علىّ وحدثنى أبو حفص
الازدى عن سليمان بن كثير وغيرهم ان صول التركىّ كان ينزل دهستان والبحيرة جزيرة

في

فى البحر بينها وبين دهستان خمسة فراسخ وهما من جرجان مما يلى خوارزم فكان صول يغير على فيروز بن قول مرزبان جرجان وبينهم خمسة وعشرون فرسخا فيصيب من أطرافهم ثم يرجع الى البحيرة ودهستان فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المرزبان منازعة فاعتزله المرزبان فنزل البياسان فخاف فيروز ان يغير عليه الترك فخرج الى يزيد بن المهلب بخراسان وأخذ صول جرجان فلما قدم على يزيد بن المهلب قال له ما أقدمك قال خفت صولا فهربت منه قال له يزيد هل من حيلة لقتاله قال نعم شىء واحد ان ظفرت به قتلته أو أعطى بيده قال ما هو قال إن خرج من جرجان حتى ينزل البحيرة ثم أتيته ثم حاصرته بها ظفرت به فاكتب الى الإصبهبذ كتابا تسأله فيه ان يحتال لصول حتى يقيم بجرجان واجعل له على ذلك جعلا ومنّه فانه يبعث بكتابك الى صول يتقرّب به اليه لانه يعظمه فيتحول عن جرجان فينزل البحيرة فكتب يزيد بن المهلب الى صاحب طبرستان إنى أريد ان أغزو صولا وهو بجرجان فخفت إن بلغه أنى أريد ذلك أن يتحول الى البحيرة فينزلها فإن تحول اليها لم أقدر عليه وهو يسمع منك ويستنصحك فان حبسته العام بجرجان فلم يأت البحيرة حملتُ اليك خمسين ألف مثقال فاحتل له حيلة تحبسه بجرجان فانه ان أقام بها ظفرت به فلما رأى الاصبهبذُ الكتاب أراد ان يتقرب الى صول فبعث بالكتاب اليه فلما أتاه الكتاب أمر الناس بالرحيل الى البحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها وبلغ يزيد أنه قد سار من جرجان الى البحيرة فاعتزم على السير الى الجرجان فخرج فى ثلاثين ألفا ومعه فيروز بن قول واستخلف على خراسان مخلد بن يزيد واستخلف على سمرقند وكس ونسف وبخارى ابنه معاوية بن يزيد وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب وأقبل حتى أتى جرجان ولم تكن يومئذ مدينة انما هى جبال محيطة بها وأبواب ومخارم يقوم الرجل على باب منها فلا يقدم عليه أحدٌ فدخلها يزيد لم يعازّه أحد وأصاب أموالا وهرب المرزبان وخرج يزيد بالناس الى البحيرة فأناخ على صول وتمثل حين نزل بهم

فخرّ السيّف وارْتعشتْ يَداه * وكانَ بنفسه وُقيتْ نفُوسُ

قال فحاصرهم فكان يخرج اليه صول فى الايام فيقاتله ثم يرجع الى حصنه ومع يزيد أهل الكوفة وأهل البصرة ثم ذكر من قصة جهم بن زحر وأخيه ومحمد نحوا مما ذكره هشام غير انه قال فى ضربة التركى ابن أبى سبرة فنشب سيف التركى فى درقة ابن أبى سبرة قال علىّ ابن محمد عن علىّ بن مجاهد عن عنبسة قال قاتل محمد بن أبى سبرة الترك بجرجان فأحاطوا به واعتوروه بأسيافهم فانقطع فى يده ثلاثة أسياف ﴿ثم رجع الى حديثهم﴾ قال فمكثوا بذلك يعنى الترك محصورين يخرجون فيقاتلون ثم يرجعون الى حصنهم ستة أشهر حتى شربوا ماء الاحساء فأصابهم داء يسمى السؤاد فوقع فيهم الموت وأرسل صول فى ذلك يطلب

الصلح فقال يزيد بن المهلب لا الا ان ينزل على حكمى فأبى فأرسل اليه انى أصالحك على نفسى ومالى وثلثمائة من أهل بيتى وخاصتى على ان تؤمننى فتنزل البحيرة فأجابه الى ذاك يزيدُ فخرج بماله وثلثمائة ممن أحبّ وصار مع يزيد فقتل يزيدُ من الأتراك أربعة عشر ألفا صبرًا ومنّ على الآخرين فلم يقتل منهم أحدا وقال الجند ليزيد أعطنا أرزاقنا فدعا ادريس بن حنظلة العمّىّ فقال يا ابن حنظلة أحصِ لنا ما فى البُحيرة حتى نُعطى الجند فدخلها ادريس فلم يقدر على إحصاء ما فيها فقال ليزيد فيها ما لا أستطيع احصاءه وهو فى ظروف فنحصى الجواليق ونعلم ما فيها ونقول للجند ادخلوا فخذوا فمن أخذ شيأ عرفنا ما أخذ من الحنطة والشعير والأرزّ والسمسم والعسل قال نِعمَ ما رأيتَ فأحصَوا الجواليق عددا وعلموا كلّ جوالق ما فيه وقالوا للجند خذوا فكان الرجل يخرج وقد أخذ ثيابا أو طعاما أو ما حملَ من شئ فيُكتَب على كلّ رجل ما أخذ فأخذوا شيأ كثيرا قال علىّ قال أبو بكر الهذلىّ كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا عليه انه أخذ خريطة فسأله يزيدُ عنها فأتاه بها فدعا يزيدُ الذى رفع عليه فشتمه وقال لشهر هى لك قال لا حاجة لى فيها فقال القُطامىّ الكلبىّ ويقال سنان بن مكمّل النميرىّ

لقد باعَ شهرٌ دينَهُ بخَريطةٍ * فمن يأمَنُ القرّاءَ بعدكَ ياشهرُ

أخذتَ به شيأ طفيفاً وبِعتَهُ * من ابن جونبوذانّ هذا هو الغدرُ

وقال مُرّة النخعىّ لشهر

يا ابنَ المُهلبِ ما أردتَ إلى امرئٍ * لولاكَ كان كصالح القُرّاء

قال علىّ قال أبو محمد الثقفىّ أصاب يزيدُ بن المهلب تاجا بجرجان فيه جوهر فقال أترون أحدا يزهد فى هذا التاج قالوا لا فدعا محمد بن واسع الأزدىّ فقال خذ هذا التاج فهو لك قال لا حاجة لى فيه قال عزمتُ عليك فأخذه وخرج فأمر يزيدُ رجلا ينظر ما يصنع به فلقى سائلا فدفعه اليه فأخذ الرجلُ السائلَ فأتى به يزيدَ وأخبره الخبر فأخذ يزيدُ التاج وعوّض السائلَ مالا كثيرا قال علىّ وكان سليمان بن عبد الملك كلما افتتح قتيبةُ فتحا قال ليزيد بن المهلب أما ترى ما يصنع الله على يدى قتيبة فيقول ابنُ المهلب ما فعلت جُرْجانُ التى حالت بين الناس والطريق الأعظم وأفسدت قُومُس وأبرشهر ويقول هذه الفتوح ليست بشئ الشأنُ فى جرجانَ • فلما ولى يزيد بن المهلب لم يكن له همة غير جرجان قال ويقال كان يزيد بن المهلب فى عشرين ومائة ألف معه من أهل الشأم ستّون ألفا قال علىّ فى حديثه عمن ذكر خبر جرجان عنهم وزاد فيه علىّ بن مجاهد عن خالد بن صبيح أن يزيد بن المهلب لما صالح صول طمع فى طبرستان أن يفتحها فاعتزم على أن يسير اليها فاستعمل عبد الله بن المُعمَّر اليشكُرىَّ على البياسان ودِهستان وخلف معه أربعة

آلاف

آلاف ثم أقبل الى أداني جرجان مما يلي طبرستان واستعمل على اندرستان أسد بن عمرو أوابن عبد الله بن الربعة وهي مما يلي طبرستان وخلفه في أربعة آلاف ودخل يزيد بلاد الاصبهبذ فأرسل اليه يسأله الصلح وان يخرج من طبرستان فأبى يزيد ورجا أن يفتحها فوجه أخاه أبا عيينة من وجه وخالد بن يزيد ابنه من وجه وأبا الجهم الكلبي من وجه وقال اذا اجتمعتم فأبو عيينة على الناس فسار أبو عيينة في أهل المصرين ومعه هريم بن أبي طحمة وقال يزيد لأبي عيينة شاورهريما فإنه ناصح وأقام يزيد معسكرا قال واستجاش الاصبهبذ بأهل جيلان وأهل الديلم فأتوه فالتقوا في سند جبل فانهزم المشركون وأتبعهم المسلمون حتى انتهوا الى فم الشعب فدخله المسلمون وصعد المشركون في الجبل وأتبعهم المسلمون فرماهم العدو بالنشاب والحجارة فانهزم أبو عيينة والمسلمون فركب بعضهم بعضا يتساقطون من الجبل فلم يثبتوا حتى انتهوا الى عسكر يزيد وكف العدو عن اتباعهم وخافهم الاصبهبذ فكتب الى المرزبان ابن عم فيروز بن قول وهو بأقصى جرجان مما يلي البياسان إنا قد قتلنا يزيد وأصحابه فاقتل من في البياسان من العرب فخرج الى أهل البياسان والمسلمون غارون في منازلهم قد أجمعوا على قتلهم فقتلوا جميعا في ليلة فأصبح عبد الله بن المعمر مقتولا وأربعة آلاف من المسلمين لم ينج منهم أحد وقتل من بني العم خمسون رجلا قتل الحسين بن عبد الرحمن واسماعيل بن ابراهيم بن شماس وكتب الى الإصبهبذ يأخذ بالمضايق والطرق و بلغ يزيد قتل عبد الله بن المعمر وأصحابه فأعظموا ذلك وهالهم ففزع يزيد الى حيان النبطي وقال لا يمنعك ما كان مني اليك من نصيحة المسلمين قد جاءنا عن جرجان ما جاءنا وقد أخذ هذا الطرق فاعمل في الصلح قال نعم فأتى حيان الاصبهبذ فقال أنا رجل منكم وان كان الدين قد فرق بيني وبينكم فإني لك ناصح وأنت أحب الي من يزيد وقد بعث يستمد وأمداده منه قريبة وانما أصابوا منه طرفا ولست آمن أن يأتيك مالا تقوم له فأرح نفسك منه وصالحه فإنك ان صالحته صير حده على أهل جرجان بغدرهم وقتلهم من قتلوا فصالحه على سبعمائة ألف وقال علي بن مجاهد على خمسمائة ألف وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العين وأربعمائة رجل على كل رجل برنس وطيلسان ومع كل رجل جام فضة وسرقة خز وكسوة ثم رجع الى يزيد بن المهلب فقال ابعث من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه قال من عندهم أو من عندنا قال من عندهم وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا و يرجع الى جرجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيان وانصرف الى جرجان وكان يزيد قد غرم حيانا مائتي ألف فخاف أن لا يناصحه والسبب الذي له أغرم حيانا فيه ما حدثني علي بن مجاهد عن خالد بن صبيح قال كنت مؤدبا بولد حيان فدعاني فقال لي اكتب كتابا الى مخلد بن يزيد ومخلد يومئذ ببلخ ويزيد بمرو فتناولت

القرطاس فقال اكتب من حيان مولى مصقلة الى مخلد بن يزيد فغمزنى مقاتل بن حيان أن لا تكتب وأقبل على أبيه فقال يا أبت تكتب الى مخلد وتبدأ بنفسك قال نعم يا بنىّ فان لم يرض لقى مالقى قتيبة ثم قال لى اكتب فكتبتُ فبعث مخلد بكتابه الى أبيه فأغرم يزيدُ حيانا مائتى ألف درهم ﴿وفي هذه السنة﴾ فتح يزيدُ جرجانَ الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده ونقضهم العهد قال علىّ عن الرهط الذين ذكر أنهم حدّثوه بخبر جرجان وطبرستان ثم إنّ يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان فأعطى اللهَ عهداً لئن ظفر بهم أن لا يُقلع عنهم ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ويختبز من ذلك الطحين ويأكل منه فلما بلغ المرزبانَ أنه قد صالح الاصبهذ وتوجه الى جرجان جمع أصحابه وأتى وجاه فتحصن فيها وصاحبها لا يحتاج الى عُدّة من طعام ولا شراب وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها وحولها غياض فليس يعرف لها الا طريق واحد فأقام بذلك سبعة أشهر لا يقدر منهم على شئ ولا يعرف لهم مأتى الا من وجه واحد فكانوا يخرجون فى الأيام فيقاتلونه ويرجعون الى حصنهم فبيناهم على ذلك اذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع يزيد يتصيدُ ومعه شاكرية له (وقال هشام بن محمد) عن أبى مخنف فخرج رجل من عسكره من طئ يتصيد فأبصر وعلا يرقى فى الجبل فاتبعه وقال لمن معه قفوا مكانكم ووَقل في الجبل يقتص الأثر فما شعر بشئ حتى هجم على عسكرهم فرجع يريد أصحابه فخاف أن لا يهتدى فجعل يخرّق قبائه ويعقد على الشجر علامات حتى وصل الى أصحابه ثم رجع الى العسكر ويقال ان الذى كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن الأزدى من أهل طوس وكان منهوما بالصيد فلما رجع الى العسكر أتى عامر بن أيثم الواشجىّ صاحب شرطة يزيد فمنعوه من الدخول فصاح انّ عندى نصيحة (وقال هشام) عن أبى مخنف جاء حتى رفع ذلك الى ابنى زحر بن قيس فانطلق به ابنا زحر حتى أدخلاه على يزيد فأعلمه الخبر فضمن له بضمان الجهنية أمّ ولد كانت ليزيد على شئ قد سماه وقال علىّ بن محمد فى حديثه عن أصحابه فدعا به يزيد فقال ما عندك قال أتريد أن تدخل وجاه بغير قتال قال نعم قال جعالتى قال احتكم قال أربعة آلاف قال لك دية قال عجلوا لى أربعة آلاف ثم أنتم بعدُ من وراء الاحسان فأمر له بأربعة آلاف وندب الناس فانتدب ألف وأربعمائة فقال الطريق لا يحمل هذه الجماعة لالتفاف الغياض فاختار منهم ثلثمائة فوجّههم واستعمل عليهم جهم بن زحر وقال بعضهم استعمل عليهم ابنه خالد بن يزيد وقال له ان غُلبت على الحياة فلا تُغلبنّ على الموت واياك ان أراك عندى منهزما وضمّ اليه جهم بن زحر وقال يزيد للرجل الذى ندب الناس معه متى تَصِلُ اليهم قال غدا عند العصر فيما بين الصلاتين قال امضوا على بركة الله فانى سأجهد على مناهضتهم غدا عند صلاة الظهر فساروا فلما قارب انتصاف النهار

من

من غد أمر يزيدُ الناس أن يشعلوا النار في حطب كان جمعه في حصاره اياهم فصيّره آكاما فأضرموه نارا فلم تزُل الشمس حتى صار حول عسكره امثال الجبال من النيران ونظر العدو الى النار فهالهم ما رأوا من كثرتها فخرجوا اليهم وأمر يزيدُ الناس حين زالت الشمس فصلّوا فجمعوا بين الصلاتين ثم زحفوا اليهم فاقتتلوا وسار الآخرون بقية يومهم والغدَ فهجموا على عسكر الترك قُبَيل العصر وهم آمنون من ذلك الوجه ويزيدُ يقاتل من هذا الوجه فما شعروا الا بالتكبير من ورائهم فانقطعوا جميعا الى حصنهم وركبهم المسلمون فأعطوا بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد فسبى ذراريّهم وقتل مقاتلتهم وصلبهم فرسخَين عن يمين الطريق ويساره وقاد منهم اثنى عشر ألفا الى الاندرهز وادى جرجان وقال مَنْ طلبهم بثأر فليقتل فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة في الوادى وأجرى الماء في الوادى على الدم وعليه أرحاء ليطحن بدمائهم ولتَبرَّ يمينه فطحن واختبز وأكل وبنى مدينة جرجان وقال بعضهم قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفا ولم تكن قبل ذلك مدينةً ورجع الى خراسان واستعمل على جرجان جهم بن زحر الجعفيّ (وأما هشام) بن محمد فانه ذكر عن أبى مخنف انه قال دعا يزيدُ جهمَ بن زحر فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا في المكان الذى دُلُّوا عليه وقد أمرهم يزيد فقال اذا وصلتم الى المدينة فانتظروا حتى اذا كان فى السحر فكبّروا ثم انطلقوا نحو باب المدينة فانكم تجدونى وقد نهضتُ بجميع الناس الى بابها فلما دخل ابن زحر المدينة أمهل حتى اذا كانت الساعةُ التى أمره يزيدُ أن ينهض فيها مشى بأصحابه فأخذ لا يستقبل من احراسهم أحدا الا قتله وكبر ففزع أهل المدينة فزعا لم يدخلهم مثله قط فما مضى فلم يُرعهم الا والمسلمون معهم فى مدينتهم يكبّرون فدَهشوا فألقى الله في قلوبهم الرعب وأقبلوا لا يدرون أين يتوجّهون غيرَ أن عصابةً منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جهم بن زحر فقاتلوا ساعة فدُقّت يد جهم وصبر لهم هو وأصحابه فلم يُلبثوهم أن قتلوهم الا قليلا وسمع يزيد بن المهلب التكبير فوثب فى الناس الى الباب فوجدوهم قد شغلهم جهمُ بن زحر عن الباب فلم يجد عليه من يمنعه ولا من يدفع عنه كبير دفع ففتح الباب ودخلها من ساعته فأخرج من كان فيها من المقاتلة فنصب لهم الجذوع فرسخين عن يمين الطريق ويساره فصلبهم أربعةَ فراسخ وسبى أهلها وأصاب ما كان فيها قال عليّ في حديثه عن شيوخه الذين قد ذكرتُ أسماءهم قبلُ وكتب يزيد الى سليمان بن عبد الملك أما بعد فإنّ الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحا عظيما وصنع للمسلمين أحسن الصُنع فلربنا الحمد على نعمه واحسانه أظهر في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان وقد أعيى ذلك سابورَ ذا الأكتاف وكسرى بن قباذ وكسرى بن هرمز وأعيى الفاروقَ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومَنْ بعدهما مِنْ خلفاء الله حتى

فتح الله ذلك لأمير المؤمنين كرامة من الله له وزيادة في نعمه عليه وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد ان صار الى كل ذي حق حقه من الفيء والغنيمة ستة آلاف ألف وأنا حامل ذلك الى أمير المؤمنين ان شاء الله فقال له كاتبه المغيرة بن أبي قرة مولى بني سدوس لا تكتب بتسمية مال فإنك من ذلك بين أمرين إما استكثره فأمرك بحمله وإما سخت نفسه لك به فسوغكه فتكلفت الهدية فلا يأتيه من قبلك شيء الا استقله فكأني بك قد استغرقت ما سميت ولم يقع منه موقعا ويبقى المال الذي سميت مخلدا عندهم عليك في دواوينهم فإن ولي وال بعده أخذك به وإن ولي من يتحامل عليك لم يرض منك بأضعافه فلا تمض كتابك ولكن اكتب بالفتح وسله القدوم فتشافهه بما أحببت مشافهة وتقصر فانك أن تقصر عما أحببت أحرى من أن تكثر فأبى يزيد وأمضى الكتاب وقال بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة توفي أيوب بن سليمان بن عبد الملك فحدثت عن علي بن محمد قال حدثنا علي بن مجاهد عن شيخ من أهل الري أدرك يزيد قال أتى يزيد بن المهلب الري حين فرغ من جرجان فبلغه وفاة أيوب بن سليمان وهو يسير في باغ أبي صالح على باب الري فارتجز راجز بين يديه فقال

ان يك أيوب مضى لشانه * فإن داود لفي مكانه
يقيم ما قد زال من سلطانه

﴿وفي هذه السنة﴾ فتحت مدينة الصقالبة ﴿وفيها﴾ غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم ففتح حصن المرأة مما يلي ملطية ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبع وقد ذكرناهم قبل غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة في هذه السنة كان فيما قيل سفيان بن عبد الله الكندي

## ﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك توفي فيما حدثت عن هشام عن أبي مخنف بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر الا خمسة أيام وقد قيل توفي لعشر ليال مضين من صفر وقيل كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام وقد حدث الحسن بن حماد عن طلحة أبي محمد عن أشياخه انهم قالوا استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين وصلى عليه عمر بن

عبد

عبد العزيز ❁ وحدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال توفى سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ فكانت خلافته ثلاث سنين الا أربعة أشهر

﴿ذكر الخبر عن بعض سيره﴾

حدثت عن علي بن محمد قال كان الناس يقولون سليمان مفتاح الخير ذهب عنهم الحجاج فولى سليمان فاطلق الاسارى وخلى أهل السجون وأحسن الى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز فقال ابن بيض

حازَ الخلافة والداكَ كلاهُما * من بَيْنِ سُخْطَةِ ساخِطٍ وطائعِ

أبواكَ ثم أخوكَ أصبحَ ثالثا * وعلى جبينِكَ نورُ مُلكِ الرابعِ

وقال علي قال المفضل بن المهلب دخلت على سليمان بدابق يوم جمعة فدعا بثياب فلبسها فلم تعجبه فدعا بغيرها بثياب خضر سوسية بعث بها يزيدُ بن المهلب فلبسها واعتم وقال يا ابن المهلب أعجبتكَ قلتُ نعم فحسر عن ذراعيه ثم قال أنا الملك الفتى فصلى الجمعة ثم لم يُجمِّعْ بعدها وكتب وصيته ودعا ابن ابى نعيم صاحب الخاتم فختمه ، قال علي قال بعض أهل العلم ان سليمان لبس يوما حُلةً خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرآة فقال أنا الملك الفتى فما عاش بعد ذلك الا أسبوعا (قال علي) وحدثنا سُحيم بن حفص قال نظرت الى سليمان جارية له يوما فقال ما تنظرين فقالت

أنتَ خيرُ المَتاعِ لو كنتَ تبقى * غيرَ أن لا بقاء للانسانِ

لَيسَ فيما علمتُهُ فيكَ عيبٌ * كانَ في الناسِ غيرَ أنكَ فانِ

فنفض عمامته (قال علي) كان قاضيَ سليمانَ سليمانُ بن حبيب المحاربي وكان ابن أبي عيينة يقص عنده ❁ وحدثت عن أبي عبيدة عن رؤبة بن العجّاج قال حج سليمان بن عبد الملك وحج الشعراء معه وحججت معهم فلما كان بالمدينة راجعا تلقوه بنحو من أربعمائة أسير من الروم فقعد سليمان وأقربُهم منه مجلساً عبدُ الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فقدّم بِطْريقَهم فقال يا عبد الله اضرب عنقه فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع اليه حرسيٌّ سيفه فضربه فأبان الرأس وأطنّ الساعد وبعض الغُل فقال سليمان أما والله ما من جودة السيف جادت الضربة ولكن لحسبه وجعل يدفع البقية الى الوجوه والى الناس يقتلونهم حتى دفع الى جرير رجلا منهم فدسّت اليه بنو عبس سيفا في قراب أبيض فضربه فأبان رأسه ودُفع الى الفرزدق أسيرا فلم يجد سيفا فدسّوا له سيفا دَدانا مثنيا لا يقطع فضرب به الاسير ضربات فلم يصنع شيأ فضحك سليمان والقوم وشمت بالفرزدق بنو عبس أخوالُ سليمان فألقى السيف وأنشأ يقول ويعتذر الى سليمان ويأتسي بنبوِ سيف ورقاء عن رأس خالد

ان يكُ سيفٌ خانَ أو قدرٌ أتى * بتأخير نفسٍ حتفُها غيرُ شاهدِ
فسيفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به * نبَا بيدَيْ ورقاء عن رأس خالدِ
كذاك سيُوفُ الهندِ تنبُو ظُباتها * وتقطعُ أحيانا مَناطَ القلائدِ

وورقاء هو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسى ضرب خالد بن جعفر بن كلاب وخالد مكبٌّ على أبيه زهير قد ضربه بالسيف وصرعه فأقبل ورقاء بن زهير فضرب خالدا فلم يصنع شيأ فقال ورقاء بن زهير

رأيتُ زهيرا تحت كَلْكَلِ خالدٍ * فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ أبادِرُ
فشُلَّت يميني يومَ أضربُ خالدا * ويُحْصِنُه مني الحديدُ المُظاهرُ

وقال الفرزدق في مقامه ذلك

أيَعْجَبُ الناسُ ان أضحكتُ خيرَهُمُ * خليفةَ الله يُستَسقَى به المطرُ
فما نبا السيفُ عن جُبْنٍ ولا دهَشٍ * عند الامام ولكن أخّرَ القدرُ
ولو ضربتُ على عمرٍ مقلَّدَهُ * لخرَّ جثمانُهُ مافوقه شعَرُ
وما يُعجّلُ نفسا قبلَ ميتتِها * جمعُ اليدين ولا الصَّمْصامةُ الذَّكَرُ

وقال جرير في ذلك

بسيفِ أبي رغوانَ سيفِ مجاشعٍ * ضربتَ ولم تضرب بسيف ابن ظالمِ
ضربتَ به عند الامام فأرعشتْ * يداك وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارمِ

حدثني عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبد الله بن محمد بن عيينة قال أخبرني أبو بكر بن عبد العزيز بن الضحاك بن قيس قال شهد سليمان بن عبد الملك جنازةً بدابق فدُفنت في حقل فجعل سليمان يأخذ من تلك التربة فيقول ما أحسن هذه التربة ما أطيبها فما أتى عليه جمعةٌ أو كما قال حتى دفن الى جنب ذلك القبر

﴿خلافة عمر بن عبد العزيز﴾

﴿وفي هذه السنة﴾ استخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

﴿ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان اياه﴾

حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال حدثني الهيثم بن واقد قال استخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ٩٩ قال محمد ابن عمر حدثني داود بن خالد بن دينار عن سهيل بن أبي سهيل قال سمعت رجاء بن حَيْوة يقول لما كان يوم الجمعة لبس سليمانُ بن عبد الملك ثيابا خضرا من خزّ ونظر في المرآة فقال أنا والله الملك الشابّ فخرج الى الصلاة فصلّى بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وُعِك فلما ثقل عهد في كتابٍ كتبه لبعض بنيه وهو غلام لم يبلغ فقلت ما تصنع يا أمير المؤمنين انه مما يحفظ الخليفة في

قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح فقال سليمان أنا أستخير الله وأنظر فيه ولم أعزم عليه قال فمكث يوما أو يومين ثم خرّقه فدعانى فقال ماترى فى داود بن سليمان فقلت هو غائب عنك بقسطنطينيّة وأنت لاتدرى أحىٌّ هو أم ميّت فقال لى فمن ترى قلت رأيك يا أمير المؤمنين وأنا أريد أن أنظر من يذكر قال كيف ترى فى عمر بن عبد العزيز فقلت أعلمه والله خيرا فاضلا مسلما فقال هو والله على ذلك ثم قال والله لئن وليته ولم أولّ أحدا سواه لتكوننّ فتنة ولا يتركونه أبدا يلى عليهم الا أن يجعل أحدهم بعده ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم قال فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده فان ذلك مما يسكّنهم ويرضون به قلت رأيك قال فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعُمَر بن عبد العزيز انى قد وليتك الخلافة من بعدى ومن بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيُطمَع فيكم وختم الكتاب وأرسل الى كعب بن حامد العبسى صاحب شرطه فقال مُرْ أهل بيتى فليجتمعوا فارسل كعب اليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم اذهب بكتابى هذا اليهم فاخبرهم ان هذا كتابى وأمُرهم فليبايعوا من وليت فيه ففعل رجاء فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا ندخل فنسلم على أمير المؤمنين قال نعم فدخلوا فقال لهم سليمان فى هذا الكتاب وهو يشير لهم اليه وهم ينظرون اليه فى يد رجاء بن حَيْوة عهدى فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سمّيت فى هذا الكتاب فبايعوه رجلا رجلا ثم خرج بالكتاب مختوما فى يد رجاء ابن حيوة قال رجاء فلما تفرقوا جاءنى عُمَرُ بن عبد العزيز فقال أخشى أن يكون هذا أسند الىّ شيأ من هذا الامر فانشدك الله وحرمتى ومودّتى الا أعلمتنى ان كان ذلك حتى استعفيه الآن قبل أن تأتى حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة قال رجاء لا والله ما أنا بمخبرك حرفا قال فذهب عمر غضبان قال رجاء ولقينى هشام بن عبد الملك فقال يا رجاء ان لى بك حرمة ومودّةً قديمةً وعندى شكر فأعلمنى هذا الامر فان كان الىّ علمت وان كان الى غيرى تكلمت فليس مثلى قصر به فأعلمنى فلك الله علىّ أن لا أذكر من ذلك شيأ أبدا قال رجاء فابيت فقلت والله لا أخبرك حرفا واحدا مما أسرّ الىّ قال فانصرف هشام وهو قد يئس ويضرب باحدى يديه على الاخرى وهو يقول فالى مَنْ اذاً نُحِّيَتْ عنى أتخرج من بنى عبد الملك قال رجاء ودخلت على سليمان فاذا هو يموت فجعلت اذا أخذته السكرة من سكرات الموت حرّفته الى القبلة فجعل يقول حين يفيق لم يأن لذلك بعد يا رجاء ففعلت ذلك مرتين فلما كانت الثالثة قال من الآن يا رجاء ان كنت تريد شيأ أشهدُ أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فحرّفته ومات فلما غمّضته سجّيته بقطيفة خضراء وأغلقت الباب وأرسلت الىّ زوجتهُ تقول كيف أصبح فقلت نائم وقد تغطّى فنظر الرسول اليه مغطّى بالقطيفة فرجع فاخبرها فقبلَتْ ذلك وظنَّتْ انه نائم قال رجاء وأجلست على الباب من أثق به وأوصيته

أن لا يبرح حتى آتيه ولا يدخل على الخليفة أحد قال فخرجت فارسلت الى كعب بن حامد
العبسي فجمع أهل بيت أمير المؤمنين فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت بايعوا فقالوا قد بايعنا مرة
ونبايع أخرى قلت هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا على ما أمر به ومن سمى في هذا الكتاب
المختوم فبايعوا الثانية رجلا رجلا قال رجاء فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت انى قد أحكمت
الامر قلت قوموا الى صاحبكم فقد مات قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقرأت الكتاب عليهم
فلما انتهيت الى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك لا نبايعه أبدا قلت أضرب
والله عنقك قم فبايع فقام يجر رجليه قال رجاء وأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز فاجلسته
على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه وهشام يسترجع لما أخطأه فلما انتهى هشام الى عمر قال
عمر انا لله وانا اليه راجعون حين صارت الى لكراهته والآخر يقول انا لله وانا اليه راجعون
حيث نحيت عنى قال وغسل سليمان وكفن وصلى عليه عمر بن عبد العزيز قال رجاء فلما فرغ
من دفنه أتى بمراكب الخلافة البراذين والخيل والبغال ولكل دابة سائس فقال ما هذا قالوا
مركب الخلافة قال دابتي أوفق لى وركب دابته قال فصرفت تلك الدواب ثم أقبل سائرا فقيل
منزل الخلافة فقال فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطى كفاية حتى يتحولوا فاقام في منزله حتى
فرغوه بعد قال رجاء فلما كان المساء من ذلك اليوم قال يا رجاء ادع لى كاتبا فدعوته وقد
رأيت منه كل ما سرنى صنع في المراكب ما صنع وفي منزل سليمان فقلت كيف يصنع الآن
في الكتاب أيصنع نسخا أم ماذا فلما جلس الكاتب أملى عليه كتابا واحدا من فيه الى يد
الكاتب بغير نسخة فاملى أحسن املاء وأبلغه وأوجزه ثم أمر بذلك الكتاب ان ينسخ الى كل
بلد وبلغ عبد العزيز بن الوليد وكان غائبا عن موت سليمان بن عبد الملك ولم يعلم ببيعة الناس
عمر بن عبد العزيز وعهد سليمان الى عمر فعقد لواء ودعا الى نفسه فبلغته بيعة الناس عمر بعهد
سليمان فاقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر قد بلغني انك كنت بايعت من
قبلك وأردت دخول دمشق فقال قد كان ذلك وذلك أنه بلغني ان الخليفة سليمان لم يكن عقد
لاحد فخفت على الاموال أن تنتهب فقال عمر لو بايعت وقمت بالامر ما نازعتك ذلك
ولقعدت في بيتي فقال عبد العزيز ما أحب انه ولى هذا الامر غيرك وبايع عمر بن عبد
العزيز قال فكان يرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وتركه ولده ﴿ وفي هذه السنة ﴾
وجه عمر بن عبد العزيز الى مسلمة وهو بارض الروم وأمره بالقفول منها بمن معه من المسلمين
ووجه اليه خيلا عتاقا وطعاما كثيرا وحث الناس على معونتهم وكان الذي وجه اليه من الخيل
العتاق فيما قيل خمسمائة فرس ﴿ وفي هذه السنة ﴾ أغارت الترك على آذربيجان فقتلوا من
المسلمين جماعة ونالوا منهم فوجه اليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي فقتل
أولئك الترك فلم يفلت منهم الا اليسير فقدم منهم على عمر بخناصرة بخمسين أسيرا ﴿ وفيها ﴾

عزل عمر يزيد بن المهلب عن العراق ووجه على البصرة وأرضها عدى بن ارطاة الفزارى وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الاعرج القرشى من بنى عدىّ بن كعب وضمّ اليه أبا الزناد فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن وبعث عدىّ فى أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوجيه الحميرى ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم وكان عامل عمر على المدينة وكان عامل عمر على مكة فى هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن وعلى البصرة وأرضها عدىّ بن ارطاة وعلى خراسان الجرّاح بن عبد الله وعلى قضاء البصرة اياس بن معاوية بن قرّة المزنى وكان قد ولى فيما ذكر قبله الحسن بن أبى الحسن فشكى فاستقضى اياس بن معاوية وكان على قضاء الكوفة فى هذه السنة فيما قيل عامرٌ الشعبى (وكان الواقدى) يقول كان الشعبى على قضاء الكوفة أيام عمر بن عبد العزيز من قبل عبد الحميد بن عبد الرحمن والحسن بن أبى الحسن البصرى على قضاء البصرة من قبل عدى ابن أرطاة ثم ان الحسن استعفى من القضاء عديا فاعفاه وولى اياسا

## ﴿ ثم دخلت سنة مائة ﴾

### ﴿ذكر الخبر عن الاحداث التى كانت فيها﴾

فمن ذلك خروج الخارجة التى خرجت على عمر بن عبد العزيز بالعراق

### ﴿ذكر الخبر عن أمرهم﴾

ذكر محمد بن عمران ابن أبى الزناد حدثه قال خرجت حَرُورِيَّة بالعراق فكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامل العراق يأمره أن يدعوهم الى العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فلما أعذر فى دعائهم بعث اليهم عبد الحميد جيشا فهزمتهم الحَرُورِيّة فبلغ عمر فبعث اليهم مَسْلَمة بن عبد الملك فى جيش من أهل الشأم جهزهم من الرَّقَّة وكتب الى عبد الحميد قد بلغنى ما فعل جيشك جيش السوء وقد بعثت مسلمة بن عبد الملك فخلِّ بينه وبينهم فلقيهم مسلمة فى أهل الشأم فلم يَنْشَب ان أظهره الله عليهم (وذكر أبو عبيدة) معمر بن المثنى ان الذى خرج على عبد الحميد بن عبد الرحمن بالعراق فى خلافة عمر بن عبد العزيز شَوْذَب واسمه بِسْطام من بنى يَشْكُر فكان مخرجه بجوخَى فى ثمانين فارسا أكثرهم من ربيعة فكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد أن لا تحرّكهم الا أن يسفكوا دما أو يفسدوا فى الارض فان فعلوا فحُلْ بينهم وبين ذلك وانظر رجلا صليبا حازما فوجّهه اليهم ووجه معه جندا وأوصه بما أمرتك به فعقد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلى فى ألفين من أهل الكوفة وأمره بما أمره به عمر وكتب عمر الى بسطام يدعوه ويسأله عن مخرجه فقدم كتاب عمر عليه وقد قدم عليه محمد بن جرير فقام بازائه لا يحركه

ولا يهيّجه فكان في كتاب عمر اليه انه بلغني انك خرجت غضباً لله ولنبيه ولست بأولى بذلك مني فهلم أناظرك فان كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وان كان في يدك نظرنا في أمرنا فلم يحرّك بسطام شيأ وكتب الى عمر قد أنصفت وقد بعثت اليك رجلين يدارسانك ويناظرانك قال أبو عبيدة أحد الرجلين اللذين بعثهما شوذب الى عمر مزوج مولى بني شيبان والآخر من صلبية بني يشكر قال فيقال أرسل نفرا فيهم هذان فأرسل اليهم عمر أن اختاروا رجلين فاختاروهما فدخلا عليه فناظراه فقالا له أخبرنا عن يزيد لم تقرّه خليفة بعدك قال صيّره غيري قال أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكّلته الى غير مأمون عليه أتراك كنت أدّيت الامانة الى من ائتمنك قال فقال أنظراني ثلاثا فخرجا من عنده وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال وأن يخلع يزيد فدسّوا اليه من سقاه سما فلم يلبث بعد خروجهما من عنده الا ثلاثا حتى مات ﴿وفي هذه السنة﴾ أغزى عمر بن عبد العزيز الوليد بن هشام المعيطي وعمرو بن قيس الكندي من أهل حمص الصائفة ﴿وفيها﴾ شخص عمر بن هبيرة الفزاري الى الجزيرة عاملا لعمر عليها ﴿وفي هذه السنة﴾ حمل يزيد بن المهلب من العراق الى عمر بن عبد العزيز

﴿ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف وصل اليه حتى استوثق منه﴾

اختلف أهل السير في ذلك فاما هشام بن محمد فانه ذكر عن أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب فنزل واسطا ثم ركب السفن يريد البصرة بعث عدي بن ارطاة الى البصرة أميرا فبعث عدي موسى بن الوجيه الحميري فلحقه في نهر معقل عند الجسر جسر البصرة فأوثقه ثم بعث به الى عمر بن عبد العزيز فقدم به عليه موسى بن الوجيه فدعا به عمر ابن عبد العزيز وقد كان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ويقول هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم وكان يزيد بن المهلب يبغض عمر ويقول اني لأظنه مرائيا فلما ولي عمر عرف يزيد ان عمر كان من الرياء بعيدا ولما دعا عمر يزيد سأله عن الاموال التي كتب بها الى سليمان بن عبد الملك فقال كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت وانما كتبت الى سليمان لأسمع الناس به وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ولا بأمر أكرهه فقال له ما أجد في أمرك الا حبسك فاتق الله وأدّ ما قبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها فرده الى محبسه وبعث الى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرّحه الى خراسان وأقبل مخلد ابن يزيد من خراسان يعطي الناس ولا يمرّ بكورة إلا أعطاهم فيها أموالا عظاما ثم خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك عليها وقد ابتلينا بك فلا نكن أشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ أنا أتحمّل ما عليه فصالحني على ما إياه تسأل فقال عمر لا الا أن تحمل جميع ما نسأله اياه فقال يا أمير المؤمنين ان كانت لك بينة فخذ بها وان لم تكن بينة فصدّق

مقالة يزيد والا فاستحلفه فان لم يفعل فصالحه فقال له عمر ما أجد الا أخذه بجميع المال فلما خرج مخلد قال هذا خير عندى من أبيه فلم يلبث مخلد الا قليلا حتى مات فلما أبى يزيد أن يؤدّى الى عمر شيأ ألبسه جبة من صوف وحمله على جمل ثم قال سيروا به الى دهلك فلما أخرج فمرّ به على الناس أخذ يقول مالى عشيرة مالى يذهب بى الى دهلك انما يذهب الى دهلك بالفاسق المريب الخارب سبحان الله أمالى عشيرة فدخل على عمر سلامة بن نعيم الخولانىّ فقال يا أمير المؤمنين اردد يزيد الى محبسه فانى أخاف ان أمضيته أن ينتزعه قومه فانى قد رأيت قومه غضبوا له فرده الى محبسه فلم يزل فى محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر * وأما غير أبى مخنف فانه قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عدىّ بن ارطاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ودفعه الى من بعين التمر من الجند فوجّه عدىّ بن ارطاة مع وكيع بن حسان بن أبى سود التميمىّ مغلولا مقيدا فى سفينة فلما انتهى به الى نهر أبان عرض لوكيع ناس من الازد لينتزعوه منه فوثب وكيع فانتضى سيفه وقطع قلس السفينة وأخذ سيف يزيد بن المهلب وحلف بطلاق امرأته ليضربنّ عنقه ان لم يتفرّقوا فناداهم يزيد بن المهلب فأعلمهم يمين وكيع فتفرقوا ومضى به حتى سلمه الى الجند الذين بعين التمر ورجع وكيع الى عدىّ بن ارطاة ومضى الجند الذين بعين التمر بيزيد بن المهلب الى عمر بن عبد العزيز فحبسه في السجن ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجرّاح بن عبد الله عن خراسان وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيرىّ فكانت ولاية الجرّاح بخراسان سنة وخمسة أشهر قدمها سنة ٩٩ وخرج منها لايام بقيت من شهر رمضان سنة ١٠٠

## ﴿ذكر سبب عزل عمر اياه﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر علىّ بن محمد عن كليب بن خلف عن ادريس بن حنظلة والمفضّل عن جدّه وعلىّ بن مجاهد عن خالد بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب ولى جهم بن زحر جرجان حين شخص عنها فلما كان من أمر يزيد ما كان وجّه عامل العراق من العراق واليا على جرجان فقدم الوالى عليها من العراق فأخذه جهم فقيّده وقيد رهطا قدموا معه ثم خرج فى خمسين من اليمن يريد الجرّاح بخراسان فاطلق أهل جرجان عاملهم فقال الجراح لجهم لولا انك ابن عمى لم أسوّغك هذا فقال له جهم ولولا انك ابن عمى لم آتك وكان جهم سلف الجرّاح من قبل ابنتى حصين بن الحارث وابن عمه لانّ الحكم وجعفىّ ابنا سعد فقال له الجرّاح خالفت إمامك وخرجت عاصيا فاغز لعلك أن تظفر فيصلح أمرك عند خليفتك فوجّهه الى الختّل فخرج فلما قرب منهم سار متنكّرا فى ثلاثة وخلف فى عسكره ابن عمه القاسم بن حبيب وهو ختنه على ابنته أمّ الاسود حتى دخل على صاحب الختّل فقال له أخلنى فأخلاه فاعتزى فنزل صاحب الختل عن سريره وأعطاه حاجته ويقولون

الختل موالى النعمان وأصاب مغنما فكتب الجرّاح الى عمر وأوفد وفدا رجلين من العرب ورجلاً من الموالى من بنى ضَبَّة ويكنى أبا الصيداء واسمه صالح بن طريق كان فاضلا فى دينه وقال بعضهم المولى سعيد أخو خالد أو يزيد النحوى فتكلم العربيّان والآخر جالس فقال له عمر أما أنت من الوفد قال بلى قال فما يمنعك من الكلام قال يا أمير المؤمنين عشرون ألفا من الموالى يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج وأميرنا عصىّ جاف يقوم على منبرنا فيقول أتيتكم حفيا وانا اليوم عصىّ والله لرجل من قومى أحبّ الىّ من مائة من غيرهم ويبلغ من جفائه ان كمّ درعه يبلغ نصف درعه وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان فقال عمر إذن مثلك فليوفد وكتب عمر الى الجرّاح أنظر من صلى قبلك الى القبلة فضع عنه الجزية فسارع الناس الى الاسلام فقيل للجرّاح ان الناس قد سارعوا الى الاسلام وانما ذلك نفورا من الجزية فامتحنهم بالختان فكتب الجرّاح بذلك الى عمر فكتب اليه عمر ان الله بعث محمدا صلى الله عليه داعيا ولم يبعثه خاتنا وقال عمر ابغونى رجلا صدوقا أسأله عن خراسان فقيل له قد وجدته عليك بأبى مِجْلَز فكتب الى الجراح ان أقبل واحمل أبا مجلز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدىّ وعلى جزيتها عبيد الله أو عبد الله بن حبيب فخطب الجرّاح فقال يا أهل خراسان جئتكم في ثيابى هذه التى علىّ وعلى فرسى لم أصب من مالكم الا حلية سيفى ولم يكن عنده الا فرس قد شاب وجهه وبغلة قد شاب وجهها فخرج في شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم فلما قدم قال له عمر متى خرجت قال في شهر رمضان قال قد صدق من وصفك بالجفاء هلا أقمت حتى تفطر ثم تخرج وكان الجراح يقول أنا والله عصىّ عقىّ يريد من العصبية وكان الجراح لما قدم خراسان كتب الى عمر انى قدمتُ خراسان فوجدتُ قوما قد أبطرتهم الفتنة فهم ينزون فيها نزوا أحبّ الامور اليهم أن تعود ليمنعوا حقّ الله عليهم فليس يكفهم الا السيف والسوط وكرهتُ الإقدام على ذلك الا باذنك فكتب اليه عمر يا ابن أمّ الجرّاح أنت أحرص على الفتنة منهم لا تضربنّ مؤمنا ولا معاهدا سوطا الا في حق واحذر القصاص فانك صائر الى من يَعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وتقرأ كتابا لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ولما أراد الجرّاح الشخص من خراسان الى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفا وقال بعضهم عشرة آلاف من بيت المال وقال هى علىّ سلفا حتى أؤدّيها الى الخليفة فقدم على عمر فقال له عمر متى خرجت قال لأيام بقين من شهر رمضان وعلىّ دين فاقضه قال لو قمت حتى تفطر ثم خرجت قضيتُ عنك فأدّى عنه قومه في أعطياتهم

ذكر

﴿ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيرىّ خراسان﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر لى أن الجرّاح بن عبد الله لما شُكى واستقدمه عمر بن عبد العزيز فقدم عليه عزَله عن خراسان لما قد ذكرتُ قبلُ ثم ان عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان قال فيما ذكر علىّ بن محمد عن خارجة بن مصعب الضبعىّ وعبد الله بن المبارك وغيرهما ابغونى رجلا صدوقا أسأله عن خراسان فقيل له أبو مجلز لاحق بن حميد فكتب فيه فقدم عليه وكان رجلا لا تأخذه العين فدخل أبو مجلز على عمر فى جفة الناس فلم يثبته عمرُ وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل دخل مع الناس ثم خرج فدعا به عمر فقال يا أبا مجلز لم أعرفك قال فهلا أنكرتنى اذ لم تعرفنى قال اخبرنى عن عبد الرحمن بن عبد الله قال يكافى الاكفاء ويعادى الاعداء وهو أمير يفعل ما يشاء ويقدم ان وجد من يساعده قال عبد الرحمن بن نعيم قال ضعيف لين يحب العافية وتأتى له قال الذى يحبّ العافية وتأتى له أحبّ الىّ فولاه الصلاة والحرب وولى عبد الرحمن القشيرىّ ثم أحد بنى الأعور بن قشير الخراج وكتب الى أهل خراسان انى استعملتُ عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله على خراجكم عن غير معرفة منى بهما ولا اختيار الا ما أخبرتُ عنهما فان كانا على ما تحبون فاحمدوا الله وان كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله ولا حول ولا قوة الا بالله قال علىّ وحدّثنا أبو السرىّ الأزدىّ عن ابراهيم الصائغ أن عمر بن عبد العزيز كتب الى عبد الرحمن بن نعيم أما بعد فكن عبدا ناصحا لله فى عباده ولا يأخذك فى الله لومة لائم فان الله أولى بك من الناس وحقُّه عليك أعظم فلا تولينّ شيأ من أمر المسلمين الا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم وأداء الامانة فيما استُرعى وإياك أن يكون ميلك ميلا الى غير الحقّ فان الله لا يخفى عليه خافية ولا تذهبنّ عن الله مذهبا فانه لا ملجأ من الله الا اليه قال علىّ عن محمد الباهلىّ وأبى نهيك بن زياد وغيرهما ان عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشىّ فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حتى قُتل يزيد بن المهلب ووجه مسلمة سعيدَ بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف وليها فى شهر رمضان من سنة ١٠٠ وعزل سنة ١٠٢ بعد ما قتل يزيد بن المهلب قال علىّ كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهرا

## أول الدعوة

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة أعنى سنة ١٠٠ وجّه محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة ميسرةَ الى العراق ووجّه محمدَ بن خنيس وأبا عكرمة السرّاج

وهو أبو محمد الصادق وحيّان العطار خال ابراهيم بن سلمة الى خراسان وعليها يومئذ الجراح ابن عبد الله الحكمي من قبل عمر بن عبد العزيز وأمرهم بالدعاء اليه والى أهل بيته فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم الى محمد بن على فدفعوها الى ميسرة فبعث بها ميسرة الى محمد بن على واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن على اثنى عشر رجلا نقباء منهم سليمان بن كثير الخزاعي ولاهز بن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائى وموسى بن كعب التميمي وخالد بن ابراهيم أبو داود من بنى عمرو بن شيبان بن ذهل والقاسم بن مجاشع التميمي وعمران بن اسماعيل أبو النجم مولى لآل أبى معيط ومالك بن الهيثم الخزاعي وطلحة بن زريق الخزاعي وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى لخزاعة وشبل بن طهمان أبو على الهروى مولى لبنى حنيفة وعيسى بن أعين مولى خزاعة واختار سبعين رجلا فكتب اليهم محمد بن على كتابا ليكون لهم مثالا وسيرة يسيرون بها ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق ابن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وكان عمال الامصار فى هذه السنة العمال فى السنة التى قبلها وقد ذكرناهم قبل ما خلا عامل خراسان فان عاملها كان فى آخرها عبد الرحمن بن نعيم على الصلاة والحرب وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج

## ثم دخلت سنة احدي ومائة

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز

### ﴿ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه﴾

* ذكر هشام بن محمد عن أبى مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما كلم فى يزيد بن المهلب حين أراد نفيه الى دهلك وقيل له انا نخشى أن ينتزعه قومه ردّه الى محبسه فلم يزل فى محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر فأخذ يعمل بعد في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك لانه كان قد عذب أصهاره آل أبى عقيل كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك فولدت له الوليد بن يزيد المقتول فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقا فكان يخشى ذلك فبعث يزيد ابن المهلب الى مواليه فأعدّوا له ابلا وكان مرض عمر فى دير سمعان فلما اشتدّ مرض عمر أمر بابله فأتى بها فلما تبين له انه قد ثقل نزل من محبسه فخرج حتى مضى الى المكان الذى واعدهم فيه فلم يجدهم جاؤا فجزع أصحابه وضجروا فقال لأصحابه أترونى أرجع الى السجن لا والله لا أرجع اليه أبدا ثم ان الابل جاءت فاحتمل فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات بن معاوية العامرية من بنى البكاء في شق المحمل فمضى فلما جاز كتب الى عمر

ابن عبد العزيز انى والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسى ولكنى لم آمن يزيد بن عبد الملك فقال عمر اللهم ان كان يزيد يريد بهذه الأمة شرا فاكفهم شره واردد كيده فى نحره ومضى يزيد بن المهلب حتى مر بحدث الزقاق وفيه الهذيل بن زفر معه قيس فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مر بهم فأصابوا طرفا من ثقله وغلمة من وصفائه فأرسل الهذيل بن زفر فى آثارهم فردهم فقال ما تطلبون أخبرونى أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحدا من قومه بتبل فقالوا لا قال فما تريدون انما هو رجل كان فى أسار فخاف على نفسه فهرب وزعم الواقدى أن يزيد بن المهلب انما هرب من سجن عمر بعد موت عمر ﴿وفى هذه السنة﴾ توفى عمر بن عبد العزيز فحدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر قال توفى عمر بن عبد العزيز لخمس ليال بقين من رجب سنة ١٠١ وكذلك قال محمد بن عمر حدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى عمر و ابن عثمان قال مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليال بقين من رجب سنة ١٠١ (وقال هشام) عن أبى مخنف مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان فى سنة ١٠١ وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ومات بدير سمعان ✿ وحدثنى الحارث قال حدثنا أحمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنى عمى الهيثم بن واقد قال ولدت سنة ٩٧ واستخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة ٩٩ فأصابنى من قسمه ثلاثة دنانير وتوفى بخناصرة يوم الأربعاء لخمس ليال بقين من رجب سنة ١٠١ وكان شكوه عشرين يوما وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ودفن بدير سمعان وقد قال بعضهم كان له يوم توفى تسع وثلاثون سنة وخمسة أشهر * وقال بعضهم كان له أربعون سنة (وقال هشام) توفى عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر وكان يكنى أبا حفص وله يقول عويف القوافى وقد حضره فى جنازة شهدها معه

أجبنى أبا حفص لقيت محمدا * على حوضه مستبشرا من وراكا
فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة * شمالك خير من يمين سواكا

وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وكان يقال له أشج بنى أمية وذلك ان دابة من دواب أبيه كانت شجته فقيل له أشج بنى أمية ✿ وحدثنى الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا سليمان بن حرب قال حدثنا المبارك بن فضالة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال كنت أسمع ابن عمر كثيرا يقول ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ✿ وحدثت عن منصور بن أبى مزاحم قال حدثنا مروان بن شجاع عن سالم الافطس ان عمر بن عبد العزيز رمحته دابة وهو غلام بدمشق فأتيت به أمه أم

عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فضمّته اليها وجعلت تمسح الدم عن وجهه ودخل أبوه عليها على تلك الحال فأقبلت عليه تعذله وتلومه وتقول ضيعت ابنى ولم تضم اليه خادما ولا حاضنا يحفظه من مثل هذا فقال لها اسكتى يا أم عاصم فطوبا لك اذ كان أشج بنى أمية

﴿ ذكر بعض سيره ﴾

* ذكر على بن محمد ان كليب بن خلف حدثهم عن ادريس بن حنظلة والمفضل عن جدّه وعلىّ بن مجاهد عن خالد ان عمر بن عبد العزيز كتب حين ولى الخلافة الى يزيد بن المهلب أما بعد فان سليمان كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه ثم قبضه واستخلفنى ويزيد ابن عبد الملك من بعدى ان كان وان الذى ولانى الله من ذلك وقدر لى ليس علىّ بهين ولو كانت رغبتى فى اتخاذ أزواج واعتقاد أموال كان فى الذى أعطانى من ذلك ماقد بلغ بى أفضل مابلغ بأحد من خلقه وأنا أخاف فيما ابتليت به حسابا شديدا ومسئلة غليظة الا ماعافى الله ورحم وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ألقاه الى أبى عيينة فلما قرأه قال لست من عماله قال ولم قال ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته وليس يريد أن يسلك مسلكهم فدعا الناس الى البيعة فبايعوا قال ثم كتب عمر الى يزيد استخلف على خراسان وأقبل فاستخلف ابنه مخلدا قال علىّ وحدثنا علىّ بن مجاهد عن عبد الاعلى بن منصور عن ميمون بن مهران قال كتب عمر الى عبد الرحمن بن نعيم ان العمل والعلم قريبان فكن عالما بالله عاملا له فان أقواما علموا ولم يعملوا فكان علمهم عليهم وبالا قال وأخبرنا مصعب بن حيان عن مقاتل بن حيان قال كتب عمر الى عبد الرحمن أما بعد فاعمل عمل رجل يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين قال علىّ أخبرنا كليب بن خلف عن طفيل بن مرداس قال كتب عمر الى سليمان بن أبى السرىّ أن اعمل خانات فى بلادك فمن مر بك من المسلمين فاقروهم يوما وليلة وتعهدوا دوابهم فمن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين فان كان منقطعا به فقوّوه بما يصل به الى بلده فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان ان قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل والانصاف فائذن لنا فليفد منا وفد الى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا فان كان لنا حق أعطيناه فان بنا الى ذلك حاجة فأذن لهم فوجهوا منهم قوما فقدموا على عمر فكتب لهم عمر الى سليمان بن أبى السرىّ ان أهل سمرقند قد شكوا الىّ ظلما أصابهم وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فاذا أتاك كتابى فأجلس لهم القاضى فلينظر فى أمرهم فان قضى لهم فاخرجهم الى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل ان ظهر عليهم قتيبة قال فأجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضى الناجىّ فقضى ان يخرج عرب سمرقند الى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة فقال أهل السغد بل نرضى بما كان ولا نجدد حربا وتراضوا بذلك فقال أهل الرأى قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم وأمنونا وأمناهم فان حكم لنا عدنا الى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر

وان

وان لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة فتركوا الامر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا
قال وكتب عمر الى عبد الرحمن بن نعيم يأمره باقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريهم قال
فأبوا وقالوا لا يسعنا مرو فكتب الى عمر بذلك فكتب اليه عمر اللهم انى قد قضيت الذى علىّ
فلا تغز بالمسلمين فحسبهم الذى قد فتح الله عليهم قال وكتب الى عقبة بن زرعة الطائى وكان
قد ولاه الخراج بعد القشيرى ان للسلطان أركانا لا يثبت الا بها فالوالى ركن والقاضى ركن
وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم الىّ ولا أعظم
عندى من ثغر خراسان فاستوعب الخراج واحرزه فى غير ظلم فإن يك كفافا لأعطياتهم
فسبيل ذلك والا فاكتب الىّ حتى أحمل اليك الاموال فتوفر لهم أعطياتهم قال فقدم عقبة
فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم فكتب الى عمر فاعلمه فكتب اليه عمر ان اقسم الفضل
في أهل الحاجة ❀ وحدثنى عبد الله بن أحمد بن شبّويه قال حدثنى أبى قال حدثنى
سليمان قال سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة عن داود بن سليمان الجعفى قال كتب عمر
ابن عبد العزيز من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الحميد سلام عليك أما بعد فان أهل
الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور فى أحكام الله وسنة خبيثة أستنها عليهم عمال السوء وان
قوام الدين العدل والإحسان فلا يكونن شىء أهم اليك من نفسك فانه لا قليل من الاثم
ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب انظر الخراب فخذ منه ما أطاق وأصلحه
حتى يعمر ولا يؤخذ من العامر الا وظيفة الخراج فى رفق وتسكين لاهل الارض ولا تأخذن
فى الخراج الا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور الضرابين ولا هدية النيروز والمهرجان
ولا ثمن الصحف ولا أجور الفيوج ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح ولا خراج على من
أسلم من أهل الارض فاتبع فى ذلك أمرى فانى قد وليتك من ذلك ما ولانى الله ولا تعجل
دونى بقطع ولا صلب حتى تراجعنى فيه وانظر من أراد من الذرّية ان يحج فعجل له مائة يحج
بها والسلام ❀ حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبّويه قال حدثنى أبى قال حدثنا سليمان
قال حدثنى عبد الله عن شهاب بن شريعة المجاشعى قال ألحق عمر بن عبد العزيز ذرارىّ
الرجال الذين في العطايا أقرع بينهم فمن أصابته القرعة جعله فى المائة ومن لم تصبه القرعة
جعله في الاربعين وقسم في فقراء أهل البصرة كل انسان ثلاثة دراهم فأعطى الزمنى خمسين
خمسين قال وأراه رزق الفطم ❀ حدثنى عبد الله قال حدثنا أبى قال حدثنا الفضيل
عن عبد الله قال بلغنى ان عمر بن عبد العزيز كتب الى أهل الشأم سلام عليكم ورحمة الله أما
بعد فانه من أكثر ذكر الموت قل كلامه ومن علم ان الموت حق رضى اليسير والسلام قال
على بن محمد وقال أبو مجلز لعمر انك وضعتنا بمنقطع التراب فاحمل الينا الاموال قال يا أبا مجلز
قلبت الامر قال يا أمير المؤمنين أهو لنا أم لك قال بل هو لكم اذا قصر خراجكم عن أعطياتكم
قال فلا أنت تحمله الينا ولا نحمله اليك وقد وضعت بعضه على بعض قال احمله اليكم ان شاء الله

ومرض من ليلته فمات من مرضه وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهرا ﴿قال أبو جعفر﴾ وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيمة الليثي ويكنى أبا الوليد وهو ابن تسع وسبعين

﴿زيادة في سير عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر
الى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان﴾

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي قال حدثنا رجل في مسجد الجنابذ ان عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخناصرة فقال أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض ألا واعلموا انما الأمان غدا لمن حذر الله وخافه وباع نافدا بباق وقليلا بكثير وخوفا بأمان ألا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد الى خير الوارثين وفي كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله فتغيبونه في صدع من الارض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد فارق الأحبة وخلع الأسباب فسكن التراب وواجه الحساب فهو مرتهن بعمله فقير الى ما قدم غني عما ترك فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقعه وايم الله اني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي فأستغفر الله وأتوب اليه وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة الا أحببت ان أسد من حاجته ما قدرت عليه وما منكم من أحد يسعه ما عندنا الا وددت انه ساواني ولحمتي حتى يكون عيشنا وعيشه سواء وايم الله ان لو أردت غير هذا من الغضارة والعيش لكان اللسان مني به ذلولا عالما بأسبابه ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة يدل فيها على طاعته وينهى عن معصيته ثم رفع طرف ردائه فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله ثم نزل فكانت اياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله (روى خلف بن تميم) قال حدثنا عبد الله بن محمد بن سعد قال بلغني ان عمر بن عبد العزيز مات ابن له فكتب عامل له يعزيه عن ابنه فقال لكاتبه أجبه عني قال فأخذ الكاتب يبري القلم قال فقال للكاتب ادق القلم فانه أبقى للقرطاس وأوجز للحروف واكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان هذا الامر أمر قد كنا وطنا أنفسنا عليه فلما نزل لم ننكره والسلام روى منصور بن مزاحم قال حدثنا شعيب يعني ابن صفوان عن ابن عبد الحميد قال قال عمر بن عبد العزيز من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته وأدى واجب حقه فاتقوا الله فانها نصيحة لكم في دينكم فاقبلوها وموعظة منجية في العواقب فالزموها الرزق مقسوم فلن يعدو المؤمن ما قسم له فأجملوا في الطلب فان في القنوع سعة وبلغة وكفافا ان أجل الدنيا في أعناقكم وجهنم أمامكم وما ترون ذاهب وما مضى فكأن لم يكن وكل أموات عن قريب وقد رأيتم

حالات الميت وهو يسوق و بعد فراغه وقد ذاق الموت والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله وعاينتم تعجيل اخراجه وقسمة تراثه و وجهه مفقود وذكره منسى وبابه مهجور كان لم يخالط اخوان الحفاظ ولم يعمر الديار فاتقوا هول يوم لا تحقر فيه مثقال ذرة فى الموازين * روى سهل ابن محمود قال حدثنا حرملة بن عبد العزيز قال حدثنى أبى عن ابن لعمر بن عبد العزيز قال أمرنا عمر أن نشترى موضع قبره فاشتريناه من الراهب قال فقال بعض الشعراء

أقولُ لما نعى النّاعُونَ لى عمرا * لا يبعدَنّ قوامُ العدل والدّينِ
قد غادرَ القومُ باللحدِ الذى لحدوا * بديرِ سمعانَ قسطاسَ الموازينِ

روى عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان قال قال عمر بن عبد العزيز من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه والرضا قليل ومعوّل المؤمن الصبر وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فاعاضه مما انتزع منه الصبر الا كان ما أعاضه خيرا مما انتزع منه ثم قرأ هذه الآية إنّما يُوفى الصّابرُون أجرَهُم بغَير حسَابٍ وقدم كتابه على عبد الرحمن بن نعيم لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صولحتم عليه ولا تحدثن كنيسة ولا بيت نار ولا تجر الشاة الى مذبحها ولا تحدّوا الشفرة على رأس الذبيحة ولا تجمعوا بين الصلاتين الا من عذر روى عفان بن مسلم عن عثمان بن عبد الحميد قال حدثنا أبى قال بلغنا ان فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت اشتدّ علزه ليلةً فسهر وسهرنا معه فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد فقلت له يا مرثد كن عند أمير المؤمنين فان كانت له حاجة كنتُ قريبا منه ثم انطلقنا فضربنا برؤسنا لطول سهرنا فلما انتفخ النهار استيقظت فتوجهتُ اليه فوجدت مرثدا خارجا من البيت نائما فايقظته فقلت يا مرثد ما أخرجك قال هو أخرجنى قال يا مرثد اخرج عنى فوالله انى لأرى شيأ ما هو بالانس ولا جانّ فخرجت فسمعته يتلو هذه الآية تلكَ الدّارُ الآخرةُ نجعَلهَا للّذينَ لا يُريدُونَ عُلوًّا في الأرضِ ولا فسَادًا والعاقبةُ للمُتّقين قال فدخلت عليه فوجدته قد وجه نفسه واغمض عينيه وانه لميت رحمه الله

﴿ خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾

﴿وفيها﴾ ولى يزيد بن عبد الملك بن مروان وكنيته أبو خالد وهو ابن تسع وعشرين سنة فى قول هشام بن محمد ولما ولى الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وولاها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى فقدمها فيما زعم الواقدىّ يوم الاربعاء لليال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبدُ الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الاسد المخزومىّ وذكر محمد بن عمران عبد الجبار بن عمارة حدثه عن أبى بكر بن حزم انه قال لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلنى دخلت عليه فسلمت فلم يقبل علىّ فقلت هذا شىء

لا تملكه قريش الانصار فرجعت الى منزلى وخفته وكان شاباً مقداماً فاذا هو يبلغني عنه انه
يقول ما يمنع ابن حزم ان يأتيني الا الكبر وانى لعالم بخيانته فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن
من كلامه فقلت للذى جاءنى بهذا قل له ما الخيانة لى بعادة وما أحب أهلها والامير يحدث نفسه
بالخلود فى سلطانه كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الامير فخرجوا منها وبقيت آثارهم
أحاديث ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة فلم يزل
الامر يترقى بينهما حتى خاصم اليه رجل من بنى فهر وآخر من بنى النجار وكان أبو بكر قضى
للنجارى على الفهرى في أرض كانت بينهما نصفين فدفع أبو بكر الارض الى النجارى فأرسل
الفهرى الى النجارى والى أبى بكر بن حزم فاحضرهما ابن الضحاك فتظلم الفهرى من أبى
بكر بن حزم وقال أخرج مالى من يدى فدفعه الى هذا النجارى فقال أبو بكر اللهم غفرا
أما رأيتنى سألت أياما فى أمرك وأمر صاحبك فاجتمع لى على اخراجها من يدك وأرسلتك
الى من أفتانى بذلك سعيد بن المسيب وأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فسألتهما
فقال الفهرى بلى وليس يلزمنى قولهما فانكسر ابن الضحاك فقال قوموا فقاموا فقال
للفهرى تقر له انك سألت من أفتاه بهذا ثم تقول ردها على أنت أرعن اذهب فلا حق لك
فكان أبو بكر يتقيه ويخافه حتى كلم ابن حيان يزيد ان يقيده من أبى بكر فانه ضربه حدين
فقال يزيد لا أفعل رجل اصطنعه أهل بيتى ولكنى أوليك المدينة قال لا أريد ذلك لو ضربته
بسلطانى لم يكن لى قودا فكتب يزيد الى عبد الرحمن بن الضحاك كتابا أما بعد فانظر فيما
ضرب ابن حزم ابن حيان فان كان ضربه فى أمر بين فلا تلتفت اليه وان كان ضربه فى أمر
يختلف فيه فلا تلتفت اليه فان كان ضربه فى أمر غير ذلك فأقده منه فقدم بالكتاب على عبد
الرحمن بن الضحاك فقال عبد الرحمن ما جئت بشئ أترى ابن حزم ضربك فى أمر لا يختلف
فيه فقال عثمان لعبد الرحمن ان أردت ان تحسن أحسنت قال الآن أصبت المطلب فأرسل
عبد الرحمن الى ابن حزم فضربه حدين فى مقام واحد ولم يسأله عن شئ فرجع أبو المعز ابن
حيان وهو يقول أنا أبو المعز ابن الحيان والله ما قاربت النساء من يوم صنع بى ابن أبى حزم
ما صنع حتى يومى هذا واليوم أقرب النساء ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة قتل شوذب
الخارجى

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

قد ذكرنا قبل الخبر عما كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز لمناظرته فى خلافه
عليه فلما مات عمر أحب فيما ذكر معمر بن المثنى عبد الحميد بن عبد الرحمن ان يحظى عند
يزيد بن عبد الملك فكتب الى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب وأصحابه ولم يرجع
رسولا شوذب ولم يعلم بموت عمر فلما رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب أرسل اليه شوذب
ما أعجلك قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم اليس قد تواعدنا الى أن يرجع رسولا شوذب
فأرسل اليهم محمد انه لا يسعنا تركـكم على هذه الحالة قال غير أبى عبيدة فقالت الخوارج

ما

مافعل هؤلاء هذا الاوقد مات الرجل الصالح قال معمر بن المثنى فبرزلهم شوذب فاقتتلوا فاصيب من الخوارج نفر واكثروا فى أهل القبلة القتل وولوا منهزمين والخوارج فى أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة ولجؤا الى عبد الحميد وجرح محمد بن جرير فى استه ورجع شوذب الى موضع فاقام ينتظر صاحبيه فجا آه فاخبراه بما صادرا عليه عمر وان قد مات فأقر يزيد عبد الحميد على الكوفة ووجه من قبله تميم بن الحباب فى ألفين فراسلهم وأخبرهم ان يزيد لا يفارقهم على مافارقهم عليه عمر فلعنوه ولعنوا يزيد فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه فلجأ بعضهم الى الكوفة ورجع الآخرون الى يزيد فوجه اليهم نجدة بن الحكم الازدى فى جمع فقتلوه وهزموا أصحابه فوجه اليهم الشحاج بن وداع فى ألفين فراسلهم وراسلوه فقتلوه وقتل منهم نفر فيهم هُدْبة اليشكرى ابن عم بسطام وكان عابدا وفيهم أبو شبيل مقاتل بن شيبان وكان فاضلا عندهم فقال أبو ثعلبة أيوب بن خولى يرثيهم

تَرَكنا تميما فى الغُبار مُلَحَّبا * تبكّى عليه عرسُهُ وقرائبُهْ
وقد أسلمتْ قَيسٌ تميما ومالكا * كما أسلمَ الشحاج أمس أقاربُه
وأقبلَ منْ حرَّان يحملُ رايةً * يُغالبُ أمرَ الله والله غالبُهْ
فياهُدْبَ للهَيْجا وياهُدْبَ للندَى * وياهدب للخصمِ الألدِّ يحاربُه
وياهدب كم من مُلحم قدأجبْتَهُ * وقد أسلمتْهُ للرِّماح جَوالبُهْ
وكان أبو شيبانَ خيرَ مقاتلٍ * يُرجى ويُخشى بأسُهُ من يحاربُه
ففازَ ولاقى اللهَ بالخير كُله * وخذَّمه بالسَّيف فى الله ضاربُهْ
تزوَّدَ منْ دُنياهُ درعًا ومغفرًا * وعضبًا حُسامًا لم تخنْهُ مضاربُهْ
وأجردَ محبوكَ السراة كأنَّهُ * إذا انقضَّ وافى الرِّيش حُجْنٌ مخالبُهْ

فلما دخل مسلمة الكوفة شكا اليه أهلها مكان شوذب وخوفهم منه وماقد قتل منهم فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشى وكان فارسا فعقد له على عشرة آلاف ووجهه اليه وهو مقيم بموضعه فاتاه مالا طاقة له به فقال شوذب لاصحابه من كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ومن كان انما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا وانما البقاء فى الدار الآخرة فكسروا أغماد السيوف وحملوا فكشفوا سعيدا وأصحابه مرارا حتى خاف الفضيحة فذمر أصحابه وقال لهم أمِنْ هذه الشرذمة لا أبا لكم تفرّون يا أهل الشأم يوما كايامكم قال فحملوا عليهم فطحنوهم طحنا لم يبقوا منهم أحدا وقتلوا بسطاما وهو شوذب وفرسانه منهم الريان بن عبد الله اليشكرى وكان من المخبتين فقال أخوه شمر بن عبد الله يرثيه

ولقد فجعتُ بسادةٍ وفوارسٍ * للحرب سُعْرٍ منْ بنى شيبانِ
إعتاقهمْ رَيبُ الزَّمانِ فغالهمْ * وتركتُ فردًا غيرَ ذى إخوانِ

كمد تجلجل فى فؤادى حسرة * كالنار من وجد على الريان
وفوارس باعوا الاله نفوسهم * من يشكر عند الوغا فرسان

وقال حسان بن جعدة يرثيهم

يا عين أذرى دموعا منك تسجاما * وابكى صحابة بسطام وبسطاما
فلن ترى أبدا ما عشت مثلهم * أتقى وأكمل فى الاحلام أحلاما
بسيهم قد تأسوا عند شدتهم * ولم يريدوا عن الأعداء إحجاما
حتى مضوا للذى كانوا له خرجوا * فأورثونا منارات وأعلاما
إنى لأعلم أن قد أنزلوا غرفا * من الجنان ونالوا ثم خداما
أسقى الاله بلادا كان مصرعهم * فيها سحابا من الوسمى سجاما

﴿ قال أبو جعفر ﴾ وفى هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة فغلب عليها وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدى بن أرطاة الفزارى فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك

﴿ ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد فى هذه السنة ﴾

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذى كان عمر بن عبد العزيز حبسه فيه ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه فى هذه السنة أعنى سنة ١٠١ ولما مات عمر ابن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك فى اليوم الذى مات فيه عمر وبلغه هرب يزيد بن المهلب فكتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره ان يطلبه ويستقبله وكتب الى عدى بن ارطاة يعلمه هربه ويأمره ان يتهيأ لاستقباله وان يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته ﴿ فذكر هشام بن محمد ﴾ عن أبى مخنف ان عدى بن أرطاة أخذهم وحبسهم وفيهم المفضل وحبيب ومروان بنو المهلب وأقبل يزيد بن المهلب حتى مر بسعيد بن عبد الملك بن مروان فقال يزيد لأصحابه الا نعرض لهذا فنأخذه فنذهب به معنا فقال أصحابه لا بل امض بنا ودعه وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القطقطانة وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام بن مساحق ابن عبد الله بن مخرمة بن عبد العزيز بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى القرشى فى ناس من أهل الكوفة من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة فقال له انطلق حتى تستقبله فانه اليوم يمر بجانب العذيب فمشى هشام قليلا ثم رجع الى عبد الحميد فقال آجيئك به أسيرا أم آتيك برأسه فقال أى ذلك ماشئت فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه وجاء هشام حتى نزل العذيب ومر يزيد منهم غير بعد فاتقوا الاقدام عليه ومضى يزيد نحو البصرة ففيه يقول الشاعر

وسار ابن المهلب لم يعرج * وعرس ذو القطيفة من كنانه

وَيَاسَرَ والتَّيَاسُرُ كَانَ حَزْما * ولم يقرَبْ قُصُورَ القُطْقُطَانَهْ

ذو القطيفة هو محمد بن عمرو وأبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أبو قطيفة وانما
سمي ذا القطيفة لانه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر ومحمد يقال له ذو الشامة فلما جاء
يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق الى عبد الحميد ومضى يزيد الى البصرة وقد جمع
عدي بن أرطاة اليه أهل البصرة وخندق عليها وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله
ابن أبي عقيل الثقفيّ وكان عدي بن أرطاة رجلا من بني فزارة وقال عبد الملك بن المهلب
لعدي بن أرطاة خذ ابني حميدا فاحبسه مكاني وأنا أضمن لك ان أرد يزيد عن البصرة حتى
يأتي فارس ويطلب لنفسه الامان ولا يقربك فأبى عليه وجاء يزيد ومعه أصحابه الذين أقبل
فيهم والبصرة محفوفة بالرجال وقد جمع محمد بن المهلب ولم يكن ممن حبس رجالا وفتية من
أهل بيته وناسا من مواليه فخرج حتى استقبله فأقبل في كتيبة يهول من رآها وقد دعا عديّ
أهل البصرة فبعث على كل خُمُس من أخماسها رجلا فبعث على خمس الازد المغيرة بن زياد
ابن عمرو العتكي وبعث على خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر وعلى خمس
بكر بن وائل عمران بن عامر بن مسمع من بني قيس بن ثعلبة فقال أبو منقر رجل من قيس
ابن ثعلبة ان الراية لا تصلح الا في بني مالك بن مسمع فدعا عدي نوح بن شيبان بن مالك
ابن مسمع فعقد له على بكر بن وائل ودعا مالك بن المنذر بن الجارود فعقد له على عبد
القيس ودعا عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر القرشي فعقد له على أهل العالية والعالية
قريش وكنانة والازد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة وأهل العالية بالكوفة يقال
لهم ربع أهل المدينة وبالبصرة خمس أهل العالية وكانوا بالكوفة أخماسا فجعلهم زياد بن عبيد
أرباعا قال هشام عن أبي مخنف وأقبل يزيد بن المهلب لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيلة من
قبائلهم الا تنحوا له عن السبيل حتى يمضي واستقبله المغيرة بن عبد الله الثقفيّ في الخيل فحمل
عليه محمد بن المهلب في الخيل فافرج له عن الطريق هو وأصحابه وأقبل يزيد حتى نزل داره
واختلف الناس اليه وأخذ يبعث الى عديّ بن أرطاة ان ادفع اليّ اخوتي وأنا أصالحك على
البصرة واخليك وإياها حتى آخذ لنفسي ما أحب من يزيد بن عبد الملك فلم يقبل منه وخرج
الى يزيد بن عبد الملك حميد بن عبد الملك بن المهلب فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن
عبد الله القسري وعمر بن يزيد الحكمي بامان يزيد بن المهلب وأهل بيته وأخذ يزيد بن
المهلب يعطي من أتاه من الناس فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة فمال الناسُ اليه
ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطا على عدي بن أرطاة حين نزع منه رايته راية
بكر بن وائل وأعطاها ابن عمه ومالت الى يزيد ربيعة وبقية تميم وقيس وناس بعد ناس فيهم
عبد الملك ومالك ابنا مسمع ومعه ناس من أهل الشام وكان عديّ لا يعطي الا درهمين

درهمين ويقول لا يحل لى ان أعطيكم من بيت المال درهما الا بأمر يزيد بن عبد الملك ولكن تبلغوا بهذا حتى يأتى الامر فى ذلك فقال الفرزدق فى ذلك

أُظنُّ رِجالَ الدّرهَمَينِ يَسُوقُهُم * إلى الموتِ آجالٌ لَهُم ومَصارِعُ

فأحزَمُهُم من كان فى قعرِ بيتِه * وأيقنَ أنَّ الأمر لاشكَّ واقِعُ

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى فنزلوا المربد فبعث اليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس فحمل عليهم فهزمهم فقال الفرزدق في ذلك

تفرَّقَتِ الحَمراءُ إذ صاحَ دارِسٌ * ولم يصبروا تحتَ السُّيوفِ الصَّوارِمْ

جزَى اللهُ قَيساً عَن عَدِيٍّ مَلامَةً * ألا صَبَرُوا حتَّى تكونَ مَلاحِمِ

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس حتى نزل جبانة بنى يشكر وهو المنصف فيما بينه وبين القصر وجاءته بنو تميم وقيس وأهل الشأم فاقتتلوا هُنَيهةً فحمل عليهم محمد بن المهلب فضرب مسور بن عباد الحبطىّ بالسيف فقطع أنف البيضة ثم أسرع السيف الى أنفه وحمل على هريم بن أبى طلحة بن أبى نهشل بن دارم فاخذ بمنطقته فخذفه عن فرسه فوقع فيما بينه وبين الفرس وقال هيهات هيهات عمك أثقل من ذلك وانهزموا وأقبل يزيد بن المهلب أثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر فقاتلوهم وخرج اليه عدىٌّ بنفسه فقتل من أصحابه الحارث ابن مصرف الاودى وكان من أشراف أهل الشأم وفرسان الحجاج وقتل موسى بن الوجيه الحميرى ثم الكلاعىّ وقتل راشد المؤذن وانهزم أصحاب عدىّ وسمع أخوة يزيد وهم في محبس عدى الاصوات تدنو والنشاب تقع فى القصر فقال لهم عبد الملك انى أرى النشاب تقع فى القصر وأرى الاصوات تدنو ولا أرى يزيد الا قد ظهر وانى لا آمن من مع عدىّ من مضر ومن أهل الشأم ان يأتونا فيقتلونا قبل ان يصل الينا يزيد الى الدار فاغلقوا الباب ثم القوا عليه ثيابا ففعلوا فلم يلبثوا الا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عامر وكان على حرس عدى فجاء يشتد الى الباب هو وأصحابه وقد وضع بنو المهلب متاعا على الباب ثم اتكوا عليه فأخذ الآخرون يعالجون الباب فلم يستطيعوا الدخول وأعجلهم الناس فخلوا عنهم وجاء يزيد ابن المهلب حتى نزل دار سالم بن زياد بن أبى سفيان الى جانب القصر وأتى بالسلالم فلم يلبث عثمان ان فتح القصر وأتى بعدىّ بن أرطاة فجىء به وهو يتبسم فقال له يزيد لم تضحك فوالله انه لينبغى ان يمنعك من الضحك خصلتان احداهما الفرار من القتلة الكريمة حتى أعطيتَ بيدك اعطاء المرأة بيدها فهذه واحدة والاخرى انى أتيتُ بك تُتَلُّ كما يُتَلُّ العبد الآبق الى أربابه وليس معك منى عهدٌ ولا عقد فما يؤمنك ان أضرب عنقك فقال عدىّ أما أنت فقد قدرت على ولكنى أعلم ان بقائى بقاؤك وان هلاكى مطلوب به من جرته يده انك قد رأيت جنود الله بالمغرب وعلمت بلاء الله عندهم فى كل موطن من مواطن الغدر والنكث

فتدارك

فتدارك فلتتك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة قبل ان يرمى اليك البحر بأمواجه فان طلبت الاستقالة حينئذ لم تقل وان أردت الصلح وقد أشخصت القوم اليك وجدتهم لك مباعدين ومالم يشخص القوم اليك فلم يمنعوك شيأ طلبت فيه الامان على نفسك وأهلك ومالك فقال له يزيد أما قولك ان بقاءك بقائى فلا أبقانى الله حسوة طائر مذعور ان كنت لا يبقينى الا بقاؤك وأما قولك ان هلاكك مطلوب به من جرته يده فوالله لو كان في يدى من أهل الشأم عشرة آلاف انسان ليس فيهم رجل الا أعظم منزلة منك فيهم ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد لكان فراقى اياهم وخلافى عليهم أهول عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ثم لو شئت ان تهدر لى دماؤهم وان أحكم في بيوت أموالهم وان يجوز والى عظيما من سلطانهم على ان أضع الحرب فيما بينى و بينهم لفعلوا فلا يخفين عليك ان القوم ناسوك لو قد وقعت أخيارنا اليهم وان أعمالهم وكيدهم لا يكون الا لأنفسهم لا يذكرونك ولا يحفلون بك وأما قولك تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل فوالله ما استشرتك ولا أنت عندى بوادّ ولا نصيح فما كان ذلك منك الا عجزا وفضلا انطلقوا به فلما ذهبوا به ساعة قال ردوه فلما رد قال أما ان حبسى اياك ليس الا لحبسك بنى المهلب وتضييقك عليهم فيما كنا نسألك التسهيل فيه عليهم فلم تكن تألو ما عسّرت وضيّقت وخالفت فكأنه لهذا القول حين سمعه أمن على نفسه وأخذ عدى يحدث به كل من دخل عليه وكان رجل يقال له السميدع الكندى من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عمان يرى رأى الخوارج وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدى مصطفون فاعتزل ومعه ناس من القراء فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدى قد رضينا بحكم السميدع ثم ان يزيد بعث الى السميدع فدعاه الى نفسه فأجابه فاستعمله يزيد على الأُبلَّة فأقبل على الطيب والتخلق والنعيم فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رؤس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ولحق بعضهم بالشأم فقال الفرزدق

فِـداءٌ لِقَومٍ مِن تَميمٍ تَتابَعوا * الى الشأم لم يرضوا بحكمِ السَّمَيْدَعِ
أَحُكمُ حَروريٍّ مِنَ الدينِ مارقٍ * أَضلَّ وأغوى مِن حِمارٍ مُجَدَّعِ

فأجابه خليفةُ الأقطعُ

وَماوجَّهوا هانحوَه عن وفادةٍ * ولا نُهزةٍ يُرجى بهاخيرُ مَطْمَعِ
ولكنهم راحوا إليها وأدلجوا * بأقرعَ أستاهٍ ترى يومَ مَفزَعِ
وُهُم من حِذارِ القوم أن يَلحقوابهمْ * لهم نَزلةٌ فى كلِّ خمسٍ وأربعِ

وخرج الحوارىُّ بن زياد بن عمرو العتكىّ يريد يزيد بن عبد الملك هاربا من يزيد بن المهلب فلقى خالدَ بن عبد الله القسرىّ وعمرو بن يزيد الحكمىّ ومعهما حميد بن عبد الملك

ابن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب وكل شيء اراده فاستقبلهما فسألاه عن الخبر فخلا بهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك فقال أين تريدان فقالا يزيد بن المهلب قد جئناه بكل شيء اراده فقال ما تصنعان بيزيد شيأ ولا يصنعه بكما قد ظهر على عدوه عدى بن ارطاة وقتل القتلى وحبس عديا فارجعا أيها الرجلان ويمر رجل من باهلة يقال له مسلم بن عبد الملك فلم يقف عليهما فصاح به وساءلاه فلم يقف عليهما فقال القسرى ألا ترده فتجلده مائة جلدة فقال له صاحبه غربه عنك وأملا لينصرف ومضى الحوارى بن زياد الى يزيد بن عبد الملك وأقبلا بحميد بن عبد الملك معهما فقال لهما حميد أنشدكما الله أن تخالفا أمر يزيد ما بعثتما به فإن يزيد قابل منكما وان هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء فأنشدكما الله أن تقبلا مقالته فلم يقبلا قوله وأقبلا به حتى دفعاه الى عبد الرحمن ابن سليمان الكلبى وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه الى خراسان عاملا عليها فلما بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب اليه ان جهاد من خالفك أحب الى من عملى على خراسان فلا حاجة لى فيها فاجعلنى ممن توجهنى الى يزيد بن المهلب وبعث بحميد بن عبد الملك الى يزيد ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب وهو بالكوفة وعلى حمال بن زحر الجعفى وليسا ممن كان ينطق بشيء الا انهم عرفوا ما كان بينه وبين بنى المهلب فأوثقهما وسرحهما الى يزيد بن عبد الملك فحبسهما جميعا فلم يفارقوا السجن حتى هلكوا فيه وبعث يزيد بن عبد الملك رجالا من أهل الشأم الى الكوفة يسكنونهم ويثنون عليهم بطاعتهم ويمنونهم الزيادات منهم القطامى بن الحصين وهو أبو الشرقى واسم الشرقى الوليد وقد قال القطامى حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب

لَعَلَّ عَينى أنْ تَرَى يَزيدَا * يَقُودُ جيشًا جَحْفَلا شَديدَا

تَسْمَعُ للأرضِ به وَئيــــدَا * لا بَرَمًا هَــدًّا ولاَ حَسُودَا

وَلاَ جَبانًا فى الوغى عَـــديدَا * تَرَى ذَوِى التَّاجِ له سُجُودا

مُكَفِّرِينَ خاشِــعِينَ قُودَا * وآخَرِينَ رَحَّبُوا وُفُودَا

لا يَنْقُضُ العهدَ ولا المعهودَا * مِنْ نفرٍ كانوا هِجانًا صيدَا

ترى لهم فى كلِّ يومٍ عِيدا * من الأعادى جزرًا مقصودا

ثم ان القطامى سار بعد ذلك الى العقر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك فقال يزيد بن المهلب ما أبعد شعر القطامى من فعله ثم ان يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد فى أربعة آلاف فارس جريدة خيل حتى وافوا الحيرة يبادر اليها يزيد ابن المهلب ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشأم وأخذ على الجزيرة على شاطئ الفرات فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب وبعث عماله على الاهواز وفارس

وكرمان

وكرمان عليها الجرّاح بن عبدالله الحكمى حتى انصرف الى عمر بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن نعيم الأزدى فكان على الصلاة واستخلف يزيدُ بن عبدالملك عبدَ الرحمن القشيرى على الخراج وجاء مُدْرِك بن المهلب حتى انتهى الى رأس المفازة فدسّ عبدالرحمن ابن نعيم الى بنى تميم أن هذا مدرك بن المهلب يريد أن يُلقى بينكم الحرب وأنتم في بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة فخرجوا ليلا يستقبلونه وبلغ ذلك الأزد فخرج منهم نحو من ألفَىْ فارس حتى لحقوهم قبل أن ينتهوا الى رأس المفازة فقالوا لهم ما جاء بكم وما أخرجكم الى هذا المكان فاعتلوا عليهم بأشياء ولم يُقرّوا لهم انهم خرجوا ليتلقوا مدرك بن المهلب فقال لهم الآخرون بل قد علمنا أن تخرجوا لتلقّى صاحبنا وها هو ذا قريب فما شئتم ثم انطلقت الازد حتى تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة فقالوا له انك أحبّ الناس الينا وأعزّهم علينا وقد خرج أخوك ونابَذَ فان يُظهره الله فانما ذلك لنا ونحن أسرع الناس اليكم أهل البيت وأحقّه بذلك وان تكن الأخرى فوالله مالك فى أن يغشينا ما يعرّ نا فيه من البلاء راحة فعزم له رأيه على الانصراف فقال ثابت قُطْنة وهو ثابت بن كعب من الأزد من العَتيك

| | |
|---|---|
| أَلَمْ تَرَ دَوْسَرًا مَنَعَتْ أخاها | وقد حَشَدَتْ لِتقتلَهُ تميمُ |
| رَأَوْا من دونه الزُّرْقَ العَوالِى | وَحيًّا ما يُباحُ لهم حريمُ |
| شَنُوأَتُها وعِمْرانُ بنُ حزمٍ | هناكَ المجدُ والحسبُ الصَّميمُ |
| فما حملوا ولكن نَهْنَهَتْهُمْ | رماحُ الأزدِ والعزُّ القديمُ |
| رَدَدْنا مُدْرِكًا بمَرَدِّ صِدْقٍ | وليسَ بوجهه منكم كُلُومُ |
| وَخيلٍ كالقِداحِ مُسَوَّماتٍ | لَدَى أرضٍ مغانيها الجميمُ |
| عليها كلُّ أصْيَدَ دَوْسَرِيٍّ | عزيزٍ لا يَفِرُّ ولا يَرِيمُ |
| بهم تَسْتَعْتِبُ السفهاءُ حتى | ترى السفهاءَ تَرْدَعُها الحلومُ |

(قال هشام) قال أبو مخنف فحدّثنى معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرةُ قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم أخبرهم أنه يدعوهم الى كتاب الله وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ويحثّ على الجهاد ويزعم ان جهاد أهل الشأم أعظم ثوابًا من جهاد الترك والديلم قال فدخلت أنا والحسن البصرى وهو واضع يده على عاتقى وهو يقول انظر هل ترى وجه رجل تعرفه قلت لا والله ما أرى وجه رجل أعرفه قال فهؤلاء والله الاعتاء قال فمضينا حتى دنونا من المنبر قال فسمعته يذكر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم رفع صوته فقال والله لقد رأيناك واليا ومولّيا عليك فما ينبغى لك ذلك قال فوثبنا عليه فأخذنا بيده وفمه وأجلسناه فوالله ما نشكّ أنه سمعه ولكنه لم يلتفت اليه ومضى في خطبته قال ثم انا خرجنا

الى باب المسجد فاذا على باب المسجد النضر بن أنس بن مالك يقول ياعباد الله ماتنقمون من أن تجيبوا الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم الا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز فقال الحسن سبحان الله وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضا (قال هشام) قال أبو مخنف وحدثني المثنى بن عبد الله ان الحسن البصري مر على الناس وقد اصطفوا صفين وقد نصبوا الرايات والرماح وهم ينتظرون خروج يزيد وهم يقولون يدعونا يزيد الى سنة العمرين فقال الحسن انما كان يزيد بالامس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها الى بني مروان يريد بهلاك هؤلاء رضاهم فلما غضب غضبة نصب قصبا ثم وضع عليها خرقا ثم قال انى قد خالفتهم فخالفوهم قال هؤلاء نعم وقال انى أدعوكم الى سنة العمرين وان من سنة العمرين أن يوضع قيد في رجله ثم يرد الى محبس عمر الذي فيه حبسه فقال له ناس من أصحابه ممن سمع قوله والله لكأنك ياأباسعيد راض عن أهل الشام فقال أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرحهم أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم يحملون الحرائر ذوات الدين لا يتناهون عن انتهاك حرمة ثم خرجوا الى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها عليهم لعنة الله وسوء الدار قال ثم ان يزيد خرج من البصرة واستعمل عليها مروان بن المهلب وخرج معه بالسلاح وبيت المال فأقبل حتى نزل واسط وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط فقال هاتوا الرأي فان أهل الشام قد نهضوا اليكم فقال له حبيب وقد أشار اليه غير حبيب أيضا فقالوا نرى أن تخرج وتنزل بفارس فتأخذ بالشعاب وبالعقاب وتدنو من خراسان وتطاول القوم فان أهل الجبال ينفضون اليك وفي يدك القلاع والحصون فقال ليس هذا برأي ليس يوافقني هذا انما تريدون أن تجعلوني طائرا على رأس جبل فقال له حبيب فان الرأي الذي كان ينبغي أن يكون في أول الامر قد فات قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلا عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة فانما هو عبد الحميد بن عبد الرحمن مررت به في سبعين رجلا فعجز عنك فهو عن خيلك أعجز في العدة فنسبق اليها أهل الشام وعظماء أهلها يرون رأيك وان تلي عليهم أحب الى جلهم من أن يلي عليهم أهل الشام فلم تطعني وأنا أشير الآن برأي سرح مع أهل بيتك خيلا من خيلك عظيمة فتأتي الجزيرة وتبادر اليها حتى ينزلوا حصنا من حصونها وتسير في أثرهم فاذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جندا من جنودك بالجزيرة ويقبلون اليك فيقيمون عليهم فكأنهم حابستهم عليك حتى تأتيهم فيأتيك من بالموصل من قومك وينفض اليك أهل العراق وأهل الثغور وتقاتلهم في أرض رفيعة السعر وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك فقال انى أكره أن أقطع

جيشى وجندى فلما نزل واسط أقام بها أياماً يسيرة ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال محمد بن عمر وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن وعلى قضائها الشعبى وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد بن المهلب وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم

## ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك ما كان فيها من مسير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك الى يزيد ابن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك اياهما لحربه ﴿وفيها﴾ قتل يزيد بن المهلب في صفر

### ﴿ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب﴾

* ذكر هشام عن أبى مخنف أن معاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخوص عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنه معاوية وجعل عنده بيت المال والخزائن والاسراء وقدم بين يديه أخاه عبد الملك ثم سار حتى مر بفم النيل ثم سار حتى نزل العقر وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار ثم عقد عليها الجسر فعبر من قبل قرية يقال لها فارط ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب * وقد قدم يزيد أخاه نحو الكوفة فاستقبله العباس بن الوليد بسورا فاصطفوا ثم اقتتل القوم فشد عليهم أهل البصرة شدة كشفوهم فيها وقد كان معهم ناس من بنى تميم وقيس ممن انهزم من يزيد من البصرة فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس فيهم هريم بن أبى طحمة المجاشعى فلما انكشف أهل الشأم تلك الانكشافة ناداهم هريم بن أبى طحمة يا أهل الشأم الله الله أن تسلمونا وقد اضطرهم أصحاب عبد الملك الى نهر فاخذوا ينادونه لا بأس عليك أن لأهل الشأم جولة في أول القتال أتاك الغوث قال ثم ان أهل الشأم كروا عليهم فكشف أصحاب عبد الملك وهزموا وقتل المنتوف من بكر بن وائل مولى لهم فقال الفرزدق يحرض بكر بن وائل

تبكى على المنتوف بكر بن وائل * وتنهى عن ابنى مسمع من بكاهما
غلامين شبا في الحروب وأدركا * كرام المساعى قبل وصل لحاهما
ولو كان حيا مالك وابن مالك * اذاً أوقدوا نارين يعلو سناهما

وابنا مسمع مالك وعبد الملك ابنا مسمع قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب * فأجابه الجعد ابن درهم مولى . . . . . . . . من همدان

نبكي على المنتوف في نصر قومه * ولسنا نبكي الشائدين أباهما
أرادا فناء الحي بكر بن وائل * فعز تميم لو أصيب فناهما
فلا لقيا روحا من الله ساعة * ولا رقأت عينا شجي بكاهما
أفي الغش نبكي إن بكينا عليهما * وقد لقيا بالغش فينا رداهما

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى الى أخيه بالعقر وأمر عبد الله بن حيان العبدي فعبر الى جانب الصراة الاقصى وكان الجسر بينه وبينه ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد وخندق عليه وقطع مسلمة اليهم الماء وسعيد بن عمرو الحرشي ويقال عبر اليهم الوضاح فكانوا بازائهم وسقط الى يزيد ناس من الكوفة كثير ومن الجبال وأقبل اليه ناس من الثغور فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا اليه وربع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الازدي وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن ابراهيم بن الأشتر النخعي وبعث على ربع كندة وربيعة محمد بن اسحاق بن محمد بن الاشعث وبعث على ربع تميم وهمدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي وجمعهم جميعا مع المفضل بن المهلب (قال هشام بن محمد) عن أبي مخنف حدثني العلاء بن زهير قال والله انا لجلوس عند يزيد ذات يوم اذ قال ترون ان في هذا العسكر ألف سيف يضرب به قال حنظلة بن عتاب اي والله وأربعة آلاف سيف قال انهم والله ما ضربوا بألف سيف قط والله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفا والله لوددت أن مكانهم الساعة معي من بخراسان من قومي (قال هشام) قال أبو مخنف ثم انه قام ذات يوم فحرضنا ورغبنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله ان هؤلاء القوم لن يردهم عن غيهم الا الطعن في عيونهم والضرب بالمشرفية على هامهم ثم قال انه قد ذكر لي ان هذه الجرادة الصفراء يعني مسلمة بن عبد الملك وعاقر ناقة ثمود يعني العباس ابن الوليد وكان العباس أزرق أحمر كانت أمه رومية والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقره على نسبه فبلغني أنه ليس همهما الا التماسي في الارض والله لو جاؤا بأهل الارض جميعا وليس الا أنا ما برحت العرصة حتى تكون لي أو لهم قالوا نخاف أن تعنينا كما عنانا عبد الرحمن بن محمد قال ان عبد الرحمن فضح الذمار وفضح حسبه وهل كان يعدو أجله ثم نزل قال ودخل علينا عامر بن العميثل رجل من الأزد قد جمع جموعا فأتاه فبايعه وكانت بيعة يزيد تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى أن لا تطأ الجنود بلادنا ولا بيضتنا ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ومن أبى جاهدناه وجعلنا الله بيننا وبينه ثم يقول تبايعونا فاذا قالوا نعم بايعهم * وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالنخيلة وبعث الى المياه فبثقها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب لئلا يصل الى الكوفة ووضع على الكوفة مناظر وارصادا لتحبس أهل الكوفة عن

الخروج

الخروج الى يزيد وبعث عبد الحميد بعثا من الكوفة عليهم سيف بن هانئ الهمدانى حتى قدموا على مسلمة فألطفهم مسلمة وأثنى عليهم بطاعتهم ثم قال والله لقلّ ما جاءنا من أهل الكوفة فبلغ ذلك عبد الحميد فبعث بعثا هم أكثر من ذلك وبعث عليهم سبرة بن عبد الرحمن ابن مخنف الأزدىّ فلما قدم أثنى عليه وقال هذا رجل لاهل بيته طاعة وبلاء ضُمّوا اليه من كان ههنا من أهل الكوفة وبعث مسلمة الى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة وهو ذو الشامة مكانه فدعا يزيد بن المهلب رؤس أصحابه فقال لهم قد رأيتُ أن أجمع اثنى عشر ألف رجل فأبعثهم مع محمد بن المهلب حتى يبيّتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزُّبُل لدفن خندقهم فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقية ليلتهم وأمدّه بالرجال حتى أصبح فاذا أصبحتُ نهضتُ اليهم أنا بالناس فنناجزهم فانى أرجو عند ذلك أن ينصر الله عليهم قال السَّمَيدع انّا قد دعوناهم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وقد زعموا انهم قابلو هذا منا فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ولا نريدهم بسوء حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا قال أبو رؤبة وكان رأس طائفة من المرجئة ومعه أصحابٌ له صَدَق هكذا ينبغى قال يزيد ويحكم أتصدّقون بنى أمية انهم يعملون بالكتاب والسنة وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا انهم لم يقولوا لكم انّا نقبل منكم وهم يريدون أن لا يعملوا بسلطانهم الا ما تأمرونهم به وتدعونهم اليه لكنهم أرادوا أن يكفوكم عنهم حتى يعملوا في المكر فلا يسبقوكم الى تلك أبدوهم بها انى قد لقيت بنى مروان فوالله ما لقيت رجلا هو أمكر ولا أبعد غورا من هذه الجرادة الصفراء يعنى مسلمة قالوا لا نرى أن نفعل ذلك حتى يردّوا علينا ما زعموا انهم قابلوه منا وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحثّ الناس على حرب أهل الشأم ويسرّح الناس الى يزيد وكان الحسن البصرىّ يثبّط الناس عن يزيد بن المهلب (قال أبو مخنف) فحدثنى عبد الحميد البصرىّ ان الحسن البصرىّ كان يقول في تلك الأيام أيها الناس الزموا رحالكم وكفوا أيديكم واتقوا الله مولاكم ولا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة وطمع فيها يسير ليس لاهلها بباق وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض انه لم يكن فتنةٌ الا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء وليس يسلم منها الا المجهول الخفىّ والمعروف التقىّ فمن كان منكم خفيا فليلزم الحق وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا فكفاه والله بمعرفة الله اياه بالخير شرفا وكفى له به من الدنيا خلفا ومن كان منكم معروفا شريفا فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا ارادة الله بذلك فواها لهذا ما أسعده وأرشده وأعظم أجره وأهدى سبيله فهذا غدًا يعنى يوم القيامة القرير عينًا الكريم عند الله مآبا فلما بلغ ذلك مروان ابن المهلب قام خطيبا كما يقوم فأمر الناس بالجدّ والاحتشاد ثم قال لهم لقد بلغنى ان هذا

الشيخ الضالّ المرائى ولم يسمه يثبّط الناس والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبة لظلّ يرعف أنفه أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب خيرنا وان ننكر مظلمتنا أمَ والله ليكفنّ عن ذكرنا وعن جمعه الينا سقاط الأُبلّة وعلوج فرات البصرة قوماً ليسوا من أنفسنا ولا ممن جرت عليه النعمة من أحد منا أولأنحين عليه مبرداً أخشنا فلما بلغ ذلك الحسن قال والله ما أكره أن يكرمنى الله بهوانه فقال ناس من أصحابه لو أرادك ثم شئت لمنعناك فقال لهم فقد خالفتكم اذاً الى ما نهيتكم عنه آمركم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيرى وأدعوكم الى أن يقتل بعضكم بعضاً دونى فبلغ ذلك مروان بن المهلب فاشتدّ عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرّقوا ولم يدع الحسن كلامه ذلك وكف عنه مروان بن المهلب وكانت اقامة يزيد بن المهلب منذ أجمع هو ومسلمة ثمانية أيام حتى اذا كان يوم الجمعة لاربع عشرة خلت من صفر بعث مسلمة الى الوضّاح أن يخرج بالوضاحيّة والسفن حتى يحرق الجسر ففعل وخرج مسلمة فعبى جنود أهل الشأم ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندىّ وجعل على ميسرته الهذيل بن زُفر بن الحارث العامرىّ وجعل العباس على ميمنته سيف بن هانىء الهمدانى وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمىّ ومسلمة على الناس وخرج يزيد بن المهلب وقد جعل على ميمنته حبيب ابن المهلب وعلى ميسرته المفضل بن المهلب وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم ومعه خيل لربيعة معها عددٌ حسنٌ وكان مما يلى العباس بن الوليد (قال أبو مخنف) فحدثنى الغنوىّ قال هشام وأظنّ الغنوىّ العلاء بن المنهال ان رجلا من الشأم خرج فدعا الى المبارزة فلم يخرج اليه أحد فبرز له محمد بن المهلب فحمل عليه فاتقاه الرجل بيده وعلى كفه كفٌّ من حديد فضرب به محمد فقطع كفّ الحديد وأسرع السيف فى كفه واعتنق فرسه وأقبل محمد يضربه ويقول المنجل أعوَدُ عليك قال فذكر لى انه حيان النَبَطىّ قال فلما دنا الوضاح من الجسر ألهب فيه النار فسطع دخانه وقد اقتتل الناس ونشبت الحرب ولم يشتدّ القتال فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم أحرق الجسر انهزموا فقالوا ليزيد قد انهزم الناس قال ومما انهزموا هل كان قتال ينهزم من مثله فقيل له قالوا أحرق الجسر فلم يثبت أحد قال قبحهم الله بَقٌّ دُخن عليه فطار فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه فقال اضربوا وجوه من ينهزم ففعلوا ذلك بهم حتى كثروا عليه فاستقبلهم منهم مثل الجبال فقال دَعُوهم فوالله انى لأرجو أن لا يجمعنى الله واياهم فى مكان واحد أبداً دعوهم يرحمهم الله غَنمٌ عدا فى نواحيها الذئب وكان يزيد لا يحدّث نفسه بالفرار وقد كان يزيد بن الحكم بن أبى العاص وأمّه ابنة الزِبرقان السعدىّ أتاه وهو بواسط قبل أن يصل الى العقر فقال

إنْ بني مروانَ قد بادَ ملكهُم * فإنْ كنتَ لم تشعُرْ بذلك فاشعُرِ

قال يزيد ما شعرتُ قال فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفيّ

عِش مَلكاً أو مُتْ كريماً وان تمُت * وسيفُكَ مشهوراً بكفّك تُعذَرِ

قال أما هذا فعسى ولما خرج يزيد الى أصحابه واستقبلته الهزيمة فقال يا سَمَيْدَعُ أرأيي أم رأيك ألم أعلمك ما يريد القوم قال بلى والله والرأىَ كان رأيك وانا ذا معك لا أزايلك فمُرْني بأمرك قال إمّا لا فانزل فنزل في أصحابه وجاء يزيدَ بن المهلب جاءٍ فقال ان حبيبا قد قتل (قال هشام) قال أبو مخنف فحدّثني ثابت مولى زهير بن سلمة الأزديّ قال أشهد انى أسمعه حين قال له ذلك قال لا خيرَ في العيش بعد حبيبٍ قد كنتُ والله أبغض العيش بعد الهزيمة فوالله ما ازددت له الا بغضاً أمضوا قُدُماً فعلمنا والله ان قد استقتل فأخذ من يكره القتال ينكص وأخذوا يتسللون وبقيت معه جماعةٌ حسنةٌ وهو يزدلف فكلما مرّ بخيل كشفها أو جماعةٍ من أهل الشأم عدلوا عنه وعن سَنَن أصحابه فجاء أبو رُؤبة المُرجئ فقال ذهب الناس وهو يشير بذلك اليه وأنا أسمعه فقال هل لك أن تنصرف الى واسط فانها حصنٌ فتنزلها ويأتيك مَدَدُ أهل البصرة ويأتيك أهل عمان والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له قبح الله رأيك أَلِي تقول هذا الموت أيسر عليّ من ذلك فقال له فانى أتخوّف عليك لما ترى أما ترى ما حولك من جبال الحديد وهو يشير اليه فقال له أما أنا فما أباليها جبال حديد كانت أم جبال نار اذهب عنا ان كنت لا تريد قتالا معنا قال وتمثل قول حارثة بن بدر الغُدانىّ ﴿قال أبو جعفر﴾ اخطأ هذا هو للاعشى

أبالموتِ خشتني عِبادٌ وانما * رأيتُ منايا الناسِ يشقى ذليلُها

فما مِيتةٌ إنْ متُّها غيرَ عاجزٍ * بعارٍ اذا ما غالتِ النفسَ غُولُها

وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره حتى اذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب فعطف عليه خيول أهل الشأم وعلى أصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل معه السميدع وقتل معه محمد بن المهلب وكان رجلٌ من كلب من بني جابر بن زهير ابن جناب الكلبىّ يقال له القحل بن عياش لما نظر الى يزيد قال يا أهل الشأم هذا والله يزيد والله لأقتلنه أو ليقتلنّي وإنّ دونه ناسا فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصلَ اليه فقال له ناس من أصحابه نحن نحمل معك ففعلوا فحملوا بأجمعهم واضطربوا ساعةً وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلا وعن القحل بن عياش بآخر رمقٍ فأومى الى أصحابه يريهم مكانَ يزيد يقول لهم أنا قتلته ويومى الى نفسه أنه هو قتلني ومرّ مسلمة على القحل بن عياش صريعا الى جنب يزيد فقال أما انى أظنّ هذا هو الذى قتلني وجاء برأس يزيد مولى لبني مُرّة فقيل له أنت قتلته فقال لا فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر فقال له

الحوارىّ بن زيادبن عمر والعتكىّ مُرْ برأسه فليُغسَلْ ثم ليعمَّم ففعل ذلك به فعرفه فبعث برأسه الى يزيد بن عبد الملك مع خالدبن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط (قال أبو مخنف) فحدّثنى ثابت مولى زهير قال لقد قتل يزيدو هُزم الناس وانّ المفضل بن المهلب ليقاتل أهل الشأم مايدرى بقتل يزيدولا بهزيمة الناس وانه لعلى برذون شديدقريب من الارض وان معه لمجففة أمامه فكلما حمل عليها انكشفت وانكصت وانكشف فحمل فى ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه وكان لايرى منا مُلتفتًا الا أشار اليه بيده الايلتفت ليقبل القوم بوجوههم على عدوّهم ولا يكون لهم همٌّ غيرهم قال ثم اقتتلنا ساعة فكأنى أنظر الى عامر بن العَمَيْثَل الأزدىّ وهو يضرب بسيفه و يقول

قد عَلمتْ أمُّ الصَّبِىّ المولودْ * أنى بنصلِ السَّيفِ غيرُ رِعديدْ

قال واضطربنا والله ساعةً فانكشفت خيل ربيعة والله مارأيتُ عند أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم أى معشر ربيعة الكرّةَ الكرة والله ما كنتم بكُشُفٍ ولا لِيامٍ ولا هذه لكم بعادة فلا يؤتينّ أهل العراق اليوم من قبلكم أى ربيعةُ فَدَتكم نفسى اصبروا ساعةً من النهار قال فاجتمعوا حوله وثابوا اليه وجاءت كُوَيفتك قال فاجتمعنا ونحن نريد الكرة عليهم حتى أتى فقيل له ماتصنع ههنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد وانهزم الناس منذطويل وأخبر الناس بعضهم بعضا فتفرّقوا ومضى المفضل فأخذ الطريق الى واسط فمارأيتُ رجلا من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه ولا أضرب بسيفه ولا أحسن تعبئةً لأصحابه منه (قال أبو مخنف) فقال لى ثابت مولى زهير مررتُ بالخندق فاذا عليه حائط عليه رجال معهم النبل وأنا مجففٌ وهم يقولون ياصاحب التجفاف أين تذهب قال فما كان شئٌ أثقل علىَّ من تجفافى قال فما هو الا أن جزْتهم فنزلت فألقيته لاخفف عن دابّتى وجاء أهل الشأم الى عسكر يزيد بن المهلب فقاتلهم أبو رُؤبة صاحب المُرجئة ساعةً من النهار حتى ذهب عظمهم وأسر أهل الشأم نحوا من ثلاثمائة رجل فسرّحهم مسلمة الى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم وكان على شُرطه العريان بن الهيثم وجاء كتابٌ من يزيد بن عبد الملك الى محمد بن عمرو أن اضرب رقاب الأسراء فقال للعريان بن الهيثم اخرجهم عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين قال فقام نحو من ثلاثين رجلا من بنى تميم فقالوا نحن انهزمنا بالناس فاتقوا الله وابدؤا بنا أخرجونا قبل الناس فقال لهم العريان أخرجوا على اسم الله فأخرجهم الى المصطبة وأرسل الى محمد ابن عمرو يخبره باخراجهم ومقالتهم فبعث اليه أن اضرب أعناقهم (قال أبو مخنف) فحدثنى نجيح أبو عبدالله مولى زهير قال والله انى لأنظر اليهم ليقولون انا لله انهزمنا بالناس وهذا جزاؤنا فما هو الا أن فرغ منهم حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الاسراء والنهى

عن

عن قتلهم فقال حاجب بن ذبيان من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم

لعمرى لقد خاضت معيطٌ دماءَنا * بأسيافها حتى انتهى بهم الوحلُ
وما حمّل الأقوامُ أعظمَ من دمٍ * حرامٍ ولا ذحلٍ إذا التمس الذحلُ
حقنتمْ دماء المُصلتين عليكمُ * وجرّ على فرسانِ شيعتك القتلُ
وقى بهم العريانُ فرسانَ قومه * فيا عجبًا أين الأمانةُ والعدلُ

وكان العريان يقول والله ما اعتمدتُهم ولا أردتُهم حتى قالوا ابدأ بنا أخرجنا فما تركت حين أخرجتُهم ان أعلمتُ المأمور بقتلهم فما يقبل حجتهم وأمر بقتلهم والله على ذلك ما أحبُّ ان قتل من قومى مكانهم رجل ولئن لاموني ما أنا بالذى أحفل لائمتهم ولا تكبر على ّ وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة فأتى بنحو من خمسين أسيرا ولم يكونوا فيمن بعث به الى الكوفة كان أقبل بهم معه فلما رأى الناس أنه يريد أن يضرب رقابهم قام اليه الحصين بن حماد الكلبىّ فاستوهبه ثلاثةً زياد بن عبد الرحمن القشيرىّ وعتبة بن مسلم واسماعيل مولى آل بنى عقيل بن مسعود فوهبهم له ثم استوهب بقيّتهم أصحابُه فوهبهم لهم فلما جاءت هزيمة يزيد الى واسط أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيرا كانوا في يده فضرب أعناقهم منهم عدىّ بن ارطاة ومحمد بن عدىّ بن ارطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عزرة البصرى وعبد الله بن وائل وابن أبى حاضر التميمى من بنى أسيّد بن عمرو بن تميم وقد قال له القوم ويحك انا لا نراك تقتلنا الان أباك قد قتل وانّ قتلنا ليس بنافعك فى الدنيا وهو ضارّك في الآخرة فقتل الاسارى كلهم غير ربيع بن زياد بن الربيع بن أنس بن الرقان تركه فقال له ناس نسيته فقال ما نسيته ولكن لم أكن لاقتله وهو شيخ من قومى له شرف ومعروفٌ وبيت عظيم ولست أتهمه فى ودّ ولا أخاف بغيه فقال ثابت قطنة فى قتل عدى بن أرطاة

ما سرّنى قتلُ الفزارىّ وابنه * عدىٍّ ولا أحببتُ قتل ابن مِسمَع
ولكنّها كانتْ معاوىَ زلّةً * وضعتَ بها أمرى على غير موضع

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن وجاء المفضّل بن المهلب واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة وقد كانوا يتخوّفون الذى كان من يزيد وقد أعدوا السفن البحريّة وتجهزوا بكل الجهاز وقد كان يزيد بن المهلب بعث ودَاع بن حُميد الازدى على قندابيل أميرًا وقال له انى سائر الى هذا العدو ولو قد لقيتهم لم أبرح العرصة حتى تكون الىّ أولهم فان ظفرت أكرمتك وان كانت الأخرى كنت بقندابيل حتى يقدم عليك أهل بيتى فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أمانا أما انى قد اخترتك لاهل بيتى من بين قومى فكن عند أحسن ظنى وأخذ عليه أيمانا غلاظا ليناصحنّ أهل بيته ان هم احتاجوا اليه ولجؤا اليه فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة

بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم فى السفن البحرية ثم لججوا فى البحر حتى مروا بهرم بن
القرار العبدى وكان يزيد استعمله على البحرين فقال لهم أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم فان ذلك
بقاؤكم وانى أتخوّف عليكم ان خرجتم من هذه السفن أن يخطفكم الناس وأن يتقربوا بكم الى
بنى مروان فمضوا حتى اذا كانوا بجبال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم
على الدواب وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزائن وبيت المال
فكأنه أراد أن يتأمر عليهم فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل أنت أكبرنا وسيدنا وانما أنت
غلام حديث السن كبعض فتيان أهلك فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا الى كرمان
وبكرمان فلولٌ كثيرة فاجتمعوا الى المفضل وبعث مسلمة بن عبد الملك مُدْرِكَ بن ضب
الكلبى فى طلب آل المهلب وفى أثر الفلّ فأدرك مدرك المفضل بن المهلب وقد اجتمعت اليه
الفلول بفارس فتبعهم فادركهم فى عَقَبَةٍ فعطفوا عليه فقاتلوه واشتد قتالهم اياه فقتل مع
المفضل بن المهلب النعمان بن ابراهيم بن الأشتر النخعى ومحمد بن اسحاق بن محمد بن الاشعث
وأخذ ابن صُول ملك قهستان أسيرا وأخذت سُرّيّة المفضل العالية وجرح عثمان بن اسحاق
ابن محمد بن الاشعث جراحة شديدةً وهرب حتى انتهى الى حلوان فدُلّ عليه فقتل وحمل
رأسه الى مسلمة بالحيرة ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب فطلبوا الأمان فأومنوا منهم
مالك بن ابراهيم بن الاشتر والورد بن عبد الله بن حبيب السعدى من تميم وكان قد شهد مع عبد
الرحمن بن محمد مواطنه وأيامه كلها فطلب له الامان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان
الى مسلمة بن عبد الملك عمه وابنةُ مسلمة تحته فآمنه فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشتمه قائما
فقال صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونفار فى كل فتنة مرة مع حائك كندة ومرة مع ملّاح
الازد ما كنت بأهل أن تؤمن قال ثم انطلق وطلب الامان لمالك بن ابراهيم بن الاشتر الحسن
ابن عبد الرحمن بن شراحيل وشراحيل يلقب رستم الحضرمى فلما جاء ونظر اليه قال له الحسن
ابن عبد الرحمن الحضرمى هذا مالك بن ابراهيم بن الاشتر قال له انطلق قال له الحسن أصلحك
الله لِمَ لم تشتمه كما شتمت صاحبه قال أجللتكم عن ذلك وكنتم أكرم علىّ من أصحاب الآخر
وأحسن طاعة قال فانه أحب الينا أن تشتمه فهو والله أشرف أبًا وجدًا واسوأ أثرا من أهل
الشأم من الورد بن عبد الله فكان الحسن يقول بعد أشهر ما تركه الاحسدا من أن يعرف
صاحبنا فاراد أن يرينا انه قد حقره ومضى آل المهلب ومن سقط منهم من الفلول حتى انتهوا الى
قندابيل وبعث مسلمة الى مدرك بن ضب الكلبى فرده وسرح فى أثرهم هلال بن أحوز
التميمى من بنى مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقندابيل فاراد آل المهلب دخول قندابيل
فنعهم وداع بن حميد وكاتبه هلال بن أحوز ولم يباين آل المهلب فيفارقهم فتبين لهم فراقه لما
التقوا وصفوا كان وداع بن حميد على الميمنة وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدىّ

فرفع لهم هلال راية الأمان فمال اليهم وداع بن حميد وعبد الملك بن هلال وارفض عنهم الناس فخلوهم فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف الى النساء فقال له المفضل أين تريد قال أدخل الى نسائنا فاقتلهن لئلا يصل اليهن هؤلاء الفساق فقال ويحك أتقتل اخواتك ونساء أهل بيتك انا والله مانخاف عليهن منهم قال فرده عن ذلك ثم مشوا بأسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم الا أبا عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل فانهما نجوا فلحقا بخاقان ورتبيل وبعث بنسائهم وأولادهم الى مسلمة بالحيرة وبعث برؤسهم الى مسلمة فبعث بهم مسلمة الى يزيد بن عبد الملك فبعث بهم يزيد بن عبد الملك الى العباس بن الوليد بن عبد الملك وهو على حلب فلما نصبوا خرج لينظر اليهم فقال لأصحابه هذا رأس عبد الملك هذا رأس المفضل والله لكأنه جالس معي يحدثني (وقال مسلمة) لأبيعن ذريتهم وهم في دار الرزق فقال الجراح بن عبد الله فانا أشتريهم منك لأبر يمينك فاشتراهم منه بمائة ألف قال هاتها قال اذا شئت فخذها فلم يأخذ منه شيأ وخلى سبيلهم الا تسعة فتية منهم احداث بعث بهم الى يزيد بن عبد الملك فقدم بهم عليه فضرب رقابهم فقال ثابت قطنة حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه

ألا يا هند طال عليَّ ليلى * وعاد قصيرُهُ ليلا تماما
كأني حين حلَّقتِ الثريَّا * سُقيتُ لُعابَ أسودَ أو سماما
أمرَّ عليَّ حلوَ العيش يومٌ * من الايام شيَّبني غلاما
مُصابُ بني أبيكَ وغِبتُ عنهم * فلم أشهدهمُ ومضوا كراما
فلا والله لا أنسى يزيدا * ولا القتلى التي قُتِلَت حراما
فعلّي أن أبوء باخيك يوما * يزيدا أو أبوء به هشاما
وعلّي أن أقودَ الخيل شُعثًا * شوازبَ ضُمَّرًا تقِصُ الإكاما
فاصبحهنَّ حِمْيَرَ من قريب * وعكًّا أو أرُعْ بهما جذاما
ونَسقِي مَذحِجًا والحيَّ كلبا * من الذيفان أنفاسا قواما
عشائرنا التي تبغي علينا * تُجرّبُنا زكا عاما بعاما
ولولاهم وما جلبوا علينا * لأصبح وَسْطَنا مَلِكا هُماما

وقال أيضا يرثي يزيد بن المهلب

أبَى طولُ هذا الليلِ أن يتصرَّما * وهاجَ لك الهمُّ الفؤاد المتيَّما
أرِقتُ ولم تأرقْ معي أمُّ خالد * وقد أرِقتْ عيناي حَولاً مُجرَّما
على هالكٍ هدَّ العشيرة فقدُهُ * دعته المنايا فاستجاب وسلَّما
على مَلِكٍ يا صاحِ بالعقر جُبِّبَتْ * كتائبه واستوردَ الموت مُعلما

أصيب ولم أشهد ولو كنتُ شاهداً * تسلَّيْتُ ان لم يجمع الحى مأتما
وفى غير الايام يا هندُ فاعلمى * لطالب وترٍ نظرةٌ ان تلوَّما
فعلَّى ان مالت بى الريح ميلةً * على ابن أبى ذبَّان أن يتندَّما
أمسلم ان يقدر عليك رماحنا * نذقك بها قئَ الاساود مسلما
وان تلق للعباس في الدهر عثرةً * نكافه باليوم الذى كان قدَّما
قصاصا ولا نعدو الذى كان قد أتى * الينا وان كان ابنُ مروان أظلما
ستعلم ان زلَّت بك النعلُ زلةً * وأظهر أقوام حياء مجمجما
من الظالم الجانى على أهل بيته * اذا أحضرت أسباب أمر وأبهما
وانا لعطَّافون بالحلم بعدما * نرى الجهل من فرط اللئيم تكرُّما
وإنا لحلَّالون بالثغر لا نرى * به ساكنا الا الخميس العرمرما
نرى أنَّ للجيران حاجا وحرمةً * اذا الناس لم يرعوا الذى الجار محرما
وانا لنقرى الضيف من قمع الذرى * اذا كان رفدُ الرافدين تجشُّما
وراحت بصرَّادٍ ملثٍّ جليدُه * على الطَّلح ارما كامن الشُّهب صيَّما
أبونا أبو الانصار عمرو بن عامرٍ * وهم ولدوا عوفا وكعبا وأسلما
وقد كان فى غسَّان مجدٌ يعدُّه * وعاديَّةٌ كانت من المجد معظما

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب جمع له يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان فى هذه السنة فلما ولاه يزيد ذلك ولى مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط وقام بامر البصرة بعد ان خرج منها آل المهلب فيما قيل شبيب بن الحارث التميمى فضبطها فلما مضت الى مسلمة بعث عاملا عليها عبد الرحمن ابن سليم الكلبى وعلى شرطتها واحداثها عمر بن يزيد التميمى فاراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة وأفشى ذلك الى عمر بن يزيد فقال له عمر أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تمن حصنا بكويفة وتدخل تحتاج اليه فوالله لو رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوفت أن يقتلونا ولكن انظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك ووجه رسولا الى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن فوجه مسلمة عبد الملك بن بشر بن مروان على البصرة وأقر عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث ﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة وجه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص وهو الذى يقال له سعيد خذينة وانما لقب بذلك فيما ذكر انه كان رجلا لينا سهلا متنعما قدم خراسان على بختية معلقا سكينا فى منطقه فدخل عليه ملك أبغر وسعيد متفضل فى ثياب مصبغة حوله مرافق مصبغة

فلما خرج من عنده قالوا له كيف رأيت الامير قال خذينة لمته سُكَيْنيّة فلقب خذينة وخذينة هى الدهقانة ربّة البيت وانما استعمل مسلمة سعيد خذينة على خراسان لانه كان ختنه على ابنته كان سعيد متزوجا بابنة مسلمة

﴿ ذكر الخبر عن أمر سعيد فى ولاية خراسان فى هذه السنة ﴾

ولما ولى مسلمة سعيد خذينة خراسان قدم اليها قبل شخوصه سَوْرَةَ بن اُلحرّ من بنى دارم فقدمها قبل سعيد فيما ذكر بشهر فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلى على سمرقند فخرج اليها فى خمسة وعشرين رجلا من أهل بيته فاخذ على آمل فأتى بخارى فصحبه منها مائتا رجل فقدم السغد وقد كان أهلها كفروا فى ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدى ووليها ثمانية عشر شهرا ثم عادوا الى الصلح فخطب شعبة أهل السغد ووبّخ سكانها من العرب وعيّرهم بالجُبْن فقال ما أرى فيكم جريحا ولا أسمع فيكم أنّة فاعتذروا اليه بان جبّنوا عاملهم عِلباء بن حبيب العبدى وكان على الحرب ثم قدم سعيد فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى الذين وُلوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم فكلمه فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى فقال له سعيد قد رُفع عليهم ان عندهم أموالا من الخراج قال فانا أضمنه فضمن عنهم سبعمائة ألف ثم لم يأخذه بها ثم ان سعيدا رُفع اليه فيما ذكر على بن محمد ان جهم بن زَحر الجعفى وعبد العزيز ابن عمرو بن الحجاج الزبيدى والمنتجع بن عبد الرحمن الازدى والقعقاع الازدى ولوا ليزيد ابن المهلب وهم ثمانية وعندهم أموال قد اختانوها من فىء المسلمين فارسل اليهم فحبسهم فى قهندز مَرْو فقيل له ان هؤلاء لا يؤدّون الا أن تبسط عليهم فارسل الى جهم بن زحر فحمل على حمار من قهندز مرو فمر وابه على الفِيض بن عمران فقام اليه فوجأ أنفه فقال له جهم يا فاسق هلا فعلت هذا حين أتونى بك سكران قد شربت الخمر فضربتك حدا فغضب سعيد على جهم فضربه مائتى سوط فكبّر أهل السوق حين ضُرب جهم بن زحر وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا فى السجن فدفعوا الى ورقاء بن نصر الباهلى فاستعفاه فاعفاه (وقال) عبد الحميد بن دِنار أو عبد الملك بن دثار والزبير بن نشيط مولى باهلة وهو زوج أم سعيد خذينة ولّنا محابسهم فولاهم فقتلوا فى العذاب جهما وعبد العزيز بن عمرو والمنتجع وعذبوا القعقاع وقوما حتى أشرفوا على الموت قال فلم يزالوا فى السجن حتى غزتهم الترك وأهل السغد فأمر سعيد باخراج من بقى منهم فكان سعيد يقول قبح الله الزبير فانه قتل جهما ﴿ وفى هذه السنة ﴾ غزا المسلمون السغد والترك فكان فيها الوقعة بينهم بقصر الباهلى ﴿ وفيها ﴾ عزل سعيد خذينة شعبة بن ظهير عن سمرقند

﴿ ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شُعْبة وسبب هذه الوقعة وكيف كانت ﴾

ذكر على بن محمد عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم ان سعيد خذينة لما قدم خراسان دعا

قوما من الدهاقين فاستشارهم فيمن يوجه الى الكور فاشاروا اليه بقوم من العرب فولاهم فشكوا اليه فقال للناس يوما وقد دخلوا عليه انى قدمت البلد وليس لى علم بأهله فاستشرت فأشاروا على بقوم فسألت عنهم فحمدوا فوليتهم فاحرج عليكم لما أخبرتمونى عن عمالى فأثنى عليهم القوم خيرا فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى لو لم تحرج علينا لكففت فأما اذ حرجت علينا فانك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وباشباههم فهذا علمنا فيهم قال فاتكى سعيد ثم جلس فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قوموا قال وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السغد وولى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف ابن الشخير وعلى الخراج سليمان بن أبى السرى مولى بنى عوافة واستعمل على هراة معقل بن عروة القشيرى فسار اليها وضعف الناس سعيدا وسموه خذينة فطمع فيه الترك فجمع له خاقان الترك ووجههم الى السغد فكان على الترك كورصول وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلى * وقال بعضهم أراد عظيم من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة وكانت في ذلك القصر فارسل اليها يخطبها فأبت فاستجاش ورجا أن يسبوا من في القصر فيأخذ المرأة فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر وفيه مائة أهل بيت بذراريهم وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله وخافوا أن يبطىء عنهم المدد فصالحوا الترك على أربعين ألفا وأعطوهم سبعة عشر رجلا رهينة وندب عثمان بن عبد الله الناس فانتدب المسيب بن بشر الرياحى وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل فقال شعبة بن ظهير لو كان ههنا خيول خراسان ما وصلوا الى غايتهم قال وكان فيمن انتدب من بنى تميم شعبة بن ظهير النهشلى وبلعاء بن مجاهد العنزى وعميرة بن ربيعة أحد بنى العجيف وهو عميرة الثريد وغالب بن المهاجر الطائى وهو أبو العباس الطوسى وأبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائى وثابت قطنة وأبو المهاجر بن دارة من غطفان وجليس الشيبانى والحجاج بن عمرو الطائى وحسان بن معدان الطائى والأشعث أبو حطامة وعمرو ابن حسان الطيئان فقال المسيب بن بشر لما عسكروا انكم تقدمون على حلبة الترك حلبة خاقان وغيرهم والعوض ان صبرتم الجنة والعقاب النار ان فررتم فمن أراد الغزو والصبر فليقدم فانصرف عنه ألف وثلاثمائة وسار في الباقين فلما سار فرسخا قال للناس مثل مقالته الاولى فاعتزل ألف ثم سار فرسخا آخر فقال لهم مثل ذلك فاعتزل ألف ثم سار وكان دليلهم الاشهب بن عبيد الحنظلى حتى اذا كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قى فقال انه لم يبق ههنا دهقان الا وقد بايع الترك غيرى وأنا فى ثلاثمائة مقاتل فهم معك وعندى الخبر قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفا فأعطوهم سبعة عشر رجلا ليكونوا رهنا فى أيديهم حتى يأخذوا صلحهم فلما بلغهم مسيركم اليهم قتل الترك من كان في أيديهم من الرهائن قال وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلى فنجا لم يقتل والاشهب بن عبيد

الله

الله الحنظلي ومیعادهم أن يقاتلوهم غدا أو يفتحوا القصر فبعث المسيب رجلين رجلا من العرب ورجلا من العجم من ليلته على خيولهم وقال لهم اذا قربتم فشدوا دوابكم بالشجر واعلموا علم القوم فأقبلا في ليلة مظلمة وقد أجرت الترك الماء في نواحي القصر فليس يصل اليه أحد ودنوا من القصر فصاح بهما الربيئة فقالا لا تصح وادع لنا عبد الملك بن دثار فدعاه فقالا له أرسلنا المسيب وقد أتاكم الغياث قال أين هو قال على فرسخين فهل عندكم امتناع ليلتك وغدا فقال قد أجمعنا على تسليم نسائنا وتقديمهم للموت أمامنا حتى نموت جميعا غدا فرجعا الى المسيب فأخبراه فقال المسيب للذين معه اني سائر الى هذا العدو فمن أحب أن يذهب فليذهب فلم يفارقه أحد وبايعوه على الموت فسار وقد زاد الماء الذي أجروه حول المدينة تحصينا فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل فأجمع على بياتهم فلما أمسى أمر الناس فشدوا على خيولهم وركب فحثهم على الصبر ورغبهم فيما يصير اليه أهل الاحتساب والصبر ومالهم في الدنيا من الشرف والغنيمة ان ظفروا وقال لهم اكعموا دوابكم وقودوهم فاذا دنوتم من القوم فاركبوها وشدوا شدة صادقة وكبروا وليكن شعاركم يا محمد ولا تتبعوا موليا وعليكم بالدواب فاعقروها فان الدواب اذا عقرت كانت أشد عليهم منكم والقليل الصابر خير من الكثير الفشل وليست بكم قلة فان سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر الا أوهنوه وان كثر أهله قال وعبأهم وجعل على الميمنة كثير الدبوسي وعلى الميسرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قطنة وساروا حتى اذا كانوا منهم على غلوتين كبروا وذلك في السحر وثار الترك وخالط المسلمون العسكر فعقروا الدواب وصابرهم الترك فجال المسلمون وانهزموا حتى صاروا الى المسيب وتبعهم الترك وضربوا عجز دابة المسيب فترجل رجال من المسلمين فيهم البختري أبو عبد الله المرائي ومحمد بن قيس الغنوي ويقال محمد بن قيس العنبري وزياد الأصبهاني ومعاوية بن الحجاج وثابت قطنة فقاتل البختري فقطعت يمينه فأخذ السيف بشماله فقطعت فجعل يذب بيديه حتى استشهد واستشهد أيضا محمد بن قيس العنبري أو الغنوي وشبيب بن الحجاج الطائي قال ثم انهزم المشركون وضرب ثابت قطنة عظيما من عظمائهم فقتله ونادى منادي المسيب لا تتبعهم فانهم لا يدرون من الرعب اتبعتموهم أم لا واقصدوا القصر ولا تحملوا شيأ من المتاع الا المال ولا تحملوا من يقدر على المشي وقال المسيب من حمل امرأة أو صبيا أو ضعيفا حسبة فأجره على الله ومن أبى فله أربعون درهما وان كان في القصر أحد من أهل عهدكم فاحملوه قال فقصدوا جميعا القصر فحملوا من كان فيه وانتهى رجل من بني فقيم الى امرأة فقالت أغثني أغاثك الله فوقف وقال دونك وعجز الفرس فوثبت فاذا هي على عجز الفرس فاذا هي أفرس من رجل فتناول الفقيمي بيد ابنها غلاما صغيرا فوضعه بين يديه وأتوا ترك خاقان فأنزلهم قصره وأتاهم

بطعام وقال الحقوا بسمرقنـد لا ترجعوا فى آثاركم فخرجوا نحو سمرقند فقال لهـم هل بقى أحد قالوا هلال الحريرى قال لا أسلمه فأتاه و به بضع وثلاثون جراحة فاحتمله فبرأ ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيـد قال ورجع الترك من الغـد فلم يروا فى القصر أحدا ورأوا قتلاهم فقالوا لم يكن الذين جاؤا من الانس فقال ثابت قطنة

فدَتْ نفسى فوارسَ من تميـمٍ * غداةَ الرَّوعِ فى ضنـكِ المقامِ
فدت نفسى فوارس اكتفونى * على الأعـداءِ فى رَهجِ القتامِ
بقصرِ الباهلىّ وقـد رأونى * أُحامى حيثُ ضنَّ به المُحامى
بسيفى بعـد حطمِ الرُّمحِ قُدْمًا * أذودُهُم بذى شطبٍ حُسامِ
أكُرُّ عليهمُ اليحمومَ كرًّا * ككرِّ الشَّرْبِ آنيةَ المُدامِ
أكُرُّ به لدى الغمراتِ حتى * تجلَّتْ لا يضيقُ بها مقامى
فلولا اللهُ ليس له شريكٌ * وضرْبى قونَسَ الملِكِ الهمامِ
إذًا لسعَتْ نساءُ بنى دِثارٍ * أمامَ التركِ باديةَ الخِدامِ
فمَنْ مثلُ المسيبِ فى تميـمٍ * أبى بشرٍ كقادمـةِ الحَمامِ

وقال جرير يذكر المسيب

لولا حمايةُ يَرْبُوعٍ نساءكُمُ * كانت لغيرِكُمُ منهنَّ أطهارُ
حامى المسيَّبُ والخيلانِ فى رهجٍ * إذ مازنٌ ثم لا يُحمَى لها جارُ
إذًا لاعقالُ يُحامى عن ذماركُمُ * ولا زُرارةُ يحميها وزرّارُ

قال وعُوِّرَت تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائىّ وشُلَّت يدُه وقد كان ولى ولاية قبـل سعيد فخرج عليه شىء مما كان بقى عليه فأخذ به فدفعه سعيد الى شدّاد بن خليد الباهلىّ ليحاسبه ويستأديه فضيّق عليه شداد فقال يامعشر قيس سرت الى قصر الباهلىّ وأنا شديد البطش حديد البصر فعوّرتُ وشلتْ يدى وقاتلت مع من قاتل حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا على القتل والاسر والسبى وهذا صاحبكم يصنع بى ما يصنع فكفوه عنى فخلاه قال وقال عبـد الله بن محمد عن رجل شـهد ليلة قصر الباهلىّ قال كنا فى القصر فلما التقوا ظننا ان القيامة قد قامت لما سمعنا من هماهم القوم و وقع الحديد وصهيل الخيل ﴿وفى هذه السنة﴾ قطع سعيد خذينة نهر بلخ وغزا السغد وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين

﴿ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين فى هذه الغزوة﴾

وكان سبب غزو سعيد هذه الغزوة فيما ذكر ان الترك عادوا الى السغد فكلم الناس سعيدا وقالوا تركت الغزو فقد أغار الترك وكفر أهل السغد فقطع النهر وقصد للسغد فلقيه الترك

وطائفة

وطائفة من أهل السغد فهزمهم المسلمون فقال سعيد لا تتبعوهم فإن السغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم أفتريدون بوارهم وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أباروكم وسار المسلمون فانتهوا الى وادٍ بينهم و بين المرج فقال عبد الرحمن بن صبح لا يقطعنّ هذا الوادى مجفف ولا راجل وليعبر من سواهم فعبروا ورأتهم الترك فأكمنوا كمينا وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم فانحاز الترك فأتبعوهم حتى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فانهزم المسلمون حتى انتهوا الى الوادى فقال لهم عبد الرحمن بن صبح سابقوهم ولا تقطعوا فانكم ان قطعتم أبادوكم فصبر والهم حتى انكشفوا عنهم فلم يتبعوهم فقال قوم قتل يومئذٍ شعبة بن ظهير وأصحابه وقال قوم بل انكشفت الترك منهم يومئذٍ منهزمين ومعهم جمع من أهل السغد فلما كان الغد خرجت مسلحة للمسلمين والمسلحة يومئذ من بنى تميم فاشعروا الا بالترك معهم خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بنى تميم شعبة بن ظهير فقاتلهم شعبة فقتل أعجلوه عن الركوب وقتل رجل من العرب فأخرجت جاريته حنّاء وهى تقول حتى متى أعدّ لك مثل هذا الخضاب وأنت مختضب بالدم مع كلام كثير فأبكت أهل العسكر وقتل نحو من خمسين رجلا وانهزم أهل المسلحة وأتى الناس الصريخ فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوى كنتُ أنا أول من أتاهم لما أتانا الخبر وتحتى فرس جواد فإذا عبد الله بن زهير الى جنب شجرة كأنه قنفذ من النشاب وقد قتل وركب الخليل بن أوس العبشمى أحدُ بنى ظالم وهو شابٌّ ونادى يابنى تميم أنا الخليل الىّ فانضمت اليه جماعة فحمل بهم على العدوّ فكفوهم وورّعوهم عن الناس حتى جاء الامير والجماعة فانهزم العدوّ فصار الخليل على خيل بنى تميم يومئذ حتى ولى نصر بن سيار ثم صارت رياسة بنى تميم لأخيه الحكم بن أوس وذكر على بن محمد عن شيوخه ان سورة بن الحُرّ قال لحيّان انصرف ياحيان قال عقيرة الله أدعها وأنصرف قال يانبطى قال أنبط الله وجهك قال وكان حيان النبطى يكنّى فى الحرب أبا الهياج وله يقول الشاعر

إنّ أبا الهياج أريحىٌّ * للريح فى أثوابه دوىٌّ

قال وعبر سعيد النهر مرتين فلم يجاوز سمرقند نزل فى الاولى بازاء العدوّ فقال له حيان مولى مصقلة بن هبيرة الشيبانى أيها الامير ناجز أهل السغد فقال لا هذه بلاد أمير المؤمنين فرأى دخانا ساطعا فسأل عنه فقيل له السغد قد كفروا ومعهم بعض الترك قال فناوشهم فانهزموا فألحوا فى طلبهم فنادى منادى سعيد لا تطلبوهم انما السغد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتموهم أفتريدون بوارهم وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم أمير المؤمنين غير مرة فعفا عنكم ولم يستأصلكم ورجع فلما كان العام المقبل بعث رجالا من بنى تميم الى ورغسر فقالوا ليتنا نلقى العدوّ فنطاردهم وكان سعيدٌ اذا بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا ردذرارى السبى

وعاقب السرية فقال الهجرى وكان شاعراً

سَرَيْتَ إِلى الأعداء تلهو بلعبةٍ * وأيرُكَ مسلولٌ وسيفُكَ مغمدُ
وأنتَ لمن عاديتَ عرسٌ خفيةٌ * وأنتَ علينا كالحسامِ المهنّدِ
فللهِ درُّ السغدِ لما تحزّبوا * ويا عجباً من كيدِكَ المترددِ

قال فقال سورة بن الحر لسعيد وقد كان حفظ عليه وحقد عليه قوله انبط الله وجهك ان هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال وهو أفسد خراسان على قتيبة بن مسلم وهو واثب بك مفسد عليك خراسان ثم يتحصن في بعض هذه القلاع فقال يا سورة لا تسمعن هذا أحداً ثم مكث أياما ثم دعا في مجلسه بلبن وقد أمر بذهب فسحق وألقي في إناء حيان فشرب به وقد خلط بالذهب ثم ركب فركب الناس أربع فراسخ الى باركث كأنه يطلب عدوا ثم رجع فعاش حيان أربعة أيام ومات في اليوم الرابع فثقل سعيد على الناس وضعفوه وكان رجل من بني أسد يقال له اسماعيل منقطعا الى مروان بن محمد فذكر اسماعيل عند خذينة ومودته لمروان فقال سعيد وما ذاك الملط فهجاه اسماعيل فقال

زعمت خذينةُ أنني ملطٌ * لخذينةَ المرآةُ والمشطُ
ومجامرٌ ومكاحلٌ جعلت * ومعازفٌ وبخدّها نقطُ
أفذاك أم زغفٌ مضاعفةٌ * ومهنّدٌ من شأنه القطُّ
لمقرّسٍ ذكرٍ أخي ثقةٍ * لم يغذه التأنيث واللقطُ
أغضبتَ أن باتَ ابن أمكمُ * بهمُ وأنّ أباكم سقطُ
إني رأيتُ نبالهم كسيت * ريشَ اللؤام ونبلكم مرطُ
ورأيتهم جعلوا مكاسرهم * عندَ الندى وأنتم خلطُ

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف الى الشأم

﴿ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر علي بن محمد ان مسلمة لما ولي ما ولي من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيأ وان يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحيى منه وكتب اليه ان استخلف على عملك وأقبل وقد قيل ان مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخوص الى ابن عاتكة ليزوره فقال له أمن شوق بك اليه انك لطروبٌ وان عهدك به لقريب قال لا بدّ من ذلك قال إذا لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالي عليه فشخص فلما بلغ دورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس من دواب البريد فدخل عليه ابن هبيرة فقال الى أين يا ابن هبيرة فقال وجهني أمير المؤمنين في حيازة أموال بني المهلب فلما خرج من عنده أرسل الى عبد العزيز فجاءه فقال هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى قال قد أنبأتك قال فانه انما وجهه لحيازة أموال بني

المهلب قال هذا أعجب من الاول يصرف عن الجزيرة ويوجه في حيازة أموال بني المهلب قال فلم يلبث ان جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق

راحت بمسلمة الركابُ مودَّعا * فارعَيْ فزارةُ لاهناكِ المرتعُ
عُزِلَ ابن بشرٍ وابنُ عمرٍو قبلَهُ * وأُخوهراةَ لمثلها يتوقَّعُ
ولَقَدْ علمتُ لئنْ فزارةَ أمِّرَتْ * أنْ سوْفَ يَطمعُ في الإمارةِ أشجعُ
من خلقِ ربِّكِ ما هُمُ ولمثلهمْ * في مثلِ ما نالتْ فزارةُ يطمعُ

يعني بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان وبابن عمرو محمدا ذا الشامة بن عمرو بن الوليد وبأخي هراة سعيد خزينة بن عبد العزيز كان عاملا لمسلمة على خراسان ﴿وفي هذه السنة﴾ غزا عمر بن هبيرة الروم بارمينية فهزمهم وأسر منهم بشرا كثيرا قيل سبعمائة أسير ﴿وفيها﴾ وجه فيما ذكر ميسرة رسله من العراق الى خراسان وظهر أمر الدعوة بها فجاء رجل من بني تميم يقال له عمرو بن بحير بن ورقاء السعدي الى سعيد خذينة فقال له ان هاهنا قوما قد ظهر منهم كلام قبيح فبعث اليهم سعيدٌ فأتى بهم فقال من أنتم قالوا أناس من التجار قال فما هذا الذي يحكى عنكم قالوا لاندرى قال جئتم دعاة فقالوا ان لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا فقال من يعرف هؤلاء فجاء أناس من أهل خراسان جُلُّهم ربيعة واليمن فقالوا نحن نعرفهم وهم علينا ان أتاك منهم شيء تكرهه فخلى سبيلهم ﴿وفيها﴾ أعني سنة ١٠٢ قتل يزيد بن أبي مسلم بافريقية وهو وال عليها

## ﴿ذكر الخبر عن سبب قتله﴾

وكان سبب ذلك انه كان فيما ذكر عزم ان يسير بهم بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فاسلم بالعراق ممن ردهم الى قراهم ورساتيقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم فلما عزم على ذلك تآمروا في أمره فاجمع رأيهم فيما ذكر على قتله فقتلوه وولوا على أنفسهم الوالي الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم وهو محمد بن يزيد مولى الانصار وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم وكتبوا الى يزيد بن عبد الملك انا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا مالا يرضى الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب اليهم يزيد بن عبد الملك انى لم أرض ماصنع يزيد بن أبي مسلم واقرّ محمد بن يزيد على افريقية ﴿وفي هذه السنة﴾ استعمل عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج بن مالك بن سعد بن عديّ بن فزارة على العراق وخراسان ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك كذلك قال أبو معشر والواقدي وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضحاك وعلى مكة عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسيد وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة وعلى قضائها القاسم بن

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وعلى البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان وعلى خراسان سعيد خذينة وعلى مصر أسامة بن زيد

## ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث ومائة ﴾

### ﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ﴾

فمما كان فيها من ذلك عزل عمر بن هبيرة سعيد خذينة عن خراسان وكان سبب عزله عنها فيما ذكر علي بن محمد عن أشياخه ان المجشر بن مزاحم السلمي وعبد الله بن عمير الليثي قدما على عمر بن هبيرة فشكواه فعزله واستعمل سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وخذينة غاز بباب سمرقند فبلغ الناس عزله فقفل خذينة وخلف بسمرقند ألف فارس فقال نهار بن توسعة

فمن ذا مُبلغٌ فتيانَ قومي * بأنَّ النَّبلَ ريشتْ كلَّ ريْشِ

بأنَّ اللهَ أبدلَ من سعيدٍ * سعيدًا لا المخنَّثَ من قريشِ

قال ولم يعرض سعيد الحرشي لاحد من عمال خذينة فقرأ رجل عهده فلحن فيه فقال سعيد صه مهما سمعتم فهو من الكاتب والامير منه بريء فقال الشاعر يضعف الحرشي في هذا الكلام

تبدَّلنا سعيدًا من سعيدٍ * لجدِّ السوءِ والقدرِ المتاحِ

﴿قال الطبري﴾ وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة يقال لها رسلة ﴿وفيها﴾ أغارت الترك على اللان ﴿وفيها﴾ ضمت مكة الى عبد الرحمن بن الضحاك الفهري فجمعت له مع المدينة ﴿وفيها﴾ ولى عبد الواحد بن عبد الله النضري الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة ﴿وفيها﴾ أمر عبد الرحمن بن الضحاك ان يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيان المرّي وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ابن قيس الفهري كذلك قال أبو معشر والواقدي وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشي من قبل عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى ﴿وفيها﴾ استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي على خراسان

### ﴿ ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرشي على خراسان ﴾

ذكر علي بن محمد عن أصحابه ان ابن هبيرة لما ولى العراق كتب الى يزيد بن عبد الملك بأسماء من ابلى يوم العقر ولم يذكر الحرشي فقال يزيد بن عبد الملك لِمَ لم يذكر الحرشي فكتب الى ابن هبيرة ولِّ الحرشي خراسان فولاه فقدم الحرشي على مقدمته المجشر بن مزاحم السلمي

سنة ١٠٣ ثم قدم الحرشي خراسان والناس بازاء العدو وقد كانوا نكبوا فخطبهم وحثهم على الجهاد فقال انكم لا تقاتلون عدو الاسلام بكثرة ولا بعدة ولكن بنصر الله وعز الاسلام فقولوا لا حول ولا قوة الا بالله وقال

فَلَسْتُ لعامرٍ إنْ لم تَروني * أمامَ الخيلِ أطعَنُ بالعَوالي

فأضربُ هامةَ الجبَّارِ منهم * بعضبِ الحدِّ حودثَ بالصِّقالِ

فما أنا في الحُروبِ بمُستكينٍ * ولا أخشى مُصاولَةَ الرجالِ

أبى لي والدي من كلِّ ذمٍّ * وخالي في الحَوادثِ خيرُ خالِ

إذا خطرَتْ أمامي حيُّ كعبٍ * وزافتْ كالجبالِ بنُو هلالِ

﴿وفي هذه السنة﴾ ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمر والحرشي فلحقوا بفرغانة فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين

﴿ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة﴾

ذكر عليّ بن محمد عن أصحابه ان السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام خذينة فلما وليهم الحرشي خافوا على أنفسهم فاجمع عظماؤهم على الخروج عن بلادهم فقال لهم ملكهم لا تفعلوا أقيموا واحملوا اليه خراج ما مضى واضمنوا له خراج ما تستقبلون واضمنوا له عمارة أرضيكم والغزو معه ان أراد ذلك واعتذروا مما كان منكم وأعطوه رهائن يكونون في يديه قالوا نخاف ان لا يرضى ولا يقبل منا ولكنا نأتي خجندة فنستجير ملكها ونرسل الى الامير فنسأله الصفح عما كان منا ونوثق له أن لا يرى منا أمرا يكرهه فقال أنا رجل منكم وما أشرتُ به عليكم كان خيرا لكم فأبوا فخرجوا الى خجندة وخرج كارزنج وكشين وبياركث وثابت بأهل إشتيخن فارسلوا الى ملك فرغانة الطار يسألونه ان يمنعهم وينزلهم مدينة فهم ان يفعل فقالت له أُمه لا تدخل هؤلاء الشياطين مدينتك ولكن فرغ لهم رستاقا يكونون فيه فارسل اليهم سموا لي رستاقا أفرّغها لكم وأجلوني أربعين يوما ويقال عشرين يوما وان شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهليّ وكان قتيبة خلفه فيهم فقبلوا شعب عصام فارسلوا اليه فرغه لنا قال نعم وليس لكم على عقد ولا جوار حتى تدخلوه وان أتتكم العرب قبل ان تدخلوه لم أمنعكم فرضوا ففرغ لهم الشعب وقد قيل ان ابن هبيرة بعث اليهم قبل ان يخرجوا من بلادهم يسألهم ان يقيموا ويستعمل عليهم من أحبوا فأبوا وخرجوا الى خُجندةَ وشعب عصام من رستاق أسفرةَ واسفرة يومئذ وليّ عهد ملك فرغانة بلاذا وبيلاذا أبو نُوجور ملكها وقيل قال لهم كارزنج أخبركم ثلاث خصال ان تركتموها هلكتم ان سعيدا فارس العرب وقد وجه على مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيري في حماة أصحابه فبيتوه فاقتلوه فان الحرشي اذا أتاه خبره لم يغزكم فأبوا عليه قال فاقطعوا نهر الشاش فسلوهم ماذا تريدون فان

أجابوكم والا مضيتم الى سوياب قالوا لا قال فأعطوهم قال فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قىّ وأبار بن ماخنون وثابت بأهل اشتيخن وارتحل أهل بياركث وأهل سبسكث بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بُزماجن فارتحل الديواشنى بأهل بنجيكث الى حصن أبغر ولحق كارزنج وأهل السغد بخجندة

## ثم دخلت سنة أربع ومائة

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

﴿ففى هذه السنة﴾ كانت وقعة الحَرَشى بأهل السغد وقتله من قتل من دهاقينها

### ﴿ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فى هذه الوقعة﴾

ذكر علىّ عن أصحابه ان الحرشى غزا فى سنة ١٠٤ فقطع النهر وعرض الناس ثم سار فنزل قصر الريح على فرسخين من الدَّبُوسية ولم يجتمع اليه جنده قال فأمر الناس بالرحيل فقال له هلال بن عليم الحنظلىّ ياهناهْ انك وزيرا خير منك أميرا الارض حرب شُاغرة برجلها ولم يجتمع لك جندك وقد أمرت بالرحيل قال فكيف لى قال تأمر بالنزول ففعل وخرج النيلان ابن عم ملك فرغانة الى الحرشى وهو نازل على مغون فقال له ان أهل السغد بخجندة وأخبره خبرهم وقال عاجلهم قبل ان يصيروا الى الشعب فليس لهم علينا جوار حتى يمضى الاجل فوجه الحرشى مع النيلان عبد الرحمن القشيرى وزياد بن عبد الرحمن القشيرى فى جماعة ثم ندم على ما فعل فقال جاءنى علج لا أدرى صدق أم كذب فغررت بجند من المسلمين وارتحل فى أثرهم حتى نزل فى أشرُوسنة فصالحهم بشىء يسير فبيناهو يتعشى اذ قيل له هذا عطاء الدَّبوسىّ وكان فيمن وجهه مع القشيرى ففزع وسقطت اللقمة من يده ودعا بعطاء فدخل عليه فقال ويلك قاتلتم أحدًا فقال لا قال الحمد لله وتعشى وأخبره بما قدم له عليه فسار جوادا مغذًّا حتى لحق القشيرىّ بعد ثالثة وسار فلما انتهى الى خجندة قال للفضل بن بسام ماترى قال أرى المعاجلة قال لا أرى ذلك ان جرح رجل فإلى أين يرجع أو قتل قتيل فإلى من يحمل ولكنى أرى النزول والتأنى والاستعداد للحرب فنزل فرفع الابنية وأخذ فى التأهب فلم يخرج أحد من العدو فجبن الناس الحرشىّ وقالوا كان هذا يذكر بأسه بالعراق ورأيه فلما صار بخراسان ماق قال فحمل رجل من العرب فضرب باب خجندة بعمود ففتح الباب وقد كانوا حفروا فى ربضهم وراء الباب الخارج خندقا وغطوه بقصبٍ وعلوه بالتراب مكيدة وأرادوا اذا التقوا إن انهزموا ان يكونوا قد عرفوا الطريق ويشكل على المسلمين فيسقطوا فى الخندق قال فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا واخطأوهم الطريق فسقطوا فى الخندق فاخرجوا من الخندق أربعين رجلا على الرجل درعان درعان وحصرهم الحرشى ونصب عليهم المجانيق فارسلوا الى ملك فرغانة غدرت بنا وسألوه ان

ينصرهم

ينصرهم فقال لهم لم أغدر ولا أنصركم فانظروا لأنفسكم فقد أتوكم قبل انقضاء الاجل ولستم
في جواري فلما أيسوا من نصره طلبوا الصلح وسألوا الامان وان يردهم الى السغد فاشترط
عليهم ان يردوا من في أيديهم من نساء العرب وذراريهم وان يؤدّوا ما كسروا من الخراج
ولا يغتالوا أحداً ولا يتخلف منهم بخجندة أحد فان احدثوا حدثا حلت دماؤهم قال وكان
السفير فيما بينهم موسى بن مشكان مولى آل بسام فخرج اليه كارزنج فقال له ان لي حاجة أحب
ان تشفعني فيها قال وما هي قال أحب ان جنى منهم رجلٌ جناية بعد الصلح ان لا تأخذني بما
جنى فقال الحرشي ولي حاجة فاقضها قال وما هي قال لا تلحقني في شرطي ما أكره قال
فأخرج الملوك والتجار من الجانب الشرقي وترك أهل خجندة الذين هم أهلها على حالهم فقال
كارزنج للحرشي ما تصنع قال أخاف عليكم معرة الجند قال وعظماؤهم مع الحرشي في العسكر
نزلوا على معارفهم من الجند ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان فبلغ الحرشي انهم قتلوا
امرأة من نساء كُنّ في أيديهم فقال لهم بلغني ان ثابتا الاشتيخني قتل امرأة ودفنها تحت حائط
فجحدوا فارسل الحرشي الى قاضي خجندة فنظر وافاذا المرأة مقتولة قال فدعا الحرشيّ
بثابت فأرسل كارزنج غلامه الى باب السرادق ليأتيه بالخبر وسأل الحرشي ثابتا وغيره عن
المرأة فجحد ثابت وتيقن الحرشيّ انه قتلها فقتله فرجع غلام كارزنج اليه بقتل ثابت فجعل
يقبض على لحيته ويقرّضها بأسنانه وخاف كارزنج ان يستعرضهم الحرشيّ فقال لايوب بن
أبي حسان اني ضيفك وصديقك فلا يجمل بك ان يقتل صديقك في سراويل خلق قال فخذ
سراويلي قال وهذا لا يجمل أقتل في سراويلاتكم فسرح غلامك الى جلنج ابن أخي يجيئني
بسراويل جديد وكان قد قال لابن أخيه اذا أرسلت اليك أطلب سراويل فاعلم انه القتل فلما
بعث بسراويل اخرج فرندة خضراء فقطعها عصائب وعصبها برؤس شاكريته ثم خرج
هو وشاكريته فاعترض الناس فقتل ناسا ومر بيحيى بن حضين فنفحه نفحة على رجله فلم
يزل يخمعُ منها وتضعضع أهل العسكر ولقي الناس منه شرًّا حتى انتهى الى ثابت بن عثمان بن
مسعود في طريق ضيق فقتله ثابت بسيف عثمان بن مسعود وكان في أيدي السغد اسراء من
المسلمين فقتلوا منهم خمسين ومائة ويقال قتلوا منهم أربعين قال فأفلت منهم غلام فأخبر
الحرشي ويقال بل أتاه رجلٌ فأخبره فسألهم فجحدوا فأرسل اليهم من علم علمهم فوجد الخبر
حقا فأمر بقتلهم وعزل التجار عنهم وكان التجار أربعمائة كان معهم مال عظيم قدموا به من
الصين قال فامتنع أهل السغد ولم يكن لهم سلاح فقاتلوا بالخشب فقتلوا عن آخرهم فلما كان
الغد دعا الحراثين ولم يعلموا ما صنع أصحابهم فكان يختم في عنق الرجل ويخرج من حائط الى
حائط فيقتل وكانوا ثلاثة آلاف ويقال سبعة آلاف فارسل جرير بن هميان والحسن بن أبي
العمرَّطة ويزيد بن أبي زينب فأحصوا أموال التجار وكانوا اعتزلوا وقالوا لا نقاتل فاصطفى
أموال السغد وذراريهم فأخذ منه ما أعجبه ثم دعا مسلم بُديل العدوي عدي الرباب فقال قد

وليتك المقسم قال بعد ما عمل فيه عمالك ليلة ولته غيرى فولاه عبيد الله بن زهير بن حيان العدوى فاخرج الخمس وقسم الاموال وكتب الحرشى الى يزيد بن عبد الملك ولم يكتب الى عمر بن هبيرة فكان هذا مما وجد فيه عليه عمر بن هبيرة فقال ثابت قطنة يذكر ما أصابوا من عظمائهم

أقرَّ العَيْنُ مَصْرَعُ كارَزنج * وكشّين وما لاقى بيارُ
وَديواشْنى وما لاقى جلنجٌ * بِحِصْنِ خُجَنْدَ إِذْ دَمَروا فبارُوا

ويروى أقرّ العين مصرع كارزنج وكشكيش ويقال ان ديواشنى دهقان أهل سمرقند واسمه ديواشنج فأعربوه ديواشنى ويقال كان على أقباض خجندة علباء بن أحمر اليشكرى فاشترى رجل منه جونة بدرهمين فوجد فيها سبائك ذهب فرجع وهو واضع يده على لحيته كأنه رمد فرد الجونة وأخذ الدرهمين فطلب فلم يوجد قال وسرح الحرشىّ سليمان بن أبى السرى مولى بنى عوافة الى قلعة لا يطيف بها وادى السغد الا من وجه واحد ومعه شوكر بن حميك وخوارزم شاه وعورم صاحب أخرون وشومان فوجه سليمان بن أبى السرىّ على مقدمته المسيب بن بشر الرياحىّ فتلقوه من القلعة على فرسخ فى قرية يقال لها كوم فهزمهم المسيب حتى ردهم الى القلعة فحصرهم سليمان ودهقانها يقال له ديواشنى قال فكتب اليه الحرشىّ فعرض عليه ان يمدّه فأرسل اليه ملتقانا ضيّق فسر الى كسّ فانا في كفاية الله ان شاء الله فطلب الديواشنى ان ينزل على حكم الحرشىّ وان يوجهه مع المسيب بن بشر الى الحرشى فوفى له سليمان ووجهه الى سعيد الحرشىّ فألطفه وأكرمه مكيدةً فطلب أهل القلعة الصلح بعد مسيره على ان لا يعرض لمائة أهل بيت منهم ونسائهم وأبنائهم ويسلمون القلعة فكتب سليمان الى الحرشىّ ان يبعث الامناء فى قبض ما فى القلعة قال فبعث محمد بن عزيز الكندىّ وعلباء ابن أحمر اليشكرىّ فباعوا ما في القلعة مزايدة فأخذ الخمس وقسم الباقى بينهم وخرج الحرشى الى كسّ فصالحوه على عشرة آلاف رأس ويقال صالح دهقان كس واسمه ويك على ستة آلاف رأس يوفيه في أربعين يوما على ان لا يأتيه فلما فرغ من كس خرج الى ربنجن فقتل الديواشنى وصلبه على ناوس وكتب على أهل ربنجن كتابا بمائة ان فقد من موضعه وولى نصر بن سيار قبض صلح كس ثم عزل سورة بن الحرّ وولى نصر بن سيار واستعمل سليمان ابن أبى السرى على كس ونسف حربها وخراجها وبعث برأس الديواشنى الى العراق ويده اليسرى الى سليمان بن أبى السرى الى طخارستان قال وكانت خزار منيعةً فقال المجشر بن مزاحم لسعيد بن عمرو الحرشى ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال قال بلى قال المسربل بن الخرّيت بن راشد الناجىّ فوجهه اليها وكان المسربل صديقا لملكها واسم الملك سبقرى وكانوا يحبون المسربل فاخبر الملك ما صنع الحرشى باهل خجندة وخوفه قال فما ترى قال أرى ان

تنزل بأمان قال فأصنع بمن لحق بي من عوام الناس قال تصيرهم معك فى أمانك فصالحهم فآمنوه وبلاده قال ورجع الحرشي الى مرو ومعه سبقرى فلما نزل أسنان وقدم مهاجر ابن يزيد الحرشي وأمره ان يوافيه ببرذون ابن كشانيشاه قتل سبقرى وصلبه ومعه أمانه ويقال كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة فأخذ أمانا لاهل السغد فحبسه الحرشي فى قهندز مرو فلما قدم مرو دعا به وقتله وصلبه فى الميدان فقال الراجز

إذا سَعيدٌ سارَ فى الاخماس * في رَهَج يَأْخذُ بالانفاس

دارَتْ على التُّرْكِ أمرُّ الكاس * وَطَارَتِ التركُ على الأحلاسِ

وَلَوْا فِرارًا أُعطِّلَ القياسِ

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى عن المدينة ومكة وذلك للنصف من شهر ربيع الاول وكان عامله على المدينة ثلاث سنين ﴿وفيها﴾ ولى يزيد بن عبد الملك المدينة عبد الواحد النضرى

﴿ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الاعمال﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن أبي يحي قال خطب عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس الفهرى فاطمة ابنة الحسين فقالت والله ما أريد النكاح ولقد قعدت على بنى هؤلاء وجعلت تحاجزه وتكره ان تنابذه لما تخاف منه قال وألحّ عليها وقال والله لئن لم تفعلى لاجلدنّ أكبر بنيك في الخمر يعنى عبد الله بن الحسن فبيناهو كذلك وكان على ديوان المدينة ابن هرمز رجل من أهل الشام فكتب اليه يزيد ان يرفع حسابه ويدفع الديوان فدخل على فاطمة بنت الحسين يودّعها فقال هل من حاجة فقالت تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك وما يتعرّض منّى قال وبعثت رسولا بكتاب الى يزيد تخبره وتذكر قرابتها ورحمها وتذكر ماينال ابن الضحاك منها وما يتوعّدها به قال فقدم ابن هرمز والرسول معا قال فدخل ابن هرمز على يزيد فاستخبره عن المدينة وقال هل كان من مغرّبة خبرٍ فلم يذكر ابن هرمز من شأن ابنة الحسين فقال الحاجب أصلح الله الامير بالباب رسول فاطمة بنت الحسين فقال ابن هرمز أصلح الله الامير انّ فاطمة بنت الحسين يوم خرجت حملتنى رسالة اليك فاخبره الخبر قال فنزل من أعلى فراشه وقال لا أم لك ألم أسألك هل من مغربة خبر وهذا عندك لا تخبرنيه قال فاعتذر بالنسيان قال فأذن للرسول فادخله فأخذ الكتاب فاقترأه قال وجعل يضرب بخيزران في يديه وهو يقول لقد اجترأ ابن الضحاك هل من رجل يسمعنى صوته فى العذاب وأنا على فراشى قيل له عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضرىّ قال فدعا بقرطاس فكتب بيده الى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضرىّ

وهو بالطائف سلام عليك أما بعد فانى قد وليتك المدينة فاذا جاءك كتابى هذا فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك وأغرمه أربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشى قال وأخذ البريد الكتاب وقدم به المدينة ولم يدخل على ابن الضحاك وقد أوجست نفس ابن الضحاك فارسل الى البريد فكشف له عن طرف المفرش فاذا ألف دينار فقال هذه ألف دينار لك ولك العهد والميثاق لئن أنت أخبرتنى خبر وجهك هذا دفعتها اليك فأخبره فاستنظر البريد ثلاثا حتى يسير ففعل ثم خرج ابن الضحاك فاغذ السير حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك فقال أنا فى جوارك فغدا مسلمة على يزيد فرققه وذكر حاجة جاءلها فقال كل حاجة تكلمت فيها هى فى يدك مالم يكن ابن الضحاك فقال هو والله ابن الضحاك فقال والله لا أعفيه أبدا وقد فعل مافعل قال فرده الى المدينة الى النضرى قال عبد الله بن محمد فرأيته فى المدينة عليه جبة من صوف يسأل الناس وقد عذب ولقى شرًّا وقدم النضرى يوم السبت للنصف من شوال سنة ١٠٤ ﴿قال﴾ محمد بن عمر حدثنى ابراهيم بن عبد الله بن أبى فروة عن الزهرى قال قلت لعبد الرحمن بن الضحاك انك تقدم على قومك وهم ينكرون كل شىء خالف فعلهم فالزم ما أجمعوا عليه وشاور القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله فانهما لا يألونك رشدا قال الزهرى فلم يأخذ بشىء من ذلك وعادى الانصار طرًّا وضرب أبا بكر بن حزم ظلما وعدوانا فى باطل فما بقى منهم شاعر الا هجاه ولا صالح الا عابه وأتاه بالقبيح فلما ولى هشام رأيته ذليلا وولى المدينة عبد الواحد بن عبد الله بن بشر فاقام بالمدينة لم يقدم عليهم وال أحب اليهم منه وكان يذهب مذاهب الخير لا يقطع أمرا الا استشار فيه القاسم وسالما ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا الجراح بن عبد الله الحكمى وهو أمير على أرمينية وآذربيجان أرض الترك ففتح على يديه بلنجر وهزم الترك وغرقهم وعامة ذراريهم فى الماء وسبوا ما شاؤا وفتح الحصون التى تلى بلنجر وجلا عامة أهلها ﴿وفيها﴾ ولد فيما ذكر أبو العباس عبد الله بن محمد بن على فى شهر ربيع الآخر ﴿وفيها﴾ دخل أبو محمد الصادق وعدّة من أصحابه من خراسان الى محمد بن علىّ وقد ولد أبو العباس قبل ذلك بخمس عشرة ليلة فاخرجه اليهم فى خرقة وقال لهم والله ليتمن هذا الامر حتى تدركوا ثأركم من عدوكم ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشى عن خراسان وولاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابى

﴿ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشى عن خراسان﴾

ذكر ان سبب ذلك كان من موجدة وجدها عمر على الحرشى فى أمر الديواشنى وذلك انه كان كتب اليه يأمره بتخليته وقتله وكان يستخف بأمر ابن هبيرة وكان البريد والرسول اذا ورد من العراق قال له كيف أبو المثنى ويقول لكاتبه اكتب الى أبى المثنى ولا يقول الامير ويكثر ان يقول قال أبو المثنى وفعل أبو المثنى فبلغ ذلك ابن هبيرة فدعا جميل بن عمران فقال له بلغنى

أشياء عن الحرشي فاخرج الى خراسان وأظهر انك قدمت تنظر في الدواوين واعلم لى علمه فقدم جميل فقال له الحرشي كيف تركت أبا المثنى فجعل ينظر في الدواوين فقيل للحرشي ما قدم جميل لينظر فى الدواوين وماقدم الا ليعلم علمك فسم بطيخة وبعث بها الى جميل فاكلها فرض وتساقط شعره ورجع الى ابن هبيرة فعولج واستبل وصح فقال لابن هبيرة الأمر أعظم مما بلغك ما يرى سعيد الا انك عامل من عماله فغضب عليه وعزله وعذبه ونفخ فى بطنه النمل وكان يقول حين عزله لو سألنى عمر درهما يضعه في عينه ما أعطيته فلما عذب أدّى فقال له رجل ألم تزعم انك لا تعطيه درهما قال لا تعنفنى انه لما أصابنى الحديد جزعت فقال أذينة بن كليب أو كليب بن أذينة

تَصَبَّرْ أبا يحيى فَقَدْ كنتَ علمنَا * صَبُوراً ونَهَّاضاً بثقلِ المغارمِ

وقال على بن محمد انما غضب عليه ابن هبيرة انه وجه معقل بن عروة الى هراة إما عاملا واما فى غير ذلك من أموره فنزل قبل ان يمر على الحرشي وأتى هراة فلم ينفذ له ما قدم فيه وكتب الى الحرشي فكتب الحرشي الى عامله أن احمل الىّ معقلا فحمله فقال له الحرشي ما منعك من اتيانى قبل ان تأتى هراة قال أنا عامل لابن هبيرة ولانى كما ولاك فضربه مائتين وحلقه فعزله ابن هبيرة واستعمل على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة فكتب الى الحرشي يلخنه فقال له سعيد بل هو ابن اللخناء وكتب الى مسلم أن احمل الى الحرشي مع معقل بن عروة فدفعه اليه فاساء به وضيق عليه ثم أمر به يوما فعذبه وقال اقتله بالعذاب فلما أمسى ابن هبيرة سمر فقال من سيد قيس قالوا الامير قال دعوا هذا سيد قيس الكوثر بن زُفر لو بوق بليل لوافاه عشرون ألفا لا يقولون لما دعوتنا ولا يسألونه وهذا الحمار الذى فى الحبس قد أمرت بقتله فارسها وأما خير قيس لها فعسى ان أكونه انه لم يعرض الى أمر أرى انى أقدر فيه على منفعة وخير الا جرته اليهم فقال له اعرابى من بنى فزارة ما أنت كما تقول لو كنت كذلك ما أمرت بقتل فارسها فارسل الى معقل ان كف عما كنتُ أمرتك به قال على قال مسلم بن المغيرة لما هرب ابن هبيرة أرسل خالد فى طلبه سعيدَ بن عمر والحرشيّ فلحقه بموضع من الفرات يقطعه الى الجانب الآخر في سفينة وفي صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له قبيض فعرفه الحرشي فقال له قبيض قال نعم قال أفى السفينة أبو المثنى قال نعم قال فخرج اليه ابن هبيرة فقال له الحرشي أبا المثنى ما ظنّك بى قال ظنى بك انك لا تدفع رجلا من قومك الى رجل من قريش قال هو ذاك قال فالنجا قال علىّ قال أبو اسحاق بن ربيعة لما حبس ابن هبيرة الحرشي دخل عليه معقل بن عروة القشيرى فقال أصلح الله الامير قيدت فارس قيس وفضحته وما أنا براض عنه غير انى لم أحب ان تبلغ منه ما بلغت قال أنت بينى وبينه قدمت العراق فوليته البصرة ثم وليته خراسان فبعث الى ببرذون حطم واستخف بأمرى وخان فعزلتُه وقلت له

يا ابن نسعة فقال لي يا ابن بسرة فقال معقل وفعل ابن الفاعلة ودخل على الحرشي السجن فقال يا ابن نسعة أملك دخلت واشتريت بثمانين عنزا جربا كانت مع الرعاء ترادفها الرعاء مطية الصادر والوارد تجعلها ندا لبنت الحارث بن عمرو بن حرجة وافترى عليه فلما عزل ابن هبيرة وقدم خالد العراق استعدى الحرشي على معقل بن عروة وأقام البينة أنه قذفه فقال للحرشي اجلده فجلده وقال لولا ان ابن هبيرة وهن في عضدي لنقبت عن قلبك فقال رجل من بني كلاب لمعقل أسأت الى ابن عمك وقذفته فأداله الله منك فصرت لا شهادة لك في المسلمين وكان معقل حين ضرب الحد قذف الحرشي أيضا فأمر خالد باعادة الحد فقال القاضي لا يحد قال وأم عمر بن هبيرة بسرة بنت حسان عدوية من عدي الرباب ﴿وفي هذه السنة﴾ ولى عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة بن عمرو بن خويلد الصعق خراسان بعد ما عزل سعيد بن عمرو الحرشي عنها

﴿ذكر الخبر عن سبب توليته اياها﴾

(ذكر علي بن محمد) ان أبا الذيال وعلي بن مجاهد وغيرهما حدثوه قالوا لما قتل سعيد بن أسلم ضم الحجاج ابنه مسلم بن سعيد مع ولده فتأدب ونبل فلما قدم عدي بن أرطاة أراد أن يوليه فشاور كاتبه فقال ولِّه ولاية خفيفة ثم ترفعه فولاه ولاية فقام بها وضبطها وأحسن فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الاموال الى الشأم فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يوليه ولاية فدعاه ولم يكن شاب بعد فنظر فرأى شيبة في لحيته فكبر قال ثم سمر ليلة ومسلم في سمره فتخلف مسلم بعد السمار وفي يد ابن هبيرة سفرجلة فرمى بها وقال أيسرك أن أوليك خراسان قال نعم قال غدوة ان شاء الله قال فلما أصبح جلس ودخل الناس فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده وأمره بالسير وكتب الى عمال الخراج أن يكاتبوا مسلم بن سعيد ودعا بجبلة بن عبد الرحمن مولى باهلة فولاه كرمان فقال جبلة ما صنعت بي المولوية كان مسلم ينبغي يطمع ان أَلِيَ ولاية عظيمة فاوليه كورة فعقد له على خراسان وعقد لي على كرمان قال فسار مسلم فقدم خراسان في آخر سنة ١٠٤ أو ١٠٣ نصف النهار فوافق باب دار الامارة مغلقا فأتى دار الدواب فوجد الباب مغلقا فدخل المسجد فوجد باب المقصورة مغلقا فصلى وخرج وصيف من باب المقصورة فقيل له الامير فمشى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالي في دار الامارة وأعلم الحرشي وقيل له قدم مسلم بن سعيد بن أسلم فارسل اليه أقدمت أميرا أو وزيرا أو زائرا فارسل اليه مثلي لا يقدم خراسان زائرا ولا وزيرا فأتاه الحرشي فشتمه وأمر بحبسه فقيل له ان أخرجته نهارا قتل فأمر بحبسه عنده حتى أمسى ثم حبسه ليلا وقيده ثم أمر صاحب السجن أن يزيده قيدا فأتاه حزينا فقال مالك فقال أمرت أن أزيدك قيدا فقال لكاتبه اكتب اليه ان صاحب سجنك ذكر انك أمرته أن يزيدني قيدا فان كان أمرا من

فوقك

فوقك فسمعاً وطاعةً وان كان رأياً رأيته فسيرك الحقحقة وتمثل

هُمُ ان يثقفونى يقتلونى * ومن أثقف فليس الى خلودِ

ويروى

فاما تثقفونى فاقتلونى * فمن أثقف فليس الى خُلودِ

هُمُ الاعداء ان شهدوا وغابوا * أولوا الاحقاد والاكباد سُودُ

أريغونى إراغتكم فانى * وحذقة كالشجا تحت الوريدِ

*ويروى أريدونى ارادتكم قال وبعث مسلم على كوره رجلا من قبله على حربها قال وكان ابن هُبَيرة حريصاً أخذ قهرماناً ليزيد بن المهلب له علم بخراسان وبأشرافهم فحبسه فلم يدع منهم شريفاً الا قرفه فبعث أبا عبيدة العنبرى ورجلا يقال له خالد وكتب الى الحرشى وأمره أن يدفع الذين سمّاهم اليه يستأديهم فلم يفعل فرد رسول ابن هبيرة فلما استعمل ابن هبيرة مسلم بن سعيد أمره بجباية تلك الاموال فلما قدم مسلم أراد أخذ الناس بتلك الاموال التى قرفت عليهم فقيل له ان فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار وان لم تعمل في هذا حتى توضع عنهم فسدت عليك وعليهم خراسان لان هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الاموال أعيان البلد قرفوا بالباطل انما كان على مهزم بن جابر ثلثمائة ألف فزاد وامائة ألف فصارت أربعمائة ألف وعامّة من سمّوا لك ممن كثر عليه بمنزله فكتب مسلم بذلك الى ابن هبيرة وأوفد وفداً فيهم مهزم بن جابر فقال له مهزم بن جابر أيها الامير ان الذى رفع اليك الظلم والباطل ما علينا من هذا كله لو صدق الا القليل الذى لو أخذنا به أدّيناه فقال ابن هبيرة ان الله يأمركم أن تؤدّوا الامانات الى أهلها فقال اقرأ ما بعدها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل فقال ابن هبيرة لا بدَّ من هذا المال قال أما والله لئن أخذته لتأخذنّه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في عدوّك وليضرّنّ ذلك بأهل خراسان فى عدتهم وكراعهم وحلقتهم ونحن في ثغر نكابد فيه عدوًّا لا ينقضى حربهم ان أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدأه الى جلده حتى ان الخادم التى تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاها وعن الرجل الذى تخدمه لريح الحديد وأنتم فى بلادكم متفضلون فى الرقاق وفي المعصفرة والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام فى المغازى وقبلنا قوم قدموا علينا من كل فجّ عميق فجاؤا على الحمرات فولوا الولايات فاقتطعوا الاموال فهى عندهم موفرة جمّة فكتب ابن هبيرة الى مسلم بن سعيد بما قال الوفد وكتب اليه أن استخرج هذه الاموال ممن ذكر الوفد أنها عندهم فلما أتى مسلما كتاب ابن هبيرة أخذ أهل العهد بتلك الاموال وأمر حاجب ابن عمرو الحارثى أن يعذّبهم ففعل وأخذ منهم ما قرف عليهم ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضرى كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن

اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وكان العامل على مكة والمدينة والطائف فى هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضرى وعلى العراق والمشرق عمر بن هبيرة وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكندى وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى

## ثم دخلت سنة خمس ومائة

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة الجراح بن عبد الله الحكمى اللان حتى جاز ذلك الى مدائن وحصون من وراء بلنجر ففتح بعض ذلك وجلى عنه بعض أهله وأصاب غنائم كثيرة ﴿وفيها﴾ كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم فبعث سرية فى نحو من ألف مقاتل فاصيبوا فيما ذكر جميعا ﴿وفيها﴾ غزا مسلم بن سعيد الترك فلم يفتح شيأ فقفل ثم غزا أفشينة مدينة من مدائن السغد بعد فى هذه السنة فصالح ملكها وأهلها

### ﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

(ذكر على بن محمد) عن أصحابه ان مسلم بن سعيد مرزب بهرام سيس فجعله المرزبان وان مسلما غزا فى آخر الصيف من سنة ١٠٥ فلم يفتح شيأ وقفل فاتبعه الترك فلحقوه والناس يعبرون نهر بلخ وتميم على الساقة وعبيد الله بن زهير بن حيان على خيل تميم فحاموا عن الناس حتى عبروا ومات يزيد بن عبد الملك وقام هشام وغزا مسلم أفشين فصالح ملكها على ستة آلاف رأس ودفع اليه القلعة فانصرف لتمام سنة ١٠٥ ﴿وفى هذه السنة﴾ مات الخليفة يزيد ابن عبد الملك بن مروان لخمس ليال بقين من شعبان منها حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى (وقال الواقدى) كانت وفاته ببلقاء من أرض دمشق وهو يوم مات ابن ثمان وثلاثين سنة وقال بعضهم كان ابن أربعين سنة وقال بعضهم ابن ست وثلاثين سنة فكانت خلافته فى قول أبى معشر وهشام بن محمد وعلى بن محمد أربع سنين وشهرا وفى قول الوقدى أربع سنين وكان يزيد بن عبد الملك يكنى أبا خالد كذلك قال أبو معشر وهشام بن محمد والواقدى وغيرهم وقال على بن محمد توفى يزيد بن عبد الملك وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة فى شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة ١٠٥ قال ومات باربد من أرض البلقاء وصلى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة وهشام بن عبد الملك يومئذ بحمص حدثنى بذلك عمر بن شبة عن على (وقال هشام بن محمد) توفى يزيد بن عبد الملك وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة (قال على) قال أبو ماوية أو غيره من اليهود ليزيد بن عبد الملك انك تملك أربعين سنة فقال رجل من اليهود كذب لعنه الله انما رأى انه يملك أربعين قصبة والقصبة شهر فجعل الشهر سنة

ذكر

﴿ذكر بعض سيره وأموره﴾

حدثني عمر بن شبة قال حدثنا على قال كان يزيد بن عاتكة من فتيانهم فقال يوما وقد طرب وعنده حبابة وسلامة دعونى أطير فقالت حبابة الى من تدع الامة فلما مات قالت سلامة القس

لاتلمنا ان خشعنا * أوهممنا بالخشوع
قد لعمرى بت ليلى * كأخى الداء الوجيع
ثم بات الهم منى * دون من لى من ضجيع
للذى حل بنا اليو * م من الأمر الفظيع
كلما أبصرت ربعا * خاليا فاضت دموعى
قد خلا من سيدكا * ن لنا غير مضيع

ثم نادت واأمير المؤمنيناه والشعر لبعض الانصار (قال على) حج يزيد بن عبد الملك فى خلافة سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة وكان اسمها العالية باربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل ابن حنيف فقال سليمان هممت أن أحجر على يزيد فرد يزيد حبابة فاشتراها رجل من أهل مصر فقالت سعدة ليزيد يا أمير المؤمنين هل بقى من الدنيا شىء تتمناه بعد قال نعم حبابة فارسلت سعدة رجلا فاشتراها باربعة آلاف دينار فصنعتها حتى ذهب عنها كلال السفر فأتت بها يزيد فاجلستها من وراء الستر فقالت يا أمير المؤمنين أبقى شىء من الدنيا تتمناه قال ألم تسأليني عن هذا مرة فاعلمتك فرفعت الستر وقالت هذه حبابة وقامت وخلتها عنده فحظيت سعدة عند يزيد وأكرمها وحباها وسعدة امرأة يزيد وهى من آل عثمان بن عفان (قال على) عن يونس بن حبيب ان حبابة جارية يزيد بن عبد الملك غنت يوما

بين التراقى واللهاة حرارة * ماتطمئن وماتسوغ فتبرد

فأهوى ليطير فقالت يا أمير المؤمنين ان لنا فيك حاجة فرضت وثقلت فقال كيف أنت يا حبابة فلم تجبه فبكا وقال

لئن تسل عنك النفس أو تذهل الهوى * فباليأس يسلو القلب لا بالتجلد

وسمع جارية لها تتمثل

كفى حزنا بالهائم الصب أن يرى * منازل من يهوى معطلة قفرا

فكان يتمثل بهذا (قال عمر) قال على مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حبابة سبعة أيام لا يخرج الى الناس أشار عليه بذلك مسلمة وخاف أن يظهر منه شىء يسفهه عند الناس

﴿خلافة هشام بن عبد الملك﴾

﴿وفى هذه السنة﴾ استخلف هشام بن عبد الملك لليال بقين من شعبان منها وهو يوم استخلف

ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر ﴿ حدثني ﴾ عمر بن شبة قال حدثني علي قال حدثنا أبو محمد القرشي وأبو محمد الزيادي والمنهال بن عبد الملك وسحيم بن حفص العجيفي قالوا ولد هشام بن عبد الملك عام قتل مصعب بن الزبير سنة ٧٢ وأمه عائشة بنت هشام ابن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت حمقاء أمرها أهلها أن لا تكلم عبد الملك حتى تلد وكانت تثني الوسائد وتركب الوسادة وتزجرها كأنها دابة وتشتري الكندر فتمضغه وتعمل منه تماثيل وتضع التماثيل على الوسائد وقد سمّت كل تمثال باسم جارية وتنادي يا فلانة ويا فلانة فطلقها عبد الملك لحمقها وسار عبد الملك الى مصعب فقتله فلما قتله بلغه مولد هشام فسماه منصورا يتفاءل بذلك وسمّته أمه باسم أبيها هشام فلم ينكر ذلك عبد الملك وكان هشام يكنى أبا الوليد * وذكر محمد بن عمر عمن حدثه أن الخلافة أتت هشاما وهو بالزيتونة في منزله في دويرة له هناك (قال محمد بن عمر) وقد رأيتها صغيرة فجاءه البريد بالعصا والخاتم وسلم عليه بالخلافة فركب هشام من الرصافة حتى أتى دمشق ﴿وفي هذه السنة﴾ قدم بكير بن ماهان من السند وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجمانا له فلما عزل الجنيد بن عبد الرحمن قدم الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب فلقي أبا عكرمة الصادق وميسرة ومحمد بن خنيس وسالما الأعين وأبا يحيى مولى بني سلمة فذكروا له أمر دعوة بني هاشم فقبل ذلك ورضيه وأنفق ما معه عليهم ودخل الى محمد ابن علي ومات ميسرة فوجه محمد بن علي بكير بن ماهان الى العراق مكان ميسرة فأقامه مقامه ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام بن اسماعيل والنضري على المدينة قال الواقدي حدثني ابراهيم بن محمد بن شرحبيل عن أبيه قال كان ابراهيم بن هشام بن اسماعيل حج فأرسل الى عطاء بن رباح متى أخطب بمكة قال بعد الظهر قبل التروية بيوم فخطب قبل الظهر وقال أمرني رسولي بهذا عن عطاء فقال عطاء ما أمرته الا بعد الظهر قال فاستحيى ابراهيم بن هشام يومئذ وعدّوه منه جهلا ﴿وفي هذه السنة﴾ عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هبيرة عن العراق وما كان اليه من عمل المشرق وولى ذلك كله خالد بن عبد الله القسري في شوال * ذكر محمد بن سلام الجمحي عن عبد القاهر بن السري عن عمر بن يزيد بن عمير الأسيدي قال دخلت على هشام بن عبد الملك وعنده خالد بن عبد الله القسري وهو يذكر طاعة أهل اليمن قال فصفقت تصفيقة بيدي دقّ الهواء منها فقلت تالله ما رأيت هكذا خطأ ولا مثله خطلا والله ما فتحت فتنة في الاسلام الا بأهل اليمن هم قتلوا أمير المؤمنين عثمان وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك وان سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب قال فلما قمت تبعني رجل من آل مروان كان حاضرا فقال يا أخا بني تميم ورت بك زنادي قد سمعت مقالتك وأمير المؤمنين مولّ خالدا العراق وليست لك بدار * ذكر

عبد

عبد الرزاق ان حماد بن سعيد الصنعانى قال أخبرنى زياد بن عبيد الله قال أتيت الشأم فافترضت فبينا أنا يوماً على الباب باب هشام اذ خرج علىّ رجل من عند هشام فقال لى ممن أنت يافتى قلت يمان قال فمن أنت قلت زياد بن عبيد الله بن عبد المدان قال فتبسم وقال قم الى ناحية العسكر فقل لأصحابى ترحلوا فان أمير المؤمنين قد رضى عنى وأمرنى بالمسير و وكل بى من يخرجنى قال قلت من أنت يرحمك الله قال خالد بن عبد الله القسرى قال ومُرْهم يافتى أن يعطوك منديل ثيابى وبرذونى الاصفر فلما جزت قليلا نادانى فقال يافتى وان سمعت بى قد وليت العراق يوما فالحق بى قال فذهبت اليهم فقلت ان الأمير قد أرسلنى اليكم بأن أمير المؤمنين قد رضى عنه وأمره بالمسير فجعل هذا يحتضننى وهذا يقبل رأسى فلما رأيتُ ذلك منهم قلت وقد أمرنى أن تعطونى منديل ثيابه وبرذونه الاصفر قالوا اى والله وكرامة قال فاعطونى منديل ثيابه وبرذونه الاصفر فأمسى بالعسكر أحد أجود ثيابا منى ولا أجود مركبا منى فلم ألبث الا يسيرا حتى قيل قد ولى خالد العراق فركبنى من ذلك همّ فقال لى عريف لنا مالى أراك مهموما قلت أجل قد ولى خالد كذا وكذا وقد أصبتُ ههنا رزقا عشت به وأخشى أن أذهب اليه فيتغير علىّ فيفوتنى ههنا وههنا فلست أدرى كيف أصنع فقال لى هل لك فى خصلة قلت وماهى قال توكلنى بأرزاقك وتخرج فان أصبت ماتحب فلى أرزاقك والا رجعت فدفعتها اليك فقلت نعم وخرجت فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابى وأذن للناس فتركتهم حتى أخذوا مجالسهم ثم دخلت فقمت بالباب فسلمت ودعوت وأثنيت فرفع رأسه فقال أحسنت بالرُّحب والسعة فما رجعت الى منزلى حتى أصبت ستمائة دينار بين نقد وعرض ثم كنت أختلفُ اليه فقال لى يوما هل تكتب يا زياد فقلت أقرأ ولا أكتب أصلح الله الامير فضرب بيده على جبينه وقال انا لله وانا اليه راجعون سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك وبقى لك واحدة فيها غنى الدهر قال قلت أيها الأمير هل فى تلك الواحدة ثمن غلام قال وماذا حينئذ قلت تشترى غلاما كاتبا تبعث به الىّ فيعلمنى قال هيهات كبرتَ عن ذلك قال قلت كلا فاشترى غلاما كاتبا حاسبا بستين دينارا فبعث به الىّ فاكببتُ على الكتاب وجعلت لا آتيه الا ليلا فما مضت الا خمس عشرة ليلة حتى كتبت ماشئت وقرأت ماشئت قال فانى عنده ليلة اذ قال ما أدرى هل أنجحت من ذلك الامر شيأ قلت نعم أكتب ماشئت وأقرأ ماشئت قال انى أراك ظفرت منه بشىء يسير فأعجبكُ قلت كلا فرفع شاذكونه فاذا طومار فقال اقرأ هذا الطومار فقرأت مابين طرفيه فاذا هو من عامله على الرىّ فقال أخرج فقد وليتك عمله فخرجت حتى قدمت الرىّ فأخذت عامل الخراج فأرسل الىّ ان هذا اعرابىّ مجنون فإن الامير لم يولّ على الخراج عربياقط وانما هو عامل المعونة فقل له فليقرّنى على عملى وله

ثلثمائة ألف قال فنظرت في عهدي فاذا أنا على المعونة فقلت والله لا انكسرت ثم كتبت الى خالد انك بعثتني على الري فظننت أنك جمعتها لي فأرسل الى صاحب الخراج أن أقره على عمله و يعطيني ثلثمائة ألف درهم فكتب الى أن اقبل ما أعطاك واعلم أنك مغبون فأقمت بها ما أقمت ثم كتبت أني قد اشتقت اليك فارفعني اليك ففعل فلما قدمت عليه ولاني الشرطة * وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضري وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندي وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس وقد قيل ان هشاما انما استعمل خالد بن عبد الله القسري على العراق وخراسان في سنة ١٠٦ وان عامله على العراق وخراسان في سنة ١٠٥ كان عمر بن هبيرة

## ثم دخلت سنة ست ومائة

## ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

﴿ففي هذه السنة﴾ عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضري وعن مكة والطائف وولى ذلك كله خاله ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من جمادى الآخرة سنة ١٠٦ فكانت ولاية النضري على المدينة سنة وثمانية أشهر ﴿وفيها﴾ غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة ﴿وفيها﴾ غزا الحجاج بن عبد الملك اللان فصالح أهلها وأدوا الجزية ﴿وفيها﴾ ولد عبد الصمد بن علي في رجب ﴿وفيها﴾ مات الامام طاوس مولى بحير بن ريسان الحميري بمكة وسالم بن عبد الله ابن عمر فصلى عليهما هشام وكان موت طاوس بمكة وموت سالم بالمدينة ﴿حدثني﴾ الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة قال مات سالم بن عبد الله سنة ١٠٥ في عقب ذي الحجة فصلى عليه هشام بن عبد الملك بالبقيع فرأيت القاسم بن محمد بن أبي بكر جالسا عند القبر وقد أقبل هشام ما عليه الا درّاعة فوقف على القاسم فسلم عليه فقام اليه القاسم فسأله هشام كيف أنت يا أبا محمد كيف حالك قال بخير قال اني أحب والله أن يجعلكم بخير ورأى في الناس كثرة فضرب عليهم بعث أربعة آلاف فسمي عام الاربعة آلاف ﴿وفيها﴾ استقضى ابراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجمحي ثم عزله واستقضى الصلت الكندي ﴿وفي هذه السنة﴾ كانت الوقعة التي كانت بين المضرية واليمانية وربيعة بالبروقان من أرض بلخ

## ﴿ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة﴾

وكان سبب ذلك فيما قيل ان مسلم بن سعيد غزا فقطع النهر وتباطأ الناس عنه وكان ممن تباطأ عنه البختري بن درهم فلما أتى النهر رد نصر بن سيار وسليم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبري وأبا حفص بن وائل الحنظلي وعقبة بن شهاب المازني

وسالم

وسالم بن ذؤابة الى بلخ وعليهم جميعا نصر بن سيار وأمرهم أن يخرجوا الناس اليه فاحرق نصر باب البختري وزياد بن ظريف الباهلي فمنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلخ وكان عليها وقطع مسلم بن سعيد النهر فنزل نصر البروقان فأتاه أهل صغانيان وأتاه مسلمة العقفاني من بني تميم وحسان بن خالد الاسدي كل واحد منهما في خمسمائة وأتاه سنان الاعرابي وزرعة بن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النميري في أهل بيته وتجمعت بكر والازد بالبروقان رأسهم البختري وعسكر بالبروقان على نصف فرسخ منهم فأرسل نصر الى أهل بلخ قد أخذتم أعطياتكم فالحقوا بأميركم فقد قطع النهر فخرجت مضر الى نصر وخرجت ربيعة والازد الى عمرو بن مسلم وقال قوم من ربيعة ان مسلم بن سعيد يريد أن يخلع فهو يكرهنا على الخروج فأرسلت تغلب الى عمرو بن مسلم انك منا وأنشدوه شعرا قاله رجل عزا باهلة الى تغلب وكان بنو قتيبة من باهلة فقالوا انا من تغلب فكرهت بكر أن يكونوا في تغلب فتكثر تغلب فقال رجل منهم

زعمت قتيبة أنها من وائل * نسب بعيد يا قتيبة فاصعدي

وذكران بني معن من الازد يدعون باهلة * وذكر عن شريك بن أبي قيلة المعني ان عمرو بن مسلم كان يقف على مجالس بني معن فيقول لئن لم نكن منكم مانحن بعرب وقال عمرو بن مسلم حين عزاه التغلبي الى بني تغلب أما القرابة فلا أعرفها وأما المنع فاني سأمنعكم فسفر الضحاك بن مزاحم ويزيد بن المفضل الحداني وكلما نصرا وناشداه فانصرف فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبختري على نصر ونادوا يا آل بكر وجالوا وكر نصر عليهم فكان أول قتيل رجل من باهلة ومع عمرو بن مسلم البختري وزياد بن طريف الباهلي فقتل من أصحاب عمرو بن مسلم في المعركة ثمانية عشر رجلا وقتل كردان أخو الفرافصة ومسعدة ورجل من بكر بن وائل يقال له اسحاق سوى من قتل في السكك وانهزم عمرو بن مسلم الى القصر وأرسل الى نصر ابعث الى بلعاء بن مجاهد فأتاه بلعاء فقال خذ لي أمانا منه فآمنه نصر وقال لولا اني أشمت بك بكر بن وائل لقتلتك * وقيل أصابوا عمرو بن مسلم في طاحونة فأتوا به نصرا في عنقه حبل فآمنه نصر وقال له ولزياد بن طريف والبختري ابن درهم الحقوا بأميركم * وقيل بل التقى نصر وعمرو بالبروقان فقتل من بكر بن وائل والىمن ثلاثون فقالت بكر علام نقاتل اخواننا وأميرنا وقد تقربنا الى هذا الرجل فأنكر قرابتنا فاعتزلوا وقاتلت الازد ثم انهزموا ودخلوا حصنا فحصرهم نصر ثم أخذ عمرو بن مسلم والبختري أحد بني عباد وزياد بن طريف الباهلي فضربهم نصر مائة مائة وحلق رؤسهم ولحاهم وألبسهم المسوح وقيل أخذ البختري في غيضة كان دخلها فقال نصر في يوم البروقان

أرى العين لجت في ابتدار وما الذي * يرد عليها بالدموع ابتدارها

فما أنا بالوانى إذا الحربُ شمَّرتْ * تحرَّقُ فى شطرِ الخميسين نارُها
ولكننى أدعو لها خندفَ التى * تطلعُ بالعبءِ الثقيلِ فقارُها
وما حفظتْ بكرٌ هنالك حلفَها * فصار عليها عارُ قيسٍ وعارُها
فإن تكُ بكرٌ بالعراق تنزَّرتْ * ففى أرضِ مرْوٍ عِلُّها وازْورارُها
وقد جرَّبتْ يومَ البروقان وقعةً * لخندفَ إذ حانتْ وآن بوارُها
أتتنى لقيسٍ فى بجيلةَ وقعةٌ * وقد كان قبلَ اليومِ طالَ انتظارُها

يعنى حين أخذ يوسف بن عمر خالدا وعياله * وذكر علىّ بن محمد أن الوليد بن مسلم قال قاتل عمرو بن مسلم نصر بن سيار فهزمه عمرو فقال لرجل من بنى تميم كان معه كيف ترى أستاه قومك يا أخا بنى تميم يعيّره بهزيمتهم ثم كرّت تميم فهزموا أصحاب عمرو فانجلى الرهج وبلعاء بن مجاهد فى جمع من بنى تميم يشلهم فقال التميمى لعمرو هذه أستاه قومى قال وانهزم عمرو فقال بلعاء لاصحابه لا تقتلوا الاسرى ولكن جرّدوهم وجوبوا سراويلاتهم عن أدبارهم ففعلوا فقال بيان العنبرى يذكر حربهم بالبروقان

أتانى ورحلى بالمدينةِ وقعةٌ * لآلِ تميمٍ أرجفتْ كلَّ مُرجفِ
تظلُّ عيونُ البُرشِ بكرِ بنِ وائلٍ * اذا ذُكرتْ قتلى البروقان تَذرفُ
همُ أسلموا للموتِ عمرو بنَ مسلمٍ * ولولا شلالا والاسنَّةُ ترعفُ
وكانت من الفتيانِ فى الحربِ عادةٌ * ولم يصبروا عندَ القنا المتقصّفِ

﴿وفى هذه السنة﴾ غزا مسلم بن سعيد الترك فورد عليه عزله من خراسان من خالد بن عبد الله وقد قطع النهر لحربهم وولاية أسد بن عبد الله عليها

﴿ ذكر الخبر عن غزوة مسلم بن سعيد هذه الغزوة ﴾

* ذكر علىّ بن محمد عن أشياخه ان مسلما غزا فى هذه السنة فخطب الناس فى ميدان يزيد وقال ما أخلف بعدى شيأ أهمّ عندى من قوم يتخلفون بعدى مخلّقى الرقاب يتواثبون الجدران على نساء المجاهدين اللهمّ افعل بهم وافعل وقد أمرتُ نصرا ألا يجد متخلفا الا قتله وما أرثى لهم من عذاب ينزله الله بهم يعنى عمرو بن مسلم وأصحابه فلما صار ببخارى أتاه كتاب من خالد بن عبد الله القسرى بولايته على العراق وكتب اليه اتمّ غزاتك فسار الى فرغانة فقال أبو الضحاك الرّواحىّ أحد بنى رواحة من بنى عبس وعداده فى الازد وكان ينظر فى الحساب ليس على متخلف العام معصية فتخلف أربعة آلاف وسار مسلم بن سعيد فلما صار بفرغانة بلغه أن خاقان قد أقبل اليه وأتاه شُميل أو شُبيل بن عبد الرحمن المازنىّ فقال عاينت عسكر خاقان فى موضع كذا وكذا فارسل الى عبد الله بن أبى عبد الله الكرمانىّ

مولى

مولى بنى سليم فأمره بالاستعداد للمسير فلما أصبح ارتحل بالعسكر فسار ثلاث مراحل فى يوم ثم سار من غد حتى قطع وادى السبوح فأقبل اليهم خاقان وتوافت اليه الخيل فأنزل عبدالله بن أبى عبدالله قوما من العرفاء والموالى فأغار الترك على الذين أنزلهم عبدالله ذلك الموضع فقتلوهم وأصابوا دواب لمسلم وقتل المسيب بن بشر الرياحى وقتل البراء وكان من فرسان المهلب وقتل أخو غوزك وثار الناس فى وجوههم فأخرجوهم من العسكر ودفع مسلم لواءه الى عامر بن مالك الحمانى ورحل بالناس فساروا ثمانية أيام وهم مطيفون بهم فلما كانت الليلة التاسعة أراد النزول فشاور الناس فأشاروا عليه بالنزول وقالوا اذا أصبحنا وردنا الماء والماء منا غير بعيد وانك ان نزلت المرج تفرق الناس فى الثمار وانتهب عسكرك فقال لسورة بن الحر يا أبا العلاء ماترى قال أرى ما رأى الناس ونزلوا قال ولم يرفع بناء فى العسكر وأحرق الناس ماثقل من الآنية والامتعة فحرقوا قيمة ألف ألف وأصبح الناس فساروا فوردوا الماء فاذا دون النهر أهل فرغانة والشاش فقال مسلم بن سعيد أعزم على كل رجل الا اخترط سيفه ففعلوا فصارت الدنيا كلها سيوفا فتركوا الماء وعبروا فأقام يوما ثم قطع من غد وأتبعهم ابن خاقان قال فأرسل حميد بن عبدالله وهو على الساقة الى مسلم قف ساعة فان خلفى مائتى رجل من الترك حتى أقاتلهم وهو مثقل جراحة فوقف الناس فعطف على الترك فأسر أهل السغد وقائدهم وقائد الترك فى سبعة وانصرف البقية ومضى حميد ورمى بنشابة فى ركبته فمات وعطش الناس وقد كان عبد الرحمن بن نعيم العامرى حمل عشرين قربة على ابله فلما رأى جهد الناس أخرجها فشربوا جرعا واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فأتوه باناء فأخذه جابر أو حارثة بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه فقال مسلم دعوه فما نازعنى شربتى الا من حر دخله فأتوا خجندة وقد أصابتهم مجاعة وجهد فانتشر الناس فاذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم فأتياه بعهده على خراسان من أسد بن عبد الله فأقرأه عبد الرحمن مسلما فقال سمعا وطاعة قال وكان عبد الرحمن أول من اتخذ الخيام فى مفازة آمل قال وكان أعظم الناس غنى يوم العطش اسحاق بن محمد الغدانى فقال حاجب الفيل لثابت قطنة وهو ثابت بن كعب

تقضى الأمور وبكر غير شاهدها * بين المجاذيف والسكان مشغول

ما يعرف الناس منه غير قطنته * وما سواها من الآباء مجهول

وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نعيم وشديد وعبد السلام وابراهيم والمقداد وكان أشدهم نعيم وشديد فلما عزل مسلم بن سعيد قال الخزرج التغلبى قاتلنا الترك فأحاطوا بالمسلمين حتى أيقنوا بالهلاك فنظرت اليهم وقد اصفرت وجوههم فحمل حوثرة بن يزيد بن الحر ابن الحنيف بن نصر بن يزيد بن جعونة على الترك فى أربعة آلاف فقاتلهم ساعة ثم رجع

وأقبل نصر بن سيّار فى ثلاثين فارسا فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم وحمل الناس عليهم فانهزم الترك قال وحوثرة هذا هو ابن أخى رقبة بن الحرّ قال وكان عمر بن هبيرة قال لمسلم ابن سعيد حين ولاه خراسان ليكن حاجبك من صالح مواليك فانه لسانك والمعبّر عنك وحُثّ صاحب شرطتك على الامانة وعليك بعمال العذر قال وما عمال العذر قال مُرْ أهل كلّ بلد أن يختاروا لانفسهم فاذا اختاروا رجلا فوله فان كان خيرا كان لك وان كان شرّا كان لهم دونك وكنت معذورا قال وكان مسلم بن سعيد كتب الى ابن هبيرة أن يوجّه اليه توبة بن أبى أَسَيد مولى بنى العنبر فكتب ابن هبيرة الى عامله بالبصرة أحمل الىّ توبة ابن أبى أسيد فحمله فقدم وكان رجلا جميلا جهير اله سَمْت فلما دخل على ابن هبيرة قال ابن هبيرة مثل هذا فليولَّ ووَجَّه به الى مسلم فقال له مسلم هذا خاتمى فاعمل برأيك فلم يزل معه حتى قدم أَسَد بن عبد الله فأراد توبة أن يشخص مع مسلم فقال له أسد أقم معى فأنا أحوج اليك من مسلم فأقام معه فأحسن الى الناس وألان جانبه وأحسن الى الجند وأعطاهم أرزاقهم فقال له أسد حلفهم بالطلاق ولا يتخلّف أحد عن مغزاه ولا يدخل بديلا فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق قال وكان الناس بعد توبة يحلفون الجند بتلك الايمان فلما قدم عاصم بن عبد الله أراد أن يحلف الناس بالطلاق فأبوا وقالوا نحلف بأيمان توبة قال فهم يعرفون ذلك يقولون أيمان توبة ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدىّ وغيره لا خلاف بينهم فى ذلك قال الواقدىُّ حدثنى ابن أبى الزناد عن أبيه قال كتب الىّ هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة ان اكتب لى سُنن الحج فكتبتها له وتلقاه أبو الزناد قال أبو الزناد فانى يومئذ فى الموكب خلفه وقد لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان وهشام يسير فنزل له فسلم عليه ثم سار الى جنبه فصاح هشام أبو الزناد فتقدمتُ فسرت الى جنبه الآخر فأسمعُ سعيدا يقول يا أمير المؤمنين ان الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين وينصر خليفته المظلوم ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن الصالحة أبا تراب فأمير المؤمنين ينبغى له أن يلعنه في هذه المواطن الصالحة قال فشقّ على هشام وثقل عليه كلامه ثم قال ما قدمنا لشتم أحد ولا للعنه قدمنا حُجّاجا ثم قطع كلامه وأقبل علىّ فقال يا عبد الله ابن ذكوان فرغتَ مما كتبتُ اليك فقلت نعم فقال أبو الزناد وثقل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام فرأيته منكسرا كلما رآنى ﴿وفى هذه السنة﴾ كلم ابراهيم بن محمد ابن طلحة هشام بن عبد الملك وهشام واقف قد صلى فى الحجر فقال له أسألك بالله وبحرمة هذا البيت والبلد الذى خرجتَ معظما لحقه الا رددتَ علىَّ ظلامتى قال أىَّ ظلامة قال دارى قال فأين كنتَ عن أمير المؤمنين عبد الملك قال ظلمنى والله قال فعن الوليد بن

عبد الملك قال ظلمني والله قال فعن سليمان قال ظلمني قال فعن عمر بن عبد العزيز قال يرحمه الله ردّها والله عليّ قال فعن يزيد بن عبد الملك قال ظلمني والله هو قبضها مني بعد قبضي لها وهي في يديك قال هشام أما والله لو كان فيك ضربٌ لضربتك فقال ابراهيم فيّ والله ضرب بالسيف والسوط فانصرف هشام والأبرش خلفه فقال أبا مجاشع كيف سمعت هذا اللسان قال ما أجود هذا اللسان * قال هذه قريش وألسنتها ولا يزال في الناس بقايا ما رأيت مثل هذا ﴿وفي هذه السنة﴾ قدم خالد بن عبد الله القسريّ أميرا على العراق ﴿وفيها﴾ استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميرا على خراسان فقدمها ومسلم بن سعيد غازٍ بفرغانة فذُكر عن أسد انه لما أتى النهر ليقطع منعه الاشهب بن عبيد التميميّ أحد بني غالب وكان على السفن بآمل فقال له أسد اقطعني فقال لا سبيل الى إقطاعك لاني نهيت عن ذلك قال لاطفوه وأطمعوه فأبى قال فاني الامير ففعل فقال أسد أعرفوا هذا حتى نشركه في أمانتنا فقطع النهر فأتى السغد فنزل مرجها وعلى خراج سمرقند هانئ بن هانئ فخرج في الناس يتلقى أسدا فأتوه بالمرج وهو جالس على حجر فتفاءل الناس فقالوا أسد على حجر ما عند هذا خيرٌ فقال له هانئ أقدمتَ أميرا فنفعل بك ما نفعل بالامراء قال نعم قدمتُ أميرا ثم دعا بالغداء فتغدّى بالمرج وقال من ينشط بالمسير وله أربعة عشر درهما ويقال قال ثلاثة عشر درهما وهاهي في كمّي وانه ليبكي ويقول انما أنا رجل مثلكم وركب فدخل سمرقند وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على الجند فقدم الرجلان على عبد الرحمن بن نعيم وهو في وادي افشين على الساقة وكانت الساقة على أهل سمرقند الموالي وأهل الكوفة فسألا عن عبد الرحمن فقالوا هو في الساقة فأتياه بعهد وكتاب بالقفل والاذن لهم فيه فقرأ الكتاب ثم أتى به مسلما وبعهده فقال مسلم سمعا وطاعة فقام عمرو بن هلال السدوسيّ ويقال التيميّ فقنعه سوطين لما كان منه بالبرو قال الى بكر بن وائل وشتمه حسين بن عثمان بن بشر بن المحتفز فغضب عبد الرحمن بن نعيم فزجرهما ثم أغلظ لهما وأمر بهما فدفعا وقفل بالناس وشخص معه مسلم * فذكر عليّ بن محمد عن أصحابه انهم قدموا على أسد وهو بسمرقند فشخص أسد الى مرو وعزل هانئا واستعمل على سمرقند الحسن بن أبي العمرَّطة الكنديّ من ولد آكل المُرَار قال فقدمت على الحسن امرأته الجَنوب ابنة القعقاع بن الاعلم رأس الازد ويعقوب بن القعقاع قاضي خراسان فخرج يتلقاها وغزاهم الترك فقيل له هؤلاء الترك قد أتوك وكانوا سبعة آلاف فقال ما أتونا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم وايمُ الله مع هذا لأُدنينكم منهم ولأقرننّ نواصي خيلكم بنواصي خيلهم قال ثم خرج فتباطأ حتى أغاروا وانصرفوا فقال الناس خرج الى امرأته يتلقاها مسرعا وخرج الى العدوّ متباطئا فبلغه فخطبهم فقال تقولون

وتعيبون اللهمّ اقطع آثارهم وعجّل أقدارهم وأنزل بهم الضرّا وارفع عنهم السرّا فشتمه الناس فى أنفسهم وكان خليفته حين خرج الى الترك ثابت قطنة فخطب الناس فحصر فقال من يُطع الله ورسولَه فقد ضلّ وارتج عليه فلم ينطق بكلمة فلما نزل عن المنبر قال

إن لم أكن فيكم خطيبا فإننى * بسيفى اذا جدَّ الوغى لخطيبُ

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت خطيبا فقال حاجب الفيل اليشكرىّ يعيّره حصره

أبا العلاء لقد لاقيت معضلةً * يومَ العروبة من كربٍ وتخنيقِ
تلوى اللسان إذا رمت الكلام به * كما هوى زلقٌ من شاهقِ النيقِ
لمّا رمتك عيونُ الناسِ ضاحيةً * أنشأت تجرض لمّا قمت بالريقِ
أمّا القرانُ فلا تهدى لمحكمةٍ * من القرانِ ولا تهدى لتوفيقِ

﴿وفي هذه السنة﴾ ولد عبد الصمد بن علىّ فى رجب وكان العامل على المدينة ومكة والطائف فى هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومىّ وعلى العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسرىّ وعامل خالد على صلاة البصرة عقبة بن عبد الأعلى وعلى شرطتها مالك بن المنذر ابن الجارود وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله بن أنس وعلى خراسان أسد بن عبد الله

## ﴿ ثم دخلت سنة سبع ومائة ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمن ذلك ما كان من خروج عبّاد الرُّعينىّ باليمن محكِّما فقتله يوسف بن عمر وقتل معه أصحابه كلهم وكانوا ثلثمائة ﴿وفيها﴾ غزا الصائفة معاوية بن هشام وعلى جيش الشأم ميمون ابن مهران فقطع البحر حتى عبر الى قُبرُس وخرج معهم البعث الذى كان هشام أمر به في حجته سنة ٦ فقدموا فى سنة ٧ على الجعائل غزا منهم نصفهم وأقام النصف وغزا البرّ مسلمة ابن عبد الملك ﴿وفيها﴾ وقع بالشأم طاعون شديد ﴿وفيها﴾ وجّه بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمّار العبّادىّ فى عدة من شيعتهم معهم زياد خال الوليد الازرق دُعاة الى خراسان فجاء رجل من كندة الى أسد بن عبد الله فوشى بهم اليه فأتى بأبى عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه ونجا عمّار فقطع أسد أيدى من ظفر به منهم وأرجلهم وصلبهم فأقبل عمّار الى بكير بن ماهان فأخبره الخبر فكتب به الى محمد بن علىّ فأجابه الحمد لله الذى صدّق مقالتكم ودعوتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل ﴿وفى هذه السنة﴾ حُمل مسلم بن سعيد الى خالد بن عبد الله وكان أسد بن عبد الله له مكرّما بخراسان لم يعرض له ولم يحبسه فقدم مسلم وابن هبيرة مُجمع على الهرب فنهاه عن ذلك مسلم وقال له ان القوم فينا أحسن رأيا منكم فيهم ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا أسد جبال نمرون

ملك الغرشستان ممايلي جبال الطالقان فصالحه نمرون وأسلم على يديه فهم اليوم يتولون اليمن ﴿وفيها﴾ غزا أسد الغور وهي جبال هراة

﴿ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة﴾

* ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن أسدا غزا الغور فعمد أهلها الى أثقالهم فصيروها في كهف ليس اليه طريق فأمر أسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ودلاها بالسلاسل فاستخرجوا ما قدروا عليه فقال ثابت قطنة

أرى أسدا تضمن مفظعات * تهيبها الملوك ذووا الحجاب

سما بالخيل في أكناف مرو * وتوفزهن بين هلا وهاب

الى غورين حيث حوى أزب * وصك بالسيوف وبالحراب

هدانا الله بالقتلى تراها * مصلبة بأفواه الشعاب

ملاحم لم تدع لسراة كلب * مهارة ولا لبني كلاب

فأوردها النهاب وآب منها * بأفضل ما يصاب من النهاب

وكان إذا أناخ بدار قوم * أراها المخزيات من العذاب

ألم يزر الجبال جبال ملع * ترى من دونها قطع السحاب

بأرعن لم يدع لهم شريدا * وعاقبها الممض من العقاب

وملع من جبال ختل فيها تعمل الحزم الملعية ﴿وفي هذه السنة﴾ نقل أسد من كان بالبروقان من الجند الى بلخ فأقطع كل من كان له بالبروقان مسكن مسكنا بقدر مسكنه ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكنا وأراد أن ينزلهم على الاخماس فقيل له انهم يتعصبون فخلط بينهم وكان قسم لعمارة مدينة بلخ الفعلة على كل كورة على قدر خراجها وولى بناء مدينة بلخ برمك أبا خالد بن برمك وكان البروقان منزل الامراء وبين البروقان وبين بلخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غلوتين فقال أبو البريد في بنيان أسد مدينة بلخ

شعفت فؤادك فالهوى لك شاعف * رئم على طفل بحومل عاطف

ترعى السرير بجانبي متهدل * ريان لا يعشو اليه آلف

بمحاضر من منحنى عطفت له * بقر ترجح زانهن روادف

إن المباركة التي أحصنتها * عصم الذليل بها وقر الخائف

فأراك فيها ما رأى من صالح * فتحا وأبواب السماء رواعف

فمضى لك الاسم الذي يرضى به * عنك البصير بما نويت اللاطف

يا خير ملك ساس أمر رعية * إني على صدق اليمين لحالف

اللهُ آمنَهَا بصُـنعِكَ بعـدَمَا * كانت قلوبُ خوفهن رواجفُ

﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة ابراهيم بن هشام حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدىّ وهشام وغيرهما وكانت عمال الامصار في هذه السنة عمالها الذين ذكرناهم قبل فى سنة ١٠٦

## ﴿ ثم دخلت سنة ثمان ومائة ﴾

### ﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

﴿ففيها﴾ كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية مدينة الروم مما يلى الجزيرة ففتحها الله على يديه ﴿وفيها﴾ أيضا غزا ابراهيم بن هشام ففتح أيضا حصنا من حصون الروم ﴿وفيها﴾ وجّه بكير بن ماهان الى خراسان عدّة فيهم عمار العبادىّ فوشى بهم رجل الى أسد بن عبد الله فأخذ عمارا فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر فكتب بذلك الى محمد بن علىّ فكتب اليه في جواب الكتاب الحمد لله الذى صدّق دعوتكم ونجّى شيعتكم ﴿وفيها﴾ كان الحريق بدابق فذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن نافع حدّثه عن أبيه قال احترق المرعى حتى احترق الدوابّ والرجال ﴿وفيها﴾ غزا أسد بن عبد الله الختّل فذكر عن علىّ بن محمد ان خاقان أتى أسدا وقد انصرف الى القواديان وقطع النهر ولم يكن بينهم قتال في تلك الغزاة وذكر عن أبى عبيدة أنه قال بل هزموا أسدا وفضحوه فتغنى عليه الصبيان

أز ختّلان آمذِى * برو تباه آمذِى

قال وكان السُبُل محاربا له فاستجلب خاقان وكان أسد قد أظهر انه يشتو بسُرخ دره فأمر أسد الناس فارتحلوا ووجّه راياته وسار في ليلة مظلمة الى سرخ دره فكبّر الناس فقال أسد ماللناس قالوا هذه علامتهم اذا قفلوا فقال لعروة المنادى نادِ أن الامير يريد غورين ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا الى غورين فقطع النهر فلم يلتق هو ولاهم ورجع الى بلخ فقال الشاعر فى ذلك يمدح أسد بن عبد الله

ندَبتَ لى من كلّ خمسٍ ألفين * من كل لحاف عريضِ الدّفّين

قال ومضى المسلمون الى الغورِيان فقاتلوهم يوما وصبروا لهم وبرز رجل من المشركين فوقف أمام أصحابه وركز رمحه وقد أعلم بعصابة خضراء وسلم بن أحوز واقف مع نصر بن سيّار فقال سلم لنصر قد عرفت رأى أسد وأنا حامل على هذا العِلج فلعلى أن أقتله فيرضى فقال شأنك فحمل عليه فما اختلج رمحه حتى غشيه سلم فطعنه فاذا هو بين يدى فرسه ففحص برجله فرجع سلم فوقف فقال لنصر أنا حامل حملة أخرى فحمل حتى اذا دنا منهم اعترضه رجل من العدوّ فاختلفا ضربتين فقتله سلم فرجع سلم جريحا فقال نصر لسلم قف لى حتى

أحمل عليهم فحمل حتى خالط العدوّ فصرع رجلين ورجع جريحا فوقف فقال أترى ماصنعنا يُرضيه لا أرضاه الله فقال لا والله فيما أظنّ وأتاهما رسول أسد فقال يقول لكما الامير قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين لعنكما الله فقالا آمين ان عدنا لمثل هذا وتحاجزوا يومئذ ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون ان انهزموا وحوى المسلمون عسكرهم وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا وقال بعضهم رجع أسد في سنة ١٠٨ مفلولا من الخُتَّل فقال أهل خراسان

از ختلان آمذى * بروتباه آمذى * بيدل فراز آمذى

قال وكان أصاب الجند في غزاة الختل جوع شديد فبعث أسد بكبشين مع غلام له وقال لا تبعهما بأقلّ من خمسمائة فلمامضى الغلام قال أسد لا يشتريهما الا ابن الشخّير وكان في المسلحة فدخل ابن الشخير حين أمسى فوجد الشاتين في السوق فاشتراهما بخمسمائة فذبح احداهما وبعث بالاخرى الى بعض اخوانه فلمارجع الغلام الى أسد أخبره بالقصة فبعث اليه أسد بألف درهم قال وابن الشخير هو عثمان بن عبد الله بن الشخير أخو مطرّف بن عبد الله بن الشخير الحرشيّ ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف حدَّثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال محمد بن عمر الواقديّ ﴿وكان﴾ العمّال في هذه السنة على الامصار في الصلاة والحرب والقضاء هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل

## ﴿ ثم دخلت سنة تسع ومائة ﴾

### ﴿ذكر الاحداث التي كانت فيها﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهري على جيش في البحر وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم ففتح حصنا بها يقال له طيبة وأصيب معه قوم من أهل انطاكية ﴿وفيها﴾ قتل عمر بن يزيد الاسيّديّ قتله مالك بن المنذر بن الجارود

### ﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب فأعجب به يزيد بن عبد الملك وقال هذا رجل العراق فغاظ ذلك خالدا فأمر مالك بن المنذر وهو على شرطة البصرة أن يعظم عمر بن يزيد ولا يعصي له أمرا حتى يعرّفه الناس ثم أقبل يعتلُّ عليه حتى يقتله ففعل ذلك فذكر يوما عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر فافترى عليه مالك فقال له عمر بن يزيد تفتري على مثل عبد الاعلى فأغلظ له مالك فضربه بالسياط حتى قتله وفيها غزا أسد بن عبد الله غورين وقال ثابت قطنة

أرى أسدًا في الحربِ إذا نزلتْ به * وقارعَ أهلَ الحربِ فازَ وأوجبا

تَنَاوَلَ أَرْضَ السَّبْلِ خاقانُ رِدْؤُه * فَحَرَّقَ ما استعصى عليه وخَرَّبا
أَتَتْكَ وُفُودُ التُّرْكِ ما بَيْنَ كابِلٍ * وغُورِينَ إذ لم يَهْرُبُوا منكَ مَهْرَبا
فما يَغْمُرُ الأَعداءَ من لَيْثِ غابَةٍ * أَبِي ضارِياتٍ حَرَّشُوهُ فَعَقَّبا
أَزَبَّ كأنَّ الوَرْسَ فَوْقَ ذِراعِهِ * كَرِيهَ المُحَيَّا قد أَسَنَّ وجَرَّبا
أَلْمِيكُ في الحِصْنِ المُبارَكِ عِصْمَةٌ * لِجُنْدِكَ إذهابَ الجَبانِ وأَرْهَبا
بَنَى لكَ عَبْدُ اللهِ حِصْنًا وَرِثْتَهُ * قَدِيمًا إذا عُدَّ القَدِيمُ وأَنْجَبا

﴿وفي هذه السنة﴾ عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان وصرف أخاه أسدا عنها

﴿ذكر الخبر عن عزل هشام خالدا وأخاه عن خراسان﴾

وكان سبب ذلك ان أسدا أخا خالد تعصب حتى أفسد الناس فقال أبو البريد فيما ذكر علي بن محمد لبعض الازد ادخلني على ابن عمك عبد الرحمن بن صبح وأوصه بي وأخبره عني فادخله عليه وهو عامل لأسد على بلخ فقال أصلح الله الامير هذا أبو البريد البكري أخونا وناصرنا وهو شاعر أهل المشرق وهو الذي يقول

إِنْ تَنْقُضِ الأَزْدُ حِلْفًا كانَ أَكَّدَهُ * في سالِفِ الدَّهْرِ عَبَّادٌ ومَسْعُودُ
ومالِكٌ وسُوَيْدٌ أَكَّدَاهُ مَعًا * لَمَّا تَجَرَّدُ فيها أَيَّ تَجْرِيدِ
حتى تَنادَوْا أَتاكَ اللهُ ضاحِيَةً * وفي الجُلُودِ من الإِيقاعِ تَقْصِيدُ

قال فجذب أبو البريد يده وقال لعنك الله من شفيع كذب أصلحك الله ولكني الذي أقول

الأَزْدُ إِخْوَتُنا وهُمْ حُلَفاؤُنا * ما بَيْنَنا نَكْثٌ ولا تَبْدِيلُ

قال صدقت وضحك وأبو البريد من بني علباء بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة قال وتعصب على نصر بن سيار ونفر معه من مضر فضربهم بالسياط وخطب في يوم جمعة فقال في خطبته قبح الله هذه الوجوه وجوه أهل الشقاق والنفاق والشغب والفساد اللهم فرق بيني وبينهم وأخرجني الى مهاجري ووطني وقل من يروم ما قبلي أو يترمرم وأمير المؤمنين خالي وخالد ابن عبد الله أخي ومعي اثنا عشر ألف سيف يمان ثم نزل عن منبره فلما صلى ودخل عليه الناس فأخذوا مجالسهم اخرج كتابا من تحت فراشه فقرأه على الناس فيه ذكر نصر بن سيار وعبد الرحمن بن نعيم العامري وسورة بن الحر الأباني أبان بن دارم والبختري بن أبي درهم من بني الحارث بن عباد فدعاهم فانبهم فأزم القوم فلم يتكلم منهم أحد فتكلم سورة فذكر حاله وطاعته ومناصحته وانه ليس ينبغي له ان يقبل قول عدو مبطل وان يجمع بينهم وبين من قرفهم بالباطل فلم يقبل قوله وأمر بهم فجردوا فضرب عبد الرحمن بن نعيم فاذا

رجل عظيم البطن أرسح فلما ضرب التوى وجعل سراويله يزلّ عن موضعه فقام رجل من أهل بيته فاخذ رداءً له هرويا وقام مادّاً ثوبه بيده وهو ينظر الى أسد يريد ان يأذن له فيؤزّره فاومى اليه ان افعل فدنا منه فأزّره ويقال بل أزّره أبو نميلة وقال له اتزر أبازهير فان الامير وال مؤدب ويقال بل ضربهم في نواحي مجلسه فلما فرغ قال أين تيس بني حمّان وهو يريد ضربه وقد كان ضربه قبل فقال هذا تيس بني حمان وهو قريب العهد بعقوبة الامير وهو عامر بن مالك بن مسلمة بن يزيد بن حجر بن خيسق بن حمان بن كعب بن سعد وقيل انه حلقهم بعد الضرب ودفعهم الى عبد ربه بن أبي صالح مولى بني سليم وكان من الحرس وعيسى بن أبي بريق ووجههم الى خالد وكتب اليه انهم أرادوا الوثوب عليه فكان ابن أبي بريق كلما نبت شعر أحدهم حلقه وكان البختريّ بن أبي درهم يقول لوددت انه ضربني وهذا شهرا يعنى نصر بن سيار لما كان بينهما بالبروقان فارسل بنو تميم الى نصر ان شئتم انتزعناكم من أيديهم فكفهم نصر فلما قدم بهم على خالد لام أسدا وعنفه وقال الا بعثت برؤسهم فقال عرفجة التميمي

فكيفَ وأنصارُ الخليفةِ كلُّهُم * عُناةٌ وأعداءُ الخليفةِ تُطلَقُ
بكيتُ ولم أملكْ دُموعي وحُقَّ لي * ونصرٌ شهابُ الحربِ في الغلِّ موثَقُ

وقال نصر

بعثتَ بالعتابِ في غيرِ ذنبٍ * في كتابٍ تلومُ أمُّ تميم
إنْ أكنْ موثقاً أسيراً لديهم * في همومٍ وكربةٍ وسهوم
رهنَ قسرٍ فما وجدتَ بلاءً * كأسارِ الكرامِ عندَ اللئيم
أبلغِ المدّعينَ قسراً وقسرٌ * أهلُ عودِ القناةِ ذاتِ الوصوم
هلْ فطمتمْ عنِ الخيانةِ والغدرِ * أم انتم كالحاكرِ المستديم

﴿وقال الفرزدق﴾

أخالدُ لولا اللهُ لمْ تعطَ طاعةً * ولولا بنو مروانَ لمْ توثِقوا نصرا
إذاً للقيتمْ دونَ شدّ وثاقهِ * بني الحربِ لا كشفَ اللقاءِ ولا ضجرا

وخطب أسد بن عبد الله على منبر بلخ فقال في خطبته يا أهل بلخ لقبتموني الزاغ والله لا زيغن قلوبكم فلما تعصب أسد وأفسد الناس بالعصبية كتب هشام الى خالد بن عبد الله أعزل أخاك فعزله فاستأذن له في الحج فقفل أسد الى العراق ومعه دهاقين خراسان في شهر رمضان سنة ١٠٩ واستخلف أسد على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي فاقام الحكم صيفية فلم يغزُ وذكر علي بن محمد ان أول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان في ولاية أسد بن عبد الله الاولى بعثه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وقال

له ادع الناس الينا وانزل في اليمن والطف بمضر ونهاه عن رجل من أبرشهر يقال له غالب لانه كان مفرطا في حب بني فاطمة ويقال أول من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن علي حرب بن عثمان مولى بني قيس بن ثعلبة من أهل بلخ قال فلما قدم زياد أبو محمد ودعا الى بني العباس وذكر سيرة بني مروان وظلمهم وجعل يطعم الناس الطعام فقدم عليه غالب من أبرشهر فكانت بينهم منازعة غالب يفضل آل أبي طالب وزياد يفضل بني العباس ففارقه غالب وأقام زياد بمرو شتوة وكان يختلف اليه من أهل مرو يحيى بن عقيل الخزاعي وابراهيم ابن الخطاب العدوي قال وكان ينزل برزن سويد الكاتب في دور آل الرقاد وكان على خراج مرو الحسن بن شيخ فبلغه أمره فاخبر به أسد بن عبد الله فدعا به وكان معه رجل يكنى أباموسى فلما نظر اليه أسد قال له أعرفك قال نعم قال له أسد رأيتك في حانوت بدمشق قال نعم قال لزياد فما هذا الذي بلغني عنك قال رفع اليك الباطل انما قدمت خراسان في تجارة وقد فرقت مالي على الناس فاذا صار الي خرجت قال له أسد أخرج عن بلادي فانصرف فعاد الى أمره فعاود الحسن أسدا وعظم عليه أمره فارسل اليه فلما نظر اليه قال ألم أنهك عن المقام بخراسان قال ليس عليك أيها الامير مني بأس فاحفظه وأمر بقتلهم فقال له أبو موسى فاقض ما أنتَ قاضٍ فازداد غضبا وقال له انزلتني منزلة فرعون فقال له ما أنزلتك ولكن الله أنزلك فقتلوا وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة فلم ينج منهم يومئذ الا غلامان استصغرهما وأمر بالباقين فقتلوا بكشانشاه وقال قوم أمر أسد بزياد ان يخط وسطه فدبين اثنين فضرب فنبا السيف عنه فكبر أهل السوق فقال أسد ماهذا فقيل له لم يحك السيف فيه فاعطى أبا يعقوب سيفا فخرج في سراويل والناس قد اجتمعوا عليه فضربه فنبا السيف فضربه ضربة أخرى فقطعه باثنتين وقال آخرون عرض عليهم البراءة فمن تبرأ منهم مما رفع عليه خلى سبيله فأبى البراءة ثمانية منهم وتبرأ اثنان فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد في مجلسه المشرف على السوق بالمدينة العتيقة فقال أليس هذا أسيرنا بالامس فاتاه فقال له أسألك ان تلحقني باصحابي فاشرفوا به على السوق وهو يقول رضينا بالله ربًّا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فدعا أسد بسيف بخارا خذاه فضرب عنقه بيده قبل الاضحى بأربعة أيام ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيرا فنزل على أبي النجم فكان يأتيه الذين لقوا زيادا فيحدثهم ويدعوهم فكان على ذلك سنة أو سنتين وكان كثير أميًّا فقدم عليه خداش وهو في قرية تدعى مرعم فغلب كثيرا على أمره ويقال كان اسمه عمارة فسمي خداشا لانه خدش الدين وكان أسد استعمل عيسى بن شداد البرجمي إمرته الاولى في وجه وجهه على ثابت قطنة فغضب فهجا أسدا فقال

أرَى كُلَّ قَوْمٍ يَعْرِفُونَ أَبَاهُمُ * وأَبُو بُجَيْلَةَ بَيْنَهُمْ يَتَذَبْذَبُ

إني وجدتُ أبي أباكَ فلا تكُنْ * إلْباً عليَّ مع العدوّ تُجلِّبُ
أرمي بسهمي من رماكَ بسهمه * وعدوُّ من عاديتَ غيرُ مكذَّبِ
أسدُ بن عبد الله جلَّلَ عفوُهُ * أهلَ الذنوبِ فكيف من لم يُذنبِ
أجعلتني للبُرْجُميّ حقيبةً * والبُرْجُميُّ هو اللئيمُ المُحقَبُ
عبدٌ إذا استبق الكرامُ رأيتَه * يأتي سُكَيْتاً حاملاً في الموكبِ
إني أعوذُ بقبر كرزٍ أن أرى * تبعاً لعبدٍ من تميمٍ مُحقَبِ

﴿وفي هذه السنة﴾ استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس بن عبد الله السلمي فذكر علي بن محمد عن أبي الذيال العدوي ومحمد بن حمزة عن طرخان ومحمد بن الصلت الثقفي أن هشام بن عبد الملك عزل أسد بن عبد الله عن خراسان واستعمل أشرس بن عبد الله السلمي عليها وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسري وكان أشرس فاضلا خيرا وكانوا يسمونه الكامل لفضله عندهم فسار الى خراسان فلما قدمها فرحوا بقدومه فاستعمل على شرطته عميرة أبا أمية اليشكري ثم عزله وولى السمط واستقضى على مرو أبا المبارك الكندي فلم يكن له علم بالقضاء فاستشار مقاتل بن حيان فأشار عليه مقاتل بمحمد بن زيد فاستقضاه فلم يزل قاضيا حتى عزل أشرس وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان واستعمل على الرابطة عبد الملك بن دثار الباهلي وتولى أشرس صغير الامور وكبيرها بنفسه قال وكان أشرس لما قدم خراسان كبر الناس فرحا به فقال رجل

لقد سمعَ الرحمنُ تكبيرَ أمةٍ * غداةَ أتاها من سليمٍ إمامُها
إمامُ هُدًى قوّى لهم أمرَهُمْ به * وكانت عجافاً ما تُمِخُّ عظامُها

وركب حين قدم حمارا فقال له حيان النبطي أيها الامير ان كنت تريد ان تكون والي خراسان فاركب الخيل وشدّ حزام فرسك والزم السوط خاصرته حتى تقدم النار والا فارجع قال ارجع إذن ولا أقحم النار يا حيان ثم أقام وركب الخيل قال علي وقال يحيى بن حضين رأيتُ في المنام قبل قدوم أشرس قائلا يقول أتاكم الوعر الصدر الضعيف الناهضة المشؤم الطائر فانتبهت فزعا ورأيت في الليلة الثانية أتاكم الوعر الصدر الضعيف الناهضة المشؤم الطائر الخائن قومه جغر ثم قال

لقد ضاعَ جيشٌ كان جغرٌ أميرَهم * فهل من تلافٍ قبل دَوْسِ القبائلِ
فإن صرفتْ عنهم به فلعلَّه * وإلا يكونوا من أحاديثِ قائلِ

وكان أشرس يلقب جغرا بخراسان ﴿وحج بالناس في هذه السنة﴾ ابراهيم بن هشام كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وغيره وقال الواقدي خطب الناس ابراهيم بن هشام بمنى في هذه السنة الغد من يوم النحر بعد

الظهر فقال سلونى فانا ابن الوحيد لا تسألون أحدا أعلم منى فقام اليه رجل من أهل العراق فسأله عن الاضحية أواجبة هى أم لا فما درى أى شئ يقول له فنزل وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف ابراهيم بن هشام وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضبارة اليزنى وعلى شرطتها بلال بن أبى بردة وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله الانصارى من قبل خالد بن عبد الله وعلى خراسان أشرس بن عبد الله

## ﴿ ثم دخلت سنة عشرة ومائة ﴾

### ﴿ ذكر ما كان فيها من الأحداث ﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك الترك سار اليهم نحو باب اللان حتى لقى خاقان فى جموعه فاقتتلوا قريبا من شهر وأصابهم مطر شديد فهزم الله خاقان فانصرف فرجع مسلمة فسلك على مسجد ذى القرنين ﴿وفيها﴾ غزا فيما ذكر معاوية بن هشام أرض الروم ففتح صمالة ﴿وفيها﴾ غزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهرى وكان على جيش البحر فيما ذكر الواقدى عبد الرحمن بن معاوية بن خديج ﴿وفى هذه السنة﴾ دعا الاشرس أهل الذمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر الى الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فاجابوا الى ذلك فلما أسلموا وضع عليهم الجزية وطالبهم بها فنصبوا له الحرب

### ﴿ ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم فى ذلك ﴾

ذكر ان أشرس قال فى عمله بخراسان أبغونى رجلا له ورع وفضل أوجهه الى من وراء النهر فيدعوهم الى الاسلام فاشاروا عليه بابى الصيداء صالح بن طريف مولى بنى ضبة فقال لستُ بالماهر بالفارسية فضموا معه الربيع بن عمران التميمى فقال أبو الصيداء أخرج على شريطة ان من أسلم لم يؤخذ منه الجزية فانما خراج خراسان على رؤس الرجال قال أشرس نعم قال أبو الصيداء لاصحابه فانى أخرج فان لم يف العمال أعنتمونى عليهم قالوا نعم فشخص الى سمرقند وعليها الحسن بن أبى العمرطة الكندى على حربها وخراجها فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها الى الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فسارع الناس فكتب غوزك الى أشرس ان الخراج قد انكسر فكتب أشرس الى ابن أبى العمرطة ان في الخراج قوة للمسلمين وقد بلغنى ان أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة وانما دخلوا في الاسلام تعوّذا من الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسن اسلامه وقرأ سورة من القرآن فارفع عنه خراجه ثم عزل أشرس ابن أبى العمرطة عن الخراج وصيّره الى هانئ بن هانئ وضم اليه الاشحيذ فقال ابن أبى العمرطة لابى الصيداء لستُ من الخراج الآن في شئ فدونك هانئا والاشحيذ فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم فكتب هانئ ان الناس قد أسلموا وبنوا المساجد فجاء دهاقين بخارى الى أشرس فقالوا ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم

عربا فكتب أشرس الى هانئ والى العمال خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه فاعادوا الجزية على من أسلم فامتنعوا واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف فنزلوا على سبعة فراسخ من سمرقند وخرج اليهم أبو الصيداء وربيع بن عمران التميمى والقاسم الشيبانى وأبو فاطمة الازدى وبشر بن جرموز الضبى وخالد بن عبد الله النحوى وبشر بن زنبور الازدى وعامر ابن قشير أو بشير الخجندى وبيان العنبرىّ واسماعيل بن عقبة لينصروهم قال فعزل أشرس ابن أبى العمرطة عن الحرب واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمى وضم اليه عميرة بن سعد الشيبانى قال فلما قدم المجشر كتب الى أبى الصيداء يسأله ان يقدم عليه هو وأصحابه فقدم أبو الصيداء وثابت قطنة فحبسهما فقال أبو الصيداء غدرتم ورجعتم عما قلتم فقال له هانئ ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء وحمل أبا الصيداء الى الاشرس وحبس ثابت قطنة عنده فلما حمل أبو الصيداء اجتمع أصحابه وولوا أمرهم أبا فاطمة ليقاتلوا هانئا فقال لهم كفوا حتى اكتب الى أشرس فيأتينا رأيه فنعمل بامره فكتبوا الى أشرس فكتب أشرس ضعوا عليهم الخراج فرجع أصحاب أبى الصيداء فضعف أمرهم فتُتُبّع الرؤساء منهم فأخذوا وحملوا الى مرو وبقى ثابت محبوسا وأشرك أشرس مع هانئ بن هانئ سليمان بن أبى السرى مولى بنى عوانة فى الخراج فألح هانئ والعمال فى جباية الخراج واستخفوا بعظماء العجم وسلط المجشر عميرة بن سعد على الدهاقين فاقيموا وخُرّقت ثيابهم والقيت مناطقهم فى أعناقهم وأخذوا الجزية ممن أسلم من الضعفاء فكفرت السغد وبخارى واستجاشوا الترك فلم يزل ثابت قطنة فى حبس المجشر حتى قدم نصر بن سيار واليا على المجشر فحمل ثابتا الى أشرس مع ابراهيم بن عبد الله الليثىّ فحبسه وكان نصر بن سيَّار الطفه وأحسن اليه فدحه ثابت قطنة وهو محبوس عند أشرس فقال

ماهاجَ شوقكَ من نؤىٍ وأحجارِ * ومِنْ رُسُومٍ عفاها صَوبُ أمطارِ
لم يبق منها ومِنْ أعلامِ عرْصتها * إلا الشجيجُ وإلا موقدُ النارِ
ومائلٌ فى ديار الحىّ بعدهُمُ * مثلُ الربيئة فى أهدامه العارى
ديارُ ليلَى قِفارٌ لا أنيسَ بها * دُونَ الحجون وأين الحجنُ من دارى
بُدّلتُ منها وقدْ شطَّ المزارُ بها * وادى المخافةِ لا يَسرى بها السارى
بَيْنَ السماوةِ فى حزمٍ مُشرَّقةٍ * ومُعْنقٌ دوننا أذيةٌ جارى
نُقارِعُ التُركَ ماتنفكُّ نائحةٌ * منّا ومنهم على ذى نجدةٍ شارٍ
إن كانَ ظنّى بنصرٍ صادقاً أبدًا * فيما أدبّرُ منْ نقضى وإمرارى
لا يَصرفُ الجندَ حتى يَستفىءَ بهم * نهبًا عظيمًا ويَحوى مُلكَ جبَّارِ
وتَعثُرَ الخيلُ فى الأقيادِ آونةً * تحوى النّهابَ إلى طلّابِ أوتارِ

حتى يروها دوين السرح بارقة * فيها لواء كظل الأجدل الضارى
لا يمنع الثغر إلا ذو محافظة * من الخضارم سباق بأوتار
إنى وإن كنت من جذم الذى نضرت * منه الفروع وزندى الثاقب الوارى
لذاكر منك أمرا قد سبقت به * من كان قبلك يا نصر بن سيار
ناضلت عنى نضال الحر إذ قصرت * دونى العشيرة واستبطأت أنصارى
وصار كل صديق كنت آمله * ألبا على ورث الحبل من جارى
وما تلبست بالأمر الذى وقعوا * به على ولا دنست أطمارى
ولا عصيت إماما كان طاعته * حقا على ولا قارفت من عار

قال على وخرج أشرس غازيا فنزل آمل فاقام ثلاثة أشهر وقدم قطن بن قتيبة بن مسلم فعبر النهر فى عشرة آلاف فأقبل أهل السغد وأهل بخارى معهم خاقان والترك فحصروا قطن بن قتيبة فى خندقه وجعل خاقان ينتخب كل يوم فارسا فيعبر فى قطعة من الترك النهر وقال قوم أقحموا دوابهم عريا فعبروا وأغاروا على سرح الناس فاخرج أشرس ثابت قطنة بكفالة عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو فوجهه مع عبد الله بن بسطام فى الخيل فاتبعوا الترك فقاتلوهم بآمل حتى استنقذوا ما بايديهم ثم قطع الترك النهر اليهم راجعين ثم عبر أشرس بالناس الى قطن بن قتيبة ووجه أشرس رجلا يقال له مسعود أحد بنى خيان فى سرية فلقيهم العدو فقاتلوهم فاصيب رجال من المسلمين وهزم مسعود حتى رجع الى أشرس فقال بعض شعرائهم

خابت سرية مسعود وما غنمت * إلا أفانين من شد وتقريب
حلوا بأرض قفار لا أنيس بها * وهن بالسفح أمثال اليعاسيب

وأقبل العدو فلما كانوا بالقرب لقيهم المسلمون فقاتلوهم فجالوا جولة فقتل فى تلك الجولة رجال من المسلمين ثم كر المسلمون وصبروا لهم فانهزم المشركون ومضى أشرس بالناس حتى نزل بيكند فقطع العدو عنهم الماء فاقام أشرس والمسلمون فى عسكرهم يومهم ذلك وليلتهم فاصبحوا وقد نفد ماؤهم فاحتفروا فلم ينبطوا وعطشوا فارتحلوا الى المدينة التى قطعوا عنهم المياه منها وعلى مقدمة المسلمين قطن بن قتيبة فلقيهم العدو فقاتلوهم فجهدوا من العطش فمات منهم سبعمائة وعجز الناس عن القتال ولم يبق فى صف الرباب الا سبعة فكاد ضرار بن حصين يؤسر من الجهد الذى كان به فحض الحارث بن سريج الناس فقال أيها الناس القتل بالسيف أكرم فى الدنيا وأعظم أجرا عند الله من الموت عطشا فتقدم الحارث ابن سريج وقطن بن قتيبة واسحاق بن محمد ابن أخى وكيع فى فوارس من بنى تميم وقيس فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء فابتدره الناس فشربوا وارتووا قال فمر ثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلى فقال له يا عبد الملك هل لك فى آثار الجهاد فقال أنظرنى ريثما اغتسل

وأتحنط

واتخط فوقف له حتى خرج ومضيا فقال ثابت لاصحابه أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم وحضهم فحملوا على العدو واشتد القتال فقتل ثابت في عدة من المسلمين منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدى وعبد الملك بن دثار الباهلى والوجيه الخراسانى والعقار بن عقبة العودى فضم قطن بن قتيبة واسحاق بن محمد بن حسان خيلا من بنى تميم وقيس تبايعوا على الموت فاقدموا على العدو وقاتلوهم فكشفوهم وركبهم المسلمون يقتلونهم حتى حجزهم الليل وتفرق العدو وأتى أشرس بخارى فحصر أهلها (قال على بن محمد) عن عبد الله بن المبارك حدثنى هشام بن عمارة بن القعقاع الضبى عن فضيل بن غزوان قال حدثنى وجيه البنانى ونحن نطوف بالبيت قال لقينا الترك فقتلوا منا قوما وصرعت وأنا أنظر اليهم يجلسون فيستقون حتى انتهوا الى فقال رجل منهم دعوه فان له أثرا هو واطئه وأجلا هو بالغه فهذا أثر قد وطئته وأنا أرجو الشهادة فرجع الى خراسان فاستشهد مع ثابت قال فقال الوازع ابن مائق مر بى الوجيه في بغلين يوم أشرس فقلت كيف أصبحت يا أبا أسماء قال أصبحت بين حائر وحائر اللهم لف بين الصفين فخالط القوم وهو متنكب قوسه وسيفه مشتمل فى طيلسان واستشهد واستشهد الهيثم بن المنخل العبدى قال على عن عبد الله بن المبارك قال لما التقى أشرس والترك قال ثابت قطنة اللهم انى كنت ضيف ابن بسطام البارحة فاجعلنى ضيفك الليلة والله لا ينظر الى بنو أمية مشدودا فى الحديد فحمل وحمل أصحابه فكذب أصحابه وثبت فرمى برذونه فشب وضربه فاقدم وضرب فارتث فقال وهو صريع اللهم انى أصبحت ضيفا لابن بسطام وأمسيت ضيفك فاجعل قراى من ثوابك الجنة قال على ويقال ان أشرس قطع النهر ونزل بيكند فلم يجد بها ماء فلما أصبحوا ارتحلوا فلما دنوا من قصر بخارا أخذا وكان منزله منهم على ميل تلقاهم ألف فارس فاحاطوا بالعسكر وسطع رهج الغبار فلم يكن الرجل يقدر ان ينظر الى صاحبه قال فانقطع منهم ستة آلاف فيهم قطن بن قتيبة وغوزك من الدهاقين فانتهوا الى قصر من قصور بخارى وهم يرون ان أشرس قد هلك وأشرس فى قصور بخارى فلم يلتقوا الا بعد يومين ولحق غوزك فى تلك الوقعة بالترك وكان قد دخل القصر مع قطن فارسل اليه قطن رجلا فصاحوا برسول قطن ولحق بالترك قال ويقال ان غوزك وقع يومئذ وسط خيل فلم يجد بدا من اللحاق بهم ويقال ان أشرس أرسل الى غوزك يطلب منه طاسا فقال لرسول أشرس انه لم يبق معى شئ أتدهن به غير هذا الطاس فاصفح عنه فارسل اليه اشرب فى قرعة وابعث الى بالطاس ففارقه قال وكان على سمرقند نصر بن سيار وعلى خراجها عميرة بن سعد الشيبانى وهم محصورون وكان عميرة ممن قدم مع أشرس وأقبل قريش بن أبى كهمس على فرس فقال لقطن قد نزل الامير والناس فلم يفقد أحد من الجند غيرك فمضى قطن والناس الى العسكر وكان بينهم ميل قال ويقال ان أشرس نزل قريبا

من مدينة بخارى على قدر فرسخ وذلك المنزل يقال له المسجد ثم تحول منه الى مرج يقال له بوادرة فاتاهم سبابة أوشبابة مولى قيس بن عبد الله الباهلىّ وهم نزول بكمرجة وكانت كمرجة من أشرف أيام خراسان وأعظمها أيام أشرس فى ولايته فقال لهم ان خاقان مارٌّ بكم غداً فارى لكم ان تظهر واعدّتكم فيرى جدّاً واحتشاداً فينقطع طمعه منكم فقال له رجل منهم استوثقوا من هذا فانه جاء ليفُتّ فى أعضادكم قالوا لا نفعل هذا مولانا وقد عرفناه بالنصيحة فلم يقبلوا منه وفعلوا ما أمرهم به المولى وصبحهم خاقان فلما حاذى بهم ارتفع الى طريق بخارى كانه يريدها فحدر بجنوده من وراء تلٍّ بينهم و بينه فنزلوا وتأهبوا وهم لا يشعرون بهم فلما كان ذلك مافاجأهم ان طلعوا على التل فاذا جبل حديد أهل فرغانة والطاربند وأفشينة ونسف وطوائف من أهل بخارى قال فاسقط فى أيدى القوم فقال لهم كليب بن قنان الذهلى هم يريدون مزاحفتكم فسربوا دوابكم المجففة فى طريق النهر كانكم تريدون ان تسقوها فاذا جردتموها فخذوا طريق الباب وتسربوا الاول فالاول فلمارآهم الترك يتسربون شدّوا عليهم في مضايق وكانواهم أعلم بالطريق من الترك وسبقوهم الى الباب فلحقوهم عنده فقتلوا رجلا كان يقال له المهلب كان حاميتهم وهو رجل من العرب فقاتلوهم فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق فدخلوه فاقتتلوا وجاء رجل من العرب بحزمة قصب قد أشعلها فرمى بهافي وجوههم فتنحوا وأخلوا عن قتلى وجرحى فلما أمسوا انصرف الترك وأحرق العرب القنطرة فاتاهم خُسرَو بن يزدجرد فى ثلاثين رجلا فقال يامعشر العرب لم تقتلون أنفسكم وأنا الذى جئت بخاقان ليردّ علىّ مملكتى وأنا آخذ لكم الامان فشتموه فانصرف قال وجاءهم بازغرى فى مائتين وكان داهية من وراء النهر وكان خاقان لا يخالفه ومعه رجلان من قرابة خاقان ومعه أفراس من رابطة أشرس فقال آمنونا حتى ندنو منكم فاعرض عليكم ما أرسلنى اليكم به خاقان فآمنوه فدنا من المدينة وأشرفوا عليه ومعه اسراء من العرب فقال بازغرى يامعشر العرب أحدروا الىّ رجلا منكم أكلمه برسالة خاقان فاحدروا حبيبا مولى مهرة من أهل درقين فكلموه فلم يفهم فقال احدروا الىّ رجلا يعقل عنى فأحدروا يزيد بن سعيد الباهلىّ وكان يشدوشدواً من التركية فقال هذه خيل الرابطة و وجوه العرب معه اسراء وقال ان خاقان أرسلنى اليكم وهو يقول لكم انى أجعل من كان عطاؤه منكم ستمائة ألفا ومن كان عطاؤه ثلثمائة ستمائة وهو مجمع بعد هذا على الاحسان اليكم فقال له يزيد هذا أمر لا يلتئم كيف تكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاء لا يكون بيننا و بينكم صلح فغضب بازغرى فقال التركيان اللذان معه ألا نضرب عنقه قال لا نزل الينا بأمان وفهم ماقالاله يزيد فخاف فقال بلى يابازغرى الا ان تجعلونا نصفين فيكون نصفٌ فى أثقالنا و يسير النصف معه فان ظفر خاقان فنحن معه وان كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السغد فرضى بازغرى والتركيان

بما

بما قال فقال له اعرض على القوم ما تراضينا به وأقبل فأخذ بطرف الحبل فجذبوه حتى صار على سور المدينة فنادى يا أهل كمرجه اجتمعوا فقد جاءكم قوم يدعونكم الى الكفر بعد الايمان فما ترون قالوا لا نجيب ولا نرضى قال يدعونكم الى قتال المسلمين مع المشركين قالوا نموت جميعا قبل ذلك قال فأعلموهم قال فاشرفوا عليهم وقالوا يا بازغرى أتبيع الاسرى فى أيديكم فنفادى بهم فاما ما دعوتنا اليه فلا نجيبكم اليه قال لهم أفلا تشترون أنفسكم منا فما أنتم عندنا الا بمنزلة من فى أيدينا منكم وكان فى أيديهم الحجاج بن حميد النضرى فقالوا له يا حجاج ألا تكلّم قال علىّ رقباء وأمر خاقان بقطع الشجرة فجعلوا يلقون الحطب الرطب ويلقى أهل كمرجه الحطب اليابس حتى سوّى الخندق ليقطعوا اليهم فأشعلوا فيه النيران فهاجت ريح شديدة صُنْعًا من الله عز وجل قال فاشتعلت النار في الحطب فاحترق ما عملوا فى ستة أيام فى ساعة من نهار ورميناهم فاوجعناهم وشغلناهم بالجراحات قال وأصابت بازغرى نشابة فى سرّته فاحتقن بوله فمات من ليلته فقطع أتراكه آذانهم وأصبحوا بشرّ منكّسين رؤسهم يبكونه ودخل عليهم أمر عظيم فلما امتد النهار جاؤا بالاسرى وهم مائة فيهم أبو العوجاء العتكى وأصحابه فقتلوهم ورموا اليهم برأس الحجاج بن حميد النضرى وكان مع المسلمين مائتان من أولاد المشركين كانوا رهائن فى أيديهم فقتلوهم واستماتوا واشتد القتال وقاموا على باب الخندق فسار على السور خمسة أعلام فقال كليب من لى بهؤلاء فقال ظهير بن مقاتل الطفاوى أنا لك بهم فذهب يسعى وقال لفتيان امشوا خلفى وهو جريح قال فقتل يومئذ من الاعلام اثنان ونجا ثلاثة قال فقال ملك من الملوك لمحمد بن وشاح العجب انه لم يبق ملك فيما وراء النهر الا قاتل بكمرجه غيرى وعزّ علىّ ألا أقاتل مع أكفائى ولم ير مكانى فلم يزل أهل كمرجه بذلك حتى أقبلت جنود العرب فنزلت فرغانة فعيّر خاقان أهل السغد وفرغانة والشاش والدهاقين وقال لهم زعمتم ان فى هذه خمسين حمارا وانا نفتحها فى خمسة أيام فصارت الخمسة الايام شهرين وشتمهم وأمرهم بالرحلة فقالوا ما ندع جهدًا ولكن احضرنا غدًا فانظر فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف فقام اليه ملك الطاربند فاستأذنه فى القتال والدخول عليهم قال لا أرى ان تقاتل في هذا الموضع وكان خاقان يعظمه فقال اجعل لى جاريتين من جوارى العرب وأنا أخرج عليهم فأذن له فقاتل فقتل منهم ثمانية وجاء حتى وقف على ثلمة والى جنب الثلمة بيت فيه خرق يفضى الى الثلمة وفى البيت رجل من بنى تميم مريض فرماه بكلوب فتعلق بدرعه ثم نادى النساء والصبيان فجذبوه فسقط لوجهه وركبته ورماه رجل بحجر فاصاب أصل اذنه فصرع وطعنه رجلٌ فقتله وجاء شابٌّ أمرد من الترك فقتله وأخذ سلبه وسيفه فغلبناهم على جسده قال ويقال ان الذى انتدب لهذا فارس أهل الشاش فكانوا قد اتخذوا اصناعا وألصقوها بحائط الخندق فنصبوا قبالة ما اتخذوا أبوابا له فاقعدوا الرُّماة

وراءها وفيهم غالب بن المهاجر الطائى عم أبى العباس الطوسى ورجلان أحدهما شيبانى والآخر ناجى فجاء فاطلع فى الخندق فرماه الناجى فلم يخطئ قصبة أنفه وعليه كاشخودة تبتية فلم تضره الرمية ورماه الشيبانى وليس يرى منه غير عينيه فرماه غالب بن المهاجر فدخلت النشابة في صدره فنكس فلم يدخل خاقان شئ أشد منه قال فيقال انه انما قتل الحجاج وأصحابه يومئذ لما دخله من الجزع وأرسل الى المسلمين انه ليس من رأينا ان نرتحل عن مدينة ننزلها دون افتتاحها أو ترحلهم عنها فقال له كليب بن قنان وليس من ديننا ان نعطى بايدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم فرأى الترك ان مقامهم عليهم ضرر فاعطوهم الامان على ان يرحل هو وهم عنها باهاليهم وأموالهم الى سمرقند أو الدبوسية فقال لهم اختاروا لانفسكم في خروجكم من هذه المدينة قال ورأى أهل كمرجه ماهم فيه من الحصار والشدة فقالوا انشاور أهل سمرقند فبعثوا غالب بن المهاجر الطائى فانحدر فى موضع من الوادى فضى الى قصر يسمى فرزاونة والدهقان الذى بها صديق له فقال له انى بعثت الى سمرقند فاحملنى فقال ما أجد دابة الا بعض دواب خاقان فان له في روضة خمسين دابة فخرجا جميعا الى تلك الروضة فاخذ برذونا فركبه وكان إلفه برذون آخر فتبعه فاتى سمرقند من ليلته فاخبرهم بامرهم فاشاروا عليه بالدبوسية وقالوا هى أقرب فرجع الى أصحابه فاخذوا من الترك رهائن ألا يعرضوا لهم وسألوهم رجلا من الترك يتقوّون به مع رجال منهم فقال لهم الترك اختاروا من شئتم فاختاروا كورصول يكون معهم فكان معهم حتى وصلوا الى حيث أرادوا ويقال ان خاقان لما رأى انه لا يصل اليهم شتم أصحابه وأمرهم بالارتحال عنهم وكلمه المختار بن غوزك وملوك السغد وقالوا لا تفعل أيها الملك ولكن أعطهم أمانا يخرجون عنها ويرون انك انما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك انه مع العرب في طاعتها وان ابنه المختار طلب اليك في ذلك مخافة على أبيه فاجابهم الى ذلك فسرح اليهم كورصول يكون معهم يمنعهم ممن أرادهم قال فصار الرهن من الترك في أيديهم وارتحل خاقان وأظهر انه يريد سمرقند وكان الرهن الذى في أيديهم من ملوكهم فلما ارتحل خاقان قال كورصول للعرب ارتحلوا قالوا نكره ان نرتحل والترك لم يمضوا ولا نأمنهم ان يعرضوا لبعض النساء فتحمى العرب فتصير الى مثل ما كنا فيه من الحرب قال فكف عنهم حتى مضى خاقان والترك فلما صلوا الظهر أمرهم كورصول بالرحلة وقال انما الشدة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخين ثم تصيروا الى قرى متصلة فارتحلوا وفي يد الترك من الرهن من العرب نفر منهم شعيب البكرى أو النصرى وسباع بن النعمان وسعيد بن عطية وفي أيدى العرب من الترك خمسة قد أردفوا خلف كل رجل من الترك رجلا من العرب معه خنجر وليس على التركى غير قباء فساروا بهم ثم قال العجم لكورصول ان الدبوسية فيها عشرة آلاف مقاتل فلا نأمن ان يخرجوا علينا فقال لهم العرب

ان

ان قاتلوكم قاتلناهم معكم فساروا فلما صار بينهم وبين الدبوسية قدر فرسخ أو أقل نظر أهلها الى فرسان وبيارقة وجمع فظنوا ان كمرجه قد فتحت وان خاقان قصدلهم قال وقربنا منهم وقد تأهبوا للحرب فوجه كليب بن قنان رجلا من بني ناجية يقال له الضحاك على برذون يركض وعلى الدبوسية عقيل بن وراد السغدى فأتاهم الضحاك وهم صفوف فرسان ورجالة فأخبرهم الخبر فاقبل أهل الدبوسية يركضون فحمل من كان يضعف عن المشى ومن كان مجروحا ثم ان كليبا أرسل الى محمد بن كرّاز ومحمد بن درهم ليعلما سباع بن النعمان وسعيد ابن عطية انهم قد بلغوا أمانهم ثم خلوا عن الرهن فجعلت العرب ترسل رجلا من الرهن الذين في أيديهم من الترك وترسل الترك رجلا من الرهن الذين في أيديهم من العرب حتى بقى سباع ابن النعمان في أيدى الترك ورجل من الترك في أيدى العرب وجعل كل فريق منهم يخاف على صاحبه الغدر فقال سباع خلوا رهينة الترك فخلوه وبقى سباع في أيديهم فقال له كورصول لم فعلت هذا قال وثقت برأيك فيّ وقلت ترفع نفسك عن الغدر في مثل هذا فوصله وسلحه وحمله على برذون ورده الى أصحابه قال وكان حصار كمرجه ثمانية وخمسين يوما فيقال انهم لم يسقوا ابلهم خمسة وثلاثين يوما قال وكان خاقان قسم في أصحابه الغنم فقال كلوا لحومها وأملوا جلودها ترابا واكبسوا خندقكم ففعلوا فكبسوه فبعث الله عليهم سحابة فطرت فاحتمل المطر ما ألقوا فألقاه في النهر الاعظم وكان مع أهل كمرجه قوم من الخوارج فيهم ابن شنج مولى بني ناجية ﴿وفي هذه السنة﴾ ارتد أهل كردر فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم وقد كان الترك أعانوا أهل كردر فوجه أشرس الى من قرب من كردر من المسلمين ألف رجل ردءا لهم فصاروا اليهم وقد هزم المسلمون الترك فظفروا باهل كردر وقال عرفجة الدارمى

نحن كفينا أهل مرو وغيرهم * ونحن نفينا الترك عن أهل كردر
فإن تجعلوا ما قد غنمنا لغيرنا * فقد يظلم المرء الكريم فيصبر

﴿وفي هذه السنة﴾ جعل خالد بن عبد الله الصلاة بالبصرة مع الشرطة والاحداث والقضاء الى بلال بن أبي بردة فجمع ذلك كله له وعزل به ثمامة بن عبد الله بن أنس عن القضاء ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام بن اسماعيل كذلك قال أبو معشر والواقدى وغيرهما حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف ابراهيم بن هشام وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله وعلى خراسان أشرس بن عبد الله

## ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية قال الواقدى غزا سنة ١١١ على جيش البحر عبد الله بن أبى مريم وأمر هشام على عامة الناس من أهل الشأم ومصر الحكم بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف وفيها سارت الترك الى آذربيجان فلقيهم الحارث بن عمرو فهزمهم وفيها ولى هشام الجراح بن عبد الله الحكمى على أرمينية وفيها عزل هشام أشرس بن عبد الله السلمى عن خراسان وولاها الجنيد بن عبد الرحمن المزنى

*(ذكر السبب الذى من أجله عزل هشام أشرس عن خراسان واستعماله الجنيد)*

ذكر على بن محمد عن أبى الذيال قال كان سبب عزل أشرس ان شداد بن خالد الباهلى شخص الى هشام فشكاه فعزله فاستعمل الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان سنة ١١١ قال وكان سبب استعماله اياه انه أهدى لام حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر فأعجبت هشاما فأهدى لهشام قلادة أخرى فاستعمله على خراسان وحمله على ثمانية من البريد فسأله أكثر من تلك الدواب فلم يفعل فقدم خراسان فى خمسمائة وأشرس بن عبد الله يقاتل أهل بخارى والسغد فسأل عن رجل يسير معه الى ماوراء النهر فدل على الخطاب ابن محرز السلمى خليفة أشرس فلما قدم آمل أشار عليه الخطاب ان يقيم ويكتب الى من بزم ومن حوله فيقدموا عليه فأبى وقطع النهر وأرسل الى أشرس ان أمدنى بخيل وخاف ان يقتطع قبل ان يصل اليه فوجه اليه أشرس عامر بن مالك الحمانى فلما كان فى بعض الطريق عرض له الترك والسغد ليقطعوه قبل ان يصل الى الجنيد فدخل عامر حائطا حصينا فقاتلهم على ثلمة الحائط ومعه ورد بن زياد بن أدهم بن كلثوم ابن أخى الاسود بن كلثوم فرماه رجل من العدو بنشابة فاصاب عرض منخره فانفذ المنخرين فقال له عامر بن مالك يا أبا الزاهرية كأنك دجاجة مقرق وقتل عظيم من عظماء الترك عند الثلمة وخاقان على تل خلفه أجمة فخرج عاصم بن عمير السمرقندى وواصل بن عمرو القيسى فى شاكرية فاستدارا حتى صارا من وراء ذلك الماء فضموا خشبا وقصبا وماقدروا عليه حتى اتخذوا رصفا فعبروا عليه فلم يشعر خاقان الا بالتكبير وحمل واصل والشاكرية على العدو فقاتلوهم فقتل تحت واصل برذون وهزم خاقان وأصحابه وخرج عامر بن مالك من الحائط ومضى الى الجنيد وهو فى سبعة آلاف فتلقى الجنيد وأقبل معه وعلى

مقدّمة الجنيد عمارة بن حريم فلما انتهى الى فرغانة من بيكند تلقته خيل الترك فقاتلهم فكاد الجنيد أن يهلك ومن معه ثم أظهره الله فسار حتى قدم العسكر وظفر الجنيد وقتل الترك وزحف اليه خاقان فالتقوا دون زرمان من بلاد سمرقند وقطن بن قتيبة على ساقة الجنيد وواصل فى أهل بخارى وكان ينزلها فاسر ملك الشاش وأسر الجنيد من الترك ابن أخى خاقان فى هذه الغزاة فبعث به الى الخليفة وكان الجنيد استخلف في غزاته هذه مجشر ابن مزاحم على مرو وولى سورة بن الحر من بنى أبان بن دارم بلخ وأوفد لما أصاب فى وجهه ذلك عمارة بن معاوية العدوى ومحمد بن الجراح العبدى وعبد ربه بن أبى صالح السلمى الى هشام بن عبد الملك ثم انصرفوا فتوافقوا بالترمذ فأقاموا بها شهرين ثم أتى الجنيد مرو وقد ظفر فقال خاقان هذا غلام مترف هزمنى العام وأنا مهلكه فى قابل فاستعمل الجنيد عماله ولم يستعمل الا مضريا استعمل قطن بن قتيبة على بخارى والوليد بن القعقاع العبسى على هراة وحبيب بن مرة العبسى على شرطه وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلى وكان نصر بن سيار على بلخ والذى بينه وبين الباهليين متباعد لما كان بينهم بالبر وقان فأرسل مسلم الى نصر فصادفوه نائما فجاؤا به في قميص ليس عليه سراويل ملببا فجعل يضم عليه قميصه فاستحيى مسلم وقال شيخ من مضر جئتم به على هذه الحال ثم عزل الجنيد مسلما عن بلخ وولاها يحيى بن ضبيعة واستعمل على خراج سمرقند شداد بن خالد الباهلى وكان مع الجنيد السمهرى بن قعنب ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومى وكان اليه من العمل فى هذه السنة ما كان اليه في السنة التى قبلها وقد ذكرت ذلك قبل وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله وعلى خراسان الجنيد بن عبد الرحمن

## ﴿ثم دخلت سنه اثنتى عشرة ومائة﴾

### ﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خرشنة وحرق فرندية من ناحية ملطية ﴿وفيها﴾ سار الترك من اللان فلقيهم الجراح بن عبد الله الحكمى فيمن معه من أهل الشأم وآذربيجان فلم يتتامّ اليه جيشه فاستشهد الجراح ومن كان معه بمرج أردبيل وافتتحت الترك أردبيل وقد كان استخلف أخاه الحجاج بن عبد الله على أرمينية (ذكر محمد بن عمر) ان الترك قتلت الجراح بن عبد الله ببلنجر وان هشاما لما بلغه خبره دعا سعيد ابن عمرو الحرشى فقال له انه بلغنى أن الجراح قد انحاز عن المشركين قال كلا يا أمير المؤمنين الجراح أعرف بالله من أن ينحاز عن العدو ولكنه قتل قال فما الرأى قال تبعثنى على أربعين دابة من دواب البريد ثم تبعث الى كل يوم أربعين دابة عليها أربعون رجلا ثم اكتب الى أمراء الاجناد يوافونى ففعل ذلك هشام فذكر أن سعيد بن عمرو وأصاب

للترك ثلاثة جموع وفوداً الى خاقان بمن أسر وامن المسلمين وأهل الذمة فاستنقذ الحرشي ما أصابوا وأكثروا القتل فيهم وذكر علي بن محمد أن الجنيد بن عبد الرحمن قال في بعض ليالي حربه الترك بالشعب ليلة كليلة الجراح ويوماً كيومه فقيل له أصلحك الله أن الجراح سير اليه فقتل أهل الحجى والحفاظ فجن عليه الليل فانسل الناس من تحت الليل الى مدائن لهم باذربيجان وأصبح الجراح في قلة فقتل ﴿وفي هذه السنة﴾ وجه هشام أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك فسار في شتاء شديد البرد والمطر والثلوج فطلبهم فيما ذكر حتى جاز الباب في آثارهم وخلف الحارث بن عمر والطائي بالباب ﴿وفي هذه السنة﴾ كانت وقعة الجنيد مع الترك ورئيسهم خاقان بالشعب ﴿وفيها﴾ قتل سورة بن الحر وقد قيل ان هذه الوقعة كانت في سنة ١١٣

﴿ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كانت﴾

ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن الجنيد بن عبد الرحمن خرج غازياً في سنة ١١٢ يريد طخارستان فنزل على نهر بلخ ووجه عمارة بن حريم الى طخارستان في ثمانية عشر ألفا وابراهيم بن بسام الليثي في عشرة آلاف في وجه آخر وجاشت الترك فأتوا سمرقند وعليها سورة بن الحر أحد بني أبان بن دارم فكتب سورة الى الجنيد ان خاقان جاش بالترك فخرجت اليهم فما قدرت أن أمنع حائط سمرقند فالغوث فأمر الجنيد الناس بالعبور فقام اليه المجشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الازدي وابن صبح الخرقي فقالوا ان الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفاولا زحفا وقد فرقت جندك فمسلم بن عبد الرحمن بالنيروذ والبختري بهراة ولم يحضرك أهل الطالقان وعمارة بن حريم غائب وقال له المجشر ان صاحب خراسان لا يعبر النهر في أقل من خمسين ألفا فاكتب الى عمارة فليأتيك وامهل ولا تعجل قال فكيف بسورة ومن معه من المسلمين لو لم أكن الا في بني مرة أو من طلع معي من أهل الشأم لعبرت وقال

أليس أحق الناس أن يشهد الوغا * وأن يقتل الابطال ضخماً على ضخم

﴿وقال﴾

ما علتي ما علتي ما علتي * إن لم أقاتلهم فجزوا لمتي

قال وعبر فنزل كس وقد بعث الاشهب بن عبيد الحنظلي ليعلم علم القوم فرجع اليه وقال قد أتوك فتأهب للمسير و بلغ الترك فعوروا الآبار التي في طريق كس ومافيه من الركايا فقال الجنيد أي الطريقين الى سمرقند أمثل قالوا طريق المحترقة قال المجشر بن مزاحم السلمي القتل بالسيف أمثل من القتل بالنار ان طريق المحترقة فيه الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين فقد تراكم بعضه على بعض فان لقيت خاقان أحرق ذلك كله فقتلنا

بالنار

بالنار والدخان ولكن خذ طريق العقبة فهو بيننا وبينهم سواء فأخذ الجنيد طريق العقبة فارتقى فى الجبل فأخذ المجشر بعنان دابته وقال انه كان يقال ان رجلا من قيس مترفا يهلك على يديه جند من جنود خراسان وقد خفنا أن تكونه قال أفرخ روعك فقال المجشر اما اذا كان بيننا مثلك فلا يفرخ فبات فى أصل العقبة ثم ارتحل حين أصبح فصار الجنيد بين مرتحل ومقيم فتلقى فارسا فقال ما اسمك فقال حرب قال ابن من قال ابن محربة قال من بنى من قال من بنى حنظلة قال سلط الله عليك الحرب والحرب والكلب ومضى بالناس حتى دخل الشعب وبينه وبين مدينة سمرقند أربع فراسخ فصبحه خاقان في جمع عظيم وزحف اليه أهل السغد والشاش وفرغانة وطائفة من الترك قال فحمل خاقان على المقدمة وعليها عثمان بن عبد الله بن الشخير فرجعوا الى العسكر والترك تتبعهم وجاؤهم من كل وجه وقد كان الإخريد قال للجنيد رد الناس الى العسكر فقد جاءك جمع كثير فطلع أوائل العدو والناس يتغدون فرآهم عبيد الله بن زهير بن حيان فكره أن يعلم الناس حتى يفرغوا من غداهم والتفت أبو الذيال فرآهم فقال العدو فركب الناس الى الجنيد فصير تميما والازد في الميمنة وربيعة في الميسرة مما يلى الجبل وعلى مجففة خيل بنى تميم عبيد الله بن زهير ابن حيان وعلى المجردة عمر أو عمرو بن جرفاس بن عبد الرحمن بن شقران المنقرى وعلى جماعة بنى تميم عامر بن مالك الحمانى وعلى الازد عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو المعنى وعلى خيلهم المجففة والمجردة فضيل بن هناد وعبد الله بن حوذان أحدهما على المجففة والآخر على المجردة ويقال بل كان بشر بن حوذان أخو عبد الله بن حوذان الجهضمى فالتقوا وربيعة مما يلى الجبل في مكان ضيق فلم يقدم عليهم أحد وقصد العدو للميمنة وفيها تميم والازد فى موضع واسع فيه مجال للخيل فترجل حيان بن عبيد الله بن زهير بين يدى أبيه ودفع برذونه الى أخيه عبد الملك فقال له أبوه يا حيان انطلق الى أخيك فانه حدث وأخاف عليه فأبى فقال يا بنى انك ان قتلت على حالك هذه قتلت عاصيا فرجع الى الموضع الذى خلف فيه أخاه والبرذون فاذا أخوه قد لحق بالعسكر وقد شد البرذون فقطع حيان مقوده وركبه فأتى العدو فاذا العدو قد أحاط بالموضع الذى خلف فيه أباه وأصحابه فأمدهم الجنيد بنصر بن سيار فى سبعة معه فيهم جميل بن غزوان العدوى فدخل عبيد الله بن زهير معهم وشدوا على العدو فكشفوهم ثم كروا عليهم فقتلوا جميعا فلم يفلت منهم أحد ممن كان فى ذلك الموضع وقتل عبيد الله بن زهير وابن حوذان وابن جرفاس والفضيل ابن هناد وجالت الميمنة والجنيد واقف فى القلب فأقبل الى الميمنة فوقف تحت راية الازد وقد كان جفاهم فقال له صاحب راية الازد ما جئتنا لتحبونا ولا لتكرمنا ولكنك قد علمت أنه لا يوصل اليك ومنا رجل حى فان ظفرنا كان لك وان هلكنا لم تبك علينا ولعمرى لئن

ظفرنا وبقيتُ لا أكلمك كلمة أبدا وتقدّم فقتل وأخذ الراية ابن مُجّاعة فقتل فتداول الراية ثمانية عشر رجلا منهم فقتلوا فقتل يومئذ ثمانون رجلا من الازد قال وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيأ فقطع عبيدهم الخشب يقاتلون به حتى ملّ الفريقان فكانت المعانقة فتحاجزوا فقتل من الازد حمزة بن مُجّاعة العتكىّ ومحمد بن عبد الله بن حوذان الجهضمىّ وعبد الله بن بسطام المعنىّ وأخوه زنيم والحسن بن شيخ والفضيل الحارثىّ وهو صاحب الخيل ويزيد بن المفضل الحُدّانى وكان حجّ فأنفق فى حجه ثمانين ومائة ألف فقال لأمّه وحشيّة ادعى الله أن يرزقنى الشهادة فدعت له وغشى عليه فاستشهد بعد مقدمه من الحج بثلاثة عشر يوما وقاتل معه عبدان له وقد كان أمرهما بالانصراف فقتلا فاستشهدا قال وكان يزيد بن المفضل حمل يوم الشعب على مائة بعير سويقا للمسلمين فجعل يسأل عن الناس ولا يسأل عن أحد الا قيل له قد قتل فاستقدم وهو يقول لا إله الا الله فقاتل حتى قتل وقاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوذان وهو على فرس أشقر عليه تجفاف مذهّب فحمل سبع مرّات يقتل فى كلّ حملة رجلا ثم رجع الى موقفه فهابه من كان فى ناحيته فناداه ترجمان للعدوّ يقول لك الملك لا تقتل وتحوّلْ الينا فترفض صنمنا الذى نعبده ونعبدك فقال محمد أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الاصنام وتعبدوا الله وحده فقاتل واستشهد وقتل جُشم بن قرط الهلالىّ من بنى الحارث وقتل النضر بن راشد العبدىّ وكان دخل على امرأته والناس يقتتلون فقال لها كيف أنت اذا أتيت بأبى ضمرة فى لبد مضرّجا بالدماء فشقت جيبها ودعت بالويل فقال حسبك لو أعولت علىّ كلّ أنثى لعصيتها شوقا الى الحور العين ورجع فقاتل حتى استشهد رحمه الله قال فبينا الناس كذلك اذ أقبل رهج فطلعت فرسان فنادى منادى الجنيد الارضَ الارضَ فترجّل وترجّل الناس ثم نادى منادى الجنيد ليخندق كلّ قائد على حياله فخندق الناس قال ونظر الجنيد الى عبد الرحمن بن مكية يحمل على العدوّ فقال ما هذا الخرطوم السائل قيل له هذا ابن مكية قال ألسان البقرة لله درّه أىُّ رجلٍ هو وتحاجزوا وأصيب من الازد مائة وتسعون وكانوا لقوا خاقان يوم الجمعة فأرسل الجنيد الى عبد الله بن معمّر بن سُمير اليشكرىّ أن يقف فى الناحية التى تلى كس ويحبس من مرّ به ويحوز الاثقال والرّجالة وجاءت الموالى رجّالة ليس فيهم غير فارس واحد والعدوّ يتبعونهم فثبت عبد الله بن معمر للعدوّ فاستشهد فى رجال من بكر وأصبحوا يوم السبت فأقبل خاقان نصف النهار فلم ير موضعا للقتال فيه أيسر من موضع بكر بن وائل وعليهم زياد بن الحارث فقصد لهم فقالت بكر لزياد القوم قد كثرونا فخلّ عنا نحمل عليهم قبل أن يحملوا علينا فقال لهم قد مارست سبعين سنة انكم ان حملتم عليهم فصعدتم انهزمتم ولكن دعوهم حتى يقربوا ففعلوا فلما قربوا منهم حملوا عليهم

فافرجوا

فافرجوا لهم فسجد الجنيد وقال خاقان يومئذ ان العرب اذا أحرجوا استقتلوا فخلوهم حتى يخرجوا ولا تعرّضوا لهم فانكم لا تقومون لهم وخرجوا الى الجنيد يولولن فانتدب رجال من أهل الشأم فقالوا الله الله يا أهل خراسان الى أين وقال الجنيد ليلة كليلة الجرّاح ويوم كيومه ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل سورة بن الحرّ التميمىّ

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

* ذكر علىّ عن شيوخه أن عبيد الله بن حبيب قال للجنيد اختر بين أن تهلك أنت أو سورة فقال هلاك سورة أهون علىّ قال فاكتب اليه فليأتك في أهل سمرقند فان الترك ان بلغهم أن سورة قد توجّه اليك انصرفوا اليه فقاتلوه فكتب الى سورة يأمره بالقدوم * وقيل كتب أغثنى فقال عبادة بن السليل المحاربى أبو الحكم بن عبادة لسورة أنظر أبرد بيت بسمرقند فنم فيه فانك ان خرجت لا تبالى أسخط عليك الامير أم رضى وقال له حليس بن غالب الشيبانىّ ان الترك بينك وبين الجنيد فان خرجت كرّوا عليك فاختطفوك فكتب الى الجنيد انى لا أقدر على الخروج فكتب اليه الجنيد يا ابن اللخناء تخرج والا وجّهت اليك شداد بن خالد الباهلىّ وكان له عدوّا فاقدم وضع فلانا بفرخشاذ فى خمسمائة ناشب والزم الماء فلا تفارقه فأجمع على المسير فقال الوجف بن خالد العبدىّ انك لمهلك نفسك والعرب بمسيرك ومهلك من معك قال لا يُخرَج حَمَلى من التنّور حتى أسير فقال له عبادة وحليس أما اذا أبيتَ الا المسير فخذ على النهر فقال أنا لا أصل اليه على النهر في يومين وبينى وبينه من هذا الوجه ليلة فأصبّحه فاذا سكنت الرجل سرت فأعبره فجاءت عيون الاتراك فأخبروهم وأمر سورة بالرحيل واستخلف على سمرقند موسى بن أسود أحد بنى ربيعة بن حنظلة وخرج فى اثنى عشر ألفا فأصبح على رأس جبل وانما دله على ذلك الطريق علج يسمى كارتقبد فتلقاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ وبينه وبين الجنيد فرسخ فقال أبو الذيال قاتلهم فى أرض حوّارة فصبر وصبروا حتى اشتدّ الحرّ وقال بعضهم قال له غوزك يومك يوم حارّ فلا تقاتلهم حتى تحمى عليهم الشمس وعليهم السلاح تثقلهم فلم يقاتلهم خاقان وأخذ برأى غوزك وأشعل النار فى الحشيش وواقفهم وحال بينهم وبين الماء فقال سورة لعبادة ماترى يا أبا السليل قال أرى والله أنه ليس من الترك أحد الا وهو يريد الغنيمة فاعقر هذه الدوابّ وأحرق هذا المتاع وجرّد السيف فانهم يخلون لنا الطريق قال أبو الذيال فقال سورة لعبادة ما الرأى قال تركت الرأى قال فماترى الآن قال ان ننزل فنشرع الرماح ونزحف زحفا فانما هو فرسخ حتى نصل الى العسكر قال لا أقوى على هذا ولا يقوى فلان وفلان وعدّد رجالا ولكن أرى أن أجمع الخيل ومن أرى أنه يقاتل فأصكّهم سلمتُ أم عطبتُ فجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا ومن وراء الترك

اللهبُ فسقطوا فيه وسقط فيه العدوّ والمسلمون وسقط سورة فاندقّت فخذه وتفرّق
الناس وانكشفت الغمّة والناس متفرقون فقطعتهم الترك فقتلوهم فلم ينجُ منهم غير ألفين
ويقال ألف وكان ممن نجا عاصم بن عمير السمرقندىّ عرفه رجل من الترك فأجاره واستشهد
حليس بن غالب الشيبانىّ فقال رجل من العرب الحمد لله استشهد حليس ولقد رأيته يرمى
البيت أيام الحجاج ويقول درّى عقاب بلبن وأخشاب وامرأة قائمة فكلما رمى بحجر قالت
المرأة يارب بى ولا ببيتك ثم رُزق الشهادة وانحاز المهلب بن زياد العجلىّ فى سبعمائة ومعه
قريش بن عبد الله العبدىّ الى رستاق يسمى المرغاب فقاتلوا أهل قصر من قصورهم
فاصيب المهلب بن زياد وولوا أمرهم الوجف بن خالد ثم أتاهم الاشكند صاحب نَسَف فى
خيل ومعه غوزك فقال غوزك ياوجف لكم الامان فقال قريش لا تثقوا بهم ولكن اذا
جنّنا الليل خرجنا عليهم حتى نأتى سمرقند فانا إن أصبحنا معهم قتلونا قال فعصوه وأقاموا
فساقوهم الى خاقان فقال لا أجيز أمان غوزك فقال غوزك للوجف أنا عبد لخاقان من
شاكريّته قالوا فلم غررتنا فقاتلهم الوجف وأصحابه فقُتلوا غير سبعة عشر رجلا دخلوا
الحائط وأمسوا فقطع المشركون شجرة فألقوها على ثلمة الحائط فجاء قريش بن عبد الله
العبدىّ الى الشجرة فرمى بها وخرج فى ثلاثة فباتوا في ناووس فكمنوا فيه وجبن الآخرون
فلم يخرجوا فقتلوا حين أصبحوا وقتل سورة فلما قتل خرج الجنيد من الشعب يريد
سمرقند مبادرا فقال له خالد بن عبيد الله بن حبيب سِرْ سِرْ ومجشر بن مزاحم السلمىّ
يقول أذكرك الله أقم والجنيد يتقدّم فلما رأى المجشر ذلك نزل فأخذ بلجام الجنيد فقال
والله لا تسير ولتنزلنّ طائعا أو كارها ولا ندعك تهلكنا بقول هذا الهجرىّ انزلُ فنزل ونزل
الناس فلم يتتامّ نزولهم حتى طلع الترك فقال المجشر لو لقونا ونحن نسير ألم يستأصلونا فلما
أصبحوا تناهضوا فانكشفت طائفة وجال الناس فقال الجنيد أيها الناس انها النار فتراجعوا
وأمر الجنيد رجلا فنادى أىّ عبد قاتَلَ فهو حُرٌّ فقاتل العبيد قتالا شديدًا عجب الناس
منه جعل أحدهم يأخذ اللبد فيجوبه ويجعله في عنقه يتوقى به فسرّ الناس بما رأوا من
صبرهم فكرّ العدوّ وصبر الناس حتى انهزم العدوّ فمضوا فقال موسى بن النعر للناس
أتفرحون بما رأيتم من العبيد والله ان لكم منهم ليوما أرونان ومضى الجنيد فأخذ العدوّ
رجلا من عبد القيس فكتفوه وعلقوا فى عنقه رأس بلعاء العنبرىّ ابن مجاهد بن بلعاء
فلقيه الناس فأخذ بنو تميم الرأس فدفنوه ومضى الجنيد الى سمرقند فحمل عيال من كان
مع سورة الى مرو وأقام بالسغد أربعة أشهر وكان صاحب رأى خراسان فى الحرب المجشر
ابن مزاحم السلمىّ وعبد الرحمن بن صبح الخَرَقىّ وعبيد الله بن حبيب الهجرىّ وكان المجشر
يُنزل الناس على راياتهم ويضع المسالح ليس لأحد مثل رأيه فى ذلك وكان عبد الرحمن

ابن

ابن صبح اذا نزل الامر العظيم فى الحرب لم يكن لأحد مثل رأيه وكان عبيد الله بن حبيب على تعبية القتال وكان رجال من الموالى مثل هؤلاء فى الرأى والمشورة والعلم بالحرب فنهم الفضل بن بسّام مولى بنى ليث وعبد الله بن أبى عبد الله مولى بنى سليم والبخترىّ بن مجاهد مولى بنى شيبان قال فلما انصرف الترك الى بلادهم بعث الجنيد سيف بن وصّاف العجلىّ من سمرقند الى هشام فجبن عن السير وخاف الطريق فاستعفاه فأعفاه وبعث نهار بن توسعة أحد بنى تيم اللات وزميل بن سويد المرّىّ مرّة غطفان وكتب الى هشام أن سورة عصانى امرته بلزوم الماء فلم يفعل فتفرّق عنه أصحابه فأتتنى طائفة الى كس وطائفة الى نسف وطائفة الى سمرقند وأصيب سورة فى بقية أصحابه قال فدعا هشام نهار بن توسعة فسأله عن الخبر فأخبره بما شهد فقال نهار بن توسعة

لعمرُكَ ماحابيتنى إذ بَعَثْتَنى * ولكنما عرّضْتَنى للمتالفِ

دعوتَ لهاقوما فهابوا ركوبها * وكنتُ أمرأً اركابه للمَخاوفِ

فأيقنتُ إنْ لم يَدْفعِ اللهُ اننى * طَعامُ سباعٍ أولطَيْرٍ عوائفِ

قَرِينُ عِراكٍ وهوَأيسرُ هالكٍ * عليكَ وقد زَمَّلْتَهُ بصَحائفِ

فإنى وإن آثرتَ منه قرابةً * لأعظمُ حظافى حباءِ الخلائفِ

على عهدِ عثمانٍ وفدنا وقبلَهُ * وكنّا أولى مجدٍ تليدٍ وطارفِ

قال وكان عِراك معهم في الوفد وهو ابن عمّ الجنيد فكتب الى الجنيد قد وجهت اليك عشرين ألفا مددا عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن بن نعيم ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها ترسة فأفرض فلا غاية لك في الفريضة لخمسة عشر ألفا قال ويقال ان الجنيد أوفد الوفد الى خالد بن عبد الله فأوفد خالد الى هشام ان سورة بن الحرّ خرج يتصيّد مع أصحاب له فهجم عليهم الترك فأصيبوا فقال هشام حين أتاه مصاب سورة انا لله وانّا اليه راجعون مصاب سورة بن الحرّ بخراسان والجرّاح بالباب وابلى نصر بن سيّار يومئذ بلاء حسنا فانقطع سيفه وانقطع سيور ركابه فأخذ سيور ركابه فضرب به رجل حتى أثخنه وسقط في اللهب مع سورة يومئذ عبد الكريم بن عبد الرحمن الحنفىّ واحد عشر رجلا معه وكان ممن سلم من أصحاب سورة ألف رجل فقال عبد الله بن حاتم بن النعمان رأيتُ فساطيط مبنية بين السماء والارض فقلت لمن هذه فقالوا لعبد الله بن بسطام وأصحابه فقتلوا من غد فقال رجل مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فوجدت رائحة المسك ساطعة قال ولم يشكر الجنيد لنصر ما كان من بلائه فقال نصر

إنْ تحسُدُونى على حُسنِ البلاءِ لكُمْ * يومافقبْلُ بَلائِى جرَّ لى الحسَدا

يأبى الإله الذى أعلى بقدرته * كعبى عليكم وأعطى فوقكم عضدا
وضربى الترك عنكم يوم فرقكم * بالسيف فى الشعب حتى جاوز السندا

قال وكان الجنيد يوم الشعب أخذ في الشعب وهو لا يرى أن أحدا يأتيه من الجبال وبعث ابن الشخير فى مقدمته واتخذ ساقة ولم يتخذ مجنبتين وأقبل خاقان فهزم المقدمة وقتل من قتل منهم وجاءه خاقان من قبل ميسرته وجبغويه من قبل الميمنة فأصيب رجال من الازد وتميم وأصابوا له سرادقات وأبنية فأمر الجنيد حين أمسى رجلا من أهل بيته فقال له امش فى الصفوف والدراجة وتسمع ما يقول الناس وكيف حالهم ففعل ثم رجع اليه فقال رأيتهم طيبة أنفسهم يتناشدون الاشعار ويقرؤن القرآن فسره ذلك وحمد الله قال ويقال نهضت العبيد يوم الشعب من جانب العسكر وقد أقبلت الترك والسغد يحدرون فاستقبلهم العبيد وشدوا عليهم بالعمد فقتلوا منهم تسعة فأعطاهم الجنيد أسلابهم وقال ابن السجف فى يوم الشعب ويعنى هشاما

أذكر يتامى بأرض الترك ضائعة * هزلى كأنهم فى الحائط الحجل
وارحم والاّ فهبها أمة دمرت * لا أنفس بقيت فيها ولا ثقل
لا تأملن بقاء الدهر بعدهم * والمرء ما عاش ممدود له الأمل
لاقوا كتائب من خاقان معلمة * عنهم يضيق فضاء السهل والجبل
لما رأوهم قليلا لا صريخ لهم * مدوا بأيديهم لله وابتهلوا
وبايعوا رب موسى بيعة صدقت * ما فى قلوبهم شك ولا دغل

قال فأقام الجنيد بسمرقند ذلك العام وانصرف خاقان الى بخارى وعليها قطن بن قتيبة فخاف الناس الترك على قطن فشاورهم الجنيد فقال قوم الزم سمرقند واكتب الى أمير المؤمنين يمدك بالجنود وقال قوم تسير فتأتى ربنجن ثم تسير منها الى كس ثم تسير منها الى نسف فتتصل منها الى أرض زم وتقطع النهر وتنزل آمل فتأخذ عليه بالطريق فبعث الى عبد الله بن أبى عبد الله فقال قد اختلف الناس على وأخبره بما قالوا فما الرأى فاشترط عليه ألا يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال أو نزول أو قتال قال نعم قال فانى أطلب اليك خصالا قال وما هى قال تخندق حيثما نزلت ولا يفوتنك حمل الماء ولو كنت على شاطئ نهر وأن تطيعنى فى نزولك وارتحالك فأعطاه ما أراد قال أما ما أشاروا به عليك فى مقامك بسمرقند حتى يأتيك الغياث فالغياث يبطئ عنك وان سرت فأخذت بالناس غير الطريق فتت فى أعضادهم فانكسروا عن عدوهم فاجترأ عليك خاقان وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له فان أخذت بهم غير الطريق تفرق الناس عنك مبادرين الى منازلهم ويبلغ أهل بخارى فيستسلموا لعدوهم وان أخذت الطريق الاعظم هابك العدو والرأى لك أن

تعمد الى عيالات من شهد الشعب من أصحاب سورة فتقسمهم على عشائرهم وتحملهم معك فانى أرجو بذلك أن ينصرك الله على عدوك وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرسا قال فأخذ برأيه فخلف فى سمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير في ثمانى مائة أربعمائة فارس وأربعمائة راجل وأعطاهم سلاحا فشتم الناس عبد الله بن أبى عبد الله مولى بنى سليم وقالوا عرضنا الخاقان والترك ما أراد الا هلاكنا فقال عبد الله بن حبيب لحرب بن صبح كم كانت لكم الساقة اليوم قال ألف وستمائة قال لقد عرضنا للهلاك قال فأمر الجنيد بحمل العيال قال وخرج والناس معه وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسى وزياد ابن خيران الطائى فسرح الجنيد الاشهب بن عبيد الله الحنظلى ومعه عشرة من طلائع الجند وقال له كلما مضيت مرحلة فسرح الى رجلا يعلمنى الخبر قال وسار الجنيد فلما صار بقصر الريح أخذ عطاء الدبوسى بلجام الجنيد وكبحه فقرع رأسه هارون الشاشى مولى بنى حازم بالرمح حتى كسره على رأسه فقال الجنيد لهارون خل عن الدبوسى وقال له مالك يا دبوسى فقال أنظر أضعف شيخ فى عسكرك فسلحه سلاحا تاما وقلده سيفا وجعبة وترسا وأعطه رمحا ثم سر بنا على قدر مشيه فانا لا نقدر على السوق والقتال وسرعة السير ونحن رجالة ففعل ذلك الجنيد فلم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الاماكن المخوفة ودنا من الطواويس فجاءتنا الطلايع باقبال خاقان فعرضوا له بكرمينية أول يوم من رمضان فلما ارتحل الجنيد من كرمينية قدم محمد بن الرندى في الاساورة آخر الليل فلما كان فى طرف مفازة كرمينية رأى ضعف العدو فرجع الى الجنيد فأخبره فنادى منادى الجنيد الا يخرج المكتبون الى عدوهم فخرج الناس ونشبت الحرب فنادى رجل أيها الناس صرتم حرورية فاستقتلتم وجاء عبد الله بن أبى عبد الله الى الجنيد يضحك فقال له الجنيد ماهذا بيوم ضحك فقيل له انه ضحك تعجبا فالحمد لله الذى لم يلقك هؤلاء الا فى جبال معطشة فهم على ظهر وأنت مخندق آخر النهار كالين وأنت معك الزاد فقاتلوا قليلا ثم رجعوا وكان عبد الله بن أبى عبد الله قال للجنيد وهم يقاتلون ارتحل فقال الجنيد وهل من حيلة قال نعم تمضى برايتك قدر ثلاث غلاء فان خاقان ود انك أقمت فينطوى عليك اذا شاء فأمر بالرحيل وعبد الله بن أبى عبد الله على الساقة فأرسل اليه أنزل قال أنزل على غير ماء فأرسل اليه ان لم تنزل ذهبت خراسان من يدك فنزل وأمر الناس أن يسقوا فذهبت الناس الرجالة والناشبة وهم صفان فاستقوا وباتوا فلما أصبحوا ارتحلوا فقال عبد الله بن أبى عبد الله انكم معشر العرب أربعة جوانب فليس يعيب بعضهم بعضا كل ربع لا يقدر أن يزول عن مكانه مقدمة وهم القلب ومجنبتان وساقة فان جمع خاقان خيله ورجاله ثم صدم جانبا منكم وهم الساقة كان بوار كم وبالحرى أن يفعل وأنا أتوقع ذلك في يومى فشدوا

الساقة بخيل فوجّه الجنيد خيل بنى تميم والمجففة وجاءت الترك فمالت على الساقة وقد دنا المسلمون من الطواويس فاقتتلوا فاشتدّ الامر بينهم فحمل سَلم بن أحْوَز على رجل من عظماء الترك فقتله قال فتطيّر الترك وانصرفوا من الطواويس ومضى المسلمون فأتوا بخارى يوم المهرجان قال فتلقونا بدراهم بخارية فأعطاهم عشرة عشرة فقال عبد المؤمن ابن خالد رأيتُ عبد الله بن أبى عبد الله بعد وفاته في المنام فقال حدّث الناس عنّى برأيى يوم الشعب قال وكان الجنيد يذكر خالد بن عبد الله و يقول رَبَذة من الربذ صُنبور بن صنبور رُقل بن قل هيفة من الهيف وزعم أن الهيفة الضبع والعُجْرة الخنزيرة والقلّ الفرد قال وقدمت الجنود مع عمرو بن مسلم الباهلىّ فى أهل البصرة وعبد الرحمن بن نعيم العامرىّ في أهل الكوفة وهو بالصغانيان فسرّح معهم الحوثرة بن يزيد العنبرىّ فيمن انتدب معه من التجار وغيرهم وأمرهم أن يحملوا ذرارىّ أهل سمرقند ويدّعوا فيها المقاتلة ففعلوا ﴿ قال أبو جعفر ﴾ وقد قيل ان وقعة الشعب بين الجنيد وخاقان كانت فى سنة ١١٣ وقال نصر بن سيار يذكر يوم الشعب وقتال العبيد

إنى نشأتُ وحُسَّادى ذَوُو عَدَدٍ * ياذا المعارج لا تَنقُصْ لهمْ عَدَدا
ان تحسدونى على مثلِ البلاءِ لكم * يوما فمثلُ بلائى جرَّ لى الحسدَا
يأبى الإلهُ الذى أعلى بقدرته * كعبى عليكم وأعطى فوقكم عُددا
أرمى العدُوَّ بأفراسٍ مُكلمةٍ * حتى اتخذْنَ على حُسَّادها يَدا
من ذا الذى منكمُ فى الشعب اذ وردوا * لمْ يتَّخذْ حوْمةَ الأثقالِ مُعْتَمَدَا
فما حفظتم من اللهِ الوصاةَ ولا * أنتم بصبرٍ طلبتمْ حُسنَ ما وَعَدَا
ولا نَهاكُمْ عنِ التوَّثابِ فى عتبٍ * إلاَّ العبيدُ بضربٍ يكسرُ العَمدا
هلاَّ شكرتمْ دفاعى عنْ جُنيدكمُ * وَقْعَ القنا وشهابُ الحربِ قد وَقَدا

(وقال ابن عرس العبدىّ) يمدح نصرا يوم الشعب ويذمّ الجنيد لان نصرا ابلى يومئذ

يانَصرُ أنت فتَى نزارَ كلها * فلكَ المآثرُ والفعالُ الأرفعُ
فرَّجتَ عنْ كلِّ القبايلِ كُربَةً * بالشعبِ حينَ تخاضعوا وتضعضعوا
يومَ الجُنيدِ إذا القنا مُتشاجرٌ * والنحرُ دامٍ والخوافقُ تلمعُ
ما زلتَ ترميهمْ بنفسٍ حُرّةٍ * حتى تفرَّجَ جمعُهمْ وتصدَّعوا
فالناسُ كلٌّ بعدَها عُتقاؤكم * ولكَ المكارمُ والمعالى أجمعُ

وقال الشرعىّ الطائىّ

تذكَّرتُ هِندًا فى بلادٍ غريبةٍ * فيالكَ شوْقًا هل لشملكَ مَجمعُ

تذكرتها والشاش بيني وبينها * وشعب عصام والمنايا تطلع
بلاد بها خاقان جم زحوفه * ونيلان في سبعين ألفا مقنع
اذا دب خاقان وسارت جنوده * أتتنا المنايا عند ذلك شرع
هنالك هند مالنا النصف منهم * وما إن لنا ياهند في القوم مطمع
ألا رب خود خدلة قد رأيتها * يسوق بها جهم من السغد أصمع
أحامى عليها حين ولى خليلها * تنادي اليها المسلمين فتسمع
تنادي بأعلى صوتها صف قومها * ألا رجل منكم يغار فيرجع
ألا رجل منكم كريم يردني * يرى الموت في بعض المواطن ينفع
فما جاوبوها غير إن نصيفها * بكف الفتى بين البرازيق أشنع
إلى الله أشكو نبوة في قلوبها * ورعبا ملا أجوافها يتوسع
فمن مبلغ عني ألوكا صحيفة * إلى خالد من قبل أن تتوزع
* بأن بقايانا وأن أميرنا * إذا ما عددناه الذليل الموقع
هم أطمعوا خاقان فينا وجنده * ألا ليتنا كنا هشيما يزعزع

وقال ابن عرس واسمه خالد بن المعارك من بني غنم بن وديعة ابن لكيز بن أفصى وذكر علي بن محمد عن شيخ من عبد القيس ان أمه كانت أمة فباعه أخوه تميم بن معارك من عمرو بن لقيط أحد بني عامر بن الحارث فأعتقه عمر ولما حضرته الوفاة فقال يا أبا يعقوب كم لي عندك من المال قال ثمانون ألفا قال أنت حر وما في يديك لك قال فكان عمر ينزل مرو الروذ وقد اقتتلت عبد القيس في ابن عرس فردوه الى قومه فقال ابن عرس للجنيد

أين حماة الحرب من معشر * كانوا جمال المنسر الحارد
بادوا بآجال توافوا لها * والعائر الممهل كالبائد
فالعين تجري دمعها مسبلا * ما الدموع العين من زائد
أنظر ترى للميت من رجعة * أم هل ترى في الدهر من خالد
كنا قديما يتقى بأسنا * وندرأ الصادر بالوارد
حتى منينا بالذي شامنا * من بعد عز ناصر آئد
كعاقر الناقة لا ينثني * مبتدئا ذي حنق جاهد
فتقت مالم يلتئم صدعه * بالجحفل المحتشد الزائد
تبكي لها إن كشفت ساقها * جدعا وعقرا لك من قائد

تركتنا أجزاء معبوطة * يقسمها الجازر للناهد
ترقت الأسياف مسلولة * تزيل بين العضد والساعد
تساقط الهامات من وقعها * بين جناحي مبرق راعد
إذ أنت كالطفلة في خدرها * لم تدر ما كيدة الكائد
إنا أناس حربنا صعبة * تعصف بالقائم والقاعد
أضحت سمرقند وأشياعها * أحدوثة الغايب والشاهد
وكم ثوى في الشعب من حازم * جلد القوى ذي مرة ماجد
يستنجد الخطب ويغشى الوغى * لاهايب غس ولا ناكد
ليتك يوم الشعب في حفرة * مرموسة بالمدر الجامد
تلعب بك الحرب وأبناؤها * لعب صقور بقطا وارد
طار لها قلبك من خيفة * ما قلبك الطائر بالعائد
لا تحسبن الحرب يوم الضحى * كشربك المزاء بالبارد
أبغضت من عينك تبريجها * وصورة في جسد فاسد
جنيد ما عيصك منسوبه * نبعا ولا جدك بالصاعد
خمسون ألفا قتلوا ضيعة * وأنت منهم دعوة الناشد
لا تمرين الحرب من قابل * ما أنت في العدوة بالحامد
قلدته طوقا على نحره * طوق الحمام الفرد الفارد
قصيدة حبرها شاعر * تسعى بها البرد إلى خالد

﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومى كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وقد قيل ان الذى حج بالناس فى هذه السنة سليمان بن هشام وكانت عمال الامصار في هذه السنة عمالها الذين كانوا في سنة ١١١ وقد ذكرناهم قبل

## ﴿ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث﴾

فمما كان فيها من ذلك هلاك عبد الوهاب بن بخت وهو مع البطال عبد الله بأرض الروم فذكر محمد بن عمر عن عبد العزيز بن عمران ان عبد الوهاب بن بخت غزا مع البطال سنة ١١٣

فانهزم

فانهزم الناس عن البطال وانكشفوا فجعل عبد الوهاب يكرّ فرسه وهو يقول ما رأيت فرسا أجبن منه وسفك الله دمى ان لم أسفك دمك ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح أنا عبد الوهاب ابن بخت أمن الجنة تفرّون ثم تقدّم في نحور العدوّ فمرّ برجل وهو يقول واعطشاه فقال تقدّم الرىّ أمامك فخالط القوم فقُتل وقُتل فرسه ﴿ومن ذلك﴾ ما كان من تفريق مسلمة ابن عبد الملك الجيوش في بلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه وقتل منهم وأسر وسبى وحرق خلق كثير من الترك أنفسهم بالنار ودان لمسلمة من كان وراء جبال بلنجر وقتل ابن خاقان ﴿ومن ذلك﴾ غزوة معاوية بن هشام أرض الروم فرابط من ناحية مرعش ثم رجع ﴿وفى هذه السنة﴾ صار من دُعاة بنى العباس جماعة الى خراسان فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلا منهم فقتله وقال من أصيب منهم فدمه هدرٌ ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة في قول أبى معشر سليمان بن هشام بن عبد الملك حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدىّ وقال بعضهم الذى حجّ بالناس في هذه السنة ابراهيم بن هشام المخزومىّ وكان عمال الامصار فى هذه السنة هم الذين كانوا عمالها في سنة احدى عشرة واثنتى عشرة وقد مضى ذكرنا لهم

## ﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة ﴾

### ﴿ذكر الاخبار عن الاحداث التى كانت فيها﴾

فمن ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسليمان بن هشام على الصائفة اليمنى فذكر ان معاوية بن هشام أصاب ربض أقرن وانّ عبد الله البطّال التقى وقسطنطين فى جمع فهزمهم وأسر قسطنطين وبلغ سليمان بن هشام قيسارية ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل هشام ابن عبد الملك ابراهيم بن هشام عن المدينة وأمّر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم قال الواقدىّ قدم خالد بن عبد الملك المدينة للنصف من شهر ربيع الاول وكانت إمرة ابراهيم بن هشام على المدينة ثمانى سنين وقال الواقدىّ في هذه السنة ولى محمد بن هشام المخزومىّ مكة وقال بعضهم بل ولى محمد بن هشام مكة سنة ١١٣ فلما عزل ابراهيم أقرّ محمد بن هشام على مكة ﴿وفي هذه السنة﴾ وقع الطاعون فيما قيل بواسط ﴿وفيها﴾ قفل مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعد ما هزم خاقان وبنى الباب فاحكم ما هنالك ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى هشام مروان بن محمد أرمينية وآذربيجان واختلف فيمن حج بالناس فى هذه السنة فقال أبو معشر فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه حج بالناس سنة ١١٤ خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم وهو على المدينة وقال بعضهم حج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة فأقام خالد بن عبد الملك تلك السنة لم يشهد الحجّ قال الواقدىّ حدّثنى بهذا الحديث عبد الله بن جعفر عن صالح بن

كيسان قال الواقدى وقال لى أبو معشر حج بالناس سنة ١١٤ خالد بن عبد الملك ومحمد ابن هشام على مكة قال الواقدى وهو الثبت عندنا وكان عمال الامصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا فى السنة التى قبلها غير أن عامل المدينة فى هذه السنة كان خالد بن عبد الملك وعامل مكة والطائف محمد بن هشام وعامل أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد

## ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

### ﴿ذكر الاخبار عما كان فيها من الاحداث﴾

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام أرض الروم ﴿وفيها﴾ وقع الطاعون بالشام ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل وهو أمير مكة والطائف كذلك قال أبو معشر فيما حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكان عمال الامصار فى هذه السنة عمالها فى سنة ١١٤ غير انه اختلف فى عامل خراسان فى هذه السنة فقال المدائنى كان عاملها الجنيد بن عبد الرحمن وقال بعضهم كان عاملها عمارة ابن حُريم المرّى وزعم الذى قال ذلك ان الجنيد مات فى هذه السنة واستخلف عمارة ابن حريم وأما المدائنى فانه ذكر ان وفاة الجنيد كانت فى سنة ١١٦ ﴿وفى هذه السنة﴾ أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة فكتب الجنيد الى الكور ان مرو كانت آمنةً مُطْمَئِنَّةً يأتيها رزقها رَغَداً من كُلِّ مكانٍ فكفرت بأنعم الله فاحملوا اليها الطعام قال على بن محمد أعطى الجنيد فى هذه السنة رجلا درهما فاشترى به رغيفا فقال لهم تشكون الجوع ورغيف بدرهم لقد رأيتنى بالهند وان الحبة من الحبوب لتباع عددا بالدرهم وقال ان مرو كما قال الله عزّ وجلّ وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كانت آمنة مطمئنة

## ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

### ﴿ذكر ما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك ما كان من غزوة معاوية بن هشام أرض الروم الصائفة ﴿وفيها﴾ كان طاعون شديد بالعراق والشأم وكان أشدّ ذلك فيما ذكر بواسط ﴿وفيها﴾ كانت وفاة الجنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى خراسان

### ﴿ذكر الخبر عن أمرهما﴾

* ذكر على بن محمد عن أشياخه أنّ الجنيد بن عبد الرحمن تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فغضب هشام على الجنيد وولى عاصم بن عبد الله خراسان وكان الجنيد سقى بطنه فقال هشام لعاصم ان أدركته وبه رمق فازهق نفسه فقدم عاصم وقد مات الجنيد قال وذكروا أن جبلة بن أبى روّاد دخل على الجنيد عائدا فقال يا جبلة ما يقول الناس قال

قلت

قلت يتوجّعون للامير قال ليس عن هذا اسألك مايقولون وأشار نحو الشام بيده قال قلت يقدم على خراسان يزيد بن شجرة الرّهاوى قال ذلك سيد أهل الشأم قال ومن قلت عصمة أو عصام وكنيت عن عاصم فقال ان قدم عاصم فعدوّ جاهد لا مرحبا به ولا أهلا قال فمات في مرضه ذلك فى المحرم سنة ١١٦ واستخلف عمارة بن حريم وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عمارة بن حريم وعمال الجنيد وعذبهم وكانت وفاته بمرو فقال أبو الجويرية عيسى ابن عصمة يرثيه

هلكَ الجُودُ والجنيدُ جميعا * فعلى الجودِ والجنيدِ السلامُ
أصبحا ثاويَيْن فى أرضِ مرو * ماتغنّتْ على الغصونِ الحمامُ
كُنْتُما نُزْهةَ الكرامِ فلما * مُتّ ماتَ النّدَى وماتَ الكرامُ

ثم ان أبا الجويرية أتى خالد بن عبد الله القسرىّ وامتدحه فقال له خالد ألستَ القائل

* هلك الجود والجنيدُ جميعا * مالك عندنا شىء فخرج فقال

تظلّ لامعةُ الآفاقِ تحملنا * إلى عمارةَ والقودُ السراهيدُ

قصيدة امتدح بها عمارة بن حريم ابن عمّ الجنيد وعمارة هو جدّ أبى الهيذام صاحب العصبية بالشأم قال وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عمارة بن حريم وعمال الجنيد وعذبهم

﴿وفى هذه السنة﴾ خلع الحارث بن سُريج وكانت الحرب بينه وبين عاصم بن عبد الله

﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

* ذكر علىّ عن أشياخه قال لما قدم عاصم خراسان واليا أقبل الحارث بن سُريج من النخذ حتى وصل الى الفارياب وقدّم أمامه بشر بن جُرْمُوز قال فوجه عاصم الخطابَ ابن محرز السلمىّ ومنصور بن عمر بن أبى الخرْقاء السلمىّ وهلال بن عليم التميمىّ والاشهب الحنظلىّ وجرير بن هميان السدوسىّ ومقاتل بن حيان النبطىّ مولى مصقلة الى الحارث وكان خطاب ومقاتل بن حيان قالا لا تلقوه الا بأمان فأبى عليهما القوم فلما انتهوا اليه بالفارياب قيدهم وحبسهم ووكل بهم رجلا يحفظهم قال فأوثقوه وخرجوا من السجن فركبوا دوابهم وساقوا دوابّ البريد فمروا بالطالقان فهمّ سهرب صاحب الطالقان بهم ثم أمسك وتركهم فلما قدموا مرو وأمرهم عاصم فخطبوا وتناولوا الحارث وذكروا خبث سيرته وغدره ثم مضى الحارث الى بلخ وعليها نصر فقاتلوه فهزم أهل بلخ ومضى نصر الى مرو * وذكر بعضهم لما أقبل الحارث الى بلخ وكان عليها التُّجيبىّ بن ضبيعة المرّىّ ونصر بن سيار وولاهما الجنيد قال فانتهى الى قنطرة عطاء وهى على نهر بلخ على فرسخين من المدينة فتلقى نصر بن سيار فى عشرة آلاف والحارث بن سريج في أربعة آلاف فدعاهم الحارث الى الكتاب والسنة والبيعة للرضى فقال قطن بن عبد

الرحمن بن جزى الباهلى يا حارث أنت تدعوالى كتاب الله والسنة والله لوأن جبريل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ما أجبتك فقاتلهم فأصابته رمية فى عينه فكان أول قتيل فانهزم أهل بلخ الى المدينة وأتبعهم الحارث حتى دخلها وخرج نصر من باب آخر فأمر الحارث بالكف عنهم فقال رجل من أصحاب الحارث انى لأمشى فى بعض طرق بلخ اذ مررت بنساء يبكين وامرأة تقول يا أبتاه ليت شعرى من دهاك واعرابى الى جنبى يسير فقال من هذه الباكية فقيل له ابنة قطن بن عبد الرحمن بن جزى فقال الاعرابى أنا وأبيك دهيتك فقلت أنت قتلته قال نعم قال ويقال قدم نصر والتجيبى على بلخ فحبسه نصر فلم يزل محبوسا حتى هزم الحارث نصرا وكان التجيبى ضرب الحارث أربعين سوطا فى امرة الجنيد فحوله الحارث الى قلعة باذكر بزم فجاء رجل من بنى حنيفة فادعى عليه انه قتل أخاه أيام كان على هراة فدفعه الحارث الى الحنفى فقال له التجيبى افتدى منك بمائة ألف فلم يقبل منه وقتله وقوم يقولون قتل التجيبى في ولاية نصر قبل أن يأتيه الحارث قال ولما غلب الحارث على بلخ استعمل عليها رجلا من ولد عبد الله بن حازم وسار فلما كان بالجوزجان دعا وابصة بن زرارة العبدى ودعا دجاجة ووحشا العجليين وبشر بن جرموز وأبا فاطمة فقال ما ترون فقال أبو فاطمة مرو بيضة خراسان وفرسانهم كثير لولم يلقوك الا بعبيدهم لانتصفوا منك فأقم فان أتوك قاتلتهم وان أقاموا قطعت المادة عنهم قال لاأرى ذلك ولكن أسير اليهم فأقبل الحارث الى مرو وقد غلب على بلخ والجوزجان والفارياب والطالقان ومرو الرود فقال أهل الدين من أهل مروان مضى الى أبرشهر ولم يأتنا فرق جماعتنا وان أتانا نكب قال وبلغ عاصما ان أهل مرو يكاتبون الحارث قال فأجمع على الخروج وقال يا أهل خراسان قد بايعتم الحارث بن شريح لايقصد مدينة الا خليتموها انى لاحق بأرض قومى أبرشهر وكاتب منها الى أمير المؤمنين حتى يمدنى بعشرة آلاف من أهل الشأم فقال له المجشر بن مزاحم ان أعطوك بيعتهم بالطلاق والعتاق فأقم وان أبوا فسر حتى تنزل أبرشهر وتكتب الى أمير المؤمنين فيمدك بأهل الشأم فقال خالد بن هريم أحد بنى ثعلبة بن يربوع وأبو محارب هلال بن عليم والله لانخليك والذهاب فيلزمنا دينك عند أمير المؤمنين ونحن معك حتى نموت ان بذلت الاموال قال افعل قال يزيد بن قران الرياحى ان لم أقاتل معك ما قاتلت فابنة الابرد بن قرة الرياحى طالق ثلاثا وكانت عنده فقال عاصم أكلكم على هذا قالوا نعم وكان سلمة بن أبى عبد الله صاحب حرسه يحلفهم بالطلاق قال وأقبل الحارث بن سريج الى مرو فى جمع كثير يقال في ستين ألفا ومعه فرسان الازد وتميم منهم محمد بن المثنى وحماد بن عامر بن مالك الحمانى وداود الأعسر وبشر بن أنيف الرياحى وعطاء الدبوسى ومن الدهاقين الجوزجان وترسل دهقان لفارياب

وسهرب

وسهرب ملك الطالقان وقرياقس دهقان مرو فى أشباههم قال وخرج عاصم في أهل مرو وفي غيرهم فعسكر بجياسر عند البيعة وأعطى الجند دينارا دينارا فخف عنه الناس فاعطاهم ثلاثة دنانير ثلاثة دنانير وأعطى الجند وغيرهم فلما قرب بعضهم من بعض أمر بالقناطر فكسرت وجاء أصحاب الحارث فقالوا تحصروننا فى البرية دعونا نقطع اليكم فنناظركم فيما خرجنا له فأبوا وذهب رجالتهم يصلحون القناطر فأتاهم رجالة أهل مرو فقاتلوهم فال محمد بن المثنى الفراهيذى برايته الى عاصم فأمالها في ألفين فأتى الازد ومال حماد بن عامر بن مالك الحمانى الى عاصم وأتى بنى تميم قال سلمة الازدىّ كان الحارث بعث الى عاصم رسلا منهم محمد بن مسلم العنبرى يسألونه العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال وعلى الحارث بن سريج يومئذ السواد قال فلما مال محمد بن المثنى بدأ أصحاب الحارث بالحملة والتقى الناس فكان أول قتيل غياث بن كلثوم من أهل الجارود فانهزم أصحاب الحارث فغرق بشر كثير من أصحاب الحارث فى انهار مرو والنهر الاعظم ومضت الدهاقين الى بلادهم فضرب يومئذ خالد بن علباء بن حبيب بن الجارود على وجهه وأرسل عاصم بن عبد الله المؤمن بن خالد الحنفىّ وعلباء بن أحمر اليشكرى ويحيى بن عقيل الخزاعىّ ومقاتل بن حيان النبطى الى الحارث يسأله ما يريد فبعث الحارث محمد بن مسلم العنبرى وحده فقال لهم ان الحارث واخوانكم يقرؤنكم السلام ويقولون لكم قد عطشنا وعطشت دوابنا فدعونا ننزل الليلة وتختلف الرسل فيما بيننا وتتناظر فان وافقناكم على الذى تريدون والا كنتم من وراء أمركم فأبوا عليه وقالوا مقالا غليظا فقال مقاتل بن حيان النبطى يا أهل خراسان انا كنا بمنزلة بيت واحد وثغرنا واحد ويدنا على عدونا واحدة وقد أنكرنا ما صنع صاحبكم وجه اليه أميرنا بالفقهاء والقراء من أصحابه فوجه رجلا واحدا فقال محمد انما أتيتكم مبلغا نطلب كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيأتيكم الذى تطلبون من غد ان شاء الله تعالى وانصرف محمد بن مسلم الى الحارث فلما انتصف الليل سار الحارث فبلغ عاصما فلما أصبح سار اليه فالتقوا وعلى ميمنة الحارث رابض بن عبد الله بن زرارة التغلبى فاقتتلوا قتالا شديدا فحمل يحيى بن حضين وهو رأس بكر بن وائل وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج فقتلوا قتالا ذريعا فقطع الحارث وادى مرو فضرب رواقا عند منازل الرهبان وكف عنه عاصم قال وكانت القتلى مائة وقتل سعيد بن سعد بن جزء الازدى وغرق خازم بن موسى بن عبد الله بن خازم وكان مع الحارث بن سريج واجتمع الى الحارث زهاء ثلاثة آلاف فقال القاسم بن مسلم لما هزم الحارث كف عنه عاصم ولو ألح عليه لاهلكه وأرسل الى الحارث انى راد عليك ما ضمنت لك ولاصحابك على ان ترتحل ففعل قال وكان خالد بن عبيد الله بن حبيب أتى الحارث ليلة هزم وكان أصحابه

أجمعوا على مفارقة الحارث وقالوا ألم تزعم انه لا يرد لك راية فاتاهم فسكنهم وكان عطاء الدبوسى من الفرسان فقال لغلامه يوم زرق أسرج لى برذونى لعلى ألاعب هذه الحمارة فركب ودعا الى البراز فبرزله رجل من أهل الطالقان فقال بلغته أى كير خر ﴿قال أبو جعفر﴾ الطبرى رحمه الله ﴿وحج بالناس فى هذه السنة﴾ الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو ولىّ العهد كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره وكانت عمال الامصار فى هذه السنة عمالها فى التى قبلها الا ما كان من خراسان فان عاملها فى هذه السنة عاصم بن عبد الله الهلالى

## ﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة ﴾

### ﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

فمما كان فيها غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة وفرق سراياه في أرض الروم ﴿وفيها﴾ بعث مروان بن محمد وهو على أرمينية بعثين فافتتح أحدهما حصونا ثلاثة من اللان ونزل الآخر على تومانشاه فنزل أهلها على الصلح ﴿وفيها﴾ عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان وضمها الى خالد بن عبد الله فولاها خالد أخاه أسد بن عبد الله وقال المدائنىّ كان عزل هشام عاصما عن خراسان وضم خراسان الى خالد بن عبد الله فى سنة ١١٦

### ﴿ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصما وتوليته خالداً خراسان﴾

وكان سبب ذلك فيما ذكر علىّ عن أشياخه ان عاصم بن عبد الله كتب الى هشام بن عبد الملك أما بعد يا أمير المؤمنين فان الرائد لا يكذب أهله وقد كان من أمر أمير المؤمنين الىّ ما يحق به على نصيحته وان خراسان لا تصلح الا ان تضم الى صاحب العراق فتكون موادها ومنافعها ومعونتها فى الاحداث والنوائب من قريب لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطئ غياثه عنها فلما مضى كتابه خرج الى أصحابه يحيى بن حضين والمجشر بن مزاحم وأصحابهم فاخبرهم فقال له المجشر أبعد ما مضى الكتاب كانك بأسد قد طلع عليك فقدم أسد بن عبد الله بعث به هشام بعد كتاب عاصم بشهر فبعث الكميت بن زيد الاسدى الى أهل مرو بهذا الشعر

ألا أبلغْ جماعةَ أهلِ مروٍ * على ما كانَ منْ نأْيٍ وبُعْدِ
رسالةَ ناصحٍ يهدى سلاماً * ويأمُرُ في الذى ركبُوا بجدّ
وأبلغْ حارثاً عنّا اعتذاراً * إليْهِ بأنَّ منْ قِبَلِى بجُهْدِ
ولَوْلا ذاكَ قدْ زارَتْكَ خيْلٌ * مِنَ المِصْرَيْنِ بالفُرْسانِ تُرْدِى
فلا تهِنُوا ولا ترْضَوْا بخسْفٍ * ولا يغْرُرْكمُ أسدٌ بعهْدِ

وكونوا

وكونوا كالبغايا إن خُدِعتم * وإن أقررتم ضيماً لوغد
وإلاَّ فارفعوا الرايات سوداً * على أهل الضلالة والتعدّى
فكيف وأنتم سبعون ألفاً * رماكم خالدٌ بشبيه قرد
ومن ولى بذمّته رزيناً * وشيعته ولم يوفِ بعهد
ومن غشّى قضاعة ثوب خزى * بقتل أبى سلامان بن سعد
فهلاً يا قضاع فلا تكونى * توابع لا أصول لها بنجد
وكنت اذا دعوت بنى نزارٍ * أتاك الدُهمُ من سبطٍ وجعد
فجُدّع من قضاعة كلّ أنف * ولا فازت على يوم بمجد

قال ورزين الذى ذكر كان خرج على خالد بن عبد الله بالكوفة فاعطاه الامان ثم لم يف به وقال فيه نصر بن سيار حين أقبل الحارث الى مرو وسود راياته وكان الحارث يرى رأى المرجئة

دع عنك دنيا وأهلاً أنت تاركهم * ما خير دنيا وأهلٍ لا يدومونا
إلا بقيّة أيامٍ الى أجلٍ * فاطلب من الله أهلاً لا يموتونا
واكثر تقى الله فى الاسرار مجتهداً * إنّ التقى خيره ما كان مكنونا
واعلم بأنك بالاعمال مرتهنٌ * فكن لذاك كثير الهمّ محزونا
إنى أرى الغبن المردى بصاحبه * من كان فى هذه الأيام مغبونا
تكون للمرء أطواراً فتمنحه * يوماً عثاراً فطوراً تمنح اللينا
بينا الفتى فى نعيم العيش حوّله * دهرٌ فأمسى به عن ذاك مزبونا
تحلوله مرّةً حتى يُسرّ بها * حيناً وتمقره طعماً أحايينا
هل غابرٌ من بقايا الدهر تنظره * إلا كما قد مضى فيما تقضّونا
فامنع جهادك من لم يرج آخرةً * وكن عدوّ القوم لا يصلّونا
واقتل مواليهم منّا وناصرهم * حيناً تكفّرهم والعنهم حينا
والعائبين علينا ديننا وهم * شرّ العباد اذا خابرتهم دينا
والقائلين سبيل الله بغيتنا * لبعد ما نكبوا عمّا يقولونا
فاقتلهم غضباً لله منتصراً * منهم به ودع المرتاب مفتونا
إرجاؤكم لزّكم والشرك فى قرنٍ * فأنتم أهل إشراكٍ ومرجونا
لا يبعد الله فى الأجداث غيركم * اذ كان دينكم بالشرك مقرونا

أَلْقَى بِهِ اللهُ رُعبا في نُحُورِكُمُ * واللهُ يَقضي لنا الحُسنى ويُعْلينا
كيما نكونَ الموالي عند خائفةٍ * عما تَرُومُ به الإسلامَ والدينا
وَهلْ تعيبُونَ منّا كاذِبين به * غالٍ ومُهتَضِمٍ حَسْبي الذي فينا
يأبى الذي كانَ يُبْلِي اللهُ أوّلَكُمْ * على النفاقِ وماقد كان يُبْلينا

قال ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم فلما بلغ عاصما ان أسد بن عبد الله قد أقبل وانه قد سير على مقدمته محمد بن مالك الهمداني وانه قد نزل الدندانقان صالح الحارث وكتب بينه و بينه كتابا على ان ينزل الحارث أي كور خراسان شاء وعلى ان يكتبا جميعا الى هشام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه فان أبى اجتمعا جميعا عليه فختم على الكتاب بعض الرؤساء وأبى يحيى بن حضين ان يختم وقال هذا خلعٌ لأمير المؤمنين فقال خلف بن خليفة ليحيى

أبى هَمٌّ قلبكَ إلا اجتماعا * ويأبى رُقادُكَ إلا امتناعا
بغيرِ سماعٍ ولم تلقني * أحاوِلُ من ذاتِ لهوٍ سماعا
حفظنا أميةَ في مُلكها * ونخطِرُ من دونها أن تُراعا
نُدافعُ عنها وعن مُلكها * إذا لم نجدْ بيدَيْها امتناعا
أبى شعْبُ ما بيننا في القديم * وبين أميةَ إلا انصداعا
ألمْ نختطفْ هامةَ ابنِ الزُبيرِ * ونَنتزعِ المُلكَ منه انتزاعا
جعلنا الخلافةَ في أهلها * إذا اصطرعَ الناسُ فيها اصطراعا
نَصرنا أميةَ بالمشرِفيّ * اذا انخلعَ المُلكُ عنها انخلاعا
ومِنّا الذي شدّ أهلَ العراق * ولو غابَ يحيى عن الثغرِ ضاعا
على ابن سُرَيجٍ نقضْنا الأمورَ * وقد كان أحكمَها ما استطاعا
حكيمٌ مقالتُهُ حِكمةٌ * اذا شتّتَ القومُ كانت جِماعا
عشيّةَ زَرْقٍ وقد أزمعُوا * قمعْنا من الناكثين الزِماعا
ولولا فتى وائلٍ لم يكنْ * ليَنضَحَ فيها رئيسٌ كُراعا
فقلْ لأميةَ ترْعى لنا * أياديَ لم نجزِها واصطناعا
أتلهينَ عنْ قتلِ ساداتنا * وتأبى لحقكِ إلا اتّباعا
أمنْ لمْ يبغكِ من المشترينَ * كآخرَ صادفَ سوقاً فباعا
أبى ابنُ حضينٍ لما تصنعينَ إلا اضطلاعا والاتباعا
ولو يأمَنُ الحارثُ الوائلينَ * لراعكِ في بعضِ منْ كان راعا

وقد كانَ أصعرَ ذا نَيربٍ * أشاعَ الضَّلالةَ فيما أشاعا
كفينا أميةَ مختومةً * أطاعَ بها عاصمٌ مَن أطاعا
فلولا مراكزُ راياتنا * من الجند خاسَ الجنودُ الضياعا
وصلنا القديمَ لها بالحديث * وتأبى أميةُ إلا انقطاعا
ذخائرُ في غيرنا نفعُها * وما إن عرفنا لهنَّ انتفاعا
ولو قدّمتها وبانَ الحجا * بُ لارتعتَ بينَ حشاك ارتياعا
فأينَ الوفاءُ لأهلِ الوفا * ءِ والشكرُ أحسنُ من أن يُضاعا
وأينَ ادّخارُ بني وائلٍ * إذا الذُّخرُ في الناس كان ارتجاعا
ألمْ تعلمي أنّ أسيافَنا * تُداوي الغليلَ وتشفي الصداعا
إذا ابنُ حُضينٍ غدا باللوا * ءِ وأسلمَ أهلُ القلاعِ القِلاعا
إذا ابنُ حضينٍ غدا باللوا * ءِ أشارَ النسورَ به والضباعا
اذا ابن حضينٍ غدا باللوا * ءِ ذكى وكانتْ مَعَدٌّ جِداعا

قال وكان عاصم بن سليمان بن عبد الله بن شراحيل اليشكري من أهل الرأى فاشار على يحيى بنقض الصحيفة وقال له غمراتٌ ثم ينجلينَ وهى المغمضات فغمض قال وكان عاصم ابن عبد الله فى قرية بأعلى مرو لكندة ونزل الحارث قرية لبنى العنبر فالتقوا بالخيل والرجال ومع عاصم رجل من بنى عبس في خمسمائة من أهل الشأم وابراهيم بن عاصم العقيلى فى مثل ذلك فنادى منادى عاصم من جاء برأس فله ثلثمائة درهم فجاء رجل من عماله برأس وهو عاض على أنفه ثم جاء رجل من بنى ليث يقال له ليث بن عبد الله برأس ثم جاء آخر برأس فقيل لعاصم ان طمع الناس فى هذا لم يدعوا ملاحا ولا علجا الا أتوك برأسه فنادى مناديه لا يأتنا أحد برأس فمن أتانا به فليس له عندنا شىء وانهزم أصحاب الحارث فأسروا منهم أسارى وأسروا عبد الله بن عمرو المازنىّ رأس أهل مرو الروذ وكان الاسراء ثمانين أكثرهم من بنى تميم فقتلهم عاصم بن عبد الله على نهر الدندانقان وكانت اليمانية بعثت من الشأم رجلا يعدل بألف يكنى أبا داود أيام العصبية فى خمسمائة فكان لا يمرّ بقرية من قرى خراسان الا قال كأنكم بى قد مررتُ راجعا حاملا رأس الحارث بن سريج فلما التقوا دعا الى البراز فبرز له الحارث بن سريج فضربه فوق منكبه الايسر فصرعه وحامى عليه أصحابه فحملوه فخولط فكان يقول يا أبرشهر الحارث بن سريجاه يا أصحاب المعموراه ورمى فرس الحارث بن سريج في لبانه فنزع النشابة واستحضره وألحّ عليه بالضرب حتى نزّقه وعرّقه وشغله عن ألم الجراحة قال وحمل عليه رجل من أهل الشأم فلما ظن ان الرمح مخالطه مال

عن فرسه واتبع الشامىّ فقال له أسألك بحرمة الاسلام فى دمى قال أنزل عن فرسك فنزل وركبه الحارث فقال الشامىّ خذ السرج فوالله انه خير من الفرس فقال رجل من عبد القيس

تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَذَّةَ العَيْشِ واتَّقَتْ * بِنا كُلَّ فَجٍّ مِن خُراسانَ أَغْبَرا

فلَيتَ قُرَيْشا أصبحوا ذاتَ ليلَةٍ * يَعُومُونَ فى لُجٍّ مِن البحرِ أَخضَرا

قال وعظم أهل الشأم يحيى بن حضين لما صنع فى أمر الكتاب الذى كتبه عاصم وكتبوا كتابا وبعثوا مع محمد بن مسلم العنبرى ورجل من أهل الشأم فلقوا أسد بن عبد الله بالرى ويقال لقوه ببيهق فقال ارجعوا فانى أصلح هذا الامر فقال له محمد بن مسلم هُدِمَت دارى فقال ابنيها لك وأردّ عليكم كل مظلمة قال وكتب أسد الى خالد يتحمل انه هزم الحارث ويخبره بأمر يحيى قال فاجاز خالد يحيى بن حضين بعشرة آلاف دينار وكساه مائة حلّة قال وكانت ولاية عاصم أقل من سنة قيل كانت سبعة أشهر وقدم أسد بن عبد الله وقد انصرف الحارث فحبس عاصما وسأله عما انفق وحاسبه فاخذه بمائة ألف درهم وقال انك لم تغزُ ولم تخرج من مرو ووافق عمارة بن حُريم وعمال الجنيد محبوسين عنده فقال لهم أسيرُ فيكم بسيرتنا أم بسيرة قومكم قالوا بل بسيرتك فخلى سبيلهم قال على عن شيوخه قالوا لما بلغ هشام بن عبد الملك أمر الحارث بن سريج كتب الى خالد بن عبد الله ابعث أخاك يصلح ما أفسد فان كانت رجيّة فلتكن به قال فوجه أخاه أسدا الى خراسان فقدم أسد وما يملك عاصم من خراسان الا مرو وناحية أبرشهر والحارث بن سريج بمرو الروذ وخالد بن عبيد الله الهجرىّ بآمل ويخاف ان قصد للحارث بمرو الروذ دخل خالد بن عبيد الله مرو من قبل آمل وان قصد لخالد دخلها الحارث من قبل مرو الروذ فأجمع على ان يوجه عبد الرحمن بن نعيم الغامدىّ فى أهل الكوفة وأهل الشأم فى طلب الحارث الى ناحية مرو الروذ وسار أسد بالناس الى آمل واستعمل على بنى تميم الحوثرة بن يزيد العنبرىّ فلقيهم خيل لأهل آمل عليهم زياد القرشى مولى حيان النبطى عند ركايا عثمان فهزمهم حتى انتهوا الى باب المدينة ثم كرّوا على الناس فقتل غلام لاسد بن عبد الله يقال له جبلة وهو صاحب علمه وتحصنوا فى ثلاث مدائن لهم قال فنزل عليهم أسد وحصرهم ونصب عليهم المجانيق وعليهم خالد بن عبيد الله الهجرىّ من أصحاب الحارث فطلبوا الامان فخرج اليهم رويد بن طارق القطعىّ مولى لهم فقال ما تطلبون قالوا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال فلكم ذلك قالوا على ان لا تأخذ أهل هذه المدن بجنايتنا فاعطاهم ذلك واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيبانىّ أحد بنى ثعلبة بن شيبان ابن أخى مصقلة بن هبيرة ثم أقبل أسد فى طريق زمّ يريد مدينة بلخ فتلقاه مولى لمسلم بن عبد الرحمن فاخبره ان أهل بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم فقدم بلخ فاتخذ سُفُنا

وسار

وسار منها الى الترمذ فوجد الحارث محاصرا سنانا الاعرابى السلمى ومعه بنو الحجاج بن هارون النميرى وبنو زرعة وآل عطية الأعور النضرى فى أهل الترمذ والسبل مع الحارث فنزل أسد دون النهر ولم يطق القطوع اليهم ولا ان يمدهم وخرج أهل الترمذ من المدينة فقاتلوا الحارث قتالا شديدا وكان الحارث استطرد لهم ثم كر عليهم فانهزموا فقتل يزيد بن الهيثم بن المنخل وعاصم بن معول النجلى فى خمسين ومائة من أهل الشام وغيرهم وكان بشر بن جرموز وأبو فاطمة الايادى ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب الترمذى فيبكون ويشكون بنى مروان وجورهم ويسألونهم النزول اليهم على ان يمالئوهم على حرب بنى مروان فيأبون عليهم فقال السبل وهو مع الحارث يا حارث ان الترمذ قد بنيت بالطبول والمزامير ولا تفتح بالبكاء وانما تفتح بالسيف فقاتل ان كان بك قتال وتركه السبل وأتى بلاده

قال وكان أسد حين مر بارض زم تعرض للقاسم الشيبانى وهو فى حصن بزم يقال له باذكر ومضى حتى أتى الترمذ فنزل دون النهر ووضع سريره على شاطىء النهر وجعل الناس يعبرون فمن سفلت سفينته عن سفن المدينة قاتلهم الحارث فى سفينة فالتقوا فى سفينة فيها أصحاب أسد فيهم أصغر بن عيناء الحميرى وسفينة أصحاب الحارث فيها داود الاعسر فرمى أصغر فصك السفينة وقال أنا الغلام الاحمرى فقال داود الاعسر لامر ما انتميت اليه لا أرض لك وألزق سفينته بسفينة أصغر فاقتتلوا وأقبل الاشكند وقد أراد الحارث الانصراف فقال له انما جئتك ناصرا لك وكمن الاشكند وراء دير وأقبل الحارث باصحابه وخرج اليه أهل الترمذ فاستطرد لهم فاتبعوه ونصر مع أسد جالس ينظر فأظهر الكراهية وعرف ان الحارث قد كادهم فظن أسد انه انما فعل ذلك شفقة على الحارث حين ولى فاراد أسد معاتبة نصر فاذا الاشكند قد خرج عليهم فحمل على أهل الترمذ فهربوا وقتل فى المعركة يزيد بن الهيثم بن المنخل الجرموزى من الازد وعاصم بن معول وكان من فرسان أهل الشأم ثم ارتحل أسد الى بلخ وخرج أهل الترمذ الى الحارث فهزموه وقتلوا أبا فاطمة وعكرمة وقوما من أهل البصائر

ثم سار أسد الى سمرقند فى طريق زم فلما قدم زم بعث الى الهيثم الشيبانى وهو فى باذكر وهو من أصحاب الحارث فقال انكم انما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم ولم يبلغ ذلك النساء ولا استحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند وأنا أريد سمرقند وعلى عهد الله وذمته ان لا يبدأك منى شر ولك المؤاساة واللطف والكرامة والامان ولمن معك وأنت ان غمصت ما دعوتك اليه فعلى عهد الله وذمة أمير المؤمنين وذمة الامير خالد إن أنت رميت بسهم ان لا أومنك بعده وإن جعلت لك ألف أمان لا أفي لك به فخرج اليه على ما أعطاه من الامان فآمنه وسار معه الى سمرقند فاعطاهم عطاءين وحملهم على ما كان من دواب ساقها معه وحمل معه طعاما من بخارى وساق معه شياء كثيرة من شاء الاكراد قسمها

فيهم ثم ارتفع الى وَرَغسر وماء سمرقند منها فسكر الوادى وصرفه عن سمرقند وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها فى السكر ثم قفل من سمرقند حتى نزل بلخ وقد زعم بعضهم ان الذى ذكرت من أمر أسد وأمر أصحاب الحارث كان فى سنة ١٨ ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة خالد بن عبد الملك * وكان العامل فيها على المدينة وعلى مكة والطائف محمد بن هشام ابن اسماعيل وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله وعلى أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد ﴿وفيها﴾ توفيت فاطمة بنت على وسكينة ابنة الحسين بن على ﴿وفى هذه السنة﴾ أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دُعاة بنى العباس بخراسان فقتل بعضهم ومثل ببعضهم وحبس بعضهم وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن ابراهيم وطلحة بن رُزَيق فأتى بهم فقال لهم يافسقة ألم يقل الله تعالى عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ واللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ فذكر ان سليمان بن كثير قال اتكلم أم اسكت قال بل تكلم قال نحن والله كما قال الشاعر

لو بغير الماء حلقى شرِقٌ * كنتُ كالغصّان بالماء اعتصارى

تدرى ماقصتنا صيدت والله العقارب بيدك أيها الامير انا أناس من قومك وان هذه المضرية انما رفعوا اليك هذا لانا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم وانما طلبوا بثأرهم فتكلم ابن شريك بن الصامت الباهلى وقال ان هؤلاء القوم قد أخذوا مرة بعد مرة فقال مالك ابن الهيثم أصلح الله الامير ينبغى لك ان تعتبر كلام هذا بغيره فقالوا كانك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة نحن والله كنا أشد الناس عليه فبعث بهم أسد الى الحبس ثم دعا عبد الرحمن بن نعيم فقال له ماترى قال أرى أن تمن بهم على عشائرهم قال فالتميميان اللذان معهم قال تخلى سبيلهما قال انا اذا من عبد الله بن يزيد نفى قال فكيف تصنع بالربعى قال أخلى والله سبيله ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم بلجام حمار وأمر باللجام أن يجذب فجذب حتى تحطمت أسنانه ثم قال اكسروا وجهه فدق أنفه ووجأ لحيته فندر ضرس له ثم دعا بلاهز ابن قريظ فقال لاهز والله مافى هذا الحق أن تصنع بنا هذا وتترك اليمانيين والربعيين فضربه ثلثمائة سوط ثم قال اصلبوه فقال الحسن بن زيد الازدى هو لى جار وهو برئ مما قذف به قال فالآخرون قال أعرفهم بالبراءة فخلى سبيلهم

## ﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة ﴾

### ﴿ ذكر الخبر عما كان فى هذه السنة من الاحداث ﴾

فمن ذلك غزوة معاوية وسليمان ابنى هشام بن عبد الملك أرض الروم ﴿وفيها﴾ وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد الى خراسان واليا على شيعة بنى العباس فنزل فماذ كرمرو وغير اسمه وتسمى بخداش ودعا الى محمد بن على فسارع اليه الناس وقبلوا ماجاءهم به وسمعوا

اليه وأطاعوا ثم غيّر ما دعاهم اليه وتكذّب وأظهر دين الخُرَّمية ودعا اليه ورخص لبعضهم في نساء بعض وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علىّ فبلغ أسد بن عبد الله خبره فوضع عليه العيون حتى ظفر به فأتى به وقد تجهّز لغزو بلخ فسأله عن حاله فأغلظ خداش له القول فأمر به فقطعت يده وقلع لسانه وسملت عينه * فذكر محمد بن علىّ عن أشياخه قال لما قدم أسد آمل في مبدأه أتوه بخداش صاحب الهاشمية فأمر به قرعة الطبيب فقطع لسانه وسمل عينه فقال الحمد لله الذي انتقم لابي بكر وعمر منك ثم دفعه الى يحيى بن نعيم الشيبانىّ عامل آمل فلما قفل من سمرقند كتب الى يحيى فقتله وصلبه بآمل وأتى أسد بحزوّر مولى المهاجر بن دارة الضبّىّ فضرب عنقه بشاطئ النهر ثم نزل أسد منصرفه من سمرقند بلخ فسرّح جديعا الكرمانىّ الى القلعة التي فيها ثقل الحارث وثقل أصحابه واسم القلعة التبوشكان من طخارستان العليا وفيها بنو بَرْزَى التغلبيّون وهم أصهار الحارث فحصرهم الكرمانىّ حتى فتحها فقتل مقاتلتهم وقتل بنى برزى وسبى عامّة أهلها من العرب والموالى والذرارىّ وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ فقال علىّ بن يَعْلَى وكان شهد ذلك نقم على الحارث أربعمائة وخمسون رجلا من أصحابه وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضى وفيهم بشر بن أنيف الحنظلىّ وداود الاعسر الخوارزمىّ فقال الحارث ان كنتم لا بدّ مفارقيّ وطلبتم الامان فاطلبوه وأنا شاهد فانه أجدر أن يجيبوكم وان ارتحلتُ قبل ذلك لم يعطوا الامان فقالوا ارتحل أنت وخلنا ثم بعثوا بشر بن أنيف ورجلا آخر فطلبوا الامان فآمنهما أسد ووصلهما فغدرا بأهل القلعة وأخبراه أن القوم ليس لهم طعامٌ ولا ماءٌ فسرّح أسد الكرمانىّ في ستة آلاف منهم سالم بن منصور البجلىّ على ألفين والازهر بن جرموز النميرىّ في أصحابه وجند بلخ وهم ألفان وخمسمائة من أهل الشأم عليهم صالح بن القعقاع الازدىّ فوجه الكرمانىّ منصور بن سالم في أصحابه فقطع نهر ضرغام وبات ليله وأصبح فأقام حتى متع النهار ثم سار يومه قريبا من سبعة عشر فرسخا فأتعب خيله ثم انتهى الى كشتم من أرض جيغويه فانتهى الى حائط فيه زرع قد قصّب فأرسل أهل العسكر دوابّهم فيه وبينهم وبين القلعة أربع فراسخ ثم ارتحل فلما صار الى الوادى جاءته الطلائع فأخبرته بمجيء القوم ورأسهم المهاجر بن ميمون فلما صاروا الى الكرمانى كابدهم فانصرفوا وسار حتى نزل جانبا من القلعة وكان أول ما نزل في زهاء خمسمائة في مسجد كان الحارث بناه فلما أصبح تتامّت اليه الخيل وتلاحقت من أصحاب الازهر وأهل بلخ فلما اجتمعوا خطبهم الكرمانىّ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل بلخ لا أجد لكم مثلا غير الزانية من أتاها أمكنته من رجلها أتاكم الحارث في ألف رجل من العجم فأمكنتموه من مدينتكم فقتل أشرافكم وطرد أميركم ثم سرتم معه من مكانفيه الى مرو فخذلتموه ثم انصرف اليكم منهزما

فأمكنتموه من المدينة والذى نفسى بيده لا يبلغنى عن رجل منكم كتب كتابا اليهم فى سهم الاقطعتُ يده ورجله وصلبته فأما من كان معى من أهل مرو فهم خاصتى ولست أخاف غدرهم ثم نهد الى القلعة فأقام بها يوما وليلةً من غير قتال فلما كان من الغد نادى مناد انا قد نبذنا اليكم بالعهد فقاتلوهم وقد عطش القوم وجاءوا فسألوا أن ينزلوا على الحكم ويترك لهم نساؤهم وأولادهم فنزلوا على حكم أسد فأقام أياما وقدم المهلب بن عبد العزيز العتكى بكتاب أسد أن احمل الىَّ خمسين رجلا منهم فيهم المهاجر بن ميمون ونظراءه من وجوههم فحملوا اليهم فقتلهم وكتب الى الكرمانى أن يصيّر الذين بقوا عنده أثلاثا فثلث يصلبهم وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم وثلث يقطع أيديهم ففعل ذلك الكرمانى وأخرج أثقالهم فباعها فيمن يزيد وكان الذين قتلهم وصلبهم أربعمائة واتخذ أسد مدينة بلخ دارا في سنة ١١٨ ونقل اليها الدواوين واتخذ المصانع ثم غزا طخارستان ثم أرض جيغويه ففتح وأصاب سَبْيًا ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن المدينة واستعمل عليها محمد بن هشام بن اسماعيل (ذكر الواقدى) ان أبا بكر بن عمرو بن حزم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بامرته على المدينة فصعد المنبر وصلى بالناس ستة أيام ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملا على المدينة ﴿وفى هذه السنة﴾ مات علىّ بن عبد الله بن العباس وكان يكنّى أبا محمد وكانت وفاته بالُحمَيْمة من أرض الشأم وهو ابن ثمان أو سبع وسبعين سنة وقيل انه ولد فى الليلة التى ضرب فيها علىّ بن أبى طالب وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة ٤٠ فسماه أبوه عليا وقال سميته باسم أحبّ الخلق الىّ وكناه أبا الحسن فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريره وسأله عن كنيته فأخبره فقال لا يجتمع فى عسكرى هذا الاسم والكنية لأحد وسأله هل وُلد له من ولد وكان قد ولد له يومئذ محمد بن علىّ فأخبره بذلك فكناه أبا محمد ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف وقد قيل انما كان عامل المدينة فى هذه السنة خالد ابن عبد الملك وكان الى محمد بن هشام فيها مكة والطائف والقول الاول قول الواقدىّ وكان على العراق خالد بن عبد الله واليه المشرق كله وعامله على خراسان أخوه أسد بن عبد الله وعامله على البصرة واحداثها وقضائها والصلاة بأهلها بلال بن أبى بردة وعلى أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد بن مروان

## ﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك غزوة الوليد بن القعقاع العبسىّ أرض الروم ﴿وفيها﴾ غزا أسد بن عبد الله الُختَّل فافتتح قلعة زغرزك وسار منها الى خداش وملأ أيديه من السبى والشاء وكان الجيش قد هرب

الى الصين ﴿وفيها﴾ لقى أسد خاقان صاحب الترك فقتله وقتل بشرا كثيرا من أصحابه وسلم أسد والمسلمون وانصرفوا بغنائم كثيرة وسبى

﴿ذكر الخبر عن هذه الغزوة﴾

* ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه انهم قالوا كتب ابن السائجىّ الى خاقان أبى مزاحم وانما كنى أبا مزاحم لانه كان يزاحم العرب وهو بنواكث يعلمه دخول أسد الختل وتفرُّق جنوده فيها وانه بحال مضيعة فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز وكان لخاقان مرج وجبل حِمًى لا يقربها أحد ولا يتصيّد فيها يتركان للجهاد فضاء ما كان فى المرج ثلاثة أيام وما فى الجبل ثلاثة أيام فتجهزوا وارتعوا وادّ بغوا مسوك الصيد واتخذوا منها أوعية واتخذوا القسىّ والنشاب ودعا خاقان ببرذون مسرّج ملجم وأمر بشاة فقُطعت ثم علقت فى المعاليق ثم أخذ شيأ من ملح فصيّره فى كيس وجعله فى منطقته وأمر كل تركىّ أن يفعل مثل ذلك وقال هذا زادكم حتى تلقوا العرب بالختَّل وأخذ طريق خُشوراغ فلما أحسّ ابن السائجىّ ان خاقان قد أقبل بعث الى أسد أخرج عن الختَّل فان خاقان قد أظلك فشتم رسوله ولم يصدّقه فبعث صاحب الختل انى لم أكذبك وأنا الذى أعلمتُه دخولك وتفرُّق جندك وأعلمته أنها فرصةٌ له وسألته المدد غير انك أمعرتَ البلاد وأصبتَ الغنائم فان لقيك على هذه الحال ظفر بك وعادتنى العرب أبدا ما بقيت واستطال علىّ خاقان واشتدّت مؤونته وامتنّ علىّ بقوله أخرجتُ العرب من بلادك ورددت عليك ملكك فعرف أسد أنه قد صدقه فأمر بالاثقال أن تُقدَّم وولى عليها ابراهيم بن عاصم العقيلىّ الجزرىّ الذى كان ولى سجستان بعدُ وأخرج معه المشيخة فيهم كثير بن أمية أبو سليمان بنُ كثير الخزاعىّ وفضيل ابن حيان المهرىّ وسنان بن داود القطعىّ وكان على أهل العالية سنان الاعرابىّ السلمىّ وعلى الاقباض عثمان بن شباب الهمدانىّ جدّ قاضى مرو فسارت الاثقال فكتب أسد الى داود بن شعيب والاصبغ بن ذُوالة الكلبىّ وقد كان وجههما فى وجه ان خاقان قد أقبل فانضمّا الى الاثقال الى ابراهيم بن عاصم قال ووقع الى داود والاصبغ رجل دبوسىّ فأشاع أن خاقان قد كسر المسلمين وقتل أسدًا وقال الاصبغ ان كان أسد ومن معه أصيبوا فان فيناهشام نتحاز اليه فقال داود بن شعيب قبح الله الحياة بعد أهل خراسان فقال الاصبغ حبذا الحياة بعد أهل خراسان قتل الجرّاح ومن معه فما ضرّ المسلمين كثير ضرّ فان هلك أسد وأهل خراسان فلن يخذل الله دينه وان الله حىّ قيوم وأمير المؤمنين حىّ وجنود المسلمين كثير فقال داود أفلا ننظر ما فعل أسد فنخرج على علم فسارا حتى شارفا عسكر ابراهيم فاذا هما بالنيران فقال داود هذه نيران المسلمين أراها متقاربة ونيران الاتراك متفرّقةً فقال الاصبغ هم فى مضيق ودنوا فسمعوا نهيق الحمير فقال داود أما علمت أن الترك

ليس لهم حمير فقال الاصبغ أصابوها بالامس ولم يستطيعوا أكلها في يوم ولا اثنين فقال داود
نسرّح فارسين فيكبّران فبعثا فارسين فلما دنوا من العسكر كبّرا فأجابهما العسكر بالتكبير
فأقبلوا الى العسكر الذى فيه الاثقال ومع ابراهيم أهل الصغانيان وصغان خذاه فقام ابراهيم
ابن عاصم مبادرا قال وأقبل أسد من الختل نحو جبل الملح يريد أن يخوض نهر بلخ وقد
قطع ابراهيم بن عاصم بالسبى وما أصاب فأشرف أسد على النهر وقد أتاه أن خاقان قد سار
من سويات سبع عشرة ليلة فقام اليه أبو تمام بن زحر وعبد الرحمن بن خنفر الازديان
فقالا أصلح الله الامير ان الله قد أحسن بلاءك في هذه الغزوة فغنمت وسلمت فاقطع هذه
النطفة واجعلها وراء ظهرك فأمر بهما فوجئت رقابهما وأخرجا من العسكر وأقام يومه
فلما كان من الغد ارتحل وفي النهر ثلاثة وعشرون موضعا يخوضه الناس وفي موضع مجتمع
ماء يبلغ دفّتى السرج فخاضه الناس وأمر أن يحمل كل رجل شاة وحمل هو بنفسه شاة
فقال له عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير ان الذى أنت فيه من حمل الشاة ليس بأخطر
مما تخاف وقد فرّقت الناس وشغلتهم وقد أظلك عدوّك فدع هذا الشاء لعنة الله عليه وأمر
الناس بالاستعداد فقال أسد والله لا يعبر رجل ليست معه شاة حتى تفنى هذه الغنم الا قطعت
يده فجعل الناس يحملون الشاء الفارس يحملها بين يديه والراجل على عنقه وخاض الناس
ويقال لما حفرت سنابك الخيل النهر صار بعض المواضع سباحةً فكان بعضهم يميل فيقع
عن دابته فأمر أسد بالشاء أن تقذف وخاض الناس فما استكملوا العبور حتى طلعت عليهم
الترك بالدهم فقتلوا من لم يقطع وجعل الناس يقتحمون النهر ويقال كانت المسلحة على
الازد وتميم وقد خُلف ضعفة الناس وركب أسد النهر وأمر بالابل أن يقطع بها الى ما وراء
النهر حتى تحمل عليها الاثقال وأقبل رهجٌ من ناحية الختل فاذا خاقان فلما توافى معه
صدر من جنده حمل على الازد وبنى تميم فانكشفوا وركض أسد حتى انصرف الى معسكره
وبعث الى أصحاب الاثقال الذين كان سرّح أمامه ان انزلوا وخندقوا مكانكم في بطن
الوادى قال وأقبل خاقان فظنّ المسلمون أنه لا يقطع اليهم وبينهم وبينه النهر فلما نظر
خاقان الى النهر أمر الاشكند وهو يومئذ اصبهبذ نسا أن يسير في الصف حتى يبلغ أقصاه
ويسأل الفرسان وأهل البصر بالحرب والماء هل يطاق قطوع النهر والحمل على أسد فكلهم
يقول لا يطاق حتى انتهى الى الاشتيخن فقال بلى يطاق لاّنا خمسون ألف فارس فاذا نحن
اقتحمنا دفعةً واحدةً ردّ بعضنا عن بعض الماء فذهب جريته قال فضربوا بكوساتهم فظنّ
أسد ومن معه انه منهم وعيد فاقتحموا دوابهم فجعلت تنخر أشدّ النخير فلما رأى المسلمون
اقتحام الترك ولوا الى العسكر وعبرت الترك فسطع رهج عظيم لا يبصر الرجل دابته
ولا يعرف بعضهم بعضا فدخل المسلمون عسكرهم وحووا ما كان خارجا وخرج الغلمان

بالبراذع

بالبراذع والعمد فصر بوا وجوه الترك فأدبر وا وبات أسد فلما أصبح وقد كان عبّأ أصحابه من الليل تخوّفا من غدر خاقان وغدوّه عليه ولم ير شيأ دعا وجوه الناس فاستشارهم فقالوا له اقبل العافية قال ماهذه عافية بلى هى بلية لقينا خاقان أمس فظفر بنا وأصاب من الجند والسلاح فمامنعه منا اليوم الا أنه قد وقع فى يديه أسراء فاخبروه بموضع الاثقال أمامنا فترك لقاءنا طمعا فيها فارتحل فبعث أمامه الطلائع فرجع بعضهم فأخبره أنه عاين طوقات الترك واعلاما من أعلام الاشكند فى بشر قليل فسار والدوابّ مثقلة فقيل له انزل أيها الامير واقبل العافية قال وأين العافية فأقبلها انما هى بلية وذهاب الانفس والاموال فلما أمسى أسد صار الى منزل فاستشار الناس أينزلون أم يسيرون فقال الناس اقبل العافية وما عسى أن يكون ذهاب المال بعافيتنا وعافية أهل خراسان ونصر بن سيار مطرق فقال أسد مالك يا ابن سيار مطرق لا تكلم قال أصلح الله الامير خلتان كلتاهما لك ان تسر تغث من مع الاثقال وتخلصهم وان أنت انتهيت اليهم وقد هلكوا فقد قطعت قحمة لا بد من قطوعها فقبل رأيه وسار يومه كله قال ودعا أسد سعيدا الصغير وكان فارسا مولى باهلة وكان عالما بأرض الختل فكتب كتابا الى ابراهيم يأمره بالاستعداد فان خاقان قد توجه الى ما قبلك وقال سر بالكتاب الى ابراهيم حيث كان قبل الليل فان لم تفعل فأنا برىّ من الاسلام ان لم يقتلك وان أنت لحقت بالحارث فعلى أسد مثل الذى حلف ان لم يبع امرأتك الدلاّل فى سوق بلخ وجميع أهل بيتك قال سعيد فادفع الىّ فرسك الكميت الذنوب قال لعمرى لئن جدت بدمك وبخلت عليك بالفرس انى للئيم فدفعه اليه فسار على دابة من جنائبه وغلامه على فرس له ومعه فرس أسد يجنبه فلما حاذى الترك وقد قصدوا الاثقال طلبته طلائعهم فتحوّل على فرس أسد فلم يلحقوه فأتى ابراهيم بالكتاب وتبعه بعض الطلائع يقال عشرون رجلا حتى رأوا عسكر ابراهيم فرجعوا الى خاقان فأخبروه فغدا خاقان على الاثقال وقد خندق ابراهيم خندقا فأتاهم وهم قيام عليه فأمر أهل السغد بقتالهم فلما دنوا من مسلحة المسلمين ثاروا فى وجوههم فهزموهم وقتلوا منهم رجلا فقال خاقان اركبوا وصعد خاقان تلا فجعل ينظر العورة ووجه القتال قال وهكذا كان يفعل ينفرد فى رجلين أو ثلاثة فاذا رأى عورة أمر جنوده فحملت من ناحية العورة فلما صعد التلّ رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة فدعا بعض قوّاد الترك فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر فى مقطع وصفه حتى يصيروا الى الجزيرة ثم ينحدروا فى الجزيرة حتى يأتوا عسكر المسلمين من دبر وأمرهم أن يبدؤا بالاعاجم وأهل الصغانيان وأن يدعوا غيرهم فانهم من العرب وقد عرفهم بأبنيتهم وأعلامهم وقال لهم ان أقام القوم فى خندقهم فأقبلوا اليكم دخلنا نحن خندقهم وان ثبتوا على خندقهم فادخلوا من دبره عليهم ففعلوا ودخلوا عليهم من ناحية

الاعاجم فقتلوا صغان خداه وعامّة أصحابه واحتووا على أموالهم ودخلوا عسكر ابراهيم فأخذوا عامة ما فيه وترك المسلمون التعبية واجتمعوا في موضع وأحسوا بالهلاك فاذا رهج قد ارتفع وتربة سوداء فاذا أسد في جنده قد أتاهم فجعلت الترك ترتفع عنهم الى الموضع الذى كان فيه خاقان وابراهيم يتعجب من كفهم وقد ظفروا وقتلوا من قتلوا وأصابوا ما أصابوا وهو لا يطمع في أسد قال وكان أسد قد أغذّ السير فأقبل حتى وقف على التل الذى كان عليه خاقان وتنحى خاقان الى ناحية الجبل فخرج اليه من بقى ممن كان مع الاثقال وقد قتل منهم بشرٌ كثيرٌ قتل يومئذ بركة بن خولى الراسبىّ وكثير أبو أمية ومشيخة من خزاعة وخرجت امرأة صغان خداه الى أسد فبكت زوجها فبكى أسد معها حتى علا صوته ومضى خاقان يقود الاسراء من الجند في الاوهاق ويسوق الابل موقرة والجوارى قال وكان مصعب بن عمر والخزاعىّ ونفر من أهل خراسان قد أجمعوا على مواقفتهم فكفهم أسد وقال هؤلاء قوم قد طابت لهم الريح واستكلبوا فلا تعرضوا لهم وكان مع خاقان رجل من أصحاب الحارث بن سريج فأمره فنادى يا أسد أما كان لك فيما وراء النهر مغزى انك لشديد الحرص قد كان لك عن الختّل مندوحةٌ وهى أرض آبائى وأجدادى فقال أسد كان ما رأيت ولعلّ الله أن ينتقم منك قال كورمغانون وكان من عظماء الترك لم أر يوما كان أحسن من يوم الاثقال قيل له وكيف ذاك قال أصبت أموالا عظيمة ولم أر عدوّا أسمج من أسراء العرب يعدو أحدهم فلا يكاد يبرح مكانه وقال بعضهم سار خاقان الى الاثقال فارتحل أسد فلما أشرف على الظهر ورأى المسلمين الترك فامتنعوا وقد كانوا قاتلوا المسلمين فامتنعوا فأتوا الاعاجم الذين كانوا مع المسلمين فقاتلوهم فأسروا أولادهم قال فاردف كلّ رجل منهم وصيفا أو وصيفة ثم أقبلوا الى عسكر أسد عند مغيب الشمس قال وسار أسد بالناس حتى نزل مع الثقل وصبّحوا أسدا من الغد وذلك يوم الفطر فكادوا يمنعونهم من الصلاة ثم انصرفوا ومضى أسد الى بلخ فعسكر في مرجها حتى أتى الشتاء ثم تفرّق الناس في الدور ودخل المدينة ففى هذه الغزاة قيل له بالفارسية

أزْ خُتَّلانْ آمَديه * بَرُوتَباهْ آمَديه

آبار بازْ آمَديه * خُشنكْ نزار آمديه

قال وكان الحارث بن سريج بناحية طخارستان فانضمّ الى خاقان فلما كان ليلة الاضحى قيل لاسد ان خاقان نزل جزّة فأمر بالنيران فرُفعت على المدينة فجاء الناس من الرساتيق الى مدينة بلخ فأصبح أسد فصلّى وخطب الناس وقال ان عدوّ الله الحارث بن سريج استجلب طاغيته ليطفئ نور الله ويبدّل دينه والله مذله ان شاء الله وان عدوّكم الكلب أصاب من اخوانكم من أصاب وان يُرِدِ الله نصركم لم يضرّكم قلتكم وكثرتهم فاستنصروا

الله وقال انه بلغني أن العبد أقرب ما يكون الى الله اذا وضع جبهته لله واني نازل و واضع جبهتي فادعوا الله واسجدوا واركعوا وأخلصوا له الدعاء ففعلوا ثم رفعوا رؤسهم وهم لا يشكون في الفتح ثم نزل عن المنبر وضحى وشاور الناس في المسير الى خاقان فقال قوم أنت شاب ولست ممن تخوف من غارة على شاة ودابة تخاطر بخروجك قال والله لاخرجن فإما ظفر وإما شهادة ويقال أقبل خاقان وقد استمد من وراء النهر وأهل طخارستان وجيغويه الطخاري بملوكهم وشاكريتهم بثلاثين ألفا فنزلوا خلم وفيها مسلحة عليها أبو العوجاء بن سعيد العبدي فناوشهم فلم يظفر وامنه بشيء فساروا على حاميتهم في طريق فيروز بخشين من طخارستان فكتب أبو العوجاء الى أسد بمسيرهم قال فجمع الناس فاقرأهم كتاب أبي العوجاء وكتاب الفرافصة صاحب مسلحة جزة بعد مرور خاقان به فشاور أسد الناس فقال قوم تأخذ بأبواب مدينة بلخ وتكتب الى خالد والخليفة تستمده وقال آخرون تأخذ في طريق زم وتسبق خاقان الى مرو وقال قوم بل تخرج اليهم وتستنصر الله عليهم فوافق قولهم رأى أسد وما كان عزم عليه من لقائهم ويقال ان خاقان حين فارق أسدا ارتفع حتى صار بأرض طخارستان عند جيغويه فلما كان وسط الشتاء أقبل فمر بجزة وسار الى الجوزجان وبث الغارات وذلك أن الحارث بن سريج أخبره أنه لا نهوض بأسد وانه لم يبق معه كبير جند فقال البختري بن مجاهد مولى بني شيبان بل بث الخيول حتى تنزل الجوزجان فلما بث الخيل قال له البختري كيف رأيت رأيي قال وكيف رأيت صنع الله عز وجل حين أخذ برأيك فأخذ أسد من جبلة بن أبي رواد عشرين ومائة ألف درهم وأمر للناس بعشرين عشرين ومعه من الجنود من أهل خراسان وأهل الشأم سبعة آلاف رجل واستخلف على بلخ الكرماني بن علي وأمره أن لا يدع أحدا يخرج من مدينتها وان ضرب الترك باب المدينة فقال له نصر بن سيار الليثي والقاسم بن بخيت المراغي من الازد وسليم بن سليمان السلمي وعمرو بن مسلم بن عمرو ومحمد بن عبد العزيز العتكي وعيسى الاعرج الحنظلي والبختري بن أبي درهم البكري وسعيد الاحمر وسعيد الصغير مولى باهلة أصلح الله الامير ائذن لنا في الخروج ولا تهجن طاعتنا فاذن لهم ثم خرج فنزل بابا من أبواب بلخ وضربت له قبة فازتان والصق احداهما بالاخرى وصلى بالناس ركعتين طولهما ثم استقبل القبلة ونادى في الناس ادعوا الله وأطال في الدعاء ودعا بالنصر وأمن الناس على دعائه فقال نصرتم ورب الكعبة ثم انفتل من دعائه فقال نصرتم ورب الكعبة ان شاء الله ثلاث مرات ثم نادى مناديه برئت ذمة الله من رجل حمل امرأة ممن كان من الجند قالوا ان أسدا انما خرج هاربا فخلف أم بكر أم ولده وولده فنظر فاذا جارية على بعير فقال سلوا لمن هذه الجارية فذهب بعض الاساورة فسأل ثم رجع فقال لزياد بن

الحارث البكرى وزياد جالس فقطب أسد وقال لا ينتهون حتى أسطو بالرجل منكم يكرم
علىّ فأضرب ظهره و بطنه فقال زياد ان كانت لى فهى حرّة لا والله أيها الامير مامعى امرأة
فانّ هذا عدوّ حاسد وسار أسد فلما كان عند قنطرة عطاء قال لمسعود بن عمرو الكرمانى
وهو يومئذ خليفة الكرمانى على الازد ابغنى خمسين رجلا ودابة أخلفهم على هذه القنطرة
فلا تدع أحدا ممن جازها أن يرجع اليها فقال مسعود ومن أين أقدر على خمسين رجلا فأمر
به فصرع عن دابته وأمر بضرب عنقه فقام اليه قوم فكلموه فكف عنه فلما جاز القنطرة
نزل منزلا فأقام فيه حتى أصبح وأراد المقام يومه فقال له العذافر بن زيد لبأتمر الامير على
المقام يومه حتى يتلاحق الناس قال فأمر بالرحيل وقال لا حاجة لنا الى المتخلفين ثم ارتحل
وعلى مقدّمته سالم بن منصور البجلى فى ثلثمائة فلقى ثلثمائة من الترك طليعة لخاقان فأسر
قائدهم وسبعة منهم معه وهرب بقيتهم فأتى به أسد قال فبكى التركى قال مايبكيك قال
لست أبكى لنفسى ولكنى أبكى لهلاك خاقان قال كيف قال لانه قد فرّق جنوده فيما بينه
وبين مرو قال وسار أسد حتى نزل السدرة قرية ببلخ وعلى خيل أهل العالية ريحان بن زياد
العامرى العبدلى من بنى عبد الله بن كعب قال فعزله وصيّر على أهل العالية منصور
ابن سالم ثم ارتحل من السدرة فنزل خريستان فسمع أسد صهيل فرس فقال لمن هذا فقيل
للعقار بن ذعبر فتطيّر من اسمه واسم أبيه فقال ردّوه وقال ابى مقتول غادى على الترك قال
أسد قتلك الله ثم سار حتى اذا شارف العين الحارّة استقبله بشر بن رزين أو رزين بن بشر
فقال بشارة ورزانة ماوراءك يارزين قال ان لم تغثنا غلبنا على مدينتنا قال فقال للمقدام
ابن عبد الرحمن يطاول برمحى وسار فنزل من مدينة الجوزجان بفرسخين ثم أصبحنا وقد
تراءت الخيلان فقال خاقان للحارث من هذا فقال هذا محمد بن المثنى ورايته ويقال ان
طلائع لخاقان انصرفت اليه فأخبرته ان رهجا ساطعا طلع من قبل بلخ فدعا خاقان الحارث
فقال ألم تزعم أن أسدا ليس به نهوض وهذا رهج قد أقبل من ناحية بلخ قال الحارث هذا
اللص الذى كنت قد أخبرتك أنه من أصحابى فبعث خاقان طلائع فقال انظروا هل ترون
على الابل سريرا وكراسى فجاءته الطلائع فأخبروه أنهم عاينوها فقال خاقان اللصوص
لا يحملون الاسرّة والكراسى وهذا أسد قد أتاك فسار أسد غلوة فلقيه سالم بن جناح فقال
ابشر أيها الامير قد حزرتهم ولا يبلغون أربعة آلاف وأرجو أن يكون عقيرة الله فقال
المجشر بن مزاحم وهو يسايره أنزل أيها الامير رجالك فضرب وجه دابته وقال لو أطعتَ
يامجشر ما كنا قدمنا ههنا وسار غير بعيد وقال ياأهل الصباح انزلوا فنزلوا وقرّبوا دوابّهم
وأخذوا النبل والقسىّ قال وخاقان في مرج قد بات فيه تلك الليلة قال وقال عمرو بن أبى
موسى ارتحل أسد حين صلى الغداة فمرّ بالجوزجان وقد استباحها خاقان حتى بلغت خيله

الشُبُورقان قال وقصور الجوزجان اذذاك ذليلة قال وأتاه المقدام بن عبد الرحمن بن نعيم الغامدىّ فى مقاتلته وأهل الجوزجان وكان عاملها فعرضوا عليه أنفسهم فقال أقيموا في مدينتكم وقال للجوزجان ابن الجوزجان سرْ معى وكان على التعبية القاسم بن بخيت المراغىّ فجعل الازد وبنى تميم والجوزجان بن الجوزجان وشاكريته ميمنته وأضاف اليهم أهل فلسطين عليهم مصعب بن عمرو الخزاعىّ وأهل قنسرين عليهم صفراء بن أحمر وجعل ربيعة ميسرة عليهم يحيى بن حضين وضمّ اليهم أهل حمص عليهم جعفر بن حنظلة البَهرانىّ وأهل الازد وعليهم سليمان بن عمرو المقرىّ من حمير وعلى المقدمة منصور بن مسلم البجلىّ وأضاف اليهم أهل دمشق عليهم حملة بن نعيم الكلبىّ وأضاف اليهم الحرس والشرطة وغلمان أسد قال وعبّى خاقان الحارث بن سريج وأصحابه وملك السغد وصاحب الشاش وخرابُغره أباخاناخره جدّ كاوس وصاحب الختل وجيغويه والترك كلهم ميمنة فلما التقوا حمل الحارث ومن معه من أهل السغد والبابيّة وغيرهم على الميسرة وفيها ربيعة وجندان من أهل الشأم فهزمهم فلم يردّهم شىء دون رواق أسد فشدّت عليهم الميمنة وهم الازد وبنو تميم والجوزجان فما وصلوا اليهم حتى انهزم الحارث والاتراك وحمل الناس جميعا فقال أسد اللهم انهم عصونى فانصرهم وذهب الترك فى الارض عباديدَ لا يلوون على أحد فتبعهم الناس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون من يقدرون عليه حتى انتهوا الى أغنامهم فاستاقوا أكثر من خمس وخمسين ومائة ألف شاة ودوابّ كثيرة وأخذ خاقان طريقا غير الجادة في الجبل والحارث بن سريج يحميه ولحقهم أسد عند الظهر ويقال لما واقف أسد خاقان يوم خريستان كان بينهم نهر عميق فأمر أسد برواقه فرفع فقال رجل من بنى قيس بن ثعلبة يا أهل الشأم أهكذا رأيكم اذ حضر الناس رفعتم الابنية فأمر به فخُطّ وهاجت ريح الحرب التى تسمى الهفافة فهزمهم الله واستقبلوا القبلة يدعون الله ويكبّرون وأقبل خاقان في قريب من أربعمائة فارس عليهم الحمرة وقال لرجل يقال له سورى انما أنت ملك الجوزجان ان أسلمت العرب فمن رأيت من أهل الجوزجان وقد أتاه فاقتله وقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله بن الشخيرانى لأعلم ببلادى وطُرُقها فهل لك فى أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكرٌ ما بقيتَ قال ماهو قال تتبعنى قال نعم فأخذ طريقا يسمى ورادك فاشرفوا على طوقات خاقان وهم آمنون فأمر خاقان بالكوسات فضربت ضربة الانصراف وقد شبت الحرب فلم يقدر الترك على الانصراف ثم ضربت الثانية فلم يقدروا ثم ضربت الثالثة فلم يقدروا الاشتغالهم فحمل ابن الشخير والجوزجان على الطوقات وولى خاقان مدبرا منهزما فحوى المسلمون عسكرهم وتركوا قدورهم تغلى ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء الترك ووحل بخاقان برذونه فحماه الحارث بن سريج قال ولم يعلم الناس أنه

خاقان ووجد عسكر الترك مشحونا من كل شيء من آنية الفضة وصناجات الترك وأراد الخصي ان يحمل امرأة خاقان فاعجلوه عن ذلك فطعنها بخنجر فوجدوها تتحرك فاخذوا خفها وهو من لبود مضرب قال فبعث أسد بجوارى الترك الى دهاقين خراسان واستنقذ من كان في أيديهم من المسلمين قال وأقام أسد خمسة أيام قال فكانت الخيول التى فرق تقبل فيصيبهم أسد فاغتنم الظفر وانصرف الى بلخ يوم التاسع من خروجه فقال ابن السجف المجاشعي

لو سِرْتَ في الأرْضِ تقيسُ الأرْضَا * تَقيسُ منها طُولها والعَرْضَا
لَمْ تَلْقَ خَيْرًا امِرَّةً ونَقْضَا * مِنَ الأمِيرِ أسَدٍ وأمْضَا
أفْضَى إلَيْنَا الخَيْرَ حِينَ أفْضَى * وجَمعَ الشَّمْلَ وكانَ رَفْضَا
مافاتَهُ خاقانُ إلا رَكْضا * قَدْ فُضَّ مِنْ جُمُوعِهِ ما فُضَّا
يا ابْنَ سُرَيْجٍ قَدْ لَقِيتَ حَمْضَا * حَمْضًا به يُشْفَى صُداعُ المرضا

قال وارتحل أسد فنزل جزة الجوزجان من غد وخاقان بها فارتحل هاربا منه وندب أسد الناس فانتدب ناس كثير من أهل الشأم وأهل العراق فاستعمل عليهم جعفر بن حنظلة البهرانى فساروا ونزلوا مدينة تسمى ورد من أرض جزة فباتوا بها فاصابهم ريح ومطر ويقال أصابهم الثلج فرجعوا ومضى خاقان فنزل على جيغويه الطخارى وانصرف البهرانى الى أسد ورجع أسد الى بلخ فلقوا خيل الترك التى كانت بمرو الروذ منصرفة لتغير على بلخ فقتلوا من قدروا عليه منهم وكان الترك قد بلغوا ابيعة مرو الروذ وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف درع فلما صار ببلخ أمر الناس بالصوم لافتتاح الله عليهم قال وكان أسد يوجه الكرمانى في السرايا فكانوا لا يزالون يصيبون الرجل والرجلين والثلاثة وأكثر من الترك ومضى خاقان الى طخارستان العليا فاقام عند جيغويه الخرلخى تعززا به وأمر بصنيعة الكوسات فلما جفت وصلح أصواتها ارتحل الى بلاده فلما ورد شروسنة تلقاه خرابغره أبو خاناخره جد كاوس أبى أفشين باللعابين وأعد له هدايا ودواب له ولجنده وكان الذى بينهما متباعدا فلما رجع منهزما أحب ان يتخذ عنده يدا فاتاه بكل ماقدر عليه ثم أتى خاقان بلاده وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند وحمل الحارث بن سريج وأصحابه على خمسة آلاف برذون وفرق براذين في قواد الترك فلاعب خاقان يوما كورصول بالنرد على خطر تدرجة فقمر كورصول الترقشى فطلب منه التدرجة فقال انثى فقال الآخر ذكر فتنازعا فكسر كورصول يد خاقان فحلف خاقان ليكسرن يد كورصول وبلغ كورصول فتنحى وجمع جمعا من أصحابه فبيت خاقان فقتله فاصبحت الترك فتفرقوا عنه وتركوه مجردا فاتاه زريق بن طفيل الكشانى وأهل بيت الجوكيين وهم من عظماء الترك فحمله ودفنه وصنع

به مايصنع بمثله اذاقتل فتفرّقت الترك في الغارات بعضها على بعض وانحاز بعضهم الى
الشاش فعند ذلك طمع أهل السغد في الرجعة اليها قال فلم يسلم من خيل الترك التي تفرقت
في الغارات الا زبن الكسى" فانه سلم حتى صار الى طخارستان وكان أسد بعث من مدينة
بلخ سيف بن وصاف العجلي على فرس فسار حتى نزل الشبورقان قال وفيها ابراهيم بن هشام
مسلحة فحمله منها على البريد حتى قدم على خالد بن عبد الله فاخبره ففظع به هشام فلم يصدقه
وقال للربيع حاجبه ويحك ان هذا الشيخ قد أتانا بالطامة الكبرى اذا كان صادقا ولا أراه
صادقا اذهب فعده ثم سله عما يقوله وأتني بما يقول فانطلق اليه ففعل الذى أمره به فاخبره
بالذى أخبر به هشاما قال فدخل عليه أمر عظيم فدعا به بعد فقال من القاسم بن بخيت
منكم قال ذلك صاحب العسكر قال فانه قد أقبل قال فان كان قد أقبل فقد فتح الله على أمير
المؤمنين وكان أسد وجهه حين فتح الله عليه فاقبل القاسم بن بخيت فكبر على الباب ثم دخل
يكبر وهشام يكبر لتكبيره حتى انتهى اليه فقال الفتح يا أمير المؤمنين وأخبره الخبر فنزل هشام
عن سريره فسجد سجدة الشكر وهي واحدة عندهم قال فحسدت القيسية أسدا وخالدا
وأشاروا على هشام ان يكتب الى خالد بن عبد الله فيأمر أخاه ان يوجه مقاتل بن حيان
فكتب اليه فدعا أسد مقاتل بن حيان على رؤوس الناس فقال سر الى أمير المؤمنين فاخبره
بالذى عاينت وقل الحق فانك لا تقول غير الحق ان شاء الله وخذ من بيت المال حاجتك قالوا
اذًا لا يأخذ شيأ قال اعطه من المال كذا وكذا ومن الكسوة كذا وكذا وجهزه فسار فقدم
على هشام بن عبد الملك وهو والأبرش جالسان فسأله فقال غزونا الختل فاصبنا أمرا عظيما
وانذر أسد بالترك فلم يحفل بهم حتى لحقوا واستنقذوا من غنائمنا واستباحوا بعض عسكرنا ثم
دفعونا دفعة قريبا من خلم فانتهى الناس الى مشاتيهم ثم جاءنا مسير خاقان الى الجوزجان
ونحن قريبو العهد بالعدو" فسار بنا حتى التقينا برستاق بيننا وبين أرض الجوزجان فقاتلناهم
وقد حاز واذراري" من ذراري المسلمين فحملوا على ميسرتنا فكشفوهم ثم حملت ميمنتنا
عليهم فاعطانا الله عليهم الظفر وتبعناهم فراسخ حتى استبحنا عسكر خاقان فأجلى عنه وهشام
متكئ فاستوى جالسا عند ذكره عسكر خاقان فقال ثلاثا أنتم استبحتم عسكر خاقان قال نعم
قال ثم ماذا قال دخلوا الختل فانصرفوا قال هشام ان أسد الضعيف قال مهلا يا أمير المؤمنين
ما أسد بضعيف وما أطاق فوق ما صنع فقال له هشام حاجتك قال ان يزيد بن المهلب أخذ
من أبي حيان مائة ألف درهم بغير حق فقال له هشام لا أكلفك شاهدا احلف بالله انه كما قلت
فحلف فردّها عليه من بيت مال خراسان وكتب الى خالد أن يكتب الى أسد فيها فكتب اليه
فاعطاه أسد مائة ألف درهم فقسمها بين ورثة حيان على كتاب الله وفرائضه ويقال بل
كتب الى أسد أن يستخبر عن ذلك فان كان ما ذكر حقا أعطى مائة ألف درهم وكان الذى جاء

بفتح خراسان الى مرو عبد السلام بن الاشهب بن عتبة الحنظلى قال فاوفد أسد الى خالد بن عبد الله وفدا في هزيمته يوم سان ومعهم طوقات خاقان ورؤوس من قتلوا منهم فاوفدهم خالد الى هشام فاحلفهم انهم صدقوا فخلفوا فوصلهم فقال أبو الهندى الاسدى لأسد يذكر وقعة سان

أبا منذر رمت الأمور فقستها * وساألت عنها كالحريص المساوم

فما كان ذو رأى من الناس قسته * برأيك إلا مثل رأى البهائم

أبا منذر لولا مسيرك لم يكن * عراق ولا انقادت ملوك الأعاجم

ولا حج بيت الله مذ حج راكب * ولا عمر البطحاء بعد المواسم

فكم من قتيل بين سان وجزة * كثير الأيادى من ملوك قماقم

تركت بأرض الجوزجان تزوره * سباع وعقبان لحز الغلاصم

وذى سوقة فيه من السيف خطة * به رمق حامت عليه الحوائم

فمن هارب منا ومن دائن لنا * أسير يقاسى مبهمات الأداهم

فدتك نفوس من تميم وعامر * ومن مضر الحمراء عند المآزم

هم أطمعوا خاقان فينا فأصبحت * جلائبه ترجو احتواء المغانم

قال وكان السبل أوصى عند موته ابن السائجى حين استخلفه بثلاث خصال فقال لا تستطل على أهل الختل استطالتى التى كانت عليهم فانى ملك ولست بملك انما أنت رجل منهم فلا يحتملون لك ما يحتملون للملوك ولا تدع ان تطلب الجيش حتى ترده الى بلادكم فانه الملك بعدى والملوك هم النظام والناس مالم يكن لهم نظام طغام ولا تحاربوا العرب واحتالوا لهم كل حيلة تدفعونهم بها عن أنفسكم ماقدرتم فقال له ابن السائجى أما ماذكرت من تركى الاستطالة على أهل الختل فانى قد عرفت ذلك وأما ما أوصيت من رد الجيش فقد صدق الملك وأما قولك لا تحاربوا العرب فكيف تنهى عن حربهم وقد كنت أكثر الملوك لهم محاربة قال قد أحسنت اذ سألت عما لا تعلم انى قد جربت قوتكم بقوتى فلم أجدكم تقعون منى موقعا فكنت اذا حاربتهم لم أفلت منهم الا جريضا وانكم ان حاربتموهم هلكتم في أول محاربتكم اياهم قال وكان الجيش قد هرب الى الصين وابن السائجى الذى أخبر أسد بن عبد الله بمسير خاقان اليه فكره محاربة أسد ﴿وفي هذه السنة﴾ خرج المغيرة بن سعيد وبيان فى نفر فأخذهم خالد فقتلهم

﴿ذكر الخبر عن مقتلهم﴾

أما المغيرة بن سعيد فانه كان فيما ذكر ساحرا ❀ حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن الاعمش قال سمعت المغيرة بن سعيد يقول لو أردت ان أحي عادا أو ثمود او قرونا بين ذلك

كثيرا لأحييتهم قال الاعمش وكان المغيرة يخرج الى المقبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور أو نحو هذا من الكلام وذكر أبو نعيم عن النضر بن محمد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال قدم علينا رجل من أهل البصرة يطلب العلم فكان عندنا فامرت جاريتى يوما ان تشترى لى سمكا بدرهمين ثم انطلقت أنا والبصرى الى المغيرة بن سعيد فقال لى يا محمد أتحب ان أخبرك لم افترق حاجباك قلت لا قال أفتحب ان أخبرك لم سماك أهلك محمدا قلت لا قال أما انك قد بعثت خادمك يشترى لك سمكا بدرهمين قال فنهضنا عنه قال أبو نعيم وكان المغيرة قد نظر فى السحر فاخذه خالد القسرى فقتله وصلبه وذكر أبو زيد أن أبا بكر بن حفص الزهرى قال أخبرنى محمد بن عقيل عن سعيد بن مردانبه مولى عمرو بن حريث قال رأيت خالدا حين أتى بالمغيرة وبيان فى ستة رهط أو سبعة أمر بسريره فأخرج الى المسجد الجامع وأمر بأطنان قصب ونفط فأحضرا ثم أمر المغيرة ان يتناول طنا فكع عنه وتأنى وصبت السياط على رأسه فتناول طنا فاحتضنه فشد عليه ثم صب عليه وعلى الطن نفط ثم ألهبت فيهما النار فاحترقا ثم أمر الرهط ففعلوا ثم أمر بيانا آخرهم فقدم الى الطن مبادرا فاحتضنه فقال خالد ويلكم في كل أمر تحمقون هلا رأيتم هذا المغيرة ثم أحرقه قال أبو زيد لما قتل خالد المغيرة وبيانا أرسل الى مالك بن أعين الجهنى فسأله فصدقه عن نفسه فاطلقه فلما خلا مالك بمن يثق به وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان قال

ضَرَبْتُ له بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ لاحِباً * وَطِنْتُ عليهِ الشَّمْسَ فيمَنْ يطِينُها

وَأَلْقَيْتُهُ فى شُبْهَةٍ حِينَ سالنى * كما اشْتَبَهَا فى الخطِ سِينٌ وشِينُها

فقال أبو مسلم حين ظهر أمره لو وجدته لقتلته باقراره على نفسه قال أحمد بن زهير عن على ابن محمد قال خرج المغيرة بن سعيد في سبعة نفر وكانوا يُدعون الوصفاء وكان خروجهم بظهر الكوفة فأخبر خالد القسرى بخروجهم وهو على المنبر فقال اطعمونى ماء فنعى ذلك عليه ابن نوفل فقال

أخالدُ لا جزاكَ اللهُ خَيْرًا * وأيْرٌ فى حِرِ امِّكَ مِنْ أميرِ

تَمَنَّى الفَخْرَ فى قَيْسٍ وَقَسْرٍ * كأنَّكَ من سَراةِ بَنِى جَرِيرِ

وأُمُّكَ عِلْجَةٌ وَأَبُوكَ وغْدٌ * وما الاذنابُ عِدْلاً للصُّدُورِ

جَرِيرٌ مِنْ ذَوِى يَمَنٍ أصِيلٍ * كَرِيمِ الأصلِ ذى خَطَرٍ كبيرِ

وأنتَ زعمتَ أنكَ مِنْ يَزِيدٍ * وَقَدْ دُوحِقْتُمُ دحقَ العَبُورِ

وكُنْتَ لدى المُغيرَةِ عَبْدَ سوءٍ * تبُولُ مِنَ المَخافَةِ للزَّئِيرِ

وَقُلتَ لِمَا أصابكَ أطعِمُونى * شَرابًا ثُمَّ بُلتَ على السريرِ

لأعلاجٍ ثمانيةٍ وشَيْخٍ * كَبِيرِ السِّنِّ لَيْسَ بذِى نَصِيرِ

﴿وفى هذه السنة﴾ حكم بهلول بن بشر الملقب كُثارة فقتل

﴿ذكر الخبر عن مخرجه ومقتله﴾

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن بهلولا كان يتأله وكان له قوت دانق وكان مشهورا بالبأس عند هشام بن عبد الملك فخرج يريد الحج فأمر غلامه ان يبتاع له خلا بدرهم فجاءه غلامه بخمر فأمر بردها وأخذ الدرهم فلم يُجب الى ذلك فجاء بهلول الى عامل القرية وهى من السواد فكلمه فقال العامل الخمر خير منك ومن قومك فمضى بهلول في حجه حتى فرغ منه وعزم على الخروج على السلطان فلقى بمكة من كان على مثل رأيه فاتعدوا قرية من قرى الموصل فاجتمع بها أربعون رجلا وأمروا عليهم البهلول وأجمعوا على ان لا يمروا بأحد الا أخبروه انهم أقبلوا من عند هشام على بعض الاعمال ووجههم الى خالد لينفذهم في أعمالهم فجعلوا لا يمرون بعامل الا أخبروه بذلك وأخذوا دوابّ من دوابّ البريد فلما انتهوا الى القرية التى كان ابتاع فيها الغلام الخل فأعطى خمرا قال بهلول نبدأ بهذا العامل الذى قال ما قال فقال له أصحابه نحن نريد قتل خالد فان بدأنا بهذا اشهرنا وحذرنا خالد وغيره فننشدك الله ان لا تقتل هذا فيفلت منا خالد الذى يهدم المساجد ويبنى البيع والكنائس ويولى المجوس على المسلمين وينكح أهل الذمة المسلمات لعلنا نقتله فيريح الله منه قال والله لا أدعُ ما يلزمنى لما بعده وأرجو ان أقتل هذا الذى قال لى ما قال وأدرك خالدا فاقتله وان تركت هذا وأتيت خالدا شهر أمرنا فافلت هذا وقد قال الله عز وجل قاتِلوا الذينَ يَلونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ وليَجِدُوا فيكم غِلظَةً قالوا أنت ورأيك فاتاه فقتله فنذر بهم الناس وعلموا انهم خوارج وابتدروا الى الطريق هرّابا وخرجت البُرُد الى خالد فاخبروه ان خارجة قد خرجت وهم لا يدرون حينئذ من رئيسهم فخرج خالد من واسط حتى أتى الحيرة وهو حينئذ فى الخلق وقد قدم فى تلك الايام قائد من أهل الشأم من بنى القين فى جيش قد وجهوا امدادا للعامل خالد على الهند فنزلوا الحيرة فلذلك قصدها خالد فدعا رئيسهم فقال قاتل هؤلاء المارقة فان من قتل منهم رجلا أعطيته عطاء سوى ما قبض بالشأم وأعفيته من الخروج الى أرض الهند وكان الخروج الى أرض الهند شاقا عليهم فسارعوا الى ذلك فقالوا نقتل هؤلاء النفر ونرجع الى بلادنا فتوجه القينىّ اليهم فى ستمائة وضم اليهم خالد مائتين من شرط الكوفة فالتقوا على الفرات فعبأ القينى أصحابه وعزل شرط الكوفة فقال لا تكونوا معنا وانما يريد فى نفسه ان يخلو هو وأصحابه بالقوم فيكون الظفر لهم دون غيرهم لما وعدهم خالد وخرج اليهم بهلول فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه ثم تلبث له ومعه لواء أسود فحمل عليه فطعنه فى فرج درعه فانفذه فقال قتلتنى قتلك الله فقال بهلول الى النار أبعدك الله وولّى أهل الشأم مع شرط أهل الكوفة منهزمين حتى بلغوا باب الكوفة وبهلول وأصحابه يقتلونهم فاما الشاميون فانهم كانوا على

خيل

خيل جياد فقاتوه وأما شرط الكوفة فانه لحقهم فقالوا اتق الله فينا فانا مكرهون مقهورون فجعل يقرع رؤوسهم بالرمح ويقول الحقوا النجاء النجاء ووجد البهلول مع القيني بدرة فأخذها وكان بالكوفة ستة نفر يرون رأى البهلول فخرجوا اليه يريدون اللحاق به فقتلوا وخرج اليهم البهلول وحمل البدرة بين يديه فقال من قتل هؤلاء النفر حتى أعطيه هذه الدراهم فجعل هذا يقول أنا وهذا يقول أنا حتى عرفهم وهم يرون أنه من قبل خالد جاء ليعطيهم مالا لقتلهم من قتلوا فقال بهلول لاهل القرية أصدق هؤلاء هم قتلوا النفر قالوا نعم وخشى بهلول أنهم ادّعوا ذلك طمعا فى المال فقال لاهل القرية انصرفوا أنتم وأمر باولئك فقتلوا وعاب عليه أصحابه فحاجهم فأقرّوا له بالحجة وبلغت هزيمة القوم خالدا وخبر من قتل من أهل صريفين فوجه قائدا من بنى شيبان أحد بنى حوشب بن يزيد بن رويم فلقيهم فيما بين الموصل والكوفة فشدّ عليهم البهلول فقال نشدتك بالرحم فانى جانح مستجير فكفّ عنه وانهزم أصحابه فأتوا خالدا وهو مقيم بالحيرة ينتظر فلم يرعه الا الفلّ قد هجم عليه فارتحل البهلول من يومه يريد الموصل فخافه عامل الموصل فكتب الى هشام أن خارجة خرجت فعاثت وأفسدت وأنه لا يأمن على ناحيته ويسأله جندا يقاتلهم به فكتب اليه هشام وجّه اليهم كثارة بن بشر وكان هشام لا يعرف البهلول الا بلقبه فكتب اليه العامل ان الخارج هو كثارة قال ثم قال البهلول لأصحابه انا والله ما نصنع بابن النصرانية شيأ يعنى خالدا وما خرجت الا لله فلِمَ لا نطلب الرأس الذى يسلط خالدا وذوى خالد فتوجه يريد هشاما بالشأم فخاف عمال هشام مَوْجدته ان تركوه يجوز بلادهم حتى ينتهى الى الشأم فجند له خالد جندا من أهل العراق وجند له عامل الجزيرة جندا من أهل الجزيرة ووجه اليه هشام جندا من أهل الشأم فاجتمعوا بدَيْر بين الجزيرة والموصل وأقبل بهلول حتى انتهى اليهم ويقال التقوا بالكحيل دون الموصل فأقبل بهلول فنزل على باب الدير فقالوا له تزحزح عن باب الدير حتى نخرج اليك فتنحى وخرجوا فلما رأى كثرتهم وهو فى سبعين جعل من أصحابه ميمنة وميسرة ثم أقبل عليهم فقال أكلكم يرجو أن يقتلنا ثم يأتى بلده وأهله سالما قالوا انا نرجو ذلك ان شاء الله فشدّ على رجل منهم فقتله فقال أما هذا فلا يأتى أهله أبداً فلم يزل ذلك ديدنه حتى قتل منهم ستة نفر فانهزموا فدخلوا الدير فحاصرهم وجاءتهم الامداد فكانوا عشرين ألفا فقال له أصحابه الا نعقر دوابّنا ثم نشدّ عليهم شدّة واحدة فقال لا تفعلوا حتى نُبلى الله عُذرا ما استمسكنا على دوابنا فقاتلوهم يومهم ذلك كله الى جنح العصر حتى أكثروا فيهم القتل والجراح ثم ان بهلولا وأصحابه عقروا دوابهم وترجلوا وأصلتوا لهم السيوف فأوجعوا فيهم فقتل عامّة أصحاب بهلول وهو يقاتل ويذود عن أصحابه وحمل عليه رجل من جديلة قيس يكنى أبا الموت فطعنه فصرعه فوافاه من بقى من أصحابه فقالوا له ولِّ أمرنا من بعدك

من يقوم به فقال ان هلكتُ فأمير المؤمنين دِعامة الشيبانى فان هلك دعامة فأمير المؤمنين عمرو اليشكرى وكان أبو الموت انما ختل البهلول ومات بهلول من ليلته فلما أصبحوا هرب دعامة وخلاهم فقال رجل من شعرائهم

لبئس أميرُ المؤمنينَ دِعامَة * دِعامَةُ في الهيجاء شرُّ الدَّعائِمِ

وقال الضحاك بن قيس يرثى بهلولا ويذكر أصحابه

بُدِّلتُ بعد أبى بشر وصحبتِه * قوما علىَّ مع الأحزاب أعوانا
كأنهم لم يكونوا من صحابتِنا * ولم يكونوا لنا بالأمسِ خُلَّانا
ياعينُ أذرى دُموعامنكِ تهتانا * وابكى لنا صحبةً بانوا وإخوانا
خلَّوا لنا ظاهرَ الدنيا وباطنَها * وأصبحوا فى جنان الخلد جيرانا

قال أبو عبيدة لما قتل بهلول خرج عمرو اليشكرى فلم يلبث ان قتل ثم خرج العنزى صاحب الاشهب وبهذا كان يعرف على خالد فى ستين فوجه اليه خالد السمط بن مسلم البجلى فى أربعة آلاف فالتقوا بناحية الفرات فشدّ العنزى على السمط فضربه بين أصابعه فألقى سيفه وشلت يده وحمل عليهم فانهزمت الحرورية فتلقاهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم فرموهم بالحجارة حتى قتلوهم قال أبو عبيدة ثم خرج وزير السختيانى على خالد فى نفر وكان مخرجه بالحيرة فجعل لا يمر بقرية الا أحرقها ولا أحد الا قتله وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال فوجه اليه خالد قائدا من أصحابه وشرطا من شُرط الكوفة فقاتلوه وهو فى نفر فقاتل حتى قتل عامة أصحابه وأثخن بالجراح فأخذ مرتثا فأتى به خالد فأقبل على خالد فوعظه وتلا عليه آيات من القرآن فأعجب خالدا ما سمع منه فامسك عن قتله وحبسه عنده وكان لا يزال يبعث اليه في الليالى فيؤتى به فيحادثه ويسائله فبلغ ذلك هشاما وسعى به اليه وقيل أخذ حرورياقد قتل وحرق وأباح الاموال فاستبقاه فاتخذه سميرا فغضب هشام وكتب الى خالد يشتمه ويقول لا تستبق فاسقا قتل وحرّق وأباح الاموال فكان خالد يقول انى أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته فكتب فيه الى هشام يرقق من أمره ويقال بل لم يكتب ولكنه كان يؤخر أمره ويدفع عنه حتى كتب اليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله واحراقه فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث اليه والى نفر من أصحابه كانوا أخذوا معه فأمر بهم فأدخلوا المسجد وأدخلت أطنان القصب فشدّوا فيها ثم صبّ عليهم النفط ثم أخرجوا فنصبوا فى الرحبة ورموا بالنيران فما منهم أحد الا من اضطرب وأظهر جزعا الا وزيرا فانه لم يتحرك ولم يزل يتلو القرآن حتى مات ﴿وفي هذه السنة﴾ غزا أسد بن عبد الله الختل وفيها قتل أسد بدر طرخان ملك الختل

ذكر

﴿ ذكر الخبر عن غزوة أسد الختل هذه الغزوة وسبب قتله بدرطرخان ﴾

* ذكر علىّ بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل أنهم قالوا غزا أسد بن عبد الله الختّل وهى غزوة بدرطرخان فوجه مصعب بن عمرو الخزاعىّ اليها فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدرطرخان فطلب الأمان على أن يخرج الى أسد فأجابه مصعب فخرج الى أسد فطلب منه أشياء فامتنع ثم سأله بدرطرخان أن يقبل منه ألف ألف درهم فقال له أسد انك رجل غريب من أهل الباميان اخرج من الختّل كما دخلتها فقال له بدرطرخان دخلتَ أنت خراسان على عشرة من المحذّفة ولو خرجت منها اليوم لم تستقل على خمسمائة بعير وغير ذلك انى دخلتُ الختّل بشىء فارْدُدْه علىّ حتى أخرج منها كما دخلتها قال وما ذاك قال دخلتها شابّا فكسبت المال بالسيف ورزق الله أهلا وولدا فاردد علىّ شبابى حتى أخرج منها هل ترى أن أخرج من أهلى وولدى فما بقائى بعد أهلى وولدى فغضب أسد قال وكان بدرطرخان يثق بالامان فقال له أسد اختم فى عنقك فانى أخاف عليك معرّة الجند قال لست أريد ذلك وأنا أكتفى من قِبَلك برجل يبلغ بى مصعبا فأبى أسد الا أن يختم فى عنقه فختم فى رقبته ودفعه الى أبى الاسد مولاه فسار به أبو الاسد فانتهى الى عسكر المصعب عند المساء وكان سلمة بن أبى عبد الله فى الموالى مع مصعب فوافى أبو الاسد سلمة وهو يضع الدراجة فى موضعها فقال سلمة لابى الاسد ما صنع الامير فى أمر بدرطرخان فقصّ الذى عرض عليه بدرطرخان واباء أسد ذلك وسرحه معه الى المصعب ليدخله الحصن فقال سلمة ان الامير لم يُصِبْ فيما صنع وسينظر فى ذلك ويندم انما كان ينبغى له أن يقبض ما عرض عليه أو يحبسه فلا يدخله حصنه فانا انما دخلناه بقناطر اتخذناها ومضايق أصلحناها وكان يمنعه أن يغير علينا رجاء الصلح فأما إن يئس من الصلح فانه لا يدع الجهد فدعه الليلة فى قبتى ولا تنطلق به الى مصعب فانه ساعةَ ينظر اليه يدخله حصنه قال فأقام أبو الاسد وبدرطرخان معه فى قبة سلمة وأقبل أسد بالناس فى طريق ضيق فتقطع الجند ومضى أسد حتى انتهى الى نهر وقد عطش ولم يكن معه أحد من خَدَمه فاستسقى وكان السغدىّ بن عبد الرحمن أبو طعمة الجرمىّ معه شاكرىّ له ومع الشاكرىّ قرن تبّتىّ فأخذ السغدىّ القرن فجعل فيه سويقا وصبّ عليه ماء من النهر وحرّكه وسقى أسدا وقوما من رؤساء الجند فنزل أسد فى ظلّ شجرة ودعا برجل من الحرس فوضع رأسه فى فخذه وجاء المجشر بن مزاحم السلمىّ يقود فرسه حتى قعد تجاهه حيث ينظر أسدا فقال أسد كيف أنت يا أبا العَدَبّس قال كنتُ أمس أحسن حالا منى اليوم قال وكيف ذاك قال كان بدرطرخان فى أيدينا وعرض ما عرض فلا الامير قبل منه ما عرض عليه ولا هو شدّ يده عليه لكنه خلى سبيله وأمر بادخاله حصنه لما عنده زعم من الوفاء فندم أسد عند ذلك ودعا بدليل من أهل

الختل ورجل من أهل الشأم نافذ فاره الفرس فأتى بهما فقال للشامى ان أنت أدركت بدرطرخان قبل أن يدخل حصنه فلك ألف درهم فتوجها حتى انتهيا الى عسكر مصعب فنادى الشامى مافعل العلج قيل عند سلمة وانصرف الدليل الى أسد بالخبر وأقام الشامى مع بدرطرخان في قبة سلمة وبعث أسد الى بدرطرخان فحوّله اليه فشتمه فعرف بدرطرخان أنه قد نقض عهده فرفع حصاة فرمى بها الى السماء وقال هذا عهد الله وأخذ أخرى فرمى بها الى السماء وقال هذا عهد محمد صلى الله عليه وسلم وأخذ يصنع كذلك بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين فأمر أسد بقطع يده وقال أسد من ههنا من أولياء أبى فديك رجل من الازد قتله بدرطرخان فقام رجل من الازد فقال أنا قال اضرب عنقه ففعل وغلب أسد على القلعة العظمى وبقيت قلعة فوقها صغيرة فيها ولده وأمواله فلم يوصل اليهم وفرّق أسد الخيل في أودية الختل قال وقدم أسد مرو وعليها أيوب بن أبى حسان التميمى فعزله واستعمل خالد بن شديد ابن عمه فلما شخص الى بلخ بلغه أن عمارة ابن خريم تزوّج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فكتب الى خالد بن شديد احمل عمارة على طلاق ابنة يزيد فان أبى فاضربه مائة سوط فبعث اليه فأتاه وعنده العذافر بن زيد التميمى فأمره بطلاقها ففعل بعد أباء منه وقال عذافر عمارة والله فتى قيس وسيدها وما بها عليه أبهة أى ليست بأشرف منه فتوفى خالد بن شديد واستخلف الاشعث بن جعفر البجلى ﴿وفيها﴾ شرى الصحارى بن شبيب وحكم بجبل

## ﴿ذكر خبره﴾

* ذكر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى أن الصحارىّ بن شبيب أتى خالدا يسأله الفريضة فقال وما يصنع ابن شبيب بالفريضة فودّعه ابن شبيب ومضى وندم خالد وخاف أن يفتق عليه فتقا فأرسل اليه يدعوه فقال أنا كنت عنده آنفا فأبوا ان يدعوه فشدّ عليهم بسيفه فتركوه فركب وسار حتى جاوز واسطا ثم عقر فرسه وركب زورقا ليخفى مكانه ثم قصد الى نفر من بنى تيم اللات بن ثعلبة كانوا بجبل فأتاهم متقلدا سيفا فأخبرهم خبره وخبر خالد فقالوا له وما كنت ترجو بالفريضة كنت لأن تخرج الى ابن النصرانية فتضربه بسيفك أحرى فقال انى والله ما أردت الفريضة وما أردت الا التوصل اليه لئلا ينكرنى ثم أقتل ابن النصرانية غيلة بقتله فلانا وكان خالد قبل ذلك قد قتل رجلا من قعدة الصفرية صبرا ثم دعاهم الصحارىّ الى الوثوب معه فأجابه بعضهم وقال بعضهم ننتظر وأبى بعضهم وقالوا نحن في عافية فلما رأى ذلك قال

لم أرد منه الفريضة إلاّ * طمعًا فى قتله أن أنالا
فأريح الأرض منه وممن * عاث فيها وعن الحق مالا

كلّ جبارٍ عنيد أراهُ * ترَكَ الحق وسَنَّ الضلالا
إنَّنى شارٍ بنفسى لربى * تاركٌ قيلاً لديهم وقالا
بائعٌ أهلى ومالى أرجو * فى جنانِ الخلد أهلاً ومالا

قال فبايعه نحو من ثلاثين فشرى بجبل ثم سار حتى أتى المبارك فبلغ ذلك خالدا فقال قد كنت خفتها منه ثم وجّه اليه خالد جندا فلقوه بناحية المناذر فقاتلهم قتالا شديدا ثم انطووا عليه فقتلوه وقتلوا جميع أصحابه ﴿قال أبو جعفر﴾ وحج بالناس فى هذه السنة أبو شاكر مسلمة ابن هشام بن عبد الملك وحجّ معه ابن شهاب الزُّهرىّ فى هذه السنة وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله القسرىّ وعامل خالد على خراسان أخوه أسد بن عبد الله وقد قيل أن أخا خالد أسدا هلك فى هذه السنة واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهرانىّ وقيل أن أسدا أخا خالد بن عبد الله انما هلك فى سنة ١٢٠ وكان على أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد

## ﴿ ثم دخلت سنة عشرين ومائة ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك غزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتاحه فيما ذكر سندرة وغزوة اسحاق بن مسلم العقيلىّ وافتتاحه قلاع تومانشاه وتخريبه أرضه وغزوة مروان بن محمد أرض الترك ﴿وفيها﴾ كانت وفاة أسد بن عبد الله فى قول المدائنىّ

### ﴿ذكر الخبر عن سبب وفاته﴾

وكان سبب ذلك انه كانت به فيما ذكر دُبيلة فى جوفه فحضر المهرجان وهو ببلخ فقدم عليه الامراء والدهاقين بالهدايا فكان ممن قدم عليه ابراهيم بن عبد الرحمن الحنفىّ عامله على هراة وخراسان ودهقان هراة فقدما بهدية قوّمت بألف ألف فكان فيما قدما به قصران قصر من فضة وقصر من ذهب وأباريق من ذهب وأباريق من فضة وصحاف من ذهب وفضة فأقبلا وأسد جالس على السرير وأشراف خراسان على الكراسىّ فوضعا القصرين ثم وضعا خلفهما الاباريق والصحاف والديباج المروىّ والقوهىّ والهروىّ وغير ذلك حتى امتلأ السماط وكان فيما جاء به الدهقان أسدا كرة من ذهب ثم قام الدهقان خطيبا فقال أصلح الله الامير انا معشر العجم أكلنا الدنيا أربعمائة سنة أكلناها بالحلم والعقل والوقار ليس فينا كتاب ناطق ولا نبىّ مرسل وكانت الرجال عندنا ثلاثة ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله على يده والذى يليه رجل تمت مروءته فى بيته فان كان كذلك رحّب وحيى وعظم وقوّد وقدّم ورجل رحُب صدره وبسط يده فرُجى فاذا كان كذلك قوّد وقدّم وان الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة الذين أكلناهم أربعمائة سنة فيك أيها الامير وما نعلم أحدا هو

أتم كتخدانية منك انك ضبطت أهل بيتك وحشمك ومواليك فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدّى على صغير ولا كبير ولا غنيّ ولا فقير فهذا تمام الكتخدانية ثم بنيت الايوانات في المفاوز فيجيء الجائي من المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيبا الا أن يقولا سبحان الله ما أحسن ما بُنى ومن يُمن نقيبتك انك لقيت خاقان وهو في مائة ألف معه الحارث بن سريج فهزمته وفللته وقتلت أصحابه وأبحت عسكره وأما رحب صدرك وبسط يدك فانا ماندرى أيّ المالين أقرّ لعينك أمال قدم عليك أم مال خرج من عندك بل أنت بما خرج أقرّ عينا فضحك أسد وقال أنت خير دهاقين خراسان وأحسنهم هديّة وناوله تفاحةً كانت في يده وسجد له دهقان هراة وأطرق أسد ينظر الى تلك الهدايا فنظر عن يمينه فقال يا عُذافر بن يزيد مُر من يحمل هذا القصر الذهب ثم قال يامعن بن أحمر رأس قيس أو قال قنسرين مر بهذا القصر يحمل ثم قال يافلان خذ ابريقا ويافلان خذ ابريقا وأعطى الصحاف حتى بقيت صحفتان فقال قم يا ابن الصيداء فخذ صحيفة قال فأخذ واحدة فرزنها فوضعها ثم أخذ الاخرى فرزنها فقال له أسد مالك قال آخذ أرزنهما قال خذهما جميعا وأعطى العرفاء وأصحاب البلاء فقام أبو اليعفور وكان يسير أمام صاحب خراسان في المغازى فنادى هلمّ الى الطريق فقال أسد ما أحسن ماذ كّرت بنفسك خذ ديباجتين وقام ميمون العذّاب فقال الىّ الى يساركم الى الجادّة فقال ما أحسن ماذ كّرت نفسك خذ ديباجة قال فأعطى ما كان في السماط كله فقال نهر بن توسعة

تَقلون إِن نَادَى لِروعٍ مُثوِّبٌ * وأنتم غداةَ المهرجانِ كثيرُ

ثم مرض أسد فأفاق افاقة فخرج يوما فأتى بكمثرى أوّل ماجاء فأطعم الناس منه واحدة واحدة وأخذ كمثراة فرمى بها الى دهقان هراة فانقطعت الدبيلة فهلك واستخلف جعفر البهرانيّ وهو جعفر بن حنظلة سنة ١٢٠ فعمل أربعة أشهر وجاء عهد نصر بن سيّار في رجب سنة ١٢١ فقال ابن عرس العبديّ

نَعى أسدَ بنَ عبدالله ناعٍ * فريعَ القلبُ للمَلِكِ المطاعِ
ببَلخٍ وافقَ المقدارُ يَسرى * وما لقضاءِ ربكَ من دفاعِ
فجودى عينُ بالعَبراتِ سحًا * ألم يُحزنكِ تفريقُ الجماعِ
أتاهُ حِمامُهُ في جوفِ صيغٍ * وكم بالصيغِ من بطلٍ شجاعِ
كتائبُ قد يجيبونَ المنادى * على جُردٍ مسوّمةٍ سِراعِ
سُقيتَ الغيثَ انكَ كنتَ غيثا * مَريعًا عندَ مُرتادِ النّجاعِ

وقال سليمان بن قتّة مولى بنى تيم بن مرة وكان صديقا لاسد

سَقَى اللهُ بلخاً سَهْلَ بلخ وحزنَها * ومَرْوَى خُراسانَ السَّحابَ المُجَمَّمَا

وَمَا بِى لِتُسْقَاهُ ولكنَّ حُفْرَةً * بها غَيَّبُوا شِلْواً كريماً وأعظُما

مُرَاجِمُ أقوامٍ ومُرْدِى عظيمةٍ * وطلَّابُ أوتارٍ عفرناً عثمثما

لقد كان يعطى السيفَ فى الروع حقَّهُ * ويُرْوِى السِّنانَ الزَّاغبيَّ المُقَوَّما

﴿قال أبو جعفر﴾ وفى هذه السنة وجّهت شيعة بنى العباس بخراسان الى محمد بن علىّ بن العباس سليمان بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه

﴿ذكر الخبر عن سبب توجيههم سليمان الى محمد﴾

وكان السبب فى ذلك موجدة كانت من محمد بن علىّ على من كان بخراسان من شيعته من أجل طاعتهم كانت لخداش الذى ذكرنا خبره قبل وقبولهم منه ما روى عليه من الكذب فترك مكاتبتهم فلما أبطأ عليهم كتابه اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم فأجمعوا على الرضا بسليمان بن كثير ليلقاه بأمرهم ويخبره عنهم ويرجع اليهم بما يردّ عليه فقدم فيما ذكر سليمان بن كثير على محمد بن علىّ وهو متنكر لمن بخراسان من شيعته فأخبره عنهم فعنفهم في اتباعهم خداشا وما كان دعا اليه وقال لعن الله خداشا ومن كان على دينه ثم صرف سليمان الى خراسان وكتب اليهم معه كتابا فقدم عليهم ومعه الكتاب مختوما ففضوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيأ الا بسم الله الرحمن الرحيم فغلظ ذلك عليهم وعلموا ان ما كان خداش أتاهم به لامره مخالف ﴿وفي هذه السنة﴾ وجه محمد بن علىّ بكير بن ماهان الى شيعته بخراسان بعد منصرف سليمان بن كثير من عنده اليهم وكتب معه اليهم كتابا يعلمهم ان خداشا حمل شيعته على غير منهاجه فقدم عليهم بكير بكتابه فلم يصدّقوه واستخفوا به فانصرف بكير الى محمد ابن علىّ فبعث معه بعصىّ مضبّبة بعضها بالحديد وبعضها بالشبه فقدم بها بكير وجمع النقباء والشيعة ودفع الى كلّ رجل منهم عصا فعلموا أنهم مخالفون لسيرته فرجعوا وتابوا ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن أعماله التى كان ولاه اياها كلها

﴿ذكر سبب عزل هشام خالدا﴾

قد قيل في ذلك أقوال نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره فما قيل فى ذلك ان فرّوخ أبا المثنى كان قد تقبّل من ضياع هشام بن عبد الملك بموضع يقال له رستاق الرُّمّان أو نهر الرمان وكان يُدعى بذلك فروخ الرمانىّ فثقل مكانه على خالد فقال خالد لحسان النبطىّ ويحك أخرج الى أمير المؤمنين فزد على فرّوخ فخرج فزاد عليه ألف ألف درهم فبعث هشام رجلين من صلحاء أهل الشأم فحازى الضياع فصار حسان أثقل على خالد من فروخ فجعل يضرّ به فيقول له حسان لا تُفسدنى وأنا صنيعتك فأبى الا الاضرار به فلما قدم عليه بثق البثوق على الضياع ثم خرج الى هشام فقال ان خالدا بثق البثوق على ضياعك فوجّه هشام

رجلا فنظر اليها ثم رجع الى هشام فأخبره فقال حسان لخادم من خدم هشام ان تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام فلك عندى ألف دينار قال فعجل لى الالف وأقول ماشئت قال فعجلها له وقال له بَكّ صبيًّا من صبيان هشام فاذا بكى فقل له أسكت والله لكأنك ابن خالد القسرىّ الذى غلته ثلاثة عشر ألف ألف فسمعها هشام فأغضى عليها ثم دخل عليه حسان بعد ذلك فقال له هشام ادنُ منى فدنا منه فقال كم غلة خالد قال ثلاثة عشر ألف ألف قال فكيف لم تخبرنى بهذا قال وهل سألتنى فوقرت فى نفس هشام فأزمع على عزله وقيل كان خالد يقول لابنه يزيد ما أنت بدون مسلمة بن هشام فانك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحد سكّرتُ دجلة ولم يتكلف ذلك أحد ولى سقاية بمكة ولى ولاية العراق وقيل انما أغضب هشاما على خالد أن رجلا من قريش دخل على خالد فاستخفّ به وعضه بلسانه فكتب الى هشام يشكوه فكتب هشام الى خالد أما بعد فان أمير المؤمنين وان كان أطلق لك يدك و رأيك فيمن استرعاك أمره واستحفظك عليه للذى رجا من كفايتك ووثق به من حسن تدبيرك لم يفترشك غُرّة أهل بيته لتطأه بقدمك ولا تحدّ اليه بصرك فكيف بك وقد بسطت على غرّتهم بالعراق لسانك بالتوبيخ تريد بذلك تصغير خطره واحتقار قدره زعمت بالنصفة منه حتى أخرجك ذلك الى الاغلاظ فى اللفظ عليه فى مجلس العامّة غير متحلحل له حين رأيته مقبلا من صدر مهادك الذى مهد له الله وفى قومك من يعلوك بحسبه ويغمرك بأوّليته فنلت مهادك بما رفع به آلُ عمر ومن ضعتك خاصةً مساوين بك فروع غُرَر القبائل وقرومها قبل أمير المؤمنين حتى حللت هضبةً أصبحت تحو بها عليهم مفتخرا اهذا إن لم يدهده بك قلةُ شكرك متعظما وقيذا فهلاّ يا ابن مجرّشة قومك أعظمت رجلهم عليك داخلا ووسّعت مجلسه اذ رأيته اليك مقبلا وتجافيت له عن صدر فراشك مكرّما ثم فاوضته مقبلا عليه ببشرك اكراما لامير المؤمنين فاذا اطمأن به مجلسه نازعته بحيىّ السِرار معظما لقرابته عارفا لحقه فهو سِنُّ البيتين ونابهم وابنُ شيخ آل أبى العاص وحرب وغرتهم و بالله يقسم أمير المؤمنين لك لولا ما تقدّم من حرمتك وما يكره من شماتة عدوّك بك لوضع منك ما رفع حتى يردّك الى حال تفقد بها أهل الحوائج بعراقك وتزاحم المواكب ببابك وما أقربنى من أن أجعلك تابعا لمن كان لك تبعا فانهض على أىّ حال ألفاك رسول أمير المؤمنين وكتابه من ليل أو نهار ماشيا على قدميك بمن معك من خولك حتى تقف على باب ابن عمر وصاغرا مستأذنا عليه متنصلا اليه أذن لك أو منعك فان حرّكته عواطف رحمة احتملك وان احتملته أنفة وحميّة من دخولك عليه فقف ببابه حولا غير متحلحل ولا زائل ثم أمرك بعدُ اليه عزل أو ولى انتصر أو عفا فلعنك الله من متكل عليه بالثقة ما أكثر هفواتك وأقذع لاهل الشرف ألفاظك التى لا تزال

تبلغ

تبلغ أمير المؤمنين من اقدامك بها على من هو أولى بما أنت فيه من ولاية مصرى العراق وأقدم وأقوم وقد كتب أمير المؤمنين الى ابن عمه بما كتب به اليك من انكاره عليك ليرى في العفو عنك والسخط عليك رأيه مفوضا ذلك اليه مبسوطة فيه يده محمودا عند أمير المؤمنين على أيهما آتى اليك موفقا ان شاء الله تعالى وكتابه الى ابن عمر و أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم ما ذكرت من بسط خالد عليك لسانه فى مجالس العامة محتقرا لقدرك مستصغرا القرابتك من أمير المؤمنين وعواطف رحمه عليك وإمساكك عنه تعظيما لامير المؤمنين وسلطانه وتمسكا بوثائق عصم طاعته مع مؤلم ما تداخلك من قبائح ألفاظه وشرارة منطقه وإكبابه عليك عند إطراقك عنه مرويا فيما أطلق أمير المؤمنين من لسانه وأطال من عنانه ورفع من ضعته ونوه من خموله وكذلك أنتم آل سعيد في مثلها عند هذر الذنابى وطائشة أحلامها صمت من غير إفحام بل بأحلام تخف بالجبال وزنا وقد حمد أمير المؤمنين تعظيمك اياه وتوقيرك سلطانه وشكره وقد جعل أمر خالد اليك فى عزلك اياه أو اقراره فان عزلته أمضى عزلك اياه وان أقررته فتلك منة لك عليه لا يشكرك أمير المؤمنين فيها وقد كتب اليه أمير المؤمنين بما يطرد عنه سنة الهاجع عند وصوله اليه بأمره بإتيانك راجلا على أية حال صادفه كتاب أمير المؤمنين وألفاه رسوله الموجه اليه من ليله أو نهاره حتى يقف ببابك أذنت له أو حجبته أقررته أو عزلته وتقدم أمير المؤمنين الى رسوله فى ضربه بين يديك على رأسه عشرين سوطا الا أن تكره أن يناله ذلك بسببك لحرمة خدمته فأيهما رأيت امضاءه كان لامير المؤمنين فى برك وعظم حرمتك وقرابتك وصلة رحمك موافقا واليه حبيبا فيما ينوى من قضاء حق آل أبى العاص وسعيد فكاتب أمير المؤمنين فيما بدالك مبتدئا ومجيبا ومحادثا وطالبا ما عسى أن ينزل بك أهلك من أهل بيت أمير المؤمنين من حوائجهم التى تقعد بهم الحشمة عن تناولها من قبله لبعد دارهم عنه وقلة امكان الخروج لانزالها به غير محتشم من أمير المؤمنين ولا مستوحش من تكرارها عليه على قدر قرابتهم وأديانهم وأنسابهم مستمنحا ومسترفدا وطالبا مستزيدا تجد أمير المؤمنين اليك سريعا بالبر لما يحاول من صلة قرابتهم وقضاء حقوقهم وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوى واليه يرغب فى العون على قضاء حق قرابته وعليه يتوكل و به يثق والله وليه ومولاه والسلام

وقيل أن خالدا كان كثيرا ما يذكر هشاما فيقول ابن الحمقاء وكانت أم هشام تستحمق وقد ذكرنا خبرها قبل وذكر أنه كتب الى هشام كتابا غاظه فكتب اليه هشام يا ابن أم خالد قد بلغنى أنك تقول ما ولاية العراق لى بشرف فيا ابن اللخناء كيف لا يكون امرة العراق لك شرفا وأنت من بجيلة القليلة الذليلة أم والله انى لأظن أن أول من يأتيك صغير من قريش بشد يديك الى عنقك وذكر أن هشاما كتب اليه قد بلغنى قولك أنا خالد بن عبد الله بن

يزيد بن أسد بن كرز ما أنا بأشرف الخمسة أم والله لأردنك الى بغلتك وطيلسانك الفيروزى وذكر أن هشاما بلغه أنه يقول لابنه كيف أنت اذا احتاج اليك بنو أمير المؤمنين فظهر الغضب فى وجهه وقيل ان هشاما قدم عليه رجل من أهل الشأم فقال انى سمعت خالدا ذكر أمير المؤمنين بما لا ينطلق به الشفتان قال قال الأحول قال لا بل قال أشد من ذلك قال فما هو قال لا أقوله أبدا فلم يزل يبلغه عنه ما يكره حتى تغير له * وذكر أن دهقانا دخل على خالد فقال أيها الامير ان غلة ابنك قد زادت على عشرة آلاف ألف ولا آمن أن يبلغ هذا أمير المؤمنين فيستكثره وان الناس يحبون جسدك وأنا أحب جسدك وروحك قال ان أسد بن عبد الله قد كلمنى بمثل هذا فأنت أمرته قال نعم قال ويحك دع ابنى فلربما طلب الدرهم فلم يقدر عليه ثم عزم هشام لما كثر عليه ما يتصل به عن خالد من الامور التى كان يكرهها على عزله فلما عزم على ذلك أخفى ما قد عزم له عليه من أمره

﴿ ذكر الخبر عن عمل هشام فى عزل خالد حين صح عزمه على عزله ﴾

* ذكر عمر أن عبيد بن جناد حدثه أنه سمع أباه وبعض الكتبة يذكر أن هشاما أخفى عزل خالد وكتب الى يوسف بخطه وهو على اليمن أن يقبل فى ثلاثين من أصحابه فخرج يوسف حتى صار الى الكوفة فعرس قريبا منها وقد ختن طارق خليفة خالد على الخراج ولده فأهدى له ألف عتيق وألف وصيف وألف وصيفة سوى الاموال والثياب وغير ذلك فمر العاس بيوسف وأصحابه ويوسف يصلى ورائحة الطيب تنفح من ثيابه فقال ما أنتم قالوا أسفار قال فأين تريدون قالوا بعض المواضع فأتوا طارقا وأصحابه فقالوا انا رأينا قوما أنكرناهم والرأى ان نقتلهم فان كانوا خوارج استرحنا منهم وان كانوا يريدونكم عرفتم ذلك فاستعددتم على أمرهم فنهوهم عن قتلهم فطافوا فلما كان فى السحر وقد انتقل يوسف وصار الى دور ثقيف فمر بهم العاس فقال ما أنتم فقالوا أسفار قال فأين تريدون قالوا بعض المواضع فأتوا طارقا وأصحابه فقالوا قد صاروا الى دور ثقيف والرأى أن نقتلهم فنعوهم وأمر يوسف بعض الثقفيين فقال أجمع لى من بها من مضر ففعل فدخل المسجد مع الفجر فأمر المؤذن بالاقامة فقال حتى يأتى الامام فانتهره فأقام وتقدم يوسف فقرأ إذا وقعت الواقعة وسأل سائل ثم أرسل الى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا وان القدور لتغلى قال عمر قال على بن محمد قال قال الربيع بن سابور مولى بنى الحريش وكان هشام جعل اليه الخاتم مع الحرس أتى هشاما كتاب خالد غاظه وقدم عليه فى ذلك اليوم جندب مولى يوسف بن عمر بكتاب يوسف فقرأه ثم قال لسالم مولى عنبسة بن عبد الملك أجبه عن لسانك وكتب هو بخطه كتابا صغيرا ثم قال لى ائتنى بكتاب سالم وكان سالم على الديوان فأتيته به فأدرج فيه الكتاب الصغير ثم قال لى اختمه ففعلت ثم دعا برسول يوسف فقال ان صاحبك لمتعد

طورة ويسأل فوق قدره ثم قال لى مزّق ثيابه ثم أمر به فضرب أسواطا فقال اخرجه
عنى وادفع اليه كتابه فدفعتُ اليه الكتاب وقلت له ويلك النجاء فارتاب بَشير بن أبى ثلجة
من أهل الاردنّ وكان خليفة سالم وقال هذه حيلة وقد ولى يوسف العراق فكتب الى عامل
لسالم على أجَمَة سالم يقال له عياض ان أهلك قد بعثوا اليك بالثوب اليمانى فاذا أتاك فالبسه
واحمد الله وأعلِمْ ذلك طارقا فبعث عياض الى طارق بن أبى زياد بالكتاب وندم بشير على
كتابه وكتب الى عياض ان أهلك قد بدا لهم فى امساك الثوب فلا تتّكل عليه فجاء عياض
بالكتاب الآخر الى طارق فقال طارق الخبر فى الكتاب الاول ولكن صاحبك ندم
وخاف أن يظهر الخبر فكتب بهذا وركب طارق من الكوفة الى خالد وهو بواسط فسار
يوما وليلة فصبّحهم فرآه داود البَربَرىّ وكان على حجابة خالد وحرسه وعلى ديوان الرسائل
فأعلم خالدا فغضب وقال قدم بغير اذن فأذن له فلما رآه قال ما أقدمك قال أمر كنت
أخطأت فيه قال وما هو قال وفاة أسد رحمه الله كتبتُ الى الامير أعزّيه عنه وانما كان ينبغى
لى أن آتيه ماشيا فرق خالد ودمعت عينه وقال ارجع الى عملك قال أردتُ أن أذكر للامير
أمرا أسرّه قال ما دون داود سرٌّ قال أمر من أمرى فغضب داود وخرج وأخبر طارق
خالدا قال فا الرأى قال تركب الى أمير المؤمنين فتعتذر اليه من شىءٍ إن كان بلغه عنك قال
فبئس الرجل أنا اذًا ان ركبتُ اليه بغير اذنه قال فشىء آخر قال وما هو قال تسير فى عملك
وأتقدّمك الى الشأم فأستأذنه لك فانك لا تبلغ أقصى عملك حتى يأتيك اذنه قال ولا هذا قال
فأذهبُ فأضمن لأمير المؤمنين جميع ما انكسر فى هذه السنين وآتيك بعهدك مستقبلا
قال وما يبلغ ذاك قال مائة ألف ألف قال ومن أين آخذ هذا والله ما أجد عشرة آلاف درهم
قال أتحمّل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم والزَّينَبىّ وأبان بن الوليد عشرين
ألف ألف وتفرّق الباقى على العمال قال انى اذًا للئيم ان كنت سوَّغتُ قوما شيأ ثم أرجع
فيه فقال طارق انما نقيك ونقى أنفسنا بأموالنا ونستأنف الدنيا وتبقى النعمة عليك وعلينا
خير من أن يجىء من يطالبنا بالاموال وهى عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسون ويتربَّصون
بنا فنقتل ويأكلون تلك الاموال فأبى خالد فودَّعه طارق وبكى وقال هذا آخر ما نلتقى فى
الدنيا ومضى ودخل داود فأخبره خالد بقول طارق فقال قد علم أنك لا تخرج بغير اذن فأراد
أن يختلك ويأتى الشأم فيتقبل بالعراق هو وابن أخيه سعيد بن راشد فرجع طارق الى
الكوفة وخرج خالد الى الحمّة قال وقدم رسول يوسف عليه اليمن فقال له ما وراءك قال
الشرُّ أمير المؤمنين ساخط وقد ضربنى ولم يكتب جواب كتابك وهذا كتاب سالم صاحب
الديوان ففضَّ الكتاب فقرأه فلما انتهى الى آخره قرأ كتاب هشام بخطه ان سر الى
العراق فقد وليتك اياه واياك أن يعلم بذاك أحد وخذ ابن النصرانية وعماله فأشفنى منهم

فقال يوسف أنظروا دليلا عالما بالطريق فأتى بعدة فاختار منهم رجلا وسار من يومه واستخلف على اليمن ابنه الصلت فشيَّعه فلما أراد أن ينصرف سأله أين تريد فضربه مائة سوط وقال يا ابن اللخناء أيخفى عليك اذا استقرَّ بى منزلٌ فسار فكان اذا أتى الى طريقين سأل فاذا قيل هذا الى العراق قال أعرق حتى أتى الكوفة قال عمر قال علىٌّ عن بشر بن عيسى عن أبيه قال قال حسان النبطى هيّأتُ لهشام طيبا فانى لبين يديه وهو ينظر الى ذلك الطيب اذ قال لى يا حسان في كم يقدم القادم من العراق الى اليمن قال قلتُ لا أدرى فقال

أمرتُكَ أمرًا حازمًا فعصيتَنى * فأصبحتَ مسلوبَ الإِمارةِ نادما

قال فلم يلبث الا قليلا حتى جاء كتاب يوسف من العراق قد قدمها وذلك فى جمادى الآخرة سنة ١٢٠ قال عمر قال علىٌّ قال سالم زنبيل لما صرنا الى النَّجف قال لى يوسف انطلق فأتنى بطارق فلم أستطع ان آبى عليه وقلت في نفسى من لى بطارق فى سلطانه ثم أتيتُ الكوفة فقلت لغلمان طارق استأذنوا لى على طارق فضربونى فصحتُ له ويلك يا طارق أنا سالم رسول يوسف وقد قدم على العراق فخرج فصاح بالغلمان وقال أنا آتيه قال ورُوى أن يوسف قال لكيسان انطلق فأتنى بطارق فإن كان قد أقبل فاحمله على أكاف وان لم يكن أقبل فأتِ به سَحْبًا قال فأتيتُ بالحيرة دار عبد المسيح وهو سيد أهل الحيرة فقلت له ان يوسف قد قدم على العراق وهو يأمرك أن تشدَّ طارقا وتأتيه به فخرج هو وولده وغلمانه حتى أتوا منزل طارق وكان لطارق غلام شجاع معه غلمان شجعاء لهم سلاح وعُدَّة فقال لطارق ان أذنتَ لى خرجتُ الى هؤلاء فيمن معى فقتلتهم ثم طرتَ على وجهك فذهبت حيث شئت قال فأذن لكيسان فقال اخبرنى عن الامير يريد المال قال نعم قال فأنا أعطيه ما سأل وأقبلوا الى يوسف فتوافوا بالحيرة فلما عاينه ضربه ضربا مبرحا يقال خمسمائة سوط ودخل الكوفة وأرسل عطاء بن مقدَّم الى خالد بالحمة قال عطاء فأتيتُ الحاجب فقلتُ استأذنْ لى على أبى الهيثم فدخل وهو متغير الوجه فقال له خالد مالك قال خير قال ما عندك خير قال عطاء بن مقدم قال استأذن لى على أبى الهيثم فقال ائذن له فدخلتُ فقال ويلُ امها سُخْطَة قال فلم أستقرّ حتى دخل الحكم بن الصلت فقعد معه فقال له خالد ما كان ليَلِى علىَّ أحد هو أحبُّ الىَّ منكم وخطب يوسف بالكوفة فقال ان أمير المؤمنين أمرنى بأخذ عمال ابن النصرانية وأن أشفيه منهم وسأفعل وأزيد والله يا أهل العراق ولأقتلنّ منافقيكم بالسيف وجُناتكم بالعذاب وفسّاقكم ثم نزل ومضى الى واسط وأتى بخالد وهو بواسط قال عمر قال حدَّثنى الحكم بن النضر قال سمعتُ أبا عبيدة يقول لما حبس يوسف خالدا صالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ثم ندم يوسف وقيل له لو لم تفعل لأخذتَ منه مائة ألف ألف درهم قال ما كنتُ لأرجع وقد رهنت لسانى بشىء وأخبر

أصحاب خالد خالدا فقال قد أسأتم حين أعطيتموه عند أول وهلة تسعة آلاف ألف ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم فارجعوا فجاؤا فقالوا انا قد أخبرنا خالدا فلم يرض بما ضمنا وأخبرنا أن المال لا يمكنه فقال أنتم أعلم وصاحبكم فأما أنا فلا أرجع عليكم فان رجعتم لم أمنعكم قالوا فانا قد رجعنا قال وقد فعلتم قالوا نعم قال فمنكم أتى النقض فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا مثلها ولا مثليها فأخذ أكثر من ذلك وقد قيل انه أخذ مائة ألف ألف * وذكر الهيثم بن عدى عن ابن عياش أن هشاما أزمع على عزل خالد وكان سبب ذلك أنه اعتقد بالعراق أموالا وحفر أنهارا حتى بلغت غلته عشرين ألف ألف منها نهر خالد وكان يغل خمسة آلاف ألف وباجوى وبارمانا والمبارك والجامع وكورة سابور والصلح وكان كثيرا ما يقول انني والله مظلوم ما تحت قدمي من شيء الا وهو لي يعني أن عمر جعل لبجيلة ربع السواد قال الهيثم بن عدى أخبرني الحسن بن عمارة عن العريان بن الهيثم قال كنت كثيرا ما أقول لأصحابي انى أحسب هذا الرجل قد تخلى منه أن قريشا لا تحتمل هذا ونحوه وهم أهل حسد وهذا يظهر ما يظهر فقلت له يوما أيها الامير ان الناس قد رموك بأبصارهم وهي قريش وليس بينك وبينها إل وهم يجدون منك بدا وأنت لا تجد منهم بدا فأنشدك الله الا ما كتبت الى هشام تخبره عن أموالك وتعرض عليه منها ما أحب فما أقدرك على أن تتخذ مثلها وهو لا يستفسدك وان كان حريصا على ذلك فلعمري لأن يذهب بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ولا آمن أن يأتيه باغ أو حاسد فيقبل منه فلأن تعطيه طائعا خير من أن تعطيه كارها فقال ما أنت بمتهم ولا يكون ذلك أبدا قال فقلت أطعني واجعلني رسولك فوالله لا يحل عقدة الا شددتها ولا يشد عقدة الا حللتها قال انا والله لا نعطي على الذل قال قلت هل كانت لك هذه الضياع الا في سلطانه وهل تستطيع الامتناع منه ان أخذها قال لا قلت فبادره فانه يحفظها لك ويشكرك عليها ولو لم تكن له عندك يد الا ما ابتدأك به كنت جديرا أن تحفظه قال لا والله لا يكون ذلك أبدا قال قلت فما كنت صانعا اذا عزلك وأخذ ضياعك فاصنعه فان اخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا الك وأكثروا عليه فيك ولك صنائع تعود عليهم بما بدا لك ثم استدرك استتمام ما كان منك الى صنائعك من هشام قال قد أبصرت ما تقول وليس الى ذلك سبيل وكان العريان يقول كأنكم به قد عزل وأخذ ماله وتجني عليه ثم لا ينتفع بشيء قال فكان كذلك قال الهيثم وحدثني ابن عياش أن بلال بن أبي بردة كتب الى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتب هشام عليه أنه حدث أمر لا أجد بدا من مشافهتك فيه فان رأيت أن تأذن لي فانما هي ليلة ويومها اليك ويوم عندك وليلة ويومها منصرفا فكتب اليه أن أقبل اذا شئت فركب هو وموليان له الجمازات فسار يوما وليلة ثم

صلى المغرب بالكوفة وهي ثمانون فرسخا فأخبر خالد بمكانه فأتاه وقد تعصب فقال أبا عمرو أتعبت نفسك قال أجل قال متى عهدك بالبصرة قال أمس قال أحق ما تقول قال هو والله ما قلت قال فما أنصبك قال ما بلغني من تعتب أمير المؤمنين وقوله وما بلغك به ولده وأهل بيته فان رأيت أتعرض له وأعرض عليه بعض أموالنا ثم ندعوه منها الى ما أحب وأنفسنا به طيبة ثم أعرض عليه مالك فما أخذ منه فعلينا العوض منه بعد قال ما اتهمك وحتى أنظر قال انى أخاف أن تعاجل قال كلا قال ان قريشا من قد عرفت ولا سيما سرعتهم اليك قال يا بلال انى والله ما أعطى شيأ قسرا أبدا قال أيها الامير أتكلم قال نعم قال ان هشاما أعذر منك يقول استعملتك وليس لك شيء فلم تر من الحق عليك أن تعرض على بعض ما صار اليك وأخاف أن يزين له حسان النبطي ما لا تستطيع ادراكه فاغتنم هذه الفترة قال أنا ناظر في ذلك فانصرف راشدا فانصرف بلال وهو يقول كانكم بهذا الرجل قد بعث اليه رجل بعيد أتى به حمز بغيض النفس سخيف الدين قليل الحياء يأخذه بالاحن والترات فكان كما قال قال ابن عياش وكان بلال قد اتخذ دارا بالكوفة وانما استأذن خالدا لينظر الى داره فما نزلها الا مقيدا ثم جعلت سجنا الى اليوم قال ابن عياش كان خالد يخطب فيقول انكم زعمتم انى أغلى أسعاركم فعلى من يغليها لعنة الله وكان هشام كتب الى خالد لا تبيعن من الغلات شيأ حتى تباع غلات أمير المؤمنين حتى بلغت كيلجة درهما (قال الهيثم) عن ابن عياش كانت ولاية خالد فى شوال سنة ١٠٥ ثم عزل فى جمادى الاولى سنة ١٢٠ ﴿وفى هذه السنة﴾ قدم يوسف بن عمر العراق واليا عليها وقد ذكرت قبل سبب ولايته عليها ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى خراسان يوسف بن عمر جديع بن على الكرمانى وعزل جعفر بن حنظلة * وقيل ان يوسف لما قدم العراق أراد أن يولى خراسان سلم بن قتيبة فكتب بذلك الى هشام ويستأذنه فيه فكتب اليه هشام ان سلم بن قتيبة رجل ليس له بخراسان عشيرة ولو كان له بها عشيرة لم يقتل بها أبوه وقيل ان يوسف كتب الى الكرمانى بولاية خراسان مع رجل من بنى سليم وهو بمرو فخرج الى الناس يخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وذكر أسدا وقدومه خراسان وما كانوا فيه من الجهد والفتنة وما صنع لهم على يديه ثم ذكر أخاه خالدا بالجميل وأثنى عليه وذكر قدوم يوسف العراق وحث الناس على الطاعة ولزوم الجماعة ثم قال غفر الله للميت يعنى أسدا وعافى الله المعزول وبارك للقادم ثم نزل ﴿وفى هذه السنة﴾ عزل الكرمانى عن خراسان ووليها نصر بن سيار بن ليث بن رافع بن ربيعة بن جرى بن عوف بن عامر بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وأمه زينب بنت حسان من بنى تغلب

ذكر

ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيار خراسان

ذكر علىّ بن محمد عن شيوخه أن وفاة أسد بن عبد الله لما انتهت الى هشام بن عبد الملك استشار أصحابه فى رجل يصلح لخراسان فأشاروا عليه بأقوام وكتبوا له أسماءهم فكان ممن كُتب له عثمان بن عبد الله بن الشخّير ويحيى بن حضين بن المنذر الرقاشىّ ونصر بن سيار الليثى وقطن بن قتيبة بن مسلم والمجشّر بن مزاحم السلمىّ أحد بنى حرام فأما عثمان بن عبد الله بن الشخير فقيل له انه صاحب شراب وقيل له المجشّر شيخ هرمٌ وقيل له ابن حضين رجل فيه تيه وعظمة وقيل له قطن بن قتيبة موتورٌ فاختار نصر بن سيار فقيل له ليست له بها عشيرة فقال هشام أنا عشيرته فولاه وبعث بعهده مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهفّانىّ هفان بن عدىّ بن حنيفة فأقبل عبد الكريم بعهده ومعه أبو المهند كاتبه مولى بنى حنيفة فلما قدم سرخس ولا يعلم به أحد وعلى سرخس حفص بن عمر بن عباد التيمىّ أخو تميم بن عمر فأخبره أبو المهنّد فوجّه حفص رسولا فحمله الى نصر ونفذ ابن سليط الى مرو فأخبر أبو المهند الكرمانىّ فوجه الكرمانىّ نصر بن حبيب بن بحر بن ماسك بن عمر الكرمانىّ الى نصر بن سيار فسبق رسول حفص الى نصر بن سيار فكان أوّل من سلم عليه بالامرة فقال له نصر لعلك شاعر مكّار فدفع اليه الكتاب وكان جعفر بن حنظلة ولى عمرو ابن مسلم مرو وعزل الكرمانىّ وولى منصور بن عمر وأبرشهر وولى نصر بن سيار بخارى فقال جعفر بن حنظلة دعوتُ نصرا قبل أن يأتيه عهده بأيام فعرضتُ عليه أن أوليه بخارى فشاور البخترىّ بن مجاهد فقال له البخترىّ وهو مولى بنى شيبان لا تقبلها قال ولم قال لانك شيخ مضر بخراسان فكأنك بعهدك قد جاء على خراسان كلها فلما أتاه عهده بعث الى البخترىّ فقال البخترىّ لأصحابه قد ولى نصر بن سيار خراسان فلما أتاه سلم عليه بالامرة فقال له أنى علمتَ قال لما بعثتَ الىّ وكنت قبل ذلك تأتينى علمتُ انك قد وَليتَ قال وقد قيل ان هشاما قال لعبد الكريم حين أتاه خبر أسد بن عبد الله بموته مَن ترى أن نولى خراسان فقد بلغنى أن لك بها وبأهلها علما قال عبد الكريم قلتُ يا أمير المؤمنين أما رجل خراسان حزما ونجدةً فالكرمانىّ فأعرض بوجهه وقال ما اسمه قلتُ جديع بن على قال لا حاجة لى فيه وتطيّر وقال سمّ لى غيره قلتُ اللسن المجرّب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانىّ أبو الميلاء قال ربيعة لا تُسَدّ بها الثغور قال عبد الكريم فقلت فى نفسى كره ربيعة واليمن فأرميه بمضر فقلتُ عقيل بن معقل الليثىّ ان اغتفرتَ هنةً قال ماهى قلت ليس بالعفيف قال لا حاجة لى به قلت منصور بن أبى الخرقاء السلمىّ ان اغتفرت نكرة فانه مشؤم قال غيره قلت المجشر بن مزاحم السلمىّ عاقل شجاع له رأى مع كذب فيه قال لا خير فى الكذب قلت يحيى بن حضين قال ألم أخبرك أن ربيعة لا تسدّ

بها الثغور قال فكان اذا ذكرت له ربيعة واليمن أعرض قال عبد الكريم وأخرت نصرا وهو أرجل القوم وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة فقلت نصر بن سيار الليثى قال هو لها قلت ان اغتفرت واحدة فانه عفيف مجرب عاقل قال ما هى قلت عشيرته بها قليلة قال لا أبالك أتريد عشيرة أكثر منى أنا عشيرته وقال آخرون لما قدم يوسف بن عمر العراقى قال أشيروا على برجل أوليه خراسان فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله بن خازم وقديد بن منيع المنقرى ونصر بن سيار وعمرو بن مسلم ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبى الخرقاء وسلم بن قتيبة ويونس بن عبد ربه وزياد بن عبد الرحمن القشيرى فكتب يوسف بأسمائهم الى هشام وأطرى القيسية وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانى فقال هشام ما بال الكنانى آخرهم وكان فى كتاب يوسف اليه يا أمير المؤمنين نصر بخراسان قليل العشيرة فكتب اليه هشام قد فهمت كتابك واطراءك القيسية وذكرت نصرا وقلة عشيرته فكيف يقل من أنا عشيرته ولكنك تقيست على وأنا متخندف عليك ابعث بعهد نصر فلم يقل من عشيرته أمير المؤمنين بله ما ان تميما أكثر أهل خراسان فكتب الى نصر أن يكاتب يوسف بن عمر وبعث يوسف سلما وافدا الى هشام وأثنى عليه فلم يوله ثم أوفد شريك بن عبد ربه النميرى وأثنى عليه ليوليه خراسان فأبى عليه هشام قال وأوفد نصر من خراسان الحكم بن يزيد بن عمير الاسدى الى هشام وأثنى عليه نصر فضربه يوسف ومنعه من الخروج الى خراسان فلما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يزيد على كرمان وبعث بعهد نصر مع عبد الكريم الحنفى ومعه كاتبه أبو المهند مولى بنى حنيفة فلما أتى سرخس وقع الثلج فأقام ونزل على حفص بن عمر بن عباد التيمى فقال له قدمت بعهد نصر على خراسان قال وهو عامل يومئذ على سرخس فدعا حفص غلامه فحمله على فرس وأعطاه مالا وقال له طر واقتل الفرس فان قام عليك فاشتر غيره حتى تأتى نصرا قال فخرج الغلام حتى قدم على نصر ببلخ فيجده فى السوق فدفع اليه الكتاب فقال أتدرى ما فى هذا الكتاب قال لا فأمسكه بيده وأتى منزله فقال الناس أتى نصرا عهده على خراسان فأتاه قوم من خاصته فسألوه فقال ما جاءنى شئ فمكث يومه فدخل عليه من الغد أبو حفص بن على أحد بنى حنظلة وهو صهره وكانت ابنته تحت نصر وكان أهوج كثير المال فقال له ان الناس قد خاضوا وأكثروا فى ولايتك فهل جاءك شئ فقال ما جاءنى شئ فقام ليخرج فقال مكانك وأقرأه الكتاب فقال ما كان حفص ليكتب اليك الا بحق قال فبينا هو يكلمه اذ استأذن عليه عبد الكريم فدفع اليه عهده فوصله بعشرة آلاف درهم ثم استعمل نصر على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم واستعمل وشاح بن بكير بن وشاح على مرو الروذ والحارث بن عبد الله بن الحشرج على هراة وزياد

ابن

ابن عبد الرحمن القشيرى على أبرشهر وأبا حفص بن على ختنه على خوارزم وقطن بن قتيبة على السغد فقال رجل من أهل الشأم من اليمانية ما رأيت عصبية مثل هذه قال بلى التى كانت قبل هذه فلم يستعمل أربع سنين الا مضريا وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها ووضع الخراج وأحسن الولاية والجباية فقال سوار بن الأشعر

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسفا أخبار ما لقيت * إختار نصرًا لها نصر بن سيار

وقال نصر بن سيار فيمن كره ولايته

تعز عن الصبابة لا تلام * كذلك لا يلم بك احتمام
أإن سخطت كبيرة بعد قرب * كلفت بها وباشرك السقام
ترجى اليوم ما وعدت حديثا * وقد كذبت مواعدها الكرام
ألم تر أن ما صنع الغوانى * عسير لا يريغ به الكلام
أبت لى طاعتى وأبى بلائى * وفوزى حين يعترك الخصام
وإنا لا نضيع لنا ملما * ولا حسبا اذا ضاع الذمام
ولا نغضى على غدر وإنا * نقيم على الوفاء فلا نلام
خليفتنا الذى فازت يداه * بقدح الحمد والملك الهمام
نسوسهم به ولنا عليهم * إذا قلنا مكارمه جسام
أبو العاصى أبوه وعبد شمس * وحرب والقماقمة الكرام
ومروان أبو الخلفاء عال * عليه المجد فهو لهم نظام
وبيت خليفة الرحمن فينا * وبيتاه المقدس والحرام
ونحن الأكرمون إذا نسبنا * وعرنين البرية والسنام
فأمسينا لنا من كل حى * خراطيم البرية والزمام
لنا أيد نريش بها ونبرى * وأيد فى بوادرها السمام
وبأس فى الكريهة حين نلقى * إذا كان النذير بها الحسام

قال وأتى نصرا عهده فى رجب من سنة ١٢٠ وقال له البخترى اقرأ عهدك واخطب الناس فخطب الناس فقال فى خطبته استمسكوا أصحابنا بجدتكم فقد عرفنا خيركم وشركم ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وقد قيل ان الذى حج بهم فيها سليمان بن هشام وقيل حج بهم يزيد بن هشام وكان العامل فى هذه السنة على المدينة ومكة

والطائف محمد بن هشام وعلى العراق والمشرق كله يوسف بن عمر وعلى خراسان نصر بن سيار وقيل جعفر بن حنظلة وعلى البصرة كثير بن عبد الله السلمى من قبل يوسف بن عمر وعلى قضائها عامر بن عبيدة الباهلى وعلى أرمينية وآذربيجان مروان بن محمد وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة

## ﴿ ثم دخلت سنة احدى وعشرين ومائة ﴾

### ﴿ ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث ﴾

فمن ذلك غزوة مسلمة بن هشام بن عبد الملك الروم فافتتح بها مطامير وغزوة مروان بن محمد بلاد صاحب سرير الذهب فافتتح قلاعه وخرب أرضه وأذعن له بالجزية فى كل سنة ألف رأس يؤديه اليه وأخذ منه بذلك الرهن وملكه مروان على أرضه ﴿وفيها﴾ ولد العباس بن محمد ﴿وفيها﴾ قتل زيد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب فى قول الواقدى فى صفر وأما هشام بن محمد فانه زعم أنه قتل فى سنة ١٢٢ فى صفر منها

### ﴿ ذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه ﴾

اختلف فى سبب خروجه فأما الهيثم بن عدى فانه قال فيما ذكر عنه عن عبد الله بن عياش قال قدم زيد بن على ومحمد بن عمر بن على بن أبى طالب وداود بن على بن عبد الله بن عباس على خالد بن عبد الله وهو على العراق فأجازهم ورجعوا الى المدينة فلما ولى يوسف ابن عمر كتب الى هشام بأسمائهم وبما أجازهم به وكتب يذكر أن خالدا ابتاع من زيد بن على أرضا بالمدينة بعشرة آلاف دينار ثم رد الارض عليه فكتب هشام الى عامل المدينة أن يسرحهم اليه ففعل فسألهم هشام فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك فسأل زيدا عن الارض فأنكرها وحلفوا لهشام فصدقهم وأما هشام بن محمد الكلبى فانه ذكر أن أبا مخنف حدثه أن أول أمر زيد بن على كان أن يزيد بن خالد القسرى ادعى مالا قبل زيد ابن على ومحمد بن عمر بن على بن أبى طالب وداود بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وابراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومى فكتب فيهم يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك وزيد بن على يومئذ بالرصافة يخاصم بنى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحمد بن عمر بن على يومئذ مع زيد بن على فلما قدمت كتب يوسف بن عمر على هشام بن عبد الملك بعث اليهم فذكر لهم ما كتب به يوسف بن عمر اليه مما ادعى قبلهم يزيد بن خالد فانكروا فقال لهم هشام فانا باعثون بكم اليه يجمع بينكم وبينهم فقال له زيد بن على أنشدك الله والرحم ان تبعث بى الى يوسف بن عمر قال وما الذى تخاف من يوسف بن عمر قال أخاف ان يعتدى على قال له هشام ليس ذلك له ودعا هشام كاتبه

فكتب الى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قدم عليك فلان وفلان فاجمع بينهم وبين يزيد بن خالد القسرى فان هم اقرّوا بما ادعى عليهم فسرح بهم الى وان هم أنكروا فسله بينة فان هو لم يقم البينة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذى لا اله الا هو ما استودعهم يزيد بن خالد القسرىّ وديعة ولا له قبلهم شىء ثم خلّ سبيلهم فقالوا لهشام انا نخاف ان يتعدّى كتابك ويطول علينا قال كلا أنا باعث معكم رجلا من الحرس يأخذه بذلك حتى يعجل الفراغ فقالوا جزاك الله والرحم خيرا لقد حكمت بالعدل فسرّح بهم الى يوسف واحتبس أيوب بن سلمة لأن أمّ هشام بن عبد الملك ابنة هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومىّ وهو فى أخواله فلم يؤخذ بشىء من ذلك القرف فلما قدموا على يوسف فأدخلوا عليه فأجلس زيد بن على قريبا منه وألطفه فى المسألة ثم سألهم عن المال فانكروا جميعا وقالوا لم يستودعنا مالا ولا له قبلنا حق فاخرج يوسف يزيد بن خالد اليهم فجمع بينه وبينهم وقال له هذا زيد بن علىّ وهذا محمد بن عمر بن علىّ وهذا فلان وفلان الذين كنت ادعيت عليهم ما ادعيت فقال مالى قبلهم قليل ولا كثير فقال يوسف أفبى تهزأ أم بأمير المؤمنين فعذّبه يومئذ عذابا ظنّ انه قد قتله ثم أخرجهم الى المسجد بعد صلاة العصر فاستحلفهم فحلفوا له وأمر بالقوم فبسط عليهم ماعدا زيد بن علىّ فانه كف عنه فلم يقدر عند القوم على شىء فكتب الى هشام يعلمه الحال فكتب اليه هشام ان استحلفهم وخل سبيلهم فخلى عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة وأقام زيد بن على بالكوفة وذكر عبيد ابن جناد عن عطاء بن مسلم الخفاف ان زيد بن على رأى فى منامه انه أضرم فى العراق نارا ثم أطفأها ثم مات فهالته فقال لابنه يحيى يابنى انى رأيت رؤيا قد راعتنى فقصها عليه وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك يأمره بالقدوم عليه فقدم فقال له الحق بأميرك يوسف فقال له نشدتك بالله ياأمير المؤمنين فوالله ما آمن ان بعثتنى اليه ان لا اجتمع أنا وأنت حيّين على ظهر الارض بعدها فقال الحق بيوسف كما تؤمر فقدم عليه ﴿وقد قيل﴾ ان هشام بن عبد الملك انما استقدم زيدا من المدينة عن كتاب يوسف بن عمر وكان السبب فى ذلك فيما زعم أبو عبيدة ان يوسف بن عمر عذب خالد بن عبد الله فادعى خالد انه استودع زيد بن علىّ وداود ابن علىّ بن عبد الله بن عباس ورجلين من قريش أحدهما مخزومىّ والآخر جُمَحىّ مالا عظيما فكتب بذلك يوسف الى هشام فكتب هشام الى خاله ابراهيم بن هشام وهو عامله على المدينة يأمره بحملهم اليه فدعا ابراهيم بن هشام زيدا وداود فسألهما عما ذكر خالد فحلفا ما أودعهما خالد شيأ فقال انكما عندى لصادقان ولكن كتاب أمير المؤمنين قد جاء بما تريان فلابد من انفاذه فحملهما الى الشأم فحلفا بالايمان الغلاظ ما أودعهما خالد شيأ قط وقال داود كنت قدمت عليه العراق فأمر لى بمائة ألف درهم فقال هشام أنتما عندى أصدق من ابن النصرانية فاقدما على يوسف حتى يجمع بينكما وبينه فتكذباه فى وجهه وقيل ان زيدا

انما قدم على هشام مخاصما ابن عمه عبد الله بن حسن بن حسن بن على ذكر ذلك عن
جُوَيرية بن أسماء قال شهدتُ زيد بن على وجعفر بن حسن بن حسن يختصمان في ولاية
وقوف على وكان زيد يخاصم عن بنى حُسَين وجعفر يخاصم عن بنى حسن فكان جعفر
وزيد يتبالغان بين يدى الوالى الى كل غاية ثم يقومان فلا يعيدان مما كان بينهما حرفا فلما
مات جعفر قال عبد الله من يكفينا زيدا قال حسن بن حسن بن حسن أنا أكفيكه قال كلا
انا نخاف لسانك ويدك ولكنى أنا قال اذن لا تبلغ حاجتك وحجتك قال أما حجتى
فسأبلغها فتنازعا الى الوالى والوالى يومئذ عندهم فيما قيل ابراهيم بن هشام قال فقال عبد
الله لزيد أتطمع ان تنالها وأنت لأمَةٍ سِنْدِيَّة قال قد كان اسماعيل لأمة فنال أكثر منها فسكت
عبد الله وتبالغا يومئذ كل غاية فلما كان الغد أحضرهم الوالى وأحضر قريشا والانصار
فتنازعا فاعترض رجل من الانصار فدخل بينهما فقال له زيد وما أنت والدخول بيننا وأنت
رجل من قحطان قال أنا والله خير منك نفسا وأبا وأما قال فسكت زيد وانبرى له رجل من
قريش فقال كذبت لعمر الله لهو خير منك نفسا وأبا وأما وأولا وآخرا وفوق الارض وتحتها
فقال الوالى وما أنت وهذا فأخذ القرشى كفا من الحصى فضرب به الارض وقال والله ما
على هذا من صبر وفطن عبد الله وزيد لشماتة الوالى بهما فذهب عبد الله ليتكلم فطلب اليه
زيد فسكت وقال زيد للوالى أمَ والله لقد جمعتنا لأمر ما كان أبو بكر ولا عمر ليجمعانا على مثله
وانى أشهد الله ان لا انازعه اليك محقا ولا مبطلا ما كنت حيا ثم قال لعبد الله انهض يا ابن عم
فنهضا وتفرق الناس وقال بعضهم لم يزل زيد ينازع جعفر بن حسن ثم عبد الله بعده حتى
ولى هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة فتنازعا فأغلظ عبد
الله لزيد وقال يا ابن الهندكية فتضاحك زيد وقال قد فعلتها يا أبا محمد ثم ذكر أمه بشىء وذكر
المدائنى ان عبد الله لما قال ذلك لزيد قال زيد أجل والله لقد صبرت بعد وفاة سيدها فما
تعتبت بابها اذلم يصبر غيرها قال ثم ندم زيد واستحى من عمته فلم يدخل عليها زمانا فأرسلت
اليه يا ابن أخى انى لأعلم ان أمك عندك كأم عبد الله عنده وقيل ان فاطمة أرسلت الى زيد
ان سبَّ عبد الله امكَ فاسبب أمه وانها قالت لعبد الله أقلت لأم زيد كذا وكذا قال نعم قالت
فبئس والله ما صنعت أمَ والله لنعم دخيلة القوم كانت فذكر ان خالد بن عبد الملك قال لهما
أغدوا علينا غدا افلستُ لعبد الملك ان لم أفصل بينكما فباتت المدينة تغلى كالمرجل يقول قائل
كذا وقائل كذا قائل يقول قال زيد كذا وقائل يقول قال عبد الله كذا فلما كان الغد جلس
خالد في المجلس فى المسجد واجتمع الناس فمن شامت ومن مهموم فدعا بهما خالد وهو يحبُّ
ان يتشاتما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لا تعجل يا أبا محمد أعتق زيد ما يملك ان
خاصمك الى خالد أبدا ثم أقبل على خالد فقال له يا خالد لقد جمعت ذرّيّة رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم لامر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر قال خالد أما لهذا السفيه أحد فتكلم
رجل من الانصار من آل عمرو بن حزم فقال يا ابن أبي تراب وابن حسين السفيه ما ترى لوال
عليك حقا ولا طاعة فقال زيد اسكت أيها القحطاني فانا لا نجيب مثلك قال ولم ترغب عني
فوالله انى لخير منك وأبى خير من أبيك وأمى خير من أمك فتضاحك زيد وقال يا معشر
قريش هذا الدين قد ذهب أفذهبت الاحساب فوالله انه ليذهب دين القوم وما تذهب
أحسابهم فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت والله أيها
القحطاني فوالله لهو خير منك نفسا وأبا وأما ومحتدا وتناوله بكلام كثير قال القحطاني دعنا
منك يا ابن واقد فاخذ ابن واقد كفا من حصى فضرب بها الارض ثم قال له والله ما لنا على هذا
صبر وقام وشخص زيد الى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له فيرفع اليه القصص فكلما
رفع اليه قصة كتب هشام فى أسفلها ارجع الى أميرك فيقول زيد والله لا أرجع الى خالد أبدا
وما أسأل مالا انما أنا رجل مخاصم ثم أذن له يوما بعد طول حبس فذكر عمر بن شبة عن
أيوب بن عمر بن أبي عمر قال حدثني محمد بن عبد العزيز الزهرى قال لما قدم زيد بن على
على هشام بن عبد الملك أعلمه حاجبه بمكانه فرقى هشام الى علية له طويلة ثم أذن له وأمر
خادما ان يتبعه وقال لا يرينك واسمع ما يقول قال فاتبعته الدرجة وكان بادنا فوقف فى
بعضها فقال والله لا يحب الدنيا أحد الا ذل فلما صار الى هشام قضى حوائجه ثم مضى نحو
الكوفة ونسى هشام ان يسأل الخادم حتى مضى لذلك أيام ثم سأله فأخبره فالتفت الى الابرش
فقال والله ليأتينك خلعه أول شئ فلم يأته أول من ذلك شئ وكان كما قال وذكر عن زيد انه
حلف لهشام على أمر فقال له لا أصدقك فقال يا أمير المؤمنين ان الله لم يرفع قدر أحد عن ان
يرضى بالله ولم يضع قدر أحد عن ان لا يرضى بذلك منه فقال له هشام لقد بلغني يا زيد انك
تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك وأنت ابن أمة فقال زيد ان لك يا أمير المؤمنين جوابا قال
تكلم قال انه ليس أحد أولى بالله ولا أرفع عنده منزلة من نبى ابتعثه وقد كان اسماعيل من
خير الانبياء وولد خيرهم محمدا صلى الله عليه وسلم وكان اسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة
مثلك فاختاره الله عليه وأخرج منه خير البشر وما على أحد من ذلك جده رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما كانت أمه فقال له هشام أخرج قال أخرج ثم لا ترانى الا حيث تكره فقال
له سالم يا أبا الحسين لا يظهرن هذا منك ﴿رجع الحديث﴾ الى حديث هشام بن محمد الكلبى
عن أبي مخنف قال فجعلت الشيعة تختلف الى زيد بن على وتأمره بالخروج ويقولون انا
لنرجو أن تكون المنصور وان يكون هذا الزمان الذى يهلك فيه بنو أمية فاقام بالكوفة فجعل
يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو ها هنا فيبعث اليه أن اشخص فيقول نعم ويعتل له بالوجع
فمكث ما شاء الله ثم سأل أيضا عنه فقيل له هو مقيم بالكوفة بعد لم يبرح فبعث اليه فاستحثه

الخروج وقد قدم زيد بن علىّ على أمير المؤمنين فى خصومة عمر بن الوليد ففصل أمير المؤمنين بينهما ورأى رجلا جدلا لسنا خليقا لتمويه الكلام وصوغه واجترار الرجال بحلاوة لسانه وبكثرة مخارجه فى حججه وما يُدلى به عند لدد الخصام من السطوة على الخصم بالقوّة الحادّة لنيل الفلج فعجل اشخاصه الى الحجاز ولا تخلّه والمقام قبلك فانه ان أعاره القوم اسماعهم فحشاها من لين لفظه وحلاوة منطقه مع ما يدلى به من القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم ميلا اليه غير متئدة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم ولا مصونة عندهم أديانهم وبعض التحامل عليه فيه أذى له واخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء والأمن للفرقة أحبّ الىّ من أمر فيه سفك دمائهم وانتشار كلمتهم وقطع نسلهم والجماعة حبلُ الله المتين ودين الله القويم وعروته الوثقى فادع اليك أشراف أهل المصر وأوعدهم العقوبة في الابشار واستصفاء الاموال فان من له عقد أو عهد منهم سيبطىء عنه ولا يخفّ معه الا الرعاع وأهل السواد ومن تنهضه الحاجة استلذاذا للفتنة وأولئك ممن يستعبد ابليس وهو يستعبدهم فبادهم بالوعيد واعضضهم بسوطك وجرّد فيهم سيفك وأخف الاشراف قبل الاوساط والاوساط قبل السفلة واعلم انك قائم على باب ألفة وداع الى طاعة وحاضّ على جماعة ومشمر لدين الله فلا تستوحش لكثرتهم واجعل معقلك الذى تأوى اليه وصغوك الذى تخرج منه الثقة بربك والغضب لدينك والمحاماة عن الجماعة ومناصبة من أراد كسر هذا الباب الذى أمرهم الله بالدخول فيه والتشاح عليه فإن أمير المؤمنين قد أعذر اليه وقضى من ذمامه فليس له متزّى الى ادعاء حق هوله ظلمه من نصيبه نفسه أوفىء أو صلة لذى قربى الا الذى خاف أمير المؤمنين من حمل بادرة السفلة على الذى عسى ان يكونوا به أشقى وأضلّ ولهم أمرّ ولأمير المؤمنين أعزّ وأسهل الى حياطة الدين والذب عنه فانه لا يحبّ ان يرى فى أمته حالا متفاوتا نكالا لهم مفنيا فهو يستديم النظرة ويتأنى للرشاد ويجتنبهم على المخاوف ويستجرّهم الى المراشد ويعدل بهم عن المهالك فعل الوالد الشفيق على ولده والراعى الحدب على رعيته واعلم ان من حجتك عليهم فى استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم توفيتك أطماعهم وأعطية ذرّيّتهم ونهيك جندك ان ينزلوا حريمهم ودورهم فانتهز رضا الله فيما أنت بسبيله فانه ليس ذنبٌ أسرع تعجيل عقوبة من بغى وقد أوقعهم الشيطان ودلاهم فيه ودلهم عليه والعصمة بتارك البغى أولى فامير المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيته ويسأل إلهه ومولاه ووليه ان يصلح منهم ما كان فاسدا وان يسرع بهم الى النجاة والفوز انه سميع قريب ﴿رجع الحديث الى حديث هشام﴾ قال فرجع زيد الى الكوفة فاستخفى قال فقال له محمد بن عمر بن على بن أبى طالب حيث أراد الرجوع الى الكوفة أذكرك الله يا زيد لما لحقت باهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك الى ما يدعونك اليه فانهم

لا يفون لك فلم يقبل منه ذلك ورجع قال هشام قال أبو مخنف فاقبلت الشيعة لما رجع الى الكوفة يختلفون اليه ويبايعون له حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل فاقام بالكوفة بضعة عشر شهرا الا انه قد كان منها بالبصرة نحو شهرين ثم أقبل الى الكوفة فاقام بها وأرسل الى أهل السواد وأهل الموصل رجالا يدعون اليه قال وتزوّج حيث قدم الكوفة ابنة يعقوب بن عبد الله السلمى أحد بنى فرقد وتزوج ابنة عبد الله بن أبى العَنْبَس الازدى قال وكان سبب تزوّجه اياها ان أمها أم عمرو بنت الصلت كانت ترى رأى الشيعة فبلغها مكان زيد فأتته لتسلم عليه وكانت امرأة جسيمة جميلة لحيمة قد دخلت فى السن الا ان الكبر لا يستبين عليها فلما دخلت على زيد بن على فسلمت عليه ظن انها شابة فكلمته فاذا أفصح الناس لسانا وأجمله منظرا فسألها عن نسبها فانتسبت له وأخبرته ممن هى فقال لها هل لك رحمك الله ان تتزوّجينى قالت أنت والله رحمك الله رغبة لو كان من أمرى التزويج قال لها وما الذى يمنعك من ذلك قالت يمنعنى من ذلك انى قد أسننت فقال لها كلا قد رضيتُ ما أبعدك من أن تكونى قد أسننت قالت رحمك الله أنا أعلم بنفسى منك وبما أتى علىّ من الدهر ولو كنت متزوجة يوما من الدهر لما عدلتُ بك ولكن لى ابنة أبوها ابن عمى وهى أجمل منى وأنا أزوجكها ان أحببتَ قال قد رضيتُ ان تكون مثلك قالت له لكن خالقها ومصورها لم يرض ان يجعلها مثلى حتى جعلها أبيض وأوسم وأجسم وأحسن منى دلا وشكلا فضحك زيدٌ وقال لها قد رزقت فصاحة ومنطقا حسنا فأين فصاحتها من فصاحتك قالت أما هذا فلا علم لى به لانى نشأتُ بالحجاز ونشأت ابنتى بالكوفة فلا أدرى لعلّ ابنتى قد أخذت لغة أهلها فقال زيد ليس ذلك باكره الىّ ثم واعدَها موعدا فأتاها فتزوجها ثم بنى بها فولدت له جارية ثم انها ماتت بعدُ وكان بها معجبا قال وكان زيد بن على ينزل بالكوفة منازل شتى فى دار امرأته في الازد مرةً ومرةً فى أصهاره السلميين ومرة عند نصر بن خزيمة فى بنى عبس ومرة فى بنى غُبَر ثم انه تحول من بنى غبر الى دار معاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصارى في أقصى جبانة سالم السلولى وفى بنى نهد وبنى تغلب عند مسجد بنى هلال بن عامر فاقام يبايع أصحابه وكانت بيعته التى يبايع عليها الناس انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين وقسم هذا الفىء بين أهله بالسواء وردّ المظالم واقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا أتبايعون على ذلك فاذا قالوا نعم وضع يده على يده ثم يقول عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفين ببيعتى ولتقاتلن عدوى ولتنصحن لى في السر والعلانية فاذا قال نعم مسح يده على يده ثم قال اللهم اشهد فمكث بذلك بضعة عشر شهرا فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ فجعل من يريد ان يفى ويخرج معه يستعدُّ ويتهيأ فشاع أمره فى الناس ﴿وفى هذه السنة﴾

بالشخوص فاعتل عليه باشياء يبتاعها وأخبره انه فى جهازه ورأى جدّ يوسف في أمره فتهيأ ثم شخص حتى أتى القادسية وقال بعض الناس أرسل معه رسولا حتى بلغه العذيب فلحقته الشيعة فقالوا له أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك باسيافهم غداً وليس قبلك من أهل الشأم الا عدّة قليلة لوان قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكفتكهم باذن الله تعالى فننشدك الله لما رجعت فلم يزالوا به حتى ردّوه الى الكوفة وأما غير أبي مخنف فانه قال ماذكر عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم ان زيد بن عليّ لما قدم على يوسف قال له يوسف زعم خالد انه قد أودعك مالا قال انى يودعنى مالا وهو يشتم آبائى على منبره فأرسل الى خالد فأحضره فى عباءة فقال هذا زيد زعمت انك قد أودعته مالا وقد أنكر فنظر خالد في وجههما ثم قال أتريد ان تجمع مع اثمك فيّ اثما فى هذا وكيف أودعه مالا وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر قال فشتمه يوسف ثم رده وأما أبو عبيدة فذكر عنه انه قال صدق هشام زيدا ومن كان يوسف قرفه بما قرفه به ووجههم الى يوسف وقال انهم قد حلفوا الى وقبلت أيمانهم وأبرأتهم من المال وانما وجهتُ بهم اليك لتجمع بينهم وبين خالد فيكذبوه قال ووصلهم هشام فلما قدموا على يوسف أنزلهم وأكرمهم وبعث الى خالد فأتى به فقال قد حلف القوم وهذا كتاب أمير المؤمنين ببراءتهم فهل عندك بينة بما ادعيت فلم تكن له بينة فقال القوم لخالد ما دعاك الى ما صنعت قال غلظ عليّ العذاب فادعيت ما ادّعيتُ وأمّلتُ ان يأتى الله بفرج قبل قدومكم فاطلقهم يوسف فمضى القرشيان الجمحى والمخزومى الى المدينة وتخلف الهاشميان داود بن على وزيد بن عليّ بالكوفة وذكر ان زيدا أقام بالكوفة أربعة أشهر أو خمسة ويوسف يأمره بالخروج ويكتب الى عامله على الكوفة وهو يومئذ بالحيرة يأمره بإزعاج زيد وزيد يذكر انه ينازع بعض آل طلحة بن عبيد الله فى مال بينه وبينهم بالمدينة فيكتب العامل بذلك الى يوسف فيقره أياما ثم يبلغه ان الشيعة تختلف اليه فيكتب اليه أن اخرجه ولا تؤخره وان ادعى انه ينازع فليجرجرياً وليوكل من يقوم مقامه فيما يطالب به وقد بايعه جماعة منهم سلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبسى ومعاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصارى وحجية بن الاخلج الكنديّ وناس من وجوه أهل الكوفة فلما رأى ذلك داود بن عليّ قال له يا ابن عم لا يغرّنّك هؤلاء من نفسك ففى أهل بيتك لك عِبْرَة وفي خذلان هؤلاء اياهم فقال يا داود ان بنى أمية قد عتوا وقست قلوبهم فلم يزل به داود حتى عزم على الشخوص فشخصا حتى بلغا القادسية وذكر عن أبى عبيدة انه قال اتبعوه الى الثَّعْلَبيَّة وقالوا له نحن أربعون ألفا ان رجعت الى الكوفة لم يتخلف عنك أحد وأعطوه المواثيق والأيمان المغلظة فجعل يقول انى أخاف ان تخذلونى وتسلمونى كفعلكم بأبى وجدى فيحلفون له فيقول داود بن عليّ يا ابن عم ان هؤلاء يغرونك من نفسك

أليس قد خذلوا من كان أعزّ عليهم منك جدّك علىّ بن أبى طالب حتى قتل والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه وانتهبوا فسطاطه وجرحوه أوليس قد أخرجوا جدّك الحسين وحلفوا له بأوكد الايمان ثم خذلوه وأسلموه ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا تفعل ولا ترجع معهم فقالوا ان هذا لا يريد ان تظهر أنت ويزعم انه وأهل بيته أحق بهذا الامر منكم فقال زيد لداود ان عليا كان يقاتله معاوية بدهائه ونكرائه باهل الشأم وان الحسين قاتله يزيد بن معاوية والامر عليهم مقبل فقال له داود انى لخائف ان رجعت معهم أن لا يكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم ومضى داود الى المدينة ورجع زيد الى الكوفة وقال عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم الخفاف قال كتب هشام الى يوسف ان اشخص زيدا الى بلده فانه لا يقيم ببلد غيره فيدعو أهله الا أجابوه فأشخصه فلما كان بالثعلبية أو القادسية لحقه المشائيم يعنى أهل الكوفة فردوه وبايعوه فأتاه سلمة بن كهيل فاستأذن عليه فأذن له فذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فأحسن ثم تكلم زيد فأحسن فقال له سلمة اجعل لى الامان فقال سبحان الله مثلك يسأل مثلى الامان وانما أراد سلمة ان يسمع ذلك أصحابه ثم قال لك الامان فقال نشدتك بالله كم بايعك قال أربعون ألفا قال فكم بايع جدك قال ثمانون ألفا قال فكم حصل معه قال ثلثمائة قال نشدتك الله أنت خير أم جدك قال بل جدى قال أفقرنك الذى خرجت فيهم خير أم القرن الذى خرج فيهم جدّك قال بل القرن الذى خرج فيهم جدى قال أفتطمع ان يفى لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك قال قد بايعونى ووجبت البيعة في عنقى وأعناقهم قال أفتأذن لى ان أخرج من البلد قال لم قال لا آمن ان يحدث في أمرك حدثٌ فلا أملك نفسى قال قد أذنت لك فخرج الى اليمامة وخرج زيد فقتل وصُلب فكتب هشام الى يوسف يلومه على تركه سلمة بن كهيل يخرج من الكوفة ويقول مقامه كان خيرًا لك من كذا وكذا من الخيل تكون معك وذكر عمر عن أبى اسحاق شيخ من أهل أصبهان حدثه ان عبد الله بن حسن كتب الى زيد بن علىّ يا ابن عم ان أهل الكوفة نفخ العلانية خور السريرة هرج فى الرخاء جزع في اللقاء تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم لا يبيتون بعدة فى الاحداث ولا ينوؤن بدولة مرجوّة ولقد تواترت الى كتبهم بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قلبى غشاء عن ذكرهم يأسا منهم واطراحا لهم ومالهم مثلٌ الا ما قال علىّ بن أبى طالب ان أهملتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان أجبتم الى مشاقة نكصتم وذكر عن هشام بن عبد الملك انه كتب الى يوسف بن عمر فى أمر زيد بن علىّ أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة فى حبّهم أهل هذا البيت ووضعهم اياهم فى غير مواضعهم لانهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحلوهم علم ما هو كائن حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفّوهم فيها الى

غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين ثم غزا الثالثة فقتل كورصول

﴿ذكر الخبر عن غزواته هذه﴾

ذكر عليٌّ عن شيوخه ان نصرا غزا من بلخ ما وراء النهر من ناحية باب الحديد ثم قفل الى مرو فخطب الناس فقال ألا إن بهرامسيس كان مانح المجوس يمنحهم ويدفع عنهم ويحمل أثقالهم على المسلمين ألا إن اشبداد بن جريجور كان مانح النصارى ألا ان عقيبة اليهودى كان مانح اليهود يفعل ذلك ألا إنى مانح المسلمين أمنحهم وأدفع عنهم وأحمل أثقالهم على المشركين ألا إنه لا يقبل منى الا توفى الخراج على ما كتب ورفع وقد استعملت عليكم منصور ابن عمر بن أبى الخرقاء وأمرته بالعدل عليكم فأيما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه أو ثقل عليه فى خراجه وخفف مثل ذلك عن المشركين فليرفع ذلك الى منصور بن عمر يحوله عن المسلم الى المشرك قال فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد ألقيت عنهم جزيتهم فحول ذلك عليهم وألقاه عن المسلمين ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعه ثم وظف الوظيفة التى جرى عليها الصلح قال فكانت مرو يؤخذ منها مائة ألف سوى الخراج أيام بنى أمية ثم غزا الثانية الى ورغسر وسمرقند ثم قفل ثم غزا الثالثة الى الشاش من مرو فحال بينه وبين قطوع النهر نهر الشاش كورصول فى خمسة عشر ألفا استأجر كل رجل منهم فى كل شهر بشقة حرير والشقة يومئذ بخمسة وعشرين درهما فكانت بينهم مراماة فمنع نصرا من القطوع الى الشاش وكان الحارث بن سريج يومئذ بارض الترك فاقبل معهم فكان بازاء نصر فرمى نصرا وهو على سريره على شاطئ النهر بحسبان فوقع السهم فى شدق وصيف لنصر يوضئه فتحول نصر عن سريره ورمى فرسا لرجل من أهل الشأم فنفق وعبر كورصول في أربعين رجلا فبيّت أهل العسكر وساق شاء لأهل بخارى وكانوا فى الساقة وأطاف بالعسكر في ليلة مظلمة ومع نصر أهل بخارى وسمرقند وكسّ وأشروسنة وهم عشرون ألفا فنادى نصر فى الاخماس ألا لا يخرجن أحد من بنائه واثبتوا على مواضعكم فخرج عاصم بن عمير وهو على جند أهل سمرقند حتى مرّت خيل كورصول وقد كانت الترك صاحت صيحة فظن أهل العسكر أن الترك قد قطعوا كلهم فلما مرّت خيل كورصول على ذلك حمل على آخرهم فأسر رجلا فاذا هو ملك من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة فجاؤا به الى نصر فاذا هو شيخ يسحب درعه شبرا وعليه رانا ديباج فيهما حلق وقباء فرند مكفف بالديباج فقال له نصر من أنت قال كورصول فقال نصر الحمد لله الذى أمكن منك ياعدوّ الله قال فما ترجو من قتل شيخ وأنا أعطيك ألف بعير من ابل الترك وألف برذون تقوّى به جندك وخلّ سبيلى فقال نصر لمن حوله من أهل الشأم وأهل خراسان

ما

ماتقولون فقالوا خلّ سبيله فسأله عن سنه قال لا أدرى قال كم غزوت قال اثنتين وسبعين غزوة قال أشهدت يوم العطش قال نعم قال لو أعطيتنى ماطلعت عليه الشمس ما أفلتّ من يدى بعد ماذكرت من مشاهدتك وقال لعاصم بن عمير السغدىّ قم الى سلبه فخذه فلما أيقن بالقتل قال من أسرنى قال نصر وهو يضحك يزيد بن قرّان الحنظلى وأشار اليه قال هذا لا يستطيع أن يغسل أسته أوقال لا يستطيع أن يتمّ بوله فكيف يأسرنى فأخبرنى من أسرنى فانى أهل ان أقتل سبع قتلات قيل له عاصم بن عمير قال لست أجد مسّ القتل اذ كان الذى أسرنى فارسا من فرسان العرب فقتله وصلبه على شاطئ النهر قال وعاصم ابن عمير هو الهزارمرد قتل بنهاوند أيام قحطبة قال فلما قتل كورصول تحدّرت الترك وجاؤا بأبنيته فحرقوها وقطعوا آذانهم وجرّدوا وجوههم وطفقوا يبكون عليه فلما أمسى نصر وأراد الرحلة بعث الى كورصول بقارورة نفط فصبّها عليه وأشعل فيه النار لئلا يحملوا عظامه قال وكان ذلك أشدّ عليهم من قتله وارتفع نصر الى فرغانة فسبى منها ثلاثين ألف رأس قال فقال عنبر بن برعمة الازدىّ كتب يوسف بن عمر الى نصر سر الى هذا الغار زذنبه بالشاش يعنى الحارث بن سريج فان أظفرك الله به وبأهل الشاش فخرب بلادهم واسب ذراريّهم واياك وورطة المسلمين قال فدعا نصر الناس فقرأ عليهم الكتاب وقال ماترون فقال يحيى بن حضين امض لامر أمير المؤمنين وأمر الامير فقال نصر يايحيى تكلمت ليالى عاصم بكلمة فبلغت الخليفة فحظيت بها وزيد فى عطائك وفرض لاهل بيتك وبلغت الدّرجة الرفيعة فقلت أقول مثلها سر يايحيى فقد وليتك مقدّمتى فأقبل الناس على يحيى يلومونه فقال نصر يومئذ وأى ورطة أشد من أن نكون في السفر وهم في القرار قال فسار الى الشاش فأتاه الحارث بن سريج فنصب عرّادتين تلقاء بنى تميم فقيل له هؤلاء بنو تميم فنقلهما فنصبهما على الازد ويقال على بكر بن وائل وأغار عليهم الاخرم وهو فارس الترك فقتله المسلمون وأسروا سبعة من أصحابه فأمر نصر بن سيار برأس الاخرم فرمى به فى عسكرهم بمنجنيق فلما رأوه ضجّوا ضجّة عظيمة ثم ارتحلوا منهزمين ورجع نصر وأراد أن يعبر فحيل بينه وبين ذلك فقال أبو نميلة صالح بن الابّار

كنا وأوبة نصر عند غيبته * كراقب النوء حتى جاده المطر

أودى بآخر منه عارض برده * مسترجف بمنايا القوم منهمر

وأقبل نصر فنزل سمرقند فى السنة التى لقى فيها الحارث بن سريج فأتاه بخارى خذاه منصرفا وكانت المسلحة عليهم ومعهم دهقانان من دهاقين بخارى وكانا أسلما على يدى نصر وقد أجمعا على الفتك بواصل بن عمرو القيسىّ عامل بخارى وببخارا خذاه يتظلمان من بخارا خذاه واسمه طوق سياده فقال بخارا خذاه لنصر أصلح الله الامير قد علمت أنهما قد أسلما على

يديك فـا بالهما معلق الخناجر عليهما فقال لهما نصر ما بالكما معلق الخناجر وقد أسلمتما قالا بيننا و بين بخاراخذاه عداوة فلا نأمنه على أنفسنا فأمر نصر هارون بن السياوش مولى بني سليم وكان يكون على الرابطة فاجتذبهما فقطعهما ونهض بخاراخذاه الى نصر يساره في أمرهما فقالا نموت كريمين فشد أحدهما على واصل بن عمرو فطعنه في بطنه بسكين وضربه واصل بسيفه على رأسه فأطار قحف رأسه فقتله ومضى الآخر الى بخاراخذاه وأقيمت الصلاة و بخاراخذاه جالس على كرسي فوثب نصر فدخل السرادق وأحضر بخاراخذاه فعثر عند باب السرادق فطعنه وشد عليه الجوزجان بن الجوزجان فضربه بجرز كان معه فقتله وحمل بخاراخذاه فأدخل سرادق نصر ودعا له نصر بوسادة فاتكأ عليها وأتاه قرعة الطبيب فجعل يعالجه وأوصى الى نصر ومات من ساعته ودفن واصل في السرادق وصلى عليه نصر وأما طوق سياده فكشطوا عنه لحمه وحملوا عظامه الى بخارى قال وسار نصر الى الشاش فلما قدم أشروسنة عرض دهقانها أباراخره مالا ثم نفذ الى الشاش واستعمل على فرغانة محمد بن خالد الازدي ووجهه اليها في عشرة نفر ورد من فرغانة أخاجيش فيمن كان معه من دهاقين الختل وغيرهم وانصرف منها بتماثيل كثيرة فنصبها في أشروسنة وقال بعضهم لما أتى نصر الشاش تلقاه قدر ملكها بالصلح والهدية والرهن واشترط عليه اخراج الحارث بن سريج من بلده فأخرجه الى فاراب واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص ثم سار حتى نزل قبا من أرض فرغانة وقد كانوا أحسوا بمجيئه فأحرقوا الحشيش وحبسوا الميرة ووجه نصر الى ولي عهد صاحب فرغانة في بقية سنة ١٢١ فحاصروه في قلعة من قلاعها فغفل عنهم المسلمون فخرجوا على دوابهم فاستاقوها وأسروا ناسا من المسلمين فوجه اليهم نصر رجالا من بني تميم ومعهم محمد بن المثنى وكان فارسا فكايدهم المسلمون فأهملوا دوابهم وكمنوا لهم فخرجوا فاستاقوا بعضها وخرج عليهم المسلمون فهزموهم وقتلوا الدهقان وأسروا منهم أسراء وحمل ابن الدهقان المقتول على ابن المثنى فختله محمد بن المثنى فأسره وهو غلام أمرد فأتى به نصرا فضرب عنقه وكان نصر بعث سليمان بن صول الى صاحب فرغانة بكتاب الصلح بينهما قال سليمان فقدمت عليه فقال لي من أنت قلت شاكري خليفة كاتب الامير قال فقال ادخلوه الخزائن ليرى ما أعددنا فقيل له قم قال قلت ليس بي مشي قال قدموا له دابة يركبها قال فدخلت خزائنه فقلت في نفسي ياسليمان شمت بك اسرائيل و بشر بن عبيد ليس هذا الالكراهة الصلح وسأنصرف بخفي حنين قال فرجعت اليه فقال كيف رأيت الطريق فيما بيننا و بينكم قلت سهلا كثير الماء والمرعى فكره ما قلت له فقال ما علمك فقلت قد غزوت غرشستان وغور والختل وطبرستان فكيف لا أعلم قال فكيف رأيت ما أعددنا

قلت

قلت رأيت عُدَّة حسنة ولكن أما علمت أن صاحب الحصار لا يسلم من خصال قال وما هُن قلتُ لا يأمن أقرب الناس اليه وأحبَّهم اليه وأوثقهم في نفسه أن يثب به يطلب مرتبته ويتقرَّب بذلك أو يفنى ماقد جمع فيسلم برمَّته أو يصيبُه داء فيموت فقطَّب وكره ماقلت له وقال انصرف الى منزلك فانصرفت فأقمت يومين وأنا لا أشكُّ في تركه الصلح فدعاني فحملتُ كتاب الصلح مع غلامي وقلت له ان أتاك رسولي يطلب الكتاب فانصرف الى المنزل ولا تظهر الكتاب وقل لي اني خلفتُ الكتاب في المنزل فدخلتُ عليه فسألني عن الكتاب فقلت خلفتُه في المنزل فقال ابعث من يجيئك به فقبل الصلح وأحسن جائزتي وسرَّح معي أمه وكانت صاحبة أمره قال فقدمتُ على نصر فلما نظر اليَّ قال مامثلك الا كما قال الاوَّل * فأرسِلْ حكيمًا ولا تُوصِهِ * فأخبرته فقال وُفقت وأذن لأمه عليه وجعل يكلمها والترجمان يعبّر عنها فدخل تميم بن نصر فقال للترجمان قل لها تعرفين هذا فقالت لا فقال هذا تميم بن نصر فقالت والله ما أرى له حلاوة الصغير ولا نبل الكبير قال أبو اسحاق بن ربيعة قالت لنصر كلُّ ملك لا يكون عنده ستَّة أشياء فليس بملك وزير يبا ثه بنيَّات نفسه وماشجر في صدره من الكلام ويشاوره ويثق بنصيحته وطبّاخ اذا لم يشتهِ الطعام اتخذله مايشتهي وزوجة اذا دخل عليها مغتمًا فنظر الى وجهها زال غمُّه وحصن اذا فزع أو جُهد فزع اليه فأنجاه تعني البرذون وسيف اذا قارع الاقران لم يخش خيانته وذخيرة اذا حملها فأين وقع بها من الارض عاش بها ثم دخل تميم بن نصر في مرفلة وجماعة فقالت من هذا قالوا هذا فتى خراسان هذا تميم بن نصر قالت ماله نبل الكبار ولا حلاوة الصغار ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت من هذا فقالوا الحجاج بن قتيبة قال فحيَّته وسألت عنه وقالت يامعشر العرب مالكم وفاء لا يصلح بعضكم لبعض قتيبة الذي وطَّن لكم ما أرى وهذا ابنه تُقعده دونك فحقُّك أن تجلسه هذا المجلس وتجلس أنت مجلسه ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل المخزوميُّ كذلك قال أبو معشر حدثني بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقديُّ وغيره وكان عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة محمد بن هشام وعامله على العراق كله يوسف بن عمر وعامله على آذربيجان وأرمينية مروان بن محمد وعلى خراسان نصر بن سيار وعلى قضاء البصرة عامر بن عبيدة وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة

## ﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك مقتل زيد بن عليّ

### ﴿ذكر الخبر عن ذلك﴾

* ذكر هشام عن أبي مخنف أن زيد بن علي لما أمر أصحابه بالتأهب للخروج والاستعداد أخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك فانطلق سليمان بن سراقة البارقي الى يوسف بن عمر فأخبره خبره وأعلمه أنه يختلف الى رجل منهم يقال له عامر والى رجل من بني تميم يقال له طُعْمَة ابن أخت لبارق وهو نازل فيهم فبعث يوسف يطلب زيد بن علي في منزلهما فلم يوجد عندهما وأخذ الرجلان فأتى بهما فلما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه وتخوف زيد بن علي أن يؤخذ فتعجل قبل الاجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة قال وعلى أهل الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت وعلى شرطه عمرو بن عبد الرحمن رجل من القارة وكانت ثقيف أخواله وكان فيهم ومعه عبيد الله بن العباس الكندي في أناس من أهل الشام ويوسف بن عمر بالحيرة قال فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد وأنه يدس اليه ويستبحث عن أمره اجتمعت اليه جماعة من رؤوسهم فقالوا رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر قال زيد رحمهما الله وغفر لهما ماسمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما الا خيرا قالوا فلم تطلب اذا بدم أهل هذا البيت الا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم فقال لهم زيد ان أشد ما أقول فيما ذكرتم انا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين وان القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء اذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعوا الى قتال قوم ليسوا لك بظالمين فقال ان هؤلاء ليسوا كأولئك ان هؤلاء ظالمون لي ولكم ولانفسهم وانما ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والى السنن أن تحيا والى البدع أن تطفأ فان أنتم أجبتمونا سعدتم وان أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الامام وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الامام وكان قد هلك يومئذ وكان ابنه جعفر بن محمد حيا فقالوا جعفر امامنا اليوم بعد أبيه وهو أحق بالامر بعد أبيه ولا نتبع زيد بن علي فليس بامام فسماهم زيد الرافضة فهم اليوم يزعمون أن الذي سماهم الرافضة المغيرة حيث فارقوه وكانت طائفة منهم قبل خروج زيد مروا الى جعفر بن محمد بن علي فقالوا له ان زيد بن علي فينا يبايع أفترى لنا أن نبايعه فقال لهم نعم بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا فجاؤا فكتموا ما أمرهم به قال واستتب لزيد بن علي خروجه فواعد أصحابه ليلة الاربعاء أول ليلة من صفر سنة ١٢٢ وبلغ يوسف بن عمر أن زيدا قد أزمع على الخروج فبعث الى الحكم بن الصلت فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الاعظم يحصرهم فيه فبعث الحكم الى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فأدخلهم المسجد ثم نادى مناديه ألا ان الامير يقول من أدركناه في رحله فقد برئت منه الذمة ادخلوا

المسجد

المسجد الاعظم فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم وطلبوا زيدا في دار معاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصاري فخرج ليلا وذلك ليلة الاربعاء في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن اسحاق فرفعوا الهرادىّ فيها النيران ونادوا يامنصور أمت أمت يامنصور فكلما أكلت النار هُرْدِيًّا رفعوا آخر فما زالوا كذلك حتى طلع الفجر فلما أصبحوا بعث زيد بن علىّ القاسم التنعى ثم الحضرمىّ ورجلا آخر من أصحابه يناديان بشعارهما فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندى فشدوا عليه وعلى أصحابه فقتل الرجل الذى كان مع القاسم التنعىّ وارتُثّ القاسم فأتى به الحكم فكلمه فلم يردّ عليه شيأ فأمر به فضربت عنقه على باب القصر فكان أول من قتل من أصحاب زيد بن علىّ هو وصاحبه وأمر الحكم بن الصلت بدروب السوق فغلقت وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة وعلى أرباع الكوفة يومئذ على ربع أهل المدينة ابراهيم بن عبد الله بن جرير البجلىّ وعلى مذحج وأسد عمرو بن أبى بذل العبدى وعلى كندة وربيعة المنذر بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى وعلى تميم وهمدان محمد بن مالك الهمدانى ثم الخيوانى قال وبعث الحكم بن الصلت الى يوسف بن عمر فأخبره الخبر فأمر يوسف مناديه فنادى في أهل الشأم من يأتى الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم فيأتينى بخبرهم فقال جعفر بن العباس الكندى أنا فركب فى خمسين فارسا ثم أقبل حتى انتهى الى جبانة سالم السلولىّ فاستخبرهم ثم رجع الى يوسف بن عمر فأخبره فلما أصبح خرج الى تلّ قريب من الحيرة فنزل عليه ومعه قريش وأشراف الناس وعلى شرطته يومئذ العباس بن سعيد المزنى فبعث الرَّيان بن سلمة الإراشىّ فى ألفين ومعه ثلثمائة من القيقانية رجّالا معهم النُّشاب وأصبح زيد بن علىّ فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتى رجل وثمانية عشر رجلا فقال زيد سبحان الله أين الناس فقيل له هم فى المسجد الاعظم محصورون فقال لا والله ماهذا لمن بايعنا بعذر وسمع نصر بن خزيمة النداء فأقبل اليه فلقى عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت فى خيله من جهينة عند دار الزُّبير بن أبى حكيمة فى الطريق الذى يخرج الى مسجد بنى عدىّ فقال نصر بن خزيمة يامنصور أمت فلم يردّ عليه شيأ فشدّ عليه نصر وأصحابه فقتل عمرو ابن عبد الرحمن وانهزم من كان معه وأقبل زيد بن علىّ من جبانة سالم حتى انتهى الى جبانة الصائديين وبها خمسمائة من أهل الشأم فحمل عليهم زيد بن علىّ فيمن معه فهزمهم وكان تحت زيد بن علىّ يومئذ برذون أدهم بهيم اشتراه رجل من بنى نهد بن كَهْمَس بن مروان النجارىّ بخمسة وعشرين دينارا فلما قتل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصلت قال وانتهى زيد بن علىّ الى باب دار رجل من الأزد يقال له أنس بن عمرو وكان فيمن بايعه فنودى وهو فى الدار فجعل لا يجيب فناداه زيد يا أنس أخرج الىّ رحمك الله فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فلم يخرج اليه فقال زيد ما أخلفكم قد فعلتموها

الله حسبنكم قال ثم ان زيدا مضى حتى انتهى الى الكناسة فحمل على جماعة بها من أهل الشأم فهزمهم ثم خرج حتى ظهر الى الجبانة ويوسف بن عمر على التل ينظر اليه هو وأصحابه وبين يديه حزام بن مرة المزنى وزمزم بن سليم الثعلبى وهما على المجففة ومعه نحو من مائتى رجل والله لو أقبل على يوسف لقتله والريان بن سلمة يتبع أثر زيد بن على بالكوفة فى أهل الشأم ثم ان زيدا أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة وكانت فرقة من أصحاب زيد بن على حيث وجه الى الكناسة قد انشعبت نحو جبانة مخنف بن سليم ثم قال بعضهم لبعض ألا ننطلق نحو جبانة كندة قال فما زاد الرجل على أن تكلم بهذا الكلام وطلع أهل الشأم فلما رأوهم دخلوا زقاقا فمضوا فيه وتخلف رجل منهم فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم خرج اليهم فقاتلهم ساعة ثم انهم صرعوه فجعلوا يضربونه بأسيافهم فنادى رجل منهم فارس مقنع بالحديد أن اكشفوا المغفر ثم اضربوا رأسه بعمود حديد ففعلوا وقتل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل وانصرف أهل الشأم وقد اقتطعوا رجلا ونجا سائرهم فذهب ذلك الرجل حتى دخل دار عبد الله بن عوف فدخل أهل الشأم عليه فأسروه فذهب به الى يوسف بن عمر فقتله قال وأقبل زيد بن على وقد رأى خذلان الناس اياه فقال يا نصر بن خزيمة أتخاف أن يكونوا قد جعلوها حسينية فقال له جعلنى الله لك الفداء أما أنا فوالله لأضربن معك بسيفى هذا حتى أموت فكان قتاله يومئذ بالكوفة ثم ان نصر بن خزيمة قال لزيد بن على جعلنى الله لك الفداء ان الناس فى المسجد الاعظم محصورون فامض بنا نحوهم فخرج بهم زيد نحو المسجد فمر على دار خالد بن عرفطة وبلغ عبيد الله بن العباس الكندى اقباله فخرج فى أهل الشأم وأقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبى وقاص فكع صاحب لواء عبيد الله وكان لواؤه مع سلمان مولاه فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كع عنه قال احمل يا ابن الخبيثة فحمل عليهم فلم ينصرف حتى خضب لواءه بالدم ثم ان عبيد الله برز فخرج اليه واصل الحناط فاضطربا بسيفيهما فقال للاحول خذها منى وأنا الغلام الحناط وقال الآخر قطع الله يدى ان كلت بقفيز أبدا ثم ضربه فلم يصنع شيأ وانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا الى دار عمر ومن حريث وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا الى باب الفيل فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الابواب ويقولون يا أهل المسجد اخرجوا وجعل نصر بن خزيمة يناديهم ويقول يا أهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز اخرجوا الى الدين والدنيا فانكم لستم فى دين ولا دنيا فأشرف عليهم أهل الشأم فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة فى نواحيها وقيل فى جبانة سالم وانصرف الريان بن سلمة الى الحيرة عند المساء وانصرف زيد بن على فيمن معه وخرج اليه ناس من أهل الكوفة فنزل دار الرزق فأتاه الريان بن سلمة فقاتله عند دار الرزق

قتالا

قتالا شديدا فجرح من أهل الشأم وقتل منهم ناس كثير وتبعهم أصحاب زيد من دار الرزق حتى انتهوا الى المسجد فرجع أهل الشأم مساء يوم الاربعاء أسوأ شىء ظنا فلما كان من الغد غداة يوم الخميس دعا يوسف بن عمر الريان بن سلمة فلم يوجد حاضرا تلك الساعة وقال بعضهم بل أتاه وليس عليه سلاحه فأفف به وقال له أف لك من صاحب خيل اجلس فدعا العباس بن سعيد المزنى صاحب شرطته فبعثه فى أهل الشأم فسار حتى انتهى الى زيد بن على فى دار الرزق وثم خشب للنجار كثير فالطريق متضايق وخرج زيد فى أصحابه وعلى مجنبتيه نصر بن خزيمة العبسى ومعاوية بن اسحاق الانصارى فلما رآهم العباس ولم يكن معه رجال نادى يا أهل الشأم الارض الارض فنزل ناس كثير ممن معه فاقتتلوا قتالا شديدا فى المعركة وقد كان رجل من أهل الشأم من بنى عبس يقال له نائل بن فروة قال ليوسف بن عمر والله لئن أنا ملأت عينى من نصر بن خزيمة لأقتلنه أو ليقتلنى فقال له يوسف خذ هذا السيف فدفع اليه سيفا لا يمر بشىء الا قطعه فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا بصر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة فأقبل نحوه فضرب نصرا فقطع فخذه وضربه نصر ضربة فقتله فلم يلبث نصر أن مات واقتتلوا قتالا شديدا ثم ان زيد ابن على هزمهم وقتل من أهل الشأم نحوا من سبعين رجلا فانصرفوا وهم بشر حال وقد كان العباس بن سعيد نادى فى أصحابه أن اركبوا فان الخيل لا تطيق الرجال فى المضيق فركبوا فلما كان العشى عبأهم يوسف بن عمر ثم سرحهم فأقبلوا حتى التقوا هم وأصحاب زيد فحمل عليهم زيد فى أصحابه فكشفهم ثم تبعهم حتى أخرجهم الى السبخة ثم شد عليهم بالسبخة حتى أخرجهم الى بنى سليم ثم تبعهم فى خيله ورجاله حتى أخذوا على المسناة ثم ان زيدا أظهر لهم فيما بين بارق ورؤاس فقاتلهم هنالك قتالا شديدا وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبى مالك بن مسروح من بنى سعد بن زيد حليف العباس بن عبد المطلب وكان مسروح السعدى تزوج صفية بنت العباس بن عبد المطلب فجعلت خيلهم لا تثبت لخيله ورجله فبعث العباس الى يوسف بن عمر يعلمه ذلك فقال له ابعث الى الناشبة فبعث اليهم سليمان بن كيسان الكلبى فى القيقانية والبخارية وهم ناشبة فجعلوا يرمون زيدا وأصحابه وكان زيد حريصا على أن يصرفهم حين انتهوا الى السبخة فأبوا عليه فقاتل معاوية ابن اسحاق الانصارى بين يدى زيد بن على قتالا شديدا فقتل بين يديه وثبت زيد بن على ومن معه حتى اذا جنح الليل رمى بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فتشبث فى الدماغ فرجع ورجع أصحابه ولا يظن أهل الشأم أنهم رجعوا الا للمساء والليل قال فحدثنى سلمة بن ثابت الليثى وكان مع زيد بن على وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ هو وغلام لمعاوية بن اسحاق قال أقبلت أنا وصاحبى نقص أثر زيد بن على فنجده قد أنزل وأدخل بيت حران بن كريمة مولى لبعض العرب فى سكة البريد فى دور أرحب

وشاكر قال سلمة بن ثابت فدخلت عليه فقلت له جعلني الله فداك أبا الحسين وانطلق أصحابه فجاؤا بطبيب يقال له شقير مولى لبني رؤاس فانتزع النصل من جبهته وأنا أنظر اليه فوالله ماعدا ان انتزعه جعل يصيح ثم لم يلبث ان قضى فقال القوم أين ندفنه وأين نواريه فقال بعض أصحابه نلبسه درعه ونطرحه فى الماء وقال بعضهم بل نحتز رأسه ونضعه بين القتلى فقال ابنه يحيى لا والله لا تأكل لحم أبى الكلاب وقال بعضهم لا بل نحمله الى العباسية فندفنه قال سلمة فأشرت عليهم أن ننطلق به الى الحفرة التى يؤخذ منها الطين فندفنه فيها فقبلوا رأيى وانطلقنا وحفرنا له بين حفرتين وفيه حينئذ ماء كثير حتى اذا نحن أمكناله دفناه وأجرينا عليه الماء وكان معنا عبد له سندى قال ثم انصرفنا حتى نأتى جبانة السبيع ومعنا ابنه فلم نزل بها وتصدع الناس عنا وبقيت فى رهط معه لا تكون عشرة فقلت له أين تريد هذا الصبح قد غشيك ومعه أبو الصبار العبدى قال فقال النهرين فقلت له ان كنت انما تريد النهرين فظننت أنه يريد أن يتشطط الفرات ويقاتلهم فقلت له لا تبرح مكانك تقاتلهم حتى تقتل أو يقضى الله ماهو قاض فقال لى أنا أريد نهرى كربلاء فقلت له فالنجاء قبل الصبح فخرج من الكوفة وأنا معه وأبو الصبار ورهط معنا فلما خرجنا من الكوفة سمعنا أذان المؤذنين فصلينا الغداة بالنخيلة ثم توجهنا سراعا قبل نينوى فقال لى انى أريد سابقا مولى بشر بن عبد الملك بن بشر فأسرع السير وكنت اذا لقيت القوم أستطعمهم فأطعم الارغفة فأطعمها اياه فيأكل ونأكل معه فانتهينا الى نينوى وقد أظلمنا فأتينا منزل سابق فدعوت على الباب فخرج الينا فقلت له أما أنا فآتى الفيوم فأكون به فاذا بدالك أن ترسل الى فأرسل قال ثم انى مضيت وخلفته عند سابق فذلك آخر عهدى به قال ثم ان يوسف بن عمر بعث أهل الشأم يطلبون الجرحى فى دور أهل الكوفة فكانوا يخرجون النساء الى صحن الدار ويطوفون البيت يلتمسون الجرحى قال ثم دل غلام زيد بن على السندى يوم الجمعة على زيد فبعث الحكم بن الصلت العباس بن سعيد المزنى وابن الحكم بن الصلت فانطلقا فاستخرجاه فكره العباس أن يغلب عليه ابن الحكم بن الصلت فتركه وسرح بشيرا الى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن على مع الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل فقال أبو الجويرية مولى جهينة

قل للذين انتهكوا المحارم * ورفعوا الشمع بصحرا سالم

كيف وجدتم وقعة الأكارم * يا يوسف بن الحكم بن القاسم

قال ولما أتى يوسف بن عمر البشير أمر بزيد فصلب بالكناسة هو ونصر بن خزيمة ومعاوية ابن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصارى وزياد النهدى وكان يوسف قد نادى من جاء برأس فله خمسمائة درهم فجاء محمد بن عباد برأس نصر بن خزيمة فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم وجاء الاحول مولى الاشعريين برأس معاوية بن اسحاق فقال أنت قتلته فقال أصلح

الله الامير ليس أنا قتلته ولكني رأيته فعرفته فقال اعطوه سبعمائة درهم ولم يمنعه أن يتم له
ألفا الا أنه زعم أنه لم يقتله وقد قيل ان يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق
الى الكوفة بعد ماشخص الا باعلام هشام بن عبد الملك اياه وذلك أن رجلا من بني أمية كتب
فيما ذكر الى هشام يذكر له أمر زيد فكتب هشام الى يوسف يشتمه ويجهله و يقول انك
لغافل و زيد غارز ذنبه بالكوفة يبايع له فالجج في طلبه فأعطه الامان فان لم يقبل فقاتله
فكتب يوسف الى الحكم بن الصلت من آل أبي عقيل وهو خليفته على الكوفة بطلبه
فطلبه فخفي عليه موضعه فدس يوسف مملوكا له خراسانيا ألكن وأعطاه خمسة آلاف درهم
وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قد قدم من خراسان حبا لأهل البيت وأن معه مالا
يريد أن يقويهم به فلم يزل المملوك يلقى الشيعة ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على
زيد فخرج فدل يوسف على موضعه فوجه يوسف اليه الخيل فنادى أصحابه بشعارهم فلم
يجتمع اليه منهم الا ثلثمائة أو أقل فجعل يقول كان داود بن علي أعلم بكم قد حذرني
خذلانكم فلم أحذر وقيل ان الذي دل على موضع زيد الذي كان دفن فيه وكان دفن في
نهر يعقوب فيما قيل كان أصحابه قد سكروا النهر ثم حفروا له في بطنه فدفنوه في ثيابه ثم
أجروا عليه الماء عند قصار كان به فاستجعل جعلا على أن يدلهم على موضعه ثم دلهم
فاستخرجوه فقطعوا رأسه وصلبوا جسده ثم أمروا بحراسته لئلا ينزل فمكث يحرس زمانا
وقيل انه كان فيمن يحرسه زهير بن معاوية أبو خيثمة وبعث برأسه الى هشام فأمر به فنصب
على باب مدينة دمشق ثم أرسل به الى المدينة ومكث البدن مصلوبا حتى مات هشام ثم أمر
به الوليد فأنزل وأحرق وقيل ان حكيم بن شريك كان هو الذي سعى بزيد الى يوسف
فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فانه قال في أمر يحيى بن زيد لما قتل زيد عمد رجل من بني
أسد الى يحيى بن زيد فقال له قد قتل أبوك وأهل خراسان لكم شيعة فالرأى أن تخرج
اليها قال وكيف لي بذلك قال تتوارى حتى يكف عنك الطلب ثم تخرج فواراه عنده ليلة
ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مروان فقال له ان قرابة زيد بك قريبة وحقه عليك
واجب قال له أجل ولقد كان العفو عنه أقرب الى التقوى قال فقد قتل وهذا ابنه غلاما
حدثا لا ذنب له وان علم يوسف بن عمر بمكانه قتله فتجيره وتواريه عندك قال نعم وكرامة
فأتاه به فواراه عنده فبلغ الخبر يوسف فأرسل الى عبد الملك قد بلغني مكان هذا الغلام عندك
وأعطى الله عهدا لئن لم تأتني به لاكتبن فيك الى أمير المؤمنين فقال له عبد الملك أتاك
الباطل والزور أنا أواري من ينازعني سلطاني ويدعي فيه أكثر من حقي ما كنت أخشاك
على قبول مثل هذا علي ولا الاستماع من صاحبه فقال صدق والله ابن بشر ما كان ليواري
مثل هذا ولا يستر عليه فكف عن طلبه فلما سكن الطلب خرج يحيى في نفر من الزيدية
الى خراسان وخطب يوسف بعد قتل زيد بالكوفة فقال يا أهل الكوفة ان يحيى بن زيد

يتنقل في حجال نسائكم كما كان يفعل أبوه والله لو بدا لي صفحته لعرقت خصييه كما عرقت خصي أبيه * وذكر عن رجل من الانصار قال لما جيء برأس زيد فصلب بالمدينة في سنة ١٢٣ أقبل شاعر من شعراء الانصار فقام بحياله فقال

ألا يا ناقض الميثا * ق أبشر بالذي ساكا
نقضت العهد والميثا * ق قدما كان قدماكا
لقد أخلف ابليس الـ * ـذي قد كان مناكا

قال فقيل له ويلك أتقول هذا المثل زيد فقال أن الامير غضبان فأردت أن أرضيه فرد عليه بعض شعرائهم

ألا يا شاعر السوء * لقد أصبحت أفاكا
أتشتم ابن رسول الله وترضى من تولاكا
ألا صبحك الله * بخزي ثم مساكا
ويوم الحشر لا شك * بأن النار مثواكا

وقيل كان خراش بن حوشب بن يزيد الشيباني على شرط يوسف بن عمر فهو الذي نبش زيدا وصلبه فقال السيد

بت ليلي مسهدا * ساهر الطرف مقصدا
ولقد قلت قولة * وأطلت التبلدا
لعن الله حوشبا * وخراشا ومزيدا
* ويزيدا فانه * كان أعتى وأعندا
ألف ألف وألف ألـ * ـف من اللعن سرمدا
إنهم حاربوا الإلـ * ـه وآذوا محمدا
شركوا في دم المطـ * ـهر زيد تعندا
ثم عالوه فوق جذ * ع صريعا مجردا
يا خراش بن حوشب * أنت أشقى الورى غدا

(قال أبو مخنف) ولما قتل يوسف زيد بن علي أقبل حتى دخل الكوفة فصعد المنبر فقال يا أهل المدرة الخبيثة اني والله ما تقرن بي الصعبة ولا يقعقع لي بالشنان ولا أخوف بالذئب هيهات حبيت بالساعد الاشد ابشروا يا أهل الكوفة بالصغار والهوان لا عطاء لكم عندنا ولا رزق ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم وأحرمكم أموالكم أم والله ما علوت منبري الا أسمعتكم ما تكرهون عليه فانكم أهل بغي وخلاف ما منكم الا من حارب الله ورسوله الا حكيم بن شريك المحاربي ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ولو أذن

لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم ﴿وفى هذه السنة﴾ قتل كلثوم بن عياض القشيرى الذى كان هشام بن عبد الملك بعثه في خيول أهل الشأم الى افريقية حيث وقعت الفتنة بالبربر ﴿وفيها﴾ قتل عبد الله البطّال فى جماعة من المسلمين بأرض الروم ﴿وفيها﴾ ولد الفضل ابن صالح ومحمد بن ابراهيم بن محمد بن على ﴿وفيها﴾ وجه يوسف بن عمر ابن شبرمة على سجستان فاستقضى ابن أبى ليلى ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة محمد بن هشام المخزومى كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى وغيره وكانت عمال الامصار فى هذه السنة العمال فى السنة التى قبلها وقد ذكرناهم قبل الا أن قاضى الكوفة كان فيما ذكر في هذه السنة محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى

## ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك ماجرى بين أهل السغد ونصر بن سيار من الصلح

### ﴿ذكر الخبر عن ذلك وسببه﴾

ذكر على بن محمد عن شيوخه أن خاقان لما قتل فى ولاية أسد تفرقت الترك فى غارة بعضها على بعض فطمع أهل السغد فى الرجعة اليها وانحاز قوم منهم الى الشاش فلما ولى نصر بن سيار أرسل اليهم يدعوهم الى الفيئة والمراجعة الى بلادهم وأعطاهم كل ما أرادوا قال وكانوا سألوا شروطا أنكرها أمراء خراسان منها أن لا يعاقب من كان مسلما وارتد عن الاسلام ولا يعدى عليهم فى دين لأحد من الناس ولا يؤخذون بقبالة عليهم في بيت المال ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم الا بقضية قاض وشهادة العدول فعاب الناس ذلك على نصر وكلموه فقال أما والله لو عاينتم شوكتهم فى المسلمين ونكايتهم مثل الذى عاينت ما أنكرتم ذلك فأرسل رسولا الى هشام فى ذلك فلما قدم الرسول أبى أن ينفذ ذلك لنصر فقال الرسول جربت يا أمير المؤمنين حربنا وصلحنا فاختر لنفسك فغضب هشام فقال الابرش الكلبى يا أمير المؤمنين تألف القوم واحمل لهم فقد عرفت نكايتهم كانت فى المسلمين فأنفذ هشام ما سأل ﴿وفي هذه السنة﴾ أوفد يوسف بن عمر الحكم بن الصلت الى هشام بن عبد الملك يسأله ضم خراسان اليه وعزل نصر بن سيار

### ﴿ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان من الامر فيه﴾

* ذكر على عن شيوخه قال لما طالت ولاية نصر بن سيار ودانت له خراسان كتب يوسف بن عمر الى هشام حسدا له أن خراسان دبرة دبرة فان رأى أمير المؤمنين أن يضمها الى العراق فأسرح اليها الحكم بن الصلت فانه كان مع الجنيد وولى جسيم أعمالهم فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم وأنا باعث بالحكم بن الصلت الى أمير المؤمنين فانه أديب أريب

ونصيحته لامير المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت فلما أتى هشاما كتابه بعث الى دار الضيافة فوجد فيها مقاتل بن علي السعدي فأتوه به فقال أمن خراسان أنت قال نعم وأنا صاحب الترك قال وكان قدم على هشام بخمسين ومائة من الترك فقال أتعرف الحكم ابن الصلت قال نعم قال فما ولى بخراسان قال ولى قرية يقال لها الفارياب خراجها سبعون ألفا فأسره الحارث بن سريج قال ويحك وكيف أفلت منه قال عرك اذنه وقفده وخلى سبيله قال فقدم عليه الحكم بعد بخراج العراق فرأى له جمالا وبيانا فكتب الى يوسف أن الحكم قدم وهو على ما وصفت وفيما قبلك له سعة وخل الكناني وعمله ﴿وفى هذه السنة﴾ غزا نصر فرغانة غزوته الثانية فأوفد مغراء بن أحمر الى العراق فوقع فيه عند هشام

﴿ذكر الخبر عن ذلك وما كان من هشام ويوسف بن عمر فيه﴾

* ذكر أن نصرا وجه مغراء بن أحمر الى العراق وافدا منصرفه من غزوته الثانية فرغانة فقال له يوسف بن عمر يا ابن أحمر يغلبكم ابن الاقطع يا معشر قيس على سلطانكم فقال قد كان ذلك أصلح الله الامير قال فاذا قدمت على أمير المؤمنين فابقر بطنه فقدموا على هشام فسألهم عن أمر خراسان فتكلم مغراء فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر يوسف بن عمر بخير فقال ويحك أخبرني عن خراسان قال ليس لك جند يا أمير المؤمنين أغد ولا أنجد منهم من سرادق في السماء وفراسية مثل الفيل وعدة وعدد من قوم ليس لهم قائد قال ويحك فما فعل الكناني قال لا يعرف ولده من الكبر فرد عليه مقالته وبعث الى دار الضيافة فأتى بشبيل بن عبد الرحمن المازني فقال له هشام أخبرني عن نصر قال ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى سفهه المجرب المجرب قد ولى عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته فكتب الى يوسف بذلك فوضع يوسف الارصاد فلما انتهوا الى الموصل تركوا طريق البر يدوتكا دوا حتى قدموا بيهق وقد كتب الى نصر بقول شبيل وكان ابراهيم بن بسام في الوفد فمكر به يوسف ونعى له نصرا وأخبره أنه قد ولى الحكم بن الصلت بن أبي عقيل خراسان فقسم له ابراهيم خراسان كله حتى قدم عليه ابراهيم بن زياد رسول نصر فعرف أن يوسف قد مكر به وقال أهلكني يوسف وقيل ان نصرا أوفد مغراء وأوفد معه حملة ابن نعيم الكلبي فلما قدموا على يوسف أطمع يوسف مغراء ان هو ينقص نصرا عند هشام أن يوليه السند فلما قدما عليه ذكر مغراء بأس نصر ونجدته ورأيه وأطنب في ذلك ثم قال لو كان الله متعنا منه ببقية فاستوى هشام جالسا ثم قال ببقية ماذا قال لا يعرف الرجل الا بجرمه ولا يفهم عنه حتى يدنى منه وما يكاد يفهم صوته من الضعف لاجل كبره فقام حملة الكلبي فقال يا أمير المؤمنين كذب والله ما هو كما قال هو وهو فقال هشام ان نصرا ليس كما وصف وهذا أمر يوسف بن عمر حسدا لنصر وقد كان يوسف كتب الى هشام يذكر كبر نصر وضعفه ويذكر له سلم بن قتيبة فكتب اليه هشام اله عن ذكر الكناني فلما قدم

مغراء على يوسف قال له قد علمت بلاء نصر عندى وقد صنعت به ما قد علمت فليس لى فى صحبته خير ولا لى بخراسان مقام فأمرنى بالمقام فكتب الى نصر انى قد حوّلت اسمه فاشخص الىّ من قبلك من أهله وقيل ان يوسف لما أمر مغراء بعيب نصر قال كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندى وعند قومى فلم يزل به فقال فبما أعيبه أعيب تجربته أم طاعته أو يمن نقيبته أوسياسته قال عبه بالكبر فلما دخل على هشام تكلم مغراء فذكر نصرا بأحسن ما يكون ثم قال فى آخر كلامه لولا فاستوى هشام جالسا فقال ما لولا قال لولا أن الدهر قد غلب عليه قال ما بلغ به ويحك الدهر قال ما يعرف الرجل الا من قريب ولا يعرفه الا بصوته وقد ضعف عن الغزو والركوب فشق ذلك على هشام فتكلم حملة بن نعيم فلما بلغ نصرا قول مغراء بعث هارون بن السياوش الى الحكم بن نميلة وهو فى السرّاجين يعرض الجند فأخذ برجله فسحبه عن طنفسة له وكسر لواءه على رأسه وضرب بطنفسته وجهه وقال كذلك يفعل الله بأصحاب الغدر * وذكر علىّ بن محمد عن الحارث بن أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة لما ولى نصر خراسان أدنى مغراء بن أحمر بن مالك بن سارية النميرىّ والحكم بن نميلة بن مالك والحجاج بن هارون بن مالك وكان مغراء بن أحمر النميرىّ رأس أهل قنسرين فآثر نصر مغراء وسنّى منزلته وشفّعه فى حوائجه واستعمل ابن عمه الحكم بن نميلة على الجوزجان ثم عقد للحكم على أهل العالية وكان أبوه بالبصرة عليهم وكان بعده عكابة بن نميلة ثم أوفد نصر وفدا من أهل الشأم وأهل خراسان وصيّر عليهم مغراء وكان فى الوفد حملة بن نعيم الكلبى فقال عثمان بن صدقة بن وثاب لمسلم بن عبد الرحمن بن مسلم عامل طخارستان

خَيَّرَنى مُسْلِمٌ مراكِبَهُ * فقلتُ حَسْبِى مِنْ مُسْلِمٍ حَكَما
هذا فَتى عامِرٍ وَسَيّدُها * كَفى بِمَنْ سادَ عامِرًا كَرَما

يعنى الحكم بن نميلة قال فتغير نصر لقيس وأوحشه ما صنع مغراء قال وكان أبو نميلة صالح الابار مولى بنى عبس خرج مع يحيى بن زيد بن على بن حسين فلم يزل معه حتى قتل بالجوزجان وكان نصر قد وجد عليه لذلك فأتى عبيد الله بن بسام صاحب نصر فقال

قد كُنْتُ فى هِمَّةٍ حَيْرانَ مُكْتَئِبًا * حتّى كَفانى عُبَيْدُ اللهِ تَهْمامى
نادَيْتُهُ فَسَما لِلْمَجْدِ مُبْتَهِجًا * كَغُرَّةِ البَدْرِ جَلّى وَجْهَ أظْلامِ
فاسْمُ بِرَأْىِ أبى لَيْثٍ وصَوْلَتِهِ * إنْ كُنْتَ يَوْمَ حِفاظٍ بامرِئٍ سامى
تَظْفَرْ يَداكَ بِمَنْ تَمَّتْ مُرُوَّتُهُ * واخْتَصَّهُ رَبُّهُ مِنْهُ بإِكْرامِ
ماضى العزائم لَيْثٌ مَضارِبُهُ * على الكَرِيهَةِ يَوْمَ الرَّوْعِ مِقْدامِ
لا هَذِرٌ ساحَةَ النّادى ولا مَذِلٌ * فيهِ ولا مُسْكِتٌ إسْكاتَ إفْحامِ
له مِنَ الحِلْمِ ثَوْباهُ ومَجْلِسُهُ * إذا المَجالِسُ شانَتْ أهْلَ أحْلامِ

قال فأدخله عبيد الله على نصر فقال أبو نميلة أصلحك الله انى ضعيف فان رأيت ان تأذن لراويتى فأذن له فأنشده

فازَ قِدحُ الكلبىّ فاعتقدت مغـ * ـراء فى سعيه عروق لئيم
فأبينى نميرُ ثم أبينى * ألعبدٍ مغراء أم لصميم
فلئن كان منكم ما يكونُ الـ * ـغدر والكفر من خصال الكريم
ولئن كان أصله كان عبدًا * ما عليكم من غدره من شتيم
وليثه ليثٌ وأىُّ ولاةٍ * بأيادٍ بيضٍ وأمرٍ عظيم
أسمنته حتى إذا راح مغبو * طًا بخيرٍ من سيبها المقسوم
كاد ساداته بأهونَ من نهـ * ـقة عيرٍ بقفرةٍ مرقوم
فضربنا لغيرنا مثل الكلـ * ـب ذميما والذمُّ للمذموم
وحمدنا ليثًا ويأخذ بالفضـ * ـل ذوو الجود والندى والحلوم
فاعلمن يا بنى القساورة الغلـ * ـب وأهل الصفا وأهل الحطيم
أن فى شكر صالحينا لما يد * حض قول المرهّق الموصوم
قد رأى الله ما أتيت ولن ينـ * ـقص نبح الكلاب زهر النجوم

فلما فرغ قال نصر صدقت وتكلمت القيسية واعتذروا قال واهان نصر قيسا وباعدهم حين فعل مغراء ما فعل فقال فى ذلك بعض الشعراء

لقد بغَّض الله الكرام إليكم * كما بغَّض الرحمن قيسًا إلى نصرِ
رأيتُ أبا الليثِ يهين سراتهم * ويدنى إليه كل ذى والثٍ غمرِ

﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك كذلك حدثنى أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر وكذلك قال الواقدى أيضا وكان عمال الامصار فى هذه السنة هم العمال الذين كانوا فى السنة التى قبلها وقد ذكرتهم قبلُ

## ﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة ﴾

### ﴿ذكر الاخبار عما كان فيها من الاحداث﴾

فما كان فيها من ذلك مقدم جماعة من شيعة بنى العباس الكوفة يريدون مكة وشرى بكير بن ماهان فى قول بعض أهل السير أبا مسلم صاحب دعوة بنى العباس من عيسى بن معقل العجلى

### ﴿ذكر الخبر عن سبب ذلك﴾

وقد اختلف فى ذلك فاما علىّ بن محمد فانه ذكر ان حمزة بن طلحة السلمى حدثه عن أبيه قال كان بكير بن ماهان كاتبا لبعض عمال السند فقدمها فاجتمعوا بالكوفة فى دار فغمز بهم

فاخذوا

فأخذوا فحبس بكير وخلي من الباقين وفي الحبس يونس أبو عاصم وعيسى بن معقل العجلي ومعه أبو مسلم يخدمه فدعاهم بكير فاجابوه الى رأيه فقال لعيسى بن معقل ماهذا الغلام قال مملوك قال تبيعه قال هولك قال احب ان تأخذ ثمنه قال هولك بما شئت فأعطاه أربعمائة درهم ثم أخرجوا من السجن فبعث به الى ابراهيم فدفعه ابراهيم الى موسى السراج فسمع منه وحفظ ثم صار الى ان اختلف الى خراسان وقال غيره توجه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب من خراسان وهم يريدون مكة في سنة ١٢٤ فلما دخلوا الكوفة أتوا عاصم بن يونس العجلي وهو في الحبس قد اتُّهم بالدعاء الى ولد العباس ومعه عيسى وادريس ابنا معقل حبسهما يوسف بن عمر فيمن حبس من عمال خالد بن عبد الله ومعهما أبو مسلم يخدمهما فرأوا فيه العلامات فقالوا من هذا قالوا غلام معنا من السراجين وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وادريس يتكلمان في هذا الرأي فاذا سمعهما بكى فلما رأوا ذلك منه دعوه الى ماهم عليه فأجاب وقبل ﴿وفي هذه السنة﴾ غزا سليمان بن هشام الصائفة فلقي أليون ملك الروم فسلم وغنم ﴿وفيها﴾ مات في قول الواقدي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ﴿وحج﴾ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن اسماعيل كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر وكذلك قال الواقدي وحج في هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك معه امرأته أم سلمة بنت هشام بن عبد الملك وذكر محمد بن عمران يزيد مولى أبي الزناد حدثه قال رأيت محمد بن هشام على بابها يرسل بالسلام والطافه على بابها كثيرة ويعتذر فتأبى حتى كان يأيس من قبول هديته ثم أمرت بقبضها وكان عمال الامصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة ١٢٢ وفي سنة ١٢٣ وقد ذكرناهم قبل

## ﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة ﴾

### ﴿ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث﴾

فمن ذلك غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة ومن ذلك وفاة هشام بن عبد الملك بن مروان فيها وكانت وفاته فيما ذكر أبو معشر لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقدي والمدائني وغيرهما غير انهم قالوا كانت وفاته يوم الاربعاء لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر فكانت خلافته في قول جميعهم تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحدا وعشرين يوما في قول المدائني وابن الكلبي وفي قول أبي معشر وثمانية أشهر ونصفا وفي قول الواقدي وسبعة أشهر وعشرة ليال واختلف في مبلغ سنّه فقال هشام بن محمد الكلبي توفي وهو ابن خمس وخمسين سنة وقال بعضهم توفي وله اثنتان وخمسون سنة وقال محمد بن عمر كان هشام يوم توفي ابن أربع وخمسين سنة وكانت وفاته بالرُّصافة وبها قبره وكان يكنّى أبا الوليد

## ﴿ ذكر الخبر عن العلة التى كانت بها وفاته ﴾

حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنى على بن محمد قال حدثنى شيبة بن عثمان قال حدثنى عمرو بن كليع قال حدثنى سالم أبو العلاء قال خرج علينا هشام بن عبد الملك يوما وهو كئيب يعرف ذلك فيه مسترخ عليه ثيابه وقد أرخى عنان دابته فسار ساعة ثم انتبه فجمع ثيابه وأخذ بعنان دابته وقال للربيع أدع الأبرش فدعى فسار بينى وبين الابرش فقال له الابرش يا أمير المؤمنين لقد رأيت منك شيأ غمنى قال وما هو قال رأيتك قد خرجت على حال غمنى قال ويحك يا أبرش وكيف لا أغتم وقد زعم أهل العلم انى ميت الى ثلاثة وثلاثين يوما قال سالم فرجعت الى منزلى فكتبت فى قرطاس زعم أمير المؤمنين يوم كذا وكذا انه يسافر الى ثلاثة وثلاثين يوما فلما كان فى الليلة التى استكمل فيها ثلاثة وثلاثين يوما اذا خادم يدق الباب يقول أجب أمير المؤمنين واحمل معك دواء الذبحة وقد كان أخذه مرة فتعالج فأفاق فخرجت ومعى الدواء فتغرغر به فازداد الوجع شدة ثم سكن فقال لى يا سالم قد سكن بعض ما كنت أجد فانصرف الى أهلك وخلف الدواء عندى فانصرفت فما كان الا ساعة حتى سمعت الصراخ عليه فقالوا مات أمير المؤمنين فلما مات أغلق الخزان الابواب فطلبوا قمقما يسخن فيه الماء لغسله فما وجدوه حتى استعار واقمقما من بعض الجيران فقال بعض من حضر ذلك ان فى هذا المعتبرا لمن اعتبر وكانت وفاته بالذبحة فلما مات صلى عليه ابنه مسلمة بن هشام

## ﴿ ذكر بعض سير هشام ﴾

حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنى على بن محمد عن سنان الأعرجى قال حدثنى ابن أبى نحيلة عن عقال بن شبة قال دخلت على هشام وعليه قباء فنك أخضر فوجهنى الى خراسان وجعل يوصينى وأنا أنظر الى القباء ففطن فقال مالك قلت رأيت عليك قبل أن تلى الخلافة قباء فنك أخضر فجعلت أتأمل هذا أهو ذاك أم غيره فقال هو والله الذى لا إله الا هو ذاك مالى قباء غيره وأما ما ترون من جمعى هذا المال وصونه فانه لكم قال وكان عقال مع هشام فأما شبة أبو عقال فكان مع عبد الملك بن مروان وكان عقال يقول دخلت على هشام فدخلت على رجل محشو عقلا حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنى على قال قال مروان بن شجاع مولى لمروان بن الحكم كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك فأرسل الى يوما فدخلت عليه وقد غضب وهو يتلهف فقلت مالك فقال رجل نصرانى شج غلامى وجعل يشتمه فقلت له على رسلك قال فما أصنع قلت ترفعه الى القاضى قال وما غير هذا قلت لا قال خصى له أنا أكفيك فذهب فضربه وبلغ هشاما فطلب الخصى فعاذ بمحمد فقال محمد ابن هشام لم آمرك وقال الخصى بلى والله لقد أمرتنى فضرب هشام الخصى وشتم ابنه وحدثنى أحمد قال على لم يكن أحد يسير فى أيام هشام فى موكب الا مسلمة بن عبد الملك قال ورأى هشام يوما سالما فى موكب فزجره وقال لأعلمن متى سرت فى موكب

وكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه فيقف سالم ويقول حاجتك ويمنعه أن يسير معه وكان سالم كأنه هو أمر هشاما قال ولم يكن أحد من بنى مروان يأخذ العطاء الا عليه الغز و فمنهم من يغزو ومنهم من يُخرج بدلاً قال وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب فكان يأخذ عطاء هشام مائتى دينار ودينارا يفضّل بدينار فيأخذها يعقوب ويغزو وكانوا يصيّرون أنفسهم فى أعوان الديوان وفى بعض ما يجوز لهم المقام به ويوضع به الغز وعنهم وكان داود وعيسى ابنا علىّ بن عبد الله بن عباس وهما لأمّ فى أعوان الشرق بالعراق لخالد ابن عبد الله فأقاما عنده فوصلهما ولولا ذلك لم يستطع أن يحبسهما فصيرهما فى الاعوان فسمرا وكانا يسامرانه ويحدّثانه قال فولى هشام بعض مواليه ضيعةً له فعمرها فجاءت بغلة عظيمة كبيرة ثم عمرها أيضا فأضعفت الغلة وبعث بها مع ابنه فقدم بها على هشام فأخبره خبر الضيعة فجزاه خيرا فرأى منه انبساطا فقال يا أمير المؤمنين ان لى حاجة قال وما هى قال زيادة عشرة دنانير فى العطاء فقال ما يخيل الى أحدكم أن عشرة دنانير فى العطاء الا بقدر الجوز لا لعمرى لا أفعلُ ❁ حدثنى أحمد قال حدثنا علىّ قال قال جعفر بن سليمان قال لى عبد الله بن علىّ جمعتُ دواوين بنى مروان فلم أر ديوانا أصحّ ولا أصلح للعامّة والسلطان من ديوان هشام ❁ حدثنا أحمد قال قال علىّ قال غسّان بن عبد الحميد لم يكن أحد من بنى مروان أشدّ حصرًا فى أمر أصحابه ودواوينه ولا أشدّ مبالغة فى الفحص عنهم من هشام ❁ حدثنى أحمد قال حدثنا علىّ قال قال حماد الابحّ قال هشام لغيلان ويحك يا غيلان قد أكثر الناس فيك فنازعنا بأمرك فان كان حقا اتبعناك فان كان باطلا نزعت عنه قال نعم فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلمه فقال له ميمون سل فان أقوى ما يكون اذا سألتم قال له أشاء الله أن يُعصى فقال له ميمون أفعُصى كارها فسكت فقال هشام أجبه فلم يجبه فقال له هشام لا أقالنى الله ان أقلته وأمر بقطع يديه ورجليه ❁ حدثنى أحمد قال حدثنا علىّ عن رجل من غنى عن بشر مولى هشام قال أوتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبَرْبَط فقال اكسروا الطنبور على رأسه وضربه فبكى الشيخ قال بشر فقلت له وأنا أعزّيه عليك بالصبر فقال أترانى أبكى للضرب انما أبكى لاحتقاره للبربط اذ سماه طنبورا قال وأغلظ رجل لهشام فقال له هشام ليس لك أن تغلظ لامامك قال وتفقد هشام بعض ولده ولم يحضر الجمعة فقال له ما منعك من الصلاة قال نفقت دابتى قال أفعجزتَ عن المشى فتركتَ الجمعة فمنعه الدابة سنةً قال وكتب سليمان بن هشام الى أبيه ان بغلتى قد عجزت عنى فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر لى بدابة فعل فكتب اليه قد فهم أمير المؤمنين كتابك وما ذكرت من ضعف دابتك وقد ظنّ أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهّدك لعلفها وان علفها يضيع فتعهد دابتك فى القيام عليها بنفسك ويرى أمير المؤمنين رأيه فى حملانك قال وكتب اليه بعض عماله انى قد بعثت الى أمير المؤمنين بسلّة دُرّاقن فليكتب الى أمير

المؤمنين بوصولها فكتب اليه قد وصل الى أمير المؤمنين الدراقن الذى بعثت به فأعجبه فزد أمير المؤمنين منه واستوثق من الوعاء قال وكتب الى بعض عماله قد وصلت الكمأة التى بعثت بها الى أمير المؤمنين وهى أربعون وقد تغير بعضها ولم تؤت فى ذلك الامن حشوها فاذا بعثت الى أمير المؤمنين منها شيأ فأجد حشوها فى الظرف الذى تجعلها فيه بالرمل حتى لاتضطرب ولا يصيب بعضها بعضا ✿ حدثنى أحمد قال حدثنى على قال حدثنا الحارث بن يزيد قال حدثنى مولى لهشام قال بعث معى مولى لهشام كان على بعض ضياعه بطيرين ظريفين فدخلت اليه وهو جالس على سرير فى عرصة الدار فقال أرسلهما فى الدار قال فأرسلتهما فنظر اليهما فقلت يا أمير المؤمنين جائزتى قال ويلك وما جائزة طيرين قلت ما كان قال خذ أحدهما فعدوت فى الدار عليهما فقال مالك قلت أختار خيرهما قال أتختار أيضا خيرهما وتدع شرهما الى دعهما ونحن نعطيك أربعين درهما أو خمسين درهما قال وأقطع هشام أرضا يقال لها دورين فأرسل فى قبضها فاذا هى خراب فقال لذويد كاتب كان بالشأم ويحك كيف الحيلة قال ما تجعل لى قال أربعمائة دينار فكتب دورين وقراها ثم أمضاها فى الدواوين فأخذ شيأ كثيرا فلما ولى هشام دخل عليه ذويد فقال له هشام دورين وقراها الا والله لا تلى لى ولاية أبدا وأخرجه من الشأم ✿ حدثنى أحمد قال حدثنا على عن عمير بن يزيد عن أبى خالد قال حدثنى الوليد بن خليد قال رآنى هشام بن عبد الملك وأنا على برذون طخارى فقال يا وليد بن خليد ماهذا البرذون قلت حملنى عليه الجنيد فحسدنى وقال والله لقد كثرت الطخارية لقد مات عبد الملك فما وجدنا فى دوابه برذونا طخاريا غير واحد فتنافسه بنو عبد الملك أيهم يأخذه وما منهم أحد الا يرى انه ان لم يأخذه لم يرث من عبد الملك شيأ قال وقال بعض آل مروان لهشام أتطمع فى الخلافة وأنت بخيل جبان قال ولم لا أطمع فيها وأنا حليم عفيف قال وقال هشام يوما للابرش أوضعت اعنزك قال اى والله قال لكن اعنزى تأخر ولادها فاخرج بنا الى اعنزك نصب من ألبانها قال نعم أفأقدم قوما قال لا قال أفأقدم خباء حتى يضرب لنا قال نعم فبعث برجلين بخباء فضرب وغدا هشام والابرش وغدا الناس فقعد هشام والابرش كل واحد منهما على كرسى وقدم الى كل واحد منهما شاة فحلب هشام الشاة بيده وقال تعلم يا ابرش انى لم أبس الحلب ثم أمر بملة فعجنت وأوقد بيده النار ثم فحصها وألقى الملة وجعل يقلبها بالمحراث ويقول يا ابرش كيف ترى رفقى حتى نضجت ثم أخرجها وجعل يضربها بالمحراث ويقول جبينك جبينك والابرش يقول لبيك لبيك وهذا شئ تقوله الصبيان اذا خبزت لهم الملة ثم تغدى وتغدى الناس ورجع قال وقدم علباء بن منظور الليثى على هشام فأنشده

قالت عُلَيَّةُ واعتزمتُ لِرِحلةٍ * زَوْرَاءَ بالأذنين ذاتَ تَسَدُّرِ
أينَ الرحيلُ وأهلُ بيتكَ كلُّهم * كَلٌّ عليكَ كبيرُهم كالأصغرِ

فأصاغرٌ أمثالُ سلكانِ القطا * لافى ثرى مالٍ ولافى مَعْشَرِ
إنى إلى ملكِ الشآم لراحلٌ * وإليه يرحلُ كلُّ عبدٍ موقرِ
فلأتركنّك إن حييتُ غنيةً * بندى الخليفةِ ذى الفعالِ الازهرِ
إنا أناسٌ ميّتٌ ديوانُنا * ومتى يُصبه ندى الخليفةِ يُنشرِ

فقال له هشام هذا الذى كنت تحاول وقد أحسنت المسئلة فأمر له بخمسمائة درهم وألحق له عيلاً فى العطاء قال وأتى هشاما محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال مالك عندى شئ ثم قال اياك أن يغرك أحد فيقول لم يعرفك أمير المؤمنين انى قد عرفتك أنت محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلا تقيمن وتنفق مامعك فليس لك عندى صلة فالحق بأهلك قال ووقف هشام يوما قريبا من حائط له فيه زيتون ومعه عثمان بن حيان المرّى وعثمان قائم يكاد رأسه يوازى رأس أمير المؤمنين وهو يكلمه اذ سمع نفض الزيتون فقال لرجل انطلق اليهم فقل لهم القطوه لقطا ولا تنفضوه نفضا فتتفقأ عيونه وتتكسر غصونه قال وحج هشام فأخذ الابرش مخنثين ومعهم البرابط فقال هشام احبسوهم وبيعوا متاعهم فما أدرى ماهو وصيّروا ثمنه فى بيت المال فاذا اصلحوا فردّوا عليهم الثمن وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرصافة وهى فيما ذكر من أرض قنسرين وكان سبب نزوله اياها فيما حدثنى أحمد بن زهير بن حرب عن علىّ بن محمد قال كان الخلفاء وابناء الخلفاء يتبدّون ويهربون من الطاعون فينزلون البرّية خارجا عن الناس فلما أراد هشام أن ينزل الرُّصافة قيل له لا تخرج فانّ الخلفاء لا يطعنون لم ير خليفة طعن قال أتريدون أن تجرّبوا بى فنزل الرُّصافة وهى برّية ابتنى بها قصرين والرصافة مدينة رومية بنتها الروم وكان هشام أحول ❁ فحدثنى أحمد عن علىّ قال بعث خالد بن عبد الله الى هشام بن عبد الملك بحادٍ فحدا بين يديه بأرجوزة أبى النجم

والشمسُ فى الافق كعينِ الأحولِ * صغواءُ قد همّتْ ولمّا تفعلِ

فغضب هشام وطرده ❁ وحدثنى أحمد بن زهير قال حدثنى علىّ بن محمد قال حدثنا أبو عاصم الضبّى قال مرّ بى معاوية بن هشام وأنا أنظر اليه فى رحبة أبى شريك وأبو شريك رجل من العجم كانت تنسب اليه وهى مزرعة وقد اختبزت خبزة فوقف علىّ فقلت الغداء فنزل وأخرجتها فوضعتها فى لبن فأكل ثم جاء الناس فقلت من هذا قالوا معاوية بن هشام فأمر لى بصلة وركب وثار بين يديه ثعلب فركض خلفه فما تبعه غلوة حتى عثر به فرسه فسقط فاحتملوه ميتا فقال هشام تالله لقد أجمعت أن أرشّحه للخلافة ويتبع ثعلبا قال وكانت عند معاوية بن هشام ابنة اسماعيل بن جرير وامرأة أخرى فأخرج هشام كلّ واحدة منهما من نصف الثمن بأربعين ألفا ❁ حدثنى أحمد بن زهير قال حدثنا علىّ قال قال

وحدثنا كاتب يوسف بعثني يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء تخرج طرفاها من كفي ولؤلؤ حبة أعظم ما يكون من اللؤلؤ فدخلت عليه فدنوت منه فلم أر وجهه من طول السرير وكثرة الفرش فتناول الحجر والحبة فقال أكتب معك بوزنهما قلت يا أمير المؤمنين هما أجل عن أن يكتب بوزنهما ومن أين يوجد مثلهما قال صدقت وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبد الله اشتراها بثلاثة وسبعين ألف دينار ﴿ حدثني ﴾ أحمد بن زهير قال حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا حسين بن يزيد عن شهاب بن عبد ربه عن عمرو بن علي قال مشيت مع محمد بن علي الى داره عند الحمام فقلت له انه قد طال ملك هشام وسلطانه وقد قرب من العشرين وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فزعم الناس أنها العشرون فقال ما أدري ما أحاديث الناس ولكن أبي حدثني عن أبيه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يعمر الله ملكا في أمة نبي مضى قبله ما بلغ بذلك النبي من العمر (وفي هذه السنة) ولي الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وليها يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ في قول هشام بن محمد الكلبي وأما محمد بن عمر فانه قال استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الاربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر من سنة ١٢٥ وقال في ذلك علي بن محمد مثل قول محمد بن عمر

﴿ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾

﴿ ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة ﴾

قد مضى ذكري سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافة بعد أخيه هشام ابن عبد الملك وكان الوليد بن يزيد يوم عقد له أبوه يزيد ذلك ابن احدى عشرة سنة فلم يمت يزيد حتى بلغ ابنه الوليد خمس عشرة سنة فندم يزيد على استخلافه هشاما أخاه بعده وكان اذا نظر الى ابنه الوليد قال الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك فتوفي يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة وولي هشام وهو للوليد مكرم معظم مقرب فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجون وشرب الشراب حمله على ذلك فيما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد عن جويرية بن أسماء واسحاق بن أيوب وعامر بن الاسود وغيرهم عبد الصمد بن عبد الاعلى الشيباني أخو عبد الله بن عبد الاعلى وكان مؤدب الوليد واتخذ الوليد ندماء فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج سنة ١١٩ فحمل معه كلابا في صناديق فسقط منها صندوق فيما ذكر علي بن محمد عمن سميت من شيوخه عن البعير وفيه كلب فأجالوا على الكري السياط فأوجعوه ضربا وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة وحمل معه خمرا وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويجلس فيها فخوفه أصحابه وقالوا لا نأمن الناس عليك وعلينا معك فلم يحركها وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف به وبلغ ذلك هشاما فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام

واراده

وأراده على أن يخلعها ويبايع لمسلمة فأبى فقال له اجعلها له من بعدك فأبى فتنكّر له هشام وأضرّ به وعمل سرّا في البيعة لابنه فأجابه قوم قال فكان ممن أجابه خالاه محمد وابراهيم ابنا هشام بن اسماعيل المخزومى وبنو القعقاع بن خليد العبسى وغيرهم من خاصته قال وتمادى الوليد في الشراب وطلب اللذات فأفرط فقال له هشام ويحك يا وليد والله ما أدرى أعلى الاسلام أنت أم لا ما تدع شيأ من المنكر الا أتيته غير متحاش ولا مستتر به فكتب اليه الوليد

يا أيها السائلُ عن ديننا * نحن على دين أبى شاكرِ
نشربُها صِرْفًا وممزوجةً * بالسُّخن أحيانًا وبالفاترِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنّى أبا شاكر وقال له يعيّرنى بك الوليد وأنا أرشّحك للخلافة فالزم الادب واحضر الجماعة وولاه الموسم سنة ١١٩ فأظهر النسك والوقار واللين وقسم بمكة والمدينة أموالا فقال مولى لاهل المدينة

يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبى شاكر
الواهبِ الجُرْدَ بأرسانها * ليس بزنديقٍ ولا كافرِ

يعرّض بالوليد وأمُّ مسلمة بن هشام أمُّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبى العاص فقال الكميت

إن الخلافةَ كائنٌ أوتادُها * بعدَ الوليدِ الى ابن أمّ حكيم

فقال خالد بن عبد الله القسرىّ أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر فغضب مسلمة بن هشام على خالد فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله كتب أبو شاكر الى خالد بن عبد الله بشعر هجا به نوفل خالدا وأخاه أسدا حين مات

أراحَ من خالدٍ وأهلكه * ربٌّ أراحَ العبادَ مِنْ أسَدِ
أمّا أبوهُ فكان مُؤتشبًا * عبدًا لئيمًا لأعبُدٍ قفدِ

وبعث بالطُّومار مع رسول على البريد الى خالد فظنّ أنه عزّاه عن أخيه ففضّ الخاتم فلم ير في الطومار غير الهجاء فقال ما رأيت كاليوم تعزيةً وكان هشام يعيب الوليد ويتنقصه وكثر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به فلما رأى ذلك الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصته ومواليه فنزل بالأزرق بين أرض بَلقَين وفزارة على ماء يقال له الاغدف وخلف كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك بن مروان بالرصافة فقال له اكتب الىّ ما يحدث قبلكم وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الاعلى فشربوا يوما فلما أخذ فيهم الشرابُ قال الوليد لعبد الصمد يا أبا وهب قل أبياتا فقال

ألم ترَ للنجمِ إذ شُيِّعا * يُبادِرُ في بُرجِه المَرْجعا

تحيّر عن قصد مجرانه * أتى الغور والتمس المطلعا
فقلت وأعجبني شأنه * وقد لاح اذ لاح لي مطمعا
لعلّ الوليد دنا ملكه * فأمسى اليه قد استجمعا
وكنا نؤمل في ملكه * كتأميل ذي الجدب أن يمرعا
عقدنا له محكمات الأمو * ر طوعا فكان لها موضعا

وروى الشعر فبلغ هشاما فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه وكتب الى الوليد بلغني عنك انك اتخذت عبد الصمد خدنا ومحدثا ونديما وقد حقق ذلك عندي ما بلغني عنك ولم أبرئك من سوء فأخرج عبد الصمد مذموما مدحورا فأخرجه وقال فيه

لقد قذفوا أبا وهب بأمر * كبير بل يزيد على الكبير
فأشهد أنهم كذبوا عليه * شهادة عالم بهم خبير

وكتب الوليد الى هشام يعلمه اخراج عبد الصمد واعتذر اليه مما بلغه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج اليه وكان ابن سهيل من أهل اليمن وقد ولي دمشق غير مرة وكان ابن سهيل من خاصة الوليد فضرب هشام ابن سهيل وسيره وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد وبلغه أنه يكتب بالاخبار الى الوليد فضربه ضربا مبرحا وألبسه المسوح فبلغ الوليد فقال من يثق بالناس ومن يصطنع المعروف هذا الاحول المشؤم قدمه أبي على أهل بيته فصيره ولي عهده ثم يصنع بي ما ترون لا يعلم أن لي في أحد هوى الاعبث به كتب الى أن أخرج عبد الصمد فأخرجته وكتبت اليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج الي فضربه وسيره وقد علم رأيي فيه وقد علم انقطاع عياض بن مسلم الي وتحرمه بي ومكانه مني وانه كاتبي فضربه وحبسه يضارني بذلك اللهم أجرني منه وقال

أنا النذير لمسدي نعمة أبدا * إلى المقاريف مالم يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطرا * وإن أهنتهم ألفيتهم ذللا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم * ستعلمون إذا كانت لنا دولا
أنظر فإن كنت لم تقدر على مثل * له سوى الكلب فاضربه له مثلا
بينا يسمنه للصيد صاحبه * حتى إذا ما نوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته * ولو أطاق له أكلا لقد أكلا

وكتب الى هشام لقد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني ومحو ما محا من أصحابي وحرمي وأهلي ولم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالي به منه فان يكن ابن سهيل كان منه ما كان فبحسب العير أن يكون قدر الذئب ولم يبلغ من صنيعي في ابن سهيل واستصلاحه وكتابي الى أمير المؤمنين فيه كنه ما بلغ أمير المؤمنين من

قطيعتي فان يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين علي فقد سبّب الله لي من العهد وكتب لي من العُمر وقسم لي من الرزق مالا يقدر أحد دون الله على قطع شيء منه دون مدّته ولا صرف شيء عن مواقعه فقدر الله يجري بمقاديره فيما أحبّ الناس أو كرهوا ولا تأخير لعاجله ولا تعجيل لآجله فالناس بين ذلك يقترفون الآثام على نفوسهم من الله أو يستوجبون الاجور عليه وأمير المؤمنين أحقّ أمّته بالبصر بذلك والحفظ له والله الموفق لأمير المؤمنين لحسن القضاء له في الامور فقال هشام لأبي الزُّبير يانسطاس أترى الناس يرضون بالوليد ان حدث بي حدث قال بل يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين قال ويحك لا بدّ من الموت افترى الناس يرضون بالوليد قال يا أمير المؤمنين ان له في أعناق الناس بيعة فقال هشام لئن رضي الناس بالوليد ما أظنّ الحديث الذي رواه الناس أن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار الا باطلا وكتب هشام الى الوليد قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ماقطع عنك وغير ذلك وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجري عليك وأمير المؤمنين أخوف على نفسه من اقتراف المآثم عليها في الذي كان يجري عليك منه في الذي أحدث من قطع ماقطع ومحو ما محا من صحابتك لامرين أمّا أحدهما فايثار أمير المؤمنين اياك بما كان يجري عليك وهو يعلم وضعك له وإنفاقكه في غير سبيله وأما الآخر فاثبات صحابتك وإدرار أرزاقهم عليهم لا ينالهم ماينال المسلمين في كلّ عام من مكروه عند قطع البعوث وهم معك تجول بهم في سفهك ولأمير المؤمنين أحرى في نفسه للتقصير في القتر عليك منه للاعتداء عليك فيهما مع ان الله قد نصر أمير المؤمنين في قطع ماقطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوّف مما سلف فيه منه وأما ابن سهيل فلعمري لئن كان نزل منك بما نزل وكان أهلاً أن تسرّ فيه أو تساء ماجعله الله كذلك وهل زاد ابن سهيل لله أبوك على أن كان مغنيا زفّانا قد بلغ في السفه غايته وليس ابن سهيل مع ذلك بشرّ ممن تستصحبه في الامور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها مما كنت لعمر الله أهلا للتوبيخ به ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به في الحرص على فسادك انك اذا بغير إلّ عن هوى أمير المؤمنين من ذلك وأما ماذكرت مما سبّب الله لك فان الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربه انه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضرًّا ولا نفعا وان الله وليّ ذلك منه وانه لا بدّ له من مزايلته والله أرأف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير الرضيّ له منهم وان أمير المؤمنين من حسن ظنه بربه لعلى أحسن الرجاء أن يوليه تسبيب ذلك لمن هو أهله في الرضا له به ولهم فان بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يؤديه شكره الا بعون منه ولئن كان قدر لأمير المؤمنين تعجيل وفاة ان في الذي هو مفض اليه ان شاء

الله من كرامة الله الخلفا من الدنيا ولعمرى ان كتابك الى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك فاربع على نفسك من غلوائها وارقأ على ظلعك فان لله سطوات وعينا يصيب بذلك من يشاء ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الامور اليه وأرضاها له فكتب الوليد الى هشام

رَأيتُكَ تَبْنِي جاهِدًا في قَطِيعَتِي * فَلَوْ كُنْتَ ذا إِرْبٍ لَهَدَّمْتَ ما تَبْنِي

تُثِيرُ على الباقِينَ مَجْنِى ضَغِينَةٍ * فَوَيْلٌ لَهُمْ إِنْ مِتَّ مِنْ شَرِّ ماتَجْنِي

كأنى بِهِمْ والليتَ أفضلُ قولِهِمْ * ألا ليتنا والليتَ إذ ذاكَ لا يُغْنِي

كَفَرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لو شَكَرْتَها * جَزاكَ بها الرَّحمنُ ذو الفضلِ والمَنِّ

قال فلم يزل الوليد مقيما فى تلك البرّيّة حتى مات هشام فلما كان صبيحة اليوم الذى جاءته فيه الخلافة أرسل الى أبى الزُبَير المنذر بن أبى عمرو فأتاه فقال له يا أبا الزُبير ما أتت علىّ ليلة منذ عقلت عقلى أطول من هذه الليلة عرضت لى هموم وحدّثت نفسى فيها بأمور من أمر هذا الرجل قد أولع بى يعنى هشاما فاركب بنا نتنفّس فركبا فسار ميلين ووقف على كثيب وجعل يشكو هشاما اذ نظر الى رهج فقال هؤلاء رسل هشام نسأل الله من خيرهم اذ بدا رجلان على البريد مقبلان أحدهما مولى لأبى محمد السفيانى والآخر جُرْدُبَة فلما قربا أتيا الوليد فنزلا يعدوان حتى دنيا منه فسلما عليه بالخلافة فوجم وجعل جردبة يكرّر عليه السلام بالخلافة فقال ويحك أمات هشام قال نعم قال فمن كتابك قال من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل فقرأ الكتاب فانصرفا فدعا مولى أبى محمد السفيانى فسأله عن كاتبه عياض ابن مسلم فقال يا أمير المؤمنين لم يزل محبوسا حتى نزل بهشام أمر الله فلما صار فى حد لا ترجى الحياة لمثله أرسل عياض الى الخزان ان احتفظوا بما فى أيديكم فلا يصلن أحد منه الى شئ وأفاق هشام افاقة فطلب شيأ فمنعوه فقال أرانا كنا خزّانا للوليد ومات من ساعته وخرج عياض من السجن فختم أبواب الخزائن وأمر بهشام فأنزل عن فرشه فما وجدوا له قمقما يسخن له فيه الماء حتى استعاروه ولا وجدوا كفنا من الخزائن فكفنه غالب مولى هشام فكتب الوليد الى العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ان يأتى الرُّصافة فيحصى ما فيها من أموال هشام وولده ويأخذ عماله وحشمه الا مسلمة بن هشام فانه كتب اليه ان لا يعرض له ولا يدخل منزله فانه كان يكثر ان يكلم أباه فى الرفق به ويكفه عنه فقدم العباس الرُّصافة فأحكم ما كتب به اليه الوليد وكتب الى الوليد بأخذ بنى هشام وحشمه واحصاء أموال هشام فقال الوليد

ليتَ هِشامًا كان حيًّا يَرَى * مِحْلَبَهُ الأَوْفَرَ قَدْ أُتْرِعا

﴿ويروى﴾

لَيْتَ هشاماعاش حتى يرى * مِكْيالَهُ الأَوفرَ قَدْ طُبّعا
كِلْناهُ بالصاع الذى كاله * وما ظَلَمْناهُ به إِصْبعا
وما أتينا ذاك عَنْ بدعة * أَحَلّهُ الفُرقانُ لى أَجمعا

فاستعمل الوليد العمال وجاءته بيعته من الآفاق وكتب اليه العمال وجاءته الوفود وكتب اليه مروان بن محمد بارك الله لأمير المؤمنين فيما أصاره اليه من ولاية عباده ووراثة بلاده وكان من تغشى غمرة سكرة الولاية ما حمل هشاما على ما حاول من تصغير ما عظم الله من حق أمير المؤمنين ورام من الامر المستصعب عليه الذى أجابه اليه المدخولون فى آرائهم وأديانهم فوجدوا ما طمع فيه مستصعبا وزاحمته الاقدارُ بأشد مناكبها وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى أزره بأكرم مناطق الخلافة فقام بما أراه الله له أهلا ونهض مستقلا بما حمل منها مثبتة ولايته فى سابق الزبر بالاجل المسمى خصه الله بها على خلقه وهو يرى حالاتهم فقلده طوقها ورمى اليه بأزمة الخلافة وعِصَم الامور فالحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لخلافته ووثائق عرى دينه وذب له عما كاده فيه الظالمون فرفعه ووضعهم فمن أقام على تلك الخسيسة من الامور أوبق نفسه وأسخط ربه ومن عدّلته التوبة نازعا عن الباطل الى حق وجد الله توابا رحيما أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله انى عند ما انتهى الىّ من قيامه بولاية خلافة الله نهضتُ الى منبرى علىّ سيفان مستعدًّا بهما لاهل الغش حتى أعلمت من قبلى ما امتنّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين فاستبشر والذلك وقالوا لم تأتنا ولاية خليفة كانت آمالنا فيها أعظم ولا هى لنا أسر من ولاية أمير المؤمنين وقد بسطت يدى لبيعتك فجددتها ووكّدتُها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليظ الايمان فكلهم حسنت اجابتهم وطاعتهم فأثبهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذى آتاك فانك أجودهم جودا وأبسطهم يدا وقد انتظروك راجين فضلك قبلهم بالرحم الذى استرحموك وزدهم زيادة يفضل بها من كان قبلك حتى يظهر بذلك فضلك عليهم على رعيتك ولولا ما أحاول من سد الثغر الذى أنا به لخفتُ ان يحملنى الشوق الى أمير المؤمنين ان استخلف رجلا على غير أمره واقدمَ لمعاينة أمير المؤمنين فانها لا يعدلها عندى عادل نعمة وان عظمت فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لى فى المسير اليه لأشافهه بأمور كرهتُ الكتاب بها فعل فلما ولى الوليد أجرى على زمنى أهل الشأم وعميانهم وكساهم وأمر لكل انسان منهم بخادم وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام وزاد الناس جميعا فى العطاء عشرة عشرة ثم زاد أهل الشأم بعد زيادة العشرات عشرة عشرة لأهل الشأم خاصةً وزاد من وفد اليه من أهل بيته فى جوائزهم الضعف وكان وهو ولىّ عهد يطعم من وفد اليه من أهل الصائفة قافلا ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاءُ ثلاثة أيام ويعلف دوابهم ولم يقل فى

شئ يسأله لا فقيل له ان فى قولك أنظر عدة مايقيم عليها الطالب فقال لا أعود لسانى شيأ لم أعتده وقال

ضمنتُ لكم إنْ لم تعقْني عوائقٌ * بأنَّ سماء الضرِّ عنكم ستُقلعُ
سيُوشِكُ إلحاقٌ معًا وزيادةٌ * وأعطيةٌ منّي عليكم تبرّعُ
مُحرَّمكم ديوانُكم وعطاؤكم * به يكتُبُ الكتابُ شهرًا وتطبعُ

﴿وفى هذه السنة﴾ عقد الوليد بن يزيد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده وجعلهما ولى عهده أحدهما بعد الآخر وجعل الحكم مقدّما على عثمان وكتب بذلك الى الامصار وكان ممن كتب اليه بذلك يوسف بن عمر وهو عامل الوليد يومئذ على العراق وكتب بذلك يوسف الى نصر بن سيار وكانت نسخة الكتاب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن عمر الى نصر ابن سيار أما بعد فانى بعثتُ اليك نسخة كتاب أمير المؤمنين الذى كتب به الى من قبلى الذى ولى الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقَّال بن شبَّة التميمى وعبد الملك القينىّ وأمرتهما بالكلام فى ذلك فاذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس ومرهم فليحشدوا له وقم فيهم بالذى كتب أمير المؤمنين فاذا فرغت فقم بقراءة الكتاب وأذن لمن أراد ان يقوم بخطبة ثم بايع الناس لهما على اسم الله وبركته وخذ عليهم بالمواثيق على الذى نسخت لك فى آخر كتابى هذا الذى نسخ لنا أمير المؤمنين في كتابه فافهمه وبايع عليه نسأل الله ان يبارك لامير المؤمنين ورعيته فى الذى قضى لهم على لسان أمير المؤمنين وان يصلح الحكم وعثمان ويبارك لنا فيهما والسلام عليك وكتب النصر يوم الخميس للنصف من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة بسم الله الرحمن الرحيم تبايع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكم ابن أمير المؤمنين ان كان من بعده وعثمان ابن أمير المؤمنين ان كان بعد الحكم على السمع والطاعة وان حدث بواحد منهما حدثٌ فأمير المؤمنين أملك في ولده ورعيته يقدم من أحب ويؤخر من أحب عليك بذلك عهد الله وميثاقه فقال الشاعر فى ذلك

نؤمّلُ عُثمانَ بعدَ الوليـ * ـدِ للعَهدِ فيناونرجو يزيدا
كما كان إذذاك فى ملكِهِ * يزيدُ يُرجى لذاك الوليدا
على أنّها شسعَتْ شسْعَةً * فنحنُ نؤمّلها أن تعودا
فإنْ هي عادَت فأوصى القريـ * ـب عنها اليؤُيس منها البعيدا

قال أحمد قال علىّ عن شيوخه الذين ذكرتُ فقدم عقال بن شبة وعبد الملك بن نعيم على نصر وقدما بالكتاب وهو أما بعد فان الله تباركت أسماؤه وجل ثناؤه وتعالى ذكره اختار الاسلام دينا لنفسه وجعله خيرته من خلقه ثم اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس فبعثهم به

وامرهم

وأمرهم به وكان بينهم وبين من مضى من الامم وخلا من القرون قرنا فقرنا يدعون الى التى هى أحسن ويهدون الى صراط مستقيم حتى انتهت كرامة الله فى نبوته الى محمد صلوات الله عليه على حين دروس من العلم وعمى من الناس وتشتيت من الهوى وتفرق من السبل وطموس من أعلام الحق فأبان الله به الهدى وكشف به العمى واستنقذ به من الضلالة والردى وأبهج به الدين وجعله رحمة للعالمين وختم به وحيه وجمع له ما أكرم به الانبياء قبله وقفى به على آثارهم مصدقا لما نزل معهم ومهيمنا عليه وداعيا اليه وآمرا به حتى كان من أجابه من أمته ودخل في الدين الذى أكرمهم الله به مصدقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذبهم فيه قومهم منتصحين لهم فيما ينهونه ذابين لحرمهم عما كانوا منتهكين معظمين منها لما كانوا مصغرين فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد كان يسمع لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله به مكذبا ولا عليه في ذلك طاعنا ولا له مؤذيا بتسفيه له أو رد عليه اذ جحد لما أنزل الله عليه معه فلم يبق كافر الا استحل بذلك دمه وقطع الاسباب التى كانت بينه وبينه وان كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوته حين قبض نبيه صلى الله عليه وسلم وختم به وحيه لإنفاذ حكمه وإقامة سنته وحدوده والاخذ بفرائضه وحقوقه تأييدا بهم للاسلام وتشييدا بهم لعراه وتقوية بهم لقوى حبله ودفعا بهم عن حريمه وعدلا بهم بين عباده واصلاحا بهم لبلاده فانه تبارك وتعالى يقول وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه واستخلفهم عليه منه لا يتعرض لحقهم أحد الا صرعه الله ولا يفارق جماعتهم أحد الا أهلكه الله ولا يستخف بولايتهم ويتهم قضاء الله فيهم أحد الا أمكنهم الله منه وسلطهم عليه وجعله نكالا وموعظة لغيره وكذلك صنع الله بمن فارق الطاعة التى أمر بلزومها والاخذ بها والاثرة لها والتى قامت بها السموات والارض قال الله تبارك وتعالى ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ وقال عز ذكره وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ فبالخلافة أبقى الله من أبقى فى الارض من عباده واليها صيره وبطاعة من ولاه اياها سعد من ألهمها ونصرها فان الله عز وجل علم أن لا قوام لشىء ولا صلاح له الا بالطاعة التى يحفظ الله بها حقه ويمضى بها أمره وينكل بها عن معاصيه ويوقف عن محارمه ويذب عن حرماته فمن أخذ بحظه منها كان لله وليا ولأمره مطيعا ولرشده مصيبا ولعاجل الخير وآجله مخصوصا ومن تركها ورغب عنها وحاد الله فيها أضاع نصيبه وعصى ربه وخسر دنياه وآخرته وكان ممن غلبت عليه الشقوة واستحوذت عليه الامور الغاوية التى تورد أهلها أفظع المشارع وتقودهم الى شر المصارع فيما

يحل الله بهم فى الدنيا من الذلة والنقمة ويصيرهم فيما عندهم من العذاب والحسرة والطاعةُ رأس هذا الامر وذروته وسنامه وزمامه وملاكه وعصمته وقوامه بعد كلمة الاخلاص التى ميز الله بها بين العباد وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم واستوجبوا عليه ثوابهم وفى المعصية مما يحل بغيرهم من نقماته وتصيبهم عليه ويحقُّ من سخطه وعذابه ويُنزلُ بالطاعة والاضاعة لها والخروج منها والادبار عنها والتبدُّل بها أهلك اللهُ من ضلَّ وعتا وعمى وغلا وفارق مناهج البر والتقوى فالزموا طاعة الله فيما عراكم ونالكم وألم بكم من الامور وناصحوها واستوثقوا عليها وسارعوا اليها وخالصوها وابتغوا القربة الى الله بها فانكم قد رأيتم مواقع قضاء الله لاهلها في اعلائه اياهم وافلاجه حجتهم ودفعه باطل من حادَّهم وناواهم وساماهم وأراد اطفاء نور الله الذى معهم وخُبّرتم مع ذلك ما يصير اليه أهل المعصية من التوبيخ لهم والتقصير بهم حتى يؤول أمرهم الى تبار وصغار وذلة وبوار وفي ذلك لمن كان له رأى وموعظة عبرة ينتفع بواضحها ويتمسَّك بحظوتها ويعرف خيرة قضاء الله لاهلها ثم ان الله وله الحمد والمنُّ والفضل هدى الامّة لأفضل الامور عافيةً لها فى حقن دمائها والتئام ألفتها واجتماع كلمتها واعتدال عمودها واصلاح دهمائها وذخر النعمة عليها فى دنياها بعد خلافته التى جعلها لهم نظاما ولامرهم قواما وهو العهد الذى ألهم اللهُ خُلفاءه توكيده والنظر للمسلمين فى جسيم أمرهم فيه ليكون لهم عند ما يحدث بخلفائهم ثقةً فى المفزع وملتجأ فى الامر ولمًّا للشعث وصلاحا لذات البين وتثبيتا لأرجاء الاسلام وقطعا لنزغات الشيطان فيما يتطلع اليه أولياؤه ويوثبهم عليه من تلف هذا الدين وانصداع شعب أهله واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه فلا يريهم الله فى ذلك الا ما ساءهم وأكذب أمانيهم ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عقد أمورهم ونفى عنهم من أراد فيها إدغالا أو بها إغلالا أو لما شدّ الله منها توهينا أو فيما تولى الله منها اعتمادا فأكمل الله بها لخلفائه وحزبه البر الذين أودعهم طاعته أحسن الذى عودهم وسبب لهم من اعزازه واكرامه واعلائه وتمكينه فأمرُ هذا العهد من تمام الاسلام وكمال ما استوجب الله على أهله من المنن العظام ومما جعل الله فيه لمن أجراه على يديه وقضى به على لسانه ووفقه لمن ولاه هذا الامر عنده أفضل الذخر وعند المسلمين أحسن الاثر فيما يؤثر بهم من منفعته ويتسع لهم من أمنه ويستندون اليه من عزه ويدخلون فيه من وزره الذى يجعل الله لهم به منعة ويحرزهم به من كل مهلكة ويجمعهم به من كل فرقة ويقمع به أهل النفاق ويعصمهم به من كل اختلاف وشقاق فاحمدوا الله ربكم الرؤف بكم الصانع لكم فى أموركم على الذى دلكم عليه من هذا العهد الذى جعله لكم سكنا ومعولا تطمئنون اليه وتستظلون فى أفنانه ويستنهج لكم به مثنى أعناقكم وسمت وجوهكم وملتقى نواصيكم فى أمر دينكم ودنياكم فان لذلك خطرا عظيما من النعمة وان فيه من الله بلاء حسنا فى سعة العافية يعرفه ذوو الالباب والنيات المُربئون من أعمالهم فى العواقب والعارفون

منار مناهج الرشد فانتم حقيقون بشكر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من ذلك جديرون بمعرفة كنه واجب حقه فيه وحمده على الذى عزم لكم منه فلتكن منزلة ذلك منكم وفضيلته فى أنفسكم على قدر حسن بلاء الله عندكم فيه ان شاء الله ولا قوة الا بالله ثم ان أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشىء من الامور أشد اهتماما وعناية منه بهذا العهد لعلمه بمنزلته من أمر المسلمين وما أراهم الله فيه من الامور التى يغبطون ويكرمهم فيما يقضى لهم ويختاره لهم فيه جهده ويستقضى له ولهم فيه إلهه ووليه الذى بيده الحكم وعنده الغيب وهو على كل شىء قدير ويسأله ان يعينه من ذلك على الذى هو أرشد له خاصة وللمسلمين عامة فرأى أمير المؤمنين ان يعهد لكم عهدا بعد عهد تكونون فيه على مثل الذى كان عليه من كان قبلكم فى مهلة من انفساح الأمل وطمأنينة النفس وصلاح ذات البين وعلم موضع الامر الذى جعله الله لأهله عصمة ونجاة وصلاحا وحياة ولكل منافق وفاسق يحب تلف هذا الدين وفساد أهله وقما وخسارا وقد عافولى أمير المؤمنين ذلك الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده وهما ممن يرجو أمير المؤمنين ان يكون الله خلقه لذلك وصاغه له وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يوليه اياه فى وفاء الرأى وصحة الدين وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الامور ولم يألكم أمير المؤمنين ولا نفسه فى ذلك اجتهادا وخيرا فبايعوا للحكم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركته ولأخيه من بعده على السمع والطاعة واحتسبوا فى ذلك أحسن ما كان الله يريكم ويبليكم ويعوّدكم ويعرّفكم فى اشباهه فيما مضى من اليسر الواسع والخير العام والفضل العظيم الذى أصبحتم فى رجائه وخفضه وأمنه ونعمته وسلامته وعصمته فهو الامر الذى استبطأتموه واستسرعتم اليه وحمدتم الله على امضائه اياه وقضائه لكم وأحدثتم فيه شكرا ورأيتموه لكم حظا تستبقونه وتجهدون أنفسكم فى أداء حق الله عليكم فانه قد سبق لكم فى ذلك من نعم الله وكرامته وحسن قسمه ما أنتم حقيقون ان تكون رغبتكم فيه وحدبكم عليه على قدر الذى أبلاكم الله وصنع لكم منه وأمير المؤمنين مع ذلك ان حدث بواحد من وليى عهده حدث أولى بان يجعل مكانه وبالمنزل الذى كان به من أحب ان يجعل من أمته أو ولده ويقدمه بين يدى الباقى منهما ان شاء أو ان يؤخره بعده فاعلموا ذلك وافهموه نسأل الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ان يبارك لأمير المؤمنين ولكم فى الذى قضى به على لسانه من ذلك وقدر منه وان يجعل عاقبته عافية وسرورا وغبطة فان ذلك بيده ولا يملكه الا هو ولا يرغب فيه الا اليه والسلام عليكم ورحمة الله وكتب سمال يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومائة ﴿وفى هذه السنة﴾ ولى الوليد نصر بن سيار خراسان كلها وأفرده بها ﴿وفيها﴾ وفد يوسف بن عمر على الوليد فاشترى نصرا وعماله منه فرد اليه الوليد ولاية خراسان ﴿وفى هذه السنة﴾ كتب يوسف بن عمر الى نصر بن سيار يأمره بالقدوم عليه ويحمل معه

ماقدر عليه من الهدايا والاموال

﴿ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر في ذلك﴾

* ذكر عليٌّ عن شيوخه أن يوسف كتب الى نصر بذلك وأمره أن يقدم معه بعياله أجمعين فلما أتى نصرًا كتابه قسم على أهل خراسان الهدايا وعلى عماله فلم يدع بخراسان جارية ولا عبدا ولا برذونا فارها الا أعدّه واشترى ألف مملوك وأعطاهم السلاح وحملهم على الخيل قال وقال بعضهم كان قد أعدّ خمسمائة وصيفة وأمر بصنعة أباريق الذهب والفضة وتماثيل الظباء ورؤس السباع والايابل وغير ذلك فلما فرغ من ذلك كله كتب اليه الوليد يستحثه فسرّح الهدايا حتى بلغ أوائلها بيهق فكتب اليه الوليد يأمره أن يبعث اليه ببرابط وطنابير فقال بعض شعرائهم

أَبْشِرْ يا أَمِينَ اللهِ أَبْشِر بِتَباشِيرْ * بِإِبْلٍ يُحْمَلُ المالُ عليها كالأَنابِيرْ * بِغالٌ تَحْمِلُ الخمرَ * حَقائِبُها طَنابِيرِ ودَلٌّ البَرْبَرِيَّاتِ * بِصَوتِ البَمّ والزِير * وقَرْعُ الدُّفِّ أحيانًا ونَفْخٌ بالمزامِير * فهذا لك في الدنيا * وفي الجنةِ تَحْبِيرْ

قال وقدم الازرق بن قرة المسمعيُّ من الترمذ أيام هشام على نصر فقال لنصر اني أريتُ الوليد بن يزيد في المنام وهو وليُّ عهد شبه الهارب من هشام ورأيته على سرير فشرب عسلا وسقاني بعضه فأعطاه نصر أربعة آلاف دينار وكسوة وبعثه الى الوليد وكتب اليه نصر فأتى الازرقُ الوليدَ فدفع اليه المال والكسوة فسُرَّ بذلك الوليد وألطف الازرق وجزى نصرا خيرا وانصرف الازرق فبلغه قبل أن يصل الى نصر موت هشام ونصر لا علمَ له بما صنع الازرق ثم قدم عليه فأخبره فلما ولى الوليد كتب الى الازرق والى نصر وأمر رسوله أن يبتدئ بالازرق فيدفع اليه كتابه فأتاه ليلا فدفع اليه كتابه وكتاب نصر فلم يقرأ الازرق كتابه وأتى نصرا بالكتابين فكان في كتاب الوليد الى نصر يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة وأن يجمع له كلَّ صناجة بخراسان يقدر عليها وكلَّ بازي وبرذون فاره ثم يسير بذلك كله بنفسه في وجوه أهل خراسان فقال رجل من باهلة كان قوم من المنجّمين يخبرون نصرا بفتنة تكون فبعث نصر الى صدقة بن وثّاب وهو ببلخ وكان منجما وكان عنده وألحّ عليه يوسف بالقدوم فلم يزل يتباطأ فوجّه يوسف رسولا وأمره بلزومه يستحثه بالقدوم أو ينادي في الناس أنه قد خُلع فلما جاءه الرسول أجازه وأرضاه وتحوّل الى قصره الذي هو دار الامارة اليوم فلم يأت لذلك الا يسير حتى وقعت الفتنة فتحوّل نصر الى قصره بماجان واستخلف عصمة بن عبد الله الاسديّ على خراسان وولى المهلب ابن إياس العدويّ الخراج وولى موسى بن ورقاء الناجيّ الشاش وحسان من أهل

صغانيان الأسدىّ سمرقند ومُقاتل بن علىّ السغدىّ آمل وأمرهم اذا بلغهم خروجه من مرو أن يستحلبوا الترك وأن يغيروا على ماوراء النهر لينصرف اليهم بعد خروجه يعتل بذلك فبيناهو يسير يوما الى العراق طرقه ليلا مولى لبنى لَيث فلما أصبح أذن للناس وبعث الى رسل الوليد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد كان في مسيرى ما قد علمتم وبعثى بالهدايا ما رأيتم فطرقنى فلان ليلا فأخبرنى أن الوليد قد قُتل وأن الفتنة قد وقعت بالشأم وقدم منصور بن جمهور العراق وقد هرب يوسف بن عمر ونحن فى بلاد قد علمتم حالها وكثرة عدوّنا ثم دعا بالقادم فأحلفه أن ما جاءَبه لحقّ فحلف فقال سلم بن أحوز أصلح الله الامير لو حلفتُ لكنت صادقا انه بعض مكايد قريش أرادوا تهجين طاعتك فسر ولا تهجّنا قال يا سَلم أنت رجل لك علم بالحروب ولك مع ذلك حسن طاعة لبنى أمية فأما مثل هذا من الامور فرأيك فيه رأى أَمَة هتماء ثم قال نصر لم أشهد بعد ابن خازم أمرا مفظعا الا كنتُ المُفزِعَ فى الرأى فقال الناس قد علمنا ذلك فالرأى رأيك ﴿وفى هذه السنة﴾ وجّه الوليد ابن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفىّ واليا على المدينة ومكة والطائف ودفع اليه ابراهيم ومحمد ابنى هشام بن اسماعيل المخزومىّ موثقين فى عباءتين فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتى عشرة بقيت من شعبان سنة ١٢٥ فأقامهما للناس بالمدينة ثم كتب الوليد اليه يأمر أن يبعث بهما الى يوسف بن عمر وهو يومئذ عامله على العراق فلما قدما عليه عذّبهما حتى قتلهما وقد كان رُفع عليهما عند الوليد أنهما أخذا مالا كثيرا (وفي هذه السنة) عزل يوسف بن محمد سعدَ بن ابراهيم عن قضاء المدينة وولاها يحيى بن سعيد الانصارىّ ﴿وفيها﴾ غزّى الوليد بن يزيد أخاه الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك وأمّر على جيش البحر الاسودَ بن بلال المحاربىّ وأمره أن يسير الى قبرس فيخيرهم بين المسير الى الشأم ان شاؤا وان شاؤا الى الروم فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين فنقلهم الاسود الى الشأم واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا اليها ﴿وفيها﴾ قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قُريظ وقحطبة بن شَبيب مكة فلقوا فى قول بعض أهل السير محمد بن علىّ فأخبروه بقصة أبى مسلم وما رأوا منه فقال لهم أحُرٌّ هو أم عبد قالوا أما عيسى فيزعم أنه عبد وأما هو فيزعم أنه حرٌّ قال فاشتروه واعتقوه وأعطوا محمد بن علىّ مائتى ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم فقال لهم ما أظنكم تلقونى بعد عامى هذا فان حدث بى حدث فصاحبكم ابراهيم بن محمد فانى أثق به وأوصيكم به خيرا فقد أوصيته بكم فصدروا من عنده وتوفى محمد بن علىّ فى مستهل ذى القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة وكان بين وفاته وبين وفاة أبيه علىّ سبع سنين ﴿وحج﴾ بالناس فى هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف الثقفىّ حدثنى بذلك أحمد بن ثابت عمن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبى معشر ﴿وفي هذه السنة﴾ قتل يحيى بن زيد بن على بخراسان

﴿ذكر الخبر عن مقتله﴾

قد مضى ذكرنا قبل أمر مصير يحيى بن زيد بن على الى خراسان وسبب ذلك ونذكر الآن سبب مقتله اذ كان ذلك فى هذه السنة * ذكر هشام بن محمد الكلبى عن أبى مخنف قال أقام يحيى بن زيد بن على عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ حتى هلك هشام بن عبد الملك وولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك فكتب يوسف بن عمر الى نصر بن سيار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذى كان ينزل حتى أخبره أنه عند الحريش وقال له ابعث اليه وخذه أشد الاخذ فبعث نصر بن سيار الى عقيل بن معقل العجلى يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد بن على فبعث اليه عقيل فسأله عنه فقال لا علم لى به فجلده ستمائة سوط فقال له الحريش والله لو أنه كان تحت قدمى مارفعتهما لك عنه فلما رأى ذلك قريش بن الحريش أتى عقيلا فقال لا تقتل أبى وأنا أدلك عليه فأرسل معه فدله عليه وهو فى بيت فى جوف بيت فأخذه ومعه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس كان أقبل معه من الكوفة فأتى به نصر بن سيار فحبسه وكتب الى يوسف بن عمر يخبره بذلك فكتب بذلك يوسف الى الوليد بن يزيد فكتب الوليد الى نصر بن سيار يأمره أن يؤمنه ويخلى سبيله وسبيل أصحابه فدعاه نصر بن سيار فأمره بتقوى الله وحذره الفتنة وأمره أن يلحق بالوليد بن يزيد وأمر له بألفى درهم وبغلين فخرج هو وأصحابه حتى انتهى الى سرخس فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عباد فكتب اليه نصر بن سيار أن يشخصه عنها وكتب الى الحسن بن زيد التميمى وكان رأس بنى تميم وكان على طوس أن انظر يحيى ابن زيد فاذا مر بكم فلا تدعه يقيم بطوس حتى يخرج منها وأمرهما اذا هو مر بهما أن لا يفارقاه حتى يدفعاه الى عمرو بن زرارة بأبرشهر فأشخصه عبد الله بن قيس من سرخس ومر بالحسن بن زيد فأمره أن يمضى ووكل به سرحان بن فروخ بن مجاهد بن بلعاء العنبرى أبا الفضل وكان على مسلحة قال فدخلت عليه فذكر نصر بن سيار وما أعطاه فاذا هو كالمستقل له فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فأثنى عليه وذكر مجيئه بأصحابه معه وأنه لم يأت بهم الا المخافة أن يسم أو يغم وعرض بيوسف وذكر أنه اياه يتخوف وقد كان أراد أن يقع فيه ثم كف فقلت له قل ما أحببت رحمك الله فليس عليك منى عين فقد أتى اليك ما يستحق أن تقول فيه ثم قال العجب من هذا الذى يقيم الاحراس أو أمر الاحراس قال وهو حينئذ يتفصح والله لو شئت أن أبعث اليه فأتى به مربوطا قال فقلت له لا والله ما بك صنع هذا ولكن هذا شئ لا يصنع فى هذا المكان أبدا المكان بيت المال قال واعتذرت اليه من مسيرى معه وكنت أسير معه على رأس فرسخ فأقبلنا معه حتى وقعنا الى عمرو بن زرارة فأمر له بألف درهم ثم أشخصه حتى انتهى الى بيهق وخاف اغتيال يوسف

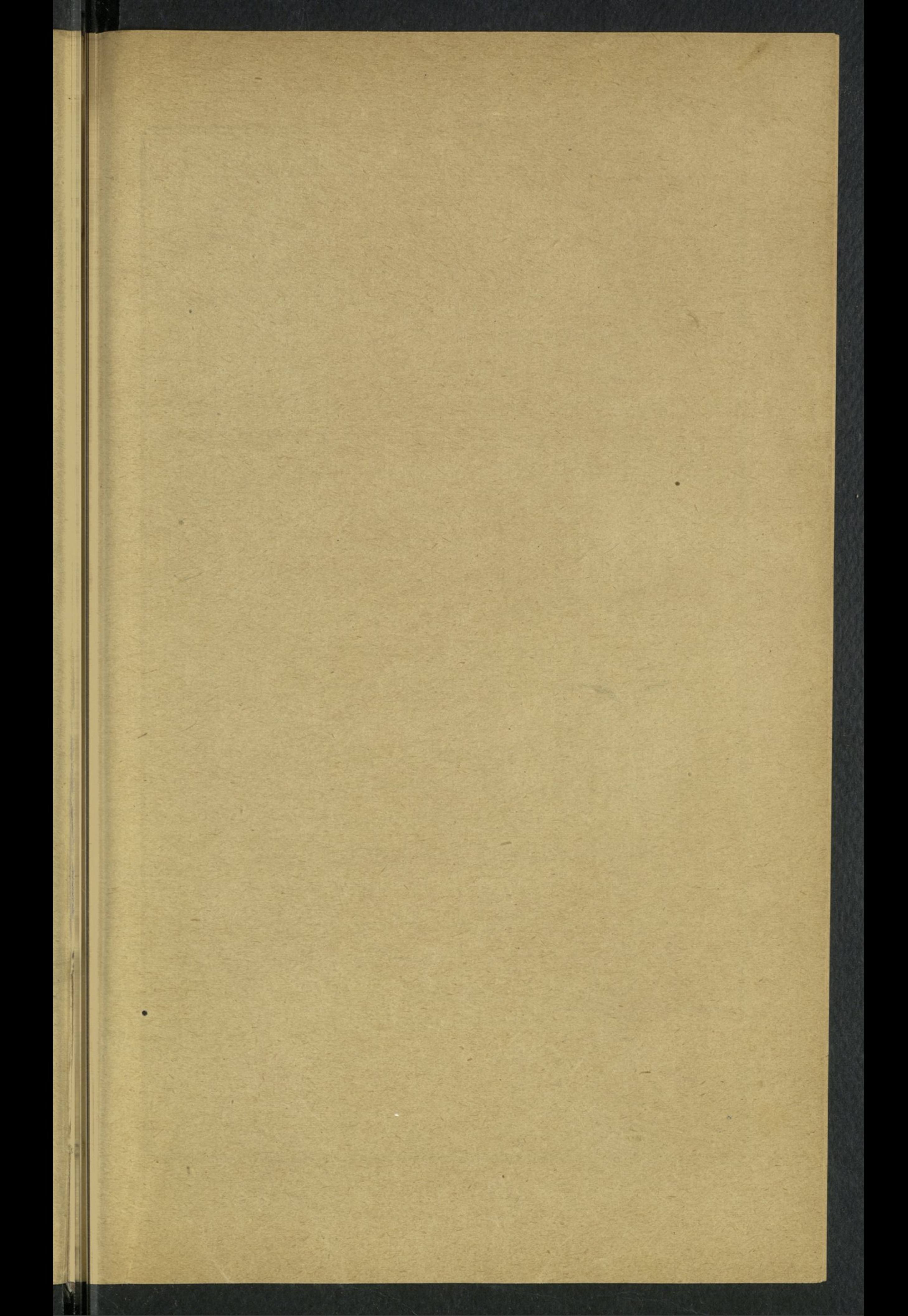
اياه فأقبل من بيهق وهى أقصى أرض خراسان وأدناه من قومس فأقبل في سبعين رجلا الى عمرو بن زرارة ومرّ به تجار فأخذ دوابهم وقال علينا أثمانها فكتب عمرو بن زرارة الى نصر بن سيار فكتب نصر الى عبد الله بن قيس والى الحسن بن زيد أن يمضيا الى عمرو بن زرارة فهو عليهم ثم ينصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه فجاؤا حتى انتهوا الى عمرو بن زرارة فاجتمعوا فكانوا عشرة آلاف فأتاهم يحيى بن زيد وليس هو الا في سبعين رجلا فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة وأصاب دوابّ كثيرة وجاء يحيى بن زيد حتى مرّ بهراة وعليها مُغلّس بن زياد العامرىّ فلم يعرض واحد منهما لصاحبه فقطعها يحيى بن زيد وسرّح نصر بن سيار سَلم بن أحوز فى طلب يحيى بن زيد فأتى هراة حين خرج منها يحيى بن زيد فأتبعه فلحقه بالجوزجان بقرية منها وعليها حماد بن عمرو السغدىّ قال ولحق بيحيى بن زيد رجل من بنى حنيفة يقال له أبو العجلان فقتل يومئذ معه ولحق به الحسحاس الازدىّ فقطع نصر بعد ذلك يده ورجله قال فبعث سلم بن أحوز سورة بن محمد بن عزيز الكندىّ على ميمنته وحماد بن عمرو السغدىّ على ميسرته فقاتله قتالا شديدا فذكروا أن رجلا من عنزة يقال له عيسى مولى عيسى بن سليمان العنزىّ رماه بنشابة فأصاب جبهته قال وقد كان محمد شهد ذلك اليوم فأمره سلم بتعبية الناس فتمارض عليه فعبى الناس سورة ابن محمد بن عزيز الكندىّ فاقتتلوا فقتلوا من عند آخرهم ومرّ سورة بيحيى بن زيد فأخذ رأسه وأخذ العنزىّ سلبه وقميصه وغلبه سورة على رأسه فلما قتل يحيى بن زيد وبلغ خبره الوليد بن يزيد كتب فيما ذكر هشام عن موسى بن حبيب انه حدّثه الى يوسف بن عمر اذا أتاك كتابى هذا فانظر عجل العراق فأحرقه ثم انسفه فى اليمّ نسفا قال فأمر يوسف خراش بن حوشب فأنزله من جذعه وأحرقه بالنار ثم رضّه فجعله فى قوصرة ثم جعله في سفينة ثم ذرّاه فى الفرات

وكانت عمال الامصار في هذه السنة عمالها في السنة التى قبلها وقد ذكرناهم قبل

---

﴿ تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع وأوله ﴾

﴿ سنة ستة وعشرين ومائة من الهجره ﴾



# ﴿فهرست الجزء الثامن من تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة



﴿تمت﴾

